

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔ ⵉⵏ ⵜⵉⵣⵓⵣⵓ
ⵕⵓⵏⵉⵙⵓⵔ ⵉⵏ ⵙⵉⵎⵓⵔ ⵉⵏ ⵙⵉⵎⵓⵔ
ⵕⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔ ⵉⵏ ⵜⵉⵣⵓⵣⵓ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes



جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
التخصص: اللغة العربية وآدابها
الفرع: لغوي

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم

إعداد الطالبة: سوهيلة دريوش

اللغة العربية في معاجم المُستشرقين الفرنسيين المنهج والمحتوى

لجنة المناقشة:

- أ.د. صالح بلعيد، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري بتيزي وزو رئيسا
أ.د. عبد الرزاق عبيد، أستاذ التعليم العالي، جامعة الجزائر 2 مشرفا مقرر
أ.د. جويده معبود، أستاذة محاضرة أ، جامعة الجزائر 2 ممتحنة
أ.د. عمر بورنان، أستاذ محاضر أ، جامعة محمد أكلي، بالبويرة ممتحنا
أ.د. الجوهر مودر، أستاذة محاضرة أ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ممتحنة
د. فريدة بن فضة، أستاذة محاضرة أ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ممتحنة

تاريخ المناقشة: 24 جمادى الثاني 1444 هـ / 17 جانفي 2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

[سورة النمل، الآية: 19].

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات أوّلا وآخرًا

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله عدد كل شيء، الحمد لله على كل شيء، والحمد لله الذي منّ عليّ فأفضل. اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله بيدك الخير كله إليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، فأهل أن تحمد إنك على كل شيء قدير. الحمد لله قبل كل أحد والحمد لله بعد كل أحد والحمد لله على كل حال. اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض وما بينهن، وأنت بكل شيء عليم، أنت قيوم السماوات والأرض وما فيهن، أنت نور السماوات ومن فيهن.

الحمد لله الذي خلق الأرض والسماوات، الحمد لله الذي علم العثرات، فسترها على أهلها ثم غفرها لهم ومحا السيئات وأنزل الرحمات، فله الحمد ملء خزائن الرحمات، وله الحمد ما تتابعت بالقلب النبضات، وله الحمد ما تعاقبت الخطوات، وله الحمد عدد حبات الرمال في الفلوات، وعدد ذرات الهواء في الأرض والسماوات، وعدد الحركات والسكنات، من يوم فتق الخلق إلى يوم الحق.

إذا كان شكري نعمة الله نعمة تفضل بها الله عليّ، وكم من أمثالها له عليّ، فكيف لي أن أدعي الشكر. لكني أعترف بعجزتي وقلة حيلتي، وعجز شكري عن أداء حق الشكر.

شكرو تقدير وعرفان

يجدر بي هنا؛ الاعتراف بفضل أساتذتي الأفاضل الأكارم، الذين علّمني مبادئ طلب العلم والبحث من الابتدائي إلى الجامعة، على رأسهم: أستاذي الفاضل: الدكتور صالح بلعيد الذي غرس فينا روح الاجتهاد والمبادرة، وبذل جهودا حثيثة لتشجيع الطلبة ودفعهم قدما نحو الإنجاز والتميّز، والأستاذ الفاضل الدكتور السّعيد حاوزة الذي غرقت من علمه، ولا أنسى أستاذي الفاضل الدكتور طاهر ميله الذي تعلمت منه الكثير كما أتوجّه بشكر خاص لأستاذتي الفاضلة الدكتورة الجوهر مودر التي وجّهتني وعلمتني الكثير ولا تزال، فقد استفدت منها خلقا وعلمًا، والأستاذة الفاضلة الدكتورة شامة مكلي التي كانت من أكبر المشجّعين لإيداع البحث ومناقشته، ولا أنسى فضل الأستاذ الفاضل مولود بوزيد، الذي سخّره الله عزّ وجل، لتعجيل إجراءات إيداع البحث؛ وكل الأساتذة الذين تعلّمنا على أيديهم، وكانوا لنا مصابيح يستضاء بهم. فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ومهما شكرت أستاذي المشرف الفاضل الدكتور عبد الرزاق عبيد، فسأظلّ مقصّرة في حقّه، لما تفضّل به عليّ من حلم وعلم، وتشجيع، وتفهمّ وصبر جميل؛ طيلة سنوات البحث؛ فكان بمثابة الوالد النّاصح الأمين الموجّه لابنته، فله مّيّ خالص الشكر والعرفان والاحترام والتّقدير، جزاه الله عني خير الجزاء. والشّكر الأوفر موصول لأعضاء لجنة المناقشة، جزاهم الله كل خير في الدّنيا والآخرة.

والشكر الجزيل لكل أفراد أسرتي: أمي وأبي العزيزين أطال الله عمرهما، وإخوتي: محمد، وسفيان وكريم، ويزيد، وأختي نعيمة، وشكر خاص لأختي سعيدة وابنة اختي هدى بوبكر، اللّتين ساعدتاني كثيرا في البحث، ولكل أفراد أسرتي الصّغيرة والكبيرة.

والشكر خالص الشكر موصول، لكلّ من نذر نفسه لخدمة عباد الله في صمت، دون أن ينتظر جزاء ولا شكورا، ولكلّ من كان له عليّ فضل التّوجيه والتّشجيع بالدّعاء والكلمة الطّيبة؛ من قريب ومن بعيد...

إهداء

إلى كلّ عالم، وطالب علم، لم يجد الرّياء إلى قلبه سبيلا

ولم يجد الكبر في نفسه مؤثلا

فيئس المرء من امتطاء لسانه

وذاب الغرور من إخباته.

مقدمة:

بسم الله والحمد لله ﷻ خير الأسماء، ربّ الأرض والسّماء، وخير ما ننطق به في السّراء والضّراء
وصلّ اللّهم وسلّم وبارك وأنعم على سيّدنا ونبيّنا محمد الأمين ﷺ خير خلق الله أجمعين، المبعوث رحمة
للعالمين بلسان عربيّ مبين، وارض اللّهم عن صحابته الطّاهرين، وعن كلّ من اتّبع هديهم واقتفى أثرهم إلى
يوم الدّين. أمّا بعد؛

فتعتبر اللّغة من أهمّ مقومات الأمم على مرّ العصور، إذ لكلّ قوم لغة تميّزهم عن غيرهم، تحمل
آلامهم وآمالهم وأعمالهم، وتشكّل هويّتهم ومبادئهم وقيمهم، ولقد أدرك العلماء والباحثون ذلك، فوضعوا
مؤلّفات ودراسات خدمة للغاتهم، وكلّ منهم يحاول جاهدا الدّود عن لغته وخدمتها، إلى هنا لا غرابة
فالأصل أن يهتمّ كلّ ذي لغة بلغته، لكن قد نستغرب حين نسمع بدارسين للغة غير لغتهم؛ بل ويتبحّرون
فيها، ويحرصون أشدّ الحرص على الإحاطة بها، وبكلّ علومها وفنونها، إنّها اللّغة العربيّة التي شرفها
الله عزّ وجلّ بأن اختارها لغة لكتابه العظيم.

ارتبط مجد اللّغة العربيّة بالقرآن العظيم إلى يومنا هذا، حيث بدأت قصّتها وتاريخها بالإسلام
مع نزول الوحي. ولئن أحبّ العرب لغتهم قبل ذلك وفاخروا بها، إلّا أنّ ذلك بقي سجين شبه الجزيرة
العربيّة، ومنذ أن أكرم الله العرب بالقرآن العظيم المنزل رحمة للعالمين، بدأت اللّغة العربيّة تشقّ طريقها
إلى العلم والعالم، إذ بعدما اقتصرّت على الأشعار والحكم والأمثال، صارت لغة للمسلمين، يُتلى بها
وحي الله ﷻ آناء اللّيل وأطراف النّهار. وبما أنّ أول كلمة عربيّة من الوحي ربطت الأرض بالسّماء
هي (اقرأ)، فقد أدرك العرب والمسلمون، أنّ هذه اللّغة أشرف من أن تقتصر على الأشعار؛ بل شرفها
الله ﷻ لتكون وعاءً لمنهجه القويم، الذي ارتضاه لعباده أجمعين، ومصبا لبعض من علمه وحكمته.
وبعدما كان العرب لا يُعرفون إلّا بالشعر، صاروا يُقصدون لطلب العلوم، وما أكثر العلماء المسلمين
الذين ألفوا في الطبّ والكيمياء والرياضيات والفلك وغيرها، ناهيك عن الدّراسات والمعاجم، التي كان
فيها للمسلمين السّبق. هذا التّميّز والإشعاع للّغة العربيّة وللمسلمين العرب في العصور الوسطى، كان
يقابله انحطاط وظلام دامس في الغرب، أظنّ بظلاله على كلّ بلاده، وكانوا قبل ذلك هم أسياد العالم

فَعَكِسَتْ المعادلة، ومن هنا بدأ الغربيون يقصدون العرب لينهلوا من علومهم، وازدادت الحاجة إلى تعلّم اللغة العربية.

أقبل الغربيون على البلاد الإسلامية بشغف كبير، جعلهم يسخّرون جهودهم وطاقاتهم، للغوص في أعماقها، ولمّا كانت اللغة العربية حاضنة للحضارة آنذاك، فقد كان لزاما عليهم تعلّمها، ومن ثمّ تعليمها ودراستها، لكنهم لم يقفوا عند هذا الحدّ؛ بل راحوا ينقدونها بعدما أوغلوا فيها، وقارنوها بلغاتهم وأسقطوا عليها مناهجهم، عُرِفَت هذه الاهتمامات والدراسات لاحقا بالاستشراق، كان من بين مهامه؛ نقل هذا التّراث العربي الإسلامي الكبير، وتحويل مساره إلى الغرب، وفعلا شهدت اللغة العربية إقبالا لا مثيل له في اللّغات الأخرى من معظم البلدان الغربية. ومن بين أهمّ المدارس الاستشراقية التي غُنيت باللغة العربية؛ المدرسة الفرنسية لأسباب دينيّة وتاريخية وسياسية واقتصادية... وكان اهتمام فرنسا بالشّمال الإفريقي أكثر من غيره ولا يزال. أسال موضوع الاستشراق أو بالأحرى انشغاله بالعربية الحبر الكثير.

حاول هذا البحث الجمع بين ثلاث موضوعات تتفاعل فيما بينها؛ يصعب الفصل بينها، يرتبط شقّه الأول والأهمّ: باللغة العربيّة، والثّاني: بالاستشراق ومناهجه، والثّالث: بالدراسات المعجمية الحديثة. أمّا عنوانه فهو: (اللغة العربيّة في معاجم المستشرقين الفرنسيين: المنهج والمحتوى)، كان دافعه الدّائي، استغرابي من اهتمام هذه الفئة من الباحثين الغربيين باللغة العربية، ومن هذا الكمّ الهائل من المؤلفات، والدراسات المخصّصة لها. يرجع الفضل في لفت انتباهي لهذا الموضوع للأستاذ الفاضل محمد يحياتن رحمه الله، وأسكنه فسيح جنّانه. أمّا الدّافع الموضوعي فيتمثّل في قلة الدّراسات المهمّة بهذا النّوع من الموضوعات.

تمثّلت إشكالية البحث الكبرى، في التّساؤل حول رؤية المستشرقين الفرنسيين للغة العربيّة. فترى كيف تعاملوا مع اللغة العربية في معاجمهم، وما مدى وضوح رؤيتهم حولها؟ وهل تأثّروا بالعرب أو أنّهم هم الذين أثّروا فيهم؟ وكيف وُظفت مناهجهم؟ وهل تأثّرت معاجمهم بلغاتهم وثقافتهم وعقائدهم؟ وهل كان للاستشراق أثر في العالم الإسلامي العربي بوصفه الموضوع الرئيس لدراساته؟

مقدمة

افترض البحث أنّ هناك مستشرقين وظّفوا اللّغة العربية الفصحى، وآخرين تحيَّزوا للعامية، ومن المعاجم ما كُتب بالخطّ العربي، وأخرى بالخطّ اللاتيني؛ وتتوَّعت العربية لديهم تبعاً لدرجة تمكّنه منها، والحاجة التي دعتهم إليها، والمناهج التي انطلقوا منها، وكذا نوع المجالات التي تناولوها.

اعتمدت مجموعة من المناهج التي تضافرت، لاستيعاب إشكالية البحث، ومحاولة الإجابة عن تساؤلاته المختلفة. لعلّ أهمّها: المنهج الوصفي الذي وُظف لوصف المدوَّنة ودراساتها، وبما أنّ المعاجم المدروسة تنتمي إلى فترات زمنية مختلفة، فإنّها تدخل بذلك، ضمن الدّراسات التطوُّرية التي تتبَّع ظاهرة معيّنة، تمتدّ لفترات زمانية متتابعة، تشمل قياس البيانات وتحليلها وتعليلها ونقدها، وذلك بعد وصف الظاهرة ومعرفة أبعادها المختلفة، فتتبع البحث اللّغة العربيّة في المدوَّنة، بدءاً ببعض المعاجم المقترنة بفترة الاحتلال الفرنسي وما صدر بعده، والمعاصرة، من حيث الكيف والكمّ، بتوظيف بعض أدوات المنهج الإحصائي، التي سمحت بإحصاء مواد بعض أبواب المعاجم، وتحديد نسب بعض الظواهر والاستعمالات اللّغوية، واستفدت من المنهج المقارن، في بعض المواضع التي استدعت المقارنة بين بعض الأعمال.

تمثّلت المدوَّنة في المعجم، نظراً لأهميّته من بين المؤلفات الأخرى، إذ يعدّ المعجم عامة والثّاني بخاصة؛ أداة لتعلّم اللّغات وتعليمها، والأداة الأولى للترجمة، وهو الحامل للغات الشّعوب وتراثهم وعلومهم وآدابهم، وهذا ما جعل المستشرقين يولونها أهميّة كبيرة، إذ بها فُتح أمامهم كلّ مستغلٍ. مع العلم أنّ المدونة في البداية كانت مفتوحة؛ تشمل نماذج من كلّ ما أنتجه المستشرق الفرنسي حول اللّغة العربية. إلّا أنّ المشرف الفاضل الدّكتور (عبد الرزاق عبيد)، فضّل الاقتصار على المعاجم، ومع ذلك استفدت من أعمال أخرى للاستئناس بها في تحديد موقف المستشرق الفرنسي من اللّغة العربية.

حاولت اختيار معاجم متنوّعة، سواء من حيث نوع العربية التي اشتملت عليها؛ بمعنى الفصحى والعاميّة، وكذا عدد اللّهجات، فمنها ما اكتفى بلهجة، ومنها ما تناول أكثر من لهجة، وكذا انتماء المستشرقين فمنهم الفرنسيون الذين ولدوا بفرنسا، ومنهم فرنسيون ولدوا بالجزائر، ومنهم مغاربة تجنّسوا بالفرنسية. كما تتوّعت المعاجم من حيث الفترة الزمنية، إذ منها ما وُضع أثناء الاحتلال الفرنسي، ومنها ما وُضع بعده ومنها ما صدر في الألفية الثّالثة. أمّا من حيث الخطّ؛ فمنها ما كتب بالخطّ العربي، ومنها ما كتب بالخطّ اللاتيني ومنها ما جمع بينهما. ومنها معاجم غُيّت بمفردات عامة اعتمدت الترتيب الأبجائي الفرنسي أو العربي. ومنها

مقدمة

ذات الترتيب الموضوعي، ومنها أعمال فردية وأخرى ثنائية، وكذلك من حيث الحجم، إذ منها ذات الحجم الصغير والكبير والمتوسط، ومنها التعليمية، والعامة، والمختصة، والسياحية.

أما لماذا الاستشراق الفرنسي؟ فيرجع إلى عوامل عدة، ولعل أهمها العامل التاريخي، إذ ترجع علاقة الجزائر والمغرب العربي؛ بل والعالم الإسلامي العربي عموماً؛ بفرنسا إلى قرون، وهي من أكثر الدول الغربية اتصلاً به، وكانت الجزائر حقلاً خصباً لدراسات المستشرقين الفرنسيين مقارنة بغيرها، كما أجمعت الدراسات على خطورة الاستشراق الفرنسي من بين المدارس الاستشراقية.

اهتم الباحثون العرب بدراسة أعمال المستشرقين في المجال الديني والفكري بشكل كبير. إلا أن الاهتمام بالمجال اللغوي عامة قليل؛ وبالمعجم أقل، وباللغة العربية أقل بكثير -في حدود العلم- وهذا ما جعلني أحرص على اختيار معاجم متنوعة، شملت الفصح والعامي، وكان تتوع المعاجم مع فوائده الجمّة؛ عاملاً أساساً في تصعيب مهمة البحث. بالإضافة إلى صعوبة تحقيق التوازن بين فصول البحث ومباحثه، وهذا مرده إلى اتساع موضوع اللغة العربية والاستشراق وتشعبهما، وطبيعة المدونة.

فُسِّمَ البحث إلى خمسة (5) فصول؛ تقدّمها مدخل حول الاستشراق. جاء الفصل الأول بعنوان: (اللغة العربية: وأهمّ قضاياها قديماً وحديثاً)، افتتح بتقديم لمحة تاريخية حول اللغة العربية وفضلها، اشتمل على ثلاثة مباحث؛ وُسِّمَ الأول: بـ (اللغة العربية بين الدراسة والاستعمال) تناول تعريف اللغة العربية وذكر بعض التسميات المطلقة عليها، ومستويات تحليل اللغة العربية: (الصوت، الصرف، النحو، المعجم والدلالة والمستوى الكتابي)، ثمّ المستويات اللغوية: (الفصحى، العامية، الدّخيل). أما المبحث الثاني، فعنوانه: (قضية العامية وامتداداتها المعاصرة)، افتتح بـ (الفرق بين العامية واللّجة واللغة)، وهنا حاولت ضبط الفرق بين هذه المصطلحات قديماً وحديثاً، بالرجوع إلى بعض المعاجم القديمة والحديثة، وكذا إلى بعض الدراسات الحديثة وعلى رأسها، دراسة العلامة (عبد الرحمن الحاج صالح)، الذي تناول هذه الإشكالية، بدقّة. وعرّج البحث إلى (الدّعوة إلى العامية عبر التاريخ)، وهنا حاولت تتبّع ظاهرة العاميّة، مع بداية اللّحن لدى العرب، وذكر أهمّ المؤلفات في هذا المجال، ثمّ انتقلت إلى أول من دعا إلى العاميّة بوصفها لغة، يجب ترقيةها إلى مصافّ اللّغات الرّسمية، وهم المستشرقون، ومن تبعهم من العرب. لينتهي المبحث بـ (الدراسات الحديثة للّهجات)، تمّ فيه التعريف باللسانيات الاجتماعية، وعلم اللّهجات، والتفريق بين الاهتمام بالعاميّة بوصفها موضوعاً يجب

دراسته، والدعوة إلى استعمالها لتحلّ محلّ الفصحى. تناول المبحث الثالث: (اللغة العربية بين دعاة الخط العربي والخط اللاتيني)، اقتضت المنهجية التعريف بـ (الخط والكتابة) ثم أتبع، بـ (خصائص الحرف العربي والكتابة العربية)، وناقش قضية (الدعوة إلى كتابة العربيّة بالحرف اللاتيني)، واختتم بـ (دعوى إصلاح الكتابة العربية حديثاً).

أتى الفصل الثّاني؛ بعنوان: (أثر مناهج المستشرقين وأعمالهم في العالم الإسلامي العربي)، كانت البداية مع: (المستشرقون واللغة العربية)، بعدها (اللغة العربيّة ومناهج المستشرقين)، ليقف على (أثر المناهج الغربيّة في الباحثين العرب). وُسم المبحث الثاني بـ (المعاجم الثّنائية العربيّة في ضوء الاستشراق)، تفرّع إلى (المعاجم ثنائية اللغة)، (المعجم الثّنائي العربي وأهمّ قضاياها)، و(المعجم العربي بين المستشرقين والعرب) و(الدراسات المعجمية الحديثة في ضوء معاجم المستشرقين). أما عنوان المبحث الأخير فهو (الاستشراق الفرنسي وأثره في العالم الإسلامي العربي)، عُرضت فيه لمحة تاريخية عن الاستشراق الفرنسي، و(مميّزات المستشرقين الفرنسيين وأدوارهم ووسائلهم)، وبما أنّ الجزائر كانت محطة متميّزة من محطات الاستشراق الفرنسي؛ وجب التّطرّق إلى (الاستشراق الفرنسي في الجزائر)، ثمّ (اللغة العربيّة والدراسات القرآنية لدى المستشرقين الفرنسيين) ليُختتم بـ (أثر الاستشراق الفرنسي في تشويه صورة المسلمين).

أمّا الفصول الثلاثة (3) المتبقية، فهي تطبيقية؛ تناولت تحليل مدوّنة البحث؛ خُصّص لكلّ عمل مبحث خاص به، باستثناء معجم المستشرق (ريغ). عُنون الفصل الثالث بـ (المعاجم الثنائية الفصيحة ذات الترتيب الأبجدي)؛ تضمّن أربعة (4) مباحث، تناول المبحث الأول (معجم اللغة الكتابية: للمستشرق شربونو) (Cherbonneau Auguste)، عرّفت بالمستشرق وأهمّ أعماله، وبعدها تعريف المعجم، بداية بعنوانه، وما اشتملت عليه مقدّمته، أو ما ورد في بداية العمل من معلومات حول المعجم واستعماله، والوقوف عند تصنيفه من حيث الفئة التي يتوجّه إليها، واللغة المستعلة فيه. وثاني عنصر خُصّص لـ (قضايا الجمع في المعجم) تناول: (مصادر المعجم، والمداخل، والمستويات اللغوية، مع تحديد نسبها). ثمّ انتقلت إلى (قضايا الوضع في المعجم) التي تناولت (الترتيب في المعجم) على المستوى الداخلي والخارجي، فـ (قضايا التعريف) باختيار نماذج من المداخل للوقوف على طريقة التعريف والوسائل التوضيحية. وبما أنّ الدّراسة اللّغوية لا تستغني عن (مستويات التحليل اللّغوي)، درس البحث المستوى الصّوتي والصّرفي والإملائي، والنّحوي والمعجمي

والدّالّي، وذلك بأمثلة مستمدة من المعجم. لأختم المبحث بـ (رؤية المستشرق شربونو إلى اللّغة العربيّة) تحدّث فيه عن رؤيته للغة العربيّة في ضوء قاموسه (اللّغة الكتابيّة)، وكذا في ضوء دراسة له، عنوانها ملاحظات حول العاميّة الجزائريّة، (باللّغة الفرنسيّة)، وذلك من حيث مستويات التّحليل والاستعمال، وكذا من حيث الحرف المتّخذ لكتابة اللّغة العربيّة.

وبما أنّ معجم المستشرق دانيال ريغ (Daniel Reig) معجم عربي-فرنسي، وهو طبعة جديدة لطبعة عرفت بالسّبيل، كان أكبر المعاجم حجما وأهمّها، فقد تناولته البحث في ثلاثة مباحث: تناول المبحث الثّاني: (قضايا الجمع في معجم دانيال ريغ)، ووقف المبحث الثّالث: عند (قضايا الوضع في المعجم)، أما المبحث الرابع، فحاولت مناقشة (اللّغة العربيّة في أعمال المستشرق دانيال ريغ)، وتحديد رؤيته للّغة العربيّة من حيث مستويات تحليلها واستعمالها، وهي العناصر نفسها تقريبا، المدروسة في المدونة كلّها.

وُسِم الفصل الرابع بـ (المعاجم الثنائية الفصيحة ذات الترتيب الدّالّي)، تضمّن ثلاثة (3) مباحث: أوّلها: (تحليل معجم العربيّة الحيّة لشارل بيلا (Charles Pellat))، والثّاني: (تحليل معجم لغة اليوم لماتيو جيدر (Mathieu Guidere)). خُتم الفصل بمبحث: (تحليل معجم اللّسن لميشيل قيطوط (Michel Quitout)) تناولت هذه المباحث العناصر نفسها -تقريبا- مع المعجمين السابقين.

خصّص الفصل الخامس لـ (المعاجم الثنائية للعربيّة العاميّة)؛ وتفرّع إلى ثلاثة مباحث، تناول الأوّل: (تحليل المعجم الأساسي للعربية الجزائرية والصّحرواية) للمستشرقين هنري بيريس (Henri Pères) وبول مانيون (Paul Mangion)، عرفتُ بالمستشرق هنري بيريس وأهمّ أعماله، و(التّعريف بالمعجم)، و(قضايا الجمع في المعجم) ذُكرت فيه موضوعات القسم الأوّل، تناولت بعض الأدوات النّحوية والصّيغ والتراكيب المستعملة لدى الجزائريين وبعض الصحراويين أثناء تواصلهم اليومي، عددها واحد وثلاثون (31) موضوعا منها: (أدوات الاستفهام، أدوات الإثبات والنّفي، أسماء الإشارة، الأعداد، الوقت والساعة أدوات الرّبط). ثم تناولت (قائمة الكلمات العاميّة-الفرنسيّة)، وهنا أُحصي عددها، افتتح بتمييز (المستوى الفصيح والعامّي والدّخيل في العاميّة الجزائريّة)، حيث تتبّع البحث الكلمات العامية ذات الأصل الفصيح، وكلمات عاميّة أخرى لا أصل لها في الفصيح -في حدود العلم- والدّخيل. ثم درست (قضايا الوضع في المعجم) افتتحت بـ (الترتيب في المعجم)، فـ (التّعريف)، ثمّ (مستويات التّحليل اللّغوي)، سجّلت فيه الكلمات العاميّة والتّحريف الذي طرا

عليها، من حيث: (الحركات، إبدال حرف بآخر، بالزيادة أو الحذف، وبقلب حروف الكلمة)، وتكررت بعض الكلمات الغامضة دلاليا. ليُختم الفصل بـ (اللغة العربية في عمل المستشرقين)، وتضمن رؤية المستشرقين على مستوى التحليل والاستعمال والموضوعات. أما المبحث الثاني فعنوانه: (تحليل معجم ميشيل قيطوط للعربية المغربية)، اشتمل على العناصر نفسها تقريبا، مع مراعاة طبيعة العمل المعتمد على الحقول الدلالية مثل: تتبّع توزّع المستوى الفصيح والعامّي والدّخيل على مجالات المعجم. وختم الفصل بمبحث: (تحليل معجم العربية الجزائرية للمستشرق دانيال كرسا) (Daniel Krasa).

انتهى البحث إلى خاتمة؛ اشتملت على أهمّ النتائج المتوصّل إليها، من خلال الفصول الخمسة. وبعض الاقتراحات، وفي نهاية البحث ملحق لواجهات الأعمال المدروسة.

لم يحظ موضوع اللغة العربية لدى المستشرقين بالاهتمام، فقد درس الباحثون تأثيرات الاستشراق في الجوانب الفكرية والدينية كما سبق، وقلة منهم اهتموا بالمعجم، لكن لا علم لي بدراسة حول اللغة العربية، رغم أنّ المستشرقين ألفوا كتباً بعنوان (اللغة العربية، وفقه اللغة العربية، والنحو العربي، والدراسات الصوتية، والخطّ العربي، والكتابة العربية)، وغيرها من قضايا اللغة العربية القديمة والحديثة، التي نقدا فيها اللغة العربية؛ بل حاولوا إعادة التّقييد لها، ووضع نظريات جديدة بإسقاط قواعد لغاتهم عليها، ويا للعجب! حبذا لو يلتفت الباحثون إلى دراستها، وتخصيص بحوث لهذه المؤلفات الكثيرة، مع وجود ترجمات وتحقيقات لها، لكن المرجو هو دراسات عميقة دقيقة، بعيدا عن تأثيرات المناهج الغربيّة.

أما الدّراسة الأقرب إلى الدّراسة الحالية، والتي أسهمت في دعم البحث وتوجيهه؛ فهي دراسة الباحث عبد العزيز بن حميد الحميد القيمة بعنوان: (أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي)، وهو بحث متميّز تناول أعمالا معجمية كثيرة توصّل فيها إلى أنّ المستشرقين كانت لديهم قدرة على فهم التّراث العربي، من خلال مناهجهم في التّحقيق والفهرسة اللّغوية، بالإضافة إلى استفادتهم من مناهج البحث الحديثة، في تناولهم المعاجم العربية وخروجهم بنتائج قيّمة، وتوصّلهم إلى نتائج لم يحققها العرب، وسعة ميدان أعمالهم واختلاف مناهجهم واعتمادهم على نصوص أصلية، واستفادتهم في تحقيق المخطوطات العربية من مناهج اللاتينيين والمسلمين الأوائل. كما سجّل اعتناءهم بصناعة المعجم العربي، وأكّد التأثير المتبادل بين المستشرقين والعرب إلّا أنّ العرب أكثر تأثرا في مجال مناهج البحث. وهي دراسة تتقاطع مع هذا البحث في نقاط كثيرة، مع

مقدمة

اختلاف المعاجم المدروسة، إذ تناول نماذج من معاجم المستشرقين، مثل: دوزي وفيشر وبعض الفهارس وبعض الدراسات الاستشراقية حول المعجم. إلا أنّ الإشكالية والهدف مختلفان، فعمل الأستاذ الباحث الحُميد معجمي بحث عكس هذه الدراسة التي تسعى إلى الكشف عن علاقة المستشرقين الفرنسيين باللغة العربية ومدى تأثيرهم فيها وفي أهلها. كما أنّ دراسة الباحث كانت أكثر شمولاً، إذ لم يكتف صاحبها بالفرنسيين؛ بل شملت مدوّنته الألمان والبريطانيون وغيرهم. بالإضافة إلى دراسة الأستاذ الباحث (إبراهيم بن مراد) بعنوان: (دراسات في المعجم العربي)، ومما تناوله معجم المستشرق (رينهارت دوزي)، مشيداً بمعجمه والجهود التي بذلها، واشتماله على مستويات لغوية كثيرة، وعدم تقيده بالفصيح، وذكر بعض العيوب التي لا يخلو منها عمل بشري.

واستفاد البحث من دراسة الباحث (محمد العربي معريش) (الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية (1822-1872))، وهي دراسة تاريخية قيّمة تتبعت الاستشراق الفرنسي وأعماله وكشفت عن الكثير من خلفياته. بالإضافة إلى مؤلفات الباحث (إسماعيل أحمد عمايرة)، منها: المستشرقون والمناهج اللغوية والمستشرقون وتاريخ صلتهم باللغة العربية، وغيرها.

أما الصّعوبات، فلا يكاد يخلو منها بحث علمي، لعلّ أكثرها تأثيراً في سيرورة البحث، الانقطاعات المتكرّرة، كما واجهت صعوبات مرتبطة بالموضوع والإشكالية، إذ انطلق من وجهة نظر مختلفة، عن تلك التي يحملها أستاذي المشرف الفاضل، وهو ما جعلني أحاول التوفيق بين الرّؤيتين، فقد كان هدفي الغوص في دراسة ما وراء اللغة والمعجم في هذه الأعمال، بالانطلاق من دراسات ما وراء صناعة المعجم، والمنهج النّداولي والنّقد الثقافي، وغيرها من المناهج والدراسات التي تسلط الضوء على دور اللغة الخطير وتأثيرها في الشعوب، وتوظيفها للسيطرة على الآخر، وكل ما يدخل في العلاقة بين الغرب والشرق... ولاشك أنّ هذا الأمر نتج عنه بعض الخلط في المنهج والمحتوى، الذي أتحمل مسؤوليته. بالإضافة إلى تشعب الموضوع ورغبتني الملحة في الإحاطة بجميع زواياه وقضاياها. ومما واجهته صعوبة توحيد بعض المصطلحات المستعملة في البحث، مثل مصطلحي: (المعجم والقاموس)، إذ فضّلت توظيف مصطلح (معجم) لشيوعه مقارنة بمصطلح (القاموس)، إلا أنّي حاولت مراعاة المصطلح الذي وظّفه صاحب العمل، فمثلاً مع المستشرق

مقدمة

شربونو استعملتُ مصطلح (قاموس) الذي جاء في عنوانه، أما مع المستشرق (دانيال ريغ) وظفتُ مصطلح (معجم) لوروده في عنوانه.

هنا، لابدّ من توضيح، يتعلّق بمصطلح (المعجم)، وهو أنّه أُطلق في هذا البحث- تجاوزا-، على كل عمل تضمّن قائمة كلمات باللغة (الاستعمال اللّغوي) (أ) عربيّة أو فرنسيّة تقابلها قائمة كلمات باللغة (الاستعمال اللّغوي) (ب) فرنسية أو عربيّة، إذا لا ينطبق في الأصل مصطلح (المعجم) على الأعمال المدروسة كلّها، وهذا نظرا لصعوبة إيجاد منهجيّة موحدة للتّعامل مع أعمال مختلفة، إذ هناك أعمال تعليميّة وأخرى للتّرجمة، وبعضها اعتمدت حوارات.

أجدني في هذا المقام عاجزة كل العجز عن أداء حقّ الشكر والحمد لله الواحد الأحد الفرد الصّمد فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته، إن أصبت فمنه وحده وله الفضل وحده. وإن أخطأت فمنيّ فاستغفر الله وأتوب إليه.

ولابدّ أن أتقدّم بخالص شكري، لأستاذي الفاضل المشرف الدّكتور عبد الرزاق عبيد، وبكلّ التقدير والعرفان على صبره الجميل، ولاسيّما أثناء فترات انقطاعي، مهما حرصت على انتقاء كلمات وعبارات الشكر فسأبقى عاجزة عن إيفائه حقّه، فجزاه الله عني خير الجزاء في الدّنيا والآخرة، إذ أقدر له جهوده الحثيثة ودقته وملازمته البحث بالنّصويب والنّوجيه. كما أشكر له تواضعه العلمي الكبير، إذ كثيرا ما أتاح لي حرية البحث رغم اعتراضه على بعض ما ورد، ولا شكّ أنّه غير مسؤول عن أيّ خطأ أو نقيصة في البحث، فالتقصير كلّهُ مني.

وأشكر لأساتذتي الأفاضل الأكارم أعضاء لجنة مناقشتي: أستاذي الدّكتور صالح بلعيد رئيسا، أستاذي الدّكتور عبد الرزاق عبيد مناقشا مقرّرا، أستاذتي الدّكتورة الجوهر مودر ممتحنة، أستاذي الدّكتور عمر بورنان ممتحنا، أستاذتي الدّكتورة جويده معبود ممتحنة، أستاذتي الدّكتورة فريدة بن فضة ممتحنة، أشكرهم جميعا وأزجي إليهم خالص الشكر والتّقدير والعرفان والامتنان، وأستسمحهم على ما وجدوه من نصب في قراءة البحث والنّظر فيه وحمله، ولاسيّما أنّهم تحشّموا عناء السّفر، فالله العليّ القدير أسأل أن يجازيهم خير الجزاء على

مقدمة

جهودهم وتلطفهم وكرمهم، وعلى كل ما تفضلوا به من ملاحظات وتصويبات، استفدت منها، وعدلت البحث في ضوءها.

والشكر الأوفر والأجزل، موصول لأفراد أسرتي الكريمة، لاسيما أمي وأبي، وأختي سعيدة، ولأساتذتي وزملائي الفضلاء، وطلبتني الأعزاء جميعهم، ولاسيما الذين شجعوني، وكان سؤالهم عن البحث متكررا متواصلا دون كلل ولا ملل، ولمخبر الممارسات اللغوية والمشرفين عليه، ولاسيما السيدة الفاضلة يمينة، وللمسؤولين والموظفين في مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها، والمكتبة المركزية بجامعة مولود معمري، ومكتبة الرسائل الجامعية، بتيزي وزو وبالجزائر، ولكل من أسهم من قريب أو من بعيد في إثراء البحث، وتشجيعي وتوجيهي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله ولي التوفيق.

الطالبة: سوهيلة دريوش

الخميس 25 رجب 1444هـ الموافق لـ 16 فيفري 2023م

تمهيد: الاستشراق والمستشرقون: تحديدات مصطلحية، النشأة، مواقف الباحثين العرب

يعتبر الاستشراق من الظواهر المحيرة التي كثر حولها الكلام، أمّا علّة الحيرة؛ فمردها إلى هذا الاهتمام الكبير بالعالم الإسلامي العربي، والكمّ الهائل من الدراسات المخصّصة له، وهو ما يطرح تساؤلات كثيرة على جميع المستويات، ولئن كان مجال هذه الدراسة لغويًا، إلّا أنّه لا يمكن الفصل بينه والاستشراق، إذ لا بدّ من التعرّف على حقيقة هذه الظاهرة، وهو ما سيُمكن من تكوين فكرة أكثر شمولاً وعمقاً، كما أنّ الخلفيات التاريخية لها، تساعد على فهم بعض المعطيات الواردة ضمن مدونة البحث.

1- الاستشراق والمستشرقون:

1-1- تعريف الاستشراق: صيغت هذه الكلمة من الجذر الثلاثي (ش ر ق)، جاءت على وزن (استفعل)، ومن الدلالات التي تفيدها هذه الصيغة الطلب، (استشرق) بمعنى طلب الشرق، فهل ينطبق هذا المعنى على مصطلح (استشراق) الذي يؤدّ البحث تجليته؟ يصادف الباحث تعريفات كثيرة في هذا المجال، ومن بينها « كلمة الاستشراق كلمة اصطلاحية، لا يراد بها مدلولها اللغوي؛ من حيث التوجّه نحو الشرق... واستشرق في المفهوم الاصطلاحي؛ طلب علوم الشرق واتّجاه للتخصّص في معرفتها... فالاستشراق اليوم، مدرسة وعلم وسياسة واقتصاد، وبخاصة عندما يكون الشرق هو الإسلام؛ كحضارة وعقيدة وتراث وأمة». ⁽¹⁾ يشير الباحث إلى أنّ المراد بالمصطلح غير المعنى اللغوي، في حين يبدو جلياً التداخل بينهما، فالاستشراق يعني « التوجّه نحو الشرق مادياً أو معنوياً، لتحقيق أهداف معيّنة تختلف من مستشرق إلى آخر، فهو علم يحاول أصحابه، دراسة كلّ ما يتعلّق بالشرق من لغات وآداب ومعتقدات وعلوم وفنون وما شاكلها، أنّ المعنى الأصلي لكلمة (استشرق): صار شرقياً». ⁽²⁾ والملاحظ هنا، أنّ الباحث، جعل صيغة (استشرق) تدلّ على الصيرورة، إلّا أنّ هذا مستبعد، ولاسيّما مع المستشرقين المحدثين؛ بل بما فيهم القدامى، لأنّهم وإن أعجبوا بالشرق وسُحروا بجماله وثقافته، إلّا أنّهم تعاملوا معه تعامل الظمآن الذي يبتغي الارتواء من النّبع، ليس هذا فحسب؛ بل وتحويل مجراه نحو بلدانهم إلى أن

¹ - النّبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو 1433هـ - 2012م. ص، 11، 12.

² - السّايح، أحمد عبد الرحيم. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي. القاهرة، دار المصرية اللبنانية، 1996. ط1. ص 14.

ينضب، فالأرجح أنّ الصّيغة، تدلّ على طلب الشرق بكل ما يملك، وهو ما يؤكده الباحث محمد ماهر حمادة، في قوله: « إنّ الاستشراق هو في جوهره وأساسه، حركة تهدف للتعرف على الشرق، وبشكل خاص على علومه ومعارفه، ونحن ننظر إليه من هذه الزاوية، ونبحثه من هذه الرؤية». (1) وهذه هي نقطة التقاطع بين المعنى اللّغوي والمفهوم الاصطلاحي، فالغرب يريد أن يمتلك الشرق.

ومن المفكرين النّاقدين البارزين، الذين اهتموا بهذا الموضوع واحتكوا به، الباحث إدوارد سعيد والاستشراق عنده أسلوب تفكير قائم على التّمييز الوجودي والمعرفي، بين ما يسمى (الشرق) وبين ما يسمى (الغرب)، وهذا اللّون من الاستشراق، قد يضمّ مثلاً: (فكتور هوجو، ودانتي، وكارل ماركس)، ثمّ يشير إلى معنى آخر، حيث يعتبره مؤسسة جماعية مع الشرق، والتّعامل معه معناه؛ التّحدّث عنه واعتماد آراء معيّنة عنه ووصفه، وتدرّسه للطلّاب وتسوية الأوضاع فيه، والسّيطرة عليه، فهو أسلوب غربيّ للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتّسلّط عليه، ثمّ يذكر بأنّه مبحث أكاديمي، تمّ استبداله بمصطلحات أخرى أكثر غموضاً، منها: الدّراسات الشرقية ودراسات المناطق، وهي مصطلحات أكثر استعلاء». (2) وهناك مصطلح آخر، كان يوظّف بالمعنى نفسه، وإن كان أكثر دقّة من كلمة استشراق « وكانت كلمة (الاستعراب) مستعملة قبل ذلك، وأطلقت كلمة (المستعرب) على غير العربي، الذي يعيش في ظل دولة عربية، وربّما أطلقت على المسيحيين، الذين سكنوا الأندلس، وأعلنوا عن انتمائهم للعرب، وولائهم لحكمهم، ومن الطبيعي أن تظهر لفظة الاستعراب في الفترة التاريخية، التي تمثّل حالة الازدهار الثقافي والقوة الحضارية، حيث يزداد التّعلق بالحضارة الأقوى، ويبرز الاعتزاز بالانتماء لها». (3) أما الأستاذ الباحث (صالح بلعيد)، فأكد على ضرورة التّفريق بين مصطلحي الاستشراق والاستعراب وجعل الثّاني أكثر دقّة للغربيين المهتمين بالعربية والعالم الإسلامي عموماً، « وفي هذا المجال يجب التّفريق بين الاستشراق الذي يعني (الاهتمام بالدّراسات الشرقية، واللّغات الشرقية تدرج بينها العربية ولكن كلمة الاستشراق تعني اللّغات الشرقية، مثل: الفارسية التّركية الهندية (لغات شرق

1- حمادة، محمد ماهر. رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب: فكري ومادة، القسم الأوّل، دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبيّة. بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992. ط1. ص 215.

2 - ينظر: إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. تر محمد عناني. لندن، دار بنجوين العالمية رؤية للنشر والتّوزيع، 2006 طبعة مزيدة منقحة. ص 46.

3 - التّبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص12.

آسيا بالخصوص)، والاستعراب يعني به (دراسة اللغة العربية فحسب)، ونظرا لكون اللغات المذكورة، قد تأثرت بالعربية من جهة، ومن جهة أخرى كانت أبرز اللغات الفاعلة في الحضارة الإسلامية، وقع الاهتمام بها جميعا⁽¹⁾. وهنا يمكن ترجيح مصطلح (استشراق)؛ لما فيه من خصوصية، فمصطلح (استعراب) لا يدلّ إلاّ على مجرد الاهتمام باللغة العربية، لا غير، أمّا مصطلح (استشراق) فيتجاوز ذلك ليدلّ على الاهتمام بكلّ ما هو شرق، من علم ودين وعقيدة ولغة وأدب وحضارة، إذ لا يكتفي المستشرقون عادة باللغة العربية؛ بل يجمعون بين أكثر من لغة شرقية، وهي في الحقيقة مجرد وسيلة يتخذونها لتحقيق مآرب أخرى، تختلف من مستشرق إلى آخر. ويبقى أنهم لم يفصلوا يوما العربية عن انتمائها إلى عالم الشرق أو بمعنى أدقّ الإسلام.

كما أنّ الباحثين الغربيين أنفسهم، ولئن نادوا إلى إلغاء التسمية، إلاّ أنّ الدراسات قديمها وحديثها ما زالت تستعمل مصطلح (استشراق) تارة و(استعراب) تارة أخرى. بغضّ النظر عن المصطلح الذي يُوظّف لتسمية هذه الظاهرة، ومهما كانت التعريفات المسندة إليه، تبقى الظاهرة بأعمالها وآثارها شاهدة وشارحة ومفسّرة لذاتها ومكوناتها، وسيأتي إن شاء الله تعالى، ما يوضح المصطلح ويزيده بيانا، من خلال ما جادت به البحوث حوله، وكذا في ضوء المعاجم التي سيتناولها البحث بالتحليل.

ظهر مصطلح « الاستشراق رسميا، لأول مرة في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة 1838م، بعد أن شاع استعمالها، وأصبحت اللفظة دالة على التخصّص في الثقافات الشرقية، ويبدو من تاريخ ظهور لفظة الاستشراق واستعمالاتها الأولى، أنّها كانت أعمّ وأشمل من المعنى الذي تدلّ عليه اللفظة، فيما بعد، وكانت مهمة علم الاستشراق الأولى، ذات طبيعة ثقافية استكشافية⁽²⁾. كما يُلاحظ فقد ارتبط ظهور هذا المصطلح بفرنسا، وهي من أكثر البلدان الغربية انتشارا وتوسّعا في الشرق.

1-2- تعريف المستشرقين: لن يختلف تعريف مصطلح المستشرقين كثيرا عن الاستشراق فهو اسم فاعل من الفعل (استشرق)، « وصيغة (المستشرق) علميا، تطلق على ذلك الذي يشتغل بالعقليات الشرقية عامة والسّامية خاصة، وأنّ المستشرق عالم غربي، يهتم بالدراسات الشرقية على الإطلاق ويجب أن يكون عالما متخصصا غربيا أصلا أو انتماء. كما أنّ المعنى الذي ينصرف إليه الذهن

1 - بلعيد، صالح. في قضايا فقه اللغة العربية. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م. ط. ص 271.

2 - النبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارس، آثاره. ص 11.

عندما يطلق لفظ (مستشرق) هو الذي يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي⁽¹⁾. ما يمكن الوقوف عليه في هذا التعريف؛ هو تصنيف المسلم أو العربي الذي يلتحق بهذه الحركة، حيث ظهر مستشرقون من أصول عربية، أو (على الأقل ولدوا في بلدان العالم الإسلامي العربي مشرقا ومغربا اقتفوا أثر المستشرقين)، إن العبرة ليست بالانتماء الجغرافي؛ بل بالأفكار والمعتقدات التي يتبنونها، إذ قد يكون المستشرق جزائريا أو مصريا أو غيره. يبدو أن « أول استعمال لكلمة (مستشرق) ظهر في سنة 1630م. وقد أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفي سنة 1691م، وصف (أنتوني وود) (صموئيل كلارك)، بأنه استشراقي نابيه، يعني بذلك أنه يعرف بعض اللغات الشرقية و(بيرون) حين يتحدث عن المستشرق (ثورنتون)، يذكر معارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق... ويذكر (رودنسون) أن كلمة (مستشرق)، ظهرت في اللغة الإنجليزية حوالي عام 1779م...»⁽²⁾. وبدأ بعدها تداول هذا المصطلح وانتشاره.

عرّف معجم أكسفورد الجديد المستشرق بأنه، « من تجرّ في لغات الشرق وآدابه، وكان يُطلق في البداية على من تخصص في فقه اللغات الشرقية»⁽³⁾. وبعد حوالي قرن ونصف، من ظهور الكلمة « في عام 1787م أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين، ألحقوها بأخرى عام 1820م»⁽⁴⁾. وبهذا حوّلت فرنسا هذه الكلمة، من مجرد اسم يحمله الشخص، الذي يختص بلغات وعلوم الشرق، إلى حركة ومذهب واتّجاه له مبادئ وأهدافه، وله كيانه المعترف به، وكذا له حقوق وواجبات، وإن كانت الواجبات حسب المؤرخين أكثر، فالميزة التي عُرف بها المستشرق؛ هي التضحية من أجل الوطن.

تتبع الأستاذ ساسي سالم الحاج مصطلحي (الاستشراق والمستشرق)، مبينا أنهما ارتبطا في الماضي بمعنيين، أولهما: ما تعلّق بمدرسة غربية فنية، متخصصة في النحت والرسم، أما ثانيهما: فيعني فرعا من الدراسة المتخصصة في الشرق، ليطلق مصطلح الاستشراق على الدراسات اللغوية والثقافية والتاريخية والحضارية، لشعوب الشرق الممتدة من شواطئ البحر المتوسط، حتى بحر اليابان ويسمى هذا العالم المهتم مستشرقاً. وردت كلمة مستشرق منذ عام 1799م، في أحد أعداد (Magazin

1- السّايح، أحمد عبد الرحيم. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي. ص 14.

2 - المرجع نفسه. ص 19، 20.

3 - النّبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 11.

4 - السّايح، أحمد عبد الرحيم. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي. ص 34.

Encyclopédie) رقم 122، وعرفت الأكاديمية الفرنسية هذا الاصطلاح عام 1835م، رغم وجوده منذ عام 1824م، في تراجم صدرت بالمجلة الآسيوية. كما استخدم المستشرق الفرنسي (سلفستر دي ساسي)، هذا المصطلح مرتين، منذ عام 1810م، وهو يقصره على دارسي اللغة العربية، ويتوصل الباحث إلى إثبات الغموض الملازم لهذا المصطلح، وقد طرأ تحوّل على مصطلح (المستشرق)، بنسبته إلى الإقليم الذي يهتم به الدارس، فأطلق عليه اسم المستعرب (Arabisant)، ويعني المتخصص في لغة وتاريخ وثقافة منطقة جغرافية، هي المنطقة العربية، ويختلف مفهوم هذا المصطلح من منطقة إلى أخرى، لقد تقرّر هجر مصطلح الاستشراق أثناء المؤتمر التاسع والعشرين الدولي للمستشرقين بمدينة باريس سنة 1973م، بمناسبة الذكرى المئوية لأول مؤتمر دولي سنة 1873م، وأصبح هذا المؤتمر يسمى (المؤتمر الدولي للعلوم الإنسانية لآسيا وإفريقيا الشمالية).⁽¹⁾ ما يعني البحث أنّ الاستشراق حيّ مائل أمامه، تشهد عليه أعماله وآثاره، وذلك بغض النظر عن تسمياته.

1-3-طبقات المستشرقين: إنّ البداية الرسمية للاستشراق عند معظم الباحثين، هي القرن السادس عشر الميلادي، رجع البحث إلى دراسة الباحث عبد الحميد صالح حمدان، الذي ذكر خمس طبقات، افتتح الطبقة الأولى بالمستشرق الفرنسي بوسنل جيوم (Postel Guillaume) (1510-1581)، واختتمها بإسكاليجييه جوزيف (Scaliger Joseph) (1540-1609)، وقبله ذكر مستشرقاً سويسرياً وألمانياً. وعدد مستشرقها أربعة (04). تنتمي الطبقة الثانية إلى القرن السابع عشر، ذكر فيها أحد عشر (11) مستشرقاً، افتتحها بالمستشرق الهولندي إربنيوس فان إربن (Erpenius Thomas Van Erpen) (1584-1624)، وخُتمت بمستشرق هولندي هو وارنر ليفينوس (Warner Levinus) (1608-1665). أما في الطبقة الثالثة فنذكر تسعة (09) مستشرقين على رأسهم الفرنسي جالان أنطوان (Galland ANTOINE) (1646-1715)، ختمها بالهولندي ويلمت، ي (Willmet.J) (1750-1835). واشتمل القرن التاسع عشر على الطبقة الرابعة التي تضاعف عدد مستشرقها ليصل إلى سبعين (70)، كانت البداية مع الهولندي اشتينر هنريش (Steiner Heinrich) (1841-1889) وآخر مستشرق ذكره ضمن هذه الطبقة، هو الهولندي يونبول تيودور وليام جان (Junynboll, Theodor- William-Jan) (1802-1861). أما طبقة القرن العشرين، افتتحت بالمستشرق الإنجليزي آربري آرثر جون

¹ - ينظر: ساسي، سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية. بيروت، دار المدار الإسلامي، 2002. ط1. ج1. من ص 242 إلى 246.

(Arberry Arthur)(1905-1969)، وختمها بالمستشرق الهولندي يونبول تيودور فيلم (Juynboll Theodor Willem)⁽¹⁾. تضاعف العدد، ولو اتسع الوقت للبحث في مراجع أخرى، لتبين أن الأعداد ستكون أكبر، وتيسيرا لاستيعابها، اختصرت الطبقات في جدول، رغم عدم إحاطتها بالمستشرقين جميعهم، إلا أنها تقدم للباحث صورة تقريبية حول تطوّر الاستشراق في العالم.

جدول يمثل طبقات المستشرقين

الطبقات وفتراتها	عدد المستشرقين وجنسياتهم	نموذجان لمستشرقيهما
الطبقة الأولى القرن (16)	04 فرنسيان، سويسري، ألماني.	- الفرنسي بوستل جيوم - الفرنسي اسكاليجيه جوزيف
الطبقة الثانية القرن (17)	12 (3) هولنديين، فرنسكيان، * (3) فرنسيين، (3) انجليزيين، (1) ألماني.	- الهولندي إرنست فان إرن - الهولندي وارنر ليفنوس
الطبقة الثالثة القرن (18)	09 (4) هولنديين، فرنسيان، انجليزيان، ألماني.	- جالان أنطوان - الهولندي ويلمت، ي
الطبقة الرابعة القرن (19)	70 (23) ألماني، (21) فرنسي، (7) إنجليزيين (5) هولنديين، (5) نمساويين، (3) إسبانيين، إيطاليان، سويدي، فنلندي، إيرلندي، سويسري.	- الهولندي اشتينر هنريش - الهولندي يونبول تيودو
الطبقة الخامسة القرن (20)	135 (33) ألمانيا، (30) فرنسا، (17) إيطاليا، (14) إنجليزيا، (8) هولنديين (7) إسبانيين، (5) سويديين، (4) سويسريين، (4) بلجكيين، (4) نمساويين، (3) ألمان يهود، (3) أمريكيين، روسيان، نمساوي أمريكي، دانماركي، مجري، مصري.*	- الإنجليزي آربري آرثر جون الهولندي يونبول تيودور فيلم

¹ - ينظر: حمدان، عبد الحميد صالح. طبقات المستشرقين. القاهرة، مكتبة مدبولي، دت. دط. (من بدايته إلى نهايته).

* يسمى فرنسيسكان الرهبان المنتمون إلى الرهبة الفرنسيكانية الكاثوليكية التي تأسست في شمال إيطاليا.

♦ هو جورج شحاته قناني من الآباء الدومنيكان، تعلم بالإسكندرية ثم درس الصيدلة في جامعة سان جوزيف في بيروت ثم ليون (1926-1928) انضم إلى جماعة الدومنيكان سنة 1934م، ثم رحل إلى بلجيكا حيث حضر دروسا في الفلسفة (1935-1937)، ثم في اللاهوت (1939-1940) بفرنسا. وحصل على الدكتوراه في عام 1941م وانتقل إلى المعهد الدومنيكاني في مدينة الجزائر وتعرف على معظم المستشرقين الفرنسيين من أمثال روبير برانسفيك وجورج ماسيه. واستقر في المعهد الدومينيكي بالعباسية بالقاهرة ابتداء من عام 1944م، وتعرف على صفوة المفكرين والأدباء المصريين ومن بينهم الدكتور طه حسين، وأحمد أمين وإبراهيم بيومي. ودعي للتدريس في عدد من الجامعات العربية والأوروبية، وكان عضوا في المعهد المصري وعضو شرف في الجمعية الآسيوية.

يمثل هذا الجدول المنحى التصاعدي، لتطور ظاهرة الاستشراق عبر العالم، حيث يلاحظ القارئ الكريم، أنّ هناك اتساعاً طويلاً وعرضياً، بمعنى أنّ عدد المستشرقين تزايد خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ومعلوم أنّ هذه الفترة هي التي شهدت توسع الاحتلال الغربي في العالم الشرقي الإسلامي. كما توسّعت دائرة انتماء المستشرقين، لتشمل مناطق جديدة، مثل أمريكا وغيرها، وهو ما يعكس الأحداث السياسية آنذاك، ولأشكّ أنّ التنافس واضح بين الاستشراق الفرنسي والاستشراق الألماني، خلال المراحل التاريخية الواردة، وحسب ما ذكر في المرجع، فقد تفوّق الاستشراق الألماني عددياً في القرن العشرين. وإن كان الاستشراق الفرنسي في الحقيقة هو الأب الروحي، لجميع المدارس، فقد خلف دو ساسي تلاميذ عبر أوروبا، كانوا بذوراً نشرت الفكر الاستشراقي الفرنسي، ومنهم: في فرنسا رينو (Reinaud)، في ألمانيا: كوزغارتن (Kosegarten)، وفلايشر (fleischer)، وفولزر (Vollers)، وفلوجل (Flugel)، وفي السويد هولمبويه (Holmboe)، وتورنبرغ (Tomberg)، وفي إسبانيا دي غيانغوس (De Gayangos).⁽¹⁾ وبهذا يمكن اعتبار المدارس الاستشراقية جميعها سليلات الاستشراق الفرنسي.

سيكون من المفيد العودة إلى معاجم المستشرقين، لتحديد العدد الحقيقي أو على الأقل الأقرب إلى الحقيقة، وهذا في حدّ ذاته يمثل موضوعاً يستحقّ الاهتمام، لأنّه سيعكس حقائق تاريخية، ستسهم في فهم ظاهرة الاستشراق والإحاطة بأبعادها المختلفة، سواء من حيث العدد، أو انتماءاتهم واهتماماتهم. كما يمكن التساؤل عن مدى إمكانية الحديث عن طبقة سادسة، وهم المستشرقون المعاصرون الذين التحقوا بهذا الميدان مؤخراً، أو خلال القرن الواحد والعشرين، وهل هناك فرق بينهم في رؤيتهم إلى اللغة العربية، وإلى العالم الإسلامي العربي ككلّ، أو أنّهم امتداد لسلفهم؟

1-3- مصطلحات متداخلة: ليس من الصعب استنتاج العلاقة القائمة بين كل من الاستشراق

والتصوير والاستعمار، رغم اختلاف الصيغ، إلّا أنّها كلّها تطلب الشرق، وتحويله إلى ملكية خاصة.

1-3-1- الاستعمار (الاستعمار): جاءت كلمة (الاستعمار) من الجذر (ع م ر) من الفعل (استعمار) ويقال: «استعمره في المكان: جعله يعمره، وفي التنزيل العزيز: ﴿...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾» [سورة هود، الآية: 61]. والأرض أمدها بما يعوزها من الأيدي العاملة، ودولة أخرى فرضت عليها

¹ - ينظر: المقداد، محمود. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. الكويت، عالم المعرفة، 1992م. دط. ص 201.

سيادتها واستغلتها».⁽¹⁾ لم ترد هذه الصيغة في معجم لسان العرب، والملاحظ في المعنى اللغوي للكلمة أنها تحمل معنى إيجابيا، وهو تعمير الأرض المستعمرة، وخدمتها طوعية لا قسرا. أمّا المعنى المراد هاهنا، فهو وليد العصور التي عرف فيها العالم حروبا كثيرة ومتتابة، وبعدها عرفه العالم الإسلامي العربي من اجتياح واحتلال واعتداء من الغرب على أراضيهِ وشعوبهِ، وعموما هو تسخير سگان أرض ما، وهم المعتدى عليهم وخيراتهم لخدمة المعتدي، مع محاولة إلغاء هويتهم.

يمكن تعريف كلمة (الاستعمار) انطلاقا من قول إدوارد سعيد، « بأنّه قوة انتشار شعب من الشعوب، وهو طاقته على التكاثر، وهو يمثل تضخمه وتكاثره مكانيا، وهو إخضاع الكون أو جانب شاسع فيه للغة ذلك الشعب، وعاداته وأفكاره وقوانينه، كان لابدّ من وضع حدّ، لما يقرب من قرن كامل قضته فرنسا، فيما كان يبدو لها ضربا من الدّراسة السلبية للشرق، وبدأت تتصدى لمسؤولياتها (عبر الوطنية)، أي التي تتجاوز حدودها القومية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر».⁽²⁾ هو بشكل آخر امتداد دولة إلى أراض دولة أخرى، مهما كانت بعيدة أو قريبة، وجعلها تابعة لها، مع تسخيرها لخدمة مصالحها، ولتحقيق ذلك يعمد إلى القضاء على هويتها، ولذلك تعلّموا لغات أهلها، مثل دراسة العربية، التي « لم تكن مقطوعة في يوم من الأيام في أوربا عن الأبعاد السياسية، التي يتذبذب حبلاها بين الغرب والبلدان الناطقة بالعربية من العالم الإسلامي بوجه خاص، فقد قويت الحركة الاستشراقية وارتبطت ارتباطا وثيقا بالسياسة والاستعمار، وما تزال ترتبط ارتباطا وثيقا بالاقتصاد، وكثيرا ما كان المستشرق منصرا أو مستشارا في وزارة الخارجية. كما هي الحال » في مدرسة المترجمين في النمسا... وكذلك مدرسة اللغات الشرقية في باريس، فقد كانتا تابعتين لوزارة الخارجية في هذين البلدين وكثيرا ما التقى الاستشراق في روحه وأهدافه بالتّصير حتى شكلا وجهين لعملة واحدة، وكمل أحدهما الآخر على نحو ما».⁽³⁾ لقد وظّف الاستعمار بكل أشكاله أدوات كثيرة ومتنوعة، لتحقيق أهدافه، وأهمّ أداة هي الاستشراق، « لقد تداخلت أدوار المستشرقين ورجال الاستعمار في المستعمرات حتى تطابقت أو تكاملت وكانت خدمة بعض المستشرقين للاستعمار متنوعة، فمنهم من خدمه من خلال التدريس وكانت مهمة

¹ - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مصر، مكتبة الشّروق النّووية، 1425هـ-2004م. ط4. مادة (استعمره).

² - إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 343.

³ - عميرة، إسماعيل أحمد. بحوث في الاستشراق واللغة. بيروت - عمان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار البشير 1996م. ط1. ص301.

التدريس نفسها مهمة سياسية، تجري تحت قيادة وزير الحرب حتى أن مفتشي التعليم كانوا ضباطا ومن المستشرقين من خدم الاستعمار من خلال البحث، فكانوا يرون ذلك واجبا وطنيا، وأنه من غير المسموح لأحد الوقوف موقف اللامبالاة، لاسيما من يملكون أدوات البحث في المستعمرة، من ذلك أداة اللغة العربية في الجزائر، وكذلك البربرية. ومن المستشرقين أيضا من رافق جيش الاحتلال أثناء العمليات العسكرية، وقد كان يرى في ذلك فرصة للنزهة وزيارة مناطق للدراسة والتوغل فيها دون خطر⁽¹⁾. والتاريخ شاهد على ذلك، (حين اجتاحت أوروبا العالم شرقه وجنوبه والقارة الأمريكية الوسطى والجنوبية كان بعض المستشرقين الذين استهوتهم السياسة على استعداد لخدمة الاستعمار وأغراضه وذلك بتقديم المعلومات اللازمة عن البلاد المقصودة، ومنهم من رافق هذه الحملات الاستدمارية، ومنهم سلفستر دي ساسي (1758-1838م في الجزائر)⁽²⁾ وجاء بعد ذلك الكثيرون، « ويمثل لمجموعة من المستشرقين منهم المستشرق الفرنسي (كولان) (1893-1977) عمل في الجيش الفرنسي المقيم في (تازة) المغربية ثم انتدب مترجما مساعدا، في مصلحة الاستخبارات، ثم وضع تحت تصرف الحماية الفرنسية في مراكش سنة 1921م، مع استمراره موظفا خارج الإطار الدبلوماسي في وزارة الخارجية، وتدرج في عمله الدبلوماسي إلى أن أصبح قنصلا عاما 1946م، ومن أعماله تعليقات تتعلق باللهجة العربية في شمال منطقة تازة (1920)، وبالحياة المراكشية (1930) وغيرهما، مما له علاقة باللّهجات العربية العامية المراكشية⁽³⁾. هذه المعطيات لا تدع مجالا للشك، فمهما حاولوا إقناع الشرق، بأنهم يريدون له الخير إلا أن معظم الآثار تشهد بعكس ذلك، « فالاستشراق في صورته الأولى تطلّع معرفي، وهدف ثقافي ولما امتدت مطامح الغرب في الشرق، لأهداف استراتيجية واقتصادية، كان الاستشراق هو جهاز المعلومات القادر على أن يمدّ الأجهزة التنفيذية بمخططات جغرافية واجتماعية وسكانية وثقافية، ويبين بكل دقة مكونات كل منطقة في العالم... وهذا التحالف الاستراتيجي بين حركة الاستشراق والمطامح الاستعمارية، أفقد المؤسسة الاستشراقية أهم خصوصياتها الثقافية والأخلاقية⁽⁴⁾.» بالإضافة إلى سلاح

¹ - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية (1822-1872). إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله. أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث. جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006-2007م. ص 169.

² - ينظر: النملة، علي بن إبراهيم. نقد العقل المعاصر: صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. دمشق، دار الفكر 2008م. دط. ص 110، 111.

³ - نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون-مجمعيون. المملكة العربية السعودية، مكتبة الصديق، 1408هـ-1988م. ط1. ص8.

⁴ - النّبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 15.

آخر استعان به الغرب ضد الشرق؛ وهو التّصير أو التّبشير بمفهومهم.

1-3-2-التّصير: جاء مصطلح التّصير على وزن (تَفْعِل) من الفعل (نَصَرَ - تنصيرا)، أمّا الصّيغة التي وردت في المعاجم العربية، فهي (التّنصّر)، ورد في معجم لسان العرب: « والتّنصّر الدّخول في النّصرانية... ونَصَرَهُ: جعله نصرانيا، وفي الحديث: "كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه".⁽¹⁾ أمّا المعجم الوسيط فاكتفى بقوله: "تنصّر دخل في النّصرانية".⁽²⁾ يبدو أنّ مصطلح التّصير، هو الآخر لم ينتشر إلّا مؤخّرا، أو أنّ المعجم الوسيط لم يشأ التفصيل في مثل هذه القضايا. فالتّصّر على وزن (تَفْعِل)، يكون من الشّخص برغبته، أمّا التّصير فيكون نتيجة لجهد يبذله الآخر في الشّخص ليحوّله عن دينه، وذلك باستعمال وسائل مختلفة؛ قصد التّأثير فيه، بمعنى تحت ضغوطات معنوية أو ماديّة. والمصطلح الموازي له في الاستعمال هو (التبشير)، وهو كما يلاحظ القارئ الكريم كغيره من المصطلحات، يحمل في ظاهره معان إيجابية، ويُبطن المعاني السّلبية، وهو من بين الوسائل التي استخدمها الاستعمار؛ للتّأثير في الجزائريين، حيث « كَلَّف لافيغري (Lavigerie) المبشّرين، بالإضافة إلى إتقان اللّغات المحليّة بممارسة الطّب، ليكسبوا إعجاب وتقدير الأهالي، ويكوّنوا علاقات ودّيّة معهم، وقد اختاروا دون تردّد منطقة القبائل أرض سان أوغستان (Saint-Augustin). وبعدها أرسلهم إلى مناطق بربرية أخرى، مثل المزاب والشاوية والصحراء الجزائرية، وهذا ما يفسّر اقتصار معاجمهم على البربرية، ولم يهتمّ أحدهم بالعربية، رغم أنّها اللّغة المستعملة للتّفاهم مع معظم الجماعات، فقد تحمّسوا للبربرية في الوسط الذي يعيشون فيه، والذي كلفوا فيه بمهمة التّصير»⁽³⁾ وهذا ما يؤكّد أنّ اهتمامهم باللّغات الشرقية، نابع من حاجتهم إلى تحقيق أهدافهم، التي تتحكّم في اللّغة التي يختارونها. لقد كان الهدف، هو إبعاد الشّعوب عن دينهم، لأنّهم علموا أنّ أهمّ شيء يربط الإنسان بوطنه ومبادئه، ويجعله يضحى هو دينه، فإن هم جرّده منه، فقد طمسوه وقضوا على هويّته، وعندها سيكون أداة طيعة بين أيديهم؛ وفي الحقيقة لا يهتمّهم من قريب أو من بعيد أن يتنصّر المسلمون، إلّا من زاويتين: أمّا الأولى؛ فهي إبعادهم عن دينهم، والثّانية ليتراجع عدد المسلمين ويزداد عدد المسيحيين، فتكون لهم القوّة

¹ - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي. لسان العرب. القاهرة، دار المعارف، دت. دط. مادة (نصر).

² - مجمع اللّغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (نصره).

³ - voir Gaudin, François. Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. synergies, argentine, 2013. n2. p102.

والغلبة والسيطرة، التي يرونها حقًا لهم، وهناك مصطلح (التَّغريب)، فترى ماذا يُقصد به؟

1-3-3- التَّغريب: يعدّ مصطلح (التَّغريب) من آثار ونتائج الاستشراق، وهو ما تعكسه الصيغة الصرفية له، فهو من الفعل (غَرَبَ يقال: غَرَبَ -تَغريبًا)، بمعنى جعل الآخر غريبًا، أو بمعنى أصحّ وأدقّ، جعله يسير وفق خطط ومناهج الغرب، فليس الهدف في الحقيقة، أن يجعله غريبًا؛ بل أن يُخضعه للغرب، ويتصلّ من انتمائه للشرق، بكلّ ما يحمله هذا الانتماء من حمولات عقائدية أخلاقية وثقافية واجتماعية، « إنّ مصطلح التَّغريب في عشرات من تعاريفه، إنّما يعني خلق عقلية جديدة تعتمد على تصوّرات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها، بهدف سيادة الحضارة الغربية، وتسييدها على حضارات الأمم...»⁽¹⁾ من هنا تتجلى العلاقة بين مصطلحي الاستشراق والتَّغريب، فالتَّغريب من نتائج الاستشراق، كلاهما يشترك في جعل الشرق هدفًا له. ظهر مؤخرًا في العالم الشرقي مصطلح آخر، كردّ فعل على الاستشراق، وهو مصطلح (الاستغراب).

1-3-4- الاستغراب: يُلاحظ من بنية المصطلح، أنّه على صيغة مصطلح (استشراق) نفسها، ويمكن القول: إنّ ردّ من الشرق على الغرب، ف « الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل؛ بل والنقيض من (الاستشراق)، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق)، من خلال الآخر (الغرب)، يهدف الاستغراب إذن إلى فكّ العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا، ومركب العظمة عند الآخر»⁽²⁾ وقد لقي هذا المصطلح اهتمامًا متزايدًا في الآونة الأخيرة، ومن المهتمين به مجلة الاستغراب، التي جعلت هدفها تتبّع أعمال الغرب، « على التّوازي مع ما ذهب إليه بعض الذين تصدوا للمصطلح، من أنّ « الاستغراب يعني (علم معرفة الغرب)، ترمي هذه الفصلية إلى تظهير فهم الغرب، من خلال التّعرف على مناهجه وأبنيته الفكرية والثقافية والأيدولوجية، وإعادة قراءتها بروح نقدية عارفة، وعلى نحو مواز ترمي إلى الإضاءة على التحوّلات المعرفية الجارية على نطاق عالمي»⁽³⁾ على أنّ هذا المشروع يحتاج إلى دعم كبير من جهات كثيرة، فما قام به الغرب عن الشرق، قد يتجاوز ما قاموا به عن الغرب نفسه من أعمال ودراسات.

¹ - الجندي، أنور. شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي. بيروت، المكتب الإسلامي، 1398هـ-1978م. ط. ص 13.

² - حنفي، حسن. مقدّمة في علم الاستغراب. القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1411هـ-1991م. ط. ص 29.

³ - حيدر، محمود. لماذا "الاستغراب؟". في مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، مكتب بيروت. 1436هـ-2015م.

1-4- الحدود الجغرافية للاستشراق: هناك أصوات من بعض المغاربة، تنفي أن يكون المغرب العربي موضوعا للاستشراق، وذلك لكونه لا ينتمي جغرافيا إلى العالم الشرقي، يجيب على هذا التساؤل الباحث محمد العربي معريش: « الواقع أننا لم نفعل أكثر من التزامنا وحرصنا على أن نعكس ما قام به المستشرقون من جهود في هذا المجال، وليس هذا في نظرنا خروجاً عن الموضوع من جانب المستشرقين أنفسهم، ولكنه تأصيل لأدب بلاد المغرب ذي الأصول المشرقية سواء في حروفه العربية أو لغته أو نحوه أو نثره أو شعره... إلخ».⁽¹⁾ يتبنى البحث هذا الرأي الذي يجعل من المغرب ككل، أرضاً خصبة للمستشرقين.

2- دوافع الاستشراق ومراحله:

أدت عوامل كثيرة إلى تشكّل ظاهرة الاستشراق، ويمكن القول إنّ أهمّ عامل؛ هو تفوّق الشرق الإسلامي علمياً وحضارياً وعالمياً، في الوقت الذي كان فيه الغرب يتخبّط في الجهل والتّخلف، وهو ما لم يتقبّله يوماً. لقد كان الغرب يرى نفسه دائماً الأفضل، فكيف للخيرات والعلوم أن تتركّز بين أيدي المسلمين؟ ولا ينبغي ذلك لأحد غيره -في نظره- ومن هنا تبدأ القصة، فكان لزاماً عليهم التّفكير في طريقة ينقلون بها هذه الحضارة بعلومها وأمجادها إلى الغرب. ولتعدّر التفصيل في الموضوع، سيهتم البحث بأهم الدوافع فحسب، التي تتمثّل في ضرورة استكشاف الشرق والتّعرفّ عليه، ولا يكون ذلك إلّا بتعلّم لغته والاطّلاع على علومه لنقلها إليهم، وهناك من يرى أنّ الدافع اللاّهوتي؛ كان الأهمّ في بداية هذه الظاهرة، ويتمثّل في حاجة الغربيين إلى فهم كتبهم المقدسة «أما العلاقة المباشرة؛ فهي تلك التي تربط العربية بالآرامية، وهي لغة النصرانية الأولى، وبها جاء الإنجيل الأصلي، أما الأناجيل الموجودة بين أيدي النّاس الآن؛ فمردها إلى الترجمة الإغريقية، وليس ثمة نصّ آرامي أصلي للأناجيل، وثمة علاقة أخرى تربط العربية بالعبرية، وهي لغة العهد القديم».⁽²⁾ وهنا كان للعربية فضل الكشف عن كتبهم المكتوبة بلغات غامضة، لم تكن مفهومة لديهم، لانقراض اللّغات العروبية، ومنها السريانية التي كتب بها الإنجيل والعبرية، التي كتبت بها التوراة، باستثناء العربية الباقية التي كانت واسطتهم للوصول إلى فهم معاني كتبهم.

¹ - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي. ص 235.

² - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية. الأردن، دار وائل للنشر، 2002م. ط3. ص 29.

أما الدّافع الدّيني عموماً؛ فيظهر في تخوّف الغرب من الإسلام، كونه القوة الباعثة للمسلمين ولإضعاف هذه الجبهة القوية والصّامدة، لابدّ من القضاء على هذا الحصن المنيع، الذي يصرف عنها المكائد والأخطار، ألا وهو الدّين الإسلامي، ولن يحدث ذلك إلا إذا سبروا أغواره وكشفوا أسرارهم، بحيث يتسلّلون إلى العقول، ليغرسوا في أذهان أبنائه، ما يضعف هذا الحصن الحصين، ويشكّكوا في صحّته ومناعته، وضرورة البحث عن غيره، ونشر ديانتهم لتكون هي المسيطرة على العالم. ليأتي الدّافع السّياسي والعسكري، إذ لا يمكن الاكتفاء بنقل علومهم؛ بل لابدّ من السيطرة عليهم وعلى أراضيهم وخيراتهم. وممّا ذكره الباحث محمد النّبهان في هذا الصّدد، أنّ من أهمّ الأسباب التي دفعت المستشرقين إلى دراسة الحضارة الإسلامية، « محاولة استكشاف طبيعة هذه الحضارة وخصوصياتها، فأرادوا تحقيق غايتين، وهما الغاية التّفسيرية؛ وذلك بالكشف عن مقومات الحضارة الإسلامية، من حيث قدرتها على التّكوين الاجتماعي، والسيطرة على مسار المجتمعات الإسلامية، وصياغة رؤية فكرية متميّزة، كما تسعى إلى التّحكم في مسار الشّعوب الإسلامية، عن طريق المعرفة النّاتجة عن الدّراسات الاستشراقية فتوجّه الأحداث، وترسم معالم وفق مخططاتها وتسيّرها كما تريد كيف لا، وقد حصّلت مفاتيح الأسرار فبات بوسعها تفجير الأزمان في الزّمان والمكان الملائمين».⁽¹⁾ عموماً لا يمكن نفي الدّافع العلمي للاستشراق، إلاّ أنّه استغلّ سواء أكان الأمر برغبة المستشرق أو لا. يكفي تأمل الواقع المعاصر للمسلمين، لتفهّم الدّوافع الحقيقية لما حدث. ويعترف أبناء الغرب أنفسهم بوجود دوافع خفية، إذ يتحدّث أحدهم عن هذا مثبتاً، أنّه فعلاً هي أسباب عميقة وخفية، لكنّها سرعان ما تطفو إلى السّطح عند معاينة الحاضر، الذي يفسّر ما غمض في الماضي.⁽²⁾ هو اعتراف من غربي بوجود دوافع معلنة، وأخرى خفية تتكشف مع مرور الزّمن.

اهتمّ الباحثون بدراسة الأطوار التي مرّت بها حركة الاستشراق، وقسموها معظمهم إلى ثلاثة أطوار، وقبل ذلك لا بأس بعرض بعض الأحداث التّاريخية المتّصلة بها، إذ اختلف حول أوّل من تعلّم العربية، بوصفه معياراً للحكم على الغربي بأنّه مستشرق، إذ يرى البعض أنّه « لم يلتفت الأوروبيون في العصور الوسطى إلى أهمية اللّغة العربية، ويؤكد رينو هذا المفهوم بقوله: والمسيحيون من جهتهم لم

¹ - النّبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 14.

²-voir: Reig, Daniel. Homo orientaliste. Paris, Maisonneuve et la rose, 1984. p9.

يكونوا ليفكروا في تلك العصور، التي ساد فيها الجهل والبربرية في بلدهم، في تعلّم اللّغة العربية. والتّاريخ لا يحدّثنا في هذا السّياق إلّا عن كاهن واحد، وهو رئيس (سانت جال) واسمه (Hartmote) الذي درس في حوالي سنة 880م اللّغة العربية إلى جانب العبرية واليونانية⁽¹⁾. يقول الباحث أحمد عبد الرّحيم السّايح في هذا: « لا نعرف بالضّبط من هو أوّل غربي غني بالدراسات الشرقية، ولا في أيّ وقت كان ذلك، ولكن المؤكّد أنّ بعض الرّهبان الغربيين، قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتعلّموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي (جربرت)، الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م، بعد تعلّمه في معاهد الأندلس، وعودته إلى بلاده، و(بطرس المحترم) 1092-1156م و(جيرار دي كريمون) 1114-1187م، وبعد أن عاد هؤلاء الرّهبان إلى بلادهم، نشروا ثقافة العرب ومؤلّفات أشهر علمائهم⁽²⁾. وهذا يدلّ على المكانة التي كان يحظى بها المسلمون آنذاك، في جميع المجالات العلمية والإنسانيّة، وبالمقابل كانوا ينظرون إلى الإسلام نظرة الحيطة والحذر، « وأما النّتائج فكانت عظيمة الشأن بعيدة المدى، ذلك أنّ الإسلام مرّق بانتصاره وحدة العالم، الذي عمّر أكثر من ألف سنة، فشطّره شطرين: شرقا وغربا. وأما الغرب فقد أحاط نفسه إحاطة محكمة، بستار حديدي لمئات من السنين، خوفا من هجوم الشرق عليه. وأما في الشرق، فقد قامت الإمبراطورية العربية الجديدة لتقرض نفسها، لأوّل مرّة على الإطلاق بصفتها (شرقا) في وجه (الغرب) مجبرة إيّاه على أن يعزل نفسه⁽³⁾. لكن تغيّرت هذه المعطيات، إذ « لما جاء القرن الثالث عشر، أدرك روجر باكون (Roger Bacon) ضرورة الاتّصال، ثقافيا بالحضارة الإسلاميّة، وضرورة تعلّم اللّغة العربيّة؛ بل التّسلّح بأفكار المسلمين، وطرائقهم في المحاجة للرّدّ عليهم، وقد ظلّ هذا الاتّجاه يتّنامى إلى أن عُقد مجمع فينا عام 1312م، الذي أوصى أن تدرّس العربيّة في كبرى المراكز العلميّة الأوروبيّة: باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون وسلامنكا، وتعدّ هذه الخطوة بداية المحاولات الأوروبيّة رسميا للاهتمام باللّغة العربيّة...

¹ - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون وتاريخ صلتهم باللّغة العربيّة: بحث في الجذور التاريخيّة للظاهرة الاستشراقية. عمان، دار حنين 1412هـ-1992م. ط2. ص 22.

² - السايح، أحمد عبد الرّحيم. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي. ص 18.

³ - زيعريد، هونكه. شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أوروبة. تر: فاروق بيضون، كمال دسوقي. بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، 1413هـ-1993م. ط8. ص 25.

انتصارا للاتجاه الأوروبي، الداعي إلى مقاومة المسلمين ثقافيا، وذلك عن طريق دعوة الناس إلى النصرانية بالعربية مباشرة، ويقوم بذلك؛ خريجو المدارس المذكورة».⁽¹⁾ أمّا على المستوى السياسي العسكري، (فقد غيروا خططهم في التعامل مع الشرق، وتعتبر حملة نابليون (1798-1801)، المدرسة التي شكّلت الاستشراق الحديث، وأبطالها الأوائل هم: (ساسي ورينان ولين)، ولاسيما في مجال الدراسات الإسلامية، حيث أقاموا الاستشراق على أساس علمي وعقلاني، وذلك بوضع مصطلح علمي واضح ومستشرق، متبصر بالشرق ونُصبت شخصية المستشرق باعتباره الثقة المرجعية؛ بل والسلطة المركزية في شؤون الشرق، وأضفى المشروع على نوع خاص من عمل المستشرق).⁽²⁾ تبلور انطلاقا من هذا العمل مفهوم جديد للاستشراق، واكتسب مصداقية أهله لتبوّي أعلى المراتب، « سيبدأ بهذا عهد جديد يختفي فيه الشرق الحقيقي، ليدع المجال للشرق الخيالي والمختلق، الذي سيصنعه الغرب عن طريق الاستشراق الذي أشاع في المحيط الثقافي تداول (عملة عقلانية)؛ كان وجودها يعني أنّ الآخرين سوف يتكلمون نيابة عن الشرق من الآن فصاعدا، وأهمّ من ذلك كلّ أدى عمل هؤلاء (المفتحين) إلى إعداد مجال دراسي و(أسرة) من الأفكار، وهما اللذان استطاعا بدورهما تكوين جماعة من الباحثين الذين كانت سلسلة نسبهم وتقاليدهم وطموحاتهم، تجمع بين الانتماء إلى ذلك المجال (داخليا)، وبين درجة من عدم الانتماء، تكفل لهم الهيبة والاحترام العام خارجيا. وكلما ازداد تعدي أوروبا على الشرق في القرن التاسع عشر ازدادت ثقة الجمهور بالاستشراق...»⁽³⁾ يحمل الناقد إدوارد سعيد الشرق قسما من المسؤولية إذ رغم أنّ الاستشراق وظّف خططا وحيلا للسيطرة عليه، وبناء صورة له كما يريد، هو، إلا أنّ هذا ما كان ليحدث، لولا تخاذل الشرق، لكنّه يذكر من جديد؛ بأنّ هذا الأمر في حدّ ذاته، كان من بين المخططات التي وضعت للاستشراق، ونفذها المستشرقون بدقّة متناهية بمساعدة الحكومات التي وظّفهم، وسخرت لهم كل الإمكانيات، وبما أنّ التقسيمات التي عرفها الاستشراق كثيرة، فقد تبنى البحث ما ذهب إليه الباحث محمد فاروق النّبهان الذي قسّمه إلى أطوار ثلاثة:

1 - عميرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون وتاريخ صلتهم باللغة العربية. ص 36.

2 - ينظر: إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 211.

3 - المرجع نفسه. ص 211.

2-1- نشأة الفكر الاستشراقي: ارتبطت هذه النشأة بالعلاقات الأولى بين الشرق والغرب

« ويبتدئ تاريخه، منذ أن بدأت الدول الغربية، تهتمّ بالإسلام كحضارة وثقافة، بعد أن حقق انتصارا كاسحا على المسيحية، وهدد عواصمها التاريخية، وحصونها الثقافية وقلاعها الدينية، ويمكننا أن نلاحظ الآثار الأولى لهذه النزعة، من خلال اهتمام الكنيسة المسيحية بالدراسات الإسلامية، وبخاصة فيما يتعلّق بقضايا العقيدة في القرآن، وطرح قضايا فكرية ذات أبعاد عقدية، كمسألة خلق القرآن وصفات الله والوحدانية، وهي قضايا كانت تشغل اهتمام علماء الكلام، وتثير كثيرا من الخلاف».⁽¹⁾ بهذا تكون بداية الصلة بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي مرتبطة بالجانب العلمي والديني. كان الغربيون في هذه المرحلة، يرون في الإسلام وبلاده، صورة الحضارة وموطن العلم، الذي قصدته البعثات العلمية. أما الكنيسة فقد رابها ذلك، وحاولت مقاومته في عهد شارلمان، وحفيده من بعده الملك شارل، الذي أقرّ خطة إصلاحية؛ بإسناد التدريس في المدارس الأوروبية إلى أساتذة من العرب أو ممّن تعلّموا في مدارس عربية في إسبانيا، كما أرسل بعثات طلابية إليها، وركّز جهوده على ترجمة أهم الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية، ولاسيما العلوم منها والآداب والفنون والطب والفلسفة. أما بعد تولي البابا سلفستر الثاني مركز البابوية، في نهاية القرن العاشر الميلادي، وكان قد تعلّم في الأندلس فتغيرت نظرة الكنيسة، حيث شجعت على الاستفادة من علوم العرب وحضارتهم.⁽²⁾ ما يُلاحظ أنّ الكنيسة تعاملت مع حضارة المسلمين في هذه الفترة بطريقتين مختلفتين، ففي البداية كانت هناك مقاومة لكلّ ما يأتي منها، لما في ذلك من اعتراف بتفوّقها (الحضارة الإسلامية) وبعدها تتقبّل الكنيسة الاستفادة من هذا التفوّق إلى حين.

2-2- الطّور الثّاني: ترتبط هذه المرحلة بالحروب الصليبية، التي أحدثت القطيعة بين الغرب والشرق

إذ تمكّن الغرب المسيحي من إقامة دولة صليبية في القدس، وهذا ما جعل المسلمين يشعرون بالإذلال وسرعان ما فشلت الحملة الصليبية، وهو ما عمّق مشاعر العداء بين الطّرفين، فعرف الاستشراق منعرجا آخر، حيث تغيّرت اهتماماته؛ من مجرد اقتباس العلوم من المدرسة الإسلامية إلى نقد تلك العلوم واتّخاذها سلاحا في وجه هذا العدو، ولاسيما ما ارتبط بمناهج المدارس الإسلامية، وعندما سقطت الأندلس، تضاعفت

¹ - النّيهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 16.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 17.

مساعي الغرب للضغط على الدّول الإسلامية.⁽¹⁾ بدأت الموازين تتغيّر بعد هذه المرحلة، ليدخل العالم الإسلامي العربي في صراعات داخلية تجعله يتخلف عن الرّكب.

2-3- الطّور الثالث: تميّزت هذه المرحلة؛ بسيطرة الغرب على الشّرق، الذي تحوّل إلى موضوع يدرسه الغرب، و« يبتدئ هذا الطور، منذ أن بدأ تشكيل البدايات الأولى للمدرسة الاستشراقية الحديثة في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، حيث أخذ الغرب يضاعف من اهتمامه بالثقافة العربية والإسلامية، ويطلع الكتب العربية، وينشئ مدارس علومها، ويقيم كراسي في جامعات الغرب للاهتمام بالمصادر العربية، تحقيقاً لها وخدمة لها، وكشفاً عن كنوز المعرفة في تراثنا في الوقت الذي كان العالم الإسلامي، غافلاً عن كلّ ما حوله، مستسلماً لواقعه راضياً بتخلفه». ⁽²⁾ وهي مرحلة طويلة استلم فيها الغرب مفاتيح أبواب الشرق، منصّباً نفسه حارساً عليها.

يمكن الحديث عن مرحلة رابعة، تشمل مرحلة ما بعد تحرّر البلدان الإسلامية العربية إلى يومنا هذا، وهنا بدأت عملية الاستثمار الحقيقي لأعمال ودراسات المستشرقين، وقطف ثمار أشجار غرست منذ قرون، وهو ما يمكن تسميته ما بعد التشبّع من الشّرق، حيث نهل الغرب من الشرق إلى أقصى حد؛ بل وجّده من كل نقاط قوّته أو معظمها لتتقلب الموازين، وإن كانت هذه المرحلة امتداداً للمرحلة السابقة، فالفرق الوحيد الذي يمكن تسجيله هنا هو أنّ المرحلة السابقة كانت دون أُنفة، فالغرب يسخر الشرق له علانية وبافتخار كبير، وروّج للصّورة السلبية التي صنعها له، انطلاقاً من خياله ورغباته. أما المرحلة الحالية، فهناك أُنفة تحاول حجب الحقيقة. وعموماً ما زال تأثير هذه الصورة النمطية مستمراً ومتواصلاً. رغم أنّ الغرب يحاول إقناع العالم بانتهاء الاستشراق، إلّا أنّ الواقع يثبت عكس ذلك.

2-4- الواقع الجديد للاستشراق: لا يمكن قبول الفكرة القائلة: إنّ الاستشراق قد انتهى، وأنّ ما بقي هي آثاره، فهذا مجرّد وهم وحيلة، فالحقيقة هي أنّ طرائقه ووسائله وأهدافه ربّما عدّلت، وهذا بديهي، إلّا أنّه مازال ولا يزال ينشط في الخفاء والعلن، « إنّ الاستشراق حركة تاريخ، تتغيّر أساليبه ومناهجه ووسائله ولكنّه يظلّ في نهاية المطاف، محاولات أوروبا في التّعامل مع الحضارة الإسلامية... ولعل ممّا ساعد على إيجاد شكل من أشكال المفارقة الواضحة، بين ماضي الاستشراق وحاضره، أنّ الاستشراق أصبح

¹ - ينظر: النّهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 17، 18.

² - المرجع نفسه. ص 18.

يمتد الآن إلى آفاق أرحب مما كان عليه، وبشكل خاص بعد أن ضعف موقف الحضارة الإسلامية في مجال القوة، في الوقت الذي شملت فيه هذه الرحابة من جانب آخر اتساعاً في دائرة الاستشراق المكانية وبخاصة شموله الاستشراق الأمريكي، الذي يمثل طليعة الاستشراق في شكله الجديد، فهذا الاستشراق يتفق في جوهره مع الاستشراق الأوروبي...»⁽¹⁾ لقد صار الشرق موضوعاً وهدفاً للقوى العالمية، التي تتعاون لنهشه، وإبقائه تحت سيطرتها، ومما يوظف مؤخرًا، العولمة التي تسهل مهمة الاستشراق الجديد فتجعل من الشرق ليس غرباً، لأنّ هذا لن يحدث، ولن تسمح به الدول الكبرى، ولكن لتجعله عبداً لها لا يقدر على تسيير شأن من شؤونه، إلّا بالعودة إليها، «وبعبارة أخرى نقول إنّ الاستشراق الحديث مستمد من عناصر العلمانية في الثقافة الأوروبية في القرن الثامن عشر، فالعنصر الأول وهو التوسع في مفهوم الشرق جغرافياً وامتداده إلى مسافات أبعد... والعنصر الثاني هو تدعيم القدرة على التعامل تاريخياً مع الثقافات غير الأوروبية وغير اليهودية المسيحية... والعنصر الثالث هو التوحد الوجداني مع بعض المناطق والثقافات التي لا ينتمي الأوروبي إليها... والعنصر الرابع هو التكاثر الدائب والمنتظم للتصنيفات الموضوعية للجنس البشري»⁽²⁾ ويخرج الباحث الناقد إلى نتيجة، وهي أنّ «الاستشراق حتى، ولو لم يكتب له البقاء بالصورة القديمة، لا يزال حياً في الحياة الأكاديمية من خلال ما أرساه من مذاهب وقضايا فكرية بشأن (الشرق والشرقي)»⁽³⁾ والملاحظ أنّ الاهتمام بالشرق ما زال متواصلاً، إذ هناك مؤلفات تصدر ومؤتمرات تعقد، مستندة كلّها إلى ما قاله المستشرقون القدامى والمحدثون منهم على حد سواء. ومن الوسائل المقحمة في هذا المجال الإعلام، ويعلم الباحث ما له من سلطة على الشعوب وتوجيه الرأي العام الدولي، «ويستفيد الإعلام من الخلفية العلمية، لهذه الفئة من المستشرقين في تذكية صناعة الكراهية بين الثقافات، وإضفاء صورة نمطية غير حسنة عن الإسلام، وحضارته وثقافته، وعن المسلمين. وغدت وسائل الإعلام تلاحق المستشرقين، بالمقابلات والإسهامات الأخرى كعرض رؤى المستشرقين وكتبهم، ويأتي هذا التدخّل في النقاش العام، على حساب التقاليد العلمية أو الأكاديمية الخالصة، بحيث ينزع بعض المستشرقين إلى هذا المنحى، على حساب المشتهر عنهم من

¹ - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون وتاريخ صلتهم باللغة العربية. ص 56.

² - إدوارد، سعيد. الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق. ص 209.

³ - المرجع نفسه. ص 46.

عكوفهم العلمي، وترفعهم عن النظرات السطحية للقضايا الراهنة أنا ماري شيمل (1922-2005) نموذجاً». ⁽¹⁾ إنَّ الشيء الوحيد الذي بقي للشرق ويميّزه، وما زال يُخشى منه؛ هو الإسلام، ولن يهنأ لهم بال مالم يزيلوه، ولن يتيسر لهم ذلك بإذن الله تعالى، ذلك أنَّ الشرق ليس هو الخصم في هذه المعركة بل خصمهم هو الله عزَّ وجلَّ، وهيهات أن ينتصر مخلوق على الخالق عزَّ وجلَّ.

3- موقف الباحثين العرب من الاستشراق:

تختلف مواقف المسلمين العرب من ظاهرة الاستشراق من باحث إلى آخر، ولا بدَّ أنَّ هذا راجع إلى خلفياتهم سواء الفكرية أم الدينية، وعليه يمكن الحديث عن ثلاثة توجهات، يتمثل الأول في المدافعين عن الاستشراق، فلا يرون فيه إلَّا كلَّ خير، يقابله التيار الرافض الذي لا يرى فيه إلَّا كلَّ شر. وتتوسطهما فئة ثالثة، تعترف بما له من أياد على اللّغة العربية وأهلها، وتكشف في الوقت ذاته عن دسائسه ودوافعه الخفية. إنَّ جولة بين بعض الكتب المهمة بهذا الموضوع، تكشف عن هذه الآراء لمعرفة مدى موضوعيتها فيما ذهبت إليه، وستكون الانطلاقة مع أنصار الاستشراق.

3-1- التيار الأول: هم من المتأثرين بالمستشرقين، وممن تلقوا علمهم على أيديهم، وصنع الاستشراق فكرهم، وعليه فتركيزهم منصب على الإيجابيات، مع التغاضي عن السلبيات، ومما قاله الأستاذ (نجيب العقيقي): « ولو وزننا بين عناية المستشرقين بترائنا واكتشافه وتحقيقه، وما قمنا نحن به في سبيله لرأيناها تكاد تكون متساوية، ولو وزننا كذلك بين ترجمة أحد المستشرقين وآثاره وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره، لوجدناه يضاهيه خلقا علميا وعدد كتب. ولا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا، ولا سبيل إلى جردها فضلها في فتح عيون المستشرقين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء، ثم على نهضتنا الحديثة التي كانوا من دعائمها». ⁽²⁾ قد يعبر هذا الكلام عن ولاء الأستاذ للمستشرقين؛ بل يُستشف منه لوعة التّقصير في حقهم. ومن المدافعين عن الاستشراق (محمد أركون) الذي « دعا إلى تجاوز المناهج القديمة الإسلامية التقليدية ونقدها، وهو هدف من أهداف الاستشراق، وهو أسلوب خطير

¹ - النملة، علي بن إبراهيم، نقد العقل المعاصر: صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. ص 118.

² - النملة، علي بن إبراهيم. مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف. الرياض، مطبوعات الملك فهد الوطنية 1993م. دط. السلسلة الثانية. ص 20.

في نتائجه، لأنّ المناهج الإسلامية وليدة خصوصيات الفكر الإسلامي...»⁽¹⁾ الملاحظ أنّ معظم المادحين للاستشراق، ينتمون إلى هذه الفئة التي تشربت من أفكار المستشرقين ومعتقداتهم دون تمحيص.

3-2- التّيار الثّاني: يعتبر أصحاب هذا التّوجّه الاستشراق آلة هدم ودمار، سلّطت على المسلمين لتحقيق مآرب له، إلّا أنّه استغلّ الثّراث العربي الإسلامي لخدمة مصالحه، يقول أحد المفكرين: « لم نضيع المال والجهد والطاقة، في سبيل ما لا جدوى منه ولا عائد؟ وماذا يفيدنا أن ننتبّع أخبار الاستشراق أو أن نترجم كتبه، ونناقش ما فيها، وننقدها، ونفدّ ما نراه غير صحيح مما تضمنه من آراء، ونغضب فيما لا طائل منه؟ هل كان الاستشراق غير نتاج خارجي كتبه خارجيون لا يكاد معظمهم يحسن اللّغة التي نتكلّم بها؟ فكيف بهم عندما يناقشون ماضيّنا وحاضرنا ومستقبلنا وتاريخنا وثقافتنا وآدابنا واقتصادنا وسياستنا؟ إنّه بالتّأكيد لن يصلوا إلى حقيقة ذات قيمة تتصل بها، وبالتالي فلا ضير علينا إن أغضينا طرفنا عمّا يعملون»⁽²⁾. يلمس متأمّل هذا الكلام أنّ هناك مبالغة في إقصاء ما كتبه المستشرق والدّعوة إلى تجاهله، وهو أمر يصعب قبوله، ولئن قبلته نظريا، فإنّك لن تستطيع إلى ذلك سبيلا عمليا، ولاسيّما أنّ معظم الباحثين العرب يرجعون إلى أعمالهم، وكثيرا ما يبحث الباحث عن معلومات عن العربية، فلا يجدها إلّا بين ثنايا كتبهم ومؤلفاتهم. يرى الباحث (علي إبراهيم النّملة) في موضع آخر، أنّ للاستشراق أثرا كبيرا، في تحديد العلاقة ثقافيا بين الشرق والغرب على مستوى الماضي والحاضر والمستقبل، علما أنّ الاستشراق باق وإن اختلفت أدواته، ويشمل البعد السّياسي والإعلامي، ولا بدّ من توضيح، ولم يكن أثر الاستشراق في هذه العلاقة سلبيا كلّها، بل كانت له آثاره الإيجابية في تقديم الثّقافة الإسلامية، حيث نجد مستشرقين مخلصين، لم تستهوههم التّقلبات في العلاقات، وعليه لا يحقّ لنا تعميم أحكامنا على الاستشراق سلّبا أو إيجابا، ونلاحظ أنّ الاستشراق السّياسي خاصة، ولاسيّما في بعض جوانبه عمل على تعميق الكراهية بين الثّقافة الغربية، وعمل على تشويه الثّقافة الإسلامية في مصادرها، وتراثها وأوضاع المسلمين المعاصرة.⁽³⁾ حاول الباحث التزام الموضوعية، وحمل الاستشراق السّياسي المسؤولية. تعكس هذه الآراء المزدوجة، الصّعوبة التي يجدها الباحث العربي في تحديد موقفه من الاستشراق.

1 - النّيهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 78.

2 - النّملة، علي بن إبراهيم، نقد العقل المعاصر: صناعة الكراهية بين الثّقافات، وأثر الاستشراق في افتعالها. ص 22.

3 - ينظر: المرجع نفسه. ص 144، 145.

أما الباحث (أبو فهر محمود أحمد شاكر)، فيقول: « فما كتبه الاستشراق، من حيث هي كتب أو دراسات مكتوبة للمثقف الأوربي خاصة ولهدف بعينه، حقيقة باحترام كل أوربي مثقف، أو من كان بمنزلة الأوربي المثقف في الغرب عن العربية والإسلام، لأنها يَسِّرَت له ما لم يكن ليتيسَّر البتَّة... لولا الجهد العظيم الذي بذله دهاقين المستشرقين الكبار في تصويره، فهو غير حريص بعد ذلك على التَّحَقُّق من صحَّة التفاصيل التي تكوَّنت منها الصورة، ولا هو قادر على التَّشكيك في سلامتها من الآفات، ولا يخطر بباله أن يسأل نفسه: أي صادقة أم كاذبة؟ أي مطابقة للحقيقة أم غير مطابقة للحقيقة؟». (1)

يعتبر الباحث من المصنفين ضمن المعارضين الأشداء للاستشراق، إلّا أنَّ الاطِّلاع على آرائه والوقوف عليها بالتمحيص، يكشف عن رؤية موضوعية فاحصة، إذ يدعو إلى إعمال العقل فيما كُتِب وعرضه على المنهج، فيكون الحكم له وليس لنا نحن، وهو بهذا يخرج من الذاتية.

بما أنَّ النّاقِد إدوارد سعيد تعمَّق في دراسة هذه الظّاهرة عن قرب، فيحسن الاطِّلاع على آرائه « وعليه لم يكن الاستشراق مجرد حركة فكرية أو مذهب إيجابي له ما له وعليه ما عليه؛ بل هو في خلاصات سعيد ثقافة غربية متأصلة تضرب بجذورها في عمق التاريخ الغربي، وجوهر الاستشراق هو هذا التميّز الذي يستحيل اجتثاثه بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية. وقد تعمَّق هذا التميّز خلال القرن التاسع عشر والعشرين، وهو بحسب إدوارد سعيد يستمر اليوم بشكل فاضح، من خلال وسائل الإعلام والمقررات التعليمية، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، بنشرها صورا كريمة عن العرب والمسلمين». (2) لقد كشف الباحث إدوارد سعيد من خلال دراساته وبحوثه الكثيرة، حول هذه الظّاهرة عن خبايا ونوايا لم ينتبه إليها الكثيرون، رغم تعاملهم مع بعض المستشرقين، وما يعطي مصداقية أكبر لهذا النّاقِد، أنّه عاش زمنا طويلا بينهم واختلط بهم وسبر أغوارهم، والمنطق يقتضي أن يُسمع ويُؤخذ ممّن عايش الظّاهرة، وإن كان ذلك في عصور متأخرة.

3-3- التيار الثالث: لا ينكر هذا التيار جهود المستشرقين، وفي الآن ذاته يدعو إلى الحذر عند التّعامل مع مؤلفاتهم، « أما ما يتعلّق بالقسم الأوّل، فيجب الاعتراف بجهود المستشرقين العلمية في هذا المجال.

1 - شاكر، أبو فهر محمود محمد. رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا. جدة، دار المدني، 1987. دط. ص 62.

2 - قاسمي، عبد الناصر. الاستشراق عند إدوارد سعيد. رسالة ماجستير، إشراف الدكتور عمر مهيليل. جامعة الجزائر، 2008-2009م. ص 103.

فهم الذين جمعوا المخطوطات العلمية، من كل مكان في الوطن العربي... ولولا جهودهم في هذا السبيل لتلف قسم كبير من هذه المخطوطات، لا يمكن أن يعوّض... ثم كتبوا البحوث القيّمة في تحقيق الألفاظ وتحرير الأصول، وتصحيح الأخطاء، وكشف المجهول على الأسلوب العلمي الصحيح والمنهاج المنطقي الحديث. وقد تمكن المستشرقون من أن يحققوا وينشروا باللغة العربية أمهات آثار التراث العربي الإسلامي ومخطوطاته، وقد طبعوها طبعا متقنا، وضبطوها ضبطا تاما ووضعوها تحت تصرف الباحثين، فمهدوا بذلك لإحياء التراث العربي الإسلامي، ودراسته دراسة جديدة جدية على أساس علمي متين⁽¹⁾. لابدّ أنّ الاعتراف بجهود المستشرقين لا يلاقي أيّ اعتراض، وإنّما الاعتراض على طبيعتها وكيفية، « أما البند الثاني، وهو نقل عدد من أمهات كتب التراث إلى لغاتهم، فهذا أمر مختلف. ذلك أنّ على الناقل من لغة إلى لغة أن يكون مسيطرا سيطرة تامة على اللغتين وهيئات لشخص غير عربي أن يفهم أسرار العربية وأسرار بلاغتها وفصاحتها، ولذلك جاءت هذه الترجمات في غالبيتها العظمى غير دقيقة، هذا إلى جانب أنّ الترجمة تعطي مجالا للتحريف في النص الأصلي، ولاسيما إذا كان الأمر يتعلّق بنص إسلامي مهم، فهنا نجد أنّ كثيرا من النقلة يخضعون شعوريا أو لا شعوريا لشعورهم العدواني ضد الإسلام...»⁽²⁾. حاول الباحث (محمد ماهر حمادة) أن يكون موضوعيا، بذكر إيجابيات الاستشراق وكذا السلبيات، وهي دعوة لأخذ ما لا يضرّ وترك ما يضرّ من أعمالهم.

أمّا الباحث (إسماعيل أحمد عمايرة)، فإلتفت إلى أمر آخر، داعيا الشرق إلى دراسة الغرب والاستشراق دراسة موضوعية، « إنّ الشّرق يعيش من هذا الجانب -كما يعيش في سائر جوانب حياته الأخرى- معطلا، وكأنّما أريد له ذلك، فلو قامت معاهد ومؤسسات، لدراسة الاستشراق والغرب بعامة لكان في ذلك، ما قد يسفر عن نوع من التّمرد، على واقع ما ترمي إليه سياسة الاتّجاهات الغربية الاستشراقية، من أهداف تسعى إلى تحقيقها في الشرق، وترويض الشّرق عليها، وإلّا فكيف نفسّر هذا الصمت العجيب إزاء ظاهرة مهمة... لاشك في أنّ تقويم الظاهرة الاستشراقية تقويما منصفا دقيقا، يعدّ خطوة مهمة في سبيل تحقيق أواصر التّفاهم بين الشرق والغرب، ذلك التّفاهم الذي ما يزال يفتقد الأجواء

¹ - حمادة، محمد ماهر. رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب: فكرا ومادة، القسم الأول، دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبية. ص 225-226.

² - المرجع نفسه. ص 226.

المناسبة لتحقيقه».⁽¹⁾ يُخشى أن ما يدعو إليه الباحث أقرب إلى المستحيل منه إلى الممكن، فلا يمكن للغرب أن يتقبل علاقة متكافئة بينه والشرق، فالأمر الوحيد الذي يرتضيه ويرضيه؛ هو أن يكون هو السيد الأمر الناهي، والشرق هو العبد الخاضع المطيع، وأي محاولة لتغيير هذا الوضع ستواجه بمقاومة قوية وعنيفة، والواقع يؤيد هذا ويؤكدده. يرى الأستاذ (محمد فاروق النبهان) أن: «الباحث في ظاهرة الاستشراق يعنيه في الدرجة الأولى أن يصنّف المستشرقين بحسب مواقفهم الأخلاقية، وبحسب احترامهم لقواعد البحث العلمي والالتزام بالموضوعية، ومن الطبيعي أننا ننظر بارتياح للمستشرقين الذين يقفون موقف النزاهة ويدافعون بحرارة عن حضارتنا وتراثنا وعقيدتنا، فهؤلاء جديرون بالتقدير من وجهة نظرنا».⁽²⁾ إلا أنه في موضع آخر من الكتاب نفسه يقول: «ومدرسة الاستشراق مدرسة وصاية على ثقافتنا، وهي مدرسة استفزازية هجومية ولا تراعي مقدسات أمتنا، ولا تحترم مشاعر شعوبنا، ومن واجبنا أن نتصدى لها، لا من منطلق التعصب وإنما من منطلق تصحيح ما تثيره من شبهات...».⁽³⁾ وهو بهذا يقف موقفا متذبذبا، فالقول الثاني يناقض القول الأول، لأن حكمه على المدرسة كان سلبيا، وفي الأول تحدّث عن ضرورة التمييز بين المستشرقين، وقد يفهم من كلامه أن الاستشراق عموما متهم، أما بالنسبة للمستشرقين فهناك استثناءات، وهي حقيقة واقعة نسبيا. قسّم المواقف إلى موقفين: الأول التيار الرافض، والثاني التيار التحليلي النقدي، أما الرافضون فهم المنتمون إلى المدرسة الإسلامية، والمعتزّون بحضارة الإسلام، يتميزون بالكفاءة والقدرة في مجال البحث والتحقيق والدراسة، وهم بهذا لا ينكرون جهد المستشرقين، وإنما ينبع رفضهم ممّا لمسوه من تعصب في أعمالهم، بالإضافة إلى تأكدهم من وجود علاقة مباشرة بين عملهم وبين سياسات حكوماتهم الاستعمارية.⁽⁴⁾ ومن الذين تناولوا هذا الموضوع الباحث (محمد نذير) الذي افتتح كتابه، بفقرة تبين موقفه من الاستشراق، قائلا: «إنّ (أزمة) المستشرقين (الفكرية) و(الأخلاقية) والمشكلات الناتجة عنهما، قد أساء إليهم أيّما إساءة، فيكاد (تشويه) الحقيقة الفكرية: دينية أو تاريخية أو لغوية أو علمية يصبح ظاهرة عامة في العمل الاستشراقي، المبطن والسّافر المباشر وغير المباشر، وإذا نجت بعض مسائلها من بعض المستشرقين، فإنّا نحسن الظن بهم على

1 - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون وتاريخ صلتهم باللغة العربية. ص 68.

2 - ينظر: النبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارس، آثاره. ص 14.

3 - المرجع نفسه. ص 69.

4 - ينظر: نفسه. ص 67، 68.

أنهم أنصفوها ووضعوها في نصابها من الفكر الإنساني»⁽¹⁾ وهو بهذا ينضم إلى التيار الثالث الذي يعترف بإيجابيات الاستشراق، ممثلاً ببعض المستشرقين، وفي الآن ذاته يحذر من سلبياته التي، قد تطغى في كثير من الأحيان. وقد اختصر الباحث محمد العربي معريش موقفه في قوله: «أشرف على الحركة الاستشراقية في فرنسا بين 1822-1872 جيل من المستشرقين، منهم علماء كبار لامعين ومنهم أواسط، ومنهم موضوعيون ومنهم مادحون، ومنهم سطحيون... ومنهم منتقدون مشوهون للحقائق...»⁽²⁾ ما يمكن قوله في هذا المقام، هو أن الاستشراق بوصفه مدرسة قد أساء مهما أحسن والحديث عن الاستشراق غير الحديث عن المستشرقين، فقد تبين عبر الأزمنة المختلفة والدراسات الكثيرة، أن هذه الظاهرة ما وجدت إلا للقضاء على الشرق، وما كانت البحوث والدراسات التي قاموا بها خدمة للشرق، كما قد يدعي بعضهم؛ بل كانت خدمة لمصالح دولهم، والدليل على ذلك أن الدراسات تركّزت على الدول التي تم احتلالها، وهذه من المغالطات التاريخية، التي حاول أصحابها إقناع الشعوب أن احتلالهم كان خدمة لهم من الغرب، وفعلاً هذا ما يعتقده الكثيرون، فكثيراً ما يمدح بعضهم ما تركه لهم الاستعمار ويتفاخرون به، وكأنهم يتجاهلون أن هذه الأعمال كانت موجّهة لخدمة مصالحهم هم.

لا يمكن إنكار جهود قلة من المستشرقين الذين اتسموا بالموضوعية أو حاولوا ذلك، وكانت منطلقاتهم علمية، غير أن السياسيين، كانوا دائماً بالمرصاد، لتوجيه أي عمل يقوم به المستشرق لخدمة مصالحهم. أمّا في الجزائر، فيقرّ المفكر مالك بن نبي، بالقيمة العلمية لأعمال المستشرقين، وينبّه إلى وجود أطراف تُستغلّ، «فنقول أولاً إنّه إنتاج لا يجوز نكران قيمته العلميّة؛ بل نراه أحياناً يستحقّ كلّ التقدير لما يتّسم -في بعض أصنافه مثل ما خلفه سيديو أو جوستاف لوبون أو آسين بلاثيوس- بالإضافة إلى طابعه العلمي بطابع أخلاقي ممتاز، لا يمكن نكرانه كشهادة نزيهة من طرف شهود نعرف قيمتهم كعلماء»⁽³⁾ وهنا تبرز ضرورة التفريق بين الاستشراق والمستشرق، وكذا بين المستشرق وتأثيرات عمل المستشرق، «...حيث لا نعتبر إنتاج المستشرقين من زاوية ذاتية أصحابه من ناحية ميزاتهم الفكرية ونواياهم؛ بل من زاوية من يستخدم إنتاجهم لغايات خاصة... ولعلّهم إذا لا ينتظرون وقوع الفراغ

1 - نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون مجميون. ص3.

2 - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي.... ص 28.

3 - بن نبي، مالك. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. بيروت، مطابع دار الكتب، 1388هـ-1969م. ط1. ص42.

الإيديولوجي لاحتلاله؛ بل يصنعونه هم، وربما يشغلونه مؤقتًا بأفكار سواهم حتى تنتهي في مرحلة أولى عملية فصلنا عن أفكارنا بتلك الأفكار الفاصلة الوسيطة».⁽¹⁾ يتعلّق الأمر هنا بعملية نفسية ذهنية تُربط خيوطها على مستوى مخابر مختصة، وسواء أكان عمل المستشرق مادحا أو قادحا فالنتيجة واحدة، إما إغراق في المدح، لما كان عليه الأجداد في العصور الذهبية للأمة الإسلامية لتجاهل الحاضر والانشغال بالماضي، فلا داعي للعمل بما أنّ حضارتنا، هي مصدر حضارة الغرب وإمّا إغراق في التّحقير ودنو الشأن، ليرى الشرق نفسه عاجزا عن أيّ إبداع أو إنجاز، إلّا في ظلّ ما يخطّطه له الغرب، «... وهكذا تتمّ العملية على جناحي شابنا: الجناح المصاب بالشلل المضطرب والجناح المصاب بالشلل المسكن فالبعض يصيحون ويضطربون، والآخرين يحلمون في بلاد تتطلّب النّظام والجديّة، وتتطلّب الضمير المتيقّظ على الدّوام لمواجهة مشكلات الاستقلال. وعلى كلّ هكذا نرى الإنتاج الاستشراقي في دوره في إطار ما نسميه الصّراع الفكري».⁽²⁾ انتقل الصّراع من الميادين إلى الأذهان، وهو ما أحدث تغييرا كبيرا على مستوى الكثير من المبادئ والمفاهيم، ولا شك أنّ ما نعيشه الآن أخطر بكثير ممّا سبق، وإن كان من نتائجه وآثاره.

¹ - بن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. ص45.

² - المرجع نفسه. ص47.

الفصل الأول:

اللغة العربية وأهمّ قضاياها:

قديمًا وحديثًا

المبحث الأول: اللغة العربية بين الدراسة والاستعمال

المبحث الثاني: الدعوة إلى العامية وامتداداتها المعاصرة

المبحث الثالث: اللغة العربية بين دعاة الخطّ العربي ودعاة الخطّ اللاتيني

المبحث الأول: اللغة العربية: بين الدراسة والاستعمال

لا يمكن الحديث عن تعريف اللغة العربية وتناول بعض قضاياها القديمة والحديثة، إلا بعد تخصيص لمحات تاريخية، يجعلها الكثيرون، من نافل القول، إلا أنني تراها ضرورية؛ بل تستحق بحثاً مستقلة، تستقصي ما خفي منها، منها نشأة اللغة العربية، التي وردت حولها آراء كثيرة ومختلفة، منها ما استند إلى أدلة دينية، وأخرى عقلية وتاريخية وعلمية، وقد أحصى بعضها اللغوي الفذّ ابن جني الذي أشار إلى أنها قد تكون مواضعة بين البشر، وقد تكون من عند الله جلّ وعلا، وأشار إلى المعترضين على ذلك، وقدم الآراء المعروفة، « وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها، إنّما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الريح... ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل. واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير، والبحث عن هذا الموضوع... وذلك أنني؛ إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق والرقّة، ما يملك عليّ جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله، ومنه ما حظوته على أمثالهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقدمه... وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار الماثورة بأنّها من عند الله عز وجل، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه وتعالى وأنها وحي». ⁽¹⁾ لعلّ ما عرف عن اللغوي ابن جني، سابقا أنّه من أتباع الاصطلاح، إلا أنّ هذا القول يعدل به إلى غيره، ومع ذلك لم يوصد باب الاجتهاد؛ بل جعل لنفسه مخرجا منه، متى وقف على خلافه، وهذا أدب رفيع في الباحث. أما اللغوي ابن فارس فيجزم قاطعا الشك باليقين، « أقول إنّ لغة العرب توقيف... ». ⁽²⁾ وإلى مثل هذا، يذهب الأستاذ عبد الرزاق عبيد في قوله: « إنّ للكلمة العربية... في تاريخ الدراسات اللغوية العربية مكانة تختلف عن مكانة العديد من اللغات الأخرى، وذلك لأنها ليست عنصر تواصل بسيط من عناصر الخطاب... فكادت ألاّ تتصل بصنع البشر ». ⁽³⁾ وإن كان القول يحمل في طياته تحفظاً يمكن رده، كما حدث مع اللغوي ابن جني إلى التحرّز العلمي، وهذا حال العلماء والعارفين، فالعلم المطلق لعالم الغيب والشهادة وحده. وممّا

¹ - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تح: محمد علي النجار. القاهرة، دار الكتب المصرية، دت. دط. ج1. ص 46، 47.

² - ابن فارس، أبو الحسين أحمد. الصحاحي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها. بيروت، دار الكتب العلميّة، 1418هـ-1997م. ط1. ص 13.

³ - عبيد، عبد الرزاق. الحقول الدلالية في المعاجم العربية: فقه اللغة للثعالبي (نموذجاً). إشراف الدكتور سالم علوي. رسالة دكتوراه دولة. جامعة الجزائر، 2005-2006م. ص 194.

ورد كذلك، أنَّ « عساكر أخرج في التاريخ عن ابن عباس أنَّ آدم عليه السَّلام كانت لغته في الجنَّة العربية فلمَّا عصى سَلبه الله العربية فتكلَّم بالسريانية، فلما تاب ردَّ الله عليه العربية».⁽¹⁾ والقائلون بهذا الرأي ينطلقون من قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، [سورة البقرة، الآية: 31]. إلَّا أنَّ هناك من رأى أنَّ أوَّل من تكلم العربية؛ هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السَّلام، وذلك بعد أن نسي لسان أبيه إبراهيم عليه السَّلام، وينسبون إلى الرِّسول ﷺ أنَّه تلا قوله تعالى: ﴿كَتَابُ فَصْلَتِ آيَاتِهِ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، [سورة فصلت، الآية: 3]. ثم قال: ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً.⁽²⁾ ومنهم من ذهب إلى أنَّ هذا « كان على لسان يعرب بن قحطان، ومنه انتقلت إلى العرب الباقية، لأنَّ العرب البائدة كعاد وشمود وطسم وجديس، كانت قد بادت قبل الإسلام، ولم يبق لها أثر. ثم انتقلت العربية من الجنوب إلى الشَّمال، لاسيَّما بعد هجرة جرهم إلى العدنانيين من ذرية إسماعيل عليه السَّلام، ولذلك يقولون عن يعرب؛ إنَّه سمي بهذا الاسم، لأنَّه أوَّل من انعدل لسانه عن السَّريانية إلى العربية. وأنَّ العربية كانت لسان العرب، الذين بادوا قبل الإسلام، وانطمس تاريخهم كعاد وشمود وغيرهم، وقد ظلت على لسان بقاياهم، لأنَّ هذه القبائل لم تهلك عن آخرها؛ بل بقي منها من أنشأ العرب الباقية في جنوبي الجزيرة. وكانوا النُّواة الأولى للعرب الباقية العدنانية الذين يعدُّ إسماعيل عليه السَّلام أبا لهم ».⁽³⁾ يهدف البحث من خلال ذكره لهذه الرِّوايات إلى تكوين نظرة عامة، حول البدايات الأولى للعربية، والأرجح حسب الأستاذ عبد الغفار حامد هلال؛ هو أنَّ العرب البائدة هم أوَّل من تكلم بالعربية، بقيت منهم جماعة نشأت عنها العرب الباقية. « والتَّاريخ يذكر أنَّ أصحاب تلك اللُّغة ينحدرون من ولد سام بن نوح عليه السَّلام، وهم عاد وشمود وجرهم الأولى ووبار وغيرها، ثمَّ انتقلت من بقاياها، بعد أن انقرضت إلى بني قحطان، فنشأت منها الحميرية لغة أهل اليمن، ثمَّ انتقلت من الجنوب إلى الشَّمال، فتعلَّمها أولاد إسماعيل عليه السَّلام بالحجاز».⁽⁴⁾ ولخصَّ الرافعي هذه القضية في ثلاث مراحل: حيث أرجع التَّهذيب الأوَّل إلى عهد أبينا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السَّلام، وهو أصل العربيَّة المضريَّة. أما الدور الثَّاني فكان بخروج أولاد إسماعيل عليه السَّلام وانتشارهم في

1 - السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. المزهرة في اللغة وأنوعها. بيروت، منشورات المكتبة العصرية، دت. دط. ج1. ص30.

2 - ينظر: المرجع نفسه. ص30، 32، 33.

3 - حامد هلال، عبد الغفار. العربية خصائصها وسماتها. القاهرة، مكتبة وهبة، 1425هـ - 2004م. ط5. ص140.

4 - المرجع نفسه. ص140. عن محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها.

الجزيرة، ومنه تشعبت القبائل بعد أن كانت لغتهم قد اشتدت وابتعدت عن أصلها، ثم نشأت اللغات الكثيرة وربما تداخلت اللغات فنشأت لغة ثالثة، وحدث تنافس بينها في أحكام اللغة. يجعل الرافي الدّور الثالث من أهم المراحل، ويحصرها في قريش وحدها عكس القائلين بتوحد اللهجات.⁽¹⁾ وهناك رواية قسّمت العرب إلى ثلاثة أقسام، « وقال ابن دحية: العرب أقسام: الأوّل عاربة وعرباء: وهم الخّص، وهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام ابن نوح، وهي عاد، وشمود، وأمّيم وعيّيل وطّسم وجديس وعَمَلِيق وجُرْهُم، ووبار، ومنهم تعلّم إسماعيل عليه السّلام العربية. القسم الثّاني: وهم المتعرّبة: قال في الصّاح وهم الذين ليسوا بخلّص وهم بنو قحطان. والثالث المستعربة وهم الذين ليسوا بخلّص أيضا كما في الصّاح، قال ابن دحية: وهم بنو إسماعيل، وهم ولد معدّ بن عدنان بن أدّ». ⁽²⁾ لاشكّ أنّ أيّ قضية مرتبطة بالنّشأة، يكثر حولها الجدل وتتباين فيها الآراء، لابتعادها في الزمن وخفائها عن العلم، وندرّة الأدلة الحسية التي يؤمن بها العلم الغربي الحديث.

أما ما أراه، فهو من هذا المنطلق الدّيني الذي ورد أنفا، بالإضافة إلى معطيات أخرى أنّ اللغة العربية؛ هي لغة العرب منذ آدم عليه السّلام، الذي علّمه الله سبحانه وتعالى، الأسماء كلّها، وهذا يحيل إلى الآية الكريمة في سورة البقرة، وقد يؤيّد ذلك أنّه حين أنزل آدم عليه السلام من الجنة كان ذلك في نواحي مكة المكرمة أو في شبه الجزيرة العربية قريبا من الطائف، وعاش سيدنا آدم وحواء عليهما السلام في مكة ودفنا فيها، ومنها بعث نبينا الكريم محمد ﷺ. ولم يحدث هذا بالصدفة فلا وجود للصدفة في مقادير الله سبحانه وتعالى، فمنطقي أن يلتقي النّبيان عليهما الصلاة والسلام في مكان واحد، وبلغة واحدة هي اللغة العربية، وهو ما أشار إليه الدكتور زغلول النّجار: * أثبت البحث العلمي أنّ العربية هي أصل اللّغات، وهي لغة أهل الجنة، وأنّ جميع لغات العالم انبثقت عن اللغة العربية ولكن المنظور المادي الذي ساد أهل الأرض شتّت أفكار النّاس. القرآن الكريم يقول لنا إنّ البشر جميعا جاؤوا من أب واحد وأم واحدة، كانا في مكان مرتفع قرب مكة المكرمة... من الثابت عن رسول الله ﷺ أنّ آدم عندما

¹ - ينظر: الرافي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب. بيروت لبنان، دار الكتب العلميّة، 1421هـ 2000م. ط1. مج1. ص70، 73، 75.

² - السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. المزهرة في اللغة وأنوعها. ص 31.

* زغلول راغب محمد النجار (17 نوفمبر 1933) هو باحث جيولوجيا مصري درس في كلية العلوم جامعة القاهرة، وتخرج منها سنة 1955م بمرتبة الشرف، وكُرّم بالحصول على جائزة الدكتور مصطفى بركة في علوم الأرض. الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وعضو مجلس إدارتها، وأحد مؤسسي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. حصل على الأستاذية درجة البروفيسور، سنة 1972م.

عطس قال: الحمد لله، وكلمة الحمد لا نظير لها مع لفظ الجلالة في أي لغة من لغات العالم... اختار الله سبحانه وتعالى العربية، فأمر إبراهيم عليه السلام أن يضع زوجته وابنه إسماعيل في مكة، حتى يأتي من نسله محمد ﷺ ليلتقي آخر نبي بأول نبي عليهما السلام تأكيدا على وحدة رسالة السماء ووحدة الجنس البشري وإلغاء العصبية...⁽¹⁾ وهذا ردا على الباحثين الذين يتعصبون لقومياتهم ويزيغون الحقائق لتتوافق مع أهوائهم.

استحضر البحث آية أخرى في سورة الرحمن، وهي قوله سبحانه عز من قائل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾، [سورة الرحمن]. فكانت الوجهة إلى تفسيري الكشف للزمخشري وابن كثير، ومما ورد في الأول، «عَدَّ الله عزَّ وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء، ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين فقدَّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها: وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأتته أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثرا، وهو سنام الكتب السماوية ومصادقها والعيار عليها، وآخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه: ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه، وخلق الإنسان من أجله، وكأن الغرض في إنشائه كان مقدما عليه وسابقا له، ثم ذكر ما تميَّز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير».⁽²⁾ بما أنَّ البيان لا يكون إلا بلسان مبين، وقد اقترن البيان بالقرآن العظيم الذي نزل بلسان عربي مبين، إذ يقال أعرب إذا أبان وأفصح، فلعلَّ هذه الآية الكريمة تبين أنَّ الله عزَّ وجلَّ علَّم آدم اللسان العربي، وذلك لتتابع تعليم القرآن وخلق الإنسان وتعليمه البيان، وهو ما أشار إليه العلامة ابن كثير، «... وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى، لأنَّ السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنَّما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفيتين على اختلاف مخارجها

¹ - النجار، زغلول. اللغة العربية أصل اللغات. بتاريخ 27-11-2021م.

https://www.youtube.com/watch?v=7EYdTtHtV_g&list=TLPMQJcxMTIwMjFPp76dj4Z2yw&index=5

² - الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (467-538هـ). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. الرياض، مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998م. ط1. ج6. ص5.

وأنواعها».⁽¹⁾ ومعلوم أنّ البيان هو أعلى مراتب استعمال اللغة العربية، فالبداية تكون بالنطق بالكلام فالبيان، فلم يقل الله عز وجل علمه النطق ولا الكلام؛ بل البيان، وهي العربية الفصحى المبينة، وعليه فيُرجح أنّ الله عز وجل هو معلم الإنسان اللسان العربي، هذا والله تعالى أعلى وأعلم. ومما ورد في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أَوْلَئِكَ الْمَلَائِكَةِ - إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٌ - فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةَ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ...».[حسن صحيح].⁽²⁾ يدلّ هذا الحديث على أنّ آدم عليه السلام هو أوّل من نطق بالعربية، وقد يقول قائل هذا ليس بدليل، فالمسلمون السنيون وحدهم يعترفون بالحديث، فيكون الردّ بأنّ معظم الدّراسات اللغوية والتاريخية الغربية لا تستغني عن الإحالة إلى التوراة، وتستمدّ جزءا من معلوماتها منها، وتتخذها مصدرا لتأسيس نظريات وآراء تُفرض على الجميع فرضا، رغم أنّ المسلمين يؤمنون بأنّها محرّفة، كما أنّه كتاب خاص باليهود؛ ولعلّ أكثر ما تعامل معه البحث في هذا السياق يتعلّق بموضوع الشعوب السامية، وتصنيف اللّغات على أساس ما ورد في التوراة. وهذا الحق الذي منحه اليهود لأنفسهم، ورُحِبَ به في الأوساط العلمية، هو نفسه الذي يمنح البحث الحق في اعتماد الحديث النبوي الشريف مصدرا ثانيا بعد القرآن الكريم، يمكّن الباحث من تأكيد الرّأي القائل إنّ العربية هي أوّل لغة نطق بها آدم عليه السلام، بالإضافة إلى الأدلة التي توصلت إليها بعض الدراسات الغربية. يبدو أنّ العرب هم ساكنو شبه الجزيرة العربية، ومنها تفرّقوا في أنحاء الوطن العربي؛ بل أكثر من ذلك، هناك من يقول إنّ أصول سكان العالم كلّهم ترجع إلى الجزيرة العربية، وهي دراسة قام بها فريق بحث الجينات (الوراثة) بجامعة ليديز وبورتو (Leeds et de Porto)، مدة عشر سنوات، وانتهت سنة 2012م. وقد توصلت إلى أنّ العرب هم أجداد كل شعوب العالم، وقد افتتح المقال بـ «نحن جميعا عرب، هذه هي آخر النّصريحات الصّادمة لعلماء الجينات، شاء أم أبى كلّ من مارين لو بان وكلود جيون، كلّنا مهما كنا فرنسيون أو أمريكيان، أو إسبانيون، أو صينيون أو بابويون، كلّنا ننسب إلى أجداد

¹ - ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700-774)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة. الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ-1999م. ط2. ج7. ص 498.

² - الترمذي، الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى متوفي سنة 279هـ رحمه الله. صحيح سنن الترمذي. الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1420هـ-2000م. دط. مج 1. الحديث 3368. ص 380.

مشاركين، سكنوا في شبه الجزيرة العربية، بعد الميلاد في إفريقيا، البشرية مرّت بمرحلة في بلاد العرب السعيدة، بعد اجتياز البحر الأحمر، إنّه سبق صحفي، إلى هنا الخبراء الكبار في الهجرات البشرية كانوا يظنون أنّ انقسام الجماعات حدث في الشرق الأوسط أو في شمال إفريقيا⁽¹⁾. وقد ذكر الباحث السليمان عبد الرحمن بداية الهجرات كيف كانت، وهي:⁽²⁾

- تصحّر شبه الجزيرة (سنة 5000 ق.م) والهجرة إلى دجلة والفرات والعاصي بالعراق والشام.
- الهجرة الأولى: كانت بداية (سنة 4000 ق.م) تمثلت حركة هجرة الأقوام الجزيرية من الجزيرة إلى مصر والمغرب الكبيرن واختلطوا بالسكان الأصليين في الشمال الإفريقي وتكوّنت الشعوب الجزيرية الغربية (قدامى المصريين، والأمازيغ) كلاهما تولّد من اختلاط القبائل الجزيرية الشرقية المهاجرة إلى شمال إفريقيا بالقبائل الأصلية.
- الهجرة الثانية: حدثت في أواخر سنة (4000 ق.م) هاجر فيها الأكاديون إلى بلاد الرافدين.
- الهجرة الثالثة: أواخر (3000 ق.م) تمثّلت في هجرة الأوغاريتيين (يُرجّح أنهم عرب) إلى غربي سورية.
- الهجرة الرابعة بداية (2000 ق.م) هاجر الآراميون والكنعانيون إلى الشام.
- الهجرة الخامسة بداية سنة (1000 ق.م) هاجر نفر من الجنوب إلى إفريقيا، واختلطوا بالسكان الأصليين، ونتج عن هذا الاختلاط الحبشة والإثيوبيون والصوماليون والإريتيريون، وغيرهم. تعكس هذه الهجرات جزءا ممّا أشار إليه المقال السابق، الذي أكّد أنّ العرب هم الشعب الأصلي، ومنه تفرعت شعوب العالم، وهو ما يدحض الكثير من الآراء المخالفة لهذا الطرح.
- ما يجب الوقوف عليه، هو أنّ كلا من الأكديين والأوغاريتيين، يُعتقد أنّهم من العرب الجزيريين «...ويحتل كثير من أخبار الدولة الآكديّة، أنّه كان في (مجان) مملكة يبدو على حكامها أنّهم من العرب الساميين، كما يشير اسم الملك الذي ورد ذكره في أخبار (نرام-سين)، وكان غزو المملكة إما

¹-Par Frédéric Lewino. nous sommes tous des Arabes ! www.lepoint.fr/sciences-nature/histoire-de-l-homme-nous-sommes-tous-des-arabes-27-01-2012-1424481_1924.php. parue dans American Journal of Human Genetics

« Nous sommes tous des Arabes ! Telle est la dernière révélation fracassante des généticiens. Que cela plaise ou non à Marine Le Pen et à Claude Guéant, tous autant que nous sommes, Français, Américains, Esquimaux, Chinois ou Papous, nous descendons d'ancêtres communs ayant peuplé la péninsule arabique! Après être née en Afrique, l'humanité aurait donc fait une étape dans l'Arabie heureuse, après avoir franchi la mer Rouge. C'est du scoop. En effet, jusque-là, les grands experts des migrations humaines pensaient que la division des troupes s'était plutôt faite au Proche-Orient ou en Afrique du Nord ».

² -ينظر: السليمان، عبد الرحمن. "اللغات والكتابات الجزيرية". في مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، مكة المكرمة، 1434هـ- 2013م ... القسم الثالث: المقالات. ع2. ص279، 280.

برا بطريق قديم من بلاد بابل عن طريق جبل "شمر"، ويصل هذا الطريق إلى مكة وجدة...»⁽¹⁾. تثبت هذه النصوص التاريخية، عروبة الشعوب التي افترض بعضهم، أنها سبقت وجود العرب، في حين هي نفسها عربية، وهو دليل آخر يؤكد ما توصل إليه العلماء الغربيون من أن العرب هم أصل الشعوب جميعها. وهي الفكرة التي طرحها الأستاذ عبد الرحمن البوريني، «ورداً على تساؤلات بشأن نسب العربية لآدم، فإنّ هذا الكتاب يفترض أن تكون الجزيرة العربية موطناً لآدم عليه السلام، ويفترض أحداثاً تتفق والمنطق التاريخي، من ذلك انتشار الناس في هجرات جماعية متتالية في الأرض ونشوء لهجات من العربية، وتحولها إلى لغات منفصلة مع الزمن وابتعاد الناس عن موطن اللغة الأم»⁽²⁾. هذه الحقائق موجودة منذ زمن بعيد، وكل ما يفعله العلم الحديث، هو تقديم الحجج والبرهنة عليها، فحسب.

يعتقد الكثيرون أنّ البحث في أصل اللغات وعلاقاتها فيما بينها، موضوع حديث أول من طرق بابه هم الباحثون الغربيون، والحقيقة غير ذلك، وتاريخ اللغات وتقسيمها إلى عائلات، إذا كان يرجع في أوروبا إلى القرن التاسع عشر، فإنّه في الشرق العربي أقدم بكثير، وهذا ما يعلمه الغربيون، حيث أورد اللغوي الفرنسي بيرو قول الإمام ابن حزم الأندلسي (ت500هـ) بأنّ اللغة العربية والعبرية والسريانية منقرعة من أصل واحد، وكذلك ابن سيده [458هـ] في المخصص وكنعان بن سام بن نوح وإليه ينسب الكنعانيون، وكانوا أمة تتكلم بلغة تضارع العربية⁽³⁾. وهذا يؤكد سبق العرب إلى مثل هذه الموضوعات. اجتهد الباحثون لإيجاد معايير تُصنّف وفقها اللغات، فظهرت تقسيمات كثيرة، لا يسمح المقام بالتفصيل فيها، وهي التقسيم اليهودي، مستمدّ من التوراة المحرّفة، وهذا ما جعل بعض الباحثين المسلمين يرفضونه، ويعتبر تقسيم اللغات إلى سامية وحامية ويافتية من أقدم التقسيمات، إذ «قسم الجدول المعروف بجدول الشعوب في الإصحاح العاشر من سفر التكوين الشعوب والقبائل الموجودة في صدر آسيا إلى ثلاث مجموعات كبرى، وأرجعها إلى أولاد نوح الثلاثة: سام، وحام ويافت، وقد كان ذلك هو التقسيم الوحيد

¹ - باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة فارس-الإغريق الرومان). بغداد، دار الوراق للنشر، 2011. ط1. ج2. ص225.

² - البوريني، عبد الرحمن أحمد. اللغة العربية أصل اللغات كلّها. عمان، دار الحسن للنشر والتوزيع، 1419هـ-1998م. ص9.

³ - voir Perrot, Jean. la linguistique collection: que sais-je ? paris, 1953. p85.

المعروف حينذاك للتعبير عن العلاقات السياسية وطبائع الشعوب».⁽¹⁾ تضمّن هذا التقسيم ثلاث مجموعات وهي: الفصيلة اليافثية (الهندية الأوربية): وهم من نسل يافث بن نوح عليه السلام تشمل اللغات الهندية والفارسية (تسمى اللغات الآرية)، تنتشر بالهند وإيران واللغات الأرمنية اليونانية الألبانية الرومانية ومن فروعها، اللاتينية المتفرّع عنها عدّة لغات: (البرتغالية، والأسبانية والفرنسية والإيطالية، ولغة رومانيا) واللغات الجرمانية (الانجليزية، والألمانية، والهولندية، والسويدية والنرويجية والدنمركية) واللغات الكلتية (إيرلندا والبريتون قرب فرنسا)، اللغات السلافية البروسية القديمة والليتوانية والروسية والتشيكية.⁽²⁾ كما هو واضح من الدول المتكلمة بها، فهي خاصة بالغرب عموما والهند. والفصيلة الحامية؛ كما هو واضح من تسميتها نسبة إلى حام بن نوح عليه السلام، وهي منتشرة في شمالي إفريقيا وشرقيها، تشمل اللغة البربرية، مثل ليبيا، وتونس، والجزائر والتوارج (الطوارق). واللغة المصرية القديمة قبل اتّصالها بالسامية واللغة الكوشيتية في شرق إفريقيا الحبشة والصومالية، ولغات الجالا والبدا ودنقلة، وغيرها، وهناك من جعل لغات هذه الفصيلة مستقلة لضعف الصلات بينها.⁽³⁾ قد تكون هذه الفصيلة أقل انتشارا مقارنة بالفصائل اللغوية الأخرى. والفصيلة السّامية: منشؤها سلالة سام بن نوح عليه السلام، تشمل اللغات البابلية والآشورية، والفينيقية، والآرامية، والعبرية، والحبشية، وكل ما تفرّع عنها.⁽⁴⁾ ينطلق الأستاذ عبد الغفار حامد هلال كمعظم الباحثين العرب ممّا جاء به اليهود، من أنّ العربية تنتمي إلى اللغات السّامية ويُفترض ألاّ يستمدّ الباحثون المسلمون معلوماتهم، من التّوراة المحرّفة إلاّ أنّ الواقع يعكس غير ذلك إذ معظم الدّارسين العرب ينقلون هذه النّظرية. وهناك تقسيم مولر وإن كان متأثرا بما قبله، وهو عنده ثلاث فصائل، هي الفصيلة الهندية -الأوربية الحامية -السامية، والفصيلة الطورانية، حيث تنفرّع كل منها إلى لغات.⁽⁵⁾ وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ الباحث (عبد الرحمن السليمان) فسّر مصدر تسمية السامية-الحامية «أما تسمية (اللغات السامية-الحامية)، التي كانت فيما بعد، فهي مركبة قياسا بأسرة (اللغات الهندية

¹ - بروكلمان، كارل. فقه اللغات السامية. تر: رمضان عبد التواب. المملكة العربية السعودية، جامعة الرياض، 1397هـ-1977م. دط. ص 11. كتاب إلكتروني، موقع: <http://kotob.has.it> بتاريخ: 16 أكتوبر 2014م.

² - ينظر: حامد هلال، عبد الغفار. العربية خصائصها وسماتها. ص 56، 57.

³ - ينظر: المرجع نفسه. ص 57، 58.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه. ص 58.

⁵ - المرجع نفسه. ص 112.

(الأوروبية) وهذا التصنيف غير دقيق».⁽¹⁾ وهذا لأنّ اليهود جعلوا الفينيقيين ضمن مجموعة الحاميين لوجود خلافات بينهم، في حين اتفق الباحثون جميعهم على أنّ الفينيقيين (الكنعانيين) من الجزيريين وهو ما يثبت زيف هذه التصنيفات وخضوعها إلى أهواء أصحابها. والفصيلة الطورانية: كالتركية والتركمانية والمغولية والمنشورية، وهذه اللغات لا تمثل في حقيقتها فصيلة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة.⁽²⁾ وهناك تقسيمات أخرى، منها الدراسة التي قامت بها جمعية علم اللغة بباريس في موسوعتها (لغات العالم) التي ذكرت تسع عشرة فصيلة.⁽³⁾ هناك تأثر واضح بالتقسيم السابق إلا أنّ الفرق يكمن في جمعه بين اللغات الحامية- والسامية التي فرّق بينها اليهود لأغراض معينة، وهنا يتأكد سيطرة هذه النظرية على مجال البحث في هذا المجال على الأقل في الدراسات التي اطلع عليها البحث، رغم أنّ بعض الباحثين العرب وضعوا تسميات أخرى مقابل السامية والحامية، « ولما كانت (اللغات السامية- الحامية) أثارت جدلا واسعا... فقد استبدلت في الأوساط البحثية بتسمية (اللغات الأفرو-آسيوية). أما نحن فنستعمل تسمية (اللغات الجزيرية) ونميز بين (اللغات الجزيرية الشرقية) كناية عن أسرة (اللغات السامية) وبين (اللغات الجزيرية الغربية) كناية عن أسرة (اللغات الحامية)».⁽⁴⁾ وهي تسميات لئن تعذر فرضها على العالم الغربي، إلا أنّ العالم العربي وجب عليه الالتزام بها في ساحة البحث العلمي، ولا شك أنّ استعمالها وانتشارها لديهم، من شأنه أن ينقل هذه التسمية إلى معجم الغربيين. ومن اللغويين العرب الذين أعادوا النظر في هذه التصنيفات، من زاوية أخرى الأب أنستاس ماري الكرمل، الذي ذهب إلى وجود علاقة بين اللغات السامية واليافتية، فيقول: « أجمع البصراء... وعلى رأسهم المستشرقون أنّ لا صلة ألبتة بين الألسنة السامية والألسنة اليافتية ولاسيما لغة قحطان فإنّها أبعد اللّغى عن الهندية الفصحى (أي السنسكريتية) عن كل لغة غربية. أما نحن فنخالف الجميع على الإطلاق، وقد وجدنا المشابهات بين العربية واللّغتين المؤتمتين (أي اليونانية واللاتينية) عظيمة جدا، وبلغ بنا الاستقراء إلى هذه القاعدة، وهي كل لفظة يونانية أو لاتينية ذات

1 - السليمان، عبد الرحمن. "اللغات والكتابات الجزيرية". ص 278.

2 - المطليبي، غالب. الموسوعة الصغيرة في علم اللغة. ص 113. وينظر: وافي، عبد الواحد. علم اللغة. القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، 2004م، ط9. الصفحات: من 197 - 206.

3 - ينظر للمزيد من التفصيل: وافي، عبد الواحد. علم اللغة. ص 206.

4 - السليمان، عبد الرحمن. "اللغات والكتابات الجزيرية". ص 278.

هجاء واحد أو هجاءين فلا بدّ من أن يكون لها مقابل في المضمرية وقد تتفق معاني اللفظتين كلّ الاتّفاق وقد تبتعد قليلا، وهذا لابدّ منه بعد نزوح الدّار، واختلاف العادات والأخلاق...»⁽¹⁾ قام المؤلف بسرد مجموعة من الكلمات وعقد مقارنة بين اللّغتين لإثبات نظريته، وهو ما يؤدي حسبه إلى إمكانية إدراج الفصيلتين ضمن فصيلة واحدة. هذه التّصنيفات في الحقيقة ستكون محلّ إعادة نظر، لظهور حقائق علمية أخرى ستدحضها لتأتي الحقيقة التي يحاول الغرب تأخيرها قدر المستطاع.

ستكون البداية مع ظهور تسمية (اللغات السامية)، « وأوّل من نادى بالنّظرية السامية بدءا من عام 1781 العالم النمساوي شلوستر (schloezer)، وقد استخلص هذه التسمية من الجدول الخاص بأنساب نوح عليه السلام الواردة في التّوراة... لكن العالم بروكلمان يقول إنّ بني إسرائيل هم الذين أقصوا الكنعانيين [الفينيقيين] عن جدول بني سام لأسباب سياسية ودينية مع أنّهم كانوا يعلمون حقّ العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية واللغوية المتينة».⁽²⁾ يذكر الباحث عبد الرحمن السليمان الرواية نفسها تقريبا، « ظهرت تسمية (اللغات السامية) سنة 1781م، وأطلقها المستشرق النمساوي... الذي أخذها عن التّصنيف التّوراتي للبشر، بعد الطوفان، أيّ نسبة لأبناء نوح عليه السّلام وهم: سام وحام، ويافث... وهذا التّصنيف غير دقيق في جميع الأحوال لأنّه يعتبر الفينيقيين الذين يتحدّثون لغة (سامية) حاميين، لأنّه كان بينهم وبين اليهود الذين دوّنوا التّوراة عداوات كثيرة. أضف إلى ذلك أنّ الزّنوج اعتُبروا من سلالة حام الملعون، لأنّ التّوراة تنسب إلى نوح عليه السلام لعنته حاماً... حسب التّوراة مما برّر للغرب فيما بعد استعبادهم».⁽³⁾ يلاحظ القارئ الكريم أنّ هناك نتائج وخيمة ترتبت عن هذا التّصنيف العرقي، انعكست على واقع الكثير من البشر الذين عانوا تبعاته، وهو ما يؤكّد مرة أخرى أنّ العالم يسير وفق معطيات ومعالِم خطها اليهود، وانتقلت إلى التنفيذ في ظل لاوعي جماعي، يجعل الباحث مسلّما راضخا، رغم إدراكه أو على الأقلّ شعوره بوجود خلل ما فيما يقوله وما يكتبه، ولكنه يواصل لسبب ما قد يجهله كما قد يعلمه، هذا المثال يوضح أنّ الغرب وظف معطيات كثيرة مغلوطة

¹ - الكرمل، الأب أنستاس. نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها. القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت. دط. ص 50.

² - ولفسون، إسرائيل. تاريخ اللغات السامية، تر: لجنة التّأليف والترجمة والنشر. القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1348هـ-1929م. ط 1. ص 2.

³ - السليمان، عبد الرحمن. "اللغات والكتابات الجزيرية". ص 278.

لإعلان سلطته وهيمنته على العالم، فالأصل أن تلغى هذه النظرية ويُقصى هذا التصنيف اليهودي لثبوت تحريفه للحقائق، ومنها إقصاء الفينيقيين من مجموعة اللغات الجزيرية، «علماً أنّ مختلف الدّراسات المقارنة، قد أظهرت الصّلات الجوهرية والوشائج المطلقة التي تشدّ الكنعانية [الفينيقية] إلى غيرها من لغات مشرقنا العربي القديم، ثمّ جاء بعد شلوستر من عمل على ترويح هذه التّسمية، وفي مقدّمتهم العالم الفرنسي (ارنست رينان)، بل راح (يفلسفها) عرقياً خدمة للمدرسة الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع عشر».⁽¹⁾ يؤيّد الباحث محمد محفل ما ذهب إليه الباحث جعفر دك الباب حول نظرية الأصل الجزيري للسان العربي، وذلك لأسباب علمية محضة ويرفض النظرية اليهودية لتأثرها بالدوافع السياسية والقومية.

التّسميات العربيّة البديلة لتسميّة السّامية:

يبدو أنّ التّسمية الشائعة، والتي طغت في ميدان البحث اللغوي على استعمالات الباحثين العرب كانت موضع نقد واستنكار، وهو ما جعل بعضهم يقترح بعض التّسميات، لتجاوز هذه التسمية القديمة «أما نحن فنستعمل تسمية (اللغات الجزيرية) ونميز بين (اللغات الجزيرية الشرقية) كناية عن أسرة (اللغات السامية) وبين (اللغات الجزيرية الغربية) كناية عن أسرة (اللغات الحامية) ... إنّ مصطلح (اللغات الجزيرية) أقرب إلى الحقيقة التاريخية من غيره من المصطلحات المستعملة للدلالة على هذه الأسرة اللغوية المهمة لأن أولئك الأقوام خرجوا جميعهم من شبه الجزيرة العربية كما يذهب أكثر الباحثين إلى ذلك. وهذه التّسمية ليست لنا، ذلك أنّ أوّل من أطلق مصطلح (اللغات الجزيرية) هو عالم الآثار العراقي، الأستاذ (طه باقر) في كتابه (من تراثنا اللغوي القديم- ما يسمى في العربية بالدخيل)».⁽²⁾ وقد أورد نصاً مقتبساً منه، ناقش فيه تسمية الأقوام السامية، «... بالاستناد إلى الرأي الذي أصبح حقيقة مجمعا عليها بين الباحثين الآن، وهي أنّ الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسمية الساميين، وأبرزهم الأكديون والكنعانيون والعموريون والآراميون والعبرانيون والفينيقيون وغيرهم، فالاسم الصّحيح من الناحية التاريخية والقومية والجغرافية هو أن نطلق عليهم (أقوام الجزيرة) أو (الجزيريين) أو (الجزيريين) أو (الأقوام العربية القديمة). فقد هاجروا من الجزيرة بموجات مختلفة منذ أبعد العصور

¹ - محفل، محمد. "العربية لغة وكتابة". ص 42.

² - السليمان، عبد الرحمن. "اللغات والكتابات الجزيرية". ص 278.

التأريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي، بحيث يصح القول: إنّ الأصول العربية فيها تطفئ على تركيب سكانها وعلى لغاتها».⁽¹⁾ والفكرة نفسها تأتي في كتاب آخر، «... ومن هنا فالمصطلح الصحيح، والذي يقترب إلى الدقة العلمية والبحث التاريخي هو الشعوب أو اللغات العروبية، وليست السامية، ومن الخطأ المنهجي الاستراتيجي استخدام قاموس المصطلح الغربي، وليس قاموس المصطلح العربي أو الإسلامي».⁽²⁾ ولا يعدّ هذا اجتهداً من الباحث؛ بل هي حقائق، حيث «... أكدت أبحاث علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، وبخاصة علوم التاريخ حقيقتين مترابطتين تتمثل الأولى في وجود مركز واحد لانطلاق وضع كل التجمّعات الأولى للإنسان التي شكلت العالم، بكلّ شعوبه وأممّه اليوم. أما الثانية فهي استحالة أن يكون هذا المركز إلا عربياً وفي المشرق العربي».⁽³⁾ كما أشار الأستاذ (خالد نعيم الشناوي) إلى جملة من الباحثين، الذين دعوا إلى إقصاء تسمية السامية، ومنهم الأستاذ (عباس محمود العقاد)، الذي اقترح تسمية الشعوب السامية بالعربية وتسمية لغاتها بالعربية القديمة. أما الأستاذ (نجيب البهيتي) في كتابه (المعلقة العربية الأولى) اقترح أقوام الجزيرة أو الأقوام العربية القديمة، على مذهب الأستاذ طه باقر. فيما يرى الأستاذ محمد خليفة التونسي أنّ مصطلح (العروبية) أقرب إلى الواقع اللغوي وهو مذهب الأستاذ علي فهمي خشيم الذي يراه بديلاً صالحاً لمصطلح اللغات السامية).⁽⁴⁾ وهو ما تبناه الباحث (خالد نعيم الشناوي)، «والحق أنّ مصطلح العروبية مصطلح موافق في صحة دلالاته اللغوية والتاريخية، فالعروبة هي التي تربط جميع الشعوب المهاجرة من الجزيرة، لأنّها جزيرة العرب ولأنّ العروبة صفة لتلك الخصائص اللغوية المشتركة بين لغات المهاجرين من أقوام... ولكي يستقر مصطلح العروبية في ذهن الباحثين ويستقر في الدراسات اللغوية الأكاديمية لابد من الشيوخ والانتشار، وهذا ما نسعى إليه».⁽⁵⁾ أما من الكتابات الحديثة في الجزائر، فاطلع البحث على مقال للأستاذ (عثمان سعدي) رئيس الجمعية الجزائرية لحماية اللغة العربية، «...وقد رأيت أن أستعمل هذا المصطلح أي مصطلح العروبية في هذه الدراسة. فاللغة العربية الأمّ تفرعت عنها لهجات كالكنعانية والآرامية والكلدانية والبابلية والأشورية

¹ - السليمان، عبد الرحمن. "اللغات والكتابات الجزيرية". ص 279. عن: باقر، طه. من تراثنا اللغوي القديم- ما يسمى في العربية بالدخيل. 1980 بغداد. ص 17.

² - ملوحي، ناصر محي الدين. عروبي.. وليس.. سامي. سوريا، دار الغسق للنشر، 1440هـ-2019م. ط. ص 9.

³ - ملوحي، ناصر محي الدين. وجيز كتاب اللغة العربية أصل اللغات العالمية. سوريا، دار الغسق للنشر، 1441هـ-2020م. ط. ص 8.

⁴ - ينظر: الشناوي، خالد نعيم. فقه اللغات العروبية وخصائصها. ص 52.

⁵ - المرجع نفسه. ص 53.

والحميرية والسبئية والعبرية والبربرية الأمازيغية وغيرها».⁽¹⁾ لاشك أن هذا الموضوع يستحق أكثر مما حُصص له، إلا أنه سيقف عند هذا الحدّ، تاركا المجال لدراسات أخرى متخصصة، فهو مجال خصب يستحق الإقبال عليه، ويستوجب جهودا كثيرة وحثيثة، للتمكن من نشر هذه الحقائق وترسيخها في الأذهان.

يعدّ موضوع أثر اللغة في الإنسان، ممّا يصلح أن يكون مدخلا للولوج إلى فضل اللغة العربية وهو من الموضوعات التي كثر حولها الكلام مؤخرا، وترجع بداياتها الأولى إلى فترة سابقة من الدراسات اللغوية الغربية في نهاية القرن الثامن عشر، وإن كان تتأول الموضوع أخذ أبعادا أخرى، لكن لا بأس بالمرور عبر بعض أفكار الباحثين الغربيين في هذا المجال باختصار، ليحطّ البحث عند أفكار الدارسين العرب، وقد سبق لأستاذي الفاضل (عبد الرزاق عبيد) الإشارة إلى هذا الموضوع ضمن أطروحته للدكتوراه، حيث توصل إلى أنّ « اللغة ... هي التي تشكّل العالم الداخلي والخارجي للمجموعات اللسانية، وتُشكّل كل ما يعرفه الأفراد سواء كانت هذه المعرفة أشياء مادية أو معتقدات أو تصورات أو أخيلة أو رؤى، كلّ ذلك يتولّد من اللغة، وكل لغة تلائم تمام الملاءمة الجماعة التي تتكلم بها، فهي التي تنظم لهم الكون، وتصنّفه وتبويه وتقدمه لهم من خلال مفرداتها وتراكيبها وأصواتها، وبالجملّة كامل أنظمتها التواصلية».⁽²⁾ ولا يتوقف دورها عند هذا الحدّ؛ بل هذه اللغة «... تمارس تأثيرها على الأمة وتصبح هي المتحكمة في تحديد نوع الثقافة وتوجيهها وتشكيلها وتصبح -وهذا هو الأهم- أعظم مكوّن من مكونات مفهوم الأمة، بقوة شكلها الداخلي».⁽³⁾ قد تكون بعض الدراسات الغربية السابقة، مصطبغة بطابع عرقي عسبي، وهو ما كان عائقا أمام هذه النظريات لترتقي إلى حقائق، يؤخذ بها في مجال البحث العلمي، ورغم وجود علماء اعترضوا على هذه الفكرة، إلا أنّ الواقع يؤيدها ويؤكدّها، وقد وظفت هذه النظريات للأسف للتأثير سلبا على بعض الشعوب واستعبادها، وهي آراء يؤكدّها ما توصل إليه علماء اللسانيات الاجتماعية وعلماء النفس وغيرهم. ومن الكتب التي خاضت في هذا الموضوع كتاب

¹ -سعدي، عثمان. " اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها: مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده". الندوة الدولية حول الفصحى وعامياتها. ص 109.

² - عبيد، عبد الرزاق. الحقول الدلالية في المعاجم العربية: "فقه اللغة" للشّعالبي (أنموذج). ص 6.

³ - المرجع نفسه. ص 18.

طريف عنوانه (عبر منظار اللغة) لصاحبه دويتشر غاي (Guy Deutscher)* « حاول هذا الكتاب أن يبين تأثير التقاليد الثقافية في مجتمعنا على مظاهر جوهريّة، من فكرنا من خلال الأدلة التي توفرها اللغة وذلك بدرجة أكبر ممّا هو شائع اليوم... فقد وجدنا أنّ التقاليد اللغوية لمجتمعنا، لها أن تؤثر على جوانب من تفكيرنا تفوق حدود اللغة ذاتها، فتأثير اللغة المثبت في التفكير يختلف كثيرا عما كان رائجا في الماضي».⁽¹⁾ قد يكون الحديث عن هذا الموضوع في الآونة الأخيرة أكثر واقعية، ذلك أنّ نتائجه ممّا يشاهد ويلمس بين الناطقين باللغات المختلفة، ويبقى الاختلاف في طبيعة المؤثر هل هي اللغة بوصفها أداة تواصل، أو بما تحمله أو توحى إليه من عقائد، أو ببنيته ونظامها الداخلي، لا يهمّ البحث من كلّ هذا إلا أن يؤكد تأثير اللغة فعلا في أصحابها إيجابا وسلبا، «... وتبين خاصة أنّ اللغة هي التي تؤثر على سلوكهم وتصرفاتهم، وتسيطر على أفعالهم، وتنظّم أفكارهم. وبقدر ما تكون اللغة أداة للبناء والتقويم تكون وسيلة للتهديم والتقويض في الآن ذاته».⁽²⁾ أما الطريقة التي يتمّ بها التأثير، فتختلف من لغة إلى أخرى، وتبعا لمستعمل اللغة، إذ كثيرا ما تؤثر اللغة في شخصية أصحابها، كيف لا! وهي الوعاء الذي يستوعب أفكار الشعوب ومشاعرهم وحضاراتهم. وإلى هذا ذهب الأستاذ (صالح بلعيد) «... وما يهمّ هنا التركيز على حقيقة أنّ اللغة تؤثر على تشكّل الشخصية الإنسانية على كل المستويات بل وتؤثر على الانفعالات والأحاسيس والذائقة، وحتى على منظومة القيم والعلاقات الاجتماعية وغالبية تأثيرات اللغة هذه تعمل في اللا شعور...».⁽³⁾ كما أكّد هذه الحقيقة في كتابه (في النهوض باللغة العربية) « وإنّ الذي يعبرّ بلسان قوم يفكر بعقلهم، ويتمدرس بثقافتهم، وتصاغ شخصيته وفق معاييرهم».⁽⁴⁾ إلا أنّ هناك من يجعل التأثير متبادلا بين اللغة وأهلها أو مستعملها عموما، « فاللغة هي مرآة الشعوب تتناقلها الأجيال اللاحقة عن السابقة، وهناك من يرى أن الشعب هو الذي يؤثر في اللغة، وهناك من يرى خلاف ذلك وهو أنّ اللغة هي التي تصنع فكر الشعوب، وهناك موقف وسط يؤكد تأثير كليهما في

* هو أستاذ جامعي ولساني إسرائيلي الأصل يعيش بهولندا يعمل بجامعة لايدن.

1 - دويتشر، غاي. عبر منظار اللغة: لم يبدو العالم مختلفا بلغات أخرى. تر: حنان عبد المحسن مظفر. الكويت، عالم المعرفة 1436هـ - 2015م. ط. ص 255، 256.

2 - عبيد، عبد الرزاق. الحقول الدلالية في المعاجم العربيّة: فقه اللغة للشعالي (أنموذج). ص 44، 45.

3 - بلعيد، صالح. منافحات في اللغة العربية. ص 13.

4 - بلعيد، صالح. في النهوض باللغة العربية. ص 9.

الآخر»⁽¹⁾ وهو الرأي الأقرب من الواقع، ذلك أنّ اللغة يعمل فيها أهلها بما يجعلها تسائر احتياجاتهم وهنا هي مجرد أداة طيعة بين أيديهم، خاضعة لهم، لكنها بعد ذلك تعمل فيهم، فإن كان تأثيرهم فيها إيجابيا فسيكون تأثيرها من جنس تأثيرهم، فينتج التأثير الإيجابي المتبادل، والمقصود بالتأثير الإيجابي إثراء اللغة بما يبقّيها متلائمة مع متطلبات العصر، وإحاطتها بالرعاية والاهتمام، والحرص على تناقلها بين الأجيال والعكس إذا كان التأثير سلبيا. إلّا أنّ السياق الذي يجري حوله الحديث يأخذ وجهة أحادية وهو تأثير اللغة في أهلها وعليهم. أما، وقد تجلّى دور اللغة عموما في توجيه حياة الأفراد والتأثير في سلوكهم فيمكن التساؤل عن تأثير اللغة العربية في أهلها، وما توفّره لهم من دعم روحي وعلمي ومعرفي ومعنوي. وهل يمكن الحديث عن تأثير سلبي لها؟

ستكون البداية بالوقوف على أقوال تصوّر اعتزاز العرب القدامى بلغتهم العربية، والأهمية التي حظيت بها بين أظهرهم، « وقد أجمع علماء الدين على ضرورة تعلّم اللغة العربية، وكذلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ف « عن عمر رضي الله عنه (ت 23هـ): أنّه قال: تعلّموا العربية فإنّها من الدين...»⁽²⁾ وهذا ممّا أثر في العلماء الذين جاؤوا من بعده. وهنا تشهد المؤلفات التي تركها الأوّلون في اللغة العربية على قدرها والمنزلة التي أنزلت فيها فهذا (الخليل ابن أحمد الفراهيدي) (ت 170هـ) يُعرض عن الدّنيا، ويلتفت إلى العربية باحثا فيها ومستكشفا خباياها، ومؤسسا لفروع كثيرة، بداية من الصوت والعروض والصرف والنحو والمعجم وغيرها. وليس تلميذه بأقلّ منه خدمة للغة العربية، وهو صاحب الكتاب (سيبويه) (ت 180هـ)، رغم أنّه كان فارسيا، وهما يجمعان بين اهتمامهما باللغة العربية وعلوم الدين، وغيرهما كثير. ومنهم الإمام (الشافعي) (ت 204هـ) الذي يرى أنّه، « على كلّ مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتّى يشهد به أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، ويتلوّ به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التّسبيح والتّشهد، وغير ذلك»⁽³⁾. وقد يكون هذا سرّ اهتمام معظم اللّغويين بالقرآن والحديث والفقه، وغيرها من علوم الدين. فلم يكن القدماء يفصلون بين العربية والقرآن العظيم.

¹ - voir : Garmadi, Juliette. La sociolinguistique. Paris. Presse universitaire de France. 1981. 1^{er} édition. P22.

² - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ص 528.

³ - الشافعي، المُطليبي محمد بن إدريس، الرسالة. تح: أحمد محمد شاكر. القاهرة، منشورات مصطفى البابي الحلبي، 1358هـ-1940م. ط 1. ص 48.

ومما ورد قول الجاحظ (ت255هـ) « ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنق ولا أذ في الأسماع ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان ولا أجود تقديماً للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء». ⁽¹⁾ وهنا يربط الجاحظ بين اللغة العربية وسلامة العقل والتبيين عن مكنون الكلام. أما أبو حيان التوحيدي (ت414هـ) فينطلق من لفظها قائلاً: « وقد سمعنا لغات كثيرة وإن لم نستوعبها، من جميع الأمم كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاّب وأندلس والزنج، فما وجدنا لشيء من هذا نصوع العربية، أعني الفُرج التي في كلماتها والفضاء الذي نجده بين حروفها...». ⁽²⁾ وهنا لا يهتم من هذا القول صحته من عدمها، وإنما المبتغى من الاستشهاد به، هو نظرة العربي قديماً إلى لغته وتكريمه إياها. فكما أحسنوا إليها أحسنت إليهم.

وقد حرص القدامى على تعلم اللغة العربية والتفقه فيها وتحبيبها إلى الناس، ومنهم العلامة الثعالبي (ت429هـ)، الذي أورد في مقدمته « أما بعد حمد الله على آلائه، والصلاة والسلام على محمد وآله، فإن من أحبّ الله، أحبّ رسوله المصطفى ﷺ ومن أحبّ النبي العربيّ، أحبّ العرب ومن أحبّ العرب، أحبّ اللغة العربية، التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربية غني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وأتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أنّ محمداً ﷺ خير الرسل والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة». ⁽³⁾ يلاحظ أنّ القول لم يقتصر على الإشادة بالعربية والاعتزاز بها؛ بل به دعوة إلى خدمتها، وقد يرى البعض فيه عصبية، إلّا أنّ هذا يزول عندما يقف ملياً عند قوله « التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب»، فهو لا يفرق بين العجم والعرب، لأنّ القرآن الكريم كتاب عالمي، وبديهي أن تكون لغته تبعا لذلك لغة للعالمين، فكل مصدق بالقرآن الكريم، سيسلم بنفس طيبة راضية لهذه الحقيقة، التي تتأى عن العصبية وتوحد الجنسيات، فليس العربي بهذا المعنى هو من ولد أو نشأ في منطقة عربية بعينها، وإنّما يلحق الإسلام غير العربيّ بالعرب، ولا تلحق العربية غير العرب

¹ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تح: عبد السلام هارون. القاهرة، مكتبة الخانجي، دت. ج1. ص 145.

² - التوحيدي، أبو حيان. الإمتاع والمؤانسة. تح: أحمد أمين وأحمد الزين. المملكة المتحدة، شركة هنداوي، 2017م. دط. ص 92.

³ - الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت430هـ. فقه اللغة وأسرار العربية. تح: ياسين الأيوبي. بيروت صيدا المكتبة العصرية، 1420هـ-2000م. ط2. ص29.

بالإسلام بالضرورة. ♦ أما (السرقي) (ت 455هـ) فرأى أن « أشرف ما عني به الطالب بعد كتاب الله عز وجل -لغات العرب وآدابها وطرائق حكمها، لأن الله تبارك وتعالى اختارها من بين اللغات... ثم جعلها لغة أهل دار المقامة في جواره ومحل كرامته فهي أفصح اللغات لسانا وأوضحها بيانا وأقومها مناهج وأثقفها أبنية وأحسنها بحسن الاختصار تألقا وأكثرها بقيام أفعالها تصرفا». ⁽¹⁾ ينطلق هذا القول من مبدئين أولهما: اقتران أفضلية اللغة العربية بالمبدئ العقائدي، وثانيهما: ما تميّزت به من سمات بوّاتها أسمى المراتب وألبستها أبهى حلة.

يعتقد الكثيرون أن فضل اللغة العربية لا يتجاوز المجال العقائدي، وتمتين صلة العبد بخالقه ولو كان ذلك وحده لكفت ووقت، فإن أهم ما ينبغي أن يشغل الألباب والقلوب، هو علاقتها بالبارئ جلّ وعلا، وسبل الوصول إليه، إلا أن فضلها لا يقتصر على الجانب الروحي والشرعي؛ بل يمتدّ حسب بعض العلماء إلى الجانب العقلي والعلمي، فذكروا أنها تؤثر في شخصية صاحبها، فتزيده قوة ورجاحة عقل. وهناك أقوال كثيرة وردت في هذا، منها قول ابن تيمية (ت 728هـ): « واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بيتنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق». ⁽²⁾ كذلك يقول ابن تيمية: «... ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنه اللسان الأولى بأن يكون مرغوبا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية». ⁽³⁾ ففائدة اللغة العربية ممتدة إلى سائر مجالات الحياة، وعلى المستوى النفسي يتمتع المتمكن من اللغة العربية بهوية راسخة، لا تخضع للمؤثرات مهما كانت.

لعلّ ما ذكر آنفا في حظ العربية لدى أهلها القدامى غيض من فيض، إذا ما قيس بما قيل فيها نثرا وشعرا. فترى هل حافظت الأجيال اللاحقة على هذا الودّ لسانهم العربي المبين؟ لا شك أن هناك من العرب الذين أخلصوا للغتهم، واعتزوا بها وذادوا عنها ونافحوا فيها ومن أجلها. وكم من الشعراء مدحوها، وكم من الجهود بذلها المحدثون، سواء في مجال تعليمها أو في مجال دراستها، وهي بأمسّ

♦ من الأحاديث الضعيفة الواردة في هذا الباب، أن نبينا رسول الله ﷺ قال: « ليست العربية لأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي من اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي».

¹ - بلعيد، صالح. منافحات في اللغة العربية. ص 11. عن كتاب الأفعال، ج 1. ص 51.

² - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ص 527، 528.

³ - المرجع نفسه. ص 521.

الحاجة إلى التفات أهلها إليها بعدما هجروها إلى غيرها، ومن الباحثين المعاصرين المهتمين باللغة العربية والمدافعين عنها، أستاذي الفاضل الدكتور (صالح بلعيد) الذي ألف كتابا كثيرة حول اللغة العربية والهوية، ولعل كتابه (منافحات في اللغة العربية) لخير دليل على ذلك، وهو كتاب جمع فيه أحسن ما قاله فيها القدامى والمحدثون، وكم هو جميل ما جاد به في مقدمته، « ولقد شدتني هذه الأمور، وأحسست بأن الإهمال الذي بدأ يعلق باللغة العربية ونحن لاهون، وأخذتني نزعة المقرّي لأنافح وأدافع عن اللغة العربية، وهي تعيش المعاناة باتخاذ كلمات سوانح انتقيتها من اشتعال الجوانح، ومن الألفاظ البوارح بين أشغال الجوارح، للحديث عن التحف التي يحصل لناظرها الإمتاع والمؤانسة في اللغة العربية وحسبي بهذا أن أثير همما نائمتا، ونفوسا يائسات، وأزِيل تلك الأقوال الرنانة ولا تشبع الفضول». (1)

يعبر هذا القول عن منزلة اللغة العربية في نفس الأستاذ الباحث (صالح بلعيد)، إذ يحاول رد الاعتبار للغة العربية، وليس ذلك فحسب؛ بل يدعو الغافلين منا إلى الاستيقاظ من غفلتهم، والعمل على بعثها من جديد، كما أكد أكثر من مرة على أهميتها، «... على اعتبار أن اللغة هي ما يعبر عن كينونة الإنسان ولهذا حاول المستعمرون حيثما حلوا في البلاد العربية على اجتثاث العربية وإحلال لغاتهم... لأنهم أدركوا أن في هذه اللغة عبقرية لا تماثلها عبقرية لغاتهم الأصل، وأنها تستجيب لمطالب العصر دون إشكال إلى جانب القرآن الكريم». (2) يدعونا هذا الكلام إلى التفكير جدّيا والانتقال من القول إلى العمل. كما أكد في كتابه اللغة الجامعة أن اللغة العربية مصدر للاستقرار النفسي والطمأنينة والاعتزاز. (3) ولا ريب أن هذا لا يتأتى لها إلا لاتصالها بكلام الله العليّ العظيم القدير.

ومن المحدثين في المشرق، ذكر اللغوي تمام حسان فضل اللغة العربية من جهة ما تُحدثه من وحدة بين أهلها، «... وإحساس الخلف بجهة شراكة لغوية بينه وبين السلف، كفيل بخلق إحساس بالوحدة الشعبية بينه وبينه... الواقع أن لبعض العرب الآن من العلم بتاريخ عائلته ما يدعوه إلى الجزم بأنه غير عربي النسب، ولكنّه مع ذلك يحسّ بعروبه... لماذا؟ لأنّ العربية لسان كما ورد في الحديث ولأنّ رابطة اللغة أقوى من أيّ رابطة اجتماعية أخرى... واللغة سلاح من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على

1 - بلعيد، صالح. منافحات في اللغة العربية. ص 4.

2 - بلعيد، صالح. في النهوض باللغة العربية. ص 180.

3 - بلعيد، صالح. اللغة الجامعة. ص 9.

الأفكار والأشياء وما أمر الدعاية بالخطب والإعلانات... ولقد حاربنا المستعمرون قديما بأن غرسوا في نفوسنا احتقار اللغة العربية، فأفقدونا ثقتنا بأنفسنا وبتاريخنا ومستقبلنا، وأصبح الكلام بلغتنا موضع تنذر⁽¹⁾. وبالعكس بأن معرفة العربية والتحكم فيها يشعر صاحبها بالثقة، والانتماء إلى أمة الإسلام كيف لا وهو قادر على تدبر آيات البارئ الحكيم، وأحاديث نبيّه الكريم صلوات الله وسلامه عليه. فليس الذي يقرأ القرآن، وهو يفهمه كمن يقرؤه وهو جاهل لما فيه، يكفي أن تتأمل الحرقه التي يجدها كبار السن الذين لم يتعلموا العربية، وهم عاجزون عن قراءة رسالة الله تعالى إليهم وستعرف فضل تعلم العربية وعظمتها، حين يحدثك هؤلاء الشيوخ -وقد نجحوا في خوض غمار التحدي- وتعلموا لغة القرآن عن فرحتهم وحبورهم، فرحة قلما يجدون لها من الكلمات ما يسعفهم ويفيها حقها من القول إنما تلمسها في بريق أعينهم، وعلى أسارير وجوههم وهم يتصفحون هذا الكتاب العظيم، الذي طالما قلبوا صفحاته، وهم يرون فيه مجرد حبر، خطّ كلمات عظيما، عجزوا في يوم من الأيام عن فك رموزها، وهامهم الآن يلجون إليها فتكشف لهم أسرارها، يحاورونها وتحاورهم، وتنتقل لهم وحي السماء فيحسون قربا ودنوا من الخالق البارئ، ولا يدرك قدر اللغة العربية من أهلها بخاصة إلا من حُرّمها، ولهذا يجب التمسك باللغة العربية، وبكل ما تحمله من عقيدة وحضارة راسخة وقيم شامخة هو المعين الذي لا ينضب فـ« اللغة العربية أم، أم ثانية، وهي التي تقود فينا البصيرة، كي نعرف أين الطريق؟ وإلى أي مدى يمكن أن تصل هذه الأوطان؟ إنها بصيرة الناجين من إيقاع الجماعات إلى وجه الأم الذي نؤمن به جميلا وقويا»⁽²⁾. فاللغة العربية من شأنها أن تغرس الثقة في النفس، والاعتزاز بعروبيتها وقيمها، وبها تقاوم الذوبان في شواطئ حرية الأديان. أما العجيب في الأمر، فهو أن يتعلم المسلمون العرب أهمية تعلم العربية من غير العرب، فقد اهتم المستشرقون بتعلم اللغة العربية وتعليمها منذ القرون الوسطى ومازالوا يتعلمونها بل يؤلفون كتباً لتعليمها، وهناك مناهج حديثة توضع لتعليمها للناطقين بغيرها، ولا يكون هذا إلا لفائدة أو فوائد يجنونها من ورائها.

ومما ورد عن تقرير حالة اللغة العربية على لسان المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة: « إنني

¹ - تمام، حسان. مناهج البحث في اللغة. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، دط. ص 1، 2، 3.

² - وزارة الثقافة والشباب. تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها. الإمارات العربية المتحدة. دت. ص 8. (كلمة الشخبة مي محمد آل خليفة رئيسة هيئة البحرين للثقافة والآثار).

أرى اللغة العربية اليوم مثل بوابة عبور إلى تراث ثقافي غاية في الثراء والتنوع وأجد فيها مقدرات هائلة نحو توطيد أواصر التعاون بين الشعوب وتحقيق السلم فيما بينها...»⁽¹⁾ وهذا يعبر عن ضرورة تعلم اللسان العربي، « وإنّ مسألة اللغة العربية تحتاج إلى توعية المواطن بأهمية لسانه، وما يقدمه اللسان العربي من سيادة إضافة إلى أن التتمية في كل بلاد العالم لم تحصل باللسان الأجنبي بتاتا. فيجب أن ننقل إلى المواطن العربي الحقيقة المرة... أمة أكرمها الله بلغة كلام العرب فتكرت للغة تحمل كلام الله. وكان علينا -نحن المثقفين- الوعي والتوعية بأن اللغات الأجنبية ثوب مستعار سيعود يوما إلى صاحبه، ولا تعطي اللغات الأجنبية من العلوم إلا القشور...»⁽²⁾ فلن يُحترم العربي الذي يغيّر جلده ويتصل من لغته، ويلجأ إلى لغة غيره، وهنا لا يُقصد البتة الاعتراض على تعلم اللغات الأجنبية؛ بل هو مما ينشده النبي، إنّما المقصود هو اعتزاز المرء بلغته، والحرص على تعلمها وإتقانها، « يقول أحد المعاصرين: إنّ اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان، وكل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا... ففي المحافظة عليها محافظة على الدين والجنسية»⁽³⁾ وهذا ما يصنع لهم هويتهم وانتماءهم وهيتهم بين الأمم.

عموما، فإنّ فضل تعلم اللغة العربية يكون على مستويات كثيرة، تبدأ من الفرد في صلته بخالقه ونفسه ومحيطه، وصلته بنفسه ونظرته إلى ذاته، فكيف تتوقع أن يحترم الإنسان نفسه ولغته مهانة محترمة، ومما تعين عليه تمكينها صاحبها من التواصل مع أكبر عدد ممكن من الشعوب الإسلامية والعربية. وكذلك هي لغة علم تنقل بها المعارف والعلوم. وبعد هذه الرحلة عبر صفحات الكتب والدراسات التراثية والحداثيّة، التي إنّما أكدت وحدة الفكر البشري واتّصاله في كل مكان وعبر جميع الأزمان، رغم اختلاف ومضاته، ونتاجاته. ومن هنا وجب التعريف باللغة العربية والحرص على معرفتها واستكشافها.

¹ - وزارة الثقافة والشباب. تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها. ص 6. (كلمة المديرية العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة أودري أزولاي).

² - بلعيد، صالح. الأمم الحية أم قوية بلغاتها - نماذج تجارب ناجحة -. الجزائر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي وزو، 2012م. ص 7، 8.

³ - بلعيد، صالح. الاهتمام بلغة الأمة - العبرة من الفرنسيين -. الجزائر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر. 2016م. ص 6.

1-تعريف اللغة العربية الفصحى:

1-1- تعريف اللغة:

قبل تعريف اللغة العربية لا بأس بوقف عند بعض تعريفات اللغة، إذ تُرجع المعاجم العربية كلمة "لغة" إلى الجذر (لغو)، فعن العلامة ابن منظور، أن الأزهري قال: «واللغة من الأسماء الناقصة وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم». وورد كذلك، واللغة اللسن...⁽¹⁾ ولم ترد كلمة (لغة) في القرآن الكريم، وإنما وردت كلمة (لغو) و(لاغية). أما أكثر التعريفات الاصطلاحية الشائعة قديماً وحديثاً، فهو قول العلامة ابن جني (392هـ): «إن اللغة أصوات يعبر بها، كل قوم عن أغراضهم». وهو من أهم التعريفات القديمة المطابقة، لما توصلت إليه اللسانيات، إذ يجمع بين الجانب الصوتي والاجتماعي للغة.

اشتهر لدى الغربيين، تعريف دي سوسور (Ferdinand de Saussure) أن، «اللغة نتاج اجتماعي للقدرة اللسانية، ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها المجتمع، لتمكين الأفراد من أداء هذه الملكة...»⁽²⁾ ويواصل في موضع آخر أن «اللغة نظام من العلامات المعبرة عن الأفكار ومن هنا يمكن مقابلتها بالكتابة، وألفبائية الصم والبكم، والطقوس الرمزية... إلا أنها الأهم من بين هذه الأنظمة»⁽³⁾ ولعل هذا التعريف، هو منشأ المبدأ اللساني، القائل بأن اللهجة لغة، ومن هذا المنطلق يجب إعادة النظر في هذه المصطلحات اللسانية وضبط مفاهيمها، إذ قد يكون -حسب هذه الآراء- إطلاق مصطلح (لغة) (la langue) على الاستعمال اللغوي الرسمي فيه نظر، بما أن كل ما يستعمله الفرد للتعبير عن آرائه ومشاعره هو لغة. في حين يستعمل بعضهم مصطلح (لغة) مقابل (langage) وهناك من يقابله بـ (اللسان)، وقد وردت آيات قرآنية كثيرة، بهذا اللفظ (بلسان عربي مبين) وليس (بلغة عربية مبينة)، وقد فرق العرب القدامى بين اللسان واللغة بوصف اللغة الجانب العملي والاجتماعي للسان، تختلف في أدائه المجموعات اللغوية المنتمية إلى ذلك اللسان بعينه، وهذا ما يفسر قولهم: لغة من اللغات، ولم يقولوا لسان من الألسن.

بالعودة إلى الأصل اللغوي للغة، وهو لغا بمعنى تكلم، فتكون عندها اللغة بهذا المفهوم، فعلا

¹ - ابن منظور، لسان العرب. مادة (لغا).

² -De Saussure, Ferdinand. COURS DE LINGUISTIQUE GENERALE. ALGER, ENAG EDITIONS, 1994. 2^{em} edition. P23.

³ -ibid. P 33.

هي لهجات يؤديها أصحابها بطرائق مختلفة، وتصبّ في اللسان نفسه، ويصعب تصوّر الحياة دون لغة، وما أجمل ما قاله أستاذي الفاضل عبد الرزاق عبيد في هذا الشأن، «واللغة إحدى الأشياء القليلة التي تلازم الإنسان في صحوه ونومه، في حلّه وترحاله. ولشدة سيطرتها عليه، جعل الله سبحانه وتعالى من علامات الإيمان والتوبة: الصوم عن مخاطبة الآخرين. قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (26)»، [سورة مريم]. واللغة بمقدار ما هي فردية وخاصة، فإنّها جماعية وعامة، نأتي إلى هذا الكون، فنجد اللغة في انتظارنا، وما تفتأ أن تصبح أداتنا الأولى وللجماعة التي ننتمي...»⁽¹⁾ وهو ما يبيّن أهمية اللغة، فلا يُتصوّر قومٌ دون لغة، وبما أنّها هي وعاء أفكارهم ومشاعرهم، فإنّ المتكلّم في الحقيقة، يسلم أفكاره للغة لتتولى نقلها إلى المتلقي، وكذلك تنقل أفكار الآخرين إليه، وهنا ستنجح إشكالية مدى وفاء هذه اللغة لما تحمله، وقدرتها على تبليغ الأفكار والمشاعر بأمانة؛ وكم مرة عجز المتكلّم أو الكاتب عن إيجاد كلمات تبليغ مراده، وكم مرة فهم المتلقي غير ما أراده الملقي، ولا شكّ أنّه ما من أحد لم يمرّ بلحظة أو لحظات خائنه فيها الكلمات والعبارات، أو أساء فهم كلام الآخرين، أو أسيء فهم كلامه.

لكن الإشكالية الأخطر؛ هي انفتاح هذه اللغة على ثقافات أخرى، وهنا تتحوّل هذه اللغة التي وُجدت لخدمة صاحبها إلى سلاح ذي حدّين، حدّ يبني وآخر يهدم، ولاسيّما عندما تُشحن بألفاظ معينة مثل: (ألفاظ العنف، والاحتقار، والهيمنة)، وغيرها. وللأسف فإنّ العالم يدفع ثمن كلّ تلك الترسّبات اللغوية، التي حشا بها العالم الغربي عقول الشعوب، ولاسيّما الشباب منهم، إذ كثيرا ما يجد المرء نفسه يستعمل ألفاظا، ليست من ثقافته ولا من معتقداته، وقد يكون جاهلا بذلك كل الجهل، إلّا أنّ هذه الألفاظ هي التي ستشكّل أفكاره وسلوكه على مراحل بطريقة لاشعورية، ولا يقتصر هذا على المفردات؛ بل انتقل إلى التراكيب، التي تؤكّد تأثر اللغة بالثقافات التي تحتكّ بها، وتأثيرها في متكلميها، ولعلّ أبسط مثال عبارات الترحيب المنتشرة حاليا: (سيّداتي وسادتي... مرحبا...)، والتي كانت تنطلق سابقا من عقيدة المسلمين وثقافتهم، فيكون الترتيب بالعكس، "سادتي وسيّداتي...مرحبا". ولعلّ هذه الفكرة في حدّ ذاتها

¹ - عبيد، عبد الرزاق. "العربية الفصحى والعامة: متن اللغة لأحمد رضا (أنموذج)". في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ندوة دولية بعنوان: الفصحى وعامياتها: لغة التّخاطب بين التقريب والتّهديب، ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية، يومي 4، 5 يوليو 2007م - 2008م. ص 316.

تحتاج إلى دراسات لمناقشتها، سيأتي بيان عن اللغة العربية، بتتبع بعض تعريفاتها، وأهم ما قيل حولها.

1-2- اللغة العربية في المعاجم العربية:

لا يمكن تعريف اللغة العربية دون المرور من الوحدات الصغرى التي تُبنى بها وعليها، وهي الألفبائية أو حروف الهجاء، حيث تعتمد اللغة العربية الفصحى على هجاء يتكوّن من تسعة وعشرين (29) حرفا، وهناك من يقول ثمانية وعشرين (28)، تبدأ بالهمزة وتنتهي بالياء، ويبدو أنّ هناك فرقا بين ترتيب المشاركة والمغاربة. يقول القلقشندي: «واعلم أنّ ترتيب الحروف على ضربين: مفرد ومزدوج وبين أهل الشرق وأهل الغرب. أمّا المفرد عند أهل الشرق: ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، لا، ي. والمفرد عند أهل الغرب هو: ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و لا ي»⁽¹⁾ إلا أنّ الشائع حاليا، هو الترتيب المشرقي، باعتبار المغاربة أكثر تأثرا بما ينتجه المشاركة في اللغة العربية وتوحيدا للألفبائية، كما أنّ الترتيب المشرقي أكثر ملائمة كونه يعتمد على التوافق الشكلي للحروف.

أما (المزدوج عند أهل المشرق: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ضطغ)، أمّا المزدوج عند أهل الغرب، فهو: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ظغش)⁽²⁾ إلا أنّ الترتيب المعتمد عموما هو ترتيب المشرق، ولعلّ ما يجب التنبيه إليه، هو توظيفه في حساب الجمل، حيث تتحوّل هذه الحروف إلى قيم عددية، يرمز إليها كلّ حرف من حروف الأبجدية، التي كانت تستعمل عند العرب للدلالة على الأحداث وللتأريخ.⁽³⁾ سيرد ذكرها في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

يُميّز العلماء حديثا بين الصّوائت والصّوامت. أمّا الصّوائت فتتمثّل في: (الفتحة والضمة والكسرة وحروف المدّ الألف، والواو، والياء). أمّا الصّوامت، فهناك من جعلها تسعة وعشرين (29) حرفا، يقول سيبويه: «هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها. فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: (الهمزة، والألف، والعين، والحاء، والغين، والخاء

¹ - القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى. القاهرة، المطبعة الأميرية، 1322هـ-1914م. ط. ج. 3. ص 22.

² - المرجع نفسه. ص 22.

³ - ينظر: بديع يعقوب، إميل. المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها. بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، 1985م. ط. 2. ص 34.

والكاف، والقاف، والضاد والجيم والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والذال والتاء، والصاد والزاي، والسين، والطاء، والذال والتاء، والفاء والباء والميم والواو».⁽¹⁾ ومنهم من حدّدها بثمانية وعشرين حرفا، يقول اللّغوي كمال بشر: «أما النّظام الثّاني للألفباء العربيّة، فهو الذي تسير عليه وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربيّة، وألفباء هذا النّظام تتألّف من ثمانية وعشرين رمزا فقط، فلم تُذكر فيه الواو والياء إلّا مرة واحدة، ولم تأخذ في حسابها الألف في (لا)، مكتفية بالألف الموجود في أوّل الألفباء على أن يؤدي وظيفتين مختلفتين (اسما ورمزا)، فيطلق على الهمزة، وعلى الفتحة الطويلة (ألف المدّ) كليهما. ويكون لفظ (الألف)، حينئذ من قبيل المشترك اللّفظي، كما قرّر ذلك حنفي ناصف... وهذا النّظام -في رأينا- أوفق وأقرب إلى الواقع...».⁽²⁾ وهو النّظام المعمول به في العالم العربي بأسره - في حدود العلم- والله أعلم.

بعد التّعرف على أصوات العربية، لا بأس أن يقف البحث عند كلمة (العربية)، حيث لوحظ حين العودة إلى معجمي لسان العرب والوسيط، عدم وجود تعريف لها، إذ اكتفى الأوّل بقوله: «العربيّة هي هذه اللّغة».⁽³⁾ وهو ما قد يُفسّر بعدم حاجتها إلى تعريف، على الأقل في نظر العلامة ابن منظور. أما الثّاني، فلا وجود لهذه الكلمة فيه، إنّما أشير إليها في آخر تعريف كلمة (العرب)، «أمة سامية الأصل، كان منشؤها شبه جزيرة العرب، ج (أعرب) والنّسب إليه عربيّ، يقال: لسان عربيّ ولغة عربيّة».⁽⁴⁾ ومن جملة ما ذكر «عرب- عربيا: فُصِحَ بعد لُكنة. عرب النّهر ونحوه كثر ماؤه، فهو عارب».⁽⁵⁾ عموما تدور معاني هذه الكلمات حول الإبانة والفصاحة والكثرة، فيمكن القول إنّ اللغة العربية: لغة بيان وإفصاح، وهي ثرية من حيث المفردات، حافظت على نظامها من أيّ تحريف قد يلحق بصوتها أو صرفها أو نحوها.

أما كلمة (فصحى أو فصيحة)، فالأولى كما يلاحظ القارئ الكريم جاءت على صيغة التفضيل وهو ما يعني به أهلها، أنّها أفصح اللّغات، والكلمة الثّانية صيغة مبالغة. اتّفق معجم لسان العرب

1 - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. تح: محمد كاظم البكّاء. بيروت-الإمارات، منشورات زين الحقوقية والأدبية-دار الكتاب الجامعي، 1435هـ-2015م. ط1. مج5، ص 728.

2- بشر، كمال. دراسات في علم اللّغة. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 1998م. ص 49.

3 - ابن منظور. لسان العرب. باب العين، مادة (عرب).

4 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (عرب)

5 - المرجع نفسه. مادة (عرب)

والوسيط على المعاني الرئيسة لهذه الكلمة، ومما ورد في لسان العرب، « الفصاحة: البيان، فصَحَ الرَّجُلُ فصاحة... تقول رجل فصيح، وكلام فصيح، أي: بليغ ولسان فصيح أي طلق، وأفصح الرجل القول... وفَصَحَ الأعجمي بالضم، فصاحة تكلم بالعربية وفُهِمَ عنه... وأفصح عن الشيء إفصاحا إذا بيّنه وكشفه... والفصيح في اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيّد الكلام من رديئه... والفصيح في كلام العامة المُعَرَّبُ»⁽¹⁾ والفصاحة في الوسيط «البيان وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التّأليف... الفصيح: يقال: رجل فصيح: يُحسن البيان ويميّز جيّد الكلام من رديئه. وكلام فصيح: سليم واضح يدرك السمع حسنه والعقل دقّته. ولسان فصيح: طلق يعين صاحبه على إجابة التعبير»⁽²⁾ ومن هنا يُلاحظ أنّ العربية والفصاحة لغة، كلاهما تعني البيان والصّفاء والنّقاء، والسّلامة من كلّ ما قد يشوبها من لحن أو تحريف أو عجمة. وللصّاحة شروط وضعها اللغويون القدامى أهمّها المكان والزمان حيث حدّدوا قبائل بعينها، وهي: (قيس، تميم، أسد، هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين). أما زمنيا فتتوقف في القرن الرابع الهجري، ووضع البلاغيون شروطا أخرى تتعلق بالتركيب. لكن حديثا يكفي أن يخضع الكلام لنظام اللغة العربية صوتا وصرفا ونحوا ودلالة.

عرّف الأستاذ الباحث (صالح بلعيد) اللغة العربية، بأنّها «اللغة الرّسمية الجامعة، ولها الكثير من الامتيازات على اعتبار أنّ اللغة الجامعة؛ هي لغة الأغلبية التي يفهمها الجميع...»⁽³⁾ وقد حدّدت اللغة الرّسمية في اللّسانيات الاجتماعية، بأنّها «لغة إدارة الدولة، ولغة المدرسة ولغة وسائل الإعلام مثالها العربية التي هي اللغة الرّسمية في بلدان العالم العربي»⁽⁴⁾ يضيف الأستاذ صالح بلعيد تعريفا آخر للغة العربية العلمية، وهذا ردا على الذين سلبوها هذه السّمة، ونعتوها بلغة الشعر والأدب، «ونقصد تلك اللغة التي تمارس الكتابة، والتّأليف لأداء مهمة التّطوير اللّغوي بدقّة وموضوعية...»⁽⁵⁾ فاللغة العربية الفصيحة، تجمع بين أفراد الأمة العربية، ولولا هذه اللغة الجامعة المشتركة، لصعب التّواصل بين أهل المشرق والمغرب بعامياتهم المختلفة؛ بل أحيانا يصعب التّفاهم بين أبناء البلد الواحد؛ مثل

¹ - ابن منظور. لسان العرب. مادة (فصح).

² - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (فَص).

³ - بلعيد، صالح. اللغة الجامعة. منشورات مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، دت. ط 9 ص.

⁴ - جان كالفي، لويس. حرب اللّغات والسياسات اللّغوية، تر: حسن حمزة. بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008م. ط 1. ص 402.

⁵ - بلعيد، صالح. اللغة العربية العلمية. الجزائر. دار هومه. 2002م. ط 6. ص 6.

الجزائر، وعندها تكون الفصحى هي أداة التواصل؛ ولاسيما إذا كان الطرفان لا يحسنان الفرنسية.* وعرفها الأستاذ (بوهديبة)، « أنها مجموع الأنواع المعروفة بالعربية الكلاسيكية، والعربية المعيارية الحديثة والعربية المتداولة بين المثقفين إلخ».⁽¹⁾ قُسمت العربية حسب هذا التعريف إلى ثلاثة أصناف قديمة وحديثة وأخرى للمثقفين، حيث يلمس فيه التأثير بآراء المستشرقين الذين يقسمون العربية إلى قديمة وحديثة، في حين أنها لغة واحدة، أما قوله: لغة المثقفين، فهو هنا يتحدث عن السجلات اللغوية، وليس عن اللغة لاشتمال لغات العالم جميعها على عدد كبير من السجلات، تبعا للمجالات التي تستخدم فيها. وتعرف أنها ذلك «...النظام الرمزي الصوتي الذي اتفق عليه العرب منذ القديم استخدموه في التفكير والتعبير والتفاهم، واستخدموه أيضا للتواصل...».⁽²⁾ فهي اللغة الرسمية لبلدان العالم العربي، رغم منافسة اللغات الأجنبية لها، حيث يتحول هذا الكلام إلى مجرد شعار، لسيطرة لغة المستدمر على معظم المعاملات الإدارية، ولاسيما في المجالات العلمية.

أما الباحث (محمد محفل)، فعرفها أنها «... هي تلك اللهجة التي أدركناها مكتملة القواعد والبيان في الشعر الجاهلي، ثم في القرآن الكريم والحديث الشريف، قبل أن تأخذ لاحقا منحى جديدة في العصرين الأموي والعباسي، فالعصور التالية حتى أيامنا هذه».⁽³⁾ تُسجل ملاحظتان حول هذا التعريف، تتمثل الأولى في توظيف مصطلح (اللهجة) للدلالة على اللغة الفصحى، بالإضافة إلى تأكيد اكتمال قواعدها على جميع المستويات، كما تضمن إشارة إلى تطور اللغة العربية بدءا من صورتها في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم وصولا إلى صورتها في هذا العصر.

نكر الأستاذ (شوقي ضيف)، أن: «الفصحى لغة العرب الأدبية الرفيعة في جميع بلدانهم، وهي لغة الثقافة والعلم والتعليم في المدارس والجامعات، ولغة الفلسفة والطب والقانون والعلوم الإنسانية وغير الإنسانية ولغة كل ما نملك من فكر ودين وحياة روحية. وحين تدارست أوروبا علومها، قفزت من عصورها الوسطى

* يتواصل بعض أبناء الجزائر بالعامية في شؤون حياتهم اليومية، لكن إذا اختلفت عامياتهم أو لغة تواصلهم فإنهم يلجؤون عادة إلى الفرنسية أما إذا كانوا ممن لا يحسنونها فإنهم يلجؤون إلى اللغة العربية.

1 - ولد خليفة، محمد العربي. "المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية: دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية". الجزائر، منشورات ثالة، 2007م. ص 142.

2 - السفاضة، عبد الرحمان. طرائق تدريس اللغة العربية. الأردن، مركز يزيد للخدمات الطلابية، 2004م. ط3. ص39.

3 - محفل، محمد. "العربية لغة وكتابة". مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ربع سنوية. السنة الثالثة، مارس 2010، ع7. ص 44.

المظلمة إلى عصرها الحديث، وهي لغة الشعوب العربية القومية التي تضمّ منهم الفم إلى الفم والفكر إلى الفكر والروح إلى الروح، وبها تستطيع هذه الشعوب أن يكون لها تكتلٌ سياسي بإزاء تكتلات الغرب السياسية في العصر...»⁽¹⁾ قدّم هذا التعريف صورة أشمل عن اللغة العربية، مبيناً قدرتها على استيعاب المجالات كلّها، وإن كانت معظم البلدان العربية، للأسف تتخذ اللغات الأجنبية لغة للعلوم الطّبيعيّة والتّقنيّة.

كما سجّل البحث أنّ جلّ التعريفات الحديثة، تربط اللغة العربية بلفظ (السّاميّة؟)، فتعرّف على أنّها «... إحدى اللّغات السّاميّة، والعربيّة الأولى هي لغة عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم من القبائل البائدة...»⁽²⁾ إلا أنّ بعض العلماء، ومنهم اللّغوي (جعفر دك الباب) دعوا إلى إقصاء هذه التّسمية. يمكن تعريف اللّسان العربي إذن؛ أنّه لسان جزيري أو عروبي نسبة إلى شبه الجزيرة العربية ترجع بداياته إلى أربعة آلاف (4000) سنة قبل الميلاد، يقوم على ثمانية وعشرين (28) حرفاً، وهو لسان القرآن العظيم، ويعدّ اللّسان الرسمي لدول العالم العربي، ولسان عالميٍّ ضمّ إلى هيئة الأمم المتحدة سنة 1973م، ويحتفل بيومه العالمي منذ 18 ديسمبر 2012م، كما أضيف الخطّ العربي إلى قائمة التراث العالمي غير المادي بتاريخ 12 ديسمبر 2021م. يستعمله المسلمون في أنحاء العالم والذين يبلغ عددهم حالياً قرابة مليارين.

وهو اللّسان الأصلي للّغات الجزيرية، ومنه تقرّعت كل من الأكادية والأوغاريتية، والفينيقية والآرامية، والحشبية، والعبرية، والمصرية القديمة، والأمازيغية.⁽³⁾ اختلف في أول من نطق به، ومما سبق حسب بعض القدامى والآراء الحديثة، هناك تأكيد أنّ آدم عليه السلام، هو أول من نطق به وبديهي أنّه عرف جملة من التّطورات منذ بدايته إلى يومنا هذا، ومنهم من يقول إنّ أقدم لسان مطلقاً إذ هناك دراسات حديثة توصلت إلى أنّ العربية ليست أمّاً للّغات الجزيرية فحسب؛ بل هي أم اللّغات جميعاً، وهذا وفق النّتائج الحديثة، التي توصل إليها علم اللّغة الكوني، وقد ذكر الباحث سعيد الشربيني وهو أستاذ بجامعة لندن، أنّ قسم اللّغة العربية هناك يسمى (قسم أم اللّغات)، وأشار إلى أنّ علم اللغة الكوني هو علم لغوي جديد ظهر سنة 2003م، وأنّه علم يستمدّ مبادئه من القرآن الكريم، لما وجده

¹ - ضيف، شوقي. "كلمة افتتاح المؤتمر: بحوث مؤتمر الدورة الخامسة والستين. مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة، 1421هـ-2000م.

القسم الأول. العدد التاسع والثمانون. ص 5.

² - الصوفي، عبد اللّطيف. اللّغة ومعاجمها في المكتبة العربيّة. دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دت. دط. ص 30.

³ - ينظر: السليمان، عبد الرحمن. "اللغات والكتابات الجزيرية". ص 277.

الباحثون الغربيون فيه من انسجام صوتي، وقد ذكر أنّهم يحملون جميعهم قرآناً في جيوبهم، إذ لا يمكنهم القيام بدراساتهم وبحوثهم دون العودة إليه.⁽¹⁾ وهو ما ذكره اللغوي جعفر دكّ الباب الذي يرى أنّ اللغة العربية هي أصل اللغات، باعتبار نظامها الذي يعبر عن مراحل الكلام بصفة عامة، « لقد كشفت نظرتنا الصوتية إلى المعجم العربي أنّ النظام اللغوي للعربية، يعكس جميع المراحل التي مرّت بها نشأة الكلام الإنساني. ويثبت ذلك بشكل قاطع أنّ اللغة العربية أصل قائم بذاته». ⁽²⁾ وهنا لا يمكن إلاّ الاستشهاد بقول الله الخبير العليم سبحانه وتعالى: ﴿...وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)﴾، [سورة الإسراء]. وهو ما يثبت العلم البشري نفسه في جميع مجالاته، إذ يبقى علم البشر محدوداً، قاصراً عن إدراك الحقيقة المطلقة، وظهور الاكتشافات التي تدحض ما قبلها، لخير دليل على ذلك، عموماً لا يمكن الإحاطة بتعريف اللسان العربي، نظراً لامتداده في الزمان والمكان.

1-4-تسميات اللغة العربية: يصطدم الباحث في رحلة بحثه حول اللغة العربية بمجموعة من

التسميات، التي تفرّق بين مستويات مختلفة لها، وهذا الأمر مقبول إلى حدّ ما، لكن ما يثير الاستغراب هو تلك الألقاب التي تقسمها إلى ميّنة وحيّة أو قديمة وحديثة، وغيرها من التسميات. وهو ما يتجلى بوضوح عند العودة إلى آراء المستشرقين. سيأتي ذكر بعضها فحسب، دون السعي للإحاطة بها. ورد بعض منها في دراسة الباحثة فاطمة عياش، « ويتعلّق الأمر هاهنا، بالعربية الكلاسيكية أو المنتظمة أو المكتوبة أو الأدبية، في صورتها الحديثة بعبارة أخرى عربية حديثة (Moderne) وحيّة (vivant) (Pellat)، والعربية الجديدة (Néo-Arabe) أو العربية الكلاسيكية الجديدة (néo-classique) (Lecerf)، والعربية الوسطى (médiane)(Berque) أو العربية الجديدة العالية (nouveau haut arabe) (Hans Weher) هانس وير، والعربية الأدبية المعاصرة لسيمينوف أو برانوف (Branov) أو (Semenov) والعربية الحديثة (modern arabic) للإنجليز والأمريكان». ⁽³⁾ وضّحت الباحثة بعدها

¹ -ينظر: علي لقم، أحمد علي. "استشراف العربية في ظل معطيات علم اللغة الكوني". في: مجلة مداد الآداب، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، السعودية، 1409هـ-1989م. والدكتور الشربيني، سعيد. اللغة العربية أم اللغات بأدلة قاطعة. (أستاذ باحث في جامعة لندن).

شاهد بتاريخ: 27-11-2021م. في: www.youtube.com/watch?v=01o0-nkyLCs&list=2

² - دكّ الباب، جعفر. النظرية اللغوية العربية الحديثة. دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1996. دط. ص 83.

³ - عياش شماني، فاطمة. المستشرقون واللغة العربية فنانسان مونتاي نموذجاً ترجمة ودراسة. دراسة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الدكتور يحياتن محمد، ناب عنه الدكتور عبيد عبد الرزاق. جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2011-2012م، ص 40.

وجود فرق بين موقف العرب من هذه التسميات، وموقف الغرب والمتأثرين بهم عموما، « أما العرب ونظرا لإحساسهم الواضح بالاستمرارية اللغوية بين عربية القرون الوسطى والعربية الحالية، فيكتفون بالقول، كما في السابق: العربية أو الفصحى، علما بأن اللفظ الأول يمكن أن يتبع عند الحاجة من قبيل الحديثة أو العصرية أو المعاصرة. (Contemporaine .nouveau moderne) ». (1) يتبين مما سبق أن المستشرقين، أطلقوا تسميات كثيرة على العربية، وهنا لابد من الوقوف على إشكالية مهمة لديهم وهي التفريق بين الفصحى المستعملة في القرآن الكريم والشعر الجاهلي والفصحى الحديثة أو الوسطى كما يسمونها أو المعاصرة، وبما أن معظم الباحثين العرب، يرجعون إلى دراسات المستشرقين ويتأثرون بهم، فقد انتقلت هذه المصطلحات إلى معظم الدراسات العربية الحديثة، وتستعمل في مؤلفاتهم وأعمالهم العلمية، وبتتبع بعض الدراسات العربية يتضح أن المصطلحات نفسها تتكرر فيها، وهو ما لوحظ فعلا في بعض الأعمال المطلع عليها.

1-4-1- اللغة الفصحى واللغة الكلاسيكية: إن الحكم على الفصحى، بأنها كلاسيكية أو ميتة

بمفهوم الغربيين، نابع من إسقاطهم ما حدث للغتهم اللاتينية على العربية، إذ « يخلط كثير من المستشرقين بين مفهوم الكلاسيكية من واقع لغاتهم، وهو مفهوم تاريخي يدل على أن تلك اللغات قد زالت من واقع الاستعمال اللغوي، ومفهوم الفصحى، وهو ليس مفهوما منقطعا عن الحاضر بالنسبة إلى اللغة العربية الفصحى، فالعربية إذن يلتقي واقعها مع لغاتهم في أمر ويفترق معها في أمر آخر، إنما يلتقي مع تلك اللغات مع صفة القدم، وانطلاقا من هذه الصفة، يمكن أن تنعت بأنها كلاسيكية، ولكنها ما تزال اللغة المعيارية الدارجة (standard language)، وهذا ما لا تتصف به لغاتهم الكلاسيكية». (2) ويبدو أن المستشرق الألماني قد فطن إلى هذا الأمر، « وقد لمس فيشر هذا المعنى بوعي منه، بقوله: ومن هنا يُنظر إلى مصطلح العربية الكلاسيكية لا باعتباره اصطلاحا دالا على تاريخ اللغة، وإنما هو إشارة إلى واقع اجتماعي لغوي، فما تزال العربية الفصحى اللغة الرسمية لدى الجميع، وميزة أخرى لها جاءت من هاتين الميزتين، وهي أنها اللغة الرسمية والثقافية التي تربط جميع العصور». (3) يؤكد هذا

1 - عياش شماني، فاطمة. المستشرقون واللغة العربية فانسان مونتاي نموذجا ترجمة ودراسة. ص 40.

2 - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. الأردن. دار وائل للنشر. 2001م. ط3. ص 112.

3 - المرجع نفسه. ص 112، 113. عن فيشر: المراحل الزمنية: ص 162.

القول، وعيا لدى بعض المستشرقين بالفروق الموجودة بين مصطلحي الكلاسيكية والفصحى، وهذه الفروق نفسها هي التي تجعل مصطلح الكلاسيكية بعيداً كل البعد عن مصطلح الفصحى.

1-4-2- اللغة الوسطى والمعاصرة: هناك من نادى بمصطلحات كثيرة، للدلالة على اللغة المستعملة في هذا العصر، مثل الفصحى المعاصرة، و« يقصد بها، تلك اللغة المستخدمة في أجهزة الإعلام العربية، والأحاديث الرسمية والكتابات الأدبية، وغيرها من أنشطة الكتابة العربية المعاصرة».⁽¹⁾ وهي عربية تختلف من متكلم إلى آخر، ومن مجال إلى آخر، يحكمها مدى تمكّن صاحبها من الفصحى. وهناك من يتحدث عن عربية وسيطة، تجمع بين العامية المتحررة من بعض قواعد الفصحى، واللغة الفصحى، المنضبطة بقواعد ثابتة، يدعو أنصار هذا الرأي إلى تبني هذا الاستعمال اللغوي، « وقد تولّد عن تيار توفيقى، يرى الكتابة بما يسمى اللغة الثالثة أو ما يسمى (الفصعمية) أو اللغة الخنثى، على نحو ما قرّره عباس خضر في كتابه (في الميزان) أو الفصحى المخففة والعامية المشرقة، على نحو ما قرّره فرح أنطون، في كتابه (مصر الجديدة ومصر القديمة)».⁽²⁾ إلّا أنّ الفرق واضح بين المصطلحين وما يحيلان إليه، فاللجوء إلى كلمات عامية بعيدة عن الفصحى، مع وجود ما يقابلها في الفصحى، يعدّ لحنا يسيء إلى اللغة، ولا يُعدّ إثراء لها على الإطلاق، وهو ما ذهب إليه الأستاذ صالح بلعيد « ومن مظاهر الفساد كذلك، فرضها للغة الوسطى، وهي عربية ليست بالعامية وليست بالفصيحة الخالصة... وذلك ما يجعلها لغة أخرى (ثالثة)».⁽³⁾ وإذا سُمح به في بعض الخطابات، فإنّ هذا يجب ألا يكون مسوّغاً لإحاقه باللغة العربية. تصبّ كل هذه المصطلحات المذكورة، وغيرها في مصبّ واحد، إذ لا تعدو أن تكون محاولة للاقتداء ببعض المستشرقين، لإيجاد مصطلحات تساير العصر، وما تفرضه العولمة على مجالات الحياة كلّها، بما فيها اللسانيات، التي لم يتمكن العلماء من فصلها عن السياسة رغم الادّعاء بأنّها من العلوم الموضوعية، « وبين اللغة والسياسة علاقة تأثير وتأثر، فلا وجود لتفكير في اللغة في معزل عن الخلفية السياسية، ولا وجود لنظرية لسانية خارج خلفية سياسية وعقدية، كما أنّه

¹ - طعيمة، أحمد رشدي. الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. جامعة أم القرى، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، 1402هـ-1982م. سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية. دط. ص 39.

² - بدوي، عبده محمد. أهميّة تعلّم اللغة العربية. جامعة الكويت، حويلات كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها. الحولية السادسة عشرة. الرسالة السابعة بعد المائة 1416هـ-1417هـ، 1995م-1996م. ص 16.

³ - بلعيد، صالح. منافحات في اللغة العربية. الجزائر، تيزي وزو، جامعة مولود معمري، دار الأمل، 2006م. دط. ص 99.

لا وجود لفعل سياسي لم يتخذ لغة معينة سلاحا ومعينا لا ينضب، منه يستمدّ تصوّراته ويبنى أنساقه وعوالمه»⁽¹⁾. أكّدت دراسات كثيرة في النقد الثقافي، ولاسيما بحوث الباحث إدوارد سعيد، الصلة الوثيقة بين مناهج البحث والنظريات المختلفة بالجانب السياسي (والإيديولوجي عموما)، وهو ما أشار إليه الباحث مقبل بن علي الدّودي في أطروحته، حيث ذكر جهود كل من المفكرين إدوارد سعيد وعبد الوهاب المسيري في هذا المجال، « إدوارد سعيد... كما يقوم مشروع الفكر على علاقة السلطة بالمعرفة ناقدا للروايات الغربية التي أسست للثقافة الامبريالية، وأسست للسيطرة الغربية على العالم واستعباده ونهب ثرواته، محلا المعجم اللغوي الذي وظفته، والمناهج اللسانية واللغوية التي ظهرت ونشأت لأجل الغرض نفسه... عبد الوهاب المسيري... باحث في المفاهيم اللغوية والفلسفية لنشأة الصهيونية وخطابها، وأثر استخدام الاحتلال الغربي للغة خاصة في سيطرته على البلاد. وقد اهتم في مسيرته الفكرية باللغة، وأثرها في تشكيل الحضارة. وكذا أثر السياسة والتوجهات السياسية في توجيه اللغة والمفاهيم، وتشكيل المصطلحات وإشكالية المصطلح في تأكيد الاحتلال وإعطائه الشرعية...»⁽²⁾. هذا بالنسبة إلى العرب، وهو ما قد يُتهم بالذاتية، والانطلاق من عقدة النقص اتجاه الغرب، ولاستبعاد هذه الشبهة ألحقهما باللغوي الأمريكي الفذّ « نعوم تشومسكي، وهو لساني أمريكي، ومعارض سياسي صاحب المدرسة التوليدية التحويلية في اللسانيات الحديثة، له مئات الكتب، اهتم في نقده للغة الاحتلال الجديدة والمصطلحات التي يستعملها الخطاب السياسي، لتأكيد احتلاله والتلاعبات اللغوية لفرض السيطرة والهيمنة»⁽³⁾. وقد تزايد الاهتمام بهذا الموضوع مؤخرا، لما له من أهمية في الكشف عن استعمالات اللغة لأغراض غير لغوية، أو لإحداث تأثيرات في الأفكار والسلوكيات لدى الآخر.

¹ - العادل، مصطفى. "أثر السياسة في اللغة: العربية نموذجا لمقبل بن علي الدّودي". في دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية. السعودية، شتاء وربيع 2020م، العددان 8، 9. ص 262.

² - المرجع نفسه. ص 267، 268.

³ - المرجع نفسه. ص 269.

2- مستويات تحليل اللغة العربية:

لابد من توضيح الفرق بين مصطلحين هما: (مستويات تحليل اللغة، المستويات اللغوية)، ذلك أنّ هناك دراسات وبحوث توظفهما بالمعنى نفسه، فالحديث عن مستويات اللغة يتداخل فيه أمران المستويات التي تتكوّن منها اللغة وتبنى عليها، أو هي لبنات اللغة، ويمكن الحديث هنا عن (مستويات التحليل اللغوي) الذي تنبأه البحث. أي (الصوت، الصرف، النحو، المعجم والدلالة). أما تصرف المتكلم في هذه اللبنات تكلما وكتابة، فهو يعكس الطريقة التي يتعامل بها مع هذه اللبنات للتعبير عن مقاصده. وهنا فضّل مصطلح (المستويات اللغوية أو الاستعمالات اللغوية). بمعنى سبل استعمال اللغة في الواقع وليس على مستوى النظام اللغوي، فهو ترجمة لهذا النظام على أرض الواقع. فالأول يُعنى به عادة الباحثون والدارسون، فليس كل متكلم ينتبه إلى وجود صوت وصرف ونحو فيما يقوله، وإن حدث فقد يفكر في الدلالة التي يحرص على مطابقتها مقصده. أما الثاني فيظهر لدى جميع مستعملي اللغة.

لم تذكر الدراسات اللغوية القديمة مصطلح مستويات التحليل اللغوي، -في حدود العلم- وإن اشتملت عليه أعمالهم تطبيقيا، وهذا لا يعني أنّ العرب لم يدركوا وجود هذه المستويات، وإنّما كانت نظرتهم إلى اللغة العربية نظرة شمولية كلية، لا تفصيلية، فقد تحدثوا عن الصوت والصرف والنحو والبلاغة والدلالة، ومعلوم أنّ العرب عملوا على التطبيق أكثر منه على التنظير، وهو تكفّلت به اللسانيات حديثا، « وقد تبنت اللسانيات العربية في محاولتها إعادة وصف اللغة العربية، ما اقترحتة اللسانيات البنيوية، من تقسيم إجرائي ومنهجي للغة على ثلاثة مستويات؛ المستوى الصوتي، المستوى الصرفي والمستوى التركيبي، وهذا التقسيم يمثل إضافة منهجية قدمتها اللسانيات العربية، إذ لم نعهد فكرة المستويات اللغوية في ما سبق من دراسات لغوية»⁽¹⁾ ويبدو أنّ هناك اختلافا بين اللغويين العرب في عدد مستويات التحليل اللغوي، وهذا هو التقسيم الذي ارتضاه البحث، وقد يتغيّر لاحقا بتغيّر المعطيات.

2-1- المستوى الصوتي: يُعدّ الصوت أول مكوّن للغة، وهو « من صات يصوت صوتا، إذا نادى.

وقالوا في تعريف الصوت: هو كيفية قائمة بالهواء تحدث بسبب تموجه بالقرع، أو القلع فتصل إلى الصماخ بسبب وصول محلها وهو الهواء... والصوت أعم من النطق والكلام... وما خرج من الفم إن

¹ - الهاشمي بكوش، فاطمة. نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللساني العربي. القاهرة، إيتراك للطباعة والنشر 2004م. ط1. ص 100.

لم يشتمل على حرف فهو صوت وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو لفظ وإن افاد معنى فقول فإن كان مفردة فكلمة...»⁽¹⁾، ذلك أن الصوت هو نواة اللغة، وكثيراً ما يجد الكاتب نفسه، وهو يكتب يحيل إلى الاستعمال الشفوي للغة، فينقل فقرة لمؤلف، معبراً عن ذلك، بـ (قال)، (تحدث)... ولاشك أن الإنسان ينطق قبل الكتابة بزمان طويل، كما انتقل القرآن العظيم من جيل إلى جيل بالصوت قبل الكتابة، كل هذا وغيره، يجعل من الصوت الركيزة الأساسية للغة. يظهر هذا المستوى بوضوح، في علم القراءات وأحكام التجويد، وذلك بوجود أحكام كثيرة تتعلق بإظهار الأصوات أو إدغامها أو إخفائها، أو بترقيقها وتفتيحها، وكذا مدّ الحركات ما بين حركتين وأربع إلى ست حركات وهذا كله خاضع لقواعد مضبوطة.⁽²⁾ إلا أن الدراسات اللغوية الحديثة تناولته بدقة أكبر نظراً لتطور العلوم، وتوفر أدوات البحث حيث تفرّع علم الأصوات إلى فروع كثيرة تهتم بالصوت وكل ما يرتبط به، ومع ظهور المنهج الوصفي ازداد الاهتمام بالظواهر الصوتية المرافقة لعملية النطق من نبر وتنغيم وغيرها، وقد يظهر أثرها أكثر في دراسة اللهجات. أما العلم الذي يهتم به، فهو علم الأصوات، وقد قسمه الباحثون إلى: «الصوتيات الفيزيولوجية» (Phonétique articulatoire)، والصوتيات الفيزيائية (Phonétique acoustique) والصوتيات الفونولوجية (Phonologie)، والصوتيات التركيبية (Phonétique Combinatoire).⁽³⁾ وقسمه اللغوي تمام حسان إلى منهج الأصوات (الفوناتييك) ويشتمل على الجانب العضوي الذي يهتم بعملية النطق، أما الجانب الصوتي فبصفة النطق. ويدرس منهج التشكيل الصوتي (الفونولوجيا) الأصوات، من حيث خضوعها لقواعد معينة في تجاوزها وارتباطاتها ومواقعها، وكثرة ورودها وقلتها، بالإضافة إلى دراسة الأصوات، من حيث ارتباطها بالمجموعة الكلامية، كالموقعية والنبر والتنغيم. حيث جعل الصوتيات الفيزيولوجية والتركيبية تحت فرع واحد، فالعلم الأول: يهتم بوصف الصوت في ذاته. أما العلم الثاني: فيدرس قواعده ووظائفه اللغوية.⁽⁴⁾ في حين فرّع اللغوي كمال بشر العلم الأول (الفوناتييك) إلى أربعة فروع، يهتم الأول

1 - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون 1419هـ-1998م. ط2. ص 562. وينظر: ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله. تح: محمد حسان الطيان ويحي سيد علم. رسالة أسباب حدوث الحروف. دمشق، مجمع اللغة العربية، دت. ط. ع 39. ص 57، 58.

2 - للاستزادة ينظر: خضراوي الحسني، عاشور. أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق. مصر، مكتبة الرضوان 2005م. ط. ص 27، ص 54.

3 - المصطلحات باللغة الفرنسية من اقتراح الأستاذ المشرف الفاضل عبيد عبد الرزاق.

4 - ينظر: تمام، حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 64-111.

بكيفية نطق الأصوات بتحديد مخارجها وصفاتها، والثاني: يدرس الذبذبات التي تصدرها الأصوات في الهواء، والثالث: هو علم الأصوات السمعي، الذي يعرض لوقع هذه الأصوات في أذن السامع من الناحيتين العضوية والنفسية، والقسم الرابع: سماه علم الأصوات المعملية أو التجريبي هذا بالنسبة إلى الجانب المادي للصوت. أما الوظيفي فأطلقوا عليه علم وظائف الأصوات (Phonology) ونقله الباحث كمال بشر، كما هو (الفنولوجيا) ويبين وظائف هذه الأصوات وقيمها في لغة معينة، يسعى إلى وضع قواعد تحدد نوعية الأصوات، من حيث أدوارها في البناء اللغوي.⁽¹⁾ وقد يحيل هذا إلى ما سماه الأستاذ عبد الرزاق عبيد الصوتيات التركيبية. لم يذكر الباحث مصطلح الصوتيات التركيبية، الذي أشار إليه الباحث الفرنسي جان كانتينو (Jean Cantineau)، ضمن الظواهر التركيبية، (phénomènes combinatoires)، وهو ما يحيل إلى الصوتيات التركيبية المهمة بالظواهر الصوتية الناتجة عن تجاور الصوامت، مثل: الإدغام والإبدال زغيرها.⁽²⁾ وهي من أكثر الظواهر ارتباطا بالمستوى الصرفي كذلك. ما يهم اللغوي، هو الصوتيات الفونولوجية التركيبية، « والتحليل الصوتي للخطاب في عمقه، لا يكون مجديا، إلاّ حينما تكون الأصوات اللغوية مركبة، لأنها الحالة التي تؤدي فيها الأصوات وظيفتها التواصلية الإبلاغية، أما حال الأصوات مفردة، فهو الجانب التمهيدي الذي يعرفنا على الوحدات المشكلة للغة وخصائصها... تساعدنا على فهم العلاقات الرابطة بين الأصوات عند مختلف التشكيلات الصرفية وتوهلنا أيضا لتفسير أنواع التدافعات التي تحدث بين الأصوات حال التركيب...».⁽³⁾ وما لوحظ في هذا المستوى وجود غموض في مصطلحات تسمية العلم الذي يندرج ضمنه بين الباحثين العرب، قد يكون مرد ذلك، إلى اختلاف المدارس اللسانية التي نهلوا منها، والترجمات المختلفة من دراسة إلى أخرى. يأتي بعد الصوت، المستوى الصرفي الذي يتشكل من مجموعة حروف، ويتمثل في بنية الكلمات، فتري ماذا يُقصد به وما فائدته في دراسة اللغة؟

2-2- المستوى الصرفي: يقصد بالمستوى الصرفي بنية الكلمة، من حيث عدد حروفها وحركاتها، وكل ما يطرأ عليها من تغيير، من حيث الزيادة والحذف، والقلب والإبدال وغيرها من الظواهر الصرفية، وقد

¹ - ينظر: بشر، كمال. علم الأصوات. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 2000م. دط. ص 8، 9.

² - voir: CANTINEAU, JEAN. COURS DE PHONETIQUE ARABE. PARIS, Librairie C. KLINGSIECK, 1960. P143.

³ - حسيني، أبو بكر. الصوتيات التركيبية: الدراسة التركيبية لأصوات اللغة العربية. سلسلة الصوتيات العربية. الجزائر، مطبعة مزوار دت. دط. ص 7.

ارتبط الصّرف لدى القدماء بالحروف وحركاتها. أمّا « البحث اللّغوي فيتعامل مع مسائل الصّرف على أساس صوتي بدلا من اعتماد القدماء على الكتابة في تحديد الكلمة؛ فكل مجموعة من الحروف، تكتب مجتمعة، وتأخذ شكلا مستقلا في الكتابة اعتبرها القدماء كلمة، في حين يتعامل البحث اللغوي الحديث مع الوحدة الصّرفية (morphème)». ⁽¹⁾ وقد وضع القدماء ميزانا دقيقا لقياس هذه الوحدة، وضبط كل حرف بالحركة، حيث يجمع هذا الميزان بين الصّامت والصّائت ولا يستغني عن أحدهما، وهو ما أسند منذ قليل إلى الدّراسات الحديثة، إلّا أنّه لا يتعامل إلّا مع الكلمات المعربة والأفعال المتصرّفة، وهو ما يثبت أنّ القدامى لم يغفلوا عن هذا الأمر. وعلم الصّرف هو الذي يضبط الكلمة فيُفرّق بواسطته بين الصّيغ التي تتشابه حروفها مع اختلاف حركاتها، (كَتَبَ، كُتِبَ، كُتِبَ...) فالأول فعل مبني للمعلوم على وزن (فَعَلَ) والثاني فعل مبني للمجهول على وزن (فُعِلَ)، أمّا الكلمة الثالثة فهي اسم على وزن (فُعِلَ). وبهذا يكون المستوى الصّرفي محصورا في الكلمة خارج السّياق.

2-3- المستوى النّحوي: يتمثّل هذا المستوى في تركيب يشمل كلمتين فأكثر،* يأتي في شكل جملة فعلية تتكوّن من فعل وفاعل ومفعول به أو مفعولين أو ثلاثة إذا كان الفعل متعديا، أو فعل وفاعل إذا كان الفعل لازما، وقد يلحق بالتركيب الأصلي، كلمات إضافية تسمى فضلات: (صفة أو حال أو تمييز أو مضاف إليه وغيرها). وقد تكون جملة اسمية، يكون الإسناد فيها بين المبتدأ والخبر، وقد تكون شبه جملة تبدأ بحرف جر فاسم مجرور أو ظرف. كما يظهر هذا المستوى في حركات الإعراب التي ترافق أواخر الكلمات، حسب الوظائف التي تؤديها في الجملة، فترفع الكلمة بالضمّة أو بالواو أو بثبوت النّون إذا كان فعلا مضارعا، وتنصب الكلمة بالفتحة في صيغة الإفراد أو بالياء في صيغة المثنى والجمع أو بالألف للأسماء الخمسة، وتجزّ بالكسرة للمفرد، وبالياء للمثنى والجمع، فالمستوى النّحوي «يتناول دراسة نظام بناء الجملة، ودور كل جزء في هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة ببعضها ببعض وأثر كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية». ⁽²⁾ ولا يمكن فصل المستوى النّحوي عن المستوى الصّرفي والصّوتي، ولا عن المستوى المعجمي والدّلالي اللّذين سيأتي ذكرهما.

¹ - داود محمد، محمد. العربية وعلم اللغة الحديث. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م. دط. ص 106.

* وهنا تكثير بأنّ العربي، قد يستعمل حرفا واحدا أو حرفين لتكوين جمل أمرية، مثل: (ر) أو (ع) وغيرها. وهنا تدخل ظاهرة الحذف. فالأمر لا يكون عادة إلا للشخص الموجود أمامك، فهو معروف لك، لهذا يضمن الفاعل.

² - داود محمد، محمد. العربية وعلم اللغة الحديث. ص 106.

2-4- المستوى المعجمي: يرتبط هذا المستوى بالمفردات وهي خارج السياق، ويقف على المعنى العام للكلمة مفردة كانت أو مركبة، التي قد تكون حرفا أو اسما أو فعلا، « المعنى العجمي هو المعنى الذي تسجله المعاجم للمفردة اللغوية مراعى فيها حروفها بترتيبها وصيغتها...»⁽¹⁾ وبما أنّ اللغة العربية العربية يتوقف فيها معنى المفردة على السياق الذي ترد فيه، فقد أدرجه بعض الباحثين ضمن المستوى الدلالي، الذي يرتبط بالمستويات جميعها، إذ يتّصل المعنى بالصوت وبالكلمة المفردة والمركبة وبالجمله مع العلم أنّ المستوى الدلالي أشمل من المعجمي، إذ هناك دلالات كثيرة سياقية واجتماعية ومجازية وغيرها، أمّا المستوى المعجمي فهو المعنى الحقيقي للكلمة أو المعنى العام باختلاف سياقاته.

ولا بدّ في هذا المقام من التأكيد على أنّ اللغة، لا تكون إلّا بهذه المستويات مجتمعة، فهي متكاملة، وما تقسيمها إلّا من باب تسهيل دراستها، فهو عمل منهجي موصل إلى الهدف المتمثل في تحقيق الغاية من استعمال اللغة، وهو انتقال الرسائل وما تحتويه من أفكار ومشاعر ومعلومات من الملقى إلى المتلقي سواء مشافهة أو كتابة بطريقة واضحة، تجعله يفهم المقصود من الرسالة، فمثلا: إذا اتّفقت مع أحد الأصدقاء على اللقاء في وقت معيّن، وتأخّر فإنّك تقول له عند وصوله: « مرحبا بك! شكرا لك على انضباطك، واحترامك للوقت!»، طبعاً هنا يتدخّل السياق والصوت لتبليغ عكس ما تحمله الكلمات من معان معروفة، فالمستمع لن يفهم المعنى الحقيقي أو الظاهر للجمله، لعدم تناسبها مع السياق، كما أنّ هذه الجمله ستنتطق بنبر وتنغيم فيهما نوع من التأنيب واللوم، فالكلمة لا تؤدي وظيفتها الكاملة، إلّا في ضوء معطيات أخرى مرافقة لها.

وبعد التّعرف على المستويات المذكورة آنفا، يأتي الحديث عن الاستعمالات اللغوية، أو بصيغة أخرى كيف يوظف المتكلّم أو الكاتب المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي لإنتاج خطابه؟ يعدّ الكلام فصيحاً كلما تقيّد بتلك المستويات، وذلك وفق ما جاءت عليه لدى السابقين، باستثناء المستوى المعجمي الدلالي الذي يتميّز بالمرونة، إذ قد تجد كلمة موجودة في المعجم القديم بمعنى معيّن، وترد الآن بمعنى آخر، مثل كلمة السيّارة التي كانت تدلّ على القافلة والمسافرين، وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْحُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، [سورة يوسف، الآية: 10]. كذلك في قوله عزّ من قائل: ﴿وَجَاءَتْ

¹ - حسن جبل، محمد حسن. المعنى اللغوي دراسة: عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا. القاهرة. مكتبة الآداب. 1426هـ-2005م. ط1. ص 170.

سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَذَلَّيْ دَلُوهُ قَالَ يَا بَشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ [سورة يوسف، الآية: 19]. أمّا الآن فانتقل معناها إلى تلك المركبة التي تنقل النَّاسَ، «... وإنّما نريد بهذا النظام قواعده الصّوتية والصّرفية والتركيبية والإعرابية، أمّا نظامه المعجمي والأسلوبي فلهما شأن آخر ذلك أنّ القرآن نفسه، قد شرع تغيّر المعجم في إطار الثبوت، إذ نزل بلسان الجاهلية قرآنا عربيا، ولكنه تحوّل ببعض معجم هذا اللسان، فنقل الإيمان والصّلاة والصّوم والزّكاة... إلى معانٍ أخرى...»⁽¹⁾. يمكن الإشارة إلى أنّ هناك من اللّغويين من يرى أنّ المستويات اللغوية تقتصر على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي. أمّا ما سواها فتعدّ وظائف لا مستويات.

2-4-1- المستوى الكتابي: يقابل المستوى الصوتي، ولا يمكن للباحث الاستغناء عنه، مع إمكانية استغناء عامة النَّاس عنه، فاللغة المكتوبة لا ينبغي أن تتفصل لديه عن الصوت، فهما وجهان لعملة واحدة، ولولا أهميته ما وُجد، وقد أقصاه اللسانيون الوصفيون، لاهتمامهم بالجانب النطقي للغة. يرتبط هذا المستوى بالمستوى الصوتي والصرفي والنحوي، إذ تتحكّم القواعد في الكتابة، فمثلا تكتب همزة (مسؤول) على الواو، وهذا تطبيقا لقاعدة صرفية إملائية، وكذلك همزة (بئر) تكتب على نبرة، وإذا جهل الكاتب هذه القواعد، فإنّ ذلك سيجرّب عنه خطأ في الكتابة. إلّا أنّ هذا لا يعني إقصاء المستويات الأخرى، فالمستوى الصّوتي له أثره في الكتابة، فمثلا صوت (الضاد) يختلف عن صوت (الظاء)، وإذا أخطأ المتكلّم في نطقهما سيؤدّي الأمر إلى الخطأ في كتابتهما. كما تتحكّم القاعدة النحوية في كتابة الكلمة، فمثلا تكتب الكلمة في حالة الجمع المرفوع بالواو، وتكتب في حالة النصب بالياء، فيقال: (نجح المجتهدون، وأكرم الأستاذ المجتهدين). وإذا غابت هذه القواعد النحوية عن الكاتب، فإنّه سيكتب الكلمة بطريقة خاطئة، وهو أمر كثيرا ما يتكرّر فيكتب المرفوع بالياء والمنصوب والمجرور بالواو.

ومن الصّور في هذا المقام الإشارة إلى الأصوات الدّاعية إلى كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية، وهو ما تضمّنته بعض كتب المستشرقين ومعاجمهم، وكما ورد لدى بعض أتباعهم، وهو ما سيأتي بيانه في موضعه. وعندما تُسند كلمة إلى أخرى أو أكثر يتمّ الانتقال إلى مستوى آخر، وهو المستوى النحوي، وهو من المستويات المهمة في دراسة اللغة.

¹ - الموسى، نهاد. اللغة العربيّة في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التحوّل. عمان، دار الشّروق للنشر والتوزيع، 1428هـ-2007م. ط1. ص 178.

تتميّز اللّغات كلّها باستعمالات وممارسات مختلفة (مستويات مختلفة) للّغة الواحدة، إذ يقتضي الحديث في المدرسة، غير ما يقتضيه الحديث في الشارع، وهذا ما ينطبق على اللّغة العربية، فترى ماهي مستويات استعمالها؟

3- مستويات اللّغة العربية (الممارسات اللّغوية):

3-1- اختلاف الباحثين حول مستويات اللّغة العربية: عرفت اللّغة العربية تنوعا في أدائها، منذ زمن حيث التزم بعض المستعملين بالفصحى، وتساهل آخرون في بعض قواعدها، وقد ظهرت مستويات مختلفة باختلاف المقام، منهم من قسّمها إلى ثلاثة مستويات، وهي الفصحى والعامية والدّخيل، وقد جعلها (عبد الرحمن بدوي) خمسة، وهي فصحى التّراث (لقراءة القرآن)، فصحى العصر (الكتابة والحديث في المواقف الرسمية)، عامية المثقفين (لغة الحديث الرسمية عند المتعلمين)، عامية المتتوّرين (حديث المتعلّمين المتباعدة) عامية غير المتتوّرين (الأميين).⁽¹⁾ يمكن القول إنّ هناك مبالغة في تقسيم اللّغة إلى هذا الكمّ من المستويات، وما يُفهم ممّا ورد أنّه متأثر بآراء المستشرقين، حيث حصر فصحى التراث في رجال الدّين، أما فصحى العصر فربطها بالحياة المعاصرة، «أما فصحى العصر... التي تستخدم فيها العربية الفصحى مثل الإذاعة ونشرات الأخبار والتعليق السياسي والأحاديث العلمية المعدة مسبقا والتي يقرأها أصحابها من ورقة مكتوبة... ولذلك فقد أصبحت عامية المثقفين بمفرداتها وتعبيراتها ومرونتها مستودع الحضارة المصرية الحديثة ولسان العالم المعاصر...».⁽²⁾ هناك نقطتان يمكن مناقشتها، أمّا الأولى فقولُه فصحى التّراث مستعملة لدى رجال الدّين، ومعلوم أنّه لا وجود للغة خاصة برجال الدّين، وقد نُسج هذا الكلام على منوال أقوال المستشرقين، حيث ورد مثله في كتاب (دانيال ريغ) الذي ترجمه الأستاذ (إبراهيم صحراوي)، «... وهكذا فإنّ المسلم الإندونيسي، رجل الدّين الذي يعيش في أقصى شمال سومطرة (بندا-آسه)، الذي يمارس مهنية العربية (اللاهوتية؟) الكلاسيكية، قد يلاقي صعوبات جمة في قراءة مجلة عربية تصدر هنا أو هناك في كبريات مدن الشرق الوسط أو المغرب...».⁽³⁾ ما يجب التّنبية إليه في هذا الكلام أنّ المستشرق ريغ، يتحدث عن مسلم غير عربي

¹ - فرستيج، كيس. اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها. ص 219. وينظر: بدوي، السعيد محمد. مستويات العربية المعاصرة في

مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة. القاهرة، دار المعارف، 1973م. ط مصر. ص 89، 110، 111.

² - بدوي، السعيد محمد. مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة. ص 90.

³ - ينظر: ريغ، دانيال. رجل الاستشراق، مسارات اللّغة العربية في فرنسا. تر: إبراهيم صحراوي. الجزائر. دار التوزيع للنشر والتوزيع 2008. ط. ص 36.

وهذا في حد ذاته مغالطة وتشويه للحقائق، فلا ينبغي التمثيل لهذا الأمر بشخص أجنبي، فالسؤال الذي يجب طرحه هو هل يعجز العربي المسلم عن فهم ما يكتب في الجرائد أو المجلات؟

أما النقطة الثانية، فتتمثل في قول الأستاذ سعيد بدوي «...والتي يقرأها أصحابها من ورقة مكتوبة»، علما أنه يتحدث هنا عما سماه عامية المثقفين، التي صارت لغة الحضارة حسبه، وكأنه يتهم المتكلم بالعجز عن الارتجال مطلقا، وهو عكس ما نراه الواقع. وهناك من يقسم المستوى الفصيح نفسه إلى (فصحى: وهي الكلمات الموجودة في المعاجم العربية القديمة أثناء عصر الاحتجاج، ومولّد: يتمثل في الكلمات التي ولّدها العرب بعد عصر الاحتجاج بإحدى الوسائل المعروفة: الاشتقاق، المجاز النحت، التركيب، ويفرق بعضهم بينه وبين المحدث الذي رافق التطورات الحاصلة في المجتمع على مستوى المجالات كلّها ولاسيما العلمية منها).⁽¹⁾ إلا أنه يستحسن التخفيف من المصطلحات، التي تثقل كاهل اللغة العربية، وإدراجها ضمن الفصيح، بما أنّ المجمع أجازها ودخلت ضمن المعجم العربي، فما الفرق بين أن تكون الكلمة دخلت بعد الاحتجاج أو أضيفت في العصر الحديث؟ وحذا الاقتصار على مصطلح المستوى الفصيح، ليأتي المستوى العامي، وهي اللهجات المنتشرة بين المتكلمين، والدّخيل الذي يُقسم بدوره إلى معرّب وأعجمي. وهنا يمكن دمج المصطلحين، والاكتفاء بمصطلح الدّخيل، فالكلمة جاءت من خارج اللغة العربية، وسواء أخضعت للقاعدة العربية أو لا، فهي أجنبية في الأصل، وهذا يضمن تمييز هذه الكلمات مهما مرّت الأزمان، وعليه فمستويات اللغة العربيّة ثلاثة، وهي:

3-2- المستوى الفصيح: يتمثل هذا المستوى في اللغة العربية الموروثة عن السلف منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، ركيزتها ثمان وعشرون (28) حرفا، حفظها القرآن الكريم أولا والشعر العربي ثانيا والمعاجم العربية ثالثا، فقد عملت المعاجم العربية القديمة على حفظها، والحديث على إثرائها بمفردات جديدة مسايرة للعصر، ولاسيما معجم الوسيط، بوصفه المعجم الذي تشرف عليه هيئة رسمية، وجميل ما ذكره أستاذي الفاضل عبد الرزاق عبيد حول هذا المستوى، «...وصلنا هذا المعيار في أوج قوته بدءا من العصر الذي يطلق عليه الباحثون "العصر الجاهلي" وهو جاهلي؛ من حيث بعض العادات والتقاليد وجاهلي من حيث عبادة الواحد الأحد، أما الناحية اللغوية، فإنّ مستوى لغته يكاد يشبه المعجزة. يكفي

¹ - ينظر: مودر، الجواهر. العلاقة بين المعاجم المدرسية والمفردات في كتب المرحلة الابتدائية السنوات الثلاث الأولى نموذجا. إشراف الدكتور عبد الرزاق عبيد. أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر. 2013-2014م. ص 88.

أنه وسع كلام الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. وقد أجمع الدارسون القدامى والمعاصرون على تسمية ذلك المستوى، باللسان العربي الفصيح أو اللغة العربية الفصحى⁽¹⁾. إلا أن الأستاذ الباحث يفصل هذا المستوى، ضمناً عن مستوى آخر أقل منه، حيث يضيف قائلاً: « تمييزاً له عن المستوى الذي أخذ يتشكل بعد ذلك، نتيجة لاحتكاك العرب الأقحاح بغيرهم من الأمم الوافدة عليهم، وارتحال بعضهم لمواطن بلاد العجم⁽²⁾. وهو ما يعني وجود مستوى يتسم بالفصاحة؛ لكنه دون الأول. فترى ما هو هذا المستوى؟ يثبت الواقع أن استعمال اللغة العربية الفصحى، يختلف من شخص إلى آخر، ولعل هذا الأمر مرتبط بعوامل كثيرة، منها مدى اتصال صاحب اللغة بالقرآن العظيم والحديث الشريف والشعر القديم، أو على الأقل أحدها، وقد اقترح الأستاذ عبد الرزاق عبيد تسمية « المستوى المعياري الفصيح الذي يقتصر على الخاصة، ويتميز بثراء المصطلحات والمفاهيم المجردة، وهو وسيلة الاستعمال في المحافل الرسمية والعلمية والإعلامية، وفوق هذا منهج العبادات والشعائر الدينية للمسلمين. كما يتميز بمراعاة الأحكام اللغوية الفصيحة من إعراب وصرف وأساليب على غرار الأساليب الأولى...وبحكم هذه الوظيفة تفرض العربية الفصحى نفسها على الجميع وتستمر في البقاء محافظة على مقامها السامي في نظر عامة الناس وخاصتها، ومحاطة بكثير من التقدير والإجلال⁽³⁾. توحى هذه التسمية بوجود مستوى فصيح غير معياري، فهل يمكن أن يوجد هذا المستوى، بحيث يكون فصيحاً، لكن دون أن يخضع لمعايير اللغة العربية؟ وفي الواقع هناك مستويات فصيحة كثيرة، تقاس درجات فصاحتها بمقدار انضباطها وخضوعها لنظام العربية. يمكن دمج المستويين؛ بل المستويات تحت تسمية واحدة، وهي الفصحى بما أن كل المستويات المسماة فصيحة تحاول الامتثال لأحكام ونواميس لغة واحدة، هي اللغة العربية وتسعى إلى احترام قواعدها في أصواتها وكلماتها وتراكيبها. وهنا يجب التمييز بين اللغة والمستوى فاللغة الواحدة، قد تتضمن عشرات المستويات، وقد يستعمل الشخص الواحد أكثر من مستوى حسب السياق والمقام الذي يواجهه، أما اللغة فلا تتعدد.

1 - عبيد، عبد الرزاق. "العربية الفصحى والعامة: متن اللغة لأحمد رضا (أنموذج)". ص 318.

2 - المرجع نفسه. ص 318.

3 - المرجع نفسه. ص 320.

3-3- المستوى العامي: تفرّع المستوى العامي عن الفصح، وهناك من يسميه اللهجات، إذ أحدث فيه أصحابه تغييرات على مستوى الأصوات والصرف والنحو والدلالة، كما حافظوا على بعض الكلمات وبتفاوت مدى الاقتراب والابتعاد عن الفصحى من عامية إلى أخرى، وهو ذلك « المستوى الذي يتّخذ السواد الأعظم من أفراد المجتمع المعاصر، وسيلة للتبليغ وقضاء الحاجات اليومية، ويتميّز بالتحرر من الأحكام الإعرابية والصرفية الصارمة، وبروز الآثار اللهجية الجهوية إلى حدّ اللكنة والإسفاف والابتذال أحياناً، وبالاقتدار إلى المصطلحات العلمية والمفاهيم الفكرية المجردة، ويتكفل بالقليل من المجالات الأدبية...»⁽¹⁾. فالعامية هي اللهجة المستعملة في الحياة اليومية، إلاّ أنّها لا تصلح في المجال العلمي والمجالات الرسمية عموماً، إذ رغم كل النداءات والأصوات المطالبة، باتّخاذها لغات محل الفصحى إلاّ أنّها لم تغلج، لأسباب كثيرة سيأتي ذكرها في موضعه إن شاء الله تعالى. وما يجب تسجيله أنّه لا تخلو لغة من مستوى عامي، يتداوله الناس أثناء تعاملهم في الحياة اليومية، حيث يضيق الفرق ويتّسع حسب اللغات وأهلها.

3-4- المستوى الدّخيل: الدّخيل هو ما دخل من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، وهو ظاهرة لغوية قديمة تحدث بالاقتران اللّغوي الذي تشهده لغات العالم كلّها، ولاسيّما اللّغات التي تحتكّ ببعضها البعض وهناك من يفرّق بين الدّخيل الذي خضع لقواعد العربية، فيسمى حينها (معرباً) والدّخيل الذي حافظ على صيغته الأجنبية فيسمى (الدّخيل) الأجنبي، ويستحسن تجنباً لكثرة المصطلحات الاكتفاء بمصطلح الدّخيل، فسواء أخضع للقياس العربي أم لا، يبقى أنّه أجنبي الأصل، وهذا من شأنه أن يسهّل تحديد الكلمات المقترضة، ويعدّ مؤشراً إيجابياً يعكس مرونة اللّغة، وقابليتها لإثراء معجمها في حالة وجود عجز، وهو ما يطراً على اللّغات جميعها بتفاوت.

وللاطلاع على هذه المستويات في الدّراسات الأكاديمية العربية-الغربية، اطّلع على دراسة الباحثة ريم حمدي، حول التّنوعات النّغمية في اللهجات العربية، بجامعة ليون الفرنسية،⁽²⁾ التي ذكرت أربعة مستويات، بداية بالعربيّة الكلاسيكيّة (l'arabe classique)، وهي -حسبها- لغة قديمة تمّ ضبط قواعدها ما بين القرنين الثامن والعاشر ميلادي، وتسمى عربية القرآن (arabe coranique)، تعدّ لغة

¹ - عبيد، عبد الرزاق. "العربية الفصحى والعامية: متن اللغة لأحمد رضا (أنموذجاً)". ص 320.

²- Voir Hamdi, Rym. la variation rythmique dans les dialectes arabes, Paris, université Lumière Lyon 2, thèse de doctorat, 2007. p11, 12, 13, 14, 15.

C'est une variante moins formelle que l'arabe classique. On parle également d'arabe « littéral » ou « littéraire ». c'est la langue de la presse des médias, de la littérature moderne, des conférences et des discours politiques.

الشعوب والحقبة الثقافية القديمة، وتدرّس في المؤسسات التعليمية من خلال الأدب العربي القديم. أما العربية المعاصرة (l'arabe standard contemporain ou moderne)، فتعدّ استعمالا لغويا غير رسمي، ويمكن الحديث عن لغة أدبية هي لغة الصحافة والإعلام والمحاضرات والخطابات السياسية والإدارة، ويمكن للناطقين بلهجتين مختلفتين التفاهم بواسطة هذه اللغة.

ثم انتقلت إلى العربية الوسيطة (l'arabe médian) وهي لغة المثقفين العرب، تظهر في شكل لغوي وسط بين العامية والفصحى المعاصرة (arabe parlé formel)، تسمى في المغرب اللغة الوسطى، إنها صورة مبسطة للغة العربية المعاصرة الفصيحة وفيها نسبة كبيرة من العامية.

ختمت الباحثة ريم حمدي المستويات بالعامية المستعملة في الحياة اليومية، قائلة إنها لغة الحياة ولغة الأم لمعظم البلدان العربية، وتختلف من منطقة إلى أخرى، وتتميز عن الفصحى بأحد المستويات أو أكثر (الصوت، الصرف، القواعد، التركيب)، وليس لها وجود رسمي، وهنا تعبّر الباحثة عن استيائها من إقصاء اللهجات وعدم الاعتراف بها* رغم أنها اللغة المستعملة في حياة الناس وهي لغتهم الأم. وقد وظّفت مصطلح (langues dialectales). وهنا يلمس القارئ الكريم تأثرا واضحا بالفكر الاستشراقي الغربي، وهو ما ذهب إليه المستشرق المغربي الأصل ميشيل قيطوط الذي استنكر بدوره وضعية اللهجات ببلدان المغرب العربي داعيا إلى جعلها لغات رسمية.⁽¹⁾ وهي أفكار ناتجة عن الفكر الاستشراقي « وقد بلغ من شدة اهتمام المستشرقين باللهجات الدارجة أن عدّوها اللغات الجديرة بالدراسة دون الفصحى فقد ذهب بعضهم إلى إنكار أن تكون الفصحى لغة حيّة، قياسا على واقع اللغتين اليونانية واللاتينية وهذا ما فعله الخوري مارون عصف في كتابه "حياة اللغات وموتها اللغة العامية الذي أصدره عام 1925م، فقد راح هذا يؤبّن اللغة العربية الفصحى انطلاقا من افتراض أنّ كل لغة سائرة إلى الفناء».⁽²⁾ يؤكد الواقع أنّه لا يمكن الاستغناء عن اللغة الفصيحة المكتوبة، فلو افترض أنّ أجنبيا أراد زيارة عشرين منطقة عربية في بلدان عربية مختلفة، فهل يفضل تعلّم عشرين لهجة أو الأحسن له تعلّم لغة واحدة يفهمها أهل هذه المناطق جميعها؟ « اللغة المكتوبة إذن تساعد على تحسين وسائل الاتصال حتى في

* « Il y a même au niveau de presque tous les arabes, sans exception un certain aveuglement et un manque flagrant de prise de conscience linguistique qui fait que le statut des langues dialectales qui forme l'ensemble du continuum linguistique Arabe n'est jamais reconnu ».

¹- Quitout, Michel. Initiation A L'Arabe Maghrébin, Vocabulaire bilingue. France, éditions L'Harmattan, 2004.p 12.

² - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 121.

مجال التفاهم الشفوي بين أعضاء الجماعة اللغوية الواحدة... وإلا فإنه من المشكوك فيه أن يتمكن رجلان فرنسيان أحدهما من الشمال والآخر من الجنوب من أن يتفاهما بسهولة... وإنه من المحتمل في المستقبل القريب أن يزيد نفوذ الاتجاه المحافظ المعياري الذي تمثله الصورة المكتوبة للغة... ولهذا فإنه في معظم البلاد المتحضرة قد ظهرت للغة الكلام صورة أدبية إلى حد ما أو هي في طريق الظهور»⁽¹⁾ وهو ما يؤكد أن هذا الجدل المثار حول اللغة العربية مفتعل، فالظاهرة موجودة في اللغات كلها، ولا تثير جدلاً إلا عندما يتعلق الأمر باللغة العربية، وهو ما لا يحتمل أكثر من تأويل، وهو تميز هذه اللغة الكريمة. قام الباحث محمود البطل وزميلتيه ريماء قنواطي وهاجر الديراني بدراسة حول مواقف الطلاب الجامعيين العرب واعتقاداتهم حول اللغة العربية، ومن الأسئلة التي طرحت: ما الذي يتبادر إلى ذهنك عندما تسمع/ين عبارة اللغة العربية؟ أظهرت الإجابات أن حوالي نصف المشاركين (49%) يعتقدون أن العربية بالنسبة لهم تعني العربية الفصحى والعامية/ الدارجة. و(32%) يعتقدون أن مفهوم العربية يقتصر على الفصحى فقط و(18%) يعتقدون أنها تقتصر على العامية/ الدارجة.⁽²⁾ والجدول الآتي يبين نسب الذين يرون اللغة العربية تشمل الفصحى والعامية.

جدول لتوزيع نسب الذين يتبادر إلى ذهنهم: الفصحى والعامية/ الدارجة معا عند سماع (اللغة العربية)

البلد	العراق	عمان	فلسطين	السودان	مصر	لبنان	البحرين	الإمارات
النسبة	68%	67%	60%	56%	52%	52%	51%	51%
البلد	السعودية	الكويت	الأردن	سورية	تونس	المغرب	ليبيا	الجزائر
النسبة	49%	48%	46%	46%	46%	43%	35%	25%

يبين هذا الجدول أن هناك مشاركين، من بلدان عربية يجعلون اللغة العربية بمستوياتها الفصحى والعامية في مرتبة واحدة، ويلاحظ أن النسب الكبرى لهذا الاعتقاد سجلت في بلدان المشرق. أما النسب الأقل، ففي بلدان المغرب، وأدنى نسبة سجلت كانت في الجزائر، وهذا يعني أن معظم المستجوبين الجزائريين يفرقون بين الفصحى والعامية، وهذا أمر إيجابي يبشر بالخير.

¹ - باي، ماريو. أسس علم اللغة. تر: أحمد مختار عمر. القاهرة، دار عالم الكتب، 1419هـ-1998م. ط. 8 ص 62.

² - البطل، محمود وآخرون. "مواقف الطلاب الجامعيين العرب واعتقاداتهم حول اللغة العربية". ص 293.

المبحث الثاني: العامية وامتداداتها المعاصرة

1- الفرق بين العامية واللهجة واللغة:

1-1- اللهجة والعامية: تعدّ كلمة (اللهجة) من الكلمات العربية القديمة، التي استعملها المحدثون للدلالة على التّأديّات المختلفة للغة العربية، وكانوا قديماً يستعملون كلمة (لغة، لغات)، وفي هذا اختلاف بين العلماء، إذ منهم من يرى أنّ اللغة العربية تكوّنت من مجموع اللهجات المتفرّقة بين القبائل العربية مستمّدة من كلّ واحدة منها أحسن ما فيها، « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أنّ قريشا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أنّ الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم... فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش، في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها، ورقّة ألسنتها، إذا أنتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب». (1) ومنهم من يرى أنّها لهجة (لغة) قريش الخالصة، التي بها نزل الوحي. ويمكن القول بالرأي الأول، بما أنّ قريشا كانت بمثابة العاصمة للعرب، فلا يُستبعد أن تتأثر لهجتها بلهجات القبائل التي تقصدها، ولاسيما في مواسم الحجّ والتجارة. فتكون بذلك اللغة العربية جامعة بين لهجات القبائل، وما يزيد هذا الرّأي قوّة هو نزول القرآن العظيم بلهجات القبائل المشهورة، وهو ما يُعرف بـ (الأحرف السبعة)، وإن اختلف حولها إلا أنّ الباحث عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي يقول: « وبعد تأمل وتفكير في أقوال العلماء رجحت رأياً أطمئن إليه، وهو أنّ المراد بالأحرف السبعة لغات سبع مختلفة، فيما بينها في خصائصها، ولذلك اختلفت في أوجه كثيرة... وقد اشتملت على جميع لغات العرب بالجملة في نطاق الكلام الفصيح لأنّها لغات متداخلة في خصائصها». (2) إذ كثيراً ما ترد أحاديث يسمع فيها الصّحابة آية معيّنة على غير ما سمعها من الرّسول ﷺ، فيستنكر ذلك على الصّحابي، ويلجأ إلى النّبي الكريم ﷺ فيؤيّد قراءة ذاك الصّحابي، وهو ما يمكن اعتباره دليلاً قاطعاً على أنّ اللهجات العربية آنذاك، تشكّل اللغة العربيّة، فما اللهجة، حينها إلّا أداءات متنوعة للغة العربية، وأكثر ما اختلفت فيه هو المستوى الصّوتي، وما تجدر

¹- السيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ج1. ص 210.

²- المطرودي، عبد الرحمن بن إبراهيم. الأحرف القرآنية السبعة. الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، 1411هـ-1991م. ط1. ص

الإشارة إليه، هو أن العرب كانوا يوظفون مصطلح (لغة) للدلالة على (اللهجة)، وبما أن المقام لا يتسع للتفصيل في هذا الموضوع فسيكتفى بهذا القدر.*

1-1-1-تعريف اللهجة: ستكون البداية بضبط معنى كلمة (اللهجة)، ولعل أهم سؤال يتبادر إلى الأذهان: هو ما المعنى القديم لهذه الكلمة؟ وهل حافظت عه أو أنه طرأ عليه تغيير؟ وهل هي نفسها مع العامية؟ ستكون البداية بتتبع معناها في المعاجم العربية. ورد في لسان العرب « واللّهجة واللّهجة: جرس الكلام، والفتح أعلى ويقال: فلان فصيح اللهجة واللهجة، وهي لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. واللهجة: اللسان، وقد يُحرّك. وفي الحديث ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر قال: اللهجة اللسان». (1) وذكر اللغوي ابن فارس « لهج اللام والهاء والجيم أصل صحيح، يدلّ على المثابة على الشيء وملازمته، وأصل آخر يدلّ على اختلاط في الأمر... وقولهم هو فصيح اللهجة واللهجة: اللسان بما ينطق به من الكلام، وسميت لهجة لأنّ كلا يلهج بلغته وكلامه...». (2) وكذلك ورد في الوسيط « اللهجة اللسان أو طرفه واللهجة لغة الإنسان التي جُبل عليها فاعتادها، يقال: فلان فصيح اللهجة وصادق اللهجة واللهجة طريقة من طرق الأداء في اللغة». (3) التعريفان متشابهان إلا أنّ الوسيط أضاف معنى آخر للهجة، وهو استعمال معيّن للغة من بين استعمالات أخرى، وهو المفهوم الحديث.

وفي المعجم الفرنسي أشات (Hachette)، اللهجة (dialecte) هي طريقة الكلام بلغة خاصة بمقاطعة أو منطقة معيّنة. (4) وهو التعريف نفسه -تقريباً- الذي قدّمه الوسيط للهجة، بأنّها أداء للغة شفويا بخصوصيات منطقة ما. وهناك مصطلح (patois) الذي يعني « استعمالاً لغوياً ريفياً لمجموعة

* يمكن الرجوع إلى الدراسات القرآنية واللغوية التي فصلت في هذا الموضوع: الإمام ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع. تح: عبد العال سالم مكرم. القاهرة، دار الشروق، 1399هـ-1979م. ط3. والإمام الداني، الحافظ أبو عمرو عمرو عثمان بن سعيد (444هـ). القراءات السبع المشهورة. بيروت، دار الكتب العلمية، 1426هـ-2005م. ط1. ابن الجزري، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (833هـ). النشر في القراءات العشر. علي محمد الضباع. المطبعة التجارية الكبرى. 2009. الشيخ الحصري محمود خليل. القراءات العشر من الشاطبية والدرّة. القاهرة، مكتبة السنة، 1424هـ-2003م. ط1. غلام نبي بن غلام محمد أنجب. الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء الدراسات القرآنية واللهجات العربية. رسالة دكتوراه. إشراف الدكتور عبد الله درويش. المملكة العربية السعودية، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة. وغيرها.

1 - ابن منظور. لسان العرب. مادة (لهث). (وفق ترتيب ألفبائي)

2 - ابن فارس، الحسين أحمد بن زكريا (395هـ). معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون. سوريا، دار الفكر، 1399هـ-1979م. ط1. ج5. مادة (لهج-لهذ). ص 214، 215.

3 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (لَهَزَ).

4 - Ghislaine Stora, et autres. Dictionnaire Hachette, paris, édition 2007 . p469.

محددة⁽¹⁾ من خلال التعريفين هناك فرق في الفرنسية بين مصطلحي (dialecte) و (patois). وليس الأمر، كما ورد في ترجمة كتاب (ماريو باي)، « اللهجات إذن تعتبر شكلاً محلياً للكلام يستعمل في محيط واسع... وقد وضع الفرنسيون لهذه الصورة الكلامية غير المكتوبة اسم (patois) ». (2) قد ينتج عن هذا القول لبس في المعنى، فاللهجة يقابلها بالفرنسية (dialecte)، أما (patois) فتختص بإقليم أو جماعة لغوية. وفي حدود العلم لا يوجد مقابل دقيق في العربية لهذه الظاهرة، فيما أطلق عليها الأستاذ صالح بلعيد «... اللهجة الفئوية Patois بمعنى لهجة فئة اجتماعية، تحوي كلمات لا تفهم خارج تلك الفئة. وقد تنجّر عن هذه اللهجة مواصفات لهجية أخرى، ناتجة عن انتماء جغرافي أو اجتماعي أو ثقافي، ولا تبتعد عن اللهجة الأم إلا في صيغ ومواصفات صوتية أو صرفية أو معجمية». (3) وهذا يعني أنه أداء مطابق لقواعد اللغة الأصلية التي تفرّعت عنها. كما ورد تعريف آخر لمصطلح (patois)، وهو أنها لهجة خاصة بالطبقات الدنيا. (4) وهذا ما يكشف عن خلط كبير في تحديد هذه المصطلحات واستعمالها. وهناك مصطلح (créole) الذي يعني حسب قاموس أشات، لغة آتية من احتكاك لغة محلية أو مستوردة مع الإنجليزية (importée)، الفرنسية، والإيرلندية، أو الإسبانية أو البرتغالية وتوظف بوصفها لغة الأم لمجموعة ثقافية. (5) إلا أنه يصعب إسقاط هذا المصطلح على اللهجات أو العاميات العربية، ولاسيما الجزائرية منها.

عُرف مصطلح (اللهجة) منذ القدم، إذ تنوّعت لهجات العرب، وكانت كلّها تصبّ في لسان واحد هو العربية الفصحى، مع اختلافات في نطق بعض الكلمات أو الحروف، واختلاف دلالة بعض الكلمات من لهجة إلى أخرى، وكان المصطلح الذي يطلق على هذه الظاهرة قديماً، هو "لغة"، فيقال: لغة القبيلة الفلانية. واللهجة هي "طريقة معيّنة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة". (6) وهذا ما يظهر بوضوح في لهجات اللغة العربية، مثل الكشكشة في ربيعة ومضر حيث

¹ - Ghislaine Stora, et autres. Dictionnaire Hachette p 1208.

² - باي، ماريو. أسس علم اللغة. ص 69.

³ - بلعيد، صالح. الاهتمام بلغة الأمة. ص 86.

⁴ - احمامو، عبد العالي. "اللهجات العربية في الفكر الاستشراقي". في مجلة دراسات استشرافية. العراق، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2018م. ع15. ص 181.

⁵ - Ghislaine Stora, et autres. Dictionnaire Hachette. p 400.

⁶ - ينظر: حامد هلال، عبد الغفار. اللهجات العربية، نشأة وتطورا. القاهرة، مكتبة وهبة، 2009م. ط3. ص39.

يجعلون شيئا بعد كاف الخطاب للمؤنث، رأيتكش، ومحل الكاف مثل: (عليش) عوض (عليك)، وغيرها من اللهجات. والاختلاف قد يلحق الأصوات، كما يظهر في الصيغ الصرفية فنجد اسم المفعول لـ (قال ودان)، هو: (مقول ومدين عند الحجازيين، ومقول ومديون عند التميميين)؛ بل قد يصل الأمر إلى اختلاف المعنى للكلمة الواحدة، وممن أشار إلى ذلك السيوطي في كتابه المزهر حيث تعني كلمة (وثب) جلس عند حمير، في حين معناها عند عرب الشمال (قفز).⁽¹⁾ وتشتمل اللغات كلها على أداءات مختلفة للغة الواحدة باختلاف المناطق، يقول فنديريس عن اللغة الفرنسية: «إننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى يمكننا أن نميز لهجة كل قرية منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات، ومن حيث النحو، ومن حيث المفردات». ⁽²⁾ يؤكد هذا الكلام أن ظاهرة اللهجات موجودة في لغات أخرى غير العربية، ومنها الفرنسية.

يعرف الأستاذ عبد الجليل مرتاض اللهجة، أنها «تكلّم جهوي متغير، تختلف مميّزاته الصوتية والفونولوجية، وكذا خصوصياته اللّكسية ونادرا الموفو-سانتكية عن اللغة المهيمنة، وهذا التّغير عموما ليس مختلفا إلى درجة انعدام التفاهم بين متكلمين لا يتكلمون إلاّ هذه اللهجة الجهوية، وبين آخرين لا يتكلمون إلاّ اللغة الوطنية (أو لهجة أخرى من نفس اللغة)». ⁽³⁾ ومما لوحظ في معظم الدّراسات الحديثة توظيف مصطلح (لهجة) بالمعنى نفسه مع مصطلح (العامية)، فهل يحملان المعنى نفسه؟

1-1-2- تعريف العامية: العامية كلمة فيها نسبة للعامّة، إذ يُطلق مصطلح العامية على الاستعمال اللّغوي، لهذه الفئة من النّاس، وهو استعمال يتفرّع عن الفصحى أو اللّغة الرّسمية للمتكلّم، وتختلف درجة قربها وبعدها من اللّغة الأصل من بلد إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى. ورد في الوسيط «العامية لغة العامّة، وهي خلاف الفصحى». ⁽⁴⁾ يبدو أن هذا التعريف يفنقر إلى الدقة، إذ قد يفهم منه أن العامية لا علاقة تجمعها مطلقا بالفصحى. ومما ورد عن الأستاذ صالح بلعيد، «إن العامية مستوى بسيط وظيفي أني محلي؛ يلتجأ إليه بغية استعمال لغة الأئس... لغة دنيا ووسيلة اتّصال خليط قلة من ألفاظها فصيح أصيل باق، وكثير من ألفاظها فصيح محرف، وبعضها غريب دخيل مازال راسبا من غابر

¹ - ينظر: السيوطي. المزهر في اللغة. ج.1. ص 221.

² - حامد هلال، عبد الغفار. اللهجات العربية نشأة وتطوّرا. ص41. عن فنديريس. اللغة. ص31.

³ - مرتاض، عبد الجليل. اللّسانيات الجغرافية في التّراث اللّغوي العربي. الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003م. دط. ص 19.

⁴ - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (عمّ).

الزمان. يجب التفريق بين العامية السوقية التي هي مستوى حقير لا يجب استعماله، وبين العامية المهذبة... فهي قسيم اللغة العربية الفصحى»⁽¹⁾ قد يفهم من هذا الكلام أنّ العامية نوعان: فالأولى بعيدة كل البعد عن الفصحى، أما الثانية: فهي شديدة الصلة بالفصحى، ولعلّه يصلح لها تسمية اللهجة. و«... العامية لا تعتمد على قواعد ثابتة، ومنها كثير مشتق من لغات الأعاجم، فإنّ المشتغلين بالدراسات اللغوية، يؤكدون أنّ اللهجات العامية، حافظت على ثروة هائلة من الألفاظ الفصيحة المهمة عند الكتاب والأدباء، والمصطلحات العربية الصحيحة التي استنبطت أيام ازدهار المدنية، ولم يضمّها معجم ولا سجّلها أحد من علماء اللغة، إلّا في القليل النادر»⁽²⁾ ورد في هذا التعريف مصطلح (اللهجات العامية) وهو ما يوحي بوجود مقابل له، وهو (اللهجات الفصيحة)، وما يميّزه عن تعريف اللهجة هو التنبيه إلى أنّها لا تخضع لقواعد ثابتة عكس اللهجات الفصيحة.

بالعودة إلى تعريف اللهجة يتبيّن أنّهما (اللهجة والعامية) مصطلحان مختلفان من حيث الصياغة ومتفقان من حيث الاستعمال. فقد درج معظم اللغويين على استعمال المصطلحين بالمعنى نفسه، فيقال: لهجة قسنطينة وعامية قسنطينة، ومما ورد على هذا المنوال «لقد عاشت العامية منذ الجاهلية إلى جانب الفصحى، وكان العرب يفهمون المستويين من الخطاب اللغوي»⁽³⁾ وظّف الباحث في قوله مصطلح (العامية) بمعنى اللهجة، وهو المعمول به بين كثير من اللغويين، كما تستعمل إلى جانب المصطلحين مصطلحات أخرى، مثل: (الدارجة، اللهجات المحكية، اللغات المحكية)، وغيرها. سيأتي ذكر بعضها فيما يأتي.

1-1-2-1- الدارجة: يوظف مصطلح (الدارجة)، بدرجة أقل مقارنة بمصطلحي (اللهجة والعامية) وهي «مستوى تعبيريّ يتخاطب به العامة عفويا في الحياة اليومية، وهو مستوى غير خاضع لقواعد النحو والصرف، ويتّصف بالتلقائية والاختزال، إنّها عربية فقدت بعض الخصائص الموجودة في الفصحى مثل الإعراب، ولكنها ليست لغة في حدّ ذاتها، مثلما يجوز للبعض تسميتها قياسا على اللغات المتفرّعة

¹ - بلعيد، صالح. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى.... ص 121.

² - بليل، نور الدين. الارتقاء باللغة العربية في وسائل الإعلام، كتاب الأمة. وزارة الشؤون والأوقاف والشؤون الإسلامية. قطر. ع8. 2001م. ص105.

³ - خسارة، ممدوح محمد. "نحو مصالحات لغوية ومصارحات". العربية بين الراهن والمأمول. ص 150.

من اللاتينية»⁽¹⁾ وضح العلامة عبد الرحمن الحاج صالح علاقة العامية بالدارجة في قوله: «وسميت العامية بالدارجة بسبب التأدية المستخفة، ويسمى عند القراء بالحدّر»⁽²⁾ ومن التعريفات التي جمعت بين المصطلحات الثلاثة: «(الدارجة، العامية، اللهجة) الدارجة/ اللهجة (Dialecte) والدارجة دوارج / دارجات، ولقد كان مُنطلقها من الفروق الفردية بين متكلم وآخر، وهذه الفروق تتفشى في إقليم معين لتصبح طابعا يُميّز لهجته عن سائر الأقاليم المجاورة. والدارجة هي لهجة جغرافية أو اجتماعية أصابها التحريف ونزلت عن مستوى الفصحى، والفرق بينها وبين الفصحى في المكانة الاجتماعية التي تحظى بها... ولا يقف في العادة أبناء الجماعة اللغوية من الدارجة/ العامية موقف الاحترام، ولذا لا تستخدم في الكتابة الرسمية ولا في الحياة الثقافية...»⁽³⁾ الملاحظ من خلال الاطلاع على بعض الدراسات أنّ معظم اللغويين يستعملون المصطلحات الثلاثة: (اللهجة، العامية، الدارجة)، بالتناوب للدلالة على المفهوم نفسه، دون الإشارة إلى الاختلاف بينها، وعُرف «... هذا المستوى اللغوي بكلام البلديين عند الجاحظ، ولغات الأمصار عند ابن خلدون، واللهجات العامية أو المحكية أو الدارجة عندنا...»⁽⁴⁾ إلاّ أنّه، يمكن القول إنّ اللهجة تشير إلى طريقة معينة، يعتمد عليها المتكلم في أدائه اللغوي، ويجب ألا تكون بعيدة عن اللغة الأم (الفصحى)، فقد تؤدي الفصحى بلهجة معينة، بمعنى طريقة تميّز شخصا، إمّا من حيث النبر والتنغيم أو الكيفية عموماً، فيقال مثلاً: "تحدّث القاضي بلهجة شديدة أو قاسية". أمّا العامية فتشمل كل يستعمله الناس في حياتهم اليومية، وتنطبق تسمية العامية على الاستعمال اللغوي، كلما ابتعدت عن الفصحى، أمّا الدارجة فجاءت تسميتها نسبة إلى انتشارها بين الناس، واعتياد الناس عليها. وفي النهاية تحيل هذه المصطلحات كلّها إلى ذلك الاستعمال اللغوي المتداول في الحياة اليومية. وهناك تسميات أخرى أقلّ استعمالاً، مثل: (اللهجات المحكية). أشار الأستاذ صالح بلعيد إلى تفريق المجمع الأردني بين العامية واللغة العربية المحكية أو ما سمي اللهجة العامية العربية. أمّا المجمع الليبي فخلص

1 - ولد خليفة، محمد العربي. "الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب". أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة. 4 و5 يونيو 2007م. فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة. 2008م. ص 5.

2 - الحاج صالح، عبد الرحمن. "إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي" العربية الزاهن والمأمول. الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 1430هـ-2009. ط1. ص 69.

3 - بلعيد، صالح. الاهتمام بلغة الأمة. ص 84.

4 - الموسى، نهاد. "الفصحى وعامياتها بين تجليات "الكائن" وتصورات "الممكن"، الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة، 4 و5 يونيو 2007م. ص 48.

من أعمال ندوته إلى أن المصطلح الموافق للعامية هو (اللهجة) بدلا من العامية.⁽¹⁾ وهذا يؤكد الاختلافات القائمة حول هذه المصطلحات.

أما الأستاذ عبد (الرزاق بن فراج الصاعدي) فذكر أن الفرق بين اللهجة والعامية، يتمثل في كون اللهجة، تشتمل على قدر كبير من الفصاحة، ولاسيما من حيث الألفاظ، على عكس العامية التي يغلب عليها الفساد، فهي خليط من اللهجات والفصحى واللغات الأجنبية، وأن اللهجة تقابل اللغة قديما.⁽²⁾ حيث دعا الأستاذ اللغويين إلى ضرورة التفريق بين اللهجة والعامية؛ بل ودعا إلى المحافظة على اللهجات، وذكر بعض القبائل التي لا تزال تحافظ على لهجاتها، منها: خزيمه وجهينة، ونجد وتميم. فكلما اقترب الاستعمال اللغوي إلى الفصحى، ولاسيما في المفردات سمي لهجة، وكلما ابتعد عنها كان مصطلح العامية أنسب له. وسيأتي التفصيل في أهم الفروق القائمة بين (اللغة) و(اللهجة) و(العامية) قديما وحديثا، انطلاقا من دراسة المرحوم العلامة (عبد الرحمن الحاج صالح).

1-2-1- بين اللهجة والعامية واللغة قديما وحديثا: خصصت وقفة، لهذه المصطلحات الثلاثة مستقلة كونها، تمثل القاعدة الأساس في البحوث التي قام بها المستشرقون حول اللغة العربية، ولاسيما التسميات المطلقة عليها، إذ من الضروري تحديد مفاهيمها وما بينها من فروق، وهو ما سيسهم في توضيح الكثير من الإشكالات اللغوية.

1-2-1- قديما: تناول العلامة المرحوم عبد الرحمن الحاج صالح هذه المسألة بالتوضيح وذلك انطلاقا من مؤلفات القدامى، حيث يُعتقد بين اللغويين أن القدامى، وعلى رأسهم سيبويه، كانوا يقصدون بمصطلح (لغة) ما يُعرف اليوم بـ(اللهجة)، « وقد فهم الكثير من المحدثين كلمة (لغة) في استعمال العلماء القدامى الأوائل لها، في جميع النصوص التي وردت فيها منسوبة إلى قبيلة أو إقليم أن المقصود هو لهجة من لهجات العرب كلهجة تميم أو لهجة أهل الحجاز...»⁽³⁾ وبعد الاطلاع على

¹ - ينظر: بلعيد، صالح. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى.... ص 131.

² - الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج. الفرق بين اللهجة والعامية. www.youtube.com/watch?v=qlxcamYqREM

مؤسس مجمع اللغة العربية الافتراضي. عميد كلية اللغة العربية. الجامعة الإسلامية. 2020/08/18م.

³ - الحاج صالح، عبد الرحمن. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. سلسلة علوم اللسان عند العرب 1. الجزائر، دار موفم للنشر، 2012م. دط. ص 158.

مجموعة من النصوص، يقرّر العلامة أنّ « اللغة بالمعنى الذي قصده سيبويه، هي نطق وأداء خاص بوحدة لغوية خاصة أو طريقة الكلام عموما. أمّا اللهجة فهي نظام لغوي بأجمعه، وخاصة في زماننا هذا-اللسان الإقليمي الذي له خصوصيات لغوية تخالف اللهجات الأخرى، وكلّها تنتمي إلى لسان أقدم منها، فليس في لفظة لهجة في الاستعمال الحديث ما تدلّ عليه كلمة لغة في القديم. وكذلك حدّد (لسان العرب) اللهجة باللسان، وزاد على ذلك، أنّها أيضا جرس الكلام (accent). ويقال فلان فصيح اللهجة واللهجة هي لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها (substratum)، وكلّ هذه المعاني قديمة، قد زالت في الاستعمال الحديث من مدلولات كلمة لهجة».⁽¹⁾ وفصل أكثر في توضيح مصطلحي (لهجة) و(لغة)، قائلا: « ممّا سبق، اتّضح أنّ سيبويه وأصحابه يجعلون من العربية لسانا واحدا، فيه تنوّع في داخله لهجيا كان أو غير لهجي، ويسمّون كلّ تنوّع لغوي على حدة (لغة) (variant) مهما كان، ولم يصرّحوا أبدا، بأنّ هذا التنوّع يكون كيانا لغويا منفصلا عن العربيّة، أي لم يشيروا في أيّ وقت من الأوقات إلى وجود لهجات لا تصلح إلّا للتخاطب العادي من جهة، ووجود لغة أدبية مشتركة من جهة أخرى، بإزاء هذه اللهجات، وهذا لا سبيل إلى العثور عليه في أيّ كتاب من كتب اللغة أو النحو القديمة».⁽²⁾ وهو بهذا يثبت أنّ القدامى لم يستعملوا مصطلح (لغة)، بالمعنى الحديث لمصطلح (لهجة) وهو الشائع بين جلّ الباحثين، وهي النظرة نفسها المنطلق منها، كما وضّح أنّ اللغة لم تكن تحمل الدلالة الحديثة نفسها قديما، «... وهذا يبيّن أنّ اللغة عند القدماء من النّحاة لا تنطبق إلّا على جزء من اللسان له أكثر من طريقة لتأديته. ثمّ إنّ الكيفيات في استعمال العرب لوحدة لغوية معيّنة، قد تكون لهجية وغير لهجية وليست بالضرورة خاصة بإقليم معيّن أو قبيلة معيّنة...».⁽³⁾ وقد أورد جدولا ضمّنه تطور معنى اللغة عند العرب، اقتبس البحث جزءا منه.

¹ - الحاج صالح، عبد الرحمن. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. ص 156.

² - المرجع نفسه. ص 160.

³ - المرجع نفسه. ص 155.

جدول يمثل تطوّر معنى اللغة عند العرب⁽¹⁾

الزّمن	المعنى الأصلي لكلمة لغة
قبل نزول القرآن وما بعده إلى عصر سيبويه ليس إلا (لا توجد في القرآن الكريم)	- طريقة الكلام عموما. - الاستعمال اللغوي خاصا أو عاما. المعنى الخاص (كمصطلح لغوي)
ابتداء من بداية القرن الثالث (مع بقاء المدلول القديم كمصطلح عند النّحاة واللغويين بجانب المدلول الطّارئ)	طريقة استعمال كل العرب أو أكثرهم أو قلة منهم لعنصر لغوي معيّن. وقد ترادفها كلمة قول في "قول العرب" (131/1) ولم تدل بعد على معنى اللسان أو اللسان الإقليمي (اللهجة) فهو تتوّع في أداء عنصر من عناصر اللغة المعنى المحدث
	طريقة الكلام الخاصة بأمة من الأمم: لغة العرب/ لغة العجم = لسان أو أقل من ذلك (اللهجة).

يوضّح هذا الجدول، أنّ مصطلح (اللغة) عرفت تغييرات على مستوى المعنى، إلى أن وصلت في القرن الثالث الهجري إلى المعنى الحالي، الذي يجعلها بالمعنى نفسه تقريبا مع مصطلح (اللسان) وإن كان معلوما أن اللساني سوسيور قد فرّق بين اللسان (langage) واللغة (langue) جاعلا الأول نظاما عاما نظريا، والثاني نظاما خاصا واجتماعيا، وهذا ما يعني إمكانية وجود أكثر من لغة في لسان واحد، لكن بشروط، لعل أهمها عدم الخروج على النظام العام للسان. وهو ما تحدّث عنه العرب قديما وربما، يفسر هذا عدم ورود كلمة (لغة) في القرآن الكريم، الذي يسعى إلى التّوحيد لا إلى التّفريق.

1-2-2-حديثا: قد يتّضح الفرق أكثر بين مصطلحي: (اللغة واللهجة) حديثا، بعد الاطلاع على قول الأستاذ عبد الملك مرتاض، الذي يرى أنّ «اللهجة... هذه "العادة النطقية" إن صحّ مثل هذا الإطلاق تنشأ عند المرء تحت تأثير العوامل البيئية والفيزيولوجية والوراثية... فنطق القاف همزا لدى

¹ - ينظر: الحاج صالح، عبد الرحمن. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. ص 161.

أهل تلمسان مثلا لهجة لا لغة، واستعمال القمح بدل البرّ أو البرّ بدل القمح لغة لا لهجة، أمّا نطق الرء غينا أو ياء... وهناك ما هو عيب... إذا كانت تشمل أفرادا معيّنين»⁽¹⁾ وضح الأستاذ (عبد الملك مرتاض) أنّ الأصل هو اللّغة، فاللهجة وما انحرف عنهما فهو عيب، « فاللّغة إذن هي مجموعة من المقاطع الصّوتية يصطلح قوم على النّفاهم بها، والتّعبير بها عن أغراضهم، فإذا شدّ شيء عن تلك الأصوات، فذلك لهجة وإن شدّ شيء عن تلك اللهجة واختص بفرد واحد بعينه، فذلك لثغة»⁽²⁾ ربط الباحث اللّغة بالجانب الصّوتي، بحيث تدخل كل كلمة وافقت أصواتها ضمن هذا المصطلح، وتخرج بكلّ صوت يخالفها فتكون بذلك لهجة، وقد مثّل لذلك، بالهمزة والقاف، أمّا الاختلاف في اللفظ بين مجموعتين لغويتين فيجعله لغة أخرى، وهو بهذا متأثر بالمعنى القديم للّغة. أمّا ما كان متّصلا بنطق حرف بطريقة شاذة لدى فرد، فهذا يدخل في أمراض الكلام ليس إلّا، وهي ظاهرة تدخل على اللّغة واللهجة على حدّ السواء. والإشكال المطروح في هذه الحالة هو أنّ كلا الكلمتين: (البرّ والقمح) تنتمي إلى اللسان العربي، فكيف يكون اللفظان من لغتين مختلفتين إلّا بالمعنى القديم، ذلك أنّ المصطلح الحديث يجعلهما من لغة واحدة، فالاستعمال الحالي لمصطلح لغة يجعل اللفظين (قمح وبرّ) مترادفين في لغة واحدة، ولكن إذا أريدَ التدقيق، قد يقال إنّهما لغتان تنتميان إلى لسان واحد هو اللسان العربي.

أمّا اللّغوي (تمام حسان) فتناول القضية من زاوية أخرى تخالف ما سبق، إذ يرى « أنّ اصطلاح (لهجة)، يتضمّن في الدّراسات اللّغوية الفنيّة، معنى يختلف عن معناه العادي، فليس ثمة فارق حقيقي في نظر اللّغوي بين اللهجة وبين اللّغة التي تربطها صلات بلغة أخرى، مهما كانت هذه الصلات ضئيلة. أمّا في الاستعمال الاصطلاحي، فإنّ هذا الاصطلاح يقتصر على الدّلالة على شكل من أشكال الكلام، لا يختلف عن شكل آخر من أشكاله بالدرجة التي تجعله لا يتّضح في أسماع المتكلّمين بهذا الشكل الأخير»⁽³⁾ يبدو أنّ الباحث مقتنع بهذه النّظرة الجديدة، حيث يجعل « اللهجة طريقة من طرق الأداء اللّغوي يتّبعها المتكلّم في ظلّ حالة اجتماعيّة خاصة... فإذا كانت اللهجة كلاما فاللّغة هي الأسس التي تراعى في النّطق باللهجة، فاللهجة شكل من أشكال تنفيذ اللّغة، واللّغة مجموعة من الشّروط

¹ - مرتاض. عبد الملك. العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى. الجزائر، الشركة الوطنية، 1981م. دط. (سلسلة الدراسات الكبرى). ص7.

² - المرجع نفسه. ص8.

³ - تمام، حسان. اللّغة العربيّة بين المعياريّة والوصفيّة. القاهرة، عالم الكتب، 1421هـ-2001م. دط. ص 177.

والقواعد التي تراعى في إحداث هذا الشكل...الكلام واللهجة عمل واللغة مجموعة من النظم الصالحة للتنفيذ في صورة الكلام أو اللهجة».⁽¹⁾ وهنا ترجمة لثنائية سوسيور بشكل من الأشكال، وإذا أخذ ما قيل بعين الاعتبار، فهناك سؤال سي طرح، وهو كيف ستسمى اللغة العربية عند النطق بها؟ هل ستسمى أيضا لهجة بمجرد تحويل حروفها وكلماتها إلى أصوات ملفوظة؟

أما الأستاذ (أنيس فريحة) فيؤكد أنّ علم اللغة لا يُفرّق بين الفصح وغير الفصح، ويعتبرها مسألة تاريخية سياسية بحثة (دينية).⁽²⁾ وهنا يطفو إلى السطح إشكال منشؤه الدراسات الاستشرافية ويُطرح سؤال مهم، هل يقصد الأستاذ فريحة بقوله هذا اللهجة أو العامية؟ وهذا استنادا إلى الفرق المذكور سابقا عند بعض الباحثين،* إذ مازالت بعض القبائل العربية، ولاسيما في شبه الجزيرة العربية تحافظ على قدر كبير من الفصاحة في كلامها، لكن العبرة بالغالب، ومعظم ما يتكلم به العرب حاليا قد اختلط بلغات أجنبية، وحُرّفت كلماته وابتعدت عن الفصاحة كثيرا. ويظهر موقف الأستاذ (صالح بلعيد) من تصريحه، « أقول يجب التفريق بين اللغة واللهجة عند حديثنا عن اللغة العربية ولهجاتها باعتبار اللغة بمفهومها الاجتماعي العام يشمل اللغة المنطوقة والمكتوبة والنموذجية والعامية بتنوعاتها اللهجية والنظر إلى عوامل وخصوصيات اللغة العربية...».⁽³⁾ وهنا يبدو أنّ المقصود باللهجة هو العامية المستعملة حاليا.

أما لدى الغربيين ف « يتحدث الألسنيون عن (لهجات)، حين تبدأ اللغة بالتشعب إلى لغات بديلة مفهومة بالتبادل بدرجات متفاوتة، وفي الوقت نفسه، وبمفهوم شعبي أكثر، لا يكون وضع اللغة أو اللهجة المحلية منوطا بمعايير لغوية؛ بل بأسباب سياسية، فيعود للدول أن تقرر إن كانت تلك اللغة ستكون اللغة الرسمية أم لا، وإن كان مسموحا اعتمادها في المستندات الإدارية أم لا، وإن كان سيصار

¹ - تمام، حسان. اللغة العربية بين المعيارية والوصفية. ص 177، 178.

² - ينظر: فريحة، أنيس. نظريات في اللغة. بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م. ط2. ص51.

* ذكر في موضع سابق أنّ اللهجة هي ما كانت شديدة الصلة بالفصحى ولاسيما من حيث المفردات، أمّا العامية فهو استعمال لغوي بعيد عن النظام اللغوي للفصحى، وطغت عليه مفردات أجنبية كثيرة، وأحيانا ألفاظ دخيلة من وضع فئة عامة من الناس.

³ - بلعيد، صالح. " الفصحى المعاصرة: طعنة أم ضرورة؟". في الندوة الدولية حول الفصحى وعامياتها. ص162.

إلى تدريسها في المدارس أم لا...»⁽¹⁾ يبقى أن المعطيات اللسانية مختلفة تماما بين اللغات، وعليه لا يمكن الانطلاق من نظرية، وضعت في بيئة غربية للحكم على لغة نشأت وترعرعت في بيئة شرقية إسلامية.

رغم ما تقدّم من تمييز بين اللغة واللهجة عند القدامى، إلا أن هذا لا يمنع توظيفهم كلمة (اللغة) في بعض الأحيان بمعنى (اللهجة)، وهو احتمال تؤكدّه الدراسات التي اهتمت باللهجات والقراءات، بما أن اللغة قديما، كانت تعني النطق باللسان العربي مع وجود اختلاف، من حيث الأداء، مع انتمائها جميعا إلى لسان واحد، وهو نفسه معنى مصطلح (اللهجة) حديثا، ومما ورد (باب اختلافات اللغات وكلها حجة) في كتاب الخصائص.⁽²⁾ وكذا في كتاب الصاحبى لابن فارس (باب اختلاف لغات العرب).⁽³⁾ والأرجح أنهم يقصدون بهذا المصطلح مفهوم اللهجة، بمعنى الأداءات المختلفة للغة العربية وذلك باختلاف القبائل التي ينتمي إليها المتكلمون.

أما مصطلح (العامية)، فارتبط قديما بالّلحن في اللغة أو اللهجة، وهو مخالفة إحدى قواعد اللغة العربية، سواء على المستوى الصوتي أو النحوي أو الدلالي، وكان يُنظر إليها على أنها قصور لدى المتكلم عند أداء لغته، وقد ألفت لذلك كتب كثيرة للتصويب؛ في حين تحوّل حديثا هذا المصطلح إلى استعمال لغوي مقبول؛ بل وله الخطوة في التّواصل بين أهل البلد الواحد. وهذا يلتقي مع ما يدعو إليه الوصفيون من اعتبار العامية لغة، بما أنها تُوظّف في الحياة اليومية، وتفي بحاجات الناس. ويبدو أن مسألة التّفريق بين مصطلح لهجة بمعنى (عامية) ولهجة بمعنى (لغة)، وبمعنى (أداء خاص بفرد أو مجموعة) من الإشكالات والإشكاليات التي واجهت العلماء المحدثين، « يقول جون بيرويه إنه من العسير إحصاء اللغات المعروفة في الوقت الحاضر، والصّعوبة التي نصطدم بها تأتي من الناحية النظرية فالكلمة الاصطلاحية (لغة) تتضمّن حقيقة معقّدة ليس من السهل تعيين حدودها: أين تنتهي اللغة؟ وأين

¹ -باسكال بيك، لوران وآخرون. أجمل قصة عن اللغة. تر: ريتا خاطر. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة 2009م. ط1. ص 124، 125.

² - ابن جني. الخصائص، باب اختلافات اللغات وكلها حجة. ج2. ص 12.

³ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. الصاحبى في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها (باب اختلاف لغات العرب). القاهرة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دت. دط. ص 28.

تبدأ اللهجة؟ وأين تنتهي اللهجة، ويبدأ اللحن كل هذا لا يزال غامضا»⁽¹⁾ يثير هذا القول إشكالا حقيقيا إذا ما قوبل بالمعطيات، التي توصلت إليها الدراسات اللسانية الحديثة، والتي تعتبر أي كلام يُستعمل للتواصل بين الناس لغة دون أي شرط، يكفي أن المتكلم يستعمله في حياته اليومية. وبالعودة إلى تعريفات اللغة، فإنها تغفل الجانب المكتوب للغة، وتقتصر على المنطوق منها وقد يؤدي هذا إلى تفهم بعض العلماء سواء أكانوا عربا أو غيرهم، ممن يعتبرون المستعمل بين الناس في التواصل اليومي هو لغة قائمة بذاتها، مهما ابتعد عن اللغة الرسمية المكتوبة.

هناك من يجعل العاميات لغات من منطلق آخر، حيث يقر الأستاذ أنيس فريجة أن « العامية ابتعدت عن الفصحى في صرفها ونحوها ومصطلحها، وأسلوب التعبير فيها، إلى حد يمكن حسابها لغة قائمة بذاتها، وأن الذين ينكرون كونها لغة قائمة بذاتها، هم الذين تمرّسوا بعلوم اللغة العربية زمنا طويلا»⁽²⁾ يثبت الواقع أن العاميات العربية باختلافها عبارة عن استعمالات أو ممارسات مختلفة للغة واحدة هي الفصحى بعدت عنها أو قربت حسب المناطق، وكذا حسب تأثرها بالظواهر اللغوية. وما ينفي عنها صفة اللغة أن اللهجات تتغير باستمرار ودون قيود، في حين تتمتع اللغة بنظام ثابت إلى حد ما، وهو أكثر شيء يميز بين اللغة والعاميات.

تصنّف اللهجات عادة حسب البلدان التي تظهر فيها فيقال على سبيل المثال: لهجات الجزائر والتي تنفرع بدورها إلى لهجات لمناطقها المختلفة، مثل: لهجة الجزائر العاصمة، ولهجة قسنطينة ولهجة عنابة، ولهجة وهران... وقد ذكر الباحثان أونريات وبسام مجموعة من اللهجات، وهي: اللهجات العربية بشبه الجزيرة العربية، ولهجات العراق، ولهجات سوريا وفلسطين والأردن ولبنان واللهجات المصرية واللهجات السودانية والتشادية، واللهجات الليبية، واللهجات المغربية بتونس والجزائر والمغرب، واللهجة الموريتانية والمالطية.⁽³⁾ وكما هو ملاحظ، فإن كل بلد يتضمن مجموعة من اللهجات التي تنفرع بدورها إلى تنوعات لهجية* ويحسن تمثيل هذه الأداءات ضمن هذا المخطط.

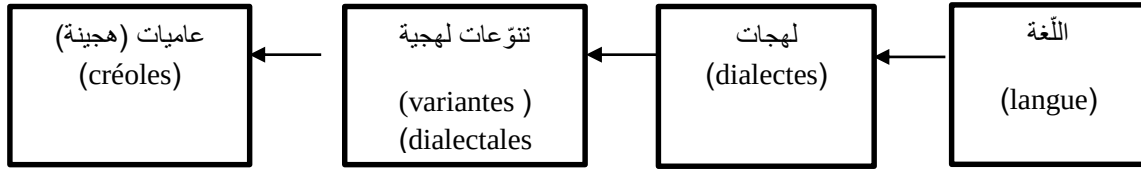
¹ - Perrot, Jean. La linguistique. Paris. Collection, que sais-je . 1953. p26.

² - ينظر: فريجة، أنيس. نظريات في اللغة. بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م. ط2. ص 109.

³ - voir Walter, Henriette, Baraké, Bassam. Arabesque l'aventure de la langue arabe en occident. p53.

* ويمكن أن يقابله مصطلح (patois) في اللغة الفرنسية عوض (variante). والله أعلم.

مخطط يمثل سيروية التحول الأدائي للغة



يوضح هذا المخطط سيروية اللغة وتحولاتها داخل الجماعة اللغوية، حيث تكون النواة الأولى مثلا هي (اللغة العربية) التي يشترك فيها العرب جميعهم في العالم كله، ثم تتفرّع إلى لهجات، وهي على قدر كبير من الشبه باللغة العربية، لا تختلف عنها إلا في أحد عناصرها، كأن يقال لهجة الجزائر وهي أداء للعربية لدى الجزائريين يختلف عن أداء السعوديين على سبيل المثال، ثم يحدث اختلاف في أداء هذه اللهجة بين مناطق الجزائر، فتتحوّل عندها إلى تنوعات لهجية، ولكن بمجرد تعرّض هذه التنوعات إلى تغييرات تبعتها عن اللهجة واللغة اللتين تفرّعتا عنها، سواء على مستوى المفردات أو الأصوات أو النحو أو الدلالات فعندها لا يصلح لهذا الأداء إلا مصطلح (العامية) ويقابله في الواقع المصطلح الفرنسي (créole). هذا حسب ما توصّل إليه البحث، لكن بما أنّ ساحة البحث اللغوي يغلب عليها إطلاق مصطلح (العامية) على كلّ ما يستعمله العامة سواء اقترب من الفصحى أو لا، فقد رأى البحث اعتماده في هذه الدراسة إلى أن يتقرّر غير ذلك.

وعموما ما يزداد انتشارا في الآونة الأخيرة هي العاميات البعيدة عن اللهجة، التي تختلط فيها اللغات واللهجات، وتميل إلى اختصار الكلمات، والتراكيب، ولاسيما بين الشباب.

1-2-3- خصائص العاميات المعاصرة: إنّ أكثر ما يشدّ الانتباه عند سماع العاميات؛ بل أكثر ما يخيف، هو ذلك الخليط الذي يميّزها، إذ تجد كلمة باللغة الفرنسية وأخرى بالإنجليزية، وأخرى بالعربية الفصحى أو محرفة عنها، وقد تتخلّلها كلمات غريبة، ثم يُطلق عليها لغة الأم باعتبارها اللغة المكتسبة في الوسط الأسري والاجتماعي. كما أنّ الإعراب غائب تماما عن العامية، وهناك من نادى بوضع قواعد لها من خلال مؤلفات بالعامية ألفها مستشرقون، وعرب لأسباب ودواع مختلفة.

لا شك أنّ الحديث عن العامية، ليس وليد زماننا هذا؛ بل يمتدّ به الزّمن إلى عصور خلت، ومما يدلّ على ذلك، الكتب المؤلفة في هذا الاتجاه وما أكثرها، ولاسيما مع اتّساع رقعة الدولة الإسلامية، واختلاط العرب بالعجم. ولا يتعلّق الأمر هاهنا بالمستويات اللغوية للعربية، حيث اعتاد العرب توظيف الفصحى

المسترسلة في خطاباتهم اليومية والإجالية، حين يستدعيها المقام، فيقال على سبيل المثال: "يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره"، وقد يكون هذا من المقامات التي يتساهل فيها المتكلم والمستمع، مع بعض قواعد اللغة العربية. هناك من أشار كذلك إلى مجموعة من الخصائص التي تتميز بها العاميات، وهي: التخلي عن الإعراب وندرة استعمال المثني الذي التحق بالجمع، والميل إلى الخلط بين المذكر والمؤنث مع الجمع وتغيير بعض الأصوات، مع التأكيد بأن هناك فروقا كثيرة بين لهجات المشرق والمغرب، وذلك على مستوى الأصوات والمفردات.⁽¹⁾ معظم الخصائص المذكورة تنطبق على العاميات المنتشرة في البلدان العربية. وممن أشار إليها الأستاذ أنيس فريجة الذي اختصرها في إسقاط الإعراب، والنورم المشترك -على حد تعبيره- واعتمادها الفصحى معينا لها.⁽²⁾ وقد حدّد النورم في اللغة بأنه المشترك.

كما تمّ استنباط بعض الخصائص من دراسة أجراها الأستاذ (عبد الرزاق عبيد) حول (متن اللغة لأحمد رضا)، وقف فيها على العاميّ الوارد فيه، مبيناً بعض الظواهر الملاحظة فيه، ولعل أهمّها: اختلاف الدال والمدلول واحد بإبدال حرف مكان حرف، مثل الفعل أرش الذي حرفه العامة إلى حرش وقد يختلف الدال والمدلول واحد دون إبدال، مثل المباءة وهو بيت النحل تسميه العامة مارد النحل ومن خصائصها، ظهور الإبدال والتّحريف في الكلمة، والقلب، مثل حادل بمعنى راوغ، تقول العامة دحل ودحل، بالإضافة إلى اختلاف المدلول والدال واحد، مثل أحاح تعني أكثر من قول يا أحاح، في الفصحى، فيما يُقصد به في العامية السعال الخفيف. كذلك اختلاف الدال واختلاف المدلول؛ وذلك بتغيير شكل الكلمة الفصيحة والعامية، والمعنيان مختلفان مع وجود كلمة فصيحة تؤدي معنى الكلمة العامية. ومما يطرأ على العامية حذف الهمزة وتسهيلها، مثل الأوج؛ وهو العلوّ تقول العامة: اللوج بتسهيل الهمزة وتخفيفها، وقد يُزاد حرف على الأصل، مثل: البتُّ يُحتمل أنّ العامة تقول البشت، وفيها من النحت، مثل: (جيب) أي (جئ به)، وكذلك تتميز العامية بتوسيع المعنى من الخاص إلى العام وعكسه بتضييق المعنى من العام إلى الخاص.⁽³⁾ عموماً تختلف العامية عن الفصحى، بالزيادة أو الحذف وإبدال الحروف، وقلبها وأحيانا يتعلق الأمر بالدلالة والبنية معا أو إحداها، وهذا بمقارنتها بالكلمة الفصيحة إلا أنّ من خصائصها كذلك التحرر من أيّ ضابط وضعه العرب القدامى، ولاسيما في الجانب

¹ - voir Walter, Henriette, Baraké, Bassam. Arabesque l'aventure de la langue arabe en occident. p53.

² - فريجة، أنيس. نحو عربية ميسرة. ص 183.

³ - ينظر: عبيد، عبد الرزاق. "العربية الفصحى والعامية: متن اللغة لأحمد رضا (أنموذج)". ص 325-328.

التحوي والمعجمي، ولعلها الخاصة الأخطر فيها فهي قابلة لاستقبال أي كلمة ضمن معجمها، مهما كانت مخالفة لمعاييرها اللغوية والثقافية، يرى بعض العلماء أنّ العامية تهبط بالمتكلم، وبمستواه الفكري والثقافي والتربوي، «... فالعاميات ترسخ أمة المستمع ودونية ثقافته وضيق تفكيره، فهي لا تحسب لذكائه الفطري ولا لقدراته اللغوية حسابا...»⁽¹⁾ يدعم ما ذهب إليه اللغوي القاسمي، ما يحدث عند ملاحظة التواصل بين العامة، إذ يميل الشخص البعيد عن الفصحى إلى استعمال ألفاظ مبتذلة، في حين يجد مستعمل الفصحى، حرجا في اللجوء إلى مثل هذه الألفاظ.

تمت الاستفادة في هذا السياق، بما قام به الأستاذ صالح بلعيد، من عقد مقارنة بين العربية الفصحى والعربية الدارجة (العامية)، إذ يمكن من خلالها استنباط خصائص أخرى للعاميات

جدول يوضح الفرق بين الفصحى والعامية⁽²⁾

العربية الفصحى	العربية الدارجة	العربية الفصحى	العربية الدارجة
واحدة	متعددة	لغة انقباض واسترسال	لغة أنس وتراخ
لغة جامعة	تدعو إلى المحلية	لا يتغير نظامها بتغير الباحثين	متغيرة بتغير الأفراد والأجيال
ربط الحاضر بالماضي والمستقبل	وليدة الماضي القريب	الفصحى هي الأصل	الدارجة فرع عن الفصحى
ثبات نحوها وتغير أساليبها	ثبات النحو وتغير الأساليب	أدبها راق ورفيع	أدبها ضعيف ركيك
لغة الدين	لغة البيئة	لغة الجمال والتفكير والإبداع	لغة الحسّ والعجلة
واسعة	ضيقة	لغة إعرابية	لا تبالي بالإعراب
لغة المشافهة والكتابة	لغة المشافهة	لها أبعاد قومية	ليس لها أبعاد قومية
لغة الأمة	ليست لغة الأمة	—	—

لعلّ الجدول يعكس بوضوح أنّ العاميات، لئن كان لها مجالها الذي لا يمكن الاستغناء عنها

¹ - القاسمي، علي. "لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية". في مجلة التعريب. ع51. ص 82.

² - بلعيد، صالح. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى.... ص 137، 138.

فيه، إلا أن معظم خصائصها تميل إلى الجانب السلبي، فتعدّها يؤدي إلى تشتت العرب وصعوبة التواصل بينهم، وهي محصورة في مجال ضيق لا تتجاوزه، يمكن القول إنّها تعكس تراجعاً لغوياً لدى العرب، يصعب اعتمادها في مجال الكتابة، رغم وجود محاولات كثيرة، إلا أنها لا ترقى أبداً إلى علمية الفصحى، تتغيّر باستمرار عكس الفصحى، وهي ضعيفة قد تمثل لغة أم لكنها لا ترقى لتكون لغة الأمة وهذا من أكبر سلبياتها. وهنا لابدّ من التذكير، بأنّ العامية التي تقترب من الفصحى، هي لهجة تشترك مع الفصحى في خصائص كثيرة، وتبوّئها مكانة قريبة منها، لكن الحديث يدور حول العاميات البعيدة عن الفصحى، إلى درجة تنكّر لها لكلّ خصائصها أو جلّها.

قام الأستاذ مختار النويوات بدراسة حول (الفصحى والعامية)، مبرزاً أهمّ خصائص العامية التي افتتحتها بفقدانها لمجموعة من الظواهر الموجودة في الفصحى؛ منها: (الإعراب، الهمز، والتنثنية). ولاحظ أنّ معظم اللهجات العامية تبدأ بالسّاكن، ويغلب عليها الفتح في الحرف الثاني ممّا كان مكسوراً أو مضموماً في الفصحى، وتكثر ظاهرة الحذف، والتعاقب والإبدال.⁽¹⁾ وهي خصائص مسجّلة في العاميات بتفاوت، إذ قد تظهر بعضها في لهجة ما وتختفي في غيرها، وتجتمع في عامية وتتفرّق في أخرى تعكس الاستعمالات العامية بجلاء هذه الظواهر المشار إليها، وغيرها، وهو ممّا سيلاحظه القارئ الكريم عند تحليل معاجم المستشرقين العامية.

¹ -ينظر: النويوات، مختار. "بين الفصحى والعامية". من وقائع حوار الأفكار، العلاقة بين الفصحى والعامية. مجموعة أساتذة. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005م. (سلسلة منشورات الجيب). ص 11، 12.
• ينظر: الفصل الخامس من هذه الدراسة؛ المبحث الأول والثاني والثالث.

2- الدعوة إلى العامية عبر التاريخ:

2-1- نشأة العاميات وانتشارها:

2-1-1- ظهور العاميات: ألّفت كتبٌ كثيرةٌ حول العاميات في وقت مبكر، منها: كتاب (لحن العامة) ومن هذا العنوان يتّضح أنّ البداية كانت عبارة عن أخطاء وفق النظرة المعيارية للعرب، وهو مقتصر على طبقة العامة، وهنا لا يمكن الحديث عن ظهور (عاميات) بالمعنى الحديث للمصطلح؛ بل كانت هذه الأخطاء دخيلة على لهجات العرب المعترف بها. يرتبط ظهور العاميات ببداية تسرب اللّحن، إلى الألسن في عهد الرسول ﷺ، لكن بدرجة قليلة وقد كان يُكره سماع ذلك، ومما يروى أنّه ﷺ قال: عند سماع رجل يلحن في قراءته «أرشدوا أخاكم فقد ضلّ». وإن كان حديثا ضعيفا. ومن بين الروايات في السياق نفسه يُقال: إنّ ابنة أبي الأسود الدؤلي قالت له يوما: يا أبت ما أحسنُ السماء، قال: أيّ بنيةً نجومها، قالت: إني لم أرُ أيّ شيءٍ منها أحسنَ، إنّما تعجبتُ من حسنِها قال: إذا فقولِي ما أحسنَ السماء. وهي روايات لا يكاد يخلو منها كتاب في النحو وأصوله. ومع الوقت شاع اللّحن على الألسنة، وانتشر بين الناس، ومن هنا بدأت تظهر كتب اللّحن التي تصحّح هذه الأخطاء، وتحذّر من خطرها.⁽¹⁾ ومنذ ذلك الحين بدأت الجهود، تبذل للحدّ من هذه الظاهرة، بالتّعديد للغة العربية، ونقطتها وشكلها ووضع مؤلفات تصف المحرّف من القول وتصوّبه.

أما أهمّ الكتب المؤلّفة في هذا المجال، فذكرها الأستاذ إقبال أحمد الشرقاوي، وهي حوالي مائة وسبعة (117) مؤلفا، منها: (لحن العوام) لأبي الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي (ت189هـ) و(البيهي فيما تلحن فيه العامة)، لأبي زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء (ت207هـ) و(ما تلحن فيه العامة) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، (ما تلحن فيه العامة) لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، (ت216هـ)، (ما خالفت فيه العامة لغات العرب) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفي سنة (224هـ)، (إصلاح المنطق) لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت244هـ) (لحن العامة) لأبي حاتم السجستاني (ت255هـ)، (ما تلحن فيه العامة) لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت291هـ)، (ما تلحن فيه العامة) لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي (ت321هـ) و(لحن الخاصة) لأبي هلال العسكري (ت395هـ) إلى غاية القرن العاشر للهجرة، (سهم

¹ - ينظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (581هـ). نتائج الفكر في النحو. ص3-6.

الألحاح في وهم الألفاظ) للشيخ محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي (ت 971هـ).⁽¹⁾ يتبين من خلال هذه المؤلفات أنها جاءت، لتقوم الألسن وتردّ عنها اللحن، ولم تتعامل معها بوصفها واقعا يجب أن تتعايش معه؛ بل كان محاولة منهم لردّ كلامهم إلى الفصحى، وهو ما يؤكد أنّ تناول العلماء القدامى لهذه الظاهرة يختلف عن تناولها لدى المحدثين. أمّا زمنياً، فتواريخ صدور هذه الكتب تبين أنّ العامية نسبة إلى ما يستعمله العوام من الناس، وقد بدأت في زمن مبكر، يرجع إلى القرن الثاني الهجري، إلاّ أنّه لا بدّ من التفريق بين عامية ذلك الزمان وعاميات هذا العصر، فقد كانوا قديماً يعتبرون لحنا كل خروج عن لغة (لهجة بتعبيرهم) معينة من اللغات الفصيحة للقبائل السبع، (قريش، أسد، تميم، قيس هذيل، بعض كنانة وطيء). وهو ما يخالف العاميات التي تُسمع حالياً، إذ تكاد بعض العاميات، تفقد صلتها بالعربية الفصيحة، لكونها استقت كلماتها من لغات كثيرة ومن عاميات أخرى، ومع انتشار هذه الظاهرة أُلّف مجمع القاهرة لجنة الألفاظ، ومع مرور الزمن ازداد بعد العاميات عن الفصحى في جميع البلاد العربية. و«تنشط العامية بمصر مع القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي، وتؤلف كتب نوادر وقصص وبعض مسرحيات... كلّ ذلك يؤلف بالعامية... ولا تعارض أيّ تعارض بين العامية والفصحى في الحقب الماضية، وتنشط العامية في العصر الحديث، وخاصة في مجال الأرزجال، وتضمّ إليها في القرن العشرين قصصاً عامية كثيرة وتكثر مجلاتها الهزلية...».⁽²⁾ لا بدّ أنّ وجود استعمالات لغوية (لهجات) إلى جانب الفصحى أمر مقبول وبديهي، إذ تتطلب الفصحى التزاماً بقواعد دقيقة يصعب على المتكلم، ولاسيما في هذا العصر الالتزام بها، ولهذا كان العرب منذ القديم يتساهلون في الإعراب أو تسهيل بعض الحروف، وحذف بعضها عند الضرورة، إذ هناك حروف يستقلها المتكلم مثل: (الهمزة)، وليست بعامية إذا كان الأمر كذلك، أو يمكن تسميتها بالعامي الفصحى، وذلك أنّها لم تفقد صلتها بالفصحى. أما ما يُسمى العامية المطلقة، فهو ذلك الاستعمال الذي يفقد اللهجة صلتها بالفصحى.

أخذ موضوع العامية بعداً آخر، مع بداية الاحتكاك بين الشرق والغرب، إذ بعدما حارب العرب العامية، وحاولوا تنقيتها من الدّخيل، وما علق بها من تحريف، ناتج عن التعامل مع العجم، دخل العرب

¹ - ينظر: إقبال، أحمد الشراوي. معجم المعاجم. تونس، دار الغرب الإسلامي، 1993م. من ص 66 إلى 89.

² - ضيف، شوقي. كلمة افتتاح المؤتمر. مجلة مجمع اللغة العربية. ع89. ص 3، 4.

في علاقة أخرى مع هذه القضية، وهي ظهور تيار أو فئة تدعو إلى هذا الاستعمال اللغوي، وهو ما سيتم محاولة تجليته.

2-2- جذور الدّعوة إلى العاميّة: كما سبق، لابدّ من التّريق بداية بين موضوع دراسة العاميّة وموضوع الدّعوة إلى العاميّة. أمّا هذه الوقفة فستخصّص للبحث في البدايات الأولى للدّعوة إلى العاميّة، وهو من الإشكالات التي أقيمت حولها الكثير من الدّراسات بين المؤلّفين العرب، ولاسيّما المحافظين منهم، والذين دافعوا عن اللّغة العربية من كلّ خطر يهدّدها، وكان الاهتمام بالعاميات يتزايد بتزايد الأعمال الاستشراقية ومن تبعهم من العرب، وهي التي حقّزت العرب على البحث والتّأليف حولها، وقد كانت البحوث المهمة بالعامية، بكلّ أنواعها إلى وقت ليس ببعيد تلقى معارضة شديدة، إلى أن أتى الوقت الذي أصبحت فيه البحوث حول العامية تنافس تلك المنجزة حول الفصحى.

2-2-1- لدى المستشرقين: يذهب معظم الباحثين العرب إلى أنّ أوّل من دعا إلى العاميّات وشجّعها هم المستشرقون، « لقد ظهر الاهتمام بالعاميات في عصر النهضة العربية، وتجلّى بقوة مع دعوات المستشرقين لدراسة اللّهجات، حيث تنقلوا في البلاد العربية يصفون ويسجلون ويضعون تآليف وأطالس لهجية خاصة، ويعملون على تدريسها وتدعيمها مادياً ومعنوياً عن طريق إرساليات متتالية...»⁽¹⁾ وذلك لأهداف مختلفة منها العسكرية والسياسية والعلمية، وحسب الباحث أنور الجندي « يعتبر ولهم سبباً أوّل من دعا إلى العامية، وهو مدير دار الكتب بالقاهرة، يعيش في حي وطني ليستقي العامية، وكان يدوّن ما يسمعه على كُفّ قميصه، وهذا منذ 1880م إلى غاية 1926م بالتّقريب وممّن نهجوا نهجه (لطفى السيّد، وقاسم أمين، وسلامة موسى). وجاء (عبد العزيز فهمي) عام 1941م، حيث نادى بالكتابة بالحروف اللاتينية هذا في مصر. وكذلك الأمر في المغرب، حيث تولّى هذه المهمّة كل من كولان وبعده (ماسينون) وفي لبنان كذلك ظهرت الدّعوات إلى اعتماد الحروف اللاتينية والعامية اللبنانية والهدف هو تمزيق اللسان العربي في العالم الإسلامي والقضاء على لغة القرآن، وذلك بإحلال العامية محل اللّغة الفصحى»⁽²⁾ كما تناول المؤلّف لابي لوغست (L'abbé Leguest) قضية العامية في الجزائر، وقال إنّ هناك دافعين جعلاه يهتم بالأمر، أولهما خدمة المنطقة المحتلة الجزائرية، ورجاء توفر

¹ - بلعيد. صالح. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى.... ص 122.

² - الجندي، أنور. مقدّمات العلوم والمناهج: التّشوير والاستشراق والدّعوات الهدامة، محاولة لبناء منهج إسلامي. ص 109.

حرية أكبر والتعبير عن آرائه، وقد دحض ما ذهب إليه بعضهم من عدم وجود عربية عامية بالجزائر وأوضح أنّ هذا الحكم كان ناتجا عن انشغالهم بأعمالهم العلمية، وعلّق أنّه من المستحيل فهم ثلثها (العامية) إذا كنا نعرف الفصحى فحسب.⁽¹⁾ وهو ما أثبتته المستشرق شربونو أيضا في دراسته حول العامية الجزائرية في بعض مناطق الجزائر، حيث دحض ما ذهب إليه رينان، الذي أكّد أنّ اللغة العربية واحدة في الأقطار العربية جميعها، وهو ما يسهّل التّواصل بين العرب، تتبّع هذا العمل بعض الكلمات العامية وأبرز الانحراف الطارئ عليها حيث قسّمها إلى مجموعات.⁽²⁾ ما يجب تأكيده في هذا السّياق هو أنّ اللّغوي رينان كان محقا عند حديثه عن اللّغة العربية ووحدتها، وهذه البحوث لا تدحض في الواقع ما توصل إليه، مع الاعتراف بأنّ هناك فعلا لهجات وعاميات مختلفة من منطقة إلى أخرى وعليه فموضوع الدّراسة لدى العلماء الذين قالوا بوحدة العربية، والذين قالوا باختلافها مختلفان، فالتّيار الأوّل درس الفصحى والتّيار الثّاني درس العاميات، وبديهي أن تكون النتيجة مختلفة.

تطوّر هذا الاهتمام بالعاميات لدى الغربيين إلى تخصيص معاهد ومراكز لدراستها وتعليمها ونشرها في العالم أجمع، وليس في العالم العربي فحسب، « لقد اهتم المستشرقون باللّهجات اهتماما بالغا فلا تكاد تخلو جامعة من جامعاتهم التي خصّت بأقسام للاستشراق، من تخصيص شطر من دراساتها وعدد من أساتذتها وطلابها لدراسة اللّهجات الدارجة، وقد وقفت على مقال بعنوان (العربية) لأحد كبار المستشرقين الألمان يشرح فيه سياسة الدّراسات الاستشراقية اللّغوية في المستقبل، وهو يوجّه المستشرقين إلى ضرورة أن يدأبوا على تسجيل اللّهجات المتبقية من آثار العربية الجنوبية فلم يعد - كما يقول - من أهلها سوى نفر قليل، توشك لهجاتهم أن تندثر بتأثير اللّهجات العربية الشمالية الدارجة، ويعتني المستشرقون بشكل خاص بالظواهر اللّهجية النّادرة، فيفردون لها البحوث المتخصّصة في وصفها واستيعابها وتسجيلها تاريخيا». ⁽³⁾ يصعب التّفريق بين التّيار الذي يهتم بالعاميات لأغراض علمية، وذاك الذي يدرسها لأغراض أخرى، إذ كثيرا ما تتداخل هذه الأهداف، كما قد تكون الدّراسة لأهداف علمية ويتمّ تحويلها عن مسارها، خدمة لأغراض سياسية أو غيرها، « فهذا الاهتمام لم يكن من أجل الاهتمام

¹ - voir L'abbé Leguest, M. y-a-il ou n'y-a-il pas un arabe vulgaire en Algérie? Paris :librairie de benjamin Duprat, librairie de l'institut de la bibliothèque impériale, 1858. p 1,2.

²-voir Cherbonneau, nouvelles observations, le dialecte arabe de l'Algérie, extrait n8 de l'anné1861 du journal asiatique.

³ - عمايرة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 129.

بالبحث العلمي كما يزعمون، ولا من أجل حاجتهم إلى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم أن يعيشوا فيها ويتعاملوا مع أهلها، وإنما من أجل القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها، هذه هي الحقيقة التي ستبدو لنا واضحة خلال فصول هذا البحث»⁽¹⁾ إلا أنه يجب الاعتراف بوجود جهود علمية، كان دافعها الفضول العلمي.

يكشف الباحث (حمزة بن قبلان) عن أحد الأسباب التي جعلت الغربيين يهتمون باللهجات والمتمثل في الاتجاه الذي عرفه الغرب خلال القرن التاسع عشر، وهو التوجه التاريخي، ومن مميّزاته تتبّع اللهجات المعاصرة ورصدها، باعتبارها مرحلة من مراحل اللغة يمكن أن تدلنا على طور من ماضيها وهكذا قامت حركة تسمى بالنحويين الجدد في ألمانيا التي عُيّنت بتسجيل اللهجات الألمانية ومنها انتقلت إلى فرنسا وبريطانيا. كما تأثرت الدراسات اللسانية بما توصل إليه سوسيور الذي دعا إلى الاهتمام بما يقوله الناس، وليس ما هو مبنوث في الكتب، باعتبار اللهجات هي ما يقوله الناس في مواقف طبيعية.⁽²⁾ يفسّر هذا الكلام جزءا من واقع اهتمام الغربيين أو المستشرقين باللهجات العربية.

أما الأستاذ (عبد الكريم الجزائري) فقد وضح أنّ جذور الدعوة إلى العامية تمتدّ في الزمن الماضي ومن دعائها المستشرقون، حيث كشف عن أغراض تتوارى خلف ادّعاءاتهم، يتمثّل الغرض الأول في القضاء على الدين الإسلامي، والثاني في فهم الشعوب المحتلة وعاداتهم، وهذا ليتسنى لهم اكتشاف نقاط الضعف والتغلغل في أوساطهم كما أنّهم يرون أنّ العامية أسهل، ويمكنهم التّحكّم فيها مقارنة بالفصحى، ولا ننسى الغرض السياسي المتمثّل في تشتيت الأمة الإسلامية.⁽³⁾ لخصّ الباحث أهم الأهداف التي حرّكت المستشرقين وجعلتهم يقبلون على العاميات، وهي مكملّة لما ذكره الأستاذ (حمزة بن قبلان المزيني).

خالف الأستاذ (عبد الله أحمد خليل إسماعيل) الرأي القائل إنّ الاستشراق والاستعمار والتّصير كانوا جميعا خلف الدّعوة إلى العامية، مؤكّدا أنّ ولكوكس لم يكن تابعا للدولة؛ بل كان مهندسا، وأنّ الذين دعوا إلى العامية كانوا من الأجانب ومن العرب النصارى والمسلمين، وهو ما يجعل منه دليلا

¹ - زكريا سعيد، نفوسة. تاريخ الدّعوة إلى العامية وآثارها في مصر. ص 13، 37.

² - ينظر: المزيني، حمزة بن قبلان. "مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة". ص 15.

³ - ينظر: الجزائري، محمد بن عبد الكريم. لغة كل أمة روح ثقافتها. الجزائر، 1993. ط 2. ص 21، 22.

على ما ذهب إليه.⁽¹⁾ إنَّ الحجج التي قدّمها الباحث موضوعية إلى حد ما، إلا أنَّ هذا قد ينطبق على مصر. أما بالنسبة إلى المغرب العربي، ولاسيّما المناطق التي احتلتها فرنسا، فالأمر مختلف، وسيأتي الحديث عن هذا في موضعه. ليس من المبالغة القول إنَّ هذا المقال قد أتى بطرح جديد، ووجهة نظر مختلفة عن كل ما سبق الاطلاع عليه حول موضوع الدّعوة إلى العامية، إذ ينفي صاحب المقال ارتباط هذه الدّعوة بالاستعمار والتّصير، وقد ساق لذلك حججا يردّ بها على القائلين بالرأي المعاكس لما ذهب إليه، وعلى رأسهم الباحثة (نفوسة زكريا، وأستاذها حسن حسين، والأستاذ محمود شاكر).

أما حججه فتمثّلت في ربط هذه الدّعوة بأفراد لا مؤسسات أو تنظيمات، ويرى أنّها نابعة من فكر علمي كان سائداً في ذلك العصر بأوروبا والشرق، وهو الفكر الدّارويني الذي تأسّس على فكرة النّمو والتّطوّر والارتقاء، والبقاء للأصلح، وهو ما ينطبق على العامية، ولاسيّما أنّ الفصحى كانت في نهاية القرن التاسع عشر في حالة من التّردّي والإقصاء، فكانت الغلبة للعامية في كل المجالات بما فيها التّعليم الذي كان يتمّ إما بالتركية أو لغات المستدمر.

قد يُقبل هذا الرّأي لولا أنّ بعض المستشرقين أنفسهم اعترفوا بأنّ اهتمامهم بالعاميات كان لمصالح إدارات الاحتلال بمختلف مناطقها، ففي الجزائر هناك معاجم صنّفت خصيصاً للجيش، ولم يخفوا هذا الأمر، فهو مسجّل وممّا تشهد عليه معاجمهم، فكيف يمكن نفي علاقة العامية وانتشارها بالاحتلال؟ ومع ذلك فلا يمكن القول إنّ الأعمال كلّها موجّهة لذلك الهدف، إذ هناك من المستشرقين من اهتم بالعامية بدافع علمي تأثراً بمناهج معيّنة. عموماً، فإنّ « جميع الغربيين، سواء أكانوا عسكريين أو سياسيين أو تجاراً أو تقنيين أو صحفيين وسواء أكانت لهم معرفة بلغتنا أم يجهلونّها، يتحولون عندما يتّصلون بنا إلى لغويين متخصصين وينصحوننا باستبدال العاميات بالفصحى. وللبرهنة على حسن نواياهم، موّلوا بسخاء مؤتمرات حول ضرورة استعمال اللهجات، وموّلوا إصدار مجلات وصحف باللهجات، وموّلوا إنتاج أفلام للأطفال باللهجات، وموّدوا تأسيس جمعيات تدعو إلى استعمال اللهجات بل خصّصوا منحا جامعية لأبنائنا لدراسة اللهجات».⁽²⁾ وهنا لا بدّ من التّساؤل ما الذي يجعل الغربيين

¹ - ينظر: أحمد خليل إسماعيل، عبد الله. "قراءة جديدة في قضية الدّعوة إلى العامية". في مجلة الجامعة الإسلامية. يونيه 1997م. المجلّد الخامس، العدد الثاني. ص72.

² - القاسمي، علي. "العربية الفصحى وعاميّاتها: في السياسة اللّغوية". في الندوة الدولية حول الفصحى وعاميّاتها. ص 204.

يبدلون كل هذه الجهود؟ مهما حاول الباحث أن يحسن الظن، فإنه سيصعب حقا التصديق بأن الغرب سيكلفون أنفسهم ماديًا ومعنويًا وعلميًا لمصلحة العرب، دون أن يؤول ذلك إلى مآرب أخرى.

2-2-1-1-المؤلفات الأجنبية في اللهجة المصرية: هناك من اعتبر كتب المستشرقين في مصر هي النواة الأولى لنشأة الدعوة إلى العامية، ويعتبر ولهم سبيتا (Wilhelm Spitta) ... أول من كتب في العامية المصرية، له كتاب (قواعد العربية العامية في مصر) (1880م)، ومنه انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، وظهرت بعدها الشكوى من صعوبة الفصحى، وفيه ورد أول اقتراح لكتابة العامية بحروف لاتينية، التي امتدت بعدها إلى الفصحى، والنصوص الواردة فيه عربية كتبت بحروف لاتينية، وقد وضع جدولًا بين فيه الحروف اللاتينية المقترحة لكتابة العامية، كما فتح نافذة للتذكير بفتح العرب مصر (19هـ-640م). وقضائهم على لغة أهلها الأصلية، وهي اللغة القبطية.⁽¹⁾ وهذه دعوة مباشرة إلى العامية تلتها نداءات كثيرة، وهذه بعض من أهم المؤلفات الأولى: ⁽²⁾

-اللهجة العربية الحديثة في مصر (1890) كارل فولرس

-العربية المحكية في مصر (1901م). سلدن ولمور

-المقتضب في عربية مصر (1926م) لفيلوت وباول.

- لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن. وليم ولكوكس.

-سوريا ومصر وشمال إفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية (1926م) وليم ولكوكس.

تعكس هذه المؤلفات وعناوينها، ولأسيما العنوانان الأخيران، مضامين إيديولوجية تسعى لغرس أفكار المستشرقين، وتُحلّها محل الأفكار الأصلية، ومن المستشرقين البارزين في هذا المجال، وليم ولكوكس صاحب كتاب (سوريا ومصر وشمال إفريقية ومالطة تتكلم البونية لا العربية). (1926م) وكان قد ألقى سنة 1893م محاضرته "لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟" نشرها باللغة العربية، في مجلة الأزهر، والملاحظ أنه تتبّع طريقة زميله سبيتا، مذكرا الشعب المصري بمجده التليد وعبر عن تفاؤله بمستقبل مصر إذا عملوا بمشورته. وليدخل العامية في الأدب، ترجم مقاطع من رواية

¹ - ينظر: زكريا سعيد، نفوسة. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. ص 17 إلى ص 20.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 12.

شكسبير، نشرها في مجلة الأزهر التي استغلها للدعوة إلى العامية.⁽¹⁾ لا يمكن تبرير هذه الأعمال بأي شكل من الأشكال، إذ تسعى إلى تشويه اللغة العربية وتحميلها مسؤولية ما يعيشه الشعب المصري من تراجع، ولاسيما على المستوى العلمي، وتشجيع واضح على استعمال العامية، أكد الأستاذ أنور الجندي أن « من أخطر دعوات التبشير والتغريب تلك الدعوى التي تتحدث كثيرا عن الأدب الشعبي والفلكلور ولا يفهم سر الإلحاح في هذه الدعوة إلا حين نرى حيرة سبيتا وفولرس وولمور وولكوكس في البحث عن ثقافة شعبية يريدون إسنادها إلى اللهجات العامية، وبذلك يستطيعون أن يقولوا إنها لغة وشرط اللغة أن تكون لها ثقافة، ومن هنا عمدوا جميعا إلى جمع الماويل والأزجال وقد جرت هذه الدعوة في الوقت الذي كان (دنلوب) يستولي فيه على مقاليد التعليم في مصر، ويضع النظام الذي يجري به تغليب العامية والانجليزية، وحين فرض (دنلوب) تعليم العلوم كلها بالإنجليزية واحتقر دراسة العربية، وكل ما يتصل بها، ثم جاء سلدن ولمور بعد الاحتلال فأضاف إلى دعوة من سبقوه إلى العامية العمل على كتابة العامية بالحروف اللاتينية...».⁽²⁾ ومن أعمالهم في هذا المجال، مجموعة أزجال مصرية (1893م) للمستشرق بوريان وغيرها من الأعمال.⁽³⁾ وهي مؤلفات تهدف إلى نشر العامية بين الناس وهم يعلمون الميل الطبيعي لهم نحو هذا النوع من الأعمال.

3- الدراسات الحديثة للهجات:

يقال إن الاهتمام باللهجات بدأ مع التحوّل الذي حدث لدى الغربيين من المنهجين التاريخي والمقارن إلى المنهج الوصفي، حيث انتقل الاهتمام إلى اللغات المنطوقة بعيدا عن المكتوبة التي وُصفت بلغات ميتة. وهو ما أدى إلى ظهور علم اللهجات، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكان الغربيون قد تعودوا على الاهتمام باللغات المكتوبة الفصيحة ويعرضون عن اللهجات « أما أبحاث نهاية القرن التاسع عشر، فقد أولت بوجه خاص اهتمامها إلى الدراسة الجغرافية اللسانية تطبيقا وتعميقا لملاحظات شوخاردت حول الميزة المتنافرة للغة الإنسانية، وأما جان بيير روسلو (Rousselot Jean) (Pierre) (1846-1924)، فقد برهن هو الآخر، بطريقة علمية بأن أعضاء مجموعة متكلمة واحدة تملك

¹ - ينظر: زكريا سعيد، نفوسة. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. ص 32 إلى ص 36.

² - الجندي، أنور. مقدّمات العلوم والمناهج، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة: محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل. ص 110.

³ - ينظر: زكريا سعيد، نفوسة. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. ص 43 وما بعدها.

تلفظات مختلفة، ومن جيل إلى آخر...»⁽¹⁾ من هنا حدث التحول إلى العاميات.

أما رائد علم اللهجات فهو روسلو الفرنسي، حيث أسس مع جيلبيرون (Gillieron) مجلة اللهجات المحلية الغالية -الرومانسية منذ 1887م، وقبل ذلك شرع جيلبيرون في تدريس علم اللهجات في مدرسة الدراسات العليا.⁽²⁾ وسيقف البحث فيما يأتي عند هذا العلم للتعرف عليه والتعريف به.

3-1- علم اللهجات (dialectologie): تعد دراسة اللهجات من الدراسات اللغوية المهمة في العصر الحديث، وهي من فروع علم اللسانيات، «وهو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات، أو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع عن لغة أو لغات».⁽³⁾ كما سبق الذكر، فقد ظهر هذا العلم بعد تغير في توجهات البحث اللغوي الذي كان يُقصر اللهجات والاستعمالات اللغوية المتفرعة عن اللغات، وذلك لاعتبارات كثيرة. وازداد الاهتمام باللهجات وتعددت زوايا النظر إليها وتنوعت؛ ومن بين آثاره ظهور علم قائم بذاته ألا وهو اللسانيات الجغرافية، الذي عدّه بعض الباحثين مرادفا لعلم اللهجات، ولا بدّ أن الاطلاع على تعريفه سيسهم في تجلية الأمر.

3-2- اللسانيات الجغرافية (géographie linguistique) (Géolinguistique): هي فرع من فروع اللسانيات كذلك، يُعنى بتسجيل ووصف التنوعات المحلية أو الاجتماعية أو الزمنية للغة معينة مبينا كيف تختلف هذه التنوعات في النطق أو القواعد الصرفية والنحوية أو في المعجم وكيف تتوزع هذه التنوعات الجغرافية. و«يدرس توزيع اللغات البشرية على المواقع المختلفة من الكرة الأرضية ويدرس كذلك نوع المتحدثين لكل لغة وعددهم ومستواهم الاجتماعي والثقافي، وتحديد مجالات النفوذ اللغوي للغات التي لها سيطرة على لغات أخرى بسبب التطور الحضاري لأهلها كالإنجليزية مثلا في الوقت الحاضر، كذلك يدرس مكانة كل لغة اجتماعيا، وعليه يمكن تحديد اللغة الرسمية واللغة الأم واللهجة المحلية واللهجة الحرفية».⁽⁴⁾ وجلّ الدراسات المنضوية ضمن هذين العلمين من أحدث الدراسات المعاصرة، وتهتم باللغة في حالتها الآنية.

¹ - مرتاض، عبد الجليل. التحولات الجديدة للسانيات التاريخية. الجزائر، دار هومه، 2005 م. دط. ص 133.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 133.

³ - حامد هلال، عبد الغفار. اللهجات العربية نشأة وتطورا. ص 449.

⁴ - داود محمد، محمد. العربية وعلم اللغة الحديث. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001 م. دط. ص 94.

اعتبر الباحث (ماريو باي) علم اللغة الجغرافي وثيق الصلة بعلم اللغة التاريخي، إلا أن مظاهر تطبيقه الحديثة وصفية جغرافية اجتماعية، ومن مجالاتها دراسة استعمال اللغة في الطقوس أو لأغراض دينية أخرى، وحالات فرضها على البلدان المستعمرة، ويهتم باللغة المنطوقة وبعدها المكتوبة.⁽¹⁾ وكغيره من العلوم اللغوية، كثيرا ما يحدث تداخل بينها، بوصفها تهتم بالموضوع نفسه ولوجود اهتمامات كثيرة مشتركة بينها، ومنها علم اللهجات واللسانيات الجغرافية، وقد تطرقت الباحثة مانت بولغيتي في بحثها إلى ذلك، من خلال دراسة كتب الأستاذ عبد الجليل مرتاض الذي فرق بينهما، وعدّ علم اللهجات أشمل من علم اللغة الجغرافي كون الأول كان الأسبق، وكذلك سببا في نشأة الثاني، فلولا علم اللهجات، ما ظهر علم اللغة الجغرافي، إلا أنه أشار في المقابل إلى علماء جعلوا من العلمين علما واحدا، منهم (جورج موان) و(سوسور)، نظرا لتداخل موضوعاتهما.⁽²⁾ بالإضافة إلى ما ذكره الأستاذ (إسماعيل أحمد عمايرة)، «وقد ظهر مع الاهتمام باللهجات ما عرف باسم الجغرافيا اللغوية أو اللغويات الجغرافية فقد نُشر أول أطلس لغوي ألفه جليرون وادموند اسمه الأطلس اللغوي لفرنسا Atlas linguistique de la France سنة 1902-1920».⁽³⁾ ورد القول نفسه تقريبا مُسندا إلى علم اللهجات، وهو ما يعني أن الباحث يؤيد نظرة الباحثين الغربيين.

ومما أوردته الباحثة (مانت بلغيتي) من كلام الأستاذ (عبد الجليل مرتاض) في هذا السياق: «... فإنّ الذي نظمّن إليه فعلا هو أنّ مفهوم اللسانيات الجغرافية (Géolinguistique) هو مستوحى من الديالكتولوجية، وعائد إليها وليس العكس».⁽⁴⁾ أجمعت التعريفات التي رجع إليها البحث على أن البدايات الأولى كانت لعلم اللهجات، ومنه انبثق العلم الثاني، لكن بعدها اتسع هذا العلم ليكون أشمل فالاهتمام باللغات الرسمية لا يدخل في علم اللهجات، ويظهر ضمن موضوعات اللسانيات الجغرافية على الأقل بالنسبة للبلدان العربية، وذلك إذا أخذ بعين الاعتبار عدم تفريق الغربيين بين اللهجة واللغة ويبقى أن عدم دقة المصطلحات اللغوية، سواء لدى العرب أو لدى الغربيين، سبب رئيس في غموض

1 - ينظر: باي، ماريو. أسس علم اللغة. ص 37، 40.

2 - ينظر: بولغيتي، مانت. جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللهجات العام، دراسة وصفية. رسالة ماجستير. إشراف: الدكتور قصابي عبد القادر. الجزائر، جامعة أدرار، 1434هـ-1435هـ/2013-2014م، ص 71، 72، 73.

3 - عمايرة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 119.

4 - بولغيتي، مانت. جهود عبد الجليل مرتاض. ص 73، نقلا عن: مرتاض، عبد الجليل. مقاربات أولية في علم اللهجات. ص 24.

هذا الموضوع، ولاسيما ما تعلّق بعدم تطابق دلالات المصطلحات الغربية مع المصطلحات العربية، فقد مرّ أنّ علم اللهجات يهتمّ بتلك التنوعات اللغوية المتفرعة عن لغة أو لغات، وهو بهذا يقصي اللغة الأمّ، فلا يهتمّ هذا العلم باللاتينية على سبيل المثال بوصفها الأصل الذي تفرّعت منه اللغات الأوروبية التي هي محلّ اهتمام هذا العلم، ولكن الأمر مختلف في اللغة العربية.

وحسب الباحث (سعدون أيثار شوقي)، فإنّ علم اللهجات يهتمّ بلغة واحدة، ناظراً إلى تنوعاتها اللهجية، أما اللسانيات الجغرافية فتهمّ بأيّ لغة مطلقاً.⁽¹⁾ وعليه يرجّح جعل اللسانيات الجغرافية أشمل بما أنّ موضوعاتها، تتجاوز اللهجات إلى اللغات الرسمية وقضاياها، بالإضافة إلى أنّ الأصل هو اللغة لا اللهجة، وبما أنّ اللهجة فرع فالعلم الذي يهتمّ بها سيكون فرعاً من العلم الذي يهتمّ باللغات بغض النظر عن أسبقية أحدهما على الآخر. وقد يُقبل أن يكونا مترادفين لتداخل موضوعاتهما، لكن العائق في هذا الاحتمال، هو أنّ اللغات لا يمكن أن تدرس ضمن اللهجات، فالجميع متفق على أنّ اللهجة متفرّعة عن اللغة، فكيف تنقلب الآية وتتضوي اللغة تحت اللهجات، طبعاً المنهج الوصفي، سيتدخل هنا ليقول إنّّه لا فرق بين اللغة واللهجة، وهذا تناقض صارخ، يلغي الكم الهائل من التعريفات والدراسات التي تعترف بأنّ اللهجة فرع لكن هذا الفرع حسب الدراسات الحديثة يحقّ له أن يتحوّل إلى أصل، وهو ما قد يؤدي بالباحث إلى قبول فرضية أن يكون العلمان مترادفين بما أنّ اللغة واللهجة شيء واحد في بعض المقاربات النظرية؟ ومما نتج عن علم اللسانيات الجغرافية الأطالس اللغوية، إذ لا يستغني هذا العلم عن هذه الدراسات التي ينطلق فيها من الميدان، فترى ماذا يُقصد بها؟

3-3- الأطلس اللغوي: ارتبط الأطلس اللغوي باللسانيات الجغرافية، وهو مهتم باللهجات بالدرجة الأولى إلى جانب اللغات، حيث يتتبعها بالدراسة عبر المكان والزمان، « وعن طريق الأطالس اللغوية تتحدّد سمات اللغة أو اللهجة وخصائصها في مجالات الأصوات والكلمات والجمل، وشتى النواحي اللغوية، ويُعرف مكانها وصلتها باللغات أو اللهجات المجاورة، وعلاقتها بالأم التي تفرّعت عنها، وعلى هذا يمكن رسم الحدود الجغرافية لها على خريطة بوضوح كامل، ومعرفة التغيّرات التي تطرأ عليها من حين لآخر». ⁽²⁾ ومن أشهر الأطالس

¹ - ينظر: سعدون، أيثار شوقي. "اللهجات في الدراسات اللغوية العربية". في مجلة كلية التربية الأساسية. العراق، الجامعة المستنصرية 2009م. ع57. ص 282.

² - حامد هلال، عبد الغفار. اللهجات العربية نشأة وتطوراً. ص464. عن عساكر خليل. الأطلس اللغوي. ص 379.

ما قام به الألمان والفرنسيون، « ويحتوي الأطلس اللغوي في فرنسا - على سبيل المثال - على خريطة منفصلة كبيرة لكلمة (حصان) - كما تستعمل في لغة الكلام - في حوالي خمسمائة منطقة فرنسية مختلفة ... »⁽¹⁾. أسقط هذا الأمر على اللهجات العربية، و« جاءت الدراسة الجغرافية للهجات في بلاد الشام مزمنة لذلك الأطلس الفرنسي، إذ نشر المستشرق الألماني بيرجشتريسر (G. Bergs tasser) بحثه (الأطلس اللغوي لسوريا وفلسطين)، وثمة أطالس جغرافية، لدراسة اللهجات العربية في مصر والشام والمغرب، وهي من أعمال المستشرقين »⁽²⁾. وبهذا يتأكد خضوع العرب للدراسات الغربية، سواء أشاءوا ذلك أم أبوا، فما أن تظهر نظرية أو علم جديد حتى يسارع الغرب إلى إسقاطه على العربية وأهلها، مع العلم أنها مختلفة عن اللاتينية، ورغم ذلك، فإن كل دراساتهم تتعامل معها على يجب أن تكون مثلها.

3-4- العاميات بين الدعوة إليها ودراساتها: تزامن نضج المنهج الوصفي مع طغيان الحركة الاستعمارية للبلاد الإسلامية، والرغبة في دراسة الشعوب الإسلامية، تسهila لتحقيق مكاسب اقتصادية وتجارية، والرغبة في نشر أفكارهم الدينية أو العلمانية أو سواها، ولا أبلغ من الدلالة على ذلك مما ذكره (أ.ل. شاتليه) عن القس الأمريكي (ثقلمنغ)، وهو يبحث في الصعوبات التي تحول دون تنصير العوام من المسلمين. فقد رأى هذا القس أن يتعلم المبشرون لهجاتها (لهجات العربية) العامة واصطلاحاتها نظريا وعمليا... وأن يخاطبوا المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم، ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون أشد على السامعين، وألا تتخلل خطاباته كلمات أجنبية عنهم... ومن الضروري أن يكون خبيرا بالنفس الشرقية.⁽³⁾ لا يمكن تجاهل الخلفيات التاريخية والسياسية لظهور دراسة اللهجات، وفي الآن ذاته لا يمكن إقصاء الجانب العلمي والموضوعي لها.

ثار بعض العلماء العرب، في بداية الأمر على كل ما هو عامية، سواء أكان أداء أم دراسة وهم من المحافظين الذين تعلّقوا باللغة العربية الفصحى، ويخافون عليها من التحريف، « ويبدو أن الذين يعارضون دراسة اللهجات إشفاقا على الفصحى يلتبس عليهم الأمر في التفريق بين الدراسة

¹ - باي، ماريو. أسس علم اللغة. ص 133.

² - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 110.

³ - المرجع نفسه. ص 111.

والاستعمال الفعلي للغة... أما الأمر الخطير حقا فهو الخلط بين المستويين في الاستعمال... والدعوة لذلك دعوة عقيم لن يقدر لها النجاح»⁽¹⁾ وقد سبقت الإشارة إلى بعض الزوايا في هذا الموضوع، إلا أنّ هناك باحثين يرون أنّ دراسة اللهجات يمكن أن تحمل فائدة كبيرة للغة العربية، إذ «قد تعين دراسة اللهجات الحالية في الوقوف على تاريخ اللهجات العربية القديمة والفصحى بشكل عام، فتكشف لنا بذلك مسائل غامضة في تاريخ العربية، ومسائل أخرى عن مستقبل اللغة، في ضوء ذلك الرّبط بين ماضي لهجاتها. وقد لاحظ المستشرقون من خلال تركيزهم على اللهجات العربية أنّ هذه اللهجات تحمل عبر مسيرتها التاريخية ظواهر عربية؛ بل سامية موهلة في القدم كلغة "أكلوني البراغيث" والكشكشة والكسكسة والاستنطاء، والعنونة وأم التعريف، والقلب المكاني، وأوزان الأفعال وغير ذلك، ممّا لا يزال جاريا في هذه اللهجة أو تلك من اللهجات الدارجة، فيفاد من هذا بمقدار، ولا يتجاوز فيه لتحقيق مآرب سلبية»⁽²⁾ وهو ما ذهب إليه الأستاذ عبد الملك مرتاض، «على أنّي أودّ أن أقدم ملاحظة أخرى، في صدر هذه الدراسة اللغوية، وهي أنّ البحث في لهجة من اللهجات العامية، لا يعدّ بالضرورة دعوة إليها ولا إغراء بإحياء ما اندثر منها، ولا دفعا إلى استعمالها في الكتابة. وإن كُنّا نؤثر أن لا يربأ الكتاب عن استخدام الألفاظ الفصيحة المستعملة في العامية للتقريب بينها وبين الفصحى فإنّ معظم الألفاظ العامية الجزائرية فصيحة، وإنّما أفسدتها العامة بألسنتها»⁽³⁾ يلاحظ أنّ معظم الباحثين العرب تقبلوا فكرة الاهتمام بدراسة اللهجات العامية بعد إنكار شديد لها، وذلك لما يرون فيها من إيجابيات تعود بالفائدة على دراسة الفصحى، حيث «إنّ دراسة اللهجات تعمل على توطيد الصّلة بين العاميات والفصحى بما يعود على الفصحى بالخير، في مجال المفردات والدلالات والمعاني والأخيلة، ولا يخفى أنّ كثيرا ممّا عربّته العامة من ألفاظ الحضارات الوافدة، قد أخذ زمام السّبق إلى الاستعمال الصّحيح الفصيح فشاع في الفصحى وأصبح جزءا من ثروتها، فقالوا: طيّارة، وسيّارة، ودراجة وثلاجة ومدفع... وكان كلّ هذا صالحا لأن يرفد الفصحى»⁽⁴⁾ ومن هنا بدأت هذه الأفكار تشقّ طريقها إلى البحث اللّغوي العربي الحديث، ف«رسخ الشعور لدى اللّغويين في الوقت الحاضر أنّ تطوير العربية الفصحى يستفيد

1 - عيد، محمد. المستوى اللّغوي للفصحى واللهجات. القاهرة، عالم الكتب، دت. دط. ص 96.

2 - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 128.

3 - ينظر: مرتاض، عبد الملك. العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى. ص 6.

4 - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 127.

من الأبحاث القائمة في العاميات المحليّة، وذلك بفضل ما يجدر من مقارنات ناتجة من المنهجية السائدة في علم اللهجات، فمثلا من المحاولات التي جدّت في هذه السبيل ما قام به مدير المكتب في سبيل تفصيح العامية المغربية ومقارنتها بعاميات الأقطار العربية. وبهذه الصورة يمكن تهيئة الأسباب لتقريب اللهجات، والتخفيف من وطأة الخلافات النطقية والدلالية التي باعدت بينها، بحيث يمكن في مرحلة لاحقة صهر اللهجات الإقليمية في اللغة الفصحى⁽¹⁾. يتأكد ذلك أيضا من خلال ما يقوم به مجمع اللغة العربية من أعمال في هذا المجال، «والأساليب مهمتها تفصيح الألفاظ العامية وتسويغها عربيا وقد نشر المجمع مجلدين من هذه الألفاظ، وهو يُعدّ الآن مجلدا ثالثا لنشره، وفي ذلك تقريب واضح بين الفصحى والعامية»⁽²⁾. ومن الأعمال الحديثة كذلك (معجم لغة الحياة اليومية)، الصادر عن مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي، وهو مشروع لتوثيق التراث الشعبي، تابع لمركز البحوث والدراسات الاجتماعية في كلية الآداب، بجامعة القاهرة، تضمّن هذا العمل التعبيرات والألفاظ المستعملة في الحياة اليومية، وهذا في مصر كلّها، ويوضح الباحث أنّ هذا معجم فلكلوري وليس معجما لغويا: «...إنّ هذا العمل لا يعني الترويج لهذه اللغة؛ بل هو يدخل في جمع التراث... ولا الهجوم عليها والتقليل من شأنها»⁽³⁾. يؤكد أصحاب هذا العمل أنّهم لا يهدفون إلى الإضرار باللغة الفصحى، وأنّهم يسعون إلى الحفاظ على التراث العامي. وقد سبقت الإشارة إلى قول اللغوي علي القاسمي، حول تشجيع الغربيين العرب على دراسة اللهجات، عكس طلبتهم الذين يُوجهون نحو دراسة لغاتهم الرسمية⁽⁴⁾. ولكن حين تأمل هذا القول «... هناك نظرة متجذّرة عن الفصحى باعتبارها أكثر رقيًا، لأنّها تمثل التراث والثقافة الأصلية التي يجب المحافظة عليها، ومن ثمة فإنّ اللهجات المحكية تعتبر أدنى منها وأقل أهمية، لأنّها تمثّل (اللغة الشعبية)، كما أنّ هناك اعتقاداً بأنّ التركيز على تعليم اللهجات العربية، يمثل توجهات استشراقية وإمبريالية... غير أنّ هذين المستويين ورغم زعم البعض بأنّ واحدا منهما أكثر أهمية من الآخر – يمثلان جزءا من نظام لغوي متكامل وشواهد ذلك كثيرة. أولا إنّ واقع اللغة العربية في العالم العربي يقوم

1 - ينظر: الصيادي، محمد المنجي. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. ص 457.

2 - ضيف، شوقي. "كلمة افتتاح المؤتمر". ص 5.

3 - الجوهري، محمد. "معجم لغة الحياة اليومية". القاهرة، مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي، مشروع توثيق التراث الشعبي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2007م. ص 8.

4 - ينظر: القاسمي، علي. "العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية". في الندوة الدولية حول الفصحى وعامياتها. ص 204.

على هذه التعددية دون فصل المستويين عن بعضهما البعض وإذا أردنا تعليم العربية للأجانب فيجدر بنا أن نعلمها إياهم كما نتعلمها نحن، فنحن نتعلم الدارجة قبل الدخول للمدرسة، ثم نتعلم الفصحى قراءة وكتابة في المدرسة...»⁽¹⁾. هناك انطباع خطير نسبيا، لاسيما إذا علم أنه جاء ردا على اهتمام بعض الجامعات الغربية بتعليم العربية الفصحى (والتي سميت معاصرة)، وإهمال العاميات. « ونلاحظ أن الدارجة لم تحظ باهتمام واسع في أغلب الجامعات التي ذكرت؛ بل إن بعضها حصر تعليم العربية في الفصحى المعاصرة. كما أن تعليم المستويات المختلفة وخصوصا اللهجات، ما زال يقابل ببعض الممانعة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة على سبيل المثال لا الحصر. فقد بيّنت إحدى الدراسات في الولايات المتحدة أن 45% من المعلمين لا يشملون اللهجات في تعليمهم للعربية... حيث نتج عن ذلك عدم إلمام كاف باللغة بين الطلبة وتوظيف خاطئ لها في بعض السياقات وبما أن تغليب الفصحى في المناهج مشكلة شائعة وجب علينا التساؤل: ماهي الأسباب التي أدت إلى هذا الشرح الواضح في الساعات المخصصة لتعليم الفصحى مقارنة بالدارجة؟ وأيضا ما الذي يترتب على تهميش الدارجة في مناهج تعليم اللغة العربية؟»⁽²⁾. يعكس هذا القول انقلاب الموازين، إذ تتحفظ بعض الجامعات الغربية على اللهجات، ويتذمر بعض الباحثين العرب من ذلك؟ وبالفعل، تتابعته الدراسات حول العامية في المشرق والمغرب، وتزداد يوما بعد يوم، ومنها مقال عبد الهادي التازي، « وأذكر هنا للفائدة أن الأستاذ الشاعر المعروف محمد الحلوي أخذ على عاتقه الكتابة حول موضوع الفصحى في العامية المغربية، ومن هنا كان معجمه الذي أصدرته عام 1988م شركة النشر والتوزيع بالدار البيضاء، تحت عنوان (معجم الفصحى من العامية المغربية)... ولم يقف ... عند هذا الحد، ولكنه عودنا أن نقرأ له مقالات...»⁽³⁾. يبدو أن هذا العمل، يدخل ضمن الدراسات التي تقيد منها العربية الفصحى، وتقيد في تقريب العامية من الفصحى. ومن الباحثين الجزائريين الذين اهتموا بهذا المجال، الأستاذ عبد الملك مرتاض في دراسته طائفة من التعبيرات العامية الدائرة في اللهجات الجزائرية والعامية والفنون الشعبية، والأمثال الشعبية والأمراض

1 - الشيخ، نور. المحور العاشر: " اللغة العربية في عوالم جديدة". ص 389.

2 - المرجع نفسه. ص 388، 389.

3 - التازي، عبد الهادي. "بين الفصحى والعامية بالمغرب". في مجلة مجمع اللغة العربية. 1421هـ-2000م. الدورة 65، القسم الأول. ع89. ص 59.

والعاهات في العامية الجزائرية، ومصطلحات الثّورة والزراعة.⁽¹⁾ مبيّنا أنّ هذه الدّراسة لا تعدّ دعوة إلى العامية مبرزا إيجابياتها وأهميّتها في المجالات العلمية، « وليس ينبغي أن تعدّ هذه الدّراسة من ترف القول أو البحث ولا من بذخ التفكير، ولا من عقيم النّتاج، وإنّما هي ضروريّة لطلاب فقه اللّغة، لكي يعرفوا كافة أصول لغتهم، بما فيها اللهجات العامية الشائعة على ألسنة مواطنينا في الشّوارع والأسواق والمعامل والحقول...والإجابة عن بعض الأسئلة أو كلها: ما مدى علاقة عاميتنا بالفصحى؟ وماهي أصول لهجاتنا العربية المختلفة في الجزائر، وما منشأ الاختلاف في هذه اللهجات بين إقليم وإقليم؟ وما قيمة لهجاتنا العامية بالقياس إلى اللهجات العربية الأخرى؟»⁽²⁾ ومن هنا يبدو أنّ معظم اللّغويين والباحثين اقتنعوا بضرورة التّفريق بين الدّعوة إلى العامية ودراستها، حيث تعكس كتابات الأستاذ الباحث (صالح بلعيد) هذا الموقف بوضوح، ومما ذكره في هذا السياق «... ومن هنا يجب أن تناقش أو تدرس العامية بحذر، ونستهدف في المقام الأوّل، رفع الوهم القائم بين النّاس على أنّ ما تنطقه العامة في عمومها ليس خطأ كلّها، وكذلك بعث الشعور في نفوس العامة، بأنّ ما ينطقونه لا يبعد عن الفصحى؛ بمعنى لا يبعد عن الصّواب. ولذا لا يعني البحث في اللهجات مزاحمة الفصحى وإنّ الفصحى مصونة محفوظة لا يضيرها مزاحم، كيفما كان مصدره، والتاريخ خير شاهد على ذلك...»⁽³⁾ كما قام الأستاذ (عبد الرزاق عبيد) بترجمة جزء من أطروحة الدّكتوراه للباحث الجزائري محمد بن شنب، بعنوان: (الألفاظ التركية والفارسية الباقية في عامية الجزائر)، ومما ذكره حولها « تكمن أهمية بحث (الألفاظ التركية والفارسية الباقية في عامية الجزائر)، في كونه يعطينا صورة صادقة عن الأدوات والأطعمة والملابس والأسلحة والعملة والوظائف الإدارية، وغيرها التي كانت تشكل حيوات تلك المرحلة الهامة من تاريخنا الثقافي. كما تكمن في كونه مادة حية النقطها الباحث مباشرة من أفواه المستعملين لها، فهي من هذه الجهة دراسة آنية»⁽⁴⁾ بيّن الأستاذ الباحث أنّ العاميات، قد تشتمل على فوائد كثيرة، فتزوّد الباحث بمعطيات تاريخية واجتماعية وثقافية، ولهذه

1 - ينظر: مرتاض، عبد الملك. العامية الجزائرية وصلاتها بالفصحى.

2 - المرجع نفسه. ص5، 6.

3 - بلعيد، صالح. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى.... ص 125.

4 - ابن شنب، محمد. "الألفاظ التركية والفارسية الباقية في عامية الجزائر"، قسم من أطروحة دكتوراه، تر: عبيد عبد الرزاق. في مجلة اللغة والأدب، الجزائر، 1429هـ-2008م. ص112.

الأعمال أهمية في مجال علم النفس الاجتماعي، وهو ما يمكن استثماره في هذه المجالات للتوصل إلى نتائج تثري البحث العلمي عموماً.

يقول الأستاذ (عبد الغفار حامد هلال): «... العامية لا تزال قائمة في بلاد الوطن العربي ونحن نحاول تشخيص ظواهرها لعلاجها وإرجاعها إلى الأم الفصحى التي تعدّ السبيل إلى جمع شمل الأمة العربية وإنّا لمحققون ذلك بعون الله في ضوء الدراسات التي يقوم بها علماء اللغة والحريصون عليها»⁽¹⁾. يبدو أنّ الواقع فرض على معظم الباحثين، ولأسيما اللسانيين منهم؛ التفكير في حلّ وسط، فلا مجال لإقصاء الفصحى، وكذلك لا يمكن الحديث عن إقصاء للعامية، بما أنّه لكل منهما مجالاتها فالعامية تعرف انتشارا واسعا في المجتمعات العربية، إذ تستعمل في وسائل الإعلام بكثرة، وللأسف الشديد غزت الكثير من المدارس التي استغنى فيها أساتذتها عن الفصحى بحجة العفوية تارة، وسهولة التّواصل مع المتعلمين تارة أخرى، وغيرها من المبررات، ولهذا لم يعد هناك بدّ من الاهتمام بها لضبطها وإعادتها إلى أصلها، وإن كان الأمر حاليا أكثر تعقيدا، إذ لم تعد العاميات على الحالة التي كانت عليها سابقا، فهي أقرب من الهجين (créole) منه إلى اللهجة، وهو ما يجعل الأمر يحتاج إلى جهد أكبر.

يقول الأستاذ صالح بلعيد « إنّ حديثي لا يصبّ في هذا الاتجاه، فأنا مع البحث في العاميات لا من باب الدعوة إليها؛ بل كرافد من روافد اللغة العربية، فلا تكون بديلا عن الفصحى... ولكن الوقت المعاصر، يستدعي منا الاهتمام بلغة العامّة... لأنّه بالوضع والاستعمال نصل ما بين اللغة والحياة... ومن هنا أخالف الذين يبالغون في إظهار خطر الاهتمام بالعاميات خوف القضاء على الفصحى...»⁽²⁾. يعبر هذا القول عن تشجيع الاهتمام بالعاميات، بما يفيد الفصحى، وضرورة الكف عن معارضتها مطلقا.

حاول الأستاذ الأستاذ الباحث (طاهر ميله) في هذا السياق تقريب العامية من الفصحى، حيث يقترح حلا لهذا الصراع، قائلا: « والرّهان المطروح اليوم أماننا، هو كيفية الخروج من هذه الوضعية أو تجاوز أهم عقباتها على الأقل؟ وكيف نستفيد من مزايا الفصحى في قواعدها ومنتها وأساليبها، ومن مزايا العامية في المفاهيم الحضارية المتداولة بين الناس، وفي قواعد الاقتصاد اللغوي المشتركة التي

1 - حامد هلال، عبد الغفار. العربية خصائصها وسماتها. ص163.

2 - بلعيد، صالح. " الفصحى المعاصرة: طعنة أم ضرورة؟". في الندوة الدولية حول الفصحى وعامياتها. ص162.

تتميّز بها من أجل الوصول إلى مستوى لغوي، كحد أدنى مشترك... يؤدي وظائف اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة»⁽¹⁾ لاشك أن مقترح الأستاذ الفاضل طاهر ميلة حلّ مثاليّ، ذلك أنه يرضي جميع الأطراف ولكن السؤال المطروح هو هل يمكن أن يتحقّق؟ وكيف ذلك؟ «إنّ كلّ أفراد المجتمع معنيون بهذه العملية، غير أنّ المرحلة الأولى تشرع فيها بعض المؤسسات والفئات الاجتماعية التي لها تأثير كبير في المجتمع، بحكم وظائفها أو مكانتها الاجتماعية، ومن أهمّ هذه المؤسسات والفئات: التعليم والإعلام والإدارة والمحيط الخارجي والمسجد والحركة الأدبية والثقافية والمجتمع المدني»⁽²⁾ وكذلك فعل الأستاذ صالح بلعيد، الذي يرى الحلّ نفسه تقريبا، «أنا مع الرافعين شعار التقريب بين الفصحى والعامية ومعالجة الواقع اللغوي بتوحيد وجهات النظر. ويسجّل عليّ التاريخ بأنّ الفصحى المعاصرة التي أنشدها لا تخرج عن: التفريق بين لغة المشافهة ولغة الكتابة... المحافظة على النمط اللغوي الفصيح في لغة الكتابة... مراعاة المواقف والمقامات...»⁽³⁾ إلّا أنّ أكبر عائق تعاني منه البلدان العربية، هو التباين بين التّظهير والتّطبيق، فلو طبّقت كل المقترحات والحلول، ما سُمع عن هذا الإشكال الذي عمّر «ومن هنا تظهر أهمية السياسة والتخطيط اللغويين في العمل على إحلال العربية المشتركة محل العاميات الحديثة، لأنّ هذه المسألة ليست مسألة لغوية محضة، وليست قضية اجتماعية أو سياسية بل تتدخل فيها كل هذه العوامل...»⁽⁴⁾ وهنا لابد من تفعيل دور الإعلام بوصفه أكبر مؤثر في اللغة المستعملة.

¹ - ميلة، الطاهر. "عوامل تقريب العامية من الفصحى (نظرة لغوية اجتماعية)". من وقائع حوار الأفكار. مجموعة أساتذة. العلاقة بين الفصحى والعامية. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005م. (سلسلة منشورات الجيب). ص 23.

² - المرجع نفسه. ص 24.

³ - بلعيد، صالح. "الفصحى المعاصرة: طعنة أم ضرورة؟". في الندوة الدولية حول الفصحى وعامياتها. ص 179.

⁴ - ميلة، الطاهر. "الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة". في الندوة الدولية حول الفصحى وعامياتها. ص 192.

المبحث الثالث: اللغة العربية بين دعاة الخط العربي والخط اللاتيني

بعدما وقف البحث عند قضية العامية والدعوة إليها، أو الدعاوى ضد الفصحى، والتعرف على نشأتها وبعض خلفياتها، ومناقشة بعض أفكارها وتأثيراتها في الواقع، وفي ميدان البحث اللغوي، سيتناول هذا المبحث قضية أخرى من قضايا اللغة العربية، وهي مرتبطة أشد الارتباط بالأولى، ألا وهي الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالخط اللاتيني، وعليه فستخصص هذه المحطة للتعرف على الأبعاد المختلفة لهذا الموضوع، الذي يتطلب في الحقيقة أبوابا لا مباحث فحسب، نظرا لاتساعه وتشعب مباحثه، ونظرا لقلّة الاهتمام به في مجال البحث العلمي، ذلك مقارنة بالموضوعات الأخرى، ولاسيما في بلدان المغرب العربي، وفي الجزائر بخاصة، إذ لم يُعثر على كتب تتناول الكتابة العربية، إلا ما ندر -في حدود العلم- مثل بعض كتابات الأستاذ صالح بلعيد، وترجمة كتاب (Roberto Hamm, pour une typographie arabe, contribution technique à la démocratisation de la culture arabe, Sindbad, Paris, 1997). إلى العنوان (من أجل نمط خطاطي عربي: مساهمة تقنية لدمقرطة الثقافة العربية). وهي ترجمة مشتركة بين جمعية بين سلطنة والأستاذ الباحث صالح بلعيد، ضمن منشورات مخبر الممارسات اللغوية بجامعة مولود معمري، سنة 2013. كما أنّ هذا الموضوع مجهول لدى معظم الطلبة؛ بل أحيانا لدى بعض الأساتذة، والأصل أن يهتمّ طور التعليم العالي على الأقل به، ولاسيما في المقررات الجامعية لأقسام اللغة العربية، فلا تذكر الطالبة أنّها تلقت دروسا عن نشأة الخط العربي باستثناء بعض الإشارات في فقه اللغة إلى نشأة اللغات عموما، ولم يُفرد لنشأة اللغة العربية درس مستقل، مع وجود بعض الدروس مؤخرا، لكنها لا تفي بالغرض. ولهذا يمكن اعتبار هذا المبحث؛ بمثابة النافذة التي سمحت باستكشاف هذا الموضوع، ولم يتناول منه إلا النزر القليل؛ بل إن هي إلا شذرات رغم أهميته الكبيرة. فكيف للطالب أو الباحث أن يحرص على تعلّم لغة، وأن يغار عليها ويدافع عنها ويخدمها، وهو لا يعرفها ولا يعرف نشأتها؟ ولاشك أنّ المشاركة أكثر اهتماما بهذا الموضوع، والعكس لوحظ لدى الباحثين الغربيين والمستشرقين الذين أولوه أهمية كبيرة، يعكس ذلك كثرة دراساتهم حوله.

1- الخطّ والكتابة العربية:

سيشرح البحث بالتّعريف على كلمتين هما (الخطّ والكتابة)، بوصفهما كثيراً ما تستعملان للدلالة على وظيفة تحويل الأصوات أو الأفكار والأحاسيس إلى رموز مرئية ومقروءة، وللباحث أن يتساءل هل تؤيدان المعنى نفسه حقيقة؟ وذلك من خلال بعض المعاجم العربية، وتعريفات بعض اللغويين.

1-1- تعريف الخطّ: اشتُقَّت كلمة (الخطّ) من الجذر (خ ط ط)، ومن الفعل الثلاثي المضَعَّف (خَطَّ يَخُطُّ)، ويغلب استعماله بين النَّاس بمعنى الكتابة، فيقال: "خطَّك جميل"، ويراد "كتابتك جميلة"، فهل يتفق هذا المعنى مع ما ورد في المعاجم العربيّة القديمة والحديثة؟

عرّف العلامة (ابن منظور)، الخطّ بقوله: « خَطَّ الخطُّ الطريقة المستطيلة في الشَّيء، والجمع خطوط ... والخطُّ الطَّرِيق ... وخطُّ القلم أي كتب... »⁽¹⁾ وورد في معجم الوسيط « الخطّ: السَّطر والكتابة ونحوها ممَّا يُخَطُّ، وكل مكان يخطّه الإنسان لنفسه ويحفره. والطَّرِيق المستطيل... وما له طول. وعند الحكماء ما يقبل الانقسام طولاً (لا عرضاً ولا عمقاً) ونهايته النّقطة... »⁽²⁾ اتفق كلا المعجمين على أنّ من بين معاني الخطّ هو الكتابة، وهو ما يوافق المعنى المتداول بين النَّاس.

أمّا العلامة (ابن خلدون)، فيضيف إلى ما سبق أنّ « الخطّ رسوم وأشكال حرفية تدلّ على الكلمات المسموعة الدّالة على ما في النّفس... وهو صناعة شريفة؛ إذ الكتابة من خواص الإنسان... ويطلّع بها على العلوم والمعارف وصحف الأوّلين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم... »⁽³⁾ اتفقت هذه التعريفات على استعمال كلمة الكتابة، وهو ما يعني أنّ الخطّ والكتابة، قد يطلقان على الفعل نفسه. وعرفها الباحث طه باقر « بأنّها علامات مصطلح عليها تقوم كل علامة منها للتعبير عن صوت واحد في الكلام »⁽⁴⁾ وهو عند الباحث صالح بلعيد « الإجراء الذي يهدف إلى تثبيت اللغة المنطوقة والاحتفاظ بها لأجل ضمان استمرار فكر الإنسان وثقافته ووسيلة للوصول إلى التراث الثقافي بلغة معينة »⁽⁵⁾ يضيف الأستاذ مصطلحاً آخر من الجذر نفسه، وهو الخطاطة، « وهي طريقة كتابة الكلمات بالامتثال

1 - ابن منظور. لسان العرب. (مادة خطط).

2 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. (مادة خطّ).

3 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. مقدّمة ابن خلدون. ص 453.

4 - باقر، طه. تاريخ الحضارات القديمة، ج 1. ص 287.

5 - بلعيد، صالح. في قضايا فقه اللغة العربية. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م. دط. ص 219.

لنظام رسم الحروف في لغة معينة، والتقيد بضوابط وعلاقات الأنظمة الصرفية والتركيبية والمعجمية وما يحكمها من آليات».⁽¹⁾ وهناك من يربط الخطّ العربي بنوع محدّد من الخطوط العربية، وهو ما يظهر في قول صاحب الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة: «والخطّ العربي هو المعروف الآن بالكوفي ومنه استنبطت الأقلام التي هي الآن، وقد ذكر ابن الحسين في كتابه في قلم التّثلث أنّ الخطّ الكوفي فيه عدّة أقلام».⁽²⁾ اتّفق الباحثون القدامى والمحدثون على أنّ الخطّ يدل على الكتابة، وهو ما سيأتي بيانه.

1-2- تعريف الكتابة: اشتقت كلمة (الكتابة) من الجذر الثلاثي (ك ت ب)، وهي الصيغة الأكثر استعمالا، مقارنة بالكلمة السابقة (الخطّ)، أمّا معناها فورد في لسان العرب، «كتب: الكتاب معروف والجمع كُتُبٌ وكُتُبٌ، كتب الشيء يكتبه كُتُبًا وكِتَابًا وكتّابه وكتّبه خطّه... وقيل كتبه خطّه».⁽³⁾ والتعريف نفسه تقريبا ورد في معجم الوسيط «كتب الكتاب-كتبا وكتّبا وكتّابه، خطّه فهو كاتب، جمع كُتّاب وكتّبة...».⁽⁴⁾ كما أشار القلقشندي إلى معنى أورده ابن منظور، وهو الجمع «الكتابة... فهو كاتب ومعناها الجمع، يقال تكتّبت القوم إذا اجتمعوا... ومن ثمّ سمّي الخطّ كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض...».⁽⁵⁾ ولا يكون الخطّ والكتابة إلّا بأداة يستعملها الخطّاط أو الكاتب، وهو ما غاب عن التعريفات السابقة، حيث «شاع إطلاق الكتابة عرفا على إعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها، وعلى نفس الحروف المكتوبة (فعلى الإطلاق الأوّل)، تُعرف بما عرف به الخطّ في الشافية وجمع الجوامع حيث قال: الخطّ تصوير اللفظ برسم حروف هجائه، بتقدير الابتداء والوقف عليه، (وعلى الإطلاق الثاني) تعرف بأنّها نقوش مخصوصة دالّة على الكلام».⁽⁶⁾ يُفهم ممّا سبق أنّ هناك اتّفاقا على دلالة كلا الكلمتين الخطّ والكتابة على تحويل الأصوات المعروفة في اللغة إلى صورة مرئية ومقروءة، وهو ما ذكره الباحث إدهام محمد حنش، حيث «يقترن مفهوم (الخط) اقترانا شديدا بمفهوم الكتابة، في المعنى والاستخدام، حتى يبدو

1 - بلعيد، صالح. في قضايا فقه اللغة العربية. ص 219.

2 - القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى. ج 3. ص 15.

3 - ابن منظور. لسان العرب. مادة (كتب).

4 - مجمع اللغة العربية، الوسيط، مادة (كتب).

5 - القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى. ج 1. ص 51.

6 - الكردي المكي الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر. تاريخ الخط العربي وآدابه. القاهرة، مكتبة الهلال، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1939-1358م. ط 1، ص 7.

المفهوم، وكأنهما شيء واحد، لما بينهما من العلاقة اللغوية والدلالية الخاصة والقوية التي تستند إلى كون الأول من معاني الآخر في العرف اللغوي الذي نصّت عليه المعاجم بالذات»⁽¹⁾ فالكلمتان متلازمتان والكتابة عملية ضرورية في أي حضارة، وهي رمز من رموز التحضر والتطور، «فالكتابة هي الوسيلة التي تثقل بها العلوم والأفكار والثقافات بين الحضارات المختلفة وتدوّن عبر الأجيال، وبها يطلب العلم، ويتطور وبها يتم تدوين الحقوق والوثائق والمعاهدات والعقود، وبها تحفظ أصناف العلوم وتنتشر»⁽²⁾ وفي هذا السياق هناك من يعتبر الكتابة مرتبة من مراتب الوجود، بوصفها تعبّر عنه بطريقة معينة، لكل شيء وجودات أربع: وجود في البنّان بالكتابة ووجود في اللسان بالعبارة، ووجود في الجنّان - أي العقل- بالتصوّر، ويعبّر عن هذا أيضا بوجود الأذهان والرابع هو الوجود في العيان، أي بالتّحقّق خارجا عن الأذهان. وهناك بيت شعري استشهد به الهوريني ورد في جمع الجوامع للسيوطي: (3)

مَرَاتِبُ الْوُجُودِ أَرْبَعٌ فَقَطْ حَقِيقَةُ تَصَوُّرٍ لَفْظٌ فَخَطٌ

إلاّ أنّه يمكن التّفريق بين الخطّ والكتابة؛ من حيث العموم والخصوص، فكلّ كتابة خطّ، وليس كلّ خطّ كتابة، فقد ينشأ عن الخطّ أشكال غير مقروءة، في حين يُشترط في الكتابة أن تكون مقروءة، هذا والله أعلم. تشتمل اللغة العربية على كلمات أخرى تشترك في أداء المعنى العام للكتابة، وعليه فيكون مفيدا التّعريف على بعض مرادفات الكلمة، منها: « الخطّ، والسطر، والسّفر، والزبر (بالزاي، وكذا بالذال أيضا ومنه الزبور) ومنها: الرّقم، والرّسم... وإنّ غلب الرّسم في خط المصاحف، ومنها التحرير، وبه سُمي قلم التّحريرات بمصر الآن، الذي كان في أيّام الخلفاء يعرف بديوان الإنشاء...»⁽⁴⁾ وتقوم الكتابة العربية على الحروف الثمانية وعشرين المذكورة في المبحث الأول، وتكتب من اليمين إلى اليسار.

1-3- نشأة الكتابة: لا بدّ أنّ الكتابة المعروفة حاليا، هي صورة متقدّمة لأشكال بدائية يعجز

المحدثون عن فكّ شفراتها، ولا يقدر على ذلك إلاّ العلماء المتخصّصون في النقوش القديمة الذين أكّدوا أنّ الكتابة «... مرّت منذ نشأتها إلى أن تكتمل بأدوار متعدّدة في مراحل متعاقبة، فذكروا من هذه

¹ - حنش، إدهام محمد. الخط العربي وحدود المصطلح الفني. الكويت، إدارة الثقافة الإسلامية، 2008-1429هـ. ط1. ص 24.

² - الجميلي، كمال عبد جاسم الصالح. "أثر القرآن الكريم في الخطّ العربي". في: مجلة البحوث والدراسات القرآنية. العراق، دت. ع9. ص303.

³ - ينظر: الهوريني، أبو الوفاء نصر بن نصر يونس الوفاي. المطالع النّصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية. أصول الكتابة والإملاء. القاهرة، مكتبة السنة، 1426هـ-2005م. ط1. ص39.

⁴ - المرجع نفسه. ص 42.

الأدوار أربعة رئيسة، هي الدور الصوري الذاتي، ثم الدور الصوري الرمزي، ثم الدور المقطعي ثم الدور الهجائي الذي يقع في أعلى سلم أدوار تطوّر الكتابة، وهو تمثيل كل فونيم (حرف) برمز خطّي». (1) مرّت الكتابة بأشكال مختلفة، إلى أن وصلت إلى ما هي عليه، وقد شرحها الأستاذ غانم قدوري الحمد باختصار، مبينا أنّ الكتابة التصويرية هي الأقدم، وتتمثل في الكتابة الهيروغليفية والصينية، والسومرية في صورتها القديمة، وبعدها ظهرت الكتابة المقطعية؛ بمعنى التعبير عن مقطع يتكوّن من أكثر من صوت برمز واحد، ومن أشهر كتاباتها الخط المسماري، الذي كان يدوّن على ألواح من طين في العراق وإيران، وهو معتمد في الصين إلى يومنا هذا.

وظهرت الكتابة الأبجدية بعدها، وهي تخصيص رمز واحد لصوت واحد، وانخفضت الرموز إلى ما يقارب الثلاثين، أشار معظم الباحثين إلى أنّ تطوّر الكتابة حدث في المنطقة الواقعة شرقي البحر المتوسط وما يحاذيها من الجنوب، ويذكرون أنّ الكنعانيين والفينيقيين هم الرّواد، وذلك في حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. (2) ومما ورد في هذا السياق لدى اللّغوي حسان تمام، « وواضح أنّ الفينيقيين أخذوا عن المصريين، وأنّ بقية السّاميين؛ فيما عدا الأكاديين أخذوا عن الفينيقيين، أما الأكاديون (وهم البابليون والآشوريون تحت اصطلاح واحد)، فقد أخذوا عن السومريين وآخر مرحلة في تطوّر الكتابة الأبجدية؛ هي المرحلة التي ظهرت فيها علامات العلة (أي العلامات التي تدلّ على تشكيل الكتابة) ...». (3) مهما تعدّدت الخطوط والأقوام، إلّا أنّ العديد من الدراسات ترجّح أنّها كلّها ترجع إلى أصل واحد، وهو ما ذهب إليه اللّغوي حسن ظاظا، الذي يرى أنّ أصل الكتابة عربي، « وظهرت بعدها في جنوبي بيروت في منطقة صور أبجدية نهائية، فرضت نفسها على أكثر بقاع العالم المتحضّر فأخذها اليونان، ومنها انتشرت إلى أنحاء أوروبا، وانتقلت بواسطة الآراميين إلى جميع آسيا حتى حدود الصين وتلقاها العبريون والمؤابيون والسريان والنبط والعرب. ومعهم انتشرت في إفريقيا وجزائر المحيط الهندي وعرفت الكتابة الأبجدية تحسينات تبعا للغات التي استعملتها، فالأوروبيون جعلوا حركات الضبط من صميم الأبجدية، بينما جعلها العرب والعبريون والسريان زوائد وعلامات توضع فوق الحروف أو تحتها

1 - الغامدي، محمد سعيد صالح ربيع. "الرسم الكتابي طبيعته وإشكالاته واتجاهات إصلاحه". في مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة دت. 57. ص 132.

2 - ينظر: الحمد، غانم قدوري. علم الكتابة العربية. عمان، دار عمار، 2000. دط. ص 28، 29.

3 - تمام، حسان. اللغة العربية بين المعيارية والوصفية. ص 133.

لأنه يناسب طبيعة لغتهم المعتمدة على الحروف الساكنة، دون الحركات عند التصريف والاشتقاق».⁽¹⁾ أما صاحب كتاب تاريخ الخط العربي وآدابه، فيرى أن « أصل الكتابة المعروفة الآن ظهرت في وادي النيل بشكل الصور الهيروغليفية، ثم حوّلها الفينيقيون إلى الحروف الهجائية، وعلموها لليونان في القرن السادس عشر قبل الميلاد وللآشوريين بعد ذلك بقليل، وعُرفت بالحرف الآرامي، ومن الحروف اليونانية القديمة تولدت جميع الخطوط الإفرنجية التي يكتب بها أهل أوروبا وأمريكا، وكثير من مستعمراتها، ومن الحرف الآرامي الخطوط التي تكتب بها أكثر ممالك آسيا وأفريقيا، فيمتد من أقاصي الهند شرقاً إلى أقصى بلاد مراكش غرباً ومن أعالي تركستان شمالاً إلى أدنى زنجبار جنوباً».⁽²⁾ بعدما عُرِضت أهم المراحل التي عرفت بها الكتابة، ترى هل كانت الكتابة واحدة ثم تفرقت أو أنها كانت مفرقة ابتداءً؟ يجيب ابن خلكان: « وجميع كتابات الأمم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشر كتابة؛ وهي: العربية، والحميرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية، والرومية والقبطية والبربرية والأندلسية والهندية والصينية خمس منها اضمحلت وبطل استعمالها، وذهب من يعرفها، وهي: الحميرية والقبطية والبربرية والأندلسية واليونانية. وثلاث قد بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الإسلام وهي الهندية والصينية والرومية، وحصلت أربع هي مُستعملات في بلاد الإسلام، وهي: السريانية والفارسية والعبرانية والعربية».⁽³⁾ حسب هذا الكلام هناك اثنا عشر (12) خطأ، ومن هنا يتبادر السؤال لماذا هذا العدد؟ ورد هذا العدد في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ...﴾، [سورة الأعراف، الآية: 160]. والسؤال الثاني: هل يمكن أن يرتبط هذا العدد المذكور في القرآن العظيم فعلاً بعدد الخطوط؟ فيؤخذ حجة على صحة هذا الطرح؟ لم يتوصل إلى ما يثبت ذلك. وقد ورد مخطّط يوضح تطوّر الكتابة في دراسة للباحثة بيترا بيلان (Pétra BILANE) كما هو مبين في الشكل الآتي:

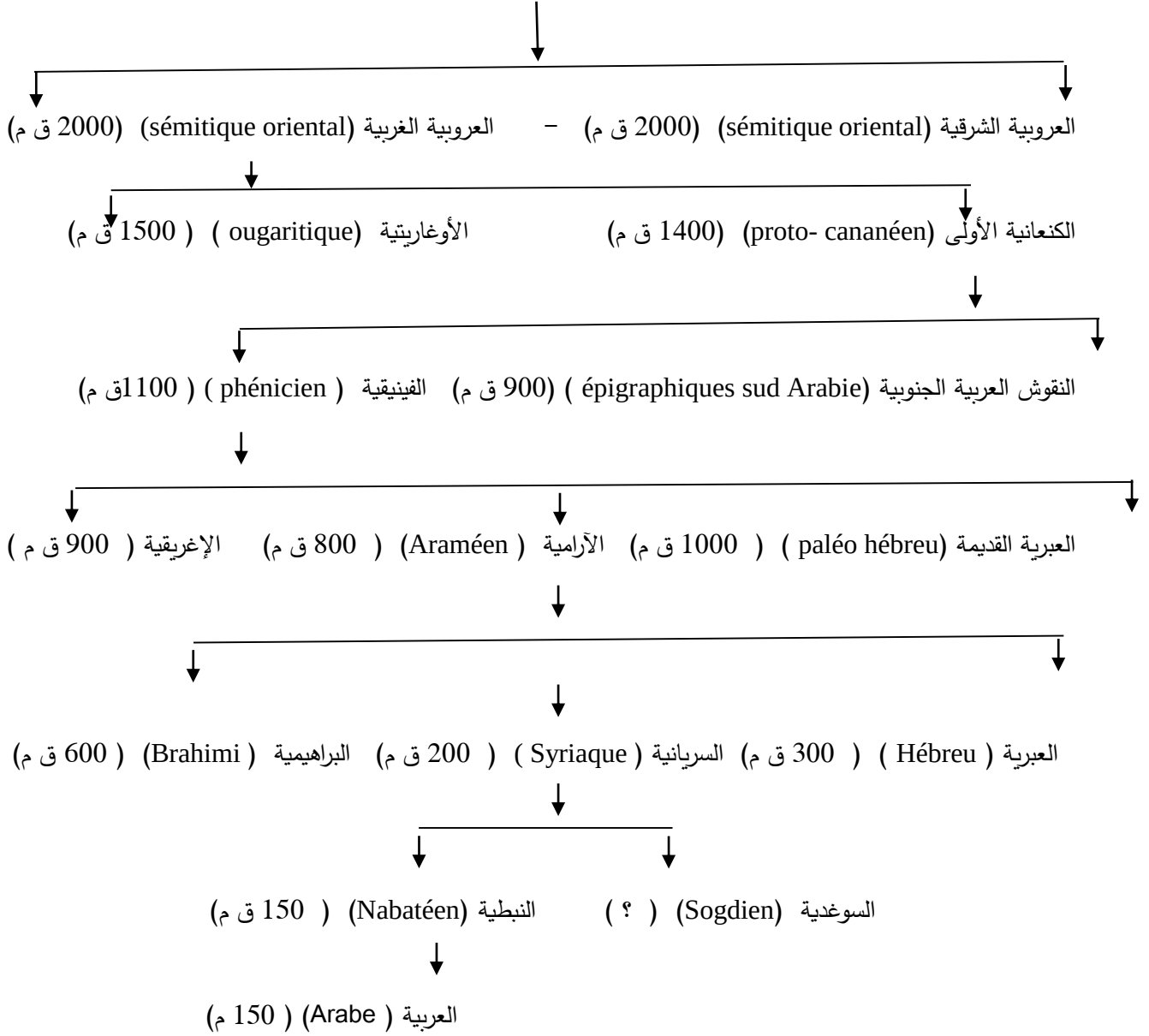
1 - ظاظا، حسن. اللسان والإنسان: مدخل إلى معرفة اللغة. دمشق-بيروت، دار القلم-الدار الشامية، 1410هـ-1990م. ط2. ص 129.

2 - الكردي المكي الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر. تاريخ الخط العربي وآدابه. ص25.

3 - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت، دار صادر، دت. مج3. ص 344.

شكل يمثل تاريخ الكتابة لدى الباحثين الغربيين⁽¹⁾

السامية الأولى (Proto sémitique) (سنة 4000 ق م)



يوضح هذا المخطط نظرة الباحثين الغربيين إلى تطوّر اللغات وكتابتها، حيث ظهرت النبطية في سنة 150 ق.م، ولم تظهر العربية إلا في سنة 150 للميلاد، وظهرت العبرية سنة 300 قبل الميلاد بمعنى قبل السريانية التي ظهرت سنة 200 قبل الميلاد، وهي معطيات تستدعي من البحث التريث في

• العنوان الأصلي للمخطط هو: «Arbre représentant l'histoire des langues»

¹-Voir : BILANE, Pétra. Manuscrits syriaques Contributions à l'indexation et à la reconnaissance des manuscrits syriaque. Thèse doctorat. Directeur de thèse : HUBERT EMPTOZ. Paris, institut national des sciences Appliquées de Lyon. 2010. p17.

قبولها أو ردّها، إذ تجعل بعض الدّراسات الكتابة السريانية قبل ذلك، وقد تفرعت النبطية حسب هذا المخطط من السريانية، ومنها تفرعت العربية. سيُحتاج إلى معطيات إضافية، لمناقشة هذه الفكرة وتوضيحها.

ذكر الباحث خالد نعيم الشناوي أنّ الكتابة بدأت في بلاد ما بين النّهرين في سومر، وفيها تطورت، ومنها انطلقت إلى مصر، ثم إلى باقي أرجاء المعمورة، وكانت هذه اللّغة أول لغة إنسانية وجدت طريقها إلى التدوين، فبدأت الكتابة صُوريّة ثم مقطعية، وفي الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل بدأت بواكير الكتابة الصورية في مدينة الوركاء ♦ ثم الكتابة الرمزية المقطعية ثم إلى المسمارية وحلّت رموزها في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي⁽¹⁾ بعدها تطورت هذه الرسومات والرموز إلى أبجديات، منها: الأوغاريتية، وهي أقدم كتابة عروبية ظهرت بداية الألفية الثانية قبل الميلاد غربي سورية، بعدها الأبجدية الفينيقية التي عدت امتداداً للسابقة، تليها الآرامية وتعود نقوشها إلى القرن العاشر والثامن قبل الميلاد، وجدت في الشام والعراق، لتأتي الأبجدية العبرية المتأثرة بالأوغاريتية، ثم الأبجدية النبطية وهي من الآرامية التي اعتمدت الكنعانية (الفينيقية)، وتتبعها الكتابة السريانية وفيها ثلاثة أقلام ظهرت في القرن الثاني للميلاد، وهي مشتقة من الآرامية القديمة فالمسند ورأى بعض الباحثين أنه به دونت النقوش اللحيانية والثمودية بخط أبجدي يتكون من تسعة وعشرين رمزا، وختمت السلسلته بالأبجدية العربية الشمالية⁽²⁾ وهي العربية التي كتب بها العرب. يبدو أنّ ما جاء به الباحث لا يختلف كثيراً عما تقدّم، إلّا أنّ المخطط جعل الآرامية هي مصدر كل من العبرية والسريانية ثم من السريانية تفرعت النبطية التي تطورت إلى خطنا العربي الحالي، في حين جعل الباحث العربي الأوغاريتية أصل معظم الكتابات، ثم الفينيقية ثم النبطية فالسريانية. سينصبّ الاهتمام في هذه الوقفة على نشأة الخطّ العربي، وذلك بالعودة إلى بعض الدّراسات القديمة والحديثة. ومن المفيد، التّعرف على بعض ما توصل إليه الباحثون، حول الحروف العربيّة.

♦ الوركاء مدينة تاريخية للحضارة السومرية والبابلية تقع شرق ضفة نهر الفرات، بالعراق.

1 - ينظر: الشناوي، خالد نعيم، فقه اللغات العروبية وخصائصها. ص 91.

2 - ينظر: المرجع نفسه. من ص 91 إلى ص 100.

1-4- معاني الحروف العربية القديمة: اجتهد الكثير من العلماء للوصول إلى تحديد معاني الحروف العربية، حسب علماء الآثار، الذين اجتهدوا لفكها، وقد أوردتها مجتمعة الباحث يحي عابنة.

جدول يمثل معاني الحروف النواة للأبجدية العربية⁽¹⁾

الحرف	معناه	الحرف	معناه
الألف	رأس ثور	اللام	عصا
الباء	بيت	الميم	ماء
الجيم	عصا، جمل	النون	ثعبان (حنش) ؟
الدال	سمكة	السين	سمكة
الهاء	مناداة، رجل ينادي	العين	عين
الواو	إبرة، سم الخياط	الفاء	فو فم زاوية
الزاي	سلاح ؟	الصاد	نبته، صياد
الحاء	سياج، حائط	القاف	قفة قرد معلق؟
الطاء	-	الراء	رأس إنسان
الياء	يد	الشين	-
الكاف	كف، نخلة ؟	التاء	علامة

يمثل هذا الجدول الحروف الأبجدية التي كانت تشتمل عليها العربية في البداية، قبل أن تضاف إليها الحروف الروادف، وهي (تخذ، ضغط)، وهذا ما يفسر غيابها في الجدول. إلا أن هناك اختلافا بين الباحثين في دلالة بعض الحروف العربية، مثل حرف الدال، هناك من رأى أن معناه باب، والطاء أفعى. هناك حرف الشين وهو السنّ، والهاء هو الشبكة، والنون هي الحوت، والصاد صديق، والقاف سم الخياط الواو الود. ⁽²⁾ ولاشك أن هذا النوع من البحوث يستدعي توثيقا أكبر، وبحثا دقيقا في الدراسات.

1-5- خصائص الحرف العربي: حظي الخط العربي بمكانة متميزة لم يحظ بها أي خط، ولاشك أن لاقتنانه بالقرآن العظيم أكبر الأثر في هذه المكانة، فقد حرص المسلمون على تجويد وإجادة كتابة كلام الله المبين، ونشره في مختلف بقاع العالم. وقبل الشروع في ذكر أهم خصائصه، لا بأس بالوقوف عند

¹ - عابنة، يحي. النظام السيميائي للخط العربي في ضوء النقوش السامية ولغاتها. دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م. ص 119.

² - الصالح، محمد. أسرار الحروف وأسمائها. <https://www.youtube.com/watch?v=djsJ1a3LzZQ>

أقسام الحروف، حيث قسم علماء العربية وفلاسفتها الحروف إلى ثلاثة أنواع: فكرية وهي صور روحانية في أفكار النفوس مصورها في جوهرها قبل إخراجها معانيها لألفاظ، والحروف اللفظية هي أصوات محمولة في الهواء مدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة، والحروف الخطية هي نقوش خطت بالأقلام في وجوه الألواح وبطون الطوامير مدركة بالقوة الناضرة بطريق العينين. والحروف الخطية وضعت ليُدل بها على الحروف اللفظية، والتي وضعت ليُدل بها على الحروف الفكرية التي هي الأصل.⁽¹⁾ لعل هذا التقسيم يقابله في اللسانيات الغربية مصطلحات الدال والمدلول والمرجع. فيكون الدال هو النطق باسم الحرف، وليكن "لام"، المدلول هو ذلك الشكل "ل"، أما المرجع فهو تلك الصورة الذهنية للحرف، وهذا انطلاقاً مما شرحه علماء العربية، والله أعلى وأعلم.

1-5-1-ارتباط الخط العربي بالقرآن العظيم: بفضل القرآن الكريم انتشر الحرف العربي انتشاراً واسعاً لم يبلغه خط غيره في العالم، وهو ما لم يُعجب أعداء الإسلام، فشنوا حملاتهم ضده لمحاربته، وهو في عقر داره، ففي الهند مثلاً قاد (غاندي) حملة لإيقاف لغة القرآن ومنع انتشار العربية في القارة الهندية: «إن من الخير لسكان الهند ألا يلجؤوا إلى اللغة الأردية التي تكتب بحرف القرآن، لأنه كتاب المسلمين وحدهم، وعلينا أن نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط، وهي اللغة السنسكريتية...».⁽²⁾ يعكس هذا الكلام الحقد الذي يحمله غير المسلمين للحرف العربي، ومحاولتهم إقصاءه بكل ما أوتوا من قوة، «إن الحرف ينقل ويبلغ الروح وفي نفس الوقت يحفظه من الضياع وسيحفظ أولاً وقبل كل شيء القرآن نفسه، ذلك الكتاب الذي لم يتغير فيه حرف واحد منذ أربعة عشر قرناً على خلاف كل الكتب الأخرى من العهد القديم إلى العهد الجديد، حيث لم يبق فيها من ناحية صحتها التاريخية إلا القيمة الرمزية التي يحترمها النقد الحديث دون أن يعتمد عليها من الناحية العلمية».⁽³⁾ يؤكد المفكر الكبير مالك بن نبي دور الخط العربي في حفظ القرآن العظيم، وهو جانب آخر للارتباط به، وإن كان الله القدير المقتدر وعد بحفظه، بالإضافة إلى حفظه في الصدور، وهناك من يسميه الحرف القرآني، وهو ما يؤكد الصلة الوثيقة بينهما.

¹ - ينظر: إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، ط1، روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الثقافة الإسلامية الكويت، 1429هـ-2008م، ص 41.

² - كمال عبد جاسم الصالح الجميلي، أثر القرآن الكريم في الخط العربي، ص323، 324.

³ - بن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص33.

1-5-2- عالمية الخطّ العربي: يعتبر الخطّ العربي من أهمّ الخطوط المتميّزة والصّامدة التي انتشرت في العالم، وما يزيد القناعة بقوّته أنّه مازال محتفظا بتميّزه رغم الحملات الموجهة لإقصائه و« من النّتائج التي توصّل إليها الباحث أنّ صمود حرف القرآن أمام محاولات طمسه دليل على أنّ هذا الحرف أكبر من كونه لغة قومية أو حرفا جميلا مؤثّرا؛ بل يمتدّ إلى عمق أكبر، إنّهُ ترتبط قداسته بوحى القرآن الخالد الذي تكفّل الله بحفظه. الخطّ العربيّ معجزة كتابة القرآن، فلم تشهد أيّ لغة في العالم مثلما لخط المسلمين من قوّة تأثير وجمال، فالله سبحانه وتعالى، شاء لحرف القرآن أن يكون معجزة حتى في كتابته»⁽¹⁾ وقد ربطه الكثيرون بالإسلام فسمي بالخطّ الإسلامي، « أراد الله سبحانه لكتابه القرآن الكريم أن يكون دستوراً للإنسانية جميعاً باختلاف ألسنتهم وأجناسهم وثقافتهم، فكان سلطان القرآن وتأثيره يغزو النفوس والعقول، فأقبلوا على تعلّمه وفهمه وتعلّم الحرف العربي، حرف القرآن، فخرج بذلك الحرف العربي من عربيّته إلى عالميّته بفضل القرآن، فكتب به العرب والعجم كتب الإيرانيون به لغتهم الفارسية والهنود كتبوا لغتهم الأوردو، كما كتب السلاجقة والعثمانيون لغتهم التّركية، ومن هنا جاءت تسمية الخطّ العربي بالخطّ الإسلامي، ونرى هذه التّسمية أصح وأدق»⁽²⁾ رغم وجود من يستعمل الخطّ العربي من غير المسلمين إلّا أنّهم أقلّيّة، فالمسلمون الذين يستعملون الخطّ العربيّ أكبر بكثير من غيرهم. وآخر ما استجد هو أنّ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة أدرجت الخط العربي في التراث الثقافي غير المادي العالمي بتاريخ 14 ديسمبر 2021م وهذا يثبت تميز الخطّ العربي وعالميته.

1-5-3- توظيفه في الحساب: يحظى الحرف العربي بميزة عجيبة كونه يدلّ على أرقام حسابية، فيها تسعة أحرف للأحاد وتسعة أحرف للعشرات، وتسعة أحرف للمئات، وحرف واحد للألف يطلق عليه حساب أبجد، وأكثر استعماله قديما كان لكتابة لتواريخ في القصائد. وكثيرا ما توظّف حاليا في البحوث العلمية للتّرقيم، كما هي موضحة في الجدول الآتي:

¹ - جلوي المغربي، حمود، ومشرف الهزاع. نايف التجارب المعاصرة في الخط العربي. الكويت، (1418هـ-1997م)، ط1، ص 327.

² - المرجع نفسه. ص310.

جدول يمثل القيم العددية لحروف الأبجدية⁽¹⁾

الحرف وقيمته العددية	الحرف وقيمته العددية	الحرف وقيمته العددية	الحرف وقيمته العددية
أ = 1	ب = 2	ج = 3	د = 4
هـ = 5	و = 6	ز = 7	ح = 8
ط = 9	ي = 10	ك = 20	ل = 30
م = 40	ن = 50	س = 60	ع = 70
ف = 80	ص = 90	ق = 100	ر = 200
ش = 300	ت = 400	ث = 500	خ = 600
ذ = 700	ض = 800	ظ = 900	غ = 1000

1-5-4- الطابع الجمالي والفني: يتمتع الخطّ العربي بأنواع كثيرة، ومنها في خطّ التّثلث، والنّسخ والتّعليق والديواني، والرقعة والخطوط المتسقة، والديواني الجلي، والمحقق، والإجازة، والطفراء والمغربي والريحاني، والتّاج والشكسته.⁽²⁾ وبما أنّ الفنّ هو إبداع والإبداع فنّ، فالخطّ العربي ينطبق عليه هذا المصطلح باتّام معنى الكلمة، إذ أبدع الرّسامون والفنانون في تشكيله. والمعارض التي تقام في كلّ مكان لخير دليل على ذلك. يثبت الواقع تميّز الخطّ العربي وتفوّده، يكفي أن تتأمّل الفنون التشكيلية ومعارض الفنون الجميلة التي تعرض لوحات بخطوط مختلفة للخطّ العربي، ومن أشهر الخطوط الخطّ الكوفي كما تزيّن به القصور والمساجد، ولا يكون ذلك إلّا لجماله، ولعلّ أهمّ أسباب جماله، قبول الحرف العربي التّشكّل بأيّ شكل هندسي، وهو ما يدلّ على مرونته، وقد لقي الخطّ العربيّ اهتماما كبيرا من قبل العلماء لم يشهده خطّ في العالم قطّ.⁽³⁾ بحيث يمكن كتابة أيّ كلمة أو حرف بأشكال كثيرة، دون أن يؤثّر ذلك على معناه أو قراءته، "ولم يؤثّر الخطّ العربي في تنمية النّهضة الأدبية والعلميّة لدى العرب وحدهم فحسب؛ بل تعداهم بفنّياته وجماله إلى إعجاب الأوربيين به إعجابا جعلهم يكتبون به شعارات دينية تتناقض مع دينهم ومعتقداتهم... توجد عملة سكها (أوفا) ملك مرسية (757-796هـ)، وهي تقليد تام لدينار عربي، وبها الكلمتان (الملك اوفا) بالحروف اللاتينية، وحولها كتابة عربية منقولة نقلا دقيقا نقرأ بها

¹ - بديع يعقوب، إميل. المعاجم اللغوية العربية بداءتها تطورها. ص 34.

² - ينظر: جلوي المغربي، حمود. مشرف الهزاع، نايف. التجارب المعاصرة في الخط العربي. ص 38-57.

³ - ينظر: الكردي المكي الخطاط، محمد طاهر بن عبد. القادر تاريخ الخطّ العربي وآدابه. من ص 161 إلى ص 166.

الشهادتين: لا اله الا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله، ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون)...⁽¹⁾ تتكون هذه العبارة من الشهادتين، كما هو واضح بالإضافة إلى جزء من آية قرآنية وردت في ثلاث سور: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، [سورة التوبة، الآية: 33]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، [سورة الصف الآية: 9]. وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، [سورة الفتح، الآية: 28]. وهذا يعكس انبهار الغرب بالخط العربي إلى درجة أنهم نقلوا كلمات لا يفهمونها لجمالها، فكيف يعقل أن تكتب الشهادتان على عملة مسيحيين؟ سبحان الله العظيم! إنه لإعجاز عظيم.

بالإضافة إلى دلالاته على بعض الأوصاف، وهي ميزة تدل أيضا على حيوية الحرف العربي الذي وظف للدلالة على أوصاف الإنسان، وقد ورد الكثير على لسان أحد الشعراء...⁽²⁾ كما تجد لوحات لكلمات وجمل تأخذ أشكال حيوانات وصور من الطبيعة، وهو ما انفرد به الخط العربي.

إِنْ كُنْتُ تَسْعَى لِلْسَّعَادَةِ فَاسْتَقِمْ تَلِّ الْمُرَادَ وَلَوْ سَمَوْتَ إِلَى السَّمَاءِ
أَلْفُ الْكِتَابَةِ وَهُوَ بَعْضُ حُرُوفِهَا لَمَّا اسْتَقَامَ عَلَى الْجَمِيعِ تَقَدَّمَ

1-5-5-الخاصية الاختزالية: يعكس هذه الخاصية عدة أمور، منها التعبير عن الحركة الطويلة برمز واحد لكل صوت، بينما في الفرنسية أو الانجليزية، برمزين أو حرفين، مثل: (moon meet). كما يُستغنى بعلامة التشديد عن تكرار الحرف عكس بعض اللغات، مثل: (comment-connecté) صغر حجم الحرف العربي، وهذا يقلص المساحة التي يستغرقها في الصفحات.⁽³⁾ وقد فصل في هذه الصفة الباحث حسني عبد الجليل يوسف، "إن الحرف العربي بشهادة المستشرقين والمؤرخين أنفسهم هو أجمل حروف الدنيا، ثم إلى جانب هذا حرف اختزالي، بينما يكتب الحرف اللاتيني بتمامه، وفي الاختزال وفر في الوقت والمساحة، وفي الكتابة العربية حركات من فتحة وضممة وكسرة، وفي اللاتينية حروف صوتية، والحركة أخصر من الحرف، فلو أردنا أن نكتب كلمة (قَلَمٌ) بالحرف اللاتيني لوجب أن

¹ - مرتاض، عبد الجليل. العربية بين الطبع والتطبيع: (دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية). الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دت. دط. ص 161، 162.

² - ينظر: الكردي المكي الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر. تاريخ الخط العربي وآدابه. من ص 161 إلى ص 166.

³ - ينظر: بيوم، سعيد أحمد. أم اللغات دراسة في خصائص اللغة والنهوض بها، ص 42.

نكتبها هكذا (qalamone) فلا مندوحة عن استعمال ثمانية أحرف بدلا من ثلاثة، أما الضمتان فوق الميم فقد تمثلتا بثلاثة حروف هي (one)، فالكاتب بالحرف اللاتيني. كما نرى تأخذ مساحة أكبر، كما تستلزم وقتا أطول، والمساحة والوقت لهما قيمتهما الكبرى في عصرنا الحاضر وهي في ازدياد مع تقدّم المدنية⁽¹⁾. وليست هناك حروف مركبة، لا مجال للمقارنة بين الخطّ العربي وغيره، ولاسيما ما تعلّق بالخطّ الأنسب للغة العربية، إنّ كتابة الكلمات والجمل العربية بالخطّ العربي يحتاج إلى مساحة صغيرة وإذا ما كُتبت الجملة نفسها بالخطّ اللاتيني على سبيل المثال، فإنّها قد تصل إلى ضعف الكتابة الأولى (العربية)، وهو ما ثبت بالدليل، وقد تطرّق البحث في فصوله اللاحقة عند تحليل معاجم بعض المستشرقين إلى هذا الأمر.

1-5-6-دقة الكتابة العربية: يُعتبر الخطّ العربي أكثر الخطوط دقّة، ليس في اللغة العربية حروف صامتة تكتب ولا تنطق إلّا في كلمات معدودة، مثل الواو في (عمرو)، والألف في (دخلوا) واللام الشمسية، وهي كثيرة في اللغات الأخرى، ففي الأعداد الفرنسية مثلا: يُكتب (sept) ويُنطق (sete). وهذا غيظ من فيض. كما أنّ كل حرف في الكتابة العربية يرمز إلى صوت واحد لا أكثر، فلا نجد في العربية رمزين يشيران إلى حرف واحد، أو رمزا مركبا لصوت مفرد، كما في الفرنسية والانجليزية مثلا: (الثاء: th، الفاء: ph، والشين: ch). فمثلا يُنطق حرف (s) تارة سينا وأخرى زايا. كما لا يوجد في اللغة العربية رمز مكتوب، ينطق بغير قيمته الصوتية، فالرمز (س) يدلّ على صوت واحد هو السين. بينما لا نجد هذا في بعض اللغات مثل حرف (C) الذي يمكن أن ينطق (كاف) وقد ينطق شينا أو صادًا.⁽²⁾ ويُنطق المقطع (tion) سيون، رغم أنّه لا وجود للحرف (s) فيه.

1-5-7-الخاصية الاتصالية اللصقية: تتشكل الكلمة العربية بالتصاق حروفها وضمّ بعضها إلى بعض، ولا يوجد حرف في اللغة العربية يفقد صلته بما قبله، مع وجود حروف تتفصل عما بعدها وهي: (د، ذ، ر، ز، و). وهذا إعجاز كبير في الكتابة العربية، وإذا تأمّل القارئ الكريم في هذه الخاصية فإنّها ولا شك تؤكد توقيفية العربية التي تأبى التفرق والتشتت، وهي من سنن الكون التي خلق عليها الإنسان، فلا يستطيع الإنسان السوي العيش الانفصال عن خالقه، ولا العيش بمفرده، فلا تكتمل سعادته

¹ - حسني، عبد الجليل يوسف. اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها. ص 365.

² - ينظر: بيوم، سعيد أحمد. أم اللغات دراسة في خصائص اللغة والنهوض بها. ص 43.

إلا مع الآخر، وهذا ما تعكسه الكلمات العربية، كما يُلاحظ أنَّ معظم الحروف تقبل الالتصاق من اليمين ومن اليسار، هنا يستحضر البحث قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾، [سورة آل عمران الآية: 103]. وللأسف هناك من يدعو إلى تغيير هذه الخاصية التي تدعو أصحابها إلى الاتحاد والتعاون اقتداء بكتابات الغربيين، فلا يؤدي الحرف وظائفه إلا وهو متعاون مع غيره من الحروف، وهذا من أسرار قوته وجماليته.

1-5-8- خلو الحروف من الحركات: وبتعبير آخر، لا تشتمل حروف الهجاء العربية على المصوتات وإنما نشأت في زمن لاحق، وقد يرتبط ذلك، باستغناء العرب عنها، فما احتاجوا إليها إلا مع ظهور الإسلام والاختلاط بالأعاجم. وقد لازمت هذه الظاهرة الكتابة العربية، إلى يومنا هذا، فتجد معظم الناس لا يشكلون نصوصهم إلا عند احتمال اللبس. وإذا كان بعض الباحثين يعيرون على اللغة العربية هذا الأمر، فإنه في الحقيقة ميزة لها تزيدها قوة، فهي لغة تحرر صاحبها، وترى في الحركات قيودا ولم توضع في الحقيقة إلا للجاهل بالعربية، من الأعاجم ومن تأثر بهم. ولهذا لم تدرج في صميم الألفبائية ولا شك أن أكثر من ردد الشكوى من هذا الأمر هم المستشرقون ولا عجب، لتنتقل إلى العرب، كغيرها من الأفكار، وتتحول إلى حقائق، فبات الجميع يعلن استيائه من غياب الحركات بدل أن يراجع قدراته ويصقل لغته ومهاراته، صحيح العربية تفرض على أصحابها الفطنة والذكاء، فلا تستطيع قراءة نص وعقلك غائب، كما لا تستطيع كتابة نص وأنت لاه، لأن العربية تدعوك للحضور معها عقلا وروحا وأنت تتحدث وأنت تكتب، وهنا كذلك يستحضر البحث قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (18)، [سورة ق]. فاللغة العربية تدعو أهلها لمراقبة ما يقولون وما يكتبون، ولا يكون ذلك إلا بحضور العقل أثناء العمليتين معا، وهو ما يعني أن غياب الحركات رفع من شأن العرب، وإثبات لذكائهم وفطنتهم، وقدرتهم على التصرف في الكلمات وتغيير معانيها بتغيير المقامات كما أن الكلمة العربية محكومة بسياقها وما حولها وهنا تتأكد الخاصية المذكورة سابقا من أن العربية تتسجم مع السمات البشرية وهو ما جعلها قادرة على الاستغناء عن الحركات فالحروف كفيلة بنقل المعنى الأساس والبقية يتكفل به السياق والدليل على ذلك، أن الذي يملك مستوى متوسطا في اللغة العربية يمكنه قراءة فقرة كاملة غير معجمة ولا مضبوطة بالحركات.

1-5-9- انسجام الحرف مع المعنى: مما قاله اللغوي (ابن جني): « وذلك قولهم بحث فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصلحها تشبه مخالبا الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبت للتراب وهذا أمر تراه محسوسا محصلا، فأَيّ شبهة تبقى بعده أم أي شك يعرض على مثله، ومن ذلك قولهم شد الحبل ونحوه فالشين بما فيها من النقشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد وال جذب وتأريب العقد، فيعبر عنه بالبدال التي هي أقوى من الشين لا سيما، وهي مدغمة فهو أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها...»⁽¹⁾ وهنا يلاحظ القارئ الكريم، ولا شك أنّ هناك تداخلا بين الجانب الصوتي والرمزي، حيث يصعب الفصل بينهما، رغم أن أصل اللغة هو أصوات، إلا أن الكاتب وهو يسجل هذه الحروف لا يمكنه التجرد والتعامل معها على أساس أنها مجرد رموز، فمعظم الباحثين وهم ينقلون عن غيرهم كتابة يوظفون كلمة (قال) و(تحدث) وغيرها، وهذا ما جعل البحث يذكر هذه الخاصية، ويبدو أنّ الباحث (حسن عباس) اهتم كثيرا بهذا الموضوع، حيث خصص دراسة قائمة بذاتها حوله، يقول: « بعد أن انتهيت من دراستي (خصائص الحروف) ثبت لي على واقع آلاف الأمثلة المضروبة أنّ العربي قد اعتمد خصائص الحروف ومعانيها في ألفاظه للتعبير عن معانيه، ولقد آخى في ذلك بصورة عامة بين القيم الجمالية والقيم الإنسانية...»⁽²⁾ كما أشار في مقال له إلى مجموعة من الباحثين الذين اهتموا بهذا الموضوع، « ولما كان (الأرسوزي) قد انتهى إلى الكشف عن العلاقة بين خصائص الحروف العربية ومعانيها العتيدة فهذا يقطع بصحة منطلقه من مثله الثقافي (القومي الفلسفي اللغوي)، وقد فتح له هذا المنطلق آفاقا غير مطروقة في هذه القطاعات الثلاث وأغناها بحقائق جديدة»⁽³⁾ إلا أنّه تميّز عنهم بتتبعه الحرف الواحد ومعناه في الكلمة حين يرد في بدايتها ووسطها ونهايتها، وهو ما أوصله إلى نتائج دقيقة على حد قوله، « ودعما (علميا -رياضيا) لهذه الدراسة في مواجهة القائلين باصطلاحية معنى الكلمة العربية واعتباطيتها، فقد استعرضت في هذه الدراسة معاني (9767) مصدرا جذرا لعشرات ألوف المعاني، أثبت منها معاني (3523) مصدر، كأمثلة على توافق خصائص الحروف العربية مع معانيها، فكانت نسبة

¹ - ابن جني، عثمان أبو الفتح. الخصائص. ج 2. ص 163.

² - عباس، حسن. خصائص الحروف العربية. ص 8.

³ - عباس حسن. " فطرية العربية على موائد علمائها". في مجلة المعرفة، دمشق، 1997م. السنة 36. ع 407. ص 58.

التوافق بينهما تراوح بين (51- 91) في المائة...»⁽¹⁾ حيث صنف الحروف، حسب الحواس التي تدلّ عليها، وهي اللمسية والذوقية والبصرية والسمعية.

2-الدعوة إلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني:

2-1-طباعة الكتب العربية في الغرب: قد يُستغرب لافتتاح هذا العنصر بالطباعة العربية في الغرب لكن سيزول هذا الاستغراب بعد حين، إذ بدأ الخطّ العربي رحلته في عالم الطباعة بأوروبا حيث «... اهتمّت فرنسا بتعليم اللغة العربية وتأسيس المطابع العربية، فقد استدعى الملك فرنسوا الأول الأسقف جوستنياني من جنوى لتعليم اللغتين العربية والعبرية في ريمس سنة 1519م كذلك قلّدت فرنسا إيطاليا في تأسيس المطابع العربية في بلادها، وبدأت بطباعة الكتب العربية. وقد كان مركز النشاط الطباعي العربي في المطبعة الملكية في باريس، فقد حفر لها الحروف العربية وصبها وسبكها سافاري دوبريف ... وأول كتاب عربي مطبوع صدر عن هذه المطبعة هو كتاب "في صناعة النّحو" من تأليف القسيس العربي جبرائيل الصّهيوني والشماسي الماروني يوحنا الحصري، وكان ذلك سنة 1613م»⁽²⁾. فالاهتمام بطباعة الحرف العربي كانت بدايته لدى الغرب، وكان للطباعة دور كبير في نشر الخطّ العربي، من هنا يمكن القول إنّ الغرب خدم الخطّ العربي من هذه الزاوية، بغض النظر عن الدوافع وكان العرب حينها، غارقين في الحروب والخلافات، فبعد أن كان الحكام يهتمون بالعلم والكتابة سابقا تغيّر الحال، ليفسحوا المجال للغرب، «... وقد نشر المستشرق غيوم بوستيل الأستاذ في كلية فرنسا مبادئ اثنتي عشرة لغة شرقية بحروفها الأصلية منها: السريانية والسامرية والعبرانية، وقد استعمل المستشرق المذكور في طباعة القواعد العربية التي صدرت مع باقي المجموعة المذكورة أنفا في باريس سنة 1538م أحرفا عربية، إلّا أنّ الأحرف كانت محفورة ومسبوكة بشكل بدائي رديء لدرجة أنّها لا تُقرأ تقريبا. وكان هذا الكتاب أول سجل مطبوع للغة العربية في باريس. وسرعان ما انتشرت حروف تلك اللغات الشرقية في المطابع الأوروبية، وطبع بها كتب دينية عديدة. على أنّ اللغة العربية نالت النصيب الأوفر من عناية المطابع، فكثر مطبوعاتها العربية وعلى الأخص في مطابع روما.⁽³⁾ انصبّ الاهتمام

1 - عباس، حسن. خصائص الحروف العربية. ص 8.

2 - حمادة، محمد ماهر. رحلة الكتاب العربي.... ص 253، 254.

3 - المرجع نفسه. ص 247-248.

في البداية على الكتب الدينية وقواعد اللغة العربية.

وقد عمل الغربيون على تطوير طباعة الحروف العربية، ويبدو أنّ ذلك تمّ برعاية المستشرقين المنتمين إلى المجلة الآسيوية، « أما بخصوص طبع المخطوطات العربية، فإنّ (LANGLES) قد نقش حروفاً عربيّة... لكن مستشقي المجلة الآسيوية اعتبروها من الخطوط العربية الأكثر عيوباً، ولذلك اجتهد كلّ من (VIBIRAL CASTEIN) بمرسيليا في نقش حروف عربية جديدة أرقى من حروف (لانجلس) ... اعتماداً على مخطوط مغاربي محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس... وقد ذكر المستشرق (ROUSSEAU) أنّ الحروف جاءت متماسكة ومتراصة بشكل ملفت. وسيستعمل الخط المغاربي، لاسيّما في طباعة الكتب التي ألّفت في الجزائر أو الموجهة من الأوربيين إلى الجزائريين».⁽¹⁾ وهنا تفضيل واضح للخطّ المغاربي، وقد يرتبط هذا باحتلال فرنسا بعض البلدان المغربية في ذلك الوقت، فكانت حاجتها ماسّة إلى الكتابة بالعربية.

2-2-الاحتلال: ارتبطت الدّعوة إلى إعادة النّظر في الحروف المعتمدة لكتابة اللّغة العربية بالاحتلال الأوروبي، بشتى أشكاله وجنسياته، وهي الدّعوات التي ظهرت في البلدان المحتلّة جميعها مشرقاً ومغرباً « نشير إلى أنّ بقايا العرب الذين ظلّوا بعد انتهاء حركة الاسترداد، والذين أطلق عليهم الموريسكيون (Moriscos)، وسميت لغتهم العربية الخميادو (Aljamiado)، وكتبوا لغتهم بالحرف اللّاتيني، تحت وطأة الإرهاب الإسباني وسطوة محاكم التّفتيش... ليس الغرض منها إلغاء الحرف العربي بقدر ما كان تسهيلاً لهم ولدراساتهم... ولكن مع بدء العصر الاستعماري ظهر النّوّج نحو ترويج الحرف اللّاتيني بمزيد من الإصرار مع إبداء الحجج والأسباب التي كرّسوا لها المزيد من الدّراسات... ففي مصر على سبيل المثال اختلطت فكرة اعتماد العامية المصرية كلغة قراءة وكتابة مع دعوة اتّخاذ الحرف اللّاتيني وسيلة لكتابتها».⁽²⁾ وهذا ما حدث في معظم البلدان المحتلة، « وشهدت حملات طمس الحرف العربي بلدانا كثيرة، وقد بلغت ضراوتها في المغرب العربي تونس والمغرب وكان أشدّ الغزو في الجزائر، فلم يتأثر بلد مثلما تأثر هذا البلد وقت احتلاله».⁽³⁾ وهي محاولات باءت بالفشل في ذلك الحين، إلّا أنّ

¹ - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي... ص 273.

² - أحمد نظمي، محمد. موقف الاستشراق بين الفصحى والعامية. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990م. ص 101.

³ - جلوي المغربي، حمود. نايف مشرف الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي. ص 323.

هناك من عمل على نشر هذه الأفكار أثناء الاحتلال وبعده، سواء من المحتلين أنفسهم أو من غيرهم.

2-3 دور المستشرقين: يصعب الفصل بين الاستشراق والاحتلال بكل أشكاله، إذ هناك تداخل وتكامل كبير بينهما، « وكان الدور الذي لعبه الاستشراق في هذا الشأن ذا تأثير ملموس بشكل أكبر، يتضح ذلك فيما نراه من زحزحة الحرف العربي عن خارطته الجغرافية، وربما تعدّ اللهجة المالطية من أولى اللهجات التي كتبت بالحرف اللاتيني بعد استبدال أبجديتها العربية».⁽¹⁾ كان للمستشرقين السبق في وضع الحروف اللاتينية المقابلة للحروف العربية، فمنهم من كان يكتفي بكتابة العربية بالحرف اللاتيني ومنهم من كان يكتب العربية بالحرف العربي ويقابله بالحرف اللاتيني، « يعدّ بيدرو ألكالا من الرواد الأوائل، فبعد أن أرسله أسقف طليطلة إلى غرناطة، شرع فور عودته في تأليف معجم عربي - قشتالي كتب مقدّمته باللهجة العامية الغرناطية، وقام بوضع الحروف اللاتينية مقابل الحروف العربية كتب اللغة العربية بهذه الحروف».⁽²⁾ قد يكون هذا الفعل من باب الدّعوة إلى كتابة العربية بالخطّ اللاتيني، وقد يكون لتسهيل قراءتها على غير العرب، لا يمكن الجزم بأنّ الهدف كان فعلا الدّعوة إلى الخطّ اللاتيني إلا أنّ الأكيد هو أنّ هذا العمل وأشباهه كان الممهّد للدّعوة إلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني « وقد تابع هذه الدّعوة مستشرقون آخرون... ومع بداية طرح هذه الأفكار الاستشراقية الخاصة باعتماد اللهجات العربية وكتابتها بالحرف اللاتيني، أخذت المشكلة طريقها نحو المؤسسات الاستشراقية في أوروبا، حيث نوقشت من الجانب الاستشراقي وحده أول مرّة في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في فيينا سنة 1886م ... ومن هذا المنطلق بدأت المؤسسات الاستشراقية تشدّ أزر البعثات الدبلوماسية للدول الأوروبية الاستعمارية وغير الاستعمارية في دفع هذه الأفكار داخل المجتمعات الثقافية العربية... نرى أنّ المستشرق الانكليزي مارجليوث (David Samuel Margoliouth)، يكتفّ نشاطه الرسمي مع الكثير من الدول العربية، من أجل إجراء مباحثات مع مسؤولين كثيرين في القاهرة والقدس ودمشق؛ بل وغيرها من مدن المنطقة أيضا، من أجل إقناع حكومات هذه البلاد باستعمال الحرف اللاتيني».⁽³⁾ وقد أدّت هذه الدّعوة إلى تأثر بعض المثقفين المصريين وانضمامهم إلى هؤلاء الدّاعين إلى ترك الحرف العربي.

¹ - أحمد نظمي، محمد. "موقف الاستشراق بين الفصحى والعامية". ص 101

² - المرجع نفسه. ص 101. عن العقيلي، نجيب. المستشرقون.

³ - المرجع نفسه. ص 102. عن لويس عوض، مذكرات طالب بعثة، الكتاب الذهبي.

أما من المستشرقين الفرنسيين، « فكان لويس ماسينون من أخطر الدعاة إلى الحروف اللاتينية واتخاذها أداة لكتابة اللغة العربية، ومما كان يدعو إليه (إهمال الإعراب) على اعتبار أنه ييسر تعليم اللغة العربية على الأجانب، وقد دعا ماسينون رجال المجمع العلمي في دمشق إلى اتخاذه وسيلة التجديد وكرّر دعوته في أندية الشباب العربي في باريس، وقد وجدت دعوته رداً عنيفاً ومعارضة واسعة...»⁽¹⁾. وما يميّز المستشرق ماسينون، أنه من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

اقتترنت الدعوة إلى العامية بالدعوة إلى الحرف اللاتيني، وهو مما يؤكد أنها من تدبير المستشرقين والغربيين عامة، فمن هو المستفيد الأول والأخير من كتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني؟ لطالما اشتكوا من صعوبة الفصحى كتابة ونطقاً، فاحتجوا بذلك على صعوبة تعلّمها وليست هذه بمشكلة، إذ لا يُتوقع من غرباء عن العربية أن يحرصوا عليها، أو أن يحسنوا إليها، لكن الإشكال كبير والخطب جلل إذا صدر هذا عن العرب أنفسهم.

2-4- تأثر العرب بهذه الدعاوى: تعلّم الكثيرون من مثقفي العرب لدى المستشرقين وتكونوا على أيديهم وهو ما جعلهم يتأثرون بأفكارهم و« اللهجات المحلية والعامية واللغة الوسطى، والحروف اللاتينية كلّها من مؤامرات الاستشراق وهي التي تسربت إلى دعاة التغريب حتى نرى واحداً مثل الدكتور محمد كامل حسين يقول: أدعو إلى قتل الفضاحة وإلى تجاهل البلاغة، فقد أصابنا منها شر كثير وهو قول يدلّ على العجز عن فهم علاقة اللغة بالعقيدة أو فهم تاريخ الإسلام وعلاقة العرب به، وهي كلمة من كلمات استعلاء...»⁽²⁾. وفعلاً هناك من جسّد هذه الأفكار، و« من أبرز المحاولات وضع كتاب في الأدب العربي، ولكن مكتوب بالحرف اللاتيني، وهو الكتاب الذي وضعه يواكيم مبارك بعنوان مختارات في الأدب العربي، وذلك حسب طريقة يوجين تسران عضو المجمع الفرنسي»⁽³⁾. لم يتوقف الأمر عند مجرد تأليف كتاب بالحرف اللاتيني؛ بل « كان للشاعر سعيد عقل دور كبير في هذا المجال عندما أنشأ مطبعة هي الأولى من نوعها لكتابة اللغة العربية في الوطن العربي بالحروف اللاتينية، مع إضافة بعض الحروف إليها، وفي هذه المطبعة قام سعيد عقل بطباعة مجموعة من كتبه ودواوينه الشعرية

¹ - الجندي، أنور. مقدّمات العلوم والمناهج: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل. ص 182.

² - المرجع نفسه. ص 184.

³ - أحمد نظمي، محمد. "موقف الاستشراق بين الفصحى والعامية". ص 103.

ومن بينها ديوانه الشعري (يارا) على غرار ما فعل أتاتورك بالحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية⁽¹⁾. ورغم المجهودات المبذولة لتحقيق هذا المشروع إلا أنه لم يكتب له النجاح، فالخط الوحيد الذي يصلح لكتابة اللغة العربية هو الخط العربي.

2-5- الدعوة إلى إيجاد نظام كتابي عالمي (الكتابة الدولية): حاول بعض العلماء، إيجاد كتابة موحدة، تكتب بها جميع اللغات، « وتستعمل حاليا طريقتان الأبجدية الصوتية الدولية وتوضع رموزها بين معقوفين []، وإن كانت بعض رموزها تستعمل في كتابة بعض اللغات دون الأخرى، أما الأبجدية الثانية ففونيمية، تستعمل في جزئها الأكبر الأبجدية الاصطلاحية الرومانية، وأحيانا تستعمل الأبجدية الصوتية الدولية، حين يكون ذلك مطلوبا، وتوضع بين خطين مائلين / /، وكل لغة تفضل نظامها الكتابي الخاص الذي قد لا يصلح للغة أخرى⁽²⁾. وهي كتابة حاولوا تعميمها على دول العالم، « ولقد بدأت فكرة الكتابة الصوتية على يد الهيئات التبشيرية في محاولة دراسة اللغات للتعرف على الشعوب التي تتكلمها، ودعوتها إلى الديانة المسيحية، ومن هنا بدأ علماء اللغة من بين المبشرين يتكلمون عن أبجدية نموذجية، (Standard Alphabet)، وقد وضع المصنولوجي الألماني لبيوس (Ch R. Lepsius) مؤلفا خاصا يحاول به إيجاد أبجدية صوتية عامة لتعين المبشرين في دراستهم للغات (الكفار) (heaten nations) ... حتى إذا ارتضت الجمعية اللغوية العالمية (international phonetic association) نظاما خاصا، للكتابة الصوتية حاز هذا النظام قبولا عاما، وطغى على ما قبله من النظم الكتابية⁽³⁾. وهو ما عرف طريقه إلى البلدان العربية، « وقد سبق لمجمع اللغة بدمشق أن وضعها ولكن دون جدوى، ودفع لهذا الحذر أحداث خطيرة وقعت في العقد الثاني من القرن العشرين، أولها انعقاد مؤتمر كوبنهاجن 1925م، وقراره بوضع نظام دولي لرسم الأصوات ونقلها، ولقد نشر ذلك النظام 1926م، فأوصى بصفة غير مباشرة بتطبيق المقترحات الداعية إلى اعتماد الحروف اللاتينية ابتداء من 24 يوليو 1929م حروفا دولية بتأييد خاص من المعهد الدولي للتعاون الفكري المنبثق عن جمعية الأمم. أما الحدث الثاني فهو يتعلق بقرار بعض البلدان الإسلامية المتحدة، لاسيما الموجودة بالمعسكر

¹ - حسني، عبد الجليل يوسف. اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها. ص 363.

² - باي، ماريو. أسس علم اللغة. ص 52.

³ - تمام، حسان. اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية. ص 129.

الشرقي وبآسيا ثم تركيا باعتماد الحروف اللاتينية في الكتابة، ولقد زيد في الطين بلة لما حشرت مصر عن خطأ في زمرة تلك الدول 1932م...»⁽¹⁾ الظاهر أنّ هذا العمل جاء في إطار علمي وفق دراسات لسانية تدعو إلى توحيد الحروف المستعملة عالمياً، وهو ما يمكن إدراجه ضمن عولمة مبكرة. كما يُحتمل أن تكون الكتابة الصوتية مدخلا آخر يدعو إلى نشر الحرف اللاتيني ومحاربة الحرف العربي. لم يستسلم الغرب وتواصلت محاولاته لوأد الحرف العربي، « وأبرز حدث واضح وصريح في الدّعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية في الوقت الحاضر... قيام الإدارة الأمريكية عام 2004م بإعداد مشروع ضمن دعوتها إلى تحديث الثقافة العربية، يدعو إلى تغيير حروف اللغة العربية واستبدال حروف اللغة اللاتينية بها، من أجل التّقريب بين الشعوب العربية والغربية، وتحقيق تفاهم أفضل بينها بإيجاد لغة مشتركة تسهم في نجاح حوار الحضارات والثقافات، الذي لن يكون إلّا من خلال الاتّفاق على تغيير أشكال اللغة العربية، والتأثير على المحتوى الثقافي الذي يمكن أن تعتقد فيه الأجيال القادمة...ويحتوي المشروع على جداول مرفقة تبين حروف اللغة العربيّة مقارنة بالأوضاع الجديدة المقترحة»⁽²⁾. يؤكد هذا الكلام إصرار الغرب عامة على التخلّص من الخطّ العربي، ولم يسعوا إلى ذلك إلّا لأنهم أحسوا بتفوقه وخطره، فلا يُقدّم الغرب على شيء خدمة للعرب والمسلمين إلّا إذا كانت فيه فائدة لهم، وهذا أمر معلوم. ولإبعاد التّهم عن هؤلاء حاول بعضهم التأسيس لهذه الدّعوى بما أدخله القدماء من تغيير على الكتابة العربية لتساير حاجات أهلها، وهو ما يسوّغ للعرب أن يقوموا بتغيير هذا الخطّ في الوقت الحالي. وعليه سيحاول البحث الوقوف على هذه العملية ولو باختصار وذلك لمعرفة الظروف التي تمت فيها وهل يمكن إسقاط الدّعوة الحديثة عليها؟

¹ - غازي زاهد، زهير. "جهود العلماء في إصلاح الكتابة العربية"، في مجلة الذخائر، مركز تحقيقات العلوم الإسلامي، شتاء 1422هـ - 2002م. ع9. ص40.

² - البويبي، خالد محمد حسين. اللغة العربية في الفكر العربي من عصر النهضة إلى عصر العولمة، أطروحة دكتوراه، 1429-1430هـ جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية، ص 406. عن التعريب والتغريب محمود المناوي.

3- إصلاح الكتابة العربية قديما وحديثا:

3-1- قديما: لم تكن الحروف العربية تنقط ولا تشكل بالحركات المعروفة الآن، وقد أعجمت الحروف على مراحل، وكان أول عمل لأبي الأسود الدؤلي.

3-1-1- إضافة الحروف الروادف: هناك من يرى أنّ أول إصلاح للحروف العربية، هو إضافة بعض الحروف الناقصة، لوجود أصوات في اللغة العربية لا رموز لها، وهي (تخذ)(ضظغ).⁽¹⁾ وهي الحروف التي ميزت العربية عن شقيقاتها العروبية فيما بعد. وإن كانت هذه المعطيات التاريخية مفتقرة إلى الدقة وقد تتناقض أحيانا مع بعض المعطيات الأخرى، إلا أنّها تبقى فرضيات، قد يكشف العلم لاحقا عن حقائق تخالفها.

3-1-2- رسم العربية: كان ذلك، عن طريق نقط أواخر الكلمات في القرآن العظيم، قام بهذا العمل أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) بأمر من زياد بن أبيه والي العراق أو ابنه عبيد الله، و« قد اتّخذ لذلك كاتبنا فطنا حاذقا من بني عبد القيس ، وقال له إذا رأيتني قد فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت شفتي، فاجعل النقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإذا أتبعته شيئا من ذلك غنة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين...».⁽²⁾ وكان الكاتب يستعمل حبرا مخالفا للون الذي كتب به المصحف.

3-1-3- نقط الإعجام: عرفت اللغة العربية في شكلها الأول حروفا متشابهة في الرسم مثل: الشكل "ب" الذي يُحتمل أن يقرأ ب، أو ت، أو ث، وهناك عدّة روايات؛ منها التي ترى أنّ أول (من فكّر في حلّ الإشكال هو الحجاج بن يوسف النّفقي، وطلب ذلك من نصر بن عاصم الليثي (ت 89هـ)، وهو أحد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي، فوضع نقطاً جديدا على حروف المصحف، للتمييز بين الحروف المتشابهة، كما يعود الفضل إلى نصر بن عاصم الليثي في إعادة ترتيب الأبجدية، على أساس شكلي يقضي بتتابع الحروف المتشابهة بالشكل المعروف حاليا: أ، ب، ت، ث).⁽³⁾ كانت هذه الأعمال شكلا من أشكال التعديل في الحرف العربي، وهناك من استند إليها، لينادي بضرورة إجراء إصلاحات أخرى

¹ - بلعيد، صالح. المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية. الجزائر، المطبوعات الجامعية، 1995م. ط. ص 64.

² - ضيف، شوقي. المدارس النحوية. القاهرة، دار المعارف، دت. ط7. ص 16.

³ - ينظر: ياقوت، محمود سليمان. منهج البحث اللغوي. القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2000. ط 1. ص 77، 78.

تتلاءم والعولمة، ولا بأس من الإشارة إلى بعض هذه الأعمال، لا لتأسيس دعوة أخرى إلى الإصلاح بل لمعرفة الخلفيات التي انطلق منها دعائه.

يرى الأستاذ (أنيس فريحة) أنَّ الكتابة العربية عرفت خمسة إصلاحات، يتمثل الأول منها: في إضافة الحروف الروادف: (الثاء، والذال، والضاد، والظاء، والغين). أمّا الإصلاح الثاني: فتَمَّ على مرحلتين متفاوتتين، كانت الأولى، حين أدخل (أبو الأسود الدؤلي) الحركات، وهي نقاط توضع فوق الحرف أو تحته حسب حالة الكلمة، إن كانت رفعا أو نصبا أو غير ذلك، وانصبَّ عمله على ضبط القرآن الكريم، ثمَّ قام (الخليل بن أحمد الفراهيدي) بوضع الحركات أو أبعاد الحروف حيث اقتطع من حرف الألف بعضه وجعله رمزا للفتحة، واقتطع بعض الياء وجعله رمزا للكسرة وصغَّر الواو وجعله رمزا للضمّة. وغُني الإصلاح الثالث بإعجام الحروف المتشابهة في صورها كالباء والتّاء والعين والغين والزّوايات تقول إنّ الذي أعجم الحروف العربية هو نصر بن عاصم بإيعاز من (الحجاج). وتمثّل الإصلاح الرابع في وضع علامات ورموز لضوابط القراءة، وهي الشدة والمدة والسكون، وعلامة الوصل... قال الخليل يجب وضع رموز لها لتكون في عون القارئ، ما دام غرضنا التيسير وضبط القراءة، فوضع فوق الحرف المشدّد رأس شين، وهو اختصار للفظة شُدّ... ووضع فوق الألف مُدّ، وإنك لتري (الشدة والهمزة) في بعض المخطوطات العربية القديمة بشكلها القديم، واقترح الخليل رأس الخاء علامة للسكون، وهو اختصار للفظة (خَفّ)، إذ لم يكن قبل ذلك علامة للسكون، حيث اعتبر الدؤلي إهماله علامة له، أما علامة الوصل، فهي رأس الصاد المقطعة من صيغة الأمر (صل). وكان العرب يقابلون الهمزة وهي كثيرة الورود في كلامهم، بدائرتين صغيرتين تكتب الواحدة فوق الأخرى، وفي هذه المرحلة جعلوا لصوت الهمزة صورة تقابله، وهو الإصلاح الخامس.⁽¹⁾ اعتبر الأستاذ أنيس فريحة هذه التّغييرات التي أدخلها القدامى موجبا لحدوث تغييرات أخرى، بما أنّهم رأوا نقصا فاستدركوه، ولم يشكّل الأمر أيّ إشكال لديهم وهو ما يراه الآن دعاة الإصلاح، إنّ الصعوبات التي ينسبونها إلى الخط العربي مدعاة، لإحداث تغيير آخر يجعله أكثر طواعية لحاجات العصر. وقد سمّاهم أصحاب التّيسير لربط ما حدث في الماضي بما يسعون إلى حدوثه الآن، « وهكذا بفضل أصحاب التّيسير من القدامى وصلنا خطّ تام في إعجامة وحركاته وضوابط القراءة فيه ولكن هذه الإصلاحات لا تتفي وجود الصّعوبة في القراءة سواء أكان النصّ

¹ - ينظر : فريحة، أنيس. نظريات في اللّغة. ص 92 - 95.

محركًا أم ساكنًا، هذا عدا عن أن طباعته تواجه الصعوبات أيضًا، فإن تكاليفها مرتفعة سيما إذا كان النص محركًا، مما يجعل الكتاب العربي غالي الثمن»⁽¹⁾. يثمن الأستاذ أنيس فريحة ما قام به القدامى، ويجعله حجة لإجراء إصلاحات أخرى.

يبدو أن الأستاذ (أنيس فريحة) متأثر بالمناهج الغربية، وبآراء المستشرقين، حيث جعل الكتابة عرضًا ولا أهمية لها، « عندما يدرك كل إنسان، وليس علماء اللغة فقط أن الكتابة عرض واللفظ جوهر وهذه القضية بالنسبة إلينا نحن العرب أمر يجب أن ندركه على وجهه الصحيح، لأن حرفنا من أعقد مشاكل اللغة...»⁽²⁾. هناك مبالغة في هذا الكلام، فلا يمكن أن يكون الخط أبدًا مشكلة في اللغة والدليل على ذلك وجود خطوط يراها البعض معقدة، كالخط الصيني أو الياباني، ومع ذلك لم يسمع أحد عن شكوى ضد هذا الخط، فلماذا يُطرح هذا المشكل مع الخط العربي؟ ثم يتخذ الباحث موقفًا من اللغويين القدامى، الذين يتهمهم بكونهم ينطلقون من الكتابة في استخلاصهم للقواعد، « يأخذ علماء اللغة المعاصرون على الصرفيين الكلاسيكيين مبدأ اعتبارهم الكتابة مقياسًا للغة، فجاءت أكثر قواعد الصرف والنحو في كثير من اللغات قواعد كتابة لا قواعد نطق وفهم وإفهام، وقد فات الصرفيين القدماء أن المكتوب محنط ثابت، وأن اللغة جسم حي نام متطور. وكل قانون مبني على المحنط الثابت يؤدي إلى نتيجة محتمة...»⁽³⁾. لابد من الإشارة إلى أن المنطوق، هو الذي رجع إليه اللغويون القدامى عند بداية جمع اللغة، أما إذا كان يقصد ما جاء بعد ذلك، فالرد يكون بأن المنطوق والمكتوب وجهان لعملة واحدة ولا يكتب للغة الخلود والازدهار إلا إذا كُتبت. فالكتابة هي الحاملة لهذا المنطوق، وقد تضمن كلامه دليلًا مناقضًا، فالكتابة كما قال ثابتة عكس المنطوق، الذي يتأثر بما حوله سلبيًا وإيجابيًا. كما أن الثقة تكون في الثابت لا في المتحول.

أيّد الأستاذ (محمود تيمور) الأستاذ (أنيس فريحة)، في الانتقاص من أهمية الكتابة العربية قائلاً: « فأول ما يجب أن نؤمن به، هو أن كتابتنا العربية غير المضبوطة كتابة ناقصة، وأننا نعبر بها عن غرور نفسي وأن هذا الغرور يخفي بين ثناياه عجز الغالب منا عن القراءة الصحيحة، وفقًا

1 - فريحة، أنيس. نظريات في اللغة. ص 97.

2 - المرجع نفسه. ص 55.

3 - المرجع نفسه. ص 55.

لقواعد اللغة وأوضاعها، فنحن بهذه الكتابة الناقصة نرضي غرورنا، وإن كنا في حقيقة أمرنا، نخشى فيما نقرأ غير مبالين». (1) وهذا يؤكد وجود تيار قوي يناادي بقوة إلى إجراء إصلاح في الكتابة العربية ولاشك أن الهدف لا يكمن في مجرد تغيير رموز وكفى؛ بل يرتبط الأمر بأهداف كثيرة، وقد سبق أن حدث هذا في تركيا وغيرها، «ولابد لنا أن ننبه ههنا إلى أمر ذي أهمية بالغة، وهو أن تغيير الكتابة التركية لم يكن إلا صفحة، من كتاب ضخم كان في رأس الزعيم التركي، فقد كان الهدف هو تغيير الثقافة التركية». (2) فالمقصود من التغيير، لم يكن اللغة في حد ذاتها؛ بل طريقة تفكير الناس ولباسهم وعاداتهم، وكل ما ينجر عن ذلك، من ذوبان في الآخر، وواقع تركيا بعد التغيير يؤكد هذا الكلام، فقد تحول إلى مجتمع علماني غربي، وذلك تأثرا بتغيير الحرف، وهذا يدحض الفكرة القائلة إن الخط ثانوي بل هو أمر جوهري، يدخل في هوية صاحب الخط، إنك تجد في معظم الأحيان -وليس دائما- أن المتفرنسين أو الذين يستعملون الخط الفرنسي أو اللغة الفرنسية أكثر تأثرا بالفكر الغربي من المعربين. ومن آثار هذه الدعوات ما تعيشه المجتمعات العربية من تشويش على اللغة العربية الفصحى، ولاسيما بين الشباب. «وهناك أسلوب مبتدع لكتابة العربية بحروف لاتينية أو ما يسمى فرانكو (Franco-Arabic) وهي لغة غير رسمية لشباب المنطقة العربية، وتعتبر اليوم اللغة الأكثر انتشارا، والأوسع استعمالا بين شريحة الشباب بحكم أنها أسرع في التعبير بالنسبة لهم، وهذه اللغة الهجينة شوّهت لغتنا الجميلة...». (3) لم يقتصر هذا الأسلوب على الشباب كما ورد؛ بل عرف طريقه إلى فئات المجتمع الأخرى، ولاسيما الفئة المثقفة والنخبة من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وكثيرا ما يفرض هذا الأمر فرضا، بدخوله في اللاوعي الجمعي،* فأنت حين ترسل رسالة بالعربية تحتاج إلى وقت أكبر مقارنة بكتابتها بالفرنسية، وهناك هواتف لا تقبل العربية مطلقا، فإذا راسلت أحدهم بها سيجيبك، أن رسالتك كانت رموزا غير مفهومة. وكذلك بالنسبة إلى مستعملي شبكات التواصل الاجتماعي، فإنهم يجدون أنفسهم يكتبون بتلك الطريقة دون وعي منهم.

1 - تيمور، محمود. ضبط الكتابة العربية، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1951م. ص 9.

2 - طالب عبد الرحمن، عبد الجبار. نحو تقويم جديد للكتابة العربية. ص134.

3 - أبو الحسن حسن، بهاء الدين. "التعريب والهوية في عصر العولمة". في التعريب، ع 50. ص 60.

* يُقصد باللاوعي الجمعي؛ اجتماع الناس على سلوك معين سواء اقتنعوا به أم لا، ويكون نتيجة تأثيرات نفسية تتكون بالعادة، وكما يقال: "العادة تقتل الشعور".

3-2- الدعوة إلى إصلاح الكتابة العربية حديثا:

3-2-1- بدايات الدعوة حديثا: تتوارى خلف هذه العبارة (إصلاح الكتابة العربية) دعاوى خطيرة لا تكتفي بإحداث تغييرات في الخطّ العربي؛ وإنما تتجاوزها إلى إلغاء هذا الحرف، وفعلًا ظهرت في هذا السياق اقتراحات كثيرة من العرب ومن غير العرب، منها ما يدعو إلى طرح الخطّ العربي جملة وتفصيلا ليكتب بالخطّ اللاتيني، كما حدث مع بعض لغات البلدان الخاضعة للاحتلال. ومنهم من أبقى بعضه وألقى بعضه الآخر، ومنهم من رأى تعديل بعض حروفه، وهذا ما سيقف عنده البحث في هذه المحطة ولا يخفى ما للغربيين من تأثير في ميلاد هذا التيار، و(من المؤيدين لهذه الدعوة محمد تيمور وأخوه محمود تيمور وحسين هيكل، وتوفيق الحكيم، وعبد العزيز عبد الحق، وعبد العزيز فهمي أحد شيوخ مجمع اللغة العربية الذي اقترح مشروعًا لكتابة العربية بالحرف اللاتيني، ومن الواضح أنه تأثر بأقوال ولكوكس.⁽¹⁾ وقد كان للمجمع القاهري دور كبير في هذه الدعوة، وخصّص مكافآت لمن ينجح في إصلاح الكتابة العربيّة. بدأ التفكير الجدّي في تغيير الحرف العربي على مستوى مجمع اللغة العربية سنة 1933، إلا أن التخطيط للأمر بدأ سنوات قبل ذلك، ولا يمكن تجاهل أثر المستشرقين في ذلك وقد تبيّن من تتبّع العلاقات بين الغرب والشرق اهتمام المستشرقين بهذه اللغة العزيرة من خلال كثرة تأليفهم، ولاسيما أنهم كانوا أعضاء بارزين في الجامعات العربية، ولهذا لا يُستغرب وجود أفكار مثل هذه في مثل هذه الهيئات وللقارئ أن يتساءل، هل نجحت هذه المشاريع ونحن في سنة 2020م؟ يقول الباحث روبرتو هام (Roberto Hamm) « أقيمت منذ نصف قرن عدّة محاولات لعصرنة الخطّ العربي، وذلك برعاية مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي تجمّع لديه عدد كبير من الأعمال، وقد أعلنوا عن مسابقة لتحديث الخطّ العربي ومراجعته ما بين 1933م-1968م حيث سجّلوا حوالي ستة وستين ومائتين (266) مشروعًا، معظمها من العالم العربي، وبعض المحاولات من غربيين وهي عبارة عن أشكال تقليدية، لم يكن همّ المجمع مقتصرًا على التحسين الشكلي للخط؛ بل كذلك حلّ العديد من المشاكل الإيديولوجية الصراع بين التقاليد والحداثة، والمسألة النحوية، والشكل والطباعة إلخ.»⁽²⁾ قد لا

¹ - ينظر: زكريا سعيد، نفوسة. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. ص 144.

²- Hamm, Roberto. pour une typographie arabe, contribution technique à la démocratisation de la culture arabe. Paris, Sindbad, 1975. p61.

يُستغرب أن يفكر أهل لغة ما في إعادة النظر في لغتهم وخطّها، فهذا شأن من شؤونهم، ولهم أن ينظروا ويتدارسوا أمرها، لكن الغرابة كل الغرابة أن تجد دراسات ومؤلفات غريبة قام بها غرباء عن اللغة العربية يخططون ويقترحون مشاريع لتغيير الخطّ العربي، و« من بين المقالات: افتراضات في مستقبل الخطّ بالحروف وانعكاساتها على استبقاء الخط العربي، ينوّه فيه بابتداء الخط العربي مرتبطا بنظرية منازل القمر الثامنة والعشرين ويشير فيه إلى ربط الهجائية العربية بعدد الحروف الموجودة في أوائل السور القرآنية 3،9 حروف، وفي المقال إشادة بأنّ ماسينون من أنصار الصّعوبة في تعلم اللغات ومنها العربية، ولكن أهم ما في المقال هو اقتراح بحذف التثقيط من الحروف، وسمى ذلك (تحررا)، كما تحررت الموسيقى من استعمال البيانو ويتبع الاقتراح السابق الاعتماد على صورة مقتبسة من الخطّ الكوفي للتسوية بين الحروف في الاستقلال الشكلي»⁽¹⁾. وللقارئ الكريم، أن يتساءل: هل تسمح فرنسا على سبيل المثال، أن تُدرس لغتها ويُقترح تعديل حروفها، بحجة ما يجده العرب أو غيرهم، من صعوبة في تعلّمها أو كتابتها؟

كما ورد ضمن قرارات المجمع، في النقطة السابعة تحت عنوان (اقتراح الحروف اللاتينية للكتابة العربية): « أثّرت في المجلس مناقشة حول موضوع تحسين الكتابة العربية، ووعد الأستاذ (علي الجارم) بك بتقديم مشروع له، فرأى معالي (عبد العزيز فهمي باشا أنّ تحسين الكتابة العربية لا يتأتى مطلقا إلاّ بتغيير الحروف التي تكتب بها، واتّخاذ الحروف اللاتينية، وبذلك نتمكن من الكتابة ومن النطق صحيحين، وطلب معاليه عرض رأيه على لجنة الأصول عند اجتماعها فوافق المجلس على إحالة الاقتراح إلى لجنة الأصول»⁽²⁾. هذا القول يزيد اليقين بقوة الخط العربي، وحفظ الله العليّ القدير له، ولولا ذلك لكانت اللغة العربية تُكتب الآن بالخطّ اللاتيني، سيعرض البحث بعض المشاريع المقترحة لتغيير الحرف العربيّ.

من بين المحدثين الذين اقترحوا مشروعا لتعديل الخطّ العربي، الأستاذ حسان تمام، الذي قال: « غير أنّني شخصا أميل إلى الأخذ باشتقاق رموز عربية من الأبجديتين الإغريقية واللاتينية، تُراعى

¹ - نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون مجمعيون. ص209.

² - قرارات المجمع. (مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة، 1951م، ج 6) الجلسة الثالثة والعشرون بتاريخ 03-05-1943م. ص 18.

فيها كل الاعتبارات المتقدمة، وسوف نجد فيها علاجا لكل ما أشرنا إليه من عيوب في كتابتنا الحاضرة وليس اقتراحي هذا مطابقا لاقتراح عبد العزيز فهمي، لأنه على ما أظن دعا إلى استخدام الرموز اللاتينية كما هي، وأنا أدعو إلى الأخذ منها بحسب حاجة اللغة العربية، ثم استكمال ما يبقى بعد ذلك من الرموز الإغريقية، ومرجع الاقتراح؛ هو وجود أصوات مشتركة بين العربية والإغريقية؛ خ ث...»⁽¹⁾. ولا يختلف هذا الاقتراح، في الحقيقة عن الأستاذ عبد العزيز فهمي، إلا أنه تراجع عن اقتراحه، لعدة أسباب رأى أنها تقف عقبة في وجه أي إصلاح أو تغيير للخط العربي، وهي: العقبة المالية، والقومية والنفسية، والاجتماعية والثقافية.⁽²⁾ رغم ما عُرف عن الأستاذ من تأثر بالفكر الغربي إلا أنه تراجع عن رأيه، فلا يمكن هدم حضارة امتدت لقرون في لحظات، وإعادة بنائها من جديد، وكأن شيئا لم يكن. حدث هذا كله «...في الوقت الذي تتعالى فيه أصوات مشبوهة من هنا وهناك داعية دعوات منهزمة إلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني، اقتداء ببعض الشعوب الإسلامية المؤلفة قلوبهم التي تراجعت، مع أن هذا التراجع عن الخط العربي لاتخاذ الحرف اللاتيني لم يغير من حالها شيئا أكثر مما لو أبتقت على خط دينها وتراثها الإسلامي...»⁽³⁾. صحيح أن هناك أصواتا مشبوهة، لكنها لا تفعل ذلك تقليدا لبلدان فعلت ذلك، بقدر ما هو استجابة لدعوات غريبة، استجابت لها هذه البلدان، فمنبع هذه الأفكار هو الغرب بصوره وأشكاله المختلفة.

3-2-2- نماذج للمشاريع المقترحة لتعديل الخط العربي: لخص الباحث محمود تيمور أهم الاقتراحات الواردة إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية، لتحسين الكتابة العربية، وذلك في ست مجموعات، منها: اتخاذ الحروف اللاتينية للأستاذ (عبد العزيز فهمي باشا)، وهناك من نادى إلى اختراع حروف جديدة وفعلا، قدّم أصحابها أشكالا وأنواعا كثيرة، أما الاتجاه الثالث فرأى الإبقاء على الحروف العربية واختراع علامات للضبط تلحق بها، ورابع اقترح إبقاء الحروف العربية وعلامات ضبطها، والجديد في هذا العمل هو جعل الحرف وعلامة ضبطه في بنية واحدة، والخامس يضع العلامات بجانب الحروف على شاكلة اللغات اللاتينية، وآخرها الاكتفاء بالحروف منفصلة.

¹ - تمام، حسان. اللغة العربية بين المعيارية والوصفية. ص 145.

² - المرجع نفسه. ص 141.

³ - مرتاض، عبد الجليل. اللغة العربية بين الطبع والتطبيع. 162.

- اقتراح عبد (العزیز فهمي)، يتمثل في كتابة العربية بالحرف اللاتيني.
- اقتراح (أحمد لطفي السيد)، 1899م، ويرى الدلالة بالحروف على الحركات.
- اقتراح (علي الجارم)، 1944م، شكلات جديدة للدلالة على الحركات. (1)

أما اقتراح الأستاذ (محمود تيمور)، فتمثل في الإبقاء على الحروف العربية، مع الاختصار على شكلها في بداية الكلمة، وإقصاء الأشكال المتبقية، وضبطها بعلاماتها، وبهذا تتجاوز اللغة العربية صعوبات كتابتها وقراءتها؛ بل وتعلمها. (2) طبعا بقيت هذه المشاريع حبرا على ورق لأنها لم تقم على أسس سليمة واقعية؛ بل قامت على ادعاءات حركها المستشرقون والغربيون عموما. وممن ذكرهم الأستاذ (إميل منذر)، « الياس عكاوي الذي صبَّ اهتمامه على تجميل الخطِّ مقترحا ثلاثة خطوط. ثمَّ قدّم آخر في كتاب سماه (الخطُّ الرابع)، وفيه لكلِّ حرف رسم واحد منفصل عن غيره، كما أبقى على حركات الشكل، وحذا المهندس نصري خطّار الذي كان مقيما في المهجر الأمريكي حذو عكاوي بابتكاره حروفا لاقت بعض الاستحسان...». (3) ولم يُفتح المجال للعرب فحسب؛ بل كان للغربيين والمستشرقين دلوهم في ذلك. ممّن ذكروا: (جان ستاركي وأندره بريستو ولويس ماشويل). (4) ولاشكَّ أنّ لهذا الأمر دلالاته التي لا يمكن تجاهلها، إذ لم يسمع عن لغة تدخل في اقتراح حروف أو أنظمة أخرى لكتابتها أحد من غير أهلها؟ ذكر الباحث روبرتو هام بعض المشاريع وناقشها، منها مشروع محمود تيمور من مصر سنة 1951م، ومحاولة خالد بن محمد الفرّج من سوريا سنة 1952م، وهو قريب الشبه بسابقه ومشروع أحمد لخضر من المغرب سنة 1958م، ثمّن الباحث هذا الجهد معتبرا إياه من أحسن ما قدّم، إلّا أنّه لم يخل من عيوب ونقائص، ونجد محاولة سعد الله وايدة من لبنان 1959م، وقد استمدَّ طريقته من الحرف الكوفي، إلّا أنّه اعتمد حروفا منفصلة، وقدّم نصري خطّار من لبنان (مقيم بالولايات المتحدة الأمريكية) سنة 1947م، مشروعا متميّزا بذل فيه جهدا كبيرا، وقد أضاف إليه تعديلات أخرى سنة 1956م وعلّق على مشروعه، قائلا: إنّهُ يناسب الآلة، إلّا أنّ الكتابة اليدوية ستكون متعذرة. وختم هذه المحاولات بمشروع يحي بوطمين من الجزائر سنة 1955م، وهو متأثر بالحرف اللاتيني، ويعتبر تراجعا في الكتابة

1 - ينظر: تيمور، محمود. ضبط الكتابة العربية. ص 17- ص 23.

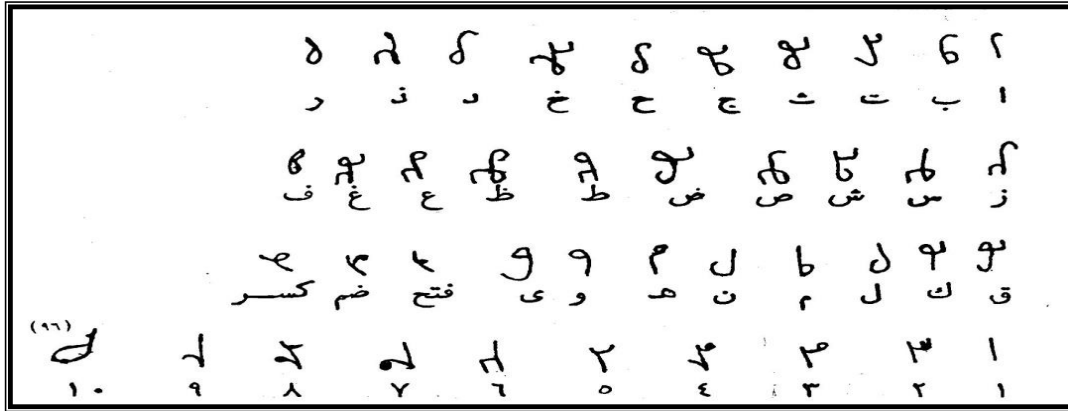
2 - ينظر: المرجع نفسه. ص 34، 35.

3 - منذر، إميل. اللغة العربية الفصحى: مشكلاتها ومشاريع تيسيرها. لبنان، دار النهضة العربية، 1437هـ-2016م. ط1. ص 350.

4 - ينظر: المرجع نفسه. ص 352.

العربية، وليس تقدما. ⁽¹⁾ جاءت الاقتراحات من المشرق ومن المغرب، وهذا تأثرا بالدول المحتلة، ولاسيما فرنسا وانجلترا، حيث قدّم الباحث مايني (Roland Meynet) في طبعة حديثة بعض المشاريع لمؤلفين من مصر بنسبة (57%)، ومن لبنان بنسبة (9.9%)، ومن سوريا بنسبة (7.8%)، من فلسطين (5.9%)، والعراق (4%)، ومن باقي البلدان العربية (9.5%)، وأخيرا من أوروبا بنسبة (5.9%)، أما مقترحاتها، فتوزعت بين إدراج علامات الشكل في الحرف بنسبة (58%)، تخفيض هذه العلامات في الحروف بنسبة (41%)، تقليل النقاط أو إلغاؤها (30%)، واعتماد حروف منفصلة، في الكتابة بنسبة (29%) تتميط حجم الحروف وزيادة ارتفاعها (26%)، وتحسين قواعد الإملاء (20%)...⁽²⁾ كانت الاقتراحات متنوعة، ويبدو أنّ أكبر نسبة منها كانت من مصر، وهذا يدلّ على التأثير الكبير في هذه المنطقة، مع ما تملكه من سلطة وقوة. ومنها محاولة علي الجارم، وعبد العزيز فهمي، والزهاوي.⁽³⁾ وهذا الشكل يمثل مقترح السيد الزهاوي، وهنا تعجز اللغة كتابة ونطقا عن التعليق عن هذا الاقتراح.

صورة " الخط الجديد" للزهاوي سنة 1989



شملت هذه الدعاوى البلدان الإسلامية قاطبة، « فقد قامت في لبنان في أوائل السبعينات حركة تهدف إلى وأد اللغة العربية الفصحى، وإحلال اللغة العامية مكانها، كما تهدف إلى إلغاء الحرف العربي كتابة وطباعة، والاستعاضة عنه بالحرف اللاتيني، وما لبثت هذه الحركة أن خفّت حدّتها وطغت عليها الأحداث التي حلّت بوطننا العزيز فحمد أوارها، وسكت نعييها، وانطوت صفحاتها، وليست هذه المرّة

¹ - voir: Hamm, Roberto. pour une typographie arabe, contribution technique à la démocratisation de la culture arabe.p 63à 68.

² - ibid. p62.

³ - الصاوي، محمد سعيد إسماعيل. ملخّص الكتابة العربية بالحروف اللاتينية: الأبعاد التربوية والسياسية. عضو الرابطة الأمريكية لأساتذة العربية. <https://ketabonline.com/ar/books/24719>. بتاريخ: 17-12-2019م.

الأولى التي يُثار فيها أمر الحرف اللاتيني، فقد سبق أن أثير في مصر سنة 1944 ونوقش في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، وانتهى الأمر بفشله وعدم الأخذ به، وظل حرفنا العربي الجميل على قيد الحياة تخطّه الأيدي، وتضربه الآلات الكاتبة، وتنتشر المطابع كتباً ومجلات وجرائد⁽¹⁾. رغم الجهود التي بذلت عالمياً وعربياً من أجل القضاء على الخطّ العربي، إلّا أنّها لم تنجح في ذلك، وكانت هناك ردود أفعال عربية كثيرة، حيث «... أصدر مؤتمر العالم الإسلامي قراراً تاريخياً عام 1949م بوجوب اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين في جميع أنحاء العالم، والعمل على نشرها وكتابة لغات العالم الإسلامي بخط النسخ العربي»⁽²⁾. وهذا يؤكد مرة أخرى أنّ اللغة العربية صوتاً وخطاً تستمدّ قوتها من الإسلام والحضارة الإسلامية ككلّ.

أحصى الباحث منذر إميل عدد المشاريع التي تقدّم بها أصحابها، « وهكذا بلغ مجموع ما رفع إلى المجمع اللغوي، بين عامي 1933 و1969 ما يقرب من مئتين وثلاثين اقتراحاً درستها لجنة من خبراء عرب ومستشرقين... ولكن المجمع رفض المشروعات، كما رفض من قبل مشاريع للمستشرق الفرنسي (Louis Machuel) مدير التعليم العامّ في تونس آنذاك، ولتوفيق العظم، ولأب أنستاس الكرمللي وهو قريب من الكتابة السريانية»⁽³⁾. لاشكّ أنّ هذه المعطيات تزيد العربية قوة ورسوخاً وتعكس عظمتها وصمودها. أما ما خرجت به اللجنة المشكلة لإصلاح الخط العربي بعد استبعاد كل المحاولات المقدمة وذلك بمشاركة الجامعة العربية، فقد لخصها الأستاذ صالح بلعيد في سبع نقاط، وهي:⁽⁴⁾

- ترك البحث في الكتابة اليدوية لإيجازها واختزالها وإمكانية تشكيلها عند الضرورة.
- الاقتصاد على تيسير حروف الطباعة والآلة الكاتبة.
- الالتزام بالشكل في الطباعة ولاسيما في كتب مراحل التعليم العام.
- يوضع الشكل في الحروف عند الالتباس.
- مراعاة الشكل الفني في الخط بعدم إطالته أفقياً وإمكانية ذلك عمودياً
- إضافة علامات إلى بعض الحروف لتدل على الأصوات التي لا مقابل لها في العربية.

¹- حسني، عبد الجليل يوسف. اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها. ص 264، 265.

²- الجندي، أنور. مقدّمات العلوم والمناهج، التّشهير والاستشراق والدّعوات الهدامة... ص 184.

³- منذر، إميل. اللغة العربية الفصحى: مشكلاتها ومشاريع تيسيرها. ص 352.

⁴- بلعيد، صالح. المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية. ص 89.

- التزام الشكل في كتب المدرسة الابتدائية والتخفيف منه في الثانوي. وكان ذلك في مؤتمر المجامع اللغوية في دمشق سنة 1965م.

3-2-3- جهود رقمنة الكتابة العربية: ما ينبغي التفكير فيه حقا، لمن يحرص على اللغة العربية هو تطويرها بإدخالها في العالم الرقمي وعالم البرمجيات، ومن أهم الأعمال ما توصل إليه الأستاذ أحمد الأخضر غزال في إطار معهد الدراسات والأبحاث للتّعريب والتّباط، وهي العربيّة المعيارية المشكولة وهو إصلاح خطاطي غايته إتاحة استخدام المحارف العربية في جميع آلات ونظم معالجة النص المكتوب كتابة كاملة.⁽¹⁾ وقد شرّحه الأستاذ صالح بلعيد بالتفصيل. وكان التفكير في ابتكار طريقة اقتصادية وفعالة لحلّ مشكل الطباعة والكتابة على الآلة الراقنة في الستينات والسبعينات من هذا القرن و« انفرجت الأمور بدخول الإعلام الآلي في جميع الميادين الحياتية، وحلّت مشكلة الخطّ العربي الأساسية (الأشكال المختلفة لربط الحروف فيما بينها)، لأنّ عملية ربط الحروف فيما بينها جوهرية في اللغة العربية، ولا يمكن تغييرها لأنها أصل وليست قضية فنية زخرفية (الخطّ الكوفي والمغربي)». ⁽²⁾ وهي من الجهود المحمودة التي أسهمت في خدمة اللغة العربية. « وقد بدأ اللقاء بين اللغة العربية والكمبيوتر من النّاحية العملية في عام 1962 عن طريق معهد التّخطيط القومي في مصر، وهو أول مؤسسة عربية تقتني جهاز الحاسب الآلي، واقتصر الأمر في البداية فيما يخصّ التّعريب على إحلال الحروف العربية محل الحروف الإنجليزية في الطباعة. وبعد مرور عقد من الزّمان، حدثت أول نقلة نوعية في معالجة اللغة العربية آليا، وذلك عندما تمكّن الدكتور سيّد حيدر، وهو من أصل باكستاني من تصميم نظام آلي لاختيار شكل الحرف العربي تلقائيا حسب الحرف السّابق واللاحق له، وبذلك اختُصرت لوحة المفاتيح لتشمل الحروف الأصلية فقط، بحيث تختار الآلة الشكل المناسب للحرف وفقا للسياق... مما مكّن من استفاة اللغة العربية عمليا من تطبيقات الكمبيوتر المختلفة». ⁽³⁾ وتتالت الجهود لتكييف التّقنيات المعاصرة خدمة للحرف العربي. إلّا أنّ هناك من رجال التقنية من دعا إلى الحرف المنفصل، ومنهم الباحث عبد المالك بوحجرة الذي قسّم العالم في ضوء استخدام أنماط الخطوط التي تتلاءم مع

¹ - ينظر: بلعيد، صالح. محاضرات في قضايا اللغة العربية. ص39. وفي المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية. ص 69 وما بعدها. أيضا في قضايا فقه اللغة العربية. ص 245 وما بعدها.

² - عياش شماني، فاطمة. المستشرقون واللغة العربية فانسان مونتاي نموذجاً ترجمة ودراسة. ص16.

³ - بيومي، سعيد أحمد. دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها. ص 109.

الآلات الحديثة، ولأسيما الكمبيوتر إلى قسمين: شعوب متقدمة؛ وهي التي تستخدم الحروف المنفصلة، وشعوب متخلفة؛ وهي التي تصرّ على استخدام الخطّ المتصل في كتابة حروفها.⁽¹⁾ لا يمكن ربط تقدّم الشعوب وتخلفها باتّصال خطّها أو انفصاله.

3-2-4- الدّعوة إلى توظيف حروف منفصلة في الكتابة: واجهت اللغة العربيّة في البداية صعوبات تمثّلت في اتّجاه الكتابة العربيّة، وكذا تشكيل الحروف، وهو ما يحتاج إلى مساحات تخزين كبيرة بالإضافة إلى تعدّد أشكال الحرف الواحد (أ، إ، و، ؤ، آ).

3-2-4-1- الألفبائية الموحّدة: ما يميّز به اقتراح الباحث الجزائري عبد المالك بوحجرة هو محافظته على الحرف العربي، وإدخال تعديلات بسيطة ليتلاءم مع الحاسوب وتقنيات الكتابة الحديثة، ويتمثّل "في تطوير خطّ معياري (موحد) من أجل طباعة اللغة العربيّة بخطّ منفصل (الخطاطة المطبعية)، وهو مستمدّ من تقاليد الكتابة العربيّة العريقة، لأنّه مبني بالدرجة الأولى على نموذج الخطّ الكوفي الذي استعمل في البداية، لتدوين القرآن الكريم قبل استبداله بالخطّ النسخي الذي هو أكثر ملاءمة للكتابة باليدّ (الخطاطة اليدوية)... يتمّ تصميم الأبجدية الموحّدة حسب أسلوب دقيق حيث تركز كل الحروف على قاعدة واحدة، وتأخذ ارتفاعات مختلفة تنسجم مع الكتابة المتّصلة، وتأخذ بعين الاعتبار نتائج الأبحاث الحديثة في تسهيل القراءة. إنّ الخطّ المركزي المنقطّ مهم جدا في تصميم أشكال الحروف لأنّه يساعد على تقليل حدّة التباين بين صور الكلمات الخط المنفصل والمتّصل...".⁽²⁾ وقد أرفق الباحث شكل هذه الحروف.

¹- ينظر: بوحجرة، عبد المالك. "الأبجدية الموحدة". في مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية. الجزائر، 1998م. ع9. ص 81.

² - بوحجرة، عبد المالك. "الخطّ المعياري: أداة لتسهيل كتابة اللغة العربيّة وتعلّمها". جامعة جيجل، 2018م. الأرشيف العربي العلمي.

الأبجدية الموحدة

الأبجدية الموحدة

الأبجدية الموحدة

الأبجدية الموحدة

الأبجدية الموحدة

الأبجدية الموحدة

رغم أنّ هذا الاقتراح يعود إلى بداية الألفية الثالثة إلاّ أنّه لم يُسمع عنه، وبقي حبرا على ورق وهو ما قد يدلّ على مقاومة اللغة العربية أصواتا وأشكالا لأيّ تغيير يمَسّ بصميم بنيتها، صحيح أنّ الاقتراح حافظ على خصائص الحروف العربية إلاّ أنّ كتابة الهمزة بشكل واحد سيؤثّر على قواعد مهمّة وأساسية في اللغة العربية، وهو ما سيشوّش عليها من دون شكّ. كما أنّ كتابة اللغة بخطّ منفصل أو متّصل كما سلف، ليست قضية جوهرية يترتّب عنها تقدّم الأمم أو تخلفها. والصحيح أنّ الحروف أشكال ترتبط صورة الشعوب بها، فالكتابة الصينية تحيلنا مباشرة إلى الصّين، والكتابة الفرنسية إلى فرنسا وكذلك الأمر بالنسبة إلى الخطّ العربي، الذي يحيلنا فور مشاهدته إلى القرآن الكريم والحضارة الإسلامية العريقة، وأيّ تغيير سيؤدي بالضرورة إلى تشويه هذه الصّورة. ولن يُطرح مشكل الابتعاد عن الخطّ الذي كُتب به القرآن الكريم، لأنّه مهما حدث سيظلّ هذا الكتاب العظيم محافظا على خصائصه الصّوتية والشكلية، ويعلم الجميع غربا وشرقا أنّ الخطّ العربي، ليس مجرّد خطّ للكتابة كغيره من الخطوط؛ بل هو حامل الحضارة الإسلامية، وأيّ تغيير له سيكون في الحقيقة هدمًا لهذه الحضارة.

- خصائص الألفبائية الموحدة: (1)

- 1- تستمدّ أشكالها من الخطّ الكوفي.
- 2- تصميم كل حرف تمّ في قالب مكوّن من 5x7.
- 3- تحتوي على 29 حرفا أبجديا، تبدأ بالهمزة، زيادة على الهاء النّهائية والتّاء المربوطة والألف

¹ - بوحجرة، عبد المالك. "الخطّ المعياري: أداة لتسهيل كتابة اللغة العربيّة وتعلّمها". ص13.

المقصورة (32 رمزا في المجموع).

4- الهمزة كحرف صامت كامل الحقوق.

5- همزة القطع تمثل برمز الهمزة فقط (ء) مهما كام موضعها في الكلمة.

6- حرف ألف وهمزة الوصل يمثلان دائما برمز واحد (ا).

7- همزة المدّ (آ) تمثل دائما بالمقطع (ءا).

إنّ الاجتهاد في إيجاد صيغة أكثر يسرا في الكتابة الرقمية للغة العربية ليس معيبا في حدّ ذاته شرط أن يحافظ على خصائصها الصّرفية والنّحوية. أمّا في مجال الشّبكة المعلوماتية فـ « كان من أبرز محاولات تمكين اللغة العربيّة ... ما ابتكره القائمون على الموقع الإلكتروني (yamli) الذين أنتجوا برنامجا أسموه باسم الموقع، يساهم في حلّ مشكلة المغتربين العرب الذين يستخدمون لوحات مفاتيح غير عربية بأجهزتهم الحاسوبية، حيث يقوم البرنامج مستعينا بإحدى التقنيات الحديثة، بتحويل الأحرف اللاتينية التي كتبت بها أيّ كلمة عربية إلى أحرف عربية مقابلة لها، بحيث يتكوّن أمام الكاتب من مجموع هذه الأحرف كلمة أو عدة كلمات تقريبية مكتوبة بالأحرف العربيّة... كما قامت بعض المنتديات العربيّة على الشّبكة المعلوماتية تعزيزا لوجود اللغة العربيّة بمنع التّسجيل فيها بالأسماء المكتوبة بالأحرف اللاتينية والأرقام والرموز». (1) ويبدو أنّ هناك تكاملا في الجهود على المستوى الدّولي، فـ « أهمّ خطوة في إثبات وجود (العربية) اليوم على صفحات الشّبكة المعلوماتية، تتمثّل في استغلال تلك الخطوة التي أقدمت عليها الهيئة الأمريكيّة، المشرفة على إدارة عناوين مواقع الشّبكة المعلوماتية (إيكان)، بعد سنوات طويلة من المطالبة والانتظار، إذ أعلنت في 2007/10/15م أنّها بدأت تجربة استخدام عناوين لمواقع على الشّبكة المعلوماتية، بإحدى عشر لغة غير لاتينية من بينها اللغة العربيّة». (2) وهناك مجموعة من المختصين يتابعون هذا المشروع، « ولأجل تحويل ذلك إلى واقع على الشّبكة المعلوماتية، يعقد فريق العمل العربي المعني بتعريب أسماء النّطاقات على الشّبكة المعلوماتية بإشراف جامعة الدول العربيّة اجتماعات متواصلة للنّظر في كيفية تغيير أسماء نطاقات المواقع الإلكترونيّة على الشّبكة إلى أسماء عربيّة، مثل: (com) إلى (شرك) و (net) إلى (شبكة)، و (org) إلى (نظم)، و (gov) إلى (حكم)، كما يسعى

¹ - اليوبي، محمد حسين خالد. اللغة العربية في الفكر العربي من عصر النهضة إلى عصر العولمة. ص 412.

² - المرجع نفسه. ص 413، 414.

الفريق إلى استحداث توصيف قياسي يساهم في وضع اختصارات لأسماء الدول العربية... مثل سع للسعودية وبح للبحرين وجز للجزائر...»⁽¹⁾ لم يتجسد هذا المشروع بعد في أرض الواقع، فالمعلومات ما زالت تكتب باللغات الأجنبية في حدود العلم.

3-3- مشروع الإيسيسكو لكتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي: (الحرف القرآني): هناك مؤسسات كثيرة تعمل على خدمة الحرف العربي، إمّا بتكييفه وإدخاله في عالم شبكات المعلوماتية، وإمّا بنشره ولاسيما في البلدان الإفريقية التي كان معظمها يكتب بالخط العربي، « إن الحديث عن اللغات الإفريقية أمر مرهق غاية الإرهاق للدارسين، إذ يبلغ عدد اللغات في أفريقيا نحو خمسمائة لغة يتكلم بها نحو مائتي مليون من المواطنين الأفارقة الذين يعيشون جنوبي الصحراء في المناطق الاستوائية»⁽²⁾ واللغات الإفريقية التي تمّ ترميط كتابتها بالحرف العربي، « وفقا لنظام صوتي يطابق خصائصها، والتي كانت تكتب أصلا بالحرف العربي قبل أن يطالها الغزو الأوروبي، هي: التماشق (tamashaq)، البولار (poular) الهوسا (houssa)، السوننكي (sonink)، الماندنكة (mandingue) السوسو (sossa)، الكانوري (kanouri) السواحلية (swahili)، الصومالية (somalien)»⁽³⁾ تهدف هذه المؤسسة إلى كتابة اللغات الإفريقية كلّها بالحرف العربي، ولاسيما التي كانت تُكتب قبل تعرّضها للاحتلال به، ذكر الباحث واحدا وعشرين (21) لغة، بالإضافة إلى أهداف أخرى.

3-3-1- أهداف المشروع: يسعى هذا المشروع إلى تحقيق أهداف أخرى، أهمّها: ⁽⁴⁾

- 1- صقل الحرف العربي وتطويره صوتيا وتقنيا، وتطويره لكتابة لغات الشعوب الإسلامية المتعدّدة بطريقة علمية متقنة.
- 2- المحافظة على التّراث الحضاري للشعوب الإسلامية، وتنمية لغاتها وثقافتها، حتى نتمكن من مسايرة حضارة الثورة العلمية والتكنولوجية، وتطوّر الاتصالات والمواصلات.
- 3- ربط لغات الشعوب الإسلامية بعضها ببعض من خلال اتّخاذها لحرف واحد، وهو الحرف العربي، وربطها من ثمّ بلغة القرآن الكريم...

¹ - اليوبي، محمد حسين خالد. اللغة العربية في الفكر العربي من عصر النهضة إلى عصر العولمة. ص 413، 414.

² - التويجري، عبد العزيز بن عثمان. مستقبل اللغة العربية. الرباط، مطبعة الإيسيسكو. 1425هـ. ط1. ص 42.

³ - المرجع نفسه. ص 43.

⁴ - المرجع نفسه. ص 44.

4- تقليص نفوذ اللغات الأجنبية الدخيلة على الشعوب الإسلامية الأفريقية، وتخليصها تدريجيا من الهيمنة السياسية والثقافية والفكرية والاقتصادية الأجنبية.

شمل عمل المنظمة مجالات كثيرة كما سبق، "وتعزز هذا العمل الثقافي الحضاري المهم، بما قامت به الإيسيسكو بالتعاون مع معهد الأبحاث والدراسات للتعريب بالرباط، من صنع آلة كاتبة جديدة تطبع بالحروف العربية الحروف الإسلامية التي تم تنميط كتابتها، وهو ابتكار مهم أضاف جديدا إلى الطباعة العربية إضافة إلى الاختراع الجديد الذي ابتكرته المنطقة الإسلامية، وهو إنتاج حروف مطبعية عربية للطباعة اليدوية لطبع الكتب والصحف والمجلات والوثائق بهذه اللغات الإسلامية الأفريقية".⁽¹⁾ تتعاون هذه الهيئة مع مؤسسات لغوية عربية، وهو ما مكنها من تحقيق بعض الأهداف.

3-4- الخط العربي في نظر بعض الباحثين العرب: إذا كانت الأسباب الداعية إلى تعديل الحرف العربي أو تغييره هي صعوبته، وللقارئ الكريم أن يتساءل هل هناك خطوط للغات أخرى يراها هو صعبة؟- ربّما سيتبادر إلى الأذهان الكتابة اليابانية أو الصينية، تحدّث الأستاذ مازن المبارك عن صعوبة الكتابة اليابانية، « حيث تقدم بعضهم بطلب لتيسير اللغة اليابانية، وأحيل إلى المجلس النيابي الذي جمع لجنة من مختصين وخبراء يابانيين وعلماء نفس، إلّا أنّهم أجمعوا في تقرير، وذلك بعد ثلاثة أشهر على أن كل ما قيل عن اللغة اليابانية صحيح، لكن هذه اللغة تمثّل أمّة اليابان، وأيّ تغيير فيها سيغيّر في قومية هذه الأمّة». ⁽²⁾ علما أنّ هذه اللغة تتكون من ثمانية ألف (8000) حرف.

تلقت اللغة العربية ضربات كثيرة من القريب قبل الغريب، بين مناد بؤاد حروفها وإحلال الحرف اللاتيني مكانها، وآخر يدعو إلى إحياء العامي منها ودفن الفصح، وغيرها من المقترحات، والهدف واحد، مهما اختلفت الخلفيات وتعددت الاتجاهات، وهي القضاء على اللغة العربية، لتولد من جديد كما أرادوا لها، ممسوخة الخلقة، فتمسح بذلك شخصية معظم أهلها أو تزداد مسخا، فلا يبقى لهم بعد ذلك إلّا التخبّط في لغة الآخر، والغرق في بحر التقليد الأعمى أكثر ممّا هم غارقون والدخول في صراع مع الذات والضّياع.

¹ - التويجري، عبد العزيز بن عثمان. مستقبل اللغة العربية. ص 46.

² - المبارك، مازن. الفرق بين اللغة واللهجة، عن موقع يوتيوب. www.youtube.com/watch?v=GVJ3CjWwmCo

تناول الأستاذ (صالح بلعيد) هذه القضية بنوع من التفصيل، حيث ذكر جملة من النقائص التي يعانيتها الخط العربي، افتتحها بكونه لابدّ يُفهم ليقراً، وكثرة النقط في حروفه، بالإضافة إلى خلوه من أصوات مهمّة، كما أشار إلى مشكل المدقق الإملائي والنحوي واللغوي الذي لا ينسجم كثيراً مع العربية إلّا في الإملاء.⁽¹⁾ وكذلك ناقش الباحث طالب عبد الرحمن عبد الجبار قضية صعوبة اللغة العربية متناولاً أبعاد هذا الموضوع بالتّحليل، والمقارنة مع اللّغات الأخرى، وممّا أشار إليه كتابة الحروف خالية من الحركات، بالإضافة إلى عجز القارئ عن قراءة النصّ العربي قراءة صحيحة، إلّا إذا كان متضلّعاً مما ينتج اللّحن، كما ذكر تعدّد صور الحرف الواحد، في بداية الكلمة وفي وسطها وآخرها، وأحياناً ملتصقة وأخرى منفصلة، وهو ما يصعب تعلّم اللغة العربية حسب رأيهم ومنها وجود حروف لا يفرّق بينها إلّا النّقاط مثل الجيم، والحاء، والخاء.⁽²⁾ سبقت الإشارة لدى الأستاذ صالح بلعيد إلى اختزالية الكتابة العربية، حيث تُكتب الكلمات غالباً دون حركات، وهو ما يصعب قراءتها بطريقة صحيحة، بالإضافة إلى تعدّد أشكال الحرف الواحد، فيُكتب بطرائق مختلفة حسب موقعه في الكلمة بدايةً ووسطاً وآخر، اشتمال الألفبائية العربيّة على حروف متّحدة في صورتها، مثل: (ب، ت ث). وهو ما يتسبّب حسب الأستاذ في صعوبات أثناء الكتابة، واحتمال نسيان نقطة، بالإضافة إلى تأثيره على الجانب الجمالي للخطّ. وقد اقترح حلّين يتمثّل الأول في إعادة النّظر في هذا الرّسم لمسايرة العصر. أمّا الثّاني فبتكليف التّقنية لتتماشى مع نمط الحرف العربي.⁽³⁾ وفي كتاب اللغة العلمية واقترح ضرورة الاتفاق على النموذج الفني الصالح للتدريس، ويعلم للصغار وفق مقاييس مضبوطة إلزام البرامج المدرسية بمادة الخطّ، تطبيق قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجال: تسهيل كتابة الحروف العربية، وقواعد الشكل في الكتب المدرسية، وضع نموذج اختصار صور الحروف لطباعة موضع التنفيذ.⁽⁴⁾ قد يكون الاقتراح الأوّل قابلاً للتنفيذ لو كانت اللّغة العربية في بداياتها الأولى، ولو لم يُكتب بها هذا الكمّ الهائل من التّراث العربي به، والأهمّ من ذلك لو لم يُكتب بها القرآن الكريم. وعليه سيكون الاقتراح الثّاني أكثر واقعيّة، فالتّقنيات الحديثة يمكنها استيعاب أيّ خطّ، يكفي أن تتوفّر الإرادة.

¹ - ينظر: بلعيد، صالح. اللغة العربية العلمية. ص 69-72.

² - ينظر: طالب عبد الرحمن، عبد الجبار. نحو تقويم جديد للكتابة العربية. ص 62 إلى 65.

³ - ينظر: بلعيد، صالح. محاضرات في قضايا اللغة العربيّة. ص 31، 32.

⁴ - ينظر: بلعيد، صالح. اللغة العربية العلمية. ص 76.

يُلاحظ أنّ العيوب المسندة إلى الحرف العربي، تدخل في خصائصه ومميزاته، وليست بالضرورة عيوباً، ويبدو أن عيوب العربية جاء معظمها من مقارنتها بلغات أخرى فكل ما وجده المستشرقون في اللغة العربية مخالفاً للغاتهم عُده عيباً وراح أتباعهم يؤسسون لهذه الأفكار ويروجون لهذه العيوب -في نظرهم- إلى أن صيروا الحرف العربي في نظر البعض أسوأ خط ومع ذلك ما زاده ذلك إلا تطوراً وتألقاً وضمه للتراث غير المادي العالمي لخير دليل على ذلك.

مثّل الأستاذ (طالب عبد الرحمن عبد الجبار) بصوت الصاد، الذي يبقى حرفاً واحداً، مهما اختلف نطقه، أما اللغات الأخرى مثل الفرنسية والانجليزية، فينطق الحرف الواحد بأكثر من طريقة وهو اختلاف يؤثر في المعنى، حيث يعجز القارئ عن نطق الكلمة صحيحة إذا لم يكن على علم مسبق بها، مثل كلمة (Monsieur)، لو طلبنا من شخص لا يعرف الفرنسية نطقها ما تمكّن من ذلك أكيد سيقروها، كما كتبت أي (مونسيور) كما نجد حروفاً قد تنطق بعدة أشكال، وقد لا تنطق، مثل حرف (C) الذي ينطق سينا تارة وكافا تارة أخرى، وقد لا ينطق؟ وهذا غيض من فيض. فلم لم يقل أحد إنّ اللغة الفرنسية صعبة ويجب تغييرها.⁽¹⁾ لا شك أنّ إيجابيات الشيء، وسلبياته تبرز أكثر بمقارنته مع غيره. لكن لا يمكن اعتبار هذا الأمر عيباً؛ بل هو من خصائص اللغة الفرنسية وخطأها.

وتخلو اللغة العربية من شواذ الكتابة إلا ما ندر، مثل بعض الأعلام مثل: (عمرو، مائة) عكس اللغة الفرنسية والانجليزية، نادراً ما نجد في اللغة العربية حروفاً تكتب ولا تُنطق، باستثناء الألف التي تلحق الفعل الذي يدلّ على الجمع. مثل: (كاتبوا، كاتبوا). قد ينتج عن امتداد الرقعة الجغرافية للغة اختلاف في كتابتها ونطقها، مثل الاختلاف الذي نجده بين اللغة الانجليزية عند الأمريكيين والبريطانيين، وهو ما لم يؤثر في اللغة العربية، رغم امتداد مساحتها (باستثناء بعض المصطلحات)، ويلحق بهذا الامتداد العمق التاريخي، إذ أول من كتب باللغة الفرنسية، هو الفيلسوف الفرنسي رينه ديكارت (1596-1650م)، حيث كان الفرنسيون يكتبون باللاتينية (تحوّلت لهجاتها إلى لغات منفصلة مثل الفرنسية والإيطالية، والإسبانية والبرتغالية والرومانية) في حين ترجع جذور اللغة العربية إلى ما قبل الميلاد وبقيت لغة واحدة للعرب جميعاً.⁽²⁾ وهذا ما يثبت قوتها وصمودها رغم كل المكائد المحاكاة ضدها.

¹ - ينظر: طالب عبد الرحمن، عبد الجبار. نحو تقويم جديد للكتابة العربية. ص114.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص120.

ومما يدحض هذه الأفكار التي تُحمّل الحرف العربي مسؤولية صعوبة اللغة العربية، وجود خطوط للغات قد تتسم بالصعوبة لدى البعض، إلا أنها تستعمل بكل يسر دون أن يُشير أحدهم إلى صعوبتها، وهم من الدول المتقدمة، ويحققون إنجازات علمية وحضارية بخطهم هذا، « والعجيب أن تتسع اللغة اليابانية لكل المنجزات العلمية والتقنية على الرغم من عقم أبجديتها، وطريقة كتابتها ومحدودية مفرداتها، وأن تتسع اللغة الصينية للإنجاز والإنتاج الحضاري، وأن تُسترد العبرية من بطون التاريخ والمتاحف، وتُنفخ فيها الروح لتصبح لغة العلم والدين والسياسة، وحتى التعبير عن أدق المصطلحات والمبتكرات العلمية في الفيزياء والرياضيات الحديثة، وتنتشر بها البحوث والدراسات وتصدر المجالات المتخصصة، ويضطر المعنيون بهذه المجالات... إلى تعلّمها... في الوقت الذي تتحسر فيه اللغة العربية (وهي الأقدر والأكثر ثراء) بانحسار أهلها ونكوصهم الحضاري»⁽¹⁾ لا يمكن مطلقا الادّعاء بأن اللغة العربية ضعيفة أو أنها عاجزة، وإنما الحكم ينطبق على أهلها الذين تخلوا عنها، فراحوا يبدعون ويكتشفون بلغات أجنبية، معظم لغات العالم يخدمها أهلها إلا اللغة العربية، فهي الوحيدة التي مازالت ولا تزال تخدم أهلها رغم تقاعس بعضهم واحتقارهم لها، فلو أنّ لغة لقيت ما لقيته العربية، لاندثرت منذ قرون إلا أنها صمدت، كيف لا وهي لغة الكتاب العزيز الذي وعد الله بحفظه وما تزيدها المخططات والدعاوى لوأدها إلا يقينا بصدق وعد الله عز وجل، ومما قاله عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، [سورة الحجر، الآية: 9]. ومما قاله المستشرق ريتير، وهو من المخضرمين الذين عاشوا العهدين العثماني والعلماني: « إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أتلوا عليهم بسرعة فائقة، لأنّ الحرف العربي اختزالي بطبيعته، أما اليوم فإنّ الطلاب يكتبون بالحرف اللاتيني ويطلبون مني أن أعيد العبارات عليهم مرارا، إنهم معذرون لأنّ الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها، فلا بدّ من كتابة الحروف بتمامها ثمّ أضاف- إنّ الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس لابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل، وتوضيح الواضح»⁽²⁾ إنّ الحديث عن سهولة خط أو صعوبته في حقيقة الأمر مرتبط بعوامل كثيرة، ولا يمكن إنكار خطّ معين، بمجرد أنّه يتضمّن بعض الصعوبات

1 - بيوم، سعيد أحمد. أم اللغات دراسة في خصائص اللغة والنهوض بها. ص 31.

2 - الجميلي، كمال عبد جاسم الصالح. "أثر القرآن الكريم في الخطّ العربي". في مجلة البحوث والدراسات القرآنية. العراق، السنة الخامسة والسادسة، دت. ع9. ص 325.

التي يجدها البعض، فكلّ خطّ خصائصه، ولو أنّ الشعوب تتخلّص من خطوطها في كل مرة بسبب بعض ما يجدونه من صعوبة في كتابته، فهذا يعني أنّه لن يبقى أيّ خطّ لأنّ الأجيال متغيّرة، وما كان يجده الناس سهلا في الماضي، قد يستصعبه الجيل الجديد. فهل يكون الخطّ تبعا لأهواء الأجيال أو أنّهم هم يجب أن يرتقوا ويجتهدوا، فالأصل أن تكيف التقنية لتتلاءم مع الخطّ العربي وليس العكس وهو ما أشار إليه أستاذي الباحث (صالح بلعيد) سابقا.

الفصل الثّاني: أثر مناهج المستشرقين وأعمالهم

في العالم الإسلامي العربي

المبحث الأول: أثر المناهج الاستشراقية في اللّغة العربية وباحثيها

المبحث الثاني: المعاجم الثّنائية العربية في ضوء الاستشراق

المبحث الثالث: الاستشراق الفرنسي وأثره في العالم الإسلامي العربي

المبحث الأول: أثر المناهج الاستشراقية في العربية وباحثيها:

إنّ الحديث عن الدّراسات الاستشراقية ومناهجها في الحقيقة، هو حديث عن المناهج الغربية إذ لا يكاد المستشرق يخرج عن الدائرة التي رسمها الغربيون، فالمستشرق قبل أن يكون مستشرقاً هو غربي ويحمل فكراً غربياً، لهذا عند ذكر الغربي، فالمقصود به غالباً هو المستشرق.

سيُشار إلى الدّراسات اللغوية العربية باختصار، ذلك أنّ الهدف من هذه الوقفة، هو التّعرف على أهمّ مناهج الغربيين، وكيف تمّ إسقاطها على العالم الإسلامي العربي. ولا بأس بالتذكير بأنّ العالم مرّ بمراحل كثيرة، تعاقبت على الزيادة فيها، أمم مختلفة، « وها هو ذا جورج سارتون يؤرخ للعلوم فيسمي كل عصر من العصور، التي اختارها باسم المبدعين فيه، فيرى أنّ الحقبة الممتدة من 450 إلى 400 ق.م هي عصر أفلاطون، ثمّ يليه عصر أرسطو فأقليدس فأرخميدس. أما الحقبة الممتدة بين 600 و700 للميلاد، فهي عصر الصينيين، والمدة الواقعة بين 750 و1100 للميلاد هي عصر العلماء العرب الذين تعاقبوا في سلسلة موصولة، وكان منهم جابر بن حيان، والخوارزمي والرازي والمسعودي والبيروني وابن سينا وابن الهيثم. وبعد هذه الحقبة البالغة 350 عاماً... تبرز أسماء من الأوربيين يتقاسم معهم العرب القيادة العلمية في مدى 250 عاماً... من الأسماء العربية ابن رشد والطوسي وابن النفيس إلى جانب جبرار وكريمونا ورودي بكون...»⁽¹⁾ من هنا يتّضح ما للعرب من تأثير كبير، «...ولعل أكبر دليل على هذا هو أنّ الغرب بقي في تأخره ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عزل نفسه عن الإسلام ولم يواجهه. ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلّا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً. واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قروناً...»⁽²⁾ وهذا يعكس دور العرب المسلمين في الإنتاج العلمي العالمي، إلى جانب الأمم الأخرى إلّا أنّه سيقصر فيما سيأتي على المجال اللغوي.

¹ - السيد، أحمد محمود. "أهمية تدريس العلوم الطبية باللغة العربية". ص 30. عن محي الدين، صابر. قضايا الثقافة العربية المعاصرة. تونس، الدار العربية للكتاب، 1983. ص 173.

² - زيفريد، هونكه. شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أورويّة. ص 541.

1- المستشرقون واللغة العربية:

مرّت علاقة المستشرقين باللغة العربيّة عبر مراحل مختلفة، فكانت البداية إعجاباً بها وإقبالاً عليها، وذلك حين كانت الأمة الإسلامية في أوج إشراقها وتحضّرها وازدهارها، وقبله للعلماء من كل حذب وصوب، وبما أنّ أوروبا كانت من القرن الخامس الميلادي حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي تعيش فترة يسمونها (العصور الوسطى)، ويعودونها عصوراً مظلمة، و« كانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام أوروبا على الشرق، وهي الحملات الصليبية على بلاد الإسلام، فقد جلب الصليبيون معهم إلى أوروبا كثيراً من عادات المسلمين، وأزيائهم وأنماط حياتهم ووسائلهم في الحرب، ثم أُسست المعاهد للدراسات العربية؛ أمثال مدرسة (بادوي) العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرّس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون».⁽¹⁾ أدرك الغرب أنّه لا بدّ من انتهاج طريقة جديدة للتعامل مع الشرق الغالب والمسيطر والمالك للحضارة والعلم.

ومع مرور الزمن تغيّرت المعادلة، بقي اهتمام المستشرقين باللغة العربية، لكن هذه المرّة تغيّرت طبيعة الاهتمام بها، فبعد أن كانوا يفعلون ذلك طلباً لما تحمله من علوم، تحولوا إليها لأغراض جديدة سياسية ودينية، وانكبوا على تعلّمها ودراستها؛ بل إنك لتشعر أنّهم استحوذوا عليها وعدّوها من غنائم الحرب، ينظّرون لها ويطلقون التسميات المختلفة عليها؛ ولم يدعوا موضوعاً أو قضية تخص اللغة العربية إلّا تناولوها، والأخطر من ذلك أنّهم تحوّلوا في مرحلة أخيرة إلى أساتذة للمسلمين العرب الذين صاروا يأخذون معارفهم وعلومهم حول العربية منهم.

يكفي الاطلاع على الأعمال التي قام بها المستشرقون، وقائمة الكتب التي ألفوها، ليتبيّن حجم الاهتمام الذي أولوه للغة العربية، ولم تغفل أيّ مدرسة عنها، ولعلّ من أهمّ الأعمال التي كان لها صدى عميق وكبير في ساحة البحث اللغوي، سواء على مستوى العرب أو المستشرقين، (كتاب العربية للمستشرق الألماني يوهان فك)، إذ عُدّ بحقّ مصدراً للدراسات التاريخية للغة العربية، وقد اعترف معظم الدارسين بتميّزه، إلّا أنّه لقي نقداً من قبل بعض الباحثين العرب، وقد اختار البحث هذا العمل نموذجاً للتناول التاريخي للعربية لدى المستشرقين الألمان، إذ قيل إنّها من أكثر المدارس الاستشراقية موضوعية

¹ - ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مكتب التربية العربي لدول الخليج. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. تونس. 1985م. ج2. ص 18، 22.

وذلك بالعودة إلى الكتاب المترجم وبعض الدراسات حوله.

1-1- لمحة عن كتاب يوهان فوك (J.Fuck): تناول المستشرق يوهان فوك اللغة العربية في

كتابه "العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب" *موضوعات كثيرة ومتنوعة وفق منظور تاريخي حيث افتتح عمله بتمهيد، وقف فيه على العلاقة القوية بين اللغة العربية والدين الإسلامي وأشار إلى العصر الذهبي للغة العربية، ولاسيما في بداية الدولة العباسية، كما أبرز السمة الإعرابية للعربية، وبداية تلاشي هذه السمة التي تفرق بين الفصحى والمولدة، وتأكيد القرآن الكريم عدم وجود فرق بين لغته ولغة العرب مع ذكر بعض قضايا القرآن الكريم، مثل مخالفته لبعض القواعد العربية وظهور عربية مولدة حسبه بعد وفاة النبي الكريم محمد ﷺ وهجرة القبائل للغزوات، ثم التأثير والتأثر بين العربية واللهجات الأخرى، ثم الروابط اللغوية في الدولة الأموية، مع تسجيل التفاهم بين العرب رغم اختلاف لهجاتهم. لينتقل إلى التفريق بين عربية الدولة، وعربية الشعب في بداية العصر العباسي مؤكدا أن القرآن جزء من حقيقة الإسلام.

وذكر أن العصر العباسي الأول يشهد باكورة العلم العربي، بعدها أسهب في التعليق على كتاب سيبويه وأهم شواذه، وبداية مرحلة جديدة في تاريخ العربية، ثم انتقل إلى حال اللغة العربية في عهد هارون الرشيد، مع الإشارة إلى ازدهار علوم العربية. والصراع الذي دخله علماء اللغة مع اللهجة الدارجة، ختم المبحث بعربية الكلام أواخر القرن الثاني مرورا بنشأة الأغاني الشعبية. ثم توقف عند العربية المولدة، مشيرا إلى مبدأ تنقية اللغة، بين عربية الدولة واللغة الدارجة واكتساب العربية المولدة مناطق جديدة، وعدم تأثر المجتمع الراقي بالعربية المولدة حتى القرن الثالث. ثم انتقل إلى العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية، وذكر امتداد الازدهار إلى أواسط القرن الثالث. العربية تصير لغة الأدب الفصحى في النصف الثاني من القرن الثالث، ويتحدث عن اضمحلال الدولة وأثره في اضمحلال العربية، وانتشار الأساليب المولدة، وشكوى ابن قتيبة من فساد اللغة، مع وصف كتاب أدب الكاتب. وكانت نهاية القرن الثالث حدا فاصلا بين العربية الفصحى والمولدة الدارجة، لينتقل إلى وصف عربية الأدب في القرن الرابع، ويعبر بقوله النمو اللغوي يطارد الفصحى، ثم تحدث عن العربية ولهجات البدو في القرن الرابع، وتغير نظر المثقفين إلى لهجات البدو العربية، واللغة المولدة

* ترجمه إلى اللغة العربية كل من الأستاذ عبد الحليم النجار، وبعده الأستاذ رمضان عبد التواب.

في القرن الرابع، وظهور الدارجة في أشعار القرن الرابع، ثم وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي إبان القرن الرابع الهجري. واللغة العربية في عهد السلجوقيين.⁽¹⁾ أكثر ما يلاحظ هو أنّ الكتاب لا يخلو من بعض الأحكام التي أصدرها المستشرق، انطلاقاً من زاوية نظره لا من الواقع.

1-2-دراسات تناولت الكتاب: تمّ اختيار دراستين قيمتين، تناولتا (كتاب العربية للمستشرق يوهان

فك)، وكلا الدّراستين ورغم نقدهما للعمل إلاّ أنّهما لم تتكرا أهميته وجديته، وقد تتبع البحث التّرتيب الزمني لظهورهما.

دراسة الباحث غازي مختار طليّمت، بعنوان "العربية للمستشرق الألماني يوهان فيك عرض ونقد"، افتتح دراسته بالإشارة إلى أنّه سبق له قراءة هذا الكتاب قبل حوالي ثلاثين سنة حين كان حديث العهد بالبحث، طلباً من أستاذه شكري فيصل، إلاّ أنّه لم يقف إلاّ على إيجابياته معبراً عن انبهاره بالعمل وجاءت هذه الدّراسة استدراكاً للأولى، حيث وقف على بعض النّقاط، من حيث المنهج والمحتوى والهدف، وبها استدللّ على ذاتية المستشرق، «... فإذا ربطنا خطأ بخطّ، وألفنا بين سمة وسمة استطعنا أن نتصوّر كتاب (العربية) دراسة جيّدة جادة، أو بحثاً عميقاً... وتكامل المنهاج وغلبة الصّدق... ثمّ لربطه... تطوّر اللغة العربية بعوامل سياسية واجتماعية، تصل اللّغة بالحياة... غير أنّه، وهو ألماني لا يُرجى منه الإخلاص للعربية إخلاص أبنائها لها، لم يستطع أن يكون القاضي العدل في كلّ ما أفتى به، ولا الشّاهد النزيه في كلّ ما رصد من تطوّر، بل شابت أحكامه شبهات تجد أضعافها في كتب غيره وتحسّ وخزات غير موجعات...».⁽²⁾ يكشف هذا الكلام عن رأي الباحث بعد أعوام من القراءة الأولى ويبدو أنّ رأيه تغيّر من الإيجابي إلى السّلبّي. أو كما عبّر عن ذلك من دراسة عاطفية إلى دراسة عقلية. ففيما يخصّ المنهج، يقول: «أمّا المنهج، فظاھر أنّه منهج علمي موضوعي، يتوخى الوصول إلى الحقيقة المجرّدة عارية من العواطف، بريئة من الأهواء، وباطنه أنّ الاستشراق يدرس القضايا بوجهة نظر مسبقة، وبأحكام مقرّرة، وبأهداف واضحة... وأعمال رجاله هي البحث بملقط، وتحت مجهر عن هفوات صغيرة وتكبيرها، وجمعها وتضخيمها... يبني آراءه على أخبار وأقاصيص نادرة والنّدر لا

¹ - ينظر: فك، يوهان. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. تر: عبد الحليم النّجار. القاهرة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دت. دط.

² - طليّمت، غازي مختار. "العربية للمستشرق الألماني يوهان فيك عرض ونقد". في مجلة آفاق الثقافة والتراث. دبي الإمارات. 1414هـ - 1993م. ع3. ص 12.

تصلح أساساً للحكم...»⁽¹⁾ وكما هو معلوم، فإنّ المنهج هو الأساس الذي يُبنى عليه أيّ بحث وعلى أساسه تتحدّد وجهة البحث؛ بل ودقّته، واشتُهر كذلك أنّ أكثر صفة عُرف بها المستشرقون الألمان هي الموضوعية، وها هو الباحث، يفنّد هذه المقولة، بما ورد في كتاب أحدهم، «أراد يوهان فيك أن يثبت قدم اللّحن في الحجاز، منذ بداية العصر الأموي، وذلك بإسناده إلى عرب أقحاح، أمثال جرير والفرزدق والحجّاج، فاختر من الأشعار والأخبار كلمة فارسية (كالبيدق) استخدمها أحد الشعارين وزلة للحجّاج في القراءة، وضرورة شعرية لجأ إليها ذو الرمة، واستتبط من هذه الصّغائر أنّ اللّحن قد اجتاح العربية في الحجاز، فأفسد ألسنة القوم»⁽²⁾ وممّا يتعارض مع الموضوعية والدقّة ويناقضها، بعض الأخبار المقحمة في الكتاب، مثل ما رواه عن الشّاعر محمد بن منذر، أنّه أراق حبراً على أرض المسجد ليلطّخ جباه المصلين، ووصف الشّاعر أنّه من رجال المجتمع المعروف بحرية الفكر، وهي قصة لا تمتّ للبحث بصلة⁽³⁾ ويرى الباحث أنّ وصف شاعر معروف بسوء أخلاقه وانحرافه بأنّه رجل مجتمع ووصفه بحرية الفكر، إثارة للشبهة ومظاهرة للزندقة، فكيف يكون إيذاء المصلين حرية؟ ثمّ يسوق الباحث خبراً آخر عن وزير المأمون الفضل بن سهل ذي الرياستين بعد دخوله الإسلام، وقد زاره في فراش المرض الطيب جبريل بن بختيشوع، فوجد في يده القرآن، فسأله بالفارسية: كيف تجد كتاب الله؟ فأجابه بالفارسية بأنّه حسن مثل كليلة ودمنة⁽⁴⁾ فسّر الباحث غازي مختار طليعات، هذه الحادثة أنّها تعريض بالقرآن الكريم، فشتان بينهما. وكأنّ القرآن الكريم مجموعة من الأقاصيص والأساطير القديمة، وهذا حطّ من قدر كتاب الله العظيم.

كما رأى في خبر آخر أورده المؤلّف، أنّه إثارة للفرس على العرب، وإيقاظ للشعوبية وتعريض بالرّشيد، وذلك لتأكيدّه بأنّ العامية لغة أدبية في ذلك العصر، اعتماداً على كلام صدر عن جارية فارسية في رثاء سادتها الفرس، وذلك «أنّ جارية، لجعفر بن يحيى بن خالد بكت سيدها القتل، في قصيدة نظمها باللسان الشعبي، تختتم أبياتها بقولها: يا مواليا»⁽⁵⁾ وهنا يتحدّث الباحث عن وجود غاية مقصودة

¹ - طليعات، غازي مختار. "العربية للمستشرق الألماني يوهان فيك عرض ونقد". ص 12.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 12.

³ - ينظر: المرجع نفسه. ص 13.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه. ص 13.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه. ص 14.

سعى إليها المؤلف من جهة أخرى، وهي الإحياء بأنّ العربية عرفت هبوطاً من قمة الفصاحة في العصرين الجاهلي والإسلامي إلى سفوح التطور في عصر العباسيين والمماليك، وإلى أبعد من ذلك في عصر العثمانيين، ثم إلى الغرق في حمأة العامية في العصر الحديث. مع الإحياء بأنّ هذا التطور حقيقة تاريخية يجب التسليم بها.

ثم كشف الباحث غازي مختار طلبيمات عن الموقف الحقيقي للمستشرق من وجهة نظره « صحيح أنّ في الكتاب تمجيذا للتراث العربي وللعربية الفصحى، لكن هذا الإطار لا يمكن أن يطمس الخطّ العريض للبحث، فقد نوه يوهان فيك بالعرب، ووصف ما أسهموا به في الحضارة الإنسانية بأنه (تراث عربي تالد خالد)، وأطرى العربية الفصحى وذكر أنّها لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية، غير أنّ الخطّ البياني الذي رسمه للعربية خطّ هابط، ونهاية هذا الخطّ تأييد المنادين بالإصلاح وهم أعداء الفصحى المتأثرون بثقافة الغرب ولغات الغرب، قال في آخر الكتاب: « وقد ظهر أخيراً أثر آخر من آثار التأثير بالغرب، حيث علت أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر تنحي بالنقد على العربية الفصيحة نفسها...»⁽¹⁾ وقد عبّر في خاتمة كتابه صراحة عن الدعوة إلى العامية.

أكّد هذا المقال أنّ الكتاب، رغم ما بُذل فيه من جهد، سواء من حيث كثرة المصادر أو تنوع النّفاصيل، ومحاولة جمع الشتات، والاعتراف في مواضع كثيرة منه بالكثير من الحقائق الإيجابية والوقائع المُمجّدة للعربية وللعرب، إلّا أنّ هذا حسب الباحث مجرد قناع ضاحك مبتسم، ويختفي خلفه وجه آخر متجهم ومترصّد. ويبقى أنّ الحقيقة المطلقة لا يعلمها إلّا صاحب الكتاب، إذ يصعب الجزم بالكثير من الحقائق التي يُتوصّل إليها من خلال مؤلفات المستشرقين، إلّا أنّ المؤكّد والذي يؤيّد البحث كون المستشرق مستشرقاً، ولا يمكنه أن ينظر إلى العربية بنظرة العربي، والإساءة من هنا قد تأتي، وفي البحث لا يوجد فرق بين خطأ مقصود وخطأ غير مقصود، ذلك أنّ الضرر واقع. أما الأدلة الواردة في المقال، فيمكن القول إنّها قد تكون فعلاً أدلة تثبت ذاتية المستشرق، وقد تكون أخباراً ساقها لاعتبارات أخرى، كما أشار إلى بعضها صاحب المقال، ربما على سبيل الاستطراد، وإن كان يصعب تقبّل هذا الاحتمال، ذلك أنّ المستشرق عادة لا يسجل حرفاً دون فائدة تُرتجى منه.

¹ - طلبيمات، غازي مختار. "العربية للمستشرق الألماني يوهان فيك عرض ونقد". ص 14، 15.

أما الدراسة الثانية، فهي مقال للباحث أحمد محمد قدور بعنوان: "مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه، افتتح بالإشادة بالكتاب وصاحبه، يحتل كتاب (العربية) للمستشرق الألماني يوهان فك (J.Fuck) مكانة مرموقة في الدراسات اللغوية، التي أنشأها المستشرقون في العصر الحديث فالكتاب يعرض، وبكل اقتدار لمسائل بالغة التعقيد، تتصل بتاريخ العربية وتطورها ولهجاتها، مما تنوع به جهود العصابة من أولي العزم وأهل الذكر، وهو بحق رائد الدراسات التطورية عند الدارسين من عرب ومستشرقين على حدّ سواء. إنّه كما يقول شببيلر (A.Spitler) نوع من تأريخ التطور للعربية أو على وجه الدقة للعربية المولدة". وكان أقلّ حدة وأكثر تفهماً للمستشرق، وجاء تحليله للكتاب مشفوعاً في كثير من الأحيان بأعذار يتخذها للمؤلف، أهمها الانطلاق من مناهج غريبة. « وليس في هذا التمهيد تلميح لاتهام (فك) بشيء من الانحياز ضد الفصحى أو انتصار للعواميات، لأنّ الدارس المنصف يقرّ له بصدق النظرة والتزام الحيدة، وتفهم الكثير من مشكلات العربية، دون أن يظهر عنده ذلك الروح الاستشراقي المنطلق من العداء أو الاستعلاء. وسيظهر لنا أنّ الوجهة الأجنبية التي لا تقرّ باستقلال الفصحى عن اللهجات قياساً على اللغات الأجنبية، كانت المسؤولة عن البداية التي انطلق منها فك...»⁽¹⁾ إلاّ أنّه وقف على نقاط كثيرة خالف فيها المستشرق منها: تاريخ بداية العربية المولدة التي ربطها بانتقال العربية إلى خارج حدودها القديمة، مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ عن طريق الفتوحات الإسلامية، وهو مخالف لما ذهب إليه العلماء القدامى، الذين ربطوا المولد بالدلالة اللغوية الناشئة من ظهور أجيال محدثة، غلب عليها اختلاط الأعراق، وذلك سنة (150هـ) في المدن التي كثر فيها الاختلاط، وأواسط القرن الرابع الهجري في البوادي المعروفة بفصاحتها، بعد قرن ونصف من التاريخ الذي حدّده المستشرق يوهان فك. وهنا يبرز الباحث أحمد محمد قدور خطأ المستشرق، «فهذا الذي ارتآه (فك) يخالف دلالة (المولد) لغة، لأنّ هذه الدلالة لم تكن قد دلّت على الأجيال الجديدة، حين خرج العرب بعد وفاة الرسول ﷺ من الجزيرة مباشرة، ولأنّ شيوع الظواهر المولدة في القرن الأول... لم يتعدّ كونه ظواهر فردية، على حين أنّ القرن الثاني هو الذي شهد توسّع اللحن وانحراف الألسنة»⁽²⁾ يبدو

1 - قدور، أحمد محمد. "مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه العربية". في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. الأردن، جمادى الأولى - شوال 1414هـ كانون الثاني حزيران 1994م. ع 46. ص 107.

2 - المرجع نفسه. ص 114.

أنَّ المستشرق تعامل مع مصطلح "المولّد" بمفهوم مغاير لما وضع له في اللّغة العربية، أو على الأقلّ ما عرف عند أغلب اللّغويين العرب، يظهر ذلك من خلال حديثه عن العربية المولدة الذي يُفهم منه أنَّ المقصود شيء آخر، « إنَّ الدّراسة المتأنيّة لما أورده فك تشير إلى أنَّ مفهوم العربية المولدة أو المولّد عنده يماثل مصطلح (change) الأجنبي الذي يدلّ على التّغيّر دون أيّ نظر معياري... فالمولّد كما يدلّ عليه عمل (فك) يعني أنَّ هناك شيئاً ما حدث للّغة أو أنَّ هناك تغيّرات أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترات زمنية متعاقبة...»⁽¹⁾. عانى المستشرق من اضطراب في تحديد المصطلح المناسب للظاهرة، التي يتحدّث عنها، « وهكذا يتبيّن للدّارس أنَّ مصطلح "العربية المولدة" مصطلح غير واضح المعالم وليس أدلّ على ذلك، من أنَّ ما قصده "فك" بالعربية المولدة ينطبق على اللّهجات، في حين أنَّ ما استنتجه حلمي خليل، جعل العربية المولدة طورا من أطوار العربية، يلحق بالفصحى دون العامي والفرق بينهما كبير»⁽²⁾. وكأنَّ المستشرق وضع اللّهجات المنحرفة (العاميات) والفصحى في قالب واحد وتتبع ما طرأ عليهما من تغيير، ليسقط النتيجة التي توصل إليها مع العامي على الفصحى، « إننا نرى أنَّ مفهوم التّغير الذي أخذ به (فك) للدلالة على (العربية المولدة). كما استنتجنا في موضع سابق، هو المسؤول عن الخلط بين الظواهر التي انبثقت عند العوام، ممّا يندرج تحت (اللّحن) والظواهر التي لوحظت في لغة الشعر والأدب والاستعمال الرّفيع ممّا يندرج تحت (المولّد)، ثمَّ إننا نلاحظ أنَّ هذا المفهوم المنطلق من المنهج الأوربي الوصفي، جعل فك يعمّ في تقصيه جميع الجوانب اللّغوية على صعيد واحد، إذ جمع أمثلة، تتّصل بالأصوات والصّرف والنّحو والدّلالة. وهذا ما قرّب عمله من محتوى مصنفات اللّحن»⁽³⁾. معلوم لدى العلماء العرب أنَّ الفصحى حافظت على نظامها الصّوتي والصّرفي والنّحوي، والتّغيير الوحيد الذي طرأ عليها كان على المستوى المعجمي الدّلالي، وهذا أمر منطقي وهو حجة للّغة العربية، ودليل على قوّتها ومرونتها لا العكس. وتجد بعض المستشرقين، يصرّ على أنَّ الفصحى تغيّرت على جميع المستويات. وقد أسهم كتاب المستشرق فك وأمثاله في نشر هذه الفكرة وترسيخها في أوساط المستشرقين وبعض أتباعهم. وهكذا كشفت هذه الدّراسة عن زاوية أخرى في أعمال المستشرقين، وهي إصدار أحكام وإطلاق

¹ - طليعات، غازي مختار. "العربية للمستشرق الألماني يوهان فيك عرض ونقد". ص 115.

² - المرجع نفسه. ص 121.

³ - المرجع نفسه. ص 124.

مصطلحات على ظواهر لغوية بطريقة خاطئة تشوّه الفصحى. ولا يهمّ في هذا المقام؛ هل حدث ذلك عن قصد أو بحسن نية، لأنّ العبرة هنا بالنتائج، والأصل في الدّراسة التي يقوم بها أيّ باحث عربي يجب ألا يكون هدفها الحكم على المستشرق؛ بل التّعامل مع ما أنتجه هذا المستشرق وتناوله بالدرس والتحليل، وأخطر ما في هذه الأعمال، أنّها تمثّل في كثير من الأحيان مصادر بحث للباحثين واللّغويين العرب والأجانب.

ومن الاتّهامات التي تلقتها العربية من بعض المستشرقين، عن مرشد دراسات طلاب مرحلة الليسانس، في كلية كولومبيا لعام 1975م أنّ نصف كلمات تلك اللغة مرتبط بالعرف، وإنّ العقل العربي كما يتجلّى في اللّغة طنان أجوف، ونرى في مقال حديث بقلم إميث تيريل، نشرته مجلة هاربر قدرا أكبر من العنصرية والقذف بالباطل، إذ يزعم المقال أنّ العرب سفاحون للدماء بصفة أساسية، وأنّ العنف والخداع كامنان في الجينات الوراثية العربية⁽¹⁾. أما السؤال الذي يطرح نفسه بقوة، فهو أين الخل؟ ومن الذي يميل إلى العنف؟ الذي اختار وزن (فعل) أو الذي جعل الوزن هو (قتل)⁽²⁾. ورد هذا الكلام في كتاب هنري فليش، الذي عبّر صراحة عن تفضيل صيغة (ق ت ل) على صيغة (ف ع ل) لأسباب رآها ربما منطقية، لكنها ليست مقنعة، وهي أنّ حرف العين غير موجود في الفرنسية، ونسي أنّ حرف القاف أيضا غير موجود، « وربما كانت أغرب هذه الحقائق الأساسية القاطعة وأعجبها (فمن العسير أن نتصوّر إمكان نسبتها إلى أي لغة أخرى) القول بأنّ اللّغة العربية من حيث كونها لغة -إيديولوجية خطيرة، وأما الشاهد المأثور المعاصر على هذه النّظرة إلى العربية، فهو مقال أ. شوبي وعنوانه "تأثير اللّغة العربية في سيكولوجية العرب"... فالعربية تتصف حسبه بالغموض العام في الفكر والمبالغة في توكيد العلامات اللغوية، والمبالغة في التأكيد وفي القول، ويستشهد الكثيرون بأقوال الشوبي باعتباره من الثّقة، لأنّه يوحي بذلك في كلامه، ولأنّ العربي الذي يفترض وجوده عربي أبكم، لكنه في الوقت نفسه مالك لزمّام الألفاظ، ويتلاعب بها دون أن ينزع إلى الجد كثيرا أو يحاول تحقيق غرض ما⁽³⁾. تعكس مثل هذه النّصوص أفكارا سلبية، وهي للأسف كثيرا ما تستقرّ في عقول أهلها قبل غيرهم.

1 - ينظر: إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 439.

2 - ينظر: فليش، هنري. العربية الفصحى: دراسة في البناء اللّغوي. ص 79.

3 - إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 486.

تظهر هذه الأحكام الجائرة، من خلال مقولات تكتب وتنتشر للغربيين وللعرب، « وهو يقدّم العرب في صورة الأنماط الثابتة المجردة تقريبا، لا باعتبارهم كائنات تتمتع بإمكانات تمر بمرحلة التحقيق، ولا باعتبارهم تاريخا يتشكّل ويتكوّن. والقيمة المبالغ فيها التي تنسب إلى اللغة العربية من حيث كونها لغة تسمح للمستشرق بأن يجعل اللغة مرادفة للعقل، وللمجتمع والتاريخ والثقافة، فالمستشرق لا يرى أنّ الشرق يتكلّم لغته ويفصح بها، بل أنّ اللغة هي التي تفصح عنه».⁽¹⁾ وهنا تجدر الإشارة إلى تأثر بعض العرب بهذه المقولات، « وإذا كانت مناهج البحث العملية، موضع اهتمام الغربيين بوجه عام، فإننا نحن الشرقيين أشدّ منهم حاجة إليها لعدّة أسباب: منها ما يرجع إلى مزاجنا القومي، ومنها ما يرجع إلى نظم التعليم في بلادنا. فالشرقيون عاطفيون كثيرا ما تنتشر مشاعر الجذب والنفور على تفكيرهم ضبابا قد يعمي معالم الحق...».⁽²⁾ قد يكون الباحث المتضلّع في ميدان النقد الأدبي مصيبا، لكن ما عُرف به المسلمون قبل احتلالهم؛ غير ذلك، فقد عرفوا بدقة النّظر في أمورهم، وإعمال العقل في دراساتهم، ولعلّ العودة إلى كتب التاريخ والحضارة الإسلامية لخير ردّ.

2- اللغة العربيّة ومناهج المستشرقين:

لاشكّ أنّ المنهج لديه أهمية كبيرة؛ بل دور خطير في توجيه المعارف والعلوم، لدى الباحث ورغم ادّعاء الغربيين أنّ أهمّ شيء في مناهجهم هو الموضوعية، إلّا أنّ دراسة بعض أعمالهم كثيرا ما يكشف عن ذاتية مفرطة، وبما أنّ المنهج هو طريقة تفكير لدى الباحث يسير وفقها، لتتبع ظاهرة معيّنة بموضوعية، وبما أنّ التفكير بشري، وكل ما يعمل به البشر يفتقر إلى الكمال، فهل يمكن للإنسان أن يتخلّى عن ذاتيته؟ كما أنّ هناك سؤالا آخر يُطرح، وهو هل الظاهرة المدروسة لدى قوم معيّنين بمنهج ما، بالضرورة يصلح تطبيقه لدى قوم آخرين، ولاسيّما إذا تعلّق الأمر باللغة؟

يحسن بداية، التعريف بالمنهج وبداياته. يقال إنّ المنهج هو الأساس في البحث العلمي، إذ لا يمكن لدراسة ما الاستغناء عنه بوصفه هو الموجّه لها، ويحفظها من ذاتية الباحث، ويحدّد الأطر التي سيسير وفقها، ورغم أهميته، إلّا أنّ هذا المصطلح لا يخلو من غموض، أو على الأقل من تساؤلات: ما حقيقة المنهج؟ وهل هناك منهج واحد يصلح لكل اللغات والأجناس، وبالطريقة نفسها؟ اهتمّ الفلاسفة منذ القديم بهذا المصطلح وكذلك علماء المناهج حديثا، وأقيمت الدراسات واللقاءات العلمية حوله

¹ - إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 487.

² - مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1969م. ص 297.

محاولة منهم للإجابة على بعض الإشكالات، ولعلّ السؤال الأهمّ، هو هل يضمن المنهج الموضوعية في أيّ بحث علمي، مهما كانت خلفيات الباحث وقناعاته؟

أمّا بدايات المنهج عموماً، فيمكن القول إنّها تجسدت لدى العرب في أعمال علماء الحديث الشريف والعلماء العرب الذين جمعوا اللغة من قبائل العرب، فبالمقياس الحديث، تعدّ بحق أعمال قائمة على منهج خاضع لإجراءات وخطوات صارمة ودقيقة. وهو ما يعني أنهم سبقوا الغرب بكثير قد تقدّر سبعة قرون إلى حوالي ألف سنة، ففي عصر النهضة الأوروبية، «... في القرن السابع عشر تمت الخطوة الحاسمة، في سبيل تكوين المنهج. فبيكون في كتابه الأورغانون الجديد (Novum organum) سنة 1620م، صاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح. وديكارت حاول أن يكتشف المنهج المؤدي إلى حسن السير بالعقل، والبحث عن الحقيقة في العلوم، كما يدلّ على ذلك نفس عنوان كتابه (مقال في المنهج) سنة 1637، وأتى أصحاب (منطق بور رويال)، الطبعة الأولى 1662، فعنوا بتحديد المنهج بكلّ وضوح، وجعلوه القسم الرابع من منطقهم هذا»⁽¹⁾. ومنذ ذلك الحين بدأ المصطلح يشهد اهتماماً ودراسات في مجالات البحث العلمي جميعها.

أمّا علم المناهج، «فهو عبارة عن الدّراسة المنطقية والمنظمة ... التي توضع أو تحدّد المناهج أو مبادئ المناهج، تلك المناهج التي نتبعها في سعيها للوصول إلى الحقائق أو إلى الحقّ»⁽²⁾. وردت تعريفات كثيرة للمنهج، إلّا أنّها تتفق في الأطر الكبرى له، وهي التفكير الخاضع للأسس والمبادئ الموصلة إلى الكشف عن الحقائق، ويختلف من مجال إلى آخر، هناك من حدّده بأنّه «فن التّظيم الصّحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين؟ أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين. فثمّة إذن نوعان من المنهج: أحدهما للكشف عن الحقيقة، ويسمى التّحليل أو منهج الحل، ويمكن أن يدعى أيضاً منهج الاختراع؛ والآخر، وهو الخاص بتعليمها للآخرين بعد أن نكون، قد اكتشفناها يسمى بالتركيب أو منهج التّأليف، ويمكن أن ندعوه أيضاً (منهج المذهب)»⁽³⁾. ومن تعريفات المنهج، كذلك أنّه «مجموعة منظّمة من الإجراءات المفصّلة، تسعى لبلوغ هدف ما باعتباره نظاماً

1- بدوي، عبد الرحمن. مناهج البحث العلمي. الكويت، وكالة المطبوعات، 1977م. ط3. ص 4.

2- العيسوي، عبد الفتاح محمد، العيسوي، عبد الرحمن محمد. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث. بيروت، دار الراتب الجامعية، 1996-1997م. دط. ص 13.

3- بدوي، عبد الرحمن. مناهج البحث العلمي. ص 4.

تتداخل فيه مجموعة المكونات والعوامل التي ترتبط بعضها ارتباطاً عضوياً، فيحتاج دائماً إلى تطوير مستمر لمتابعة المستجدات، فهو يدور ضمن الغايات الكبرى والأهداف العامة، لكنّه ليس جامداً⁽¹⁾. لعلّ أهمّ ما يقف عنده هذا التعريف هو عدم الجمود، وهو ما يتناقض في أحيان كثيرة مع واقع تطبيق بعض المناهج الغربية على اللغة العربية، وإسقاطها دون تكييف.

وهنا يأتي التساؤل: هل تقتصر تسمية المنهج على تلك الإجراءات الموضوعية مسبقاً أو أنّ الباحث يمكنه تحديد خطوات وإجراءات تناسب بحثه دون الرجوع إلى ما حُدّد سابقاً؟ حسب الباحث عبد الرحمن بدوي، فإنّ المنهج نوعان، « قد يكون مرسوماً من قبل بطريقة تأملية مقصودة، وقد يكون نوعاً من السير الطبيعي للعقل، لم يُحدّد أصوله سابقاً. ذلك أنّ الإنسان في تفكيره، قد ينظّم أفكاره ويرتبها فيما بينها حتى تتأدّى إلى المطلوب على أيسر وجه، وأحسنه على نحو طبيعي تلقائي، ليس فيه تحديد ولا تأمل قواعد معلومة من قبل، فهذا منهج أيضاً، ولكنّه منهج تلقائي. أمّا إذا تأملنا في المنهج الذي سرنا عليه في تحصيلنا لمعارفنا العلمية، وحاولنا أن نحدّد قواعده ونسن له قوانينه وننبّئ أوجه الخطأ والانحراف من أوجه الصواب والاستقامة ثمّ كوّننا من هذا كلّ، طائفة من القواعد العامة الكلية، التي تخضع لها في المستقبل طرائق بحثنا، فإنّ المنهج يكون منهجاً عقلياً تأملياً⁽²⁾. ولعلّ من أكثر ما أشاعه الغرب عن العرب افتقارهم إلى المنهج العلمي، وإن كان المنهج في الحقيقة مرتبط كل الارتباط بديننا الحنيف، فالقرآن الكريم يقوم على منهج رباني واضح، وحدّد للناس منهجاً وطريقاً لا يحيدون عنه في حياتهم كلّها، فإله عزّوجلّ يدعو المسلمين إلى إعمال عقولهم في كلّ ما يدور حولهم، وقد أثبت العرب ذلك بأعمالهم الكبيرة، « وقد حاول مستشرقون آخرون تعليل تأخر البحث العلمي عند المسلمين ووجهة نظرهم يمثلها دوتي (M. Doughty) في كتابه (أسفار في الصحراء العربية) يقول شيخ من شيوخ العرب في (العلل) كان يخاطب دوتي: « وما حاجة هذا العلم كلّ؟ فلا حاجة إلاّ لشيء واحد هو أن يعرف الإنسان أن لا إله إلاّ الله ومحمد رسول الله وما خلا هذا لا قيمة له، ولا نفع، أليس من الأفضل لك أن تترك هذه الأباطيل جانباً، وتعتنق الإسلام فتحيا حياة هادئة، وتعمل لخير نفسك في الآخرة؟⁽³⁾. هذا ممّا اتّخذوه دليلاً على نفور العرب من التفكير العلمي. وهذا يكشف عن أحد مصادر أحكامهم

1 - بلعيد، صالح. في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث. الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2005م. دط. ص 15.

2 - بدوي، عبد الرحمن. مناهج البحث العلمي. ص 6.

3 - روزنتال، فرانتر. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. تر: أنيس فريحة. بيروت - نيويورك، دار الثقافة، مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، 1961م. دط. ص 17.

على العرب، ما قاله الشيخ صحيح، لكن ليس بالوجه الذي فهم به، فالباحث المسلم كل ما يعلمه هو من لدن الله سبحانه وتعالى وكل ما يعلمه يجب كذلك أن يكون لله وإذا خالف هذا المنهج فسيضيع في غياهب الدنيا. فالمسلم لا يرى شيئاً أهم من التوحيد، لكن توحيده لا يكتمل دون إعمال عقله فيما حوله، فقد فضل ديننا الإسلام، حبر العلماء على دم الشهداء، ودعا إلى التفكير والإبداع في شؤون الحياة جميعها، ووضع لنا ضوابط لا يجب الخروج عنها، فكل ما يدعو إليه الفكر والعلم، مما يناقض التوحيد وأركان الإيمان والإسلام، فهو ردّ وما قاله الشيخ لا يعدو أن يكون فهماً دقيقاً، للآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، [سورة الأنعام، الآية: 32]. أما وقد عرض تعريف المنهج عامة وتبين أنه تبلور بمعناه المعاصر لدى الغربيين، إلا أن العرب وضعوا مناهج في منتهى الدقة والموضوعية ولا سيما في مجال الحديث الشريف، الذي أحيط بشروط دقيقة قد تغيب عن المناهج الحديثة ذاتها، وما أكثر عناية العرب بمنهج البحث وضبطه، وما يهتم البحث في هذا المقام هو أثر مناهج الغرب (المستشرقين) في اللغة العربية وأهلها.

هناك تساؤل قد يتبادر إلى الأذهان، وهو مدى إمكانية الفصل بين مناهج خاصة بالمستشرقين وأخرى بالغربيين أو أنها المناهج نفسها؟ « يؤكد وحدة الهدف والمنهج بين المستشرقين، ونظرائهم من الباحثين الغربيين في مجال الدراسات اللغوية التاريخية، ما كان يجري من صلات بحثية تستهدف المقارنة بين اللغات السامية والأوروبية، على نحو ما فعل (H.Muller) في كتابه اللغات السامية والهندية الجرمانية ولمولر أيضاً معجم يقارن فيه بين المفردات السامية والهندية الجرمانية ». (1) يؤكد هذا الكلام وحدة المنهج بين المستشرقين والغربيين، إلا أن البحث وظف تسمية المستشرقين، لأنها الفئة التي يعنى بها. فالمستشرق في الحقيقة غربي يهتم باللغة العربية وتخصص فيها، ويعمل على إسقاط أفكاره ونظرياته الغربية عليها.

2-1 - اللغة العربية والمنهج التاريخي:

أسقطت معظم المناهج الغربية على اللغة العربية؛ بل كلها ولم يسلم من ذلك كتاب الله العظيم الذي حوّل بموجب مناهجهم إلى نصّ أدبي يحل كأي نص بشري آخر. وبما أن من أقدم المناهج هو المنهج التاريخي، فسيف البحث في هذه النقطة على أهم آثاره على اللغة العربية، ومما لا ريب فيه أنه

1 - عمايرة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 48.

تتناول هذه اللغة تناولاً تاريخياً، حيث قُسمت إلى مراحل تاريخية: (تمثلت الأولى في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وسميت المرحلة قبل الكلاسيكية، ممثلة في الشعر العربي القديم وشعر صدر الإسلام والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأمثال والحكم القديمة. والمرحلة الثانية وهي الكلاسيكية من منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) إلى القرن الرابع، وهي مرحلة التزم فيها الكتاب والشعراء بالقواعد، واعتبروا الخروج عنها لحناً، فيما سميت المرحلة الثالثة ما بعد الكلاسيكية، وتشمل القرون الثمانية إلى غاية الثاني عشر الهجري من القرن 11م إلى القرن 19م، وتبدأ المرحلة الرابعة حسب فيشر ببداية القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا).⁽¹⁾ ولا تنطبق هذه النظرة على اللغة العربية من قريب ولا من بعيد، إذ لا تزال العربية تحتفظ بنظامها اللغوي الذي وجد منذ الجاهلية إلى يومنا هذا. أما التغييرات التي حدثت، فلا تتجاوز المستوى المعجمي والدلالي، وهذا بديهي ويحدث في لغات العالم جميعها، فمثلاً اللغة الفرنسية المستعملة في القرن العشرين، قد طُعمت بمفردات ومصطلحات كثيرة تماشياً مع التطورات الحاصلة وطنياً ودولياً، أما المستويات: الصوتية والصرفية والنحوية فلم يطرأ عليها أيّ تغيير، وقد يستثنى ظهور أساليب جديدة، وهذا له علاقة بتوظيف اللغة لا باللغة ذاتها، حيث وُجد الاختلاف والتفاوت بين أساليب الكتاب والأدباء منذ القدم، « والحقيقة أنّ نشوء الأنظمة المدرسية النحوية... يعطينا الحق في أن نعتبر اللغة العربية -ابتداءً من شواهد النصية القديمة كالشعر العربي القديم وحتى ظهور عربية متأخرة، وهي العربية المكتوبة المعاصرة- لغة واحدة وأن نطلق عليها اسم (العربية الكلاسيكية) (klassisches Arabisch)، لأنّ الالتزام بالمعيار المدرسي هو الذي يميّز بين المثقفين وغير المثقفين... ولذا ينبغي أن ينظر إلى مصطلح (العربية الكلاسيكية) ليس باعتباره مصطلحاً دالاً على تاريخ اللغة؛ بل بوصفه إشارة إلى واقع اجتماعي لغوي». ⁽²⁾ وقد أبرز الباحث إسماعيل أحمد عمارة أهمّ المآخذ لهذا المنهج، « ومن مآخذ تطبيق هذا المنهج على العربية، أن المفهوم الاستشراقي للعربية، يرى تاريخ اللغة أيّ لغة على أنّه سلسلة من المراحل المتباعدة تدريجياً، حتى يصبح الفرق واسعاً

¹ - ينظر: الشوربجي، عبد الحليم. الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين حول العربية. في المجلة العربية، الرياض، 1440هـ - 2018م. 265. ص 65. عن الأساس في فقه اللغة العربية. إشراف المستشرق الألماني فيشر (ص16). تر وتعليق د سعيد بحيري. القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1422هـ-2002م. ط1. مدخل إلى علم اللغة الحديث، عبد الفتاح البركاوي. ص89. القاهرة مكتبة أنجلو المصرية 1426هـ-2005م. ط4.

² - عمارة، إسماعيل أحمد. بحوث في الاستشراق واللغة. ص 432.

بين ماضي اللغة وحاضرها، ويشمل الاتّساع في الفروق بين المراحل اللّغوية في جميع الجوانب اللّغوية من نحو وصرف وصوت ومعنى، أما المفهوم السائد للعربية، فهو يقوم على أنّ للعربية وضعاً خاصاً يميّزها في تطوّرها عن اللّغات الأخرى بحكم ارتباطها بالقرآن الكريم⁽¹⁾. وهذا ما فهمه بعض المستشرقين ومنهم من تمسّك بهذه النظرة التّاريخية، والدّليل على ذلك انتشار مصطلحات العربية القديمة أو الكلاسيكية والحديثة والجديدة والمعاصرة وغيرها من المصطلحات التي تعكس استمرار التّأثير، وهذا ليس في أوساط المستشرقين فحسب؛ بل بين اللّغويين العرب أنفسهم. ومن الآثار على العربية فكرة المعجم التّاريخي، التي حاول المستشرق فيشر تجسيدها من خلال مجمع اللّغة العربية في القاهرة، وفعلاً بدأ العمل، لكنّه لم يتمكّن من إنجائه.

2-2- اللّغة العربيّة والمنهج المقارن: بادر المستشرقون إلى تطبيق المنهج المقارن على اللّغة

العربية، مع بداية ظهوره، وقد اعترف العرب بفضلهم في هذا المجال، « وكان للمستشرقين جهد مشكور في مجال تطبيق المنهج المقارن على فصيلة اللّغات السّامية. وللّغة العربية مكانة مميّزة في الدّراسات السّامية المقارنة للمستشرقين، ودعا اللّغويون الألمان منهم نولدكه وبروكلمان وبرجستراسر وولفنسون واينو ليتمان، وفيشر إلى عدّها صورة قريبة من السّامية، لاحتفاظها بكثير من الخصائص المشتركة... ولهذا ليس بغريب أن يتطوّر المنهج المقارن، وتطبيقاته في العربية على أيدي المستشرقين، وأن تكون الدّراسات اللّغوية المقارنة من أظهر دراساتهم⁽²⁾. » ما يلاحظ أنّ أهمّ المستشرقين الذين تناولوا اللّغة العربية من زاوية مقارنة هم الألمان، وهذا ما قد يعكس النزعة العلمية لديهم أكثر من غيرهم مقارنة بالفرنسيين على سبيل المثال.

اهتمّ مجموعة من الباحثين العرب بتتبّع أثر المنهج المقارن على اللّغة العربية أو بتطبيقه عليها وذلك في المستويات الصّوتية والصّرفية والنّحوية والدّلالية. أمّا من الدّراسات التي تخصّصت في الجانب الصّوتي، فهناك دراسة الباحثة آمنة صالح الرّعي، « يبحث هذا الكتاب في قضية مهمة من قضايا الدّرس اللّغوي المقارن، وهي قضية التبدلات الصوتية في العربية واللّغات السّامية، والحاجة ماسة إلى

1 - عمارة، إسماعيل أحمد. بحوث في الاستشراق واللّغة. ص 328.

2 - الشوربجي، عبد الحليم. "الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين حول العربية". ص 72. عن عيد الحسن عباس. العربية في ضوء المنهج المقارن دراسات المستشرقين الألمان نموذجاً. في مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، كلية الآداب. ع12.

موضوعات علم اللّغة المقارن، كما أنّ قضايا التّحوّل الصوتي في اللّغة العربية بحاجة إلى أن تدرس ضمن منظومة اللّغات التي تسمى اللّغات السّامية، لأنّ دراسة هذا التّحوّل في لغة واحدة لا يُفضي إلى نتائج دقيقة، كما هو الحال عند مقارنتها باللّغات التي تنتمي إلى الفصيلة نفسها، لأنّه عند ذلك سيُصار إلى اكتشاف القوانين العامة التي تحكم خطّ اللّغة في سيرها التّطوري...»⁽¹⁾ وقد اعترفت الباحثة أنّ البحث في هذا المجال قليل لدى العرب، في حين لا يخلو منه بحث للمستشرقين.

كذلك تناول الباحث إسماعيل عمايرة أثر هذا المنهج على العربية، ومما أورده، (كان لاستخدام المنهج المقارن في دراسة العربية آثار كثيرة على كافة مستوياتها المعجمية والصوتية والصرفية وغيرها فعن طريقه يمكن التّمييز بين اللفظ الأصيل والدّخيل والمعرّب والدّخيل، الذي وفد على العربية من لغات أخرى، والفترة الزمنية التي استعارت فيها العربية الألفاظ الدّخيلة إلى غير ذلك).⁽²⁾ ومن الأمثلة التي ذكرها الجانب الصّرفي، «... ساعد المنهج المقارن كذلك على تبين كثير من الصيغ الصرفية التي تأثرت فيها العربية بغيرها، ومن هذه الأوزان: فَعْلِل، نحو: نَرَجِس، وفاعِلٌ نحو: آجَر، وفُعَالِل، نحو: سُرَادِق، وفَاعِل، نحو: هَابِل، فقد تنبّه بعض القدماء إلى أنّ هذه الصيغ ليست أصيلة في العربيّة».⁽³⁾ كما تناول بعض الموضوعات النّحوية التي اهتمّ بها هذا المنهج، «فالملاحظ أنّ كثيرا من أوجه الشّبه قائمة بين اللّغات السّامية في تراكيبها النّحوية، فقليل ما يقع الخلاف بصورة جوهرية في تراكيب هذه اللّغات، كأن يكون موضع الفعل في الجملة الأكادية في نهاية الجملة، وذلك بتأثير من اللّغة السومرية والسومرية لغة غريبة عن اللّغات السّامية، ولكن الأكادية نمت وترعرعت على الأرض السومرية فتأثرت بها في بعض الجوانب...».⁽⁴⁾ أورد الباحث أمثلة كثيرة عن الدراسة المقارنة للغة العربية.

ومن الدّراسات التي رجع إليها البحث كذلك، ما قام به الباحث عبد الحليم الشوربجي، الذي مثّل للمستويات اللّغوية، (فعلى المستوى الصّرفي خلص العلماء إلى أنّ صيغة (أفعل) الدّالة على التّعدية في العربية تقابلها صيغة (هفعل) في العبرية والآرامية القديمة، وصيغة (شفعل) في الأكادية والأجرامية

¹ - صالح الزغبى، أمانة. في علم الأصوات المقارن التّاريخي للأصوات في اللّغة العربية واللّغات السّامية. الأردن، دار الكتاب الثقافي، 2008م. دط. ص 1.

² - ينظر: عمايرة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللّغوية. ص 63.

³ - المرجع نفسه. ص 76.

⁴ - المرجع نفسه. ص 66.

والعربية الجنوبية. وفيما يتصل بالمستوى النحوي، فالظاهرة التي توقّف عندها العلماء، هي ظاهرة الإعراب، التي لاحظوا أنها سامية الأصل، وتشترك فيها مع العربية والأكدية والأجرياتية، وبعض الحالات في الحبشية والعبرية. وكذلك الأمر في الجانب الدلالي، إذ تبين أنّ معظم الكلمات الأساسية تشترك فيها اللغات السامية، مثل: النَّاس، الذَّكر والأنثى الابن، الأم، الأب).⁽¹⁾ وهذه قبسات ليس إلّا تعكس الفوائد التي استنبطها الباحثون من تطبيق المنهج المقارن على العربية. وقد أورد الباحث جدولا قارن فيه اللغة العربية مع السامية وغيرها من اللغات السامية.

جدول يمثل نموذج مقارنة بعض الحروف بين العربية والساميات⁽²⁾

السامية	الفصحى	العبرية	الآرامية	الأكدية	الحبشية
ث	ث	ش	ت	ش	س
ذ	ذ	ز	د	ز	ز
ظ	ظ	ص	ط	ص	ص
ض	ض	ص	ق + ع	ص	ض

يمثل هذا الجدول بعض الأصوات التي تغيّرت عبر الأزمنة المختلفة، وذلك بين اللغات المصنّفة جزيرية (سامية)، فمثلا حرف الثاء بقي نفسه في العربية، وتحول إلى شين في العبرية والأكدية، وإلى تاء في الآرامية وإلى سين في الحبشية. والملاحظ أنّ هناك تطابقا بين خانات اللغة العربية كلها مع الأصل الذي قورنت به ومن هنا حكم العلماء بأن اللغة العربية هي من أكثر اللغات قربا من الأصل لحفاظها على أكثر خصائص اللغات الجزيرية. (مع التذكير بضرورة إعادة النّظر في مصطلح السّامية).^{*}

ومن النتائج التي توصّلوا إليها كذلك، انطلاقا من مقارنة اللغات إقصاء بعض الشعوب، والرّفع من شأن شعوب أخرى، « من المعلوم أنّ أوروبا في عصر القوميات، قد اهتمت اهتماما كبيرا بعلم السلالات البشرية ومحاولة تأصيلها، والانتصار لعرق على عرق، بإثبات تفوقه لغويا وحضاريا فراحوا يجمعون لغات الشعوب المتباينة، ويقارنون في ما بينها على نحو ما فعل إدوارد سابير (E. Sapir) (1884-1939) في

¹ - ينظر: الشوريجي، عبد الحليم. الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين حول العربية. ص 74. عن مدخل إلى علم اللغة الحديث. البركاوي. ص 83.

² - المرجع نفسه. ص 73.

* يذكر البحث أنّ الباحثين العرب اقترحوا تسميات كثيرة لتحل محل السامية، ذكرت في المبحث الأول من الفصل الأول، في تصنيف العربية، منها: (العروبية، العربية القديمة، الجزيرية...).

دراسة اللغات الهندية الأوروبية بتوجيه من عالم السلالات البشرية بواس (F.Boas)، وكما فعل أوليفر باسليين الذي كان ينتصر لقوميته الفرنسية - في حرب الأعوام المئة-بالسخرية من اللغة الإنجليزية، إذا ما قورنت باللغة الفرنسية في نطقها»⁽¹⁾ وعموما قيل إنَّ التوجّه العرقي طغى على الدّراسات اللّغوية في القرن التّاسع عشر، إذ هدفت الكثير من الدّراسات القائمة على لغات غير أوروبية إلى بيان أنّ اللّغات غير الأوروبية أقلّ تطوّرا من اللّغات التي تعود إلى فصيلة اللّغات الهندية الأوروبية، ومن أبرزها مقولات رينان.⁽²⁾ وقد بذل المحتلون الفرنسيون والإنجليزيون وغيرهم جهودا كبيرة، لإحلال لغاتهم مكان لغات الشعوب المحتلة ففي الجزائر، مثلا حاولت فرنسا إقصاء العربية ونشرت الفرنسية، وحاولت إقناع الجزائريين أنّ اللغة الوحيدة الصّالحة للعلم والحضارة هي الفرنسية، وهي أفكار للأسف مازالت منتشرة، إلى يومنا هذا لدى الكثيرين من أبناء الجزائر؛ بل لدى الكثير من العرب المسلمين، رغم تغيّر المعطيات وتراجع الفرنسية.

2-3- اللغة العربية والمنهج الوصفي: يعدّ هذا المنهج بحق أكثر المناهج التي أثّرت في اللغة

العربية وطريقة دراستها، حيث أحدثت تغييرات كثيرة، يشهد الباحث آثارها إلى يومنا هذا، « لعلم اللغة الحديث أثر عميق في تغيير نظرتنا إلى اللغة ووظيفتها وأثرها في الفرد، وأهمّ النّقاط التي أسفر عنها هذا العلم أن ليس هناك لغة أحسن من لغة، للغة مجرى، ولا اعتبار للكتابة وقواعدها، إنّما الاعتبار للفظ، ولا كيان للغة دون الإنسان الوحدة الكلامية هي التعبير التّام»⁽³⁾ لا بدّ أنّ تطبيق هذا المنهج كما هو على اللغة العربيّة من شأنه أن يقضي عليها وعلى كل ما تحمله، وأوّل مُستهدف هو القرآن العظيم. فلو أنّ هذه النّظريات طُبّقت تماما كما دعا أصحابها إليه، لكان النّتائج وخيمة، إذ لا اعتراف لديهم بما هو مكتوب. وحينها وحدهم المختصون في علم الآثار سيتمكّنون من قراءة التّراث العربي تماما كما حدث مع اللّاتينية، « يعتبر علم اللّغة (الغرب) أنّه لا سلطة عليا إلّا للنّاس، وما يقولونه هو الصّحيح، فإذا كان صرف العاميّة ونحوها يختلفان عن صرف الفصحى ونحوها، فليس معنى هذا أنّ العاميّة خطأ أو لغة رديئة، هي خطأ بالنّسبة إلى الفصحى وليس بالنّسبة إلى ما يقوله النّاس، فما يخالف ما عليه الجمهور هو الشذوذ بعينه»⁽⁴⁾ لا يمكن إنكار حقيقة استعمال العامية في الحياة اليومية، وهذه

1 - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 46.

2 - ينظر: المزني، حمزة بن قبلان. "مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة". ص 14.

3 - ينظر: فريحة، أنيس. نظريات في اللغة. ص 47.

4 - المرجع نفسه. ص 51.

الظاهرة موجودة في اللغات جميعها، إلا أنه لم يُسمع أبداً عن أمة أنها ألغت لغة الكتابة واعتمدت اللهجات وعلى رأسها فرنسا التي طالما بذلت الجهود لإقصاء الفصحى ونشر العامية.

أما الانتقال من الفصحى إلى العامية، فيفسره أنه « اختفت في القرن الثامن عشر وظيفة الباحث اللغوي القديمة، ولم يكن الدارس ليترك دراسته، ليتكلم مع أبناء العربية لغة حديثهم اليومي، ولكن بحلول نهاية القرن التاسع عشر، وعندما بدأ عدد الباحثين الذين يزورون العالم العربي يزداد، اكتشفوا أن العاميات تختلف عن اللغة التي تعلموها من الكتب اختلافاً كبيراً، بناءً على ذلك بدأ هؤلاء العلماء يدرسون اللهجات هناك، وفي 1820م أنشئ كرسي لتدريس اللهجات العربية، بمدرسة اللغات الشرقية بباريس».⁽¹⁾ من هنا يتبين عدم صلاحية هذه المناهج للتطبيق على اللغة العربية، فما يقوله الناس يتغير بتغير الزمان والمكان، ويتغير حاجياتهم، ولولا انضباطهم بقواعد تحفظ اللسان، لاستحال أخذ العلم والحضارة، عمّن سبق من أقوام. وفي حال العربية، ما أمكن الاستفادة مما تركه العلماء في شتى المجالات، وانقطعت الصلة بهم.

إذا أحسن الظن في الغربيين، وحاول الباحث العربي أن ينظر إلى أعمالهم هذه نظرة موضوعية فيمكن القول: إنّ « المستشرق مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يدور حوله من حركات علمية ونبض حضاري ينتمي إليه، ولعلّ في هذا ما يفسر الدهشة والاستغراب اللذين يرتسمان على وجه المسلم، وهو يقرأ كتابات المستشرقين، فهم يقيسون الأمور بموازين مختلفة إلى حد كبير عن مقاييسنا واختلاف المقاييس هو الذي أوقع كثيراً من المستشرقين في الخطأ، وهم يزنون بها ثقافة أخرى مختلفة، كما أوقعنا ذلك في خطأ مقابل، حين أقدمنا على تقويم أعمالهم دون معرفة كافية بطبيعة مناهجهم، ومستلزماتها والاستنتاجات المترتبة عليها».⁽²⁾ ففي هذه الحالة يكون الخلل على مستوى قراءة المناهج وفهم الآخر. ومن النتائج التي انعكست على العربية، الاهتمام بالجانب الصوتي في دراسة العربية، لأنّ المنهج الوصفي تأسس على المنطوق، وهم يرون بأنّ التغيير يظهر فيه، عكس المكتوب، أي على أساس الصوت، وهو ما دفعهم للاهتمام بالعاميات، وأدى إلى ظهور علم اللهجات واللسانيات الجغرافية وشرعوا في البحث عن الخصائص الصوتية للهجات، والمناطق التي تنتشر فيها، وقد ترك الفرنسيون

¹ - ينظر: فريستينغ، كيس. اللغة العربية تاريخها. ص 16.

² - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 18.

كما هائلًا من المؤلفات والمعاجم المهمة بالعاميات، وأدى هذا المنهج إلى توجيه نقد لاذع للنحاة العرب القدامى نظرا لمعياريتهم، وللمحدثين لتمسكهم بقواعد وضعت منذ قرون ووُصِف هذا التيار بالجمود.

3- أثر المناهج الغربية في الباحثين العرب:

انعكس تطبيق المناهج الغربية سلبا على مجالات كثيرة، حيث بثت أفكارا كثيرة في عقول الأدباء والباحثين، مثل محاولة الفصل بين العربية والإسلام، (وبدأت في القرن السابع عشر حركة تبادل كبيرة بين الموارنة العرب والمؤسسات العلميّة، التي كانت غالبا مؤسسات دينيّة في فرنسا وإيطاليا، لم يهتموا بالتوفيق بين الإسلام والأفكار الغربية، لم تكن فكرة الخلافة الإسلامية مستحسنة لدى المسيحيين الشرقيين، فأكدوا على الفصل بين اللغة العربية والإسلام).⁽¹⁾ وهي أفكار امتدت عبر الزمان، لتصل إلى هذا الجيل، إذ ينادي بها الكثيرون، بما فيهم المدافعون عن الإسلام، بنية حسنة بالتأكيد، وحبّتهم في ذلك، أنّ الإسلام دين العالمين، وليس ديناً للعرب فحسب، وأدخل هذا الإشكال الأمة الإسلامية في صراع، فهل ستُعرف بدينها أو بلغتها أو بهما معا؟ «... والملاحظ أنّ العرب اختلفوا حول شكل أمّتهم المستقبلية، ففي حين رأى بعضهم منهم شكيب أرسلان (1896-1946)، أنّ الدّين واللّغة متلازمان وبالتالي تعرف الأمة بدينها، وبما أنّ العرب، هم قلب الأمة الإسلامية، فالعربية هي اللغة الحقّة للإسلام أمّا ساطع الحصري (1880-1968)، فقد كان معارضا، إذ يرى أنّ اللّغة هي المحدّدة للأمة...».⁽²⁾ سبق التأكيد في موضع سابق على أنّ العربية، ما كانت لغة علم عالمية في عصر من عصور الأمة الإسلامية إلّا بفضل الإسلام، ولولا الإسلام ما سمع بها غير أهلها، وهذا باعتراف العرب والغرب على حدّ السواء. إذ قد يؤدي غياب الإسلام إلى غياب اللّغة العربية، لكن غياب اللغة العربية لا يؤدي بالضرورة إلى غياب الإسلام، وإن كان في ذلك نظر؛ فكلاهما متلازمان، والدليل على ذلك ما حدث في تركيا، إذ رغم أنّها تخلّت عن اللغة العربية رسميا، إلّا أنّ الإسلام منتشر فيها، كما أنّ تبني فكرة الأمة العربية، دون الإسلامية يقصي المسلمين من غير العرب، وليس هذا لائقا، فالدين يوحد ويجمع بين جنسيات ولغات مختلفة، أما معيار اللغة وحده فيفرّق ما وحده الدين، وهنا الدّين لا يفرّق بين الشعوب، فالمسلم يتعامل مع كل الجنسيات والأديان.

¹ - ينظر: فريستيج، كبس. اللغة العربيّة تاريخها ومستوياتها وتأثيرها. ص 198.

² - المرجع نفسه. ص 199.

وبالمقابل، هناك حقيقة لا يمكن إنكارها، وهي أنّ اللغة العربية هي المفتاح، لفهم القرآن الكريم. وفعلًا يشهد العالم الإسلامي حاليًا، تيارات وجماعات دينية كثيرة تدّعي جميعها، أنّها هي السائرة في طريق الحق الذي دعا إليه الله سبحانه وتعالى، ولا يهتدي المسلم إلى الحق، إلّا بالعودة إلى القرآن الكريم وسنة النبي الكريم ﷺ المطهّرة. وهناك من يتحدّث عن وجود ترجمات للقرآن الكريم وللأحاديث النبوية الشريفة، التي تغني عن تعلّم اللغة العربية للأجانب، ويعلم الجميع أنّه يستحيل ترجمة القرآن الكريم؛ إن هي إلّا محاولة لترجمة معانيه، وليس من قرأ الترجمة كمن قرأ القرآن العظيم، وهذا أمر أجمع عليه العلماء.

لكن قبل مواصلة تحليل هذه الآثار، يجب أن يعرف القارئ الكريم، أنّه إذا لقيت هذه الأفكار تجاوبًا لدى العرب عامة، وبعض المسلمين بخاصة، فهذا قد يرجع إلى ميزات في المستشرقين لا بدّ من الاعتراف بها، وهي من بين الأسباب والعوامل التي بوّأتهم مكانة تصدرّ منابع العلم والمعرفة والتحكّم في توجيه تفكير الآخرين، ألا وهي إخلاصهم لأوطانهم، وسعة الاطلاع والمثابرة، فعندما تسمع عن مستشرقين قضوا حياتهم كلّها بين الكتب، بحثًا وجمعًا وقراءة وتحقيقًا ودرسا وتأليفًا وترجمة، وتنظيرًا لا شيء، سوى لتحقيق أهداف سطرّوها وسعوا لها؛ وهو ما ألهّم لتصدّر أعلى المناصب والمراتب ليس في جامعاتهم فحسب؛ بل في الجامعات العربية، حيث كانوا يلقون كلّ الاحترام والتبجيل، وأثّروا في الكثيرين أيّما تأثير، فكيف للباحث أن يمتنع عن الإعجاب بأناس سخروا حياتهم لدراسة لغة ليست لغتهم؛ فقد يُنظر إلى من يخدم لغته ويضحّي من أجلها بأنّه أمر عادي؛ بل هو واجبه، بما أنّ الله حباه بقدرات ومؤهلات تمكّنه من ذلك، لكن العجب كل العجب أمام مضحٍ من أجل لغة أجنبية، وإن كان ذلك بالطبع من أجل أوطانهم، « وكان الدّكتور طه حسين يمتدح اتّجاه الجامعة في تدريس الأدب العربي على الطّريقة الاستشراقية الحديثة، فيقول: إنّّه كان سنة 1915 في مصر مذهبان أحدهما مذهب القدماء، والآخر مذهب الأوروبيين استحدثته الجامعة المصرية بفضل الأستاذ (نيلنو) ومن زامله، وخلفه من المستشرقين مثل (جويدي) و(فييت)، وقد عهدت إليهم بدرس تاريخ الأدب، فدرسوه بمناهجهم الحديثة، فعلموا الطلاب كيف يبحثون... وكيف نتصور أستاذًا للأدب العربي، لا يلمّ ولا ينتظر أن يلمّ بما انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة، وإنّما يُلتمس العلم عند هؤلاء النّاس ولا بدّ من التماسه عندهم حتى يُتاح لنا، نحن أن ننهض على أقدامنا

ونظير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء النَّاس من علومنا وتاريخنا وآدابنا...»⁽¹⁾ يمكن النَّظر في هذا القول من زاويتين مختلفتين إذا صحَّ القول، تتمثل الأولى في التأثير الكبير للأديب بالمستشرقين وهو غير ملام على ذلك، فقد أخذ عنهم بعض معارفه، وتتلذذ على أيديهم، ومن أخلاق طالب العلم الوفاء لمعلمه والاعتراف بفضله، وقد أغرق المستشرقون معظم الأدباء العرب في فيض مناهجهم وعلومهم وإنتاجهم ودراساتهم، فكيف لهم أن يتصلوا من كل ذلك؟ الزاوية الأخرى التي يبدو أنها مناقضة للأولى، وهي وعي هؤلاء الأدباء بأنَّ المستشرقين والغرب عموماً، قد استولوا على كل ما هو إيجابي في الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما يظهر في القول السابق؛ «... ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء النَّاس من علومنا وتاريخنا وآدابنا». هناك تقابل بين إعجاب بالآخر وخضوع له، وفي الآن ذاته إنكار لفعل الآخر، وقد يكون نوعاً من التَّعاشيش؟ أو يمكن تفسيره بما ذكره العلامة ابن خلدون، وهو (أنَّ المغلوب مولع بتقليد الغالب).

كما دعا الغرب والمستشرقون بخاصة، إلى الفصل بين الدين والعلم، «... كانت هناك جهود كبيرة لخلق دولة علمانية، كما فعل أتاتورك، إلا أنَّ الإسلام كان أقوى»⁽²⁾ ومما جاء على لسان أرنست رينان: «حارب الإسلام العلم والفلسفة»⁽³⁾ وقد يكون هذا جراً عملية الإسقاط التي اعتمدها المستشرقون إذ حاربت الكنيسة العلم والعلماء لفترة طويلة، «وأُحرق في رومة الرَّاهب الفيلسوف الإيطالي (جوروانو برونو)، لأنَّه نادى بضرورة العلم وضرورة التجربة، وبحرية التفكير... فاتَّهم بالمروق والهرطقة وأُحرق. والراهب البوهيمي الدكتور جونسون هيس أُحرقوه بالنَّار عام 1415م، لأنَّه كان يخطب باللغة البوهيمية التي يفهمها النَّاس لا اللاتينية، ويخالف تحجّر الكنيسة، وكذلك أُحرق الرَّاهب الهولندي هرمان فان ديزويك، بتهمة الهرطقة سنة 1512م، لاتباعه مذهب أرسطو وفلسفة ابن رشد»⁽⁴⁾ وكانوا يبررون أعمالهم هذه، بنصوص من كتابهم السماوي المحرّف،* «لا يخدعنَّ أحد نفسه، إن كان أحد يظن أنَّه حكيم بينكم في هذا الدَّهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً، لأنَّ حكمة هذا العالم، هي جهالة عند

1 - نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون مجعيون. ص 85.

2 - فريستنج، كيس. اللغة العربية تاريخها وتأثيرها. ص 199.

3 - ينظر: حسنين، محمد صلاح. دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن. ص 98.

4 - المرجع نفسه. ص 102.

* لا يمكن لدين سماوي أنزله الله سبحانه وتعالى خالق الأكوان العليم الحكيم أن يحارب العلم والعلماء؛ بل هذا مما أدخله رجال الكنيسة خدمة لمصالحهم الشخصية.

الله لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم، وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة، لا يفخر أحد بالناس...»⁽¹⁾ وورد في الرسالة نفسها: «اختار الله جهال العالم ليُخزي الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء»⁽²⁾ هذا شيء يسير، ممّا لقيه العلماء من تعذيب وإقصاء على يد رجال الكنيسة وهو من بين الأسباب التي جعلت الغرب في العصر الحديث، يتّخذ موقفاً سلبياً من الدين، ويسعى جاهداً لفصله عن العلم، ومن أشدّ البلدان تشدداً في هذا الأمر فرنسا، وكما هو معلوم، هي الأكثر تأثيراً في الشمال الإفريقي، وهو ما بدأ للأسف الشديد ينتقل إلى العرب، رغم أنّ الإسلام مجدّ العلم؛ بل وجعله مفتاحاً لكل خير.

يرى الباحث علي بن إبراهيم النملة أنّه «لابدّ من التّركيز على أثر البعثات التّعليمية الإسلامية إلى الغرب، وتأثيرها الإيجابي في رحلة التّعارف بين الأمم سواء ذهبوا لدراسة العلوم الإسلامية أم العلوم العلمية والتّطبيقية، التي تحتاج إليها البلاد الإسلامية التي أرسلتهم... حيث نجد لديهم تأثر البعد الروحي سلباً، حيث تلقوا بطريقة غير مباشرة ضرورة الفصل بين العلم والروحانيات، وهو المتعارف عليه في الثقافة الغربية، حيث عمل بعضهم على دسّ هذه الأفكار العلمانية، التي تفصل بين الدين والعلم؛ بل والحياة العملية ككل»⁽³⁾ وما يؤسف له أنّ هذه الظاهرة اتّسعت مؤخراً بين بعض المسلمين، وما أكثر ما يُسمع في بعض الأعمال والمناقشات العلميّة، عن ضرورة الالتزام بالموضوعية، وإقصاء كل ما هو دين، بحجة الموضوعيّة تارة، وبحجة احترام الآخر، وكأنّ الدين وُجد ليُحصر في المساجد والصّلات ولم يأت مشرّعاً للحياة بأكملها، مع أنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، [سورة المائدة، الآية: 48]. الآية واضحة ولا تحتاج إلى تفسير، لقد جاء الإسلام وكتابه القرآن العظيم، ليكون منهجاً وطريقاً يلزمه المسلم في كلّ شؤون حياته. ولا يمكن بأيّ حال إسقاط حال المسيحيين على المسلمين.

1 - حسنين، محمد صلاح. دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن. ص 98. عن رسالة بولس إلى كورنثوس: 21-8/3.

2 - المرجع نفسه. ص 98. عن رسالة بولس إلى كورنثوس: 27/1.

3 - النملة، علي بن إبراهيم. نقد العقل المعاصر: صناعة الكراهية بين الثقافات، وأثر الاستشراق في افتعالها. ص 67، 68.

ومن جهة أخرى، « ... فَإِنَّ تَبَعِيَّةَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْحَضَارَةِ، بِشَكْلِ عَامٍ لِلشَّرِيعَةِ كَانَتْ مِنَ الْعَوَامِلِ الْفَاعِلَةِ فِي تَحْدِيدِ جَوْهَرِ الصَّلَةِ، الَّتِي نَسَجَهَا الْإِسْلَامُ مَعَ أُوْرُوبَا لَكِنْ... وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي انْبَهَرَتْ فِيهَا بِالْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَقَفَتْ مَذْعُورَةً أَمَامَ رُوحَانِيَّةِ الْإِسْلَامِ وَعَالَمِيَّتِهِ. وَبِالتَّالِيِ اقْتَبَسَتْ عَنْهَا الْمَعْرِفَةُ وَنَظَرَتْ بِقَلْقٍ كَبِيرٍ إِلَى الْعَقِيدَةِ...»⁽¹⁾. مَتَّخِذَةً كُلَّ سَبِيلٍ لِقَطْعِ صِلَةِ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِهِمْ، وَمَحَاوِلَةً إِقْنَاعَهُمْ بِمَا يَخَالِفُ الْحَقِيقَةَ، بِأَنَّ دِينَهُمْ هَذَا هُوَ سَبَبُ تَخَلُّفِهِمْ وَجَهْلِهِمْ، وَيَا لِلْعَجَبِ، وَفَعَلُوا الْمُسْتَحِيلَ لِتَحْوِيلِ هَذِهِ الْخُدْعَةِ إِلَى حَقِيقَةٍ فِي عُقُولِ الْكَثِيرِينَ، رَغْمَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ يَعْلَمُهَا الْجَمِيعُ نَوْرَهَا سَاطِعٌ لَا تَخْفِيهِ الْحُجُبُ.

يكفي تتبّع مادة (ع، ل، م) في القرآن الكريم لتأكيد ذلك، حيث تكررت المادة اثنتين وثمانين وخمسمائة (582) مرة، ووردت في سورة البقرة الآية الثانية بعد المائة (102)، ست (6) مرات، ومن الآيات الواردة، قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، [سورة البقرة، الآية: 151]. إذاً مدار الإسلام كله حول العلم، ولا يقول العكس إلا من جهل هذا الدين العظيم، لعلّ خير دليل على أهميّة العلم في الإسلام، أن أول أمر وكلمة نزلت وخطب بها نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، هي الفعل (اقرأ). قال الله العليّ العليم الحكيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، [سورة العلق]. وكذلك في قوله عزّ من قائل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾، [سورة الرحمن]. ووردت كلمة علماء مرتين. في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَّعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ (197)﴾ [سورة الشعراء]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾، [سورة فاطر]. ووردت كلمة (عالم) في صيغة المفرد ثلاث عشر (13) مرة، في: (سورة الأنعام، التوبة، الرعد، المؤمنون، السجدة، سبأ، فاطر، الزمر الحشر الجمعة، التغابن، الجن)، وكلّها مقترنة بوصف الله سبحانه وتعالى، بعلم الغيب، والنقرّد بذلك منها: قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)﴾، [سورة المؤمنون]. وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)﴾، [سورة الرعد]. هذه الآيات خطاب صريح من الخالق

¹ - الشامي، علي. "أيدولوجية المغلوبين أو موقف المسلمين من غلبة الغرب". في مجلة الإنماء العربي. بيروت، الفكر العربي، 1986م. السنة السابعة. ع42. ص 211.

عز وجل، موجد الخلق من العدم، وأنه لا علم لنا إلا ممّا علّمنا هو، فهل يعقل الفصل بين العلم، وهو من عنده سبحانه وتعالى وبينه ودينه، الذي ارتضاه لخلقهم؟ وكيف يبرر حينها أصحاب الموضوعية دعاء إقصاء البسملة والحمدلة والصلاة على نبيّنا الكريم ﷺ في البحث العلمي، إنّه لعجب عجاب أليس في هذا إنكار لكون هذا العلم والتّوفيق فيه من عنده هو وحده، وليس من عند أنفسنا؟ « فهذا موريس بوكاي يقول: كانت البلاد المسيحية في القرون الوسطى في ركود وتزمت مطلق، توقف البحث العلمي ليس بسبب التّوراة، وإنّما علينا أن نكرّر ذلك بأيدي هؤلاء الذين كانوا يدّعون أنّهم خدام التّوراة والإنجيل وبعد عصر النهضة في أوربة كان رد الفعل الطبيعي أن يأخذ العلماء بثأرهم من منافس الأمس. وهذا الثّار مستمر حتى اليوم لدرجة أنّ التّحدّث حاليا في الغرب عن الله في الأوساط العلمية -يعتبر فعلا- علامة الرّغبة في التّفرد. ولهذا الموقف تأثيره السيئ على العقول الشابة (والمسلمة منها أيضا)، التي تتلقّى تعليمنا الجامعي»⁽¹⁾ وهناك من يتخذ الهوية حجة لإنكار تضمين البحوث للدين، يقولون ماذا لو قرأ مسيحي بحثك؟ كيف سيفتتحه بالبسملة؟ هذا شيء يخص صاحب البحث؟!!

وهنا لابدّ للباحث من العودة إلى أصوله، والانعتاق ممّا أملاه الغرب عليه من مبادئ ومناهج بعيدة كل البعد عن هويّته؛ عقيدة وخلقاً وعملاً، فما ارتفع العالم إلّا بعلم أراد به وجه الله تعالى وخلق أرضاه به، والله رفع من قدر العلماء في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، [سورة المجادلة، الآية: 11]. وكما أعلى الله عزّ وجلّ العليم الحكيم قدر العلم والعلماء، فكذلك جاء على لسان نبيّه الكريم، فعن رسول الله ﷺ لما ذكر عنده رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، قال: « فَضَّلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ». [أخرجه الترمذي]. وعنه ﷺ: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِمُطَالِبِ الْعِلْمِ لِرِضَى اللَّهِ عَنْهُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ». [أخرجه الترمذي]. وكذا عرف القدامى قدر العلم، فارتفعوا وعلا قدرهم وشأنهم، وكم من أشعار وحكم قيلت في فضيلة

1 - النملة، علي بن إبراهيم. نقد العقل المعاصر: صناعة الكراهية بين الثقافات، وأثر الاستشراق في افتعاله. ص 69.

العلم: ومما جاء عن أبي الأسود الدؤلي رحمه الله تعالى⁽¹⁾.

الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ نِعَمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبًا
قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَالًا ثُمَّ يُحْرِمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْقَوْتُ وَالسَّلْبَا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذُّخْرِ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

والسؤال المطروح: هل يمكن للباحث أن يتجرد ويتخلص من دينه وهو يبحث، أليس هذا الدين منهجا، فكيف يمكن التنصل منه إرضاء لمن سيقروءه؟ إن بروز الهوية وشخصية الباحث في بحثه لا تزيد بحثه إلا رسوخا وشموخا، ولا تشينه في شيء. وهل كان علمائنا الأجلاء قديما وحديثا غير موضوعيين، حين افتحوا كتبهم وأبحاثهم بالبسملة والحمدلة، وذكر الله سبحانه وتعالى لا يكاد يغادر صفحة من صفحات كتبهم بل؛ وكانوا يتبرّرون من حولهم وقوتهم، وينسبون ما كتبوه إلى الله عز وجل الموفق إلى كل خير، والهادي إلى سواء السبيل، وهم علماء سمع بعلمهم واعترف بمكانتهم البعيد قبل القريب، ألم يتساءلوا لماذا لم يؤمر النبي الكريم ﷺ في بداية الوحي بالصلاة أو بالشهادتين وغيرها من الشعائر الإسلامية، لقد بُعث للناس كافة، ولئن اعترض الناس على العقيدة، فلا يمكنهم بحال إنكار العلم الذي حوته آياته، والإعجاز العلمي تحدّث عنه العرب والغرب، ومنهم الباحث موريس بوكاي* (Maurice Bucaille) « ودون أية فكرة مسبقة، وبموضوعية تامة أجدني أتوجّه أولا إلى الوحي القرآني، باحثا عن درجة التوافق بين نصّ القرآن ومعطيات العلم الحديث... استبان لي منها أنه ليس في القرآن تأكيد يمكن أن يُنقذ من الوجهة العلمية في هذا العصر الحديث...»⁽²⁾ وأكد هذه النتيجة التي توصل إليها بعد قراءة متمنة وفاحصة للقرآن بالعربية في خاتمة كتابه، « والوحي القرآني، وقد لحق بالوحيين اللذين سبقاه، ليس فقط خاليا من التناقض في النصوص، الذي هو ظاهرة كتابات الناس المختلفين

¹ - العلموي، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت 981هـ). المعيد في أدب المفيد والمستفيد: (فيه أدب العلم والمعلم والمتعلم وأدب الفتوى والمفتي والمستفتي وأدب المناظرة وشروطها وآفاتها والأدب مع الكتب وما يتعلق بها وغير ذلك). طبع أحمد عبيد. دمشق، المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان، دت. ص 7.

* موريس بوكاي طبيب فرنسي، نشأ مسيحيا كاثوليكيا، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود، ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسته للكتب المقدسة عند اليهود، والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث الذي ترجم إلى سبعة عشرة لغة منها العربية، ولد موريس بوكاي في مدينة بون ليفيك الواقعة في قلب ما يعرف ببلاد الأوج بإقليم نورماندي الأدنى شمال غرب فرنسا في التاسع عشر من جويلية 1920م. تلقى تعليمه حتى الثانوي في مدرسة كاثوليكية في مدينته الصغيرة.

² - بوكاي، موريس. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. تر: الشيخ حسن خالد. بيروت، المكتب الإسلامي، 1411هـ-1990م. ط3. ص20.

في الأنجيل؛ بل أنه يبرز للذي يمارس اختباره وتحليله بموضوعية كاملة في ضوء العلم، ذاتيته الخاصة به وهي الاتفاق التام مع النظريات العلمية الحديثة، ويكشف كما سبق حقائق من النوع العلمي، تجعل من المستحيل على رجل في عصر محمد ﷺ أن يكتبه...»⁽¹⁾ فأَيَّ حجة لمن يقول لابد من إقصاء الدين من العلم؟ يبدو أنه على المسلمين العرب مراجعة مناهجهم، التي ألقت حولها الكتب والمجلات، وأقيمت من أجلها الندوات والملتقيات والمؤتمرات، وقبل ذلك علينا بمراجعة أنفسنا، وتفكيرنا، فالمناهج هي نتاج عقول بشرية، ولا بد أن يلحقها النقص ولن يستفيد مخلوق من منهج ابتعد عن نهج الله عز وجل، مهما كانت آلياته وجنسياته ولغاته.

فُرضت المناهج الغربية على العرب في شؤونهم كلها؛ بل في أخص خصوصياتهم، إلى أن صارت مناهجهم هي الأصل، ومناهج العرب هي الفرع؛ بل حُولت إلى دخیل وشؤون خاصة وجب أن يحتفظ بها المرء لنفسه، و« قد يعتبر البعض ممن تأثروا بالمناهج الغربية في البحث، أن اتخاذ المعيار العقدي - الفكري - الحضاري مدخلا منهجيا في فهم المجتمعات العربية الإسلامية، جنوحا عن العلمية، لأن مفهوم العلمية في عرفهم، مقصور على هذا المنهج أو ذاك من المناهج الغربية في البحث، ولكن إذا تأكدت صحة الموضوعية القائلة إن النموذج المجتمعي العربي الإسلامي، يختلف اختلافا بينا وجوهريا عن نماذج المجتمعات التي عرفت أوربا، فهذا يجعل منذ البداية عملية تطبيق مناهج الغرب على تحليل المجتمعات العربية الإسلامية انحرافا عن سواء السبيل»⁽²⁾ ما حدث أن العرب صاروا يرون أنفسهم من خلال الصورة التي صنعها لهم الغرب والمستشرقون بخاصة، فيتفاعلون مع مدحهم تارة ومع ذمهم تارة أخرى، « واليوم أرانا تبهرنا هذه القمم الشامخة، وننتيه في عالم الخيال لما تذكره أقلام المستشرقين، وإن نكرتها يعترينا مركب النقص، وفي كلتا الحالتين، تصب هذه الدراسات في روحنا حرمانا مزدوجا، لا نستطيع التخلّص منه، إلا إذا تذكرنا السلم الذي وضعه المفهوم القرآني لیتسلقه الفكر الإنساني، حتى يصل على درجاته إلى تلك الإنجازات العلمية، التي تهيمن حتى اليوم على التقدّم التكنولوجي، مثل الحساب العشري أو الغباري، والجبر والكيمياء...»⁽³⁾ يكشف المفكر الجزائري مالك بن نبي عن حقيقة نفسية للعرب المسلمين، وهي تأثرهم الشديد بأحكام المستشرقين، وهو تأثر سلبي سواء أكان الحكم مدحا أو ذما، ولا يزول هذا الشعور السلبي

1 - بوكاي، مورييس. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ص 293.

2 - عبد الله، إبراهيم. العلاقة مع الغرب: الموضوع الإشكالية المنهج. الدار البيضاء-المغرب، بيروت لبنان، المركز الثقافي العربي 2000. ط 1. ص 89.

3 - بن نبي، مالك. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. ص 41.

إلا باستحضار القرآن العظيم، وما حققته الحضارة الإسلامية من إنجازات أثّرت في الحضارة العالمية إلى يومنا هذا. وهناك حقيقة مهمة يتجاهلها الكثير من المسلمين العرب، باستثناء الغرب الذي يعرفها جيّداً وهي ارتباط قوة الحضارة الإسلامية بكتاب الله العظيم، إذ أدرك الغرب هذا الأمر منذ البداية، وهو المفتاح الذي دخلوا به على المسلمين. صحيح بقي القرآن العظيم في قلوب الكثيرين وصدورهم وفي رفوف البيوت، لكن للأسف العمل به صار قليلاً؛ بل يأخذ الغرب بالكثير من أحكامه وحقائقه، فيما يردّ بعض المسلمين أكثره. إنّ الخطر الحقيقي الذي يحرق بالمسلمين، ولا سيّما العرب منهم، هو أنّ الغرب لم يعد مكتفياً بالاستيلاء على حضارتهم؛ بل هدفه يتجاوز ذلك، ليحوّلهم إلى آلات خلت من عقولها، لا تتحرّك إلا وفق برمجتهم فلا يأمرّون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا في ضوء تعليماتهم.

وبما أنّ أثر الإسلام في حضارة المسلمين كبير، فقد اتّخذوا كل سبيل ووظفوا كل وسيلة لتشويهه وتشويه القرآن العظيم وسنة نبيّه الكريم ﷺ، ولم يكتفوا بهذا؛ بل اهتموا بكل ما من شأنه أن يشكك المسلمين في عقيدتهم وعلمائهم، لصرفهم عن سرّ قوتهم، وتشهد على هذا مؤلفاتهم ودراساتهم، ويذكر كارل بروكلمان -للحقيقة والتاريخ، متناسياً كل سماحة الإسلام: «يتحتمّ على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين، حيث وجدهم، لأنّ محاربة غير المسلمين واجب ديني».⁽¹⁾ والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تجعل الدّخول في الإسلام واجبا، لكنه ليس بالإكراه. يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ...﴾، [سورة الكهف، الآية: 29]. وكذلك قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، [سورة الكافرون، الآية: 6]. فالمسلم مطالب بنشر الإسلام والدّعوة إليه، وليس مطالبا بالعداء؛ ديننا يأمرنا بالإحسان إلى الجميع، مسلما كان أو غير مسلم، وما أكثر مواقف الإحسان التي عاشها الرسول ﷺ والصّحابة رضوان الله عليهم مع غير المسلمين، وأشهرها قصة رسولنا الكريم ﷺ مع اليهودي الذي كان يؤذيه بوضع قمامته عند باب داره، وعندما انقطع اليهودي عن وضعها كالمعتاد قلق عليه صلوات الله عليه وسلامه، وزاره في بيته ليطمئن عليه، فترى لماذا لا ينشرون هذه المواقف؟ وقد كان إحسانه هذا، سببا في دخوله الإسلام، وما أكثر الذين أسلموا بسبب إحسان المسلمين، أو لما علموه من سماحة الإسلام. ولكن المسلم مأمور بالألّا يتّخذهم أولياء، فالولاء لله عز وجل، وألّا يكون تابعا لهم، وهو للأسف مما يحدث الآن.

¹ - حسنين، صلاح الدين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن. ص 10. عن تاريخ الشعوب الإسلامية وبروكلمان. ص 78.

ومن البحوث التي لمست إشكالية الاستشراق في علاقته بالمنهج، واتّخاذ أداة للتأثير في الآخر مقال بعنوان: (الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب)، ومما جاء فيه، « تتلخّص فكرة البحث بالدعوة إلى (الكشف) عن البعد المنهجي لـ (فعل الاستشراق) في تشكيل المعطى المعرفي، وفي تحليل إسهام المنهج بتشكيل صورة الآخر؛ والوصول إلى معطيات تخصّ المكشوف عنه، عبر استخدام أدوات منهجية، كانت وُضعت ابتداء لتكون أسس الوصول إلى الحقيقة، لكن قسما من المستشرقين جعلوا من المنهج والادعاء الأكاديمي وسيلة لتصنيع صورة الآخر، لأهداف وقصديات مختلفة...»⁽¹⁾ هذه زاوية من بين الزوايا التي يمكن من خلالها النظر إلى تأثيرات المناهج الغربية في الآخر، وحين يكون هذا التأثير في النخبة، عندها تتحقّق الأهداف والغايات دون عناء، لأنّ هذه الفئة من النخبة العربية المسلمة بوعي منها أو دون وعي، هي سترفع الشعار وتدافع عن أفكار الغرب على حساب هويتها بكل مكوناتها وهو للأسف ما يحدث في أرض الواقع، إذ كثيرا ما يُسمع من بعضهم ما لا يسرّ عن الإسلام وعن العرب، ويرون الخير كل الخير في الغرب والغربيين وأفكارهم ومناهجهم. ويجب تذكير المتحدثين من الغربيين عن العنف العربي، بالحروب الصليبية، فكيف تسمى هذه الحروب أليست عداء؟ بل وحشية لم تفرّق بين الصغير والكبير، ولا بين المرأة والرجل؛ بل وقبل ذلك إلى يومنا هذا، وما يحدث في فلسطين؛ بل في معظم الدول الإسلامية يعكس الحقائق ويكشفها، لكنهم حين يتعلّق الأمر بوحشيتهم يتّخذون لها تسميات أخرى أكثر رقة، فهو إصلاح تارة ووصاية تارة أخرى، إنّ الإسلام بريء من كل ما أسند إليه من تهم، ولا يحتاج إلى دفاع، وكما هو واضح من تسميته فهو دين سلم وسلام.

3-2- أثر مناهج المستشرقين حسب الباحثين العرب:

لا يمكن إنكار إيجابيات مناهج المستشرقين، إذ فتحت مجالات جديدة لدراسة اللّغة العربيّة، إلّا أنّها بالمقابل أدخلت على العربية ما ليس منها، «... وعلى هذا فقد تعاملوا مع العربية الفصحى على أنّها تمثّل صعيدين متقابلين متباينين، الفصحى القديمة ويسمونها العربية الكلاسيكية، على نحو ما يسمون اللغات القديمة؛ كاليونانية واللاتينية - وأمر الفصحى القديمة متروك لمحاولات المنهج التاريخي والتاريخي المقارن، كما هي الحال في اللّغات الأوروبية القديمة. وأما الصعيد الآخر، فهو الفصحى

¹ - المدرس، فارس عزيز، محمد الشيخ، زاهدة. "الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب". في مجلة آداب الرافيدين. العراق 1432هـ - 2011م. ع 60. ص 33.

المعاصرة، ويطلقون هذه التسمية على العربية التي تربط بين الناطقين بالعربية في أيّامنا على صعيد الحياة الثقافية والرسمية، وهي تحظى بالقيمة الحقيقية لمواصفات المنهج الوصفي بمقدار تحققها في الاستعمال المنطوق، وعلى هذا كانت العاميات العربية أقرب إلى تجسيد المعنى الحقيقي للغة في نظر الوصفيين⁽¹⁾. ومن نتائج هذا المنهج إنكار المعايير التي يدعو العلماء إلى احترامها، لأنها بالنسبة إلى الوصفيين تمنع تطور اللغة، وتقض عليها قيودا تجعلها اصطناعية وبعيدة عن الطبيعة، « تولّد عن اهتمام أصحاب المنهج الوصفي باللغة في صورتها المنطوقة -دون المكتوبة- أن غني هؤلاء عناية كبيرة باللهجات، وقد كان المنهج التاريخي لا يبالي بها كثيرا، لافتقار القديمة منها إلى الوثائق الكافية ولعدم اعتماد الحديث منها في الكتابة. فالشاعر أو الكاتب الذي يتكلم بلهجته الخاصة تراه يكتب شعره باللغة المتعارف عليها ثقافيا... ففي حين كانت المعيارية لا تعترف من اللغة إلا بالشكل المعياري الفصيح، فقد أسفرت الدراسات الوصفية إلى توجّه الدراسات اللغوية إلى مستويات: معيارية (standard language) لهجية (dialecte) لغة العامة (slang) لغة الخاصة تشيع في وسط حرفي ما (Jargon) المبتذلة (Vulgarisme)». ⁽²⁾ نتج عن هذا المنهج اعتراف باستعمالات لغوية كانت مقصاة قبلها من ساحة البحث اللغوي.

كما تحدّث اللغوي عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله، في مجال اللغة عن التأثير الأعمى بالمناهج الغربية، « وكان الذين أخذوا عن الأساتذة الغربيين، قد أبهرهم هذا المذهب إلى حدّ بعيد (حتى أبطل الكثير منهم) كلّ ما وصل إلينا من أسلافنا... وذلك مثل نقضهم المعيار، حتى كظاهرة واعتماد الوصف وحده... ثم حاول بعضهم تطبيق البنوية، ومناهجها على العربية كما هي، دون أيّ نظر أو نقد أو تمحيص سابق، ثم مضى زمان، حتى ظهر مذهب جديد، ألا وهو النّحو التّوليدي التّحويلي فتحمّس بعضهم له، وراحوا يطبقونه كما أخذوه على العربية...» ⁽³⁾ لا يؤاخذ الباحثون العرب على استفادتهم من المنهج الغربي؛ بل على إسقاطه دون تكييف ليتوافق مع المسقط عليه.

¹ - المدرس، فارس عزيز، محمد الشيخ، زاهدة. "الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب". ص 92، 93.

² - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 118.

³ - الحاج صالح، عبد الرحمن. بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. الجزائر. موفم للنشر، 2012م. دط. ج 2. ص 279.

تناول الأستاذ أبو فهر محمود شاكر قضية تطبيق المناهج الغربية في مجال الأدب العربي وعبر بوضوح عن سلبياتها، « وإذن فكيف نشأ الخلاف، ولما نشأ الخلاف، بيني وبين هذه (المناهج الأدبية) السائدة، التي كانت ولا تزال في حياتنا الأدبية، حتى رفضتها رفضا صريحا واضحا قاطعا غير متلجلج، منذ بدأت قديما أحس إحساسا مبهما، أنّ حياتنا الأدبية حياة فاسدة من كل وجه». (1) قابل الباحث المناهج الغربية مع المناهج العربية، وتوصل إلى الانحراف الكبير عن المبادئ التي نشأ عليها العرب. « كنت أشتت شطري المنهج: (المادة والتطبيق)، تلوح بواذره الأول، منذ عهد علماء صحابة رسول الله ﷺ، ومن حفظت عنهم الفتوى كعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، كانت كاللمحة الخاطفة والإشارة الدالة. ثم زادت وضوحا عند علماء التابعين كالحسن البصري، وسعيد المسيب، وابن شهاب الزهري، والشعبي، وقتادة السدوسي وإبراهيم النخعي، ثم اتسع الأمر واستعلن عند جلة الفقهاء والمحدثين من بعدهم، كمالك بن أنس، وأبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني والشافعي والليث بن سعد، وسفيان الثوري والأوزاعي، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم». (2) أسست هذه الأسماء للمناهج العلمية في المجال الديني، وقد دهش الغرب أنفسهم من دقة مناهجهم في الرواية والجرح والتعديل، وكل هذه المعايير المتخذة لقبول الرواية، والموضوعية التي اتبعوها في ذلك، فالموضوعية الحقّة التي يدّعي الغرب أنّه هو صاحبها وجدت لدى المسلمين في أولى دراساتهم.

وسار على نهجهم علماء اللغة، حيث اقتدوا بمناهج علوم الشريعة، ومنهم: « أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد، وأبو جعفر الطبري، وأبو جعفر الطحاوي. ثم استقرّ تدوين الكتب فصار نهجا مستقيما... منذ سيبويه، والفراء، وابن سلام الجمحي، والجاحظ، وأبي العباس المبرد، وابن قتيبة وأبي الحسن الأشعري والقاضي عبد الجبار المعتزلي، والآمدّي، وعبد القاهر الجرجاني، وابن حزم، وابن عبد البر، وابن رشد الفقيه وحفيده ابن رشد الفقيه الفيلسوف، وابن سينا، والبيروني، وابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، وآلاف مؤلفة لا تحصى حتى تنتهي إلى السيوطي، والشوكاني، والزبيدي، وعبد القادر البغدادي في القرن الحادي عشر

1 - شاكر. أبو فهر محمود محمد. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ص 23.

2 - المرجع نفسه. ص 24، 25.

الهجري».⁽¹⁾ إنّ الحضارة الإسلامية لا تقتصر إلى مناهج علمية وموضوعية، ولكن تعرّض البلدان الإسلامية لنهب خيراتها وعلومها، وخضوعها للغرب أجرى عليها السنن الكونية، وكما قال ابن خلدون: «المغلوب مولع بتقليد الغالب»، وهو في هذا كلّه مُنكر لكلّ ما كان منه، مهما كانت قوّته وجودته، إذ صار لا يرى الخير إلّا في ما يأتي من الغرب، فيقبل عليه كما يقبل الظمآن على السراب، ويرى الشرّ كل الشرّ في كل ما يأتي من البلدان الإسلامية العربية، ويردّه دون ميز ولا تمحيص.

بنيت المناهج الإسلامية على أساس غائب في المناهج الغربية، وهو نفسه الأساس الذي ينفي صلاحية مناهجهم لدى المسلمين، «فأرأس الأمر، كما ترى، هو ما يتعلّق بنفس النازل ميدان (ما قبل المنهج). وهو بهذه المثابة أصل (أخلاقي)، قبل كل شيء وبعد كل شيء. وإغفال هذا الأصل الأخلاقي من قبل نازل هذا الميدان، أو من قبل المتلقي عنه، يجعل قضية (المنهج) و(ما قبل المنهج)، فوضى مبعة لا يتبيّن فيها حق من باطل، ولا صدق من كذب، ولا صحيح من سقيم، ولا صواب من خطأ...».⁽²⁾ لابدّ أنّ المعايير التي ينظر من خلالها الباحث إلى الموضوعات، هي التي تؤثر في طريقة تفكيره ونظرته إليها، فعندما ينطلق من مبادئ غربية مسيحية للحكم على مبادئ وموضوعات عربية إسلامية، فمن البديهي أن يحدث خلل على مستوى هذه الرؤية.

حسب الباحث إسماعيل أحمد عمايرة، فإنّ المستشرقين اختلفوا في تطبيق هذه المناهج، «ولا شك أنّ أعمال المستشرقين عكست نمطين متمايزين: ذلك النمط الذي أسرف في الالتزام بمنهج بعينه، وقد يحمله ذلك على صرف النّظر عمّا سواه، عن جهل أو تعصّب؛ ونمط آخر انتفع في الوصول إلى سبر أعماق الظاهرة اللّغوية بمناهج متعدّدة».⁽³⁾ يمكن ربط هذه المقولة بمحاولة التزام بعضهم بالموضوعية وانحياز بعضهم الآخر إلى جهات معينة، وذلك قصد تحقيق أهداف مسبقة من دراساتهم.

إلّا أنّ هناك مناهج غربية، أكّد بعض الباحثين صلاحيتها للّغة العربية، «وممّن استفاد من منهج المستشرقين في التّحقيق، ونقل هذا المنهج إلى العربية، المرحوم أحمد زكي باشا (المعروف بشيخ العروبة) الذي أشاد بمنهج المستشرقين، في دقة التّحقيق واستخدام علامات التّرقيم، والعناية بالفهارس

¹ - شاکر، أبو فھر محمود محمد. رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا. ص 24، 25.

² - المرجع نفسه. ص 31.

³ - عمايرة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللّغوية. ص 20.

وألّف الأستاذ الباحثة عبد السلام هارون كتابا في فن التّحقيق سماه (فن تحقيق النّصوص ونشرها) سجّل فيه خطوات التّحقيق ومراحله وضوابطه، واستفاد من خبرته الطّويلة في هذا المجال. ثم كتب بعد ذلك الدّكتور صلاح الدين المنجد كتابه (قواعد تحقيق المخطوطات) الذي قدّمه إلى مؤتمر المجامع العلمية بدمشق عام 1956م، واعترف فيه بأهمية منهج المستشرقين في تحقيق النّصوص، وبخاصة منهج المستشرقين الألمان الذين أتقنوا هذا الفن واهتموا به⁽¹⁾. وهنا لا يمكن إنكار بعض الإيجابيات التي حققتها بعض هذه المناهج، وهذا يدخل في إطار التّكامل بين الأمم والشعوب لبناء الحضارة العالمية. فكما استفاد الغرب من الكثير من إنجازات العرب، وانطلقوا منها لبناء وتشبيد حضارتهم، كذلك يحق أن يستفيد العرب من بعض ما توصّل إليه الغرب، فالعلم ليس حكرا على صاحبه، بل يعلو شأنه بقدر ما يُعمل به وكلما انتشر زاد نفعه. ومن السّلبات التي تُسجّل على الدّراسات الغربية، أنّها اعتمادا على بعض المناهج وأحيانا انطلاقا من ذاتية أصحابها حاولت تشويه بعض الحقائق، مثل قولهم: «أما عن الألسنية العربية، فقد يعزى مولدها إلى الألسنية الهندية، خاصة النّظام الصوتي، الذي استند إليه الخليل لوضع معجمه، وقد ذُكر أنّ انطلاق هذه الألسنية، تأكّد عند ضبط قراءات القرآن وتدوين اللغة، بحيث شكّل ذلك الأمر منطلقا دينيا لوضع قواعد ضابطة للعربية، وكان ذلك بتأييد الألسنية اليونانية [هذا حسب فرضيات الغربيين] التي استعملت هي أيضا الشواهد الشعرية في تدوين اللّغة وواجب عالم اللّغة اليوم، هو تخلص الدّراسات في الألسنية العربية من هذه الفرضيات، التي لا تقدّر إلّا من باب الأقوال المحتملة التي لم تثبت بالأدلة العلميّة»⁽²⁾. هناك دراسات غربية واستشراقية كثيرة حاولت تشويه الموروث العربي علميا كان أو أدبيا، والأخطر من ذلك، هو تناول الكتب الدينية بمناهجهم التي يتوصلون بها إلى تكذيب هذه الكتب، وما ورد فيها، فينتهم أصحابها بالكذب تارة وبالتحريف والتزييف تارة أخرى. وقد خاض الكثيرون في هذه الموضوعات، فمنهم من أنكر أن يكون معجم العين مثلا للفراهيدي، ومنهم من ادّعي أنّ النّحو العربي متأثر بالنّحو اليوناني، وغيرها من الادّعاءات الباطلة التي يعترف أصحابها في كثير من الأحيان قبل غيرهم بكذبها، هذه التي تحاول إسناد كل ما هو إيجابي

1 - النّيهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 38.

2 - ينظر: الصيادي، محمد المنجي. "التعريب وتنسيقه في الوطن العربي". ص 362. عن محمد خليل، رشاد. "تكوين الفكر العربي قبل الإسلام من اللّغة". في اللسان العربي. 1976م. السنة 14. ص 93.

إلى الغرب، أما السلبيات، فهي من نصيب العرب المسلمين.

أمّا أكثر المناهج التي طبّقها المستشرقون في دراساتهم للحضارة الإسلامية العربيّة، فلا « تخرج عن المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج الإسقاطي، ومنهج الأثر والتأثير، ومنهج المطابقة والمقابلة، وهذه المناهج إمّا أن تكون قد استخدمت مجتمعة أو منفصلة في مجال الدراسات الإسلامية، لأنّها هي ذات المناهج التي استخدمها الأوروبيون في مجال الدراسات الإنسانية بصورة عامة ولأنّها تستند إلى المذهب الوضعي الذي طبّقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية في القرن التاسع عشر والعشرين، ولم يحدوا عنه إلى الآن، بالرغم من نبذ هذا المذهب في الوقت الحاضر للدراسات الإنسانية»⁽¹⁾ بعد التعرّف على أهمّ المناهج الغربيّة التي أسقطت على العربيّة؛ يمكن القول إنّ هذا الفعل كان له بعض الإيجابيات، لكن بالمقابل طغت السلبيات، إذ صارت اللغة العربية ملكا للغرب يتصرّفون فيها كما يشاؤون؛ تنظيرا وتقريرا، ولم يُسمع بهذا مع لغة أخرى، والخطر في الأمر أنّ معظم اللّغويين الكبار أخذوا عن هذه الدراسات التي قام بها المستشرقون، كما أخذنا نحن الجيل الحالي عنهم إذ كثيرا ما تجد نفسك تفكر بطريقة تناقض قناعاتك، وما هو في الحقيقة إلا نتيجة لقراءة قمت بها ولم تنبه أو لتأثر بعالم أو باحث دون نقد أو تفكير، وهذا ما يصعب تخليص العربية والتراث والدراسات اللغوية العربية، مما علق بها من أثر المناهج الغربية. أمّا في المجال الأدبي واللّغوي، فلا بأس بالتذكير بأنّ المستشرقين، قد بذلوا جهودا مضيئة للتشكيك في أصالة الأدب العربي، حيث نسبوا الشّعر الجاهلي إلى الرّواة مثل حماد الراوية، وخلف الأحمر، وعلى رأسهم مرجليوث ونولدكه.⁽²⁾ وقد تأثّر بهذا الاتجاه بعض العرب وعلى رأسهم الأديب طه حسين.

كما حاولوا التشكيك في أصالة النّحو العربي، والمستشرق أرنست رينان هو أكبر مناد بهذه الأفكار. إلّا أنّ « المستشرق الهولندي تروبو ردّ هذه النّظرية، واتّهم من أثاروها بالتعصب، واستند على أدلة تاريخية منها: حركة التّرجمة بدأت في العصر العباسي الثاني، والنّحو بدأ قبل سنين، علماء النّحو كانوا على صلة بالفقهاء، ولذا نجد أكثر المصطلحات الفقهيّة موجودة في النّحو، مثل: بدل عوض نسبة، حجة، حسن، قبيح...»⁽³⁾ إلّا أنّ هناك باحثين عربا، حاولوا التّخفيف من حدّة هذا الحكم

¹ - ساسي، سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية. ص 166.

² - ينظر: الشوربجي، عبد الحليم. الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين حول العربية. ص 40.

³ - ينظر: المرجع نفسه. ص 43. عن محمد خليفة حسن. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية. ص 114 وما بعدها.

واعترفوا بوجود إيجابيات كثيرة في الدّراسات اللّغوية الغربيّة للعربيّة، إلى جانب بعض تلك المواقف السلبية المذكورة، فـ « ينبع الشكّ والتّخوّف من الدّراسات اللّسانية المعاصرة في الوسط الثقافي العربي من أسباب وجيهة تاريخياً، وأوّل هذه الأسباب أنّ الدّراسات اللّغوية في القرن التّاسع عشر كان يسيطر عليها التّوجّه العرقي، فقد كان هدف كثير من الدّراسات التي تقوم على لغات غير أوربيّة، أن يبيّن أنّها أقلّ تطوراً من اللّغات التي تعود إلى مقولات رينان، وقد وُلّد هذا الموقف غير العلمي شعوراً لدى العرب بأنّ الدّراسات الأوربيّة كلّها، تصبّ في هذا الهدف. غير أنّ الفاحص المتأنّي، سيكتشف أنّ هذا الموقف لم يكن يمثّل النشاط العلمي الحقيقي المهتمّ باللّغة العربيّة، فقد نشر في تلك الفترة كثير من أمهات الكتب العربيّة في التّاريخ والجغرافيّة... فأثمر دراسات على جانب كبير من الجودة والموضوعيّة»⁽¹⁾.

وهذه الموضوعيّة تفرض على الباحث النّظر إلى المستشرقين أو إلى أعمالهم في اتّجاهين، هناك دراسات تخصّصها المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم ومكتب التّربية العربي لدول الخليج، حيث أصدرت مجلداً لتصويب الأخطاء التي وقع فيها بعض المستشرقين، « ومن بين الغايات الأخرى توجيه اهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين من الشباب العربي المسلم، الذين انساق بعضهم إلى التّأثّر بهذه المناهج، والانبهار بها إلى الأسس التي قامت عليها، وإلى النّتائج الخطيرة التي تمخّضت عنها من تشكيك في العقيدة، ودحض للنّبوة وافتراء على التّاريخ، وتزييف للحقائق لمساعدتهم على وعي ما تتطوّر عليه من مزالق ومحاذير مبطنة بالعلمانيّة، والتجرّد والموضوعيّة... دون أن تغفل هذه الدراسات الإعلام إلى بعض الجوانب الإيجابيّة والمواقف البارزة التي ظهرت في بعض الدراسات الاستشراقية وإنصافها...»⁽²⁾. ومن المستشرقين المنصفين المُشار إليهم الفرنسي أندريه ميكيل وغيره.

1 - ينظر: المزيّني، حمزة بن قبالن. "مكانة اللّغة العربيّة في الدراسات اللّسانية المعاصرة". ص14.

2 - المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم. مكتب التّربية العربي لدول الخليج. مناهج المستشرقين في الدراسات العربيّة الإسلاميّة. تونس. 1985م. ج2. ص9، 10.

المبحث الثاني: المعاجم الثنائية العربية في ضوء الاستشراق

يهتمّ هذا المبحث بتعريف المعجم الثنائي ونشأته، ومعالجة أهمّ القضايا المرتبطة به، مثل الترجمة والتعريب، وتعليم اللغات الأجنبية، بالإضافة إلى المعجم العربي بين العرب والمستشرقين، ليُختتم بالتناول الحديث للمعاجم عامة والثنائية بخاصة.

1- المعجم الثنائي العربي وأهمّ قضاياها:

1-1- المعاجم ثنائية اللغة:

1-1-1- تعريف المعجم: قبل الوقوف عند المعاجم الثنائية، لا بأس بالتعرّف على المعجم الأحادي

وهو النوع الذي برع فيه العرب. ستكون البداية بتعريف كلمة (معجم)، ورد في الوسيط: « عجم-الحرف والكتاب - عجماً: أزال إبهامه بالنّقط والشكل، والشيء عجماً وعجوماً، عَضّه ليعلم صلابته من رخاوته ويقال: عجم فلاناً وعجم عوده، امتحنه واختبره، وعجمتُ الأمور فلاناً: درّيته. وما عجمتك عيني منذ كذا ما رأتك، وجعلت عيني تعجمه: تنتظر إليه، ويخيّل إليها أنّها رأته من قبل » هذا بالنسبة إلى المعنى اللّغوي أما المعنى الاصطلاحي، فيقال المعجم: ديوان لمفردات اللّغة مرتّب على حروف المعجم ج (معجمات) ومعاجم وحروف المعجم حروف الهجاء»⁽¹⁾ وقد جمع الباحث أحمد مختار عمر بين المعنى اللّغوي والاصطلاحي للكلمة بشكل دقيق، فترى ماذا يُفهم من قولنا المعجم؟ « تفيد مادة (عجم) في اللّغة معنى الإبهام والغموض، ففي اللسان: « الأعجم الذي لا يفصح ولا يُبين كلامه»، وسمى العرب بلاد فارس بلاد العجم، لأنّ لغتها لم تكن مفهومة عندهم؛ فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل (عجم) ليصير (أعجم) اكتسب الفعل معنى جديداً بالهمزة، الذي يفيد هنا السلب والنفي والإزالة، ففي اللّغة أشكيت فلاناً أزلت شكايته، وفيها: أقذيت عين الصبي: أزلت ما بها من قذى، فيصير معنى أعجم أزال العجمة أو الغموض، فمثلاً حرف (ب) دون نقطة يحتمل أن يقرأ: (ب أو ت أو ث)، فإذا وضعت النقط، أي أعجم زال هذا الاحتمال، وارتفع الغموض، ومن هنا جاء لفظ (المعجم)، بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها، ويرتبها بشكل معين، وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجماً، إما لأنّه مرتّب على حروف المعجم (الحروف الهجائية)، وإما لأنّه قد أزيل أيّ إبهام أو غموض

¹- مجمع اللّغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (عجم) و(معجم).

منه، فهو معجم بمعنى مُزال ما فيه من إبهام.⁽¹⁾ فصيغة معجم اسم مفعول من الفعل أعجم الذي جاء على وزن (أفعل)، وهي صيغة تفيد السلب والإزالة للمعنى الأصلي والدلالة على ضده، وهو هنا الإبهام الذي أزيل، وجيء بدلالة التوضيح والشرح. يبدو أنّ أيّ كتاب يهتم بجمع كلمات لغة ما بهدف شرح معناها، مُتّبعا ترتيبا معيناً يسمى معجماً بالإضافة إلى الاعتبارات المذكورة.

أما أوّل من استعمل كلمة معجم بمعناها الاصطلاحي، هم المهتمّون بالحديث النبوي الشريف « فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب المرتّب هجائياً الذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث. ويقال إنّ البخاري (ت 256 هـ) كان أوّل من أطلق لفظة معجم؛ وصفا لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم ووضع أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى (ت 307 هـ) (معجم الصحابة)، ووضع البغوي (ت 317 هـ). (معجم الحديث)... والملاحظ أنّ اللّغويين القدماء، لم يستعملوا لفظ (معجم)، ولم يطلقوه على مجموعاتهم اللّغوية، وإنّما كانوا يختارون لكل منها اسماً خاصاً به، فهذا (العين)، وذاك (الجمهرة)... أما إطلاقنا للفظ (المعجم) على هذه الكتب، فإطلاق متأخر». ⁽²⁾ فهذا المصطلح لم يكن موجوداً عند اللّغويين القدامى؛ بل انتقل إلى مجال اللّغة فيما بعد، لارتباط العلوم اللّغوية بعلوم الشريعة.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى وجود مصطلحين، يطلقان على مفهوم واحد، وهما المعجم والقاموس وإن كان بعض المغاربة يميلون إلى تسمية القائمة التي تضم مجموعة من المداخل للتعريف بها قاموساً حيث يعتبرون المعجم مصطلحاً أشمل بكثير من مجرد قائمة من الكلمات؛ بل يرون أنّه يجب أن يطلق على ذلك المخزون اللّغوي المستقرّ في أذهان الجماعة اللّغوية. وحسب الأستاذ حمّانز حسن « يُفصل عادة بين القاموس والمعجم، فيستعمل الأوّل للدلالة على كلّ مؤلف يجمع بين دقّته لائحة من المفردات تقابلها لائحة من المداخل المعجمية، التي تحقق وجودها بالفعل في لغة معيّنة من اللغات، كما تخضع لترتيب وشرح معيّنين. أمّا المعجم فيدلّ على المجموع المفترض واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية معيّنة بكامل أفرادها، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة». ⁽³⁾ وقد قامت الأستاذة

¹ - ينظر: أحمد مختار، عمر. صناعة المعجم الحديث. القاهرة، عالم الكتب، 1996م. ص 19-20.

² - أحمد مختار، عمر. البحث اللّغوي عند العرب. القاهرة، عالم الكتب، 1982. ط 4. ص 155.

³ - حمّانز حسن. التنظير المعجمي والتنمية المعجمية في اللسانيات المعاصرة، مفاهيم ونماذج تمثيلية. المغرب، عالم الكتب الحديث 2012م. ط 1. ص 94.

الباحثة الجواهر مودر، بتتبع استعمال المصطلحين (المعجم، والقاموس)، وتوصلت إلى ترادفهما في الاستعمال، وذلك من خلال المدونة التي درستها.⁽¹⁾ وإن كان الأكثر انتشارا عموما هو مصطلح (المعجم)، حسب ما توصلت إليه.

1-1-2- تعريف المعجم ثنائي اللغة: يتضح بتفكيك المصطلح، أنه معجم يتضمن لغتين، فترى

ما طبيعة العلاقة بين اللغتين؟ هناك من يعرفه بأنه ذلك، « المعجم الذي تقابل فيه مجموعة من كلمات أو تعبيرات لغة معينة (اللغة المصدر أو لغة الانطلاق)، بكلمات وتعابير لغة أخرى (اللغة الهدف أو لغة الوصول)، ولكن وجود لغتين لا يكفي لتسميته بالمعجم الثنائي، وإنما هو السبب الذي من أجله جمعت اللغتان في معجم واحد، وهو ما يُقصد به التّواصل بواسطة التّرجمة بين مجموعتين لغويتين مختلفتين...».⁽²⁾ للحديث عن معجم ثنائي، يُشترط أن يكون الهدف من وجود اللغتين هو القدرة على الانتقال من اللغة (أ) إلى اللغة (ب)، وهو ما يدخل في عملية التّرجمة بشكل أو بآخر.

أما جوزيت راي ديبوف (Josette-Rey-Debove) فعرفت أنه عكس المعجم الأحادي، إذ يقابل كلا المعجمين بين المعروف والمجهول، لكن ما يميّز المجهول في المعجم الثنائي، أنه في لغته قابل للفهم (كتابة، نطقا، شكلا)، في حين المجهول في لغة أجنبية، يمكن أن يكون شاملا لغة غير مكتوبة (non alphabétique) لفرنسي مثلا، وهو معجم لغة، ولا يكون موسوعة، بما أنه يتضمن علاقة بين الدّوال، وليس بين الدال والمرجع (المعلومة).⁽³⁾ أكّدت الباحثة ليين فرانجيبي كذلك، فكرة اندراج العاميات ضمن هذا النوع من المعاجم، إذ ترى أنه « يسمى معجما ثنائيا كلّ معجم أو كلّ قائمة تقابل بين كلمات لغتين مختلفتين أو كلمات لهجتين أو استعمالين لغويين معاصرين للغة نفسها، أو لصورتين مختلفتين تاريخيا للغة الواحدة (deux états diachroniques de la langue)».⁽⁴⁾ يشمل هذا التعريف اللغات واللهجات، وهو الأمر المختلف فيه مع التعريف الذي وضعه مكتب تنسيق التعريب، « يقصد بالمعجم الثنائي القاموس الذي تجمع فيه مفردات اللغة، مرتبة ترتيبا هجائيا في مداخل معينة، وتشرح هذه

¹ -ينظر: مودر، الجواهر. العلاقة بين المعاجم المدرسية والمفردات في كتب المرحلة الابتدائية السنوات الثلاث الأولى نموذجا. إشراف الدكتور عبيد عبد الرزاق. رسالة دكتوراه. جامعة الجزائر، 2013-2014م. ص 8، 9.

² -Béjoint, Henri et autres, les dictionnaires bilingues, Duclot, 1996, P 31.

³ - voir Franjié, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. France, collection parallèles, 2009 . p 38,39. books. Google. dz copyright.moncoinlivresque.fr 10/04/2020

⁴ - ibid. p 38.

المفردات بلغة أخرى، ويتضمن الشرح معلومات عن الكلمة واستعمالاتها ويخرج من ذلك مسرد مفردات الكتاب -أي كتاب- وكذلك يخرج مسرد مفردات نص معين، والمفردات المختارة، كما يخرج الكشف والموسوعات، ويُقصد بالمعجم معجم اللغة الفصحى المكتوبة، وليس اللغة العامية المتكلمة⁽¹⁾. أقصى هذا التعريف المعاجم التي تُعنى بالعاميات من الانضواء تحت هذا النوع من المعاجم، لكن هذا الموقف يبدو أنه لم يُؤخذ به، إذ انتشرت مؤخرا كتب سمّيت معاجم ثنائية عامية على يد المستشرقين، وهو موقف الغرب عموماً.

وبما أنّ هذا النوع من المعاجم أكثر ما يُستعمل في مجال الترجمة، فـ «... هناك من يسميها معجمات الترجمة أو المعجمات المزدوجة والمعجمات الثنائية، وهي التي تجمع ألفاظ لغة من اللغات الأجنبية وتشرحها بوضع أمام كل لفظ أجنبي ما يعادله من ألفاظ اللغة العربية أو العكس»⁽²⁾. وعموماً يمكن القول إنّ المعجم الثنائي؛ هو ذلك الكتاب الذي يضمّ بين دفتيه قائمتين من الكلمات المنتمية إلى لغتين مختلفتين وهي عادة لغات رسمية مكتوبة، وإن ظهرت على أيدي المستشرقين معاجم تحتوي على لهجات، وتكون اللغة "أ" هي لغة المتن، وتقابلها اللغة "ب" وهي لغة الشرح، ويتحكّم في أيّ اللغتين تكون لغة المتن أو لغة الشرح بعض العوامل، كأن يكون المعجم للفهم أو التعبير.

وبهذا يكون معنى المعجم الثنائي، هو ذلك الكتاب الذي يضمّ كلمات اللغة (أ) وتكون عادة مجهولة كلياً أو جزئياً لدى القارئ، حيث يعمل المعجم على إزالة غموضها بمقابلتها بكلمات اللغة (ب) يعرفها مستعمل المعجم، أو العكس حسب الهدف من المعجم.

يبدو أنّ أول المعاجم الثنائية ظهرت على أيدي العلماء لغايات تواصلية (هناك معاجم جمعها بعض علماء الأنثروبولوجيا، حيث قابلوا إحدى اللغات الإفريقية على سبيل المثال أو لغة مجهولة وشرحوا ألفاظها بلغة عالمية يفهمها الجميع، مثل الفرنسية أو الإنجليزية، ويرجع إلى هذا النوع كلّ من يريد تعلّم لغتهم للتواصل مع هذه الجماعة اللغوية، وهذا يدخل في نطاق المعاجم الثنائية وتجدر الإشارة إلى أنّ (المعجم الثنائي الفرنسي اللغة بدأ بشكل مغاير لما ذكر آنفاً، حيث كان يستعمل للترجمة من اللغة الفرنسية

1 - مكتب تنسيق التعريب، صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية. أبحاث الدورة. الرباط من 31 مارس إلى 8 أبريل 1981. المدخل. ص 55.

2 - القريدي، عبد العالم محمد. معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، عربي-فرنسي مع مقدمة في علم المعجمات والمصطلح العلمي والتعريف. بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، 1433هـ-2012م. دط. ص 16.

إلى اللاتينية، وكان في الوقت ذاته، يستعمل بوصفه معجماً أحادياً (Dictionnaire François – Latin Le) (de Robert Estienne 1539)، وهذا لانعدام معاجم أحادية باللغة الفرنسية⁽¹⁾. يُفهم ممّا سبق أنّ البداية المعجمية الفرنسية، كانت مع المعاجم الثنائية ثم انتقلت إلى الأحادية وهذا عكس ما حدث لدى العرب. توصل ولدرج في دراسته حول بدايات المعجم الفرنسي إلى أنّ أول معجم هو (françoise) لصاحبه جون نيكوت (Jean Nicot)، سنة 1606م، وهو مستمد من المعجم الثنائي الذي سبق الحديث عنه، وهذا راجع لكون القراء كانوا يوظفون معاجم لاتينية – فرنسية ولم يقتصر الاستعمال على الترجمة فحسب، وإنما لمعرفة معاني الكلمات الفرنسية، وقد اقترح الباحث كمادة (Quémada) تسميتها بالمعاجم نصف الثنائية (semi- bilingues)، وفي نهاية القرن السابع عشر (17) ظهرت معاجم أحادية-ثنائية (bilingualisés-monolingues)، نظراً للتطورات الجديدة لمساعدة طلبة اللغة الأجنبية، على توظيف المعجم الأحادي بسهولة، للمتعلمين بلغتين، بمعنى إدراج شروحات لكلمات اللغة الأجنبية انطلاقاً من اللغة الأم للطلبة، وهذا يعني أنّ اللغتين في المعجمين ليستا في المستوى نفسه، حيث تسمح إحدى اللغتين بالولوج إلى اللغة الأخرى، ولاحظت الباحثة مارغريت لنديمان (Margaret Lindemann)، من خلال دراستها المعمّقة، والشاملة لتاريخ الصناعة المعجمية الفرنسية أنّ معظم المعاجم الفرنسية، التي ظهرت في القرن السابع عشر تم إصدارها خارج فرنسا وهذا كون المؤلفين المقيمين خارجها هم الذين تولوا هذه المهمة⁽²⁾. وهو ما قد يعني أنّ صناعة المعجم الفرنسي نشأت في أحضان التعليم والترجمة، إذ يحتاج متعلّم اللغة الأجنبية عادة إلى المعجم أكثر من غيره بالإضافة إلى المترجمين.

أمّا العرب فلم تدعهم الحاجة إلى وضع معاجم ثنائية في العالم الإسلامي العربي في العصور الوسطى، بما أنّ العربية كانت اللغة الوحيدة المستعملة، وكانت هي لغة الدين، فقرأ القرآن بلغته الأصلية أمر حتمي، وهي لغة الحكّام ولغة العلم، لكن الحكّام بدؤوا يتخلّون عن العربية شيئاً فشيئاً ولاسيّما مع حادثة الخليفة العباسي (750م)، عندما استولى الفرس على مناصب حساسة في الحكم وهنا ظهرت الحاجة إلى وضع معاجم ثنائية تضع الفارسية إلى جانب العربية، وظهرت الحاجة نفسها غرب العالم الإسلامي بإسبانيا، لكن المعجم الثنائي تطوّر في العهد العثماني، بدافع الثورة والنّهضة في

¹ - voir Franjié, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p31.

² - Voir Béjoint, Henri et autres. les dictionnaires bilingues. p32

أوروبا وسيطرة العثمانيين في الشرق.⁽¹⁾ وهنا يُلاحظ أنّ الأوضاع السياسية كانت وراء ظهور هذا النوع من المعاجم، ولم تكن بمبادرة من العرب. أما بالنسبة إلى المعجم الثنائي العربي، الذي وضعه الغربيون (المستشرقون) فـ « نجد في إسبانيا أول المعاجم مزدوجة اللغة، ظهر معجم (Glossarium Latino-arabicum)، في القرن الثاني عشر وفي الثالث عشر ظهر معجم (Vocabulista in arabico).⁽²⁾ ولئن كانت إسبانيا بلداً أوروبياً قد لا يحسب عمله للعرب المسلمين، فإنّ بداية المعجم الثنائي في الشمال الإفريقي، حسب الباحث عبد العليّ الودغيري ترجع إلى (فترة سابقة للعصر الحديث، لتوالي الحضارات والثقافات، وتعدّدت فيها اللغات ومن أقدم النصوص المعجمية، الرسالة التي كتبها اليهودي المغربي يهودا بن قريش (القرن العاشر الميلادي) إلى يهود مدينة فاس، فعمد فيها إلى الكلمات المكتوبة بالعبرية في التوراة، وقدم حولها شروحا وتعريفات، مستعملاً العربية أو لغات أخرى؛ كالآرامية واللاتينية والبربرية بالإضافة إلى قاموس عربي-لاتيني من تأليف الحسن بن محمد الوزان الغرناطي المولد والفاسي وعرف في أوروبا باسم ليون الإفريقي (ت بعد 934هـ-1528م)، وكتاب أجرون (جامع الألفاظ) وهو قاموس (عبري-عربي)، طبع في مجلدين كبيرين ألفه داود بن إبراهيم الفاسي (ق 12م). بالعبرية وألفاظه بالعربية. وقاموس عربي شلحي لمؤلف مغربي مجهول يفسّر الألفاظ العربية بالشلحة، وقاموس مختصر عربي أمازيغي ألفه أبو عبد الله بن مبارك بن عبد الله).⁽³⁾ هذا عن البدايات الأولى للمعاجم الثنائية » أما بداية المعاجم الثنائية في القرن التاسع عشر فقد ارتبطت، أولاً بالمعاجم الإيطالية العربية، ثمّ تلتها المعاجم الفرنسية العربية، وكانت نواتها الأولى تتمثّل في معجم رفاة الطهطاوي المسمى... قاموس الألفاظ المستحدثة والغريبة... ثمّ تتابعت هذه المعاجم الثنائية في الظهور، منها معجم كازيميرسكي سنة 1860م، ومعجم الأب بيلو (belot) سنة 1892م الذي طبع عدة مرات.⁽⁴⁾ ما عُرف عن العرب، أنّهم لجؤوا إلى المعاجم الثنائية مؤخراً، بعد الغرب بكثير، وقد يرجع ذلك إلى اعتزاز العرب بلغتهم، وعدم إحساسهم بالحاجة إلى لغات أخرى، فقد انصبّت جهود علمائهم على اللغة العربية التي كانت لغة علم

¹ - voir Franjié, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p 51.

² - فريستينغ، كيس. اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها. ص 10.

³ - يُنظر: الودغيري، عبد العلي. المعجم في المغرب العربي إلى بداية الرابع عشر الهجري. المغرب، مطبعة النجّاح الجديدة، 1429هـ-2008م. ط 1. ص 67، 68، 69، 70، 71.

⁴ - ميلة، طاهر. الألفاظ الحضارية الحديثة في العربية بين الوضع والاستعمال (دراسة وصفية تحليلية). ص 37.

ومنها تنقل العلوم بلغات أخرى، و« ننتظر مدة طويلة لنشاهد عدد المعاجم الثنائية يكثر ويتنوع، سواء فيما يتعلق بأحجام هذه المعاجم أو اللغات التي تستعملها، ولعل من أشهر المعاجم الثنائية المتداولة بكثرة، في الثلث الأخير من القرن، بالنسبة إلى الفرنسية، معجم المنهل لكل من عبد جبور عبد النور وسهيل إدريس، وهو معجم فرنسي-عربي، ومعجم السبيل لدانيال ريغ، وهو معجم عربي-فرنسي...»⁽¹⁾ إذ لا تكاد تخلو مكتبة في الأسواق منهما.

1-1-3- عوامل ظهور المعجم الثنائي: عند الاطلاع على البدايات الأولى للمعجم الثنائي، يُلاحظ أنه ارتبط بعوامل رئيسة ثلاثة، وهي: العامل الديني، والسياسي والاقتصادي، فقد ارتبطت المعاجم الأولى بالدين وترجمة التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم، كما احتاج التجار عند تعاملهم مع البلدان الأجنبية إلى تعلّم لغاتها، فنشأت الحاجة إليها، ويعدّ العامل السياسي أكبر محرّك ومحفّز لهذه الأعمال « لم تهتمّ فرنسا باللّغات المحليّة للجزائر قبل القرن التاسع عشر (19) والعشرين (20). في القرن السادس عشر (16) يتفق فرانسوا الأول (François I^{er}) والبايلرباي على تعيين قنصل وترجمان فرنسي في الجزائر وكانت المشاورات التجاريّة مهمّة، فتحكمت فرنسا في استخراج المرجان، وكان تجار مارسيليا الأوائل الذين حطّوا في موانئ الجزائر في بون (Bône -calle)، وتوطّدت العلاقات الجزائرية الفرنسية، لكن ظهرت مصالح متزايدة للبلدان الأوروبية حول الشّمال الإفريقي، ولاسيما فرنسا وإنجلترا في القرن التاسع عشر، وقصّة الداي حسين مع القنصل الفرنسي مشهورة، وهي الحادثة التي اتّخذتها فرنسا لاحتلال الجزائر، وقد قامت بدعم النشاط التبشيري في إفريقيا لتزيد من تأثيرها»⁽²⁾. فسّرت الباحثة ليين فرانجي العامل الديني، بأنّ العربية تسمح بالاطّلاع على اللّغات السّامية، خاصة العبرية التي دُوّنت بها النّصوص المقدّسة، بالإضافة إلى دراسة الآداب المسيحية الموجودة بالعربية. ليأتي العامل السياسي الذي كان في البداية، ناتجا عن الامتداد العثماني إلى الغرب، واتّساع الفتوحات الإسلامية، وبعدها حدث العكس، فنتج عن امتداد القوات الأوروبية في العالم الإسلامي، فرض العلاقات التجاريّة المتزايدة بين القوات الأوروبية وبلدان جنوب البحر الأبيض المتوسط، وهكذا بتأثير الموسوعية (l'encyclopédisme) نشأت المعاجم العربية الثنائية الضخمة، مثل معجم كازيمرسكي (عربي-فرنسي)

¹ - ميلة، طاهر. الألفاظ الحضارية الحديثة في العربيّة بين الوضع والاستعمال (دراسة وصفية تحليلية). ص 38.

² - Gaudin François et Mahtout Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. synergies argentine, 2013. n2. p 95.
<https://gerflint.fr/Base/Argentine2/gaudin.pdf> 07/05/2020.

في جزئين، تلتها معاجم أخرى أكثر يسرا للعامة.⁽¹⁾ وهو ما يؤكد ارتباط ظهور المعجم العربي الثنائي بالمستشرقين، « لا غرابة أن يكون المستشرقون هم الأوائل الذين بادروا إلى وضع معاجم ثنائية عربية ولم يبدأ العرب التأليف في هذا النوع إلا مؤخرًا، لأنه ألف لأغراض عملية ونفعية». ⁽²⁾ وهذا بديهي، فقد كان العرب المسلمون قديمًا في مركز قوة، فلم يروا حاجة لوضع مثل هذه المعاجم، عكس الغرب الذي كان في مركز ضعف، فكان لزامًا عليه استدراك ما فاتته عن طريق حضارة المسلمين.

1-1-4- السمات العامة للمعاجم العربية الثنائية: تستمدّ المعاجم الثنائية مادتها من المعاجم

الأحادية، إذ ينطلق أصحابها من مداخل المعجم الأحادي، ويضعون ما يقابلها في اللغة الثانية، وهي ذات طابع تعليمي، ذلك أنها تساعد القارئ على تعلّم اللغة الأجنبية، وهي لصيقة بالترجمة أيضًا. وتتجلى هذه السمة في المعاجم اللسانية والعلمية بخاصة، إذ ينطلق مؤلفو هذه المعاجم الثنائية أو المتعددة من لغة أجنبية فرنسية أو إنجليزية، ثم يبحثون عن المقابلات العربية. ولعلّها من أهمّ السمات التي امتازت بها المعاجم الثنائية العربية عن غيرها من المعاجم، وهو ما يمكن تفسيره بحرصها على الإحاطة بالمفردات الحديثة التي دخلت المعجم الفرنسي أو الإنجليزي، ولاسيما في مجال المصطلحات العلمية. أما المعاجم الثنائية التي وضعها المستشرقون، فتتطلق عموما من المعاجم العربية الأحادية اللغة ثم تبحث عن المقابلات المناسبة في اللغة الأجنبية. وهناك سمات أخرى تتعلق بمؤلفي هذا النوع من المعاجم، وكذا الفئة التي تتوجّه إليها والهدف منها، وقد وردت بعض السمات لدى الباحثة فرانجي:⁽³⁾

1- كانت المعاجم العربية الثنائية لزمن طويل أعمالا فردية، مثلا: من المستشرقين معجم دانيال ريغ ومن العرب سهيل إدريس.

2- المعاجم الثنائية العربية أحادية الاتجاه، إما عربية-أجنبية، وهي موجهة لغير العرب، وإما أجنبية-عربية، وتكون عادة موجهة للعرب.

3- المعاجم عربي-أجنبي لغير العرب وتكون لفهم العربية، والمعاجم أجنبي-عربي للعرب قصد الفهم والترجمة. لكن حسب الباحثة ليين فرانجي فإنّ معظم هذه المعاجم الثنائية مخصّصة للفهم.

ومن السمات التي تظهر في بعض المعاجم تأثرها بأصحابها وتوجّهاتهم الدّينية، وممّن اهتم

¹ - voir Franjié, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p 51,52.

² -ibid. p 52.

³ -voir ibid. p 54.

بهذه القضية الباحث (علي محمود الصراف)، الذي توصل إلى أنّ معاجم المسيحيين مثلاً، يتجلى فيها التأثير بعقيدة صنّاعها بصورة شديدة الوضوح.⁽¹⁾ وعموماً مهما حاول المؤلف تبني الموضوعية، إلاّ أنّه سيجد نفسه عاجزاً عن التخلّص من ذاتيته. في النهاية العمل لا يمكن أن يخلو من بصمات صاحبه والفارق يكمن في مقدارها وإعلانها أو إخفائها.

1-2-1- تصنيف المعاجم الثنائية: هناك معاجم ثنائية عامة ومختصة، وقد ذكرت الباحثة

الفرنسية ليين فرانجيبي أنواع المعجم الثنائي، وجعلتها ثلاثة، وهي:

1-2-1- تصنيف الباحثة ليين فرانجيبي:⁽²⁾

1-2-1-1- المعجم الثنائي العام: يتوجّه إلى جمهور كبير، ويكون عادة ثمرة تعاون بين

دارين للنشر ببلدين مثلاً فرنسي-إنجليزي، (le Robert Hachette-Oxford Collins)، وهذا هو النوع الذي يهتم المترجم بالدّرجة الأولى.

1-2-1-2- المعجم الثنائي للتعلّم: يصعب التفريق بينه وبين العام، وهو جديد في السوق

المعجمي يتميّز بكونه مختصراً، ويسمى مصغراً (micro-ou compact).

1-2-1-3- المعجم الثنائي للجيب: هو معجم عام مصغّر، وهو موجّه لمتعلّم اللّغة أو السّائح

وكلما كان حجمه صغيراً لاقى رواجاً أكبر، وهو تجاري بالدّرجة الأولى. قسّمت الباحثة المعاجم حسب الغاية منها وطبيعة استعمالها، وانطلقت مما هو موجود في البلدان الغربية، أمّا في العالم العربي، فأكثر ما يصدر هو المعجم العام والموجّه للتعلّم، وهو ما يعرف بالمعجم المدرسي، والذي يتمتّع بخصائص تميّزه عن العام مثل كثرة الألوان والصّور.

1-2-2-1- تصنيف اللّغوي علي القاسمي: قام اللّغوي عليّ القاسمي بتصنيف جديد في مجال

المعاجم الثنائية، وعددها سبعة أصناف، اكتفى البحث بذكر أربعة منها، وهي:⁽³⁾

1-2-2-1- معجمات للنّاطقين بلغة المتن مقابل معجمات للنّاطقين بلغة الشّرح: يُقصد بلغة

المتن لغة المداخل (أو اللّغة موضوع البحث في اصطلاح سيبوك، أو اللّغة الهدف، كما يصطلح عليها

¹ - ينظر: الصراف، علي محمود. "أثر العقيدة في الصناعة المعجمية". في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 2010م. ع28. ص100.

² voir Franjié, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p 41,42.

³ - ينظر: القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، 1411هـ-1991م. ص 34، 35.

مالكيل) أما لغة الشرح فنعني بها لغة التّرجمات أو المرادفات (أو لغة التّرجمة في اصطلاح سيبوك أو اللّغة الوسيلة في اصطلاح مالكيل)، ففي معجم إنكليزي - عربي تكون الإنكليزية لغة المتن، والعربية لغة الشرح.⁽¹⁾ مثلاً: معجم سهيل إدريس فرنسي-عربي، موجه إلى العرب وتعدّ المفردات الفرنسية هي لغة المتن، أما لغة الشرح فهي المفردات العربية، وهو معجم ثنائي موجه إلى الناطقين بلغة الشرح. (يوضّح الأستاذ عليّ القاسمي الفرق بين معجم مخصص للناطقين بلغة المتن وآخر للناطقين بلغة الشرح، مشيراً إلى مشكلتين تعتمد معالجتهم على نوع المعجم، تتمثّل الأولى في انتقاء المفردات، إذ يختار المحرّر المداخل حسب الغرض من المعجم، ففي حالة معجم إنكليزي - عربي للقراء الأمريكيين فلا ضرورة لإدخال المصطلحات الرياضيّة الخاصة بلعبة كرة القدم الأمريكيّة غير المعروفة في العالم العربي، أما إذا كان المعجم موجهاً للعرب، فقد تدخل هذه المصطلحات في المعجم، باعتبار العربي قد يصادف بعضها أثناء مطالعته للصحف والمجلات الأمريكيّة. بالإضافة إلى لغة الإرشادات العامّة بحيث إذا كان المقصود من المعجم خدمة الناطقين بلغة المتن، ينبغي أن تكون هذه الإرشادات العامّة بتلك اللّغة، ولكن إذا كان المعجم يهدف إلى مساعدة الناطقين بلغة الشرح، فإنّنا يجب أن نعطي جميع الإرشادات بلغة الشرح ذاتها).⁽²⁾ يحاول معظم المعجميين في العصر الحديث التوجّه إلى الفئتين في الآن ذاته، بمعنى مساعدة الناطقين بلغة المتن، وكذا الناطقين بلغة الشرح، وهم عادة يخصّصون قسمين تذكر في القسم الأول معلومات حول لغة الشرح، وفي القسم الثّاني حول لغة المتن، مع تخصيص مقدّمة للقسمين باللّغتين، ومن المعاجم التي عملت بهذا المبدأ معجم دانيال ريغ (Daniel Reig).

1-2-2-2-معجمات للغة المكتوبة مقابل معجمات للغة المنطوقة: يشير اللّغوي عليّ القاسمي في هذه النّقطة إلى أهميّة اللّغة المحكيّة، ممّا يستدعي وجود معاجم تهتمّ بهذا الجانب من اللّغة، ويستشهد بقول الأستاذ هل: « إنّ معظم دارسي اللّغة ينطلقون من بضعة افتراضات أساسية منها أنّ المكونات الرئيسيّة للفعاليّة اللّغويّة هي سلسلة الأصوات ... وتلك هي الظواهر التي تسمى (الكلام) ورغم أنّ الافتراض الأوّل هذا، يبدو وكأنّه بدهيّة، فهو ذو أهميّة خاصّة، ذلك لأنّ كثيراً ممّن يقبلونه بالقول ما زالوا يعملون، وكأنّهم لا يؤمنون به؛ بل إنّ بعض النّاس ينكرونه... إنّ الكلام يعود إلى أصول المجتمع

1 - القاسمي، عليّ. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 36.

2 - ينظر: المرجع نفسه. ص 37، 38.

البشري، أما الكتابة فإن تاريخها في حدود السبعة آلاف عام. وكذلك فإنه لا توجد مجموعة بشرية معاصرة بلا لغة، رغم أننا لا نجانب الصواب، إذا قلنا بأن معظم المجتمعات اللغوية التي يبلغ تعدادها في العالم بضعة آلاف، ما زالت في مرحلة ما قبل الكتابة، ولم تستخدم الألفباء، ولا حتى الرموز الصورية...»⁽¹⁾ إلا أن الأستاذ القاسمي نفسه، يواصل مناقشة هذه الفكرة، بطرح إشكال يواجهه المعجمي، وهو أي اللهجات وأي الأساليب ينبغي عليه تسجيلها في معجمه؟ ويبيّن أن الاتجاه التقليدي يميل إلى تسجيل الأسلوب الرسمي في الكلام المهدّب. في حين يشكّك اللغويون في الاتجاه، ويفضّلون أن يتكلّم الطالب اللغة الأجنبية بصورة طبيعية، ويرون أن الطريقة المثالية هي اقتصار المعجم الثنائي اللغة على لهجة إقليمية واحدة، وأسلوب واحد يعتمد اختياره على الهدف من المعجم. ويجب تسجيل النظام الصوتي والنحوي واللفظي والمعنوي الخاص بتلك اللهجة، وذلك الأسلوب بشكل مطّرد في جميع أجزاء المعجم، وهكذا يتخلّص المعجمي من الرموز والعبارات الإضافية التي تلحق عادة بكل كلمة، للإشارة إلى اللهجة التي تنتمي إليها، وهو ما وصفه المعجمي أوردنك (Urdang) بأنه أكبر مسببات الصداغ للمعجميين.⁽²⁾ لقد سبق الاطلاع على تعريف مكتب تنسيق التعريب للمعجم الثنائي، الذي أقصى معاجم اللهجات من التصنيف، وقد لمّح الأستاذ علي القاسمي إلى ذلك، بقوله: الاتجاه التقليدي يميل إلى تسجيل الأسلوب الرسمي في الكلام المهدّب، ثم يبيّن وجود رأي آخر للغويين المحدثين، وهو تفضيل لغة التّخاطب على اللغة الرسمية، لي طرح إشكالا مهما، وهو إذا أراد المعجمي تناول اللهجات فأى لهجة يختار، ولاسيما إذا تعلّق الأمر بالعربية؟ فعلا إنّه سؤال محير. ثم يدعو إلى إعادة النّظر في هذه المعاجم.

يبدو تأثر الأستاذ واضحا بالنظريات الغربية التي دعت وتدعو باستمرار إلى تفضيل اللّغات المنطوقة على حساب المكتوبة، وهو يستدلّ لذلك بحجج منطقية، إلا أن معطيات العالم العربي تختلف عن معطيات العالم الغربي. وهو الإشكال الذي تناوله الباحث فريز (Fries) في تقريره الذي قدّمه في المؤتمر المذكور: « وبالرغم من إصرار اللّغويين المحدثين على أن المادة المنطوقة تشكل اللغة، فإن معظم المعجمات، قد اختارت موادها عمليا من المواد المكتوبة والألب. ولا يوجد فيها إلا عدد من المداخل يحمل الرمز (عامي). وتعتبر المفردات المتبوعة بهذا الرمز أقل قيمة ولقد قادت المناقشات الكثيرة إلى الشك في صحة هذا الاتجاه. أليس من الأفضل اختيار مفردات المعجم من الكلام

1 - القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 39.

2 - ينظر: المرجع نفسه. ص 73.

بحيث يفترض فيها ذلك من غير أن تتبعها بكلمة (عامي)؟ أما المفردات القليلة التي لا ترد في الكلام، فيجب أن تتبع برمز (أدبية) أو كتابية⁽¹⁾. يؤكد هذا القول أن لغة معظم المعاجم إلى يومنا هذا هي اللغات الرسمية المكتوبة إذ رغم كثرة الداعين إلى تسجيل اللهجات عوض اللغات المكتوبة إلا أن المعاجم مازالت ملتزمة بتسجيلها، والدليل على ذلك إضافة بعض الكلمات العامية وإتباعها بالرمز (عامي).

1-2-2-3-معجمات للتعبير ومعجمات للفهم: أشار الأستاذ علي القاسمي إلى هيمنة الطريقة

التقليدية، وكونها السبب في إقصاء التعبير الشفهي، ويلجّ على المعجميين ليمثلوا مبادئ الاتجاه الجديد في معاجمهم الثنائية اللغة، بحيث تصبح قادرة على مساعدة القارئ على التعبير باللغة الأجنبية شفويا وتحريريا وعلى فهمها لدى سماعها أو قراءتها، ثم يشرح كيف نميز بين معجم مخصص للتعبير وآخر مخصص للفهم من خلال اختيار لغتي المتن والشرح، ومثل بصناعة معجم إنجليزي-عربي للأمريكيين، فإذا أردنا به معجما للتعبير جعلنا من الإنجليزية لغة المتن، ومن العربية لغة الشرح. أما إذا أردنا معجما للفهم فستكون اللغة العربية لغة المتن والإنجليزية لغة الشرح، ويبرز فرق آخر، وهو محتوى المداخل وبنيتها، بحيث تختلف طبيعة المداخل وعددها، ويختم بالإشارة إلى أربعة أهداف على المعجمي اختيار إحداها قبل الشروع في تأليف معجمه، وقد ذكرها الأستاذ كدني (Gedney)⁽²⁾. وقد لخصها في قوله: «... ويبدو لي أن هناك أربعة أهداف مفتوحة أمام المعجم ثنائي اللغة: أن يعلم الناطق بالإنكليزية معنى تعبير سمعه أو قرأه في لغة أخرى، أن يعلم الناطق بالإنكليزية كيف ينقل كلاما إنكليزيا إلى لغة أخرى، وأن يعلم الناطق بلغة أخرى معنى تعبير سمعه أو قرأه بالإنكليزية، وأن يعلم الناطق بلغة أخرى كيف ينقل كلاما من لغته إلى اللغة الإنكليزية»⁽³⁾. فالعربي الذي يقرأ نصا فرنسيا سيحتاج إلى معجم ثنائي فرنسي-عربي، ليتمكن من فهم معاني بعض الكلمات الفرنسية المجهولة فيكون بذلك معجما لفهم، أما في حالة رغبة هذا العربي في التعبير عن أفكار معينة باللغة الفرنسية، فإنه سيلجأ إلى معجم عربي-فرنسي، لأنه بحاجة إلى عبارات وشروح، تمكنه من استعمال اللغة الفرنسية، كما أنه يعرف الكلمة العربية التي تعبّر عن فكرته ويجهل الكلمة الفرنسية، فهو بلا شك سيحتاج إلى هذا النوع من المعاجم الثنائية. ويصعب تحقيق الهدفين معا في ضوء معجم ثنائي واحد، وقد أشارت إلى ذلك الباحثة ليين فرانجي

¹ - القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم ص 39، 40.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 41، 42.

³ - ينظر: المرجع نفسه. ص 42.

عندما تحدّثت عن أحادية اتّجاه هذا النّوع من المعاجم.

1-2-2-4-المعجم الثنائي العام مقابل المعجم الثنائي المتخصّص: تعكس كلمة العام دخول

مفردات اللغة جميعها ضمن مداخل المعجم، إذ قد ترد بعض المصطلحات لكثرة استعمالها والحاجة إليها، أما المتخصّص، فمن الواضح أنّه يقتصر على المصطلحات التي تتضوي في مجال من المجالات العلمية أو الإنسانية، « ويجب أن تكون جميع فروع المعرفة ممثلة في المعجم العام، كما ينبغي أن تُستطلع مقدّما الكتب والمجلات التي يقرأها، أولئك الذين يهدف المعجم إلى خدمتهم، لتُتخذ مصدرا تُستقى منه مفردات ذلك المعجم. أما هدف المعجم المتخصّص، فهو مساعدة القارئ على معرفة معاني لغة حقل معيّن من حقول المعرفة ومصطلحاته...»⁽¹⁾ أما ما يهتمّ البحث في هذه الأصناف، فهو نوع المعاجم الثنائية التي صنّفها المستشرقون الفرنسيون، ويُرجى أن تجيب على هذا التساؤل الفصول التطبيقية، ويمكن طرحه بصيغة أخرى، أيّ الأصناف غني بها المستشرقون الفرنسيون؟

1-3-المعلومات في المعجم ثنائي اللغة:

حدّدت الدّراسات المعجمية الحديثة مجموعة من المعلومات التي يجب على المعجمي الالتزام بها في معجمه الثنائي، إذ يتميّز عن غيره من المعاجم الأحادية، بكونه يتوجّه إلى قارئ يجهل إحدى اللّغتين، وهو ما يفرض عليه ذكر أهم قواعد هذه اللّغة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا، وذلك بتخصيص جزء مستقل لهذا الغرض، وكذا أثناء تعريف المفردات يجب ذكر هذه المعلومات أو على الأقل بعضها.

1-3-1-المعلومات الصوتية: تعتبر المعلومات الصوتية ضرورية في المعاجم عامة وفي

المعاجم الثنائية أكثر، ذلك أنّ الأجنبي عن اللّغة يجهل نطق الكلمات، فبالإضافة إلى المعنى، يهتمّه التمكن من نطق الكلمة كما ينطقها أهلها، « إنّ إعادة تهجئة المادة اللّغوية عملية ضرورية لمساعدة القارئ على تلقّظها بصورة سليمة... معظم النّظم الكتابية في العالم تسجّل من حيث الأساس الفونيمات القطعية (أي الأصوات الساكنة والأصوات اللينة)، ولكنها تغفل الفونيمات غير القطعية مثل: النبرة ودرجة النّغم والفاصل... لم تعد النّظم الكتابية تسجّل بأمانة المتقابلات الفونيمية، (وهي تلك الأصوات التي تسبّب الفرق في معاني الكلمات المتشابهة، مثل: المتقابلين (ق) و(ك) في كلمتي (قلب وكلب) في اللّغة بطريقة نظامية، فعلى الرغم من أنّ النّظم الكتابية المستعملة في الوقت الحاضر صوتية من

¹ - ينظر: القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 49.

حيث الأساس (بمعنى أن كل حرف يمثل صوتاً واحداً). ولهذا فهناك حاجة واضحة لاستخدام تهجئة صوتية خاصة في المعجمات والأبحاث اللغوية».⁽¹⁾ هناك اتفاق بين اللغويين على ضرورة توفر المعلومات الصوتية في المعجم الثنائي اللغة.

أما مكتب تنسيق التعريب، فقد حدّد أهم المعلومات الصوتية الواجب توافرها، وهي « ضرورة ترتيب الكلمات ترتيباً ألفبائياً، وفي حالة كون لغة المتن غير العربية، فقد تدعو الحاجة إلى الكتابة الصوتية، كما يُستحسن ضبط كلمات المعجم بالشكل والعلامات الموضحة للنطق، مثل المدّ والألف الصغيرة المكتوبة... وتهجئة الكلمات لاسيما إذا كانت من غير اللغة العربية».⁽²⁾ قد يحدث تداخل بين بعض القضايا الصوتية والصرفية، إلا أن الهدف واحد، وهو مساعدة القارئ على النطق الصحيح للكلمة، فمثلاً الكلمات: (كُتِبَ، كُتِبَتْ، كُتِبَ)، هي صيغ صرفية مختلفة، ويتبع ذلك نطق صوتي مختلف، ولا يظهر ذلك إلا بوضع الحركات إلا إذا وردت في سياق، عندها قد يدلّك السياق على معناها.

1-3-2- الصرف والنحو: لا تقل أهمية الصرف والنحو عن الجانب الصوتي، وذلك راجع أساساً إلى الاختلاف الكبير بين أنظمة اللغات، ولاسيما بين اللغة العربية واللغات الغربية، وقد حصر مكتب تنسيق التعريب المعلومات الصرفية والنحوية التي يجب أن يتوفّر عليها المعجم الثنائي في «... ذكر أصل الكلمة إذا كانت أجنبية، بيان الأشكال المختلفة للكلمة، إذا نتج عنه تغيير الهجاء والمعنى، ووضع أرقام متسلسلة لهذه المعاني، تحديد نوع الكلمة قديمة أو عامية أو مصطلح وذكر مجاله، مع ضرورة تضمّن مقدمته لأساسيات اللغة العربية، من حيث الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية، مثل توليد الكلمات في اللغة العربية، والطريقة التي يُبنى بها اسم الفاعل والمشتقات، وترتيب الجملة في اللغة العربية».⁽³⁾ كما أكّد الباحث علي القاسمي على ضرورة تسجيل « جنس الكلمة من حيث التذكير والتأنيث في حالة اللغات التي لمفرداتها تلك الخصيصة، كما تسجّل جموع التكسير، وتصريفات الأفعال الشاذة، وقد تشير إلى الصيغة الأكثر شيوعاً إذا كان للكلمة أو أحد مشتقاتها أكثر من صيغة واحدة، وتنصّ المعجمات أيضاً على أقسام الكلام كأن تقول إنّ الكلمة اسم أو فعل أو حرف، ولكن معلوماتها في هذا الصدد غير كاملة، وغالباً ما تعوزها الدقة، فجّل

1 - القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 58، 59.

2 - مكتب تنسيق التعريب، "المعلومات النحوية في المعجم العربي الثنائي اللغة، الدورة التدريبية". ص 57، 58.

3 - ينظر: المرجع نفسه. ص 57، 58.

المعجمات الإنكليزية- العربية تضع الرمز "اسم"، مثلاً، أمام بعض المفردات، ولكنها لا تشير إلى الأصناف الفرعية التي تندرج تحت هذا الصنف، مثل أسماء الجمع، وأسماء الجنس وغيرها⁽¹⁾. لابد أن توفر المعاجم الثنائية على هذه المعايير يعكس تمكن المعجمي، وتخصصه في المجال. أما إذا خلت منها فقد يدل هذا على العكس.

1-3-3- الدلالة: تعدّ قضية الدلالة من أهمّ القضايا التي يجب الحرص عليها في المعجم الثنائي فإذا كان الأمر صعباً أحياناً في المعجم الأحادي، ففي الثنائي أصعب، إذ تتعلّق المسألة بنقل دلالة الكلمة من لغة إلى أخرى، بأكبر دقّة يمكن تحقيقها، فقد يصعب إيجاد الكلمات الدّقيقة في جميع الحالات ولاسيّما مع الكلمات التي تتضمّن حمولة دلالية دينية أو ثقافية لا توجد في اللّغة الأخرى وهو المشكل ذاته المطروح في عملية الترجمة. وهذا يعني أنّ المفردة لا يكفي التّعامل معها وفق معناها المعجمي، لما قد تحمله من إيحاءات مرتبطة بأهلها وثقافتهم وعقيدتهم، وغيرها من الدلالات. وهنا يلجأ المعجمي إلى حلول؛ منها أن يكون المقابل مقترضاً مثل: (مؤذن - Larousse muezzin)، أو على أساس الترجمة الجزئية (بريك تونسي - beignet tunisien)، و(زهد - abstinence, ascèse)، ويمكن إرفاق السّياق في كل الحالات⁽²⁾. وهنا تظهر صعوبة إيجاد المقابل في اللّغة الهدف، الذي يطابق الكلمة في اللّغة المصدر في كل سماته الدّلالية، فاللّغة تعكس هوية أهلها، وليست مجرد رموز يعبر بها، « والمشكلة الأساسية في المعاجم الثنائية والمتعدّدة اللّغة أنّها تعتمد على الجمع بين لفظ في لغة ولفظ مساو له في معناه المعجمي في لغة أو لغات أخرى، وهو أمر صعب في كثير من الحالات، وخاصة بالنسبة للغات المختلفة ثقافياً بصورة كبيرة، ممّا يضطر المعجمي إلى مقابلة اللفظ بعبارة شارحة⁽³⁾. وهو ما يظهر عند شرح كلمات دينية في معجم ثنائي اللغتين تنتمي إلى ديانتين مختلفين.

1-4- قضايا المعجم العربي الثنائي:

تتمثّل أهميّة المعجم الثنائي في مقابلة الوحدات المعجمية للغة ما، مع الوحدات المعجمية للغة أخرى، بحيث يكون المعنى دقيقاً، وذلك بمراعاة الفروق الدلالية للمفردتين في اللغتين والإشارة إليها

¹ - القاسمي، عليّ. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 75.

² - voir Franjé, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p 64.

³ - أحمد مختار، عمر. صناعة المعجم الحديث. ص 41.

ويُستعمل المعجم الثنائي أساساً للانتقال بين لغتين اللغة المصدر واللغة الهدف، إلا أن مارلو (Marello) تستعمل مصطلح (ترجمة) في معناه العام، والمصطلح لا يحيل فقط إلى سيرورة أو عملية الترجمة بمعناها الخاص؛ بل تشمل الفهم وإنتاج الرسالة باللغة الأجنبية مروراً بلغته الأم.⁽¹⁾ بمعنى أن المعجمي الذي يؤلف المعاجم الثنائية في الحقيقة يقوم بعملية ترجمة. ولهذا فإن أكثر من يوظف المعجم الثنائي هم المترجمون، فلا يكاد يستغني مترجم عنه، مهما كانت براعته وتحكمه في اللغة المترجم منها وإليها.

أما المجال الثاني فهو التعليم، حيث اقترنت المعاجم الثنائية، بتوجيه خطابها لمتعلمي اللغات للناطقين بغيرها، وهذا منذ بدايتها أول الأمر، « ولقد استندت هذه المعاجم إلى المنهج العلمي المعتمد (في صناعة المعجم لغير الناطقين بالعربية)، مع الاستفادة من تجربة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجال التخطيط المنهجي لصناعة المعجم، من حيث المضامين المعجمية والمصادر والمتن اللغوي وفئة المتعلمين، وذلك من منطلق الحرص على تحقيق الأهداف التعليمية للمعجم». ⁽²⁾ إلا أن هذا لا يغني عن كتب تعليم اللغة، التي تتطرق إلى دروس الصرف والنحو والدلالة بتفصيل أكبر. كما ظهرت لدى المستشرقين، معاجم ثنائية حاولت الجمع بين الأمرين (الترجمة والتعليم).

كما تعدّ المعاجم الثنائية « ذخيرة يمكن الرجوع إليها، للتوصل إلى معطيات تاريخية وسياسية واجتماعية وفكرية للفترات التي صدرت فيها وما قبلها، إن دراسة معجم للحوار (dictionnaire-dialogue) لا يقتصر الهدف منه على تعلّم كلمات اللغة، من البديهي أنه سيمكّن المستعملين من معرفة عادات وتقاليد ومعتقدات العرب، وفائدة عظيمة للعاملين في الإدارة وحكومة الأهالي». ⁽³⁾ بالإضافة إلى أنها تعكس الفروق الدلالية والثقافية بين اللغتين، يظهر ذلك مثلاً بوجود الكلمات المقترضة عند تعذر إيجاد الكلمة في اللغة الأخرى. عموماً توظف المعاجم الثنائية في مجالات لعل من أهمها الترجمة وتعليم اللغات، ويعدّها الباحثون حديثاً وثيقة تاريخية. يرتبط المعجم كما سبق ذكره بمجال الترجمة، وهو ما يطرح قضايا مرتبطة بهما معاً، مثل قضية التعريب في المعجم الثنائي المختصّ

¹- voir Franjé, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p 40.

² - التويجري، عبد العزيز بن عثمان. مستقبل اللغة العربية. ص 48.

³ - voir M. L'abbé Leguest. ya-a-il ou n'y-a-il pas un arabe vulgaire en Algérie ?.parie, librairie de benjamin Duprat, librairie de l'institut de la bibliothèque impériale, 1858. p 50.

بالإضافة إلى التداخل بين التعريب والترجمة، وعلاقة الترجمة بالهوية، حيث تؤثر الترجمة في اللغة وقد تدخل عليها ما ليس منها، بقصد أو بغير قصد، واللغة تمثل هوية الأمم والشعوب، بوصفها الوعاء الذي يحمل حضارتها بكل ما تشمله من أبعاد.

1-4-1- المعجم الثنائي والترجمة: ورد في موضع سابق أنّ العمل الذي يقوم به صاحب

المعجم الثنائي في الحقيقة، هو نوع من أنواع الترجمة، وعليه ينبغي على المعجم الثنائي والترجمة حكم واحد فإذا كان محتوَاهما ومنهجهما موضوعيا، فسينتج عنهما أثر إيجابي، والعكس صحيح. وقد اتفق المترجمون على أنّ عملية الترجمة من أصعب الأعمال، بوصفها تحاول نقل أفكار وأحاسيس وثقافات من لغة إلى أخرى، وقد أشار الأستاذ عبد الرزاق عبيد إلى هذا الإشكال في بحثه حول ترجمة الأمثال والحكم، « يتبين من هذا أن الأمثال والحكم لا يقتصر دورها على تمرير معادل دلالي في خطاب من لغة إلى أخرى وإنما تحمل - وهذا هو المهم - مؤشرات اجتماعية/ ثقافية محلية». (1) ومن أشهر الأقوال في هذا السياق (الترجمة خيانة). فترى هل يكفي أن ينقل المترجم كلمات وجمل من لغة إلى لغة أخرى؟ « إذا كانت الترجمة ضرورية للتواصل بين مختلف اللغات والثقافات والشعوب، فإنّها تحمل من الصعوبات والعوائق ما يجعل تحقيق الفعل الترجمي الدقيق أمرا صعب المنال، لأنّ الترجمة ليست مجرد نقل تراكيب وكلمات من لغة إلى أخرى؛ بل هي أيضا إدراك للعلاقة الموجودة بين التراكيب والكلمات وحضارة اللغة وثقافتها». (2) كذلك تفرض الأمانة العلمية على المترجم أن ينقل العمل إلى اللغة المترجم إليها مع الحفاظ على كلّ خصائصها اللغوية والثقافية والدينية وأكثر شيء يجب الحرص عليه هو أن لا يُحلّ المترجم دينه أو ثقافته محلّ الدين والثقافة الموجودين في العمل الأصلي، ولاسيما إذا كانت الأديان والثقافات مختلفة؛ لأنّ القائم بالترجمة إنسان، ومهما حاول التقيّد بالعمل في لغته الأصلية، فإنّه ولا بدّ سيتأثر بثقافته ودينه ولغته. يظهر هذا جليا في أعمال معظم المستشرقين، وهو تحدّ يحتاج إلى قدر كبير من الموضوعية. وهناك من يرى أنّ الترجمة القائمة على المعجم الثنائي فحسب، قد تكون غير موفقة غالبا "كثيرا ما يُقرأ أو يقال إنّ أسوء الترجمات، هي تلك التي نشعر، أنّها تمت حرفيا انطلاقا

1 - عبيد، عبد الرزاق. "ترجمة الأمثال والحكم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية: الصعوبات والحلول". في عدد خاص، العربية الراهن والمأمول الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 1430هـ-2009م. ط1. ص 404.

2 - عبد العالي، بشير. "إشكالية المعنى في النص المترجم". في التعريب. تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد، 2008م. ع 34. ص 107.

من معجم...»⁽¹⁾ إلا أن هذا لا يعني الدعوة إلى عدم اعتماد المعجم الثنائي في عملية الترجمة، لكن لابد أن يكون للمترجم معرفة نسبية باللغتين، كما يمكن أن يستمد المعجم الثنائي مادته من كتب أو أعمال مترجمة، إذ كلاهما قد يخدم الآخر، فالعملية تكاملية بينهما.

1-4-2- المعجم الثنائي والتعريب: كثيرا ما يلاحظ في ساحة البحث اللغوي تداخل بين

مصطلحين مختلفين، وهما: (التعريب والترجمة)، وقبل التطرق إلى التقريب بينهما، يجدر بنا الوقوف بداية على تحديد مصطلح التعريب الذي يُستعمل للدلالة على التحول من استعمال لغة المحتل وسيطرتها (الفرنسية مثلا في الجزائر) في المجالات المختلفة للمجتمع إلى اللغة العربية، وهو ما دعت إليه الدولة بعد استقلال الجزائر، وتحقق جزئيا في مجال التعليم، والقضاء، لم يتحقق في مجالات كثيرة، منها العلوم، وهو رد فعل على فرنسة الجزائر، بمحاولة جعلها بلدا فرنسيا أو بالأحرى تابعا لفرنسا، وذلك بإقصاء اللغة العربية.

أما التعريب الذي يعني البحث في هذا المقام، فهو الذي يهتم بنقل مصطلح أجنبي إلى اللغة العربية، وهناك من أشار إلى إشكال آخر يتعلق بحقيقة، هذا المصطلح واختلاف دلالاته بين المشرق والمغرب، « من الوجهة التاريخية، ثمة اختلاف في معنى التعريب مشرقا ومغربا، ويرجع السبب إلى اختلاف التجربة. وكثيرا ما يقال إن التجربة المشرقية مصطلحية بالدرجة الأولى، إذ ارتبطت بظهور المجامع اللغوية، وركزت على إصدار المعاجم. فكان التعريب في المشرق قضية جزئية لا تتجاوز حدود التعريب اللساني في حين أنها، تمثل في المغرب العربي قضية أوسع من ذلك، تتصل بالتعريب الاجتماعي، وهذا الاختلاف يجعل من التعريب في المشرق، في نهاية الأمر فرصة استيعاب إرادي للمعارف وضمها للحضارة، ويجعله في المغرب فرصة دفاع عن الذات والهوية، واستراتيجية للتخلص من الإرث الاستعماري ومن التبعية»⁽²⁾. إن تأمل الواقع في العالم العربي الإسلامي عموما ينفي وجود فرق بين دلالة المصطلح في المشرق والمغرب، إذ يتخبط المشرق كذلك في أزمة هوية لا تختلف عن تلك الموجودة في المغرب، وعليه يرى البحث أن التعريب هو العمل على إيجاد مقابل عربي لمصطلح

¹ - Szende, Thomas. Le Français dans les dictionnaires bilingues. Amr Helmy IBRAHIM, De la synonymie à la traduction ou comment améliorer les dictionnaires bilingues ARABES. PARIS, HONORE CHAMPION, 2006. p173.

² - بركة، بسام وآخرون. اللغة والهوية في الوطن العربي. فايز الضياع، "إشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الدوحة 2013م، ط1. ص 65.

أجنبي وفق شروط معينة حدّدها اللّغويون، وذلك للحفاظ على هوية اللغة العربية ونظامها. وتكون التّرجمة أسهل إلى حد ما مقارنة بما سبق، فهي نقل نصوص مكتوبة أو مسموعة في لغة أجنبية إلى اللّغة العربية مع وجود ما يقابلها عموماً في اللغة العربية، وهو ما لا يتوفر في التعريب إذ يجد الباحث نفسه أمام مصطلح أجنبي لا مقابل له في اللغة العربية، وهنا يتدخّل التعريب، لذا « يجب التّفريق بين مصطلحي التعريب والترجمة، فالترجمة هي نقل معنى وأسلوب من لغة إلى أخرى بينما التّعريب هو رسم لفظة أجنبية بحروف عربية، وهو ما يعرف بالإنجليزية بـ (translitération) أي التّرجمة الصّوتية»⁽¹⁾. أشار هذا التّعريف إلى زاوية واحدة من المعرّب، وهو الدّخيل الأجنبي الذي حافظ على حروفه الأجنبية، لكن هناك مصطلحات عرّبت دون بقاء أثر اللغة الأجنبية، فقد يكون التعريب بإيجاد مصطلح عربي يقابل المصطلح الأجنبي، مثل كلمة "لسانيات" فهنا عرّب مصطلح (linguistique) بكلمة عربيّة. إنّ التعريب يفرضه وجود مفاهيم جديدة يأتي بها الغرب، مع انعدام ما يقابلها في اللّغة العربية فتظهر الحاجة حينئذ إلى التعريب. أمّا التّرجمة فالمفاهيم موجودة في كلا اللّغتين مع اختلاف المساحات الدّلالية بينهما أحياناً، وبما أنّ هناك إشكالا يتعلّق بوضع المصطلح العربي فلا بأس بالإشارة إلى أهم الأسس التي وضعها الباحثون له.

1-4-3- وضع المصطلح: بما أنّ التعريب مرتبط بالمصطلح، فلا بدّ من تحديد أهمّ المبادئ التي يقوم عليها، ذكر الباحث عبد القادر الفاسي الفهري مجموعة من المبادئ لتوحيد منهجية وضع المصطلح وهي:⁽²⁾

- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.
- تجنّب تعدّد الدّلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على المشترك.
- استقرار وإحياء التّراث العربي، وخاصة ما استعمل منه، وما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ معربة.
- مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعلمية لتسهيل المقابلة بينها.
- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية التراث، فالنّوليد (مجاز

¹ - حمائز، حسن. "التنظير المعجمي والتنمية المعجمية في اللسانيات المعاصرة: مفاهيم ونماذج تمثيلية". ص 122.

² - الفهري، عبد القادر الفاسي. اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية. الكتاب الثاني. الدار البيضاء - المغرب، دار طوبقال للنشر 2000م. ط4. ص 188.

اشتقاق، تعريب، نحت).

– مراعاة اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي الأجنبي دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.

هي أسس لا تختلف كثيرا عما أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث أعطيت الأولوية للمصطلح التراثي، إذا عبر عن المفهوم المصطلحي في مجال البحث، وترجمة المصطلح الأجنبي دلاليا عند تعذر وجود مصطلح عربي مقابل، أو اللجوء إلى الاشتقاق، ثم استعمال المجاز، فالنحت والتركيب المزجي، وعند تعذر هذه الوسائل، يلجأ إلى التعريب اللفظي، ولكن وفق قواعد العرب القدامى.⁽¹⁾ وهناك من يجعل التعريب مشكلا تعاني منه اللغة العربية، « لاشك أن مشكل التعريب في جانبه اللغوي مشكل الطاقة التعبيرية للغة العربية، وقدرة متكلميها على التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية والفنية، وكل المعلومات الواردة بصفة عامة، وطبعا يمكن أن يخرج التعريب إلى محيطه وتمفصلاته داخل التاريخ أو الاقتصاد أو المجتمع أو السياسة، ويُنظر إليه كمشكل من مشكلات التحرر أو الديمقراطية أو التخلف...».⁽²⁾ لا يرتبط المشكل باللغة العربية في ذاتها وإنما بأهلها، فقدرة خلق مفردات تسير العصر لا تقوم بها اللغات؛ بل أصحاب اللغة هم يفعلون ذلك، فلم تُتَّهم العربية؟ أمّا ما ذكر عن التخلف، وهي تبعية مصطلحية للغة الأجنبية، أو بالأحرى لأهلها، فاللغة بيد أهلها هم يرفعونها ويضعونها، « والمعجم اللساني شأنه شأن المعاجم القطاعية الأخرى موزع بين معجم داخلي أي المعجم الأحادي للغة، ومعجم خارجي أي معجم متعدد اللغة، الثروة المفرداتية الداخلية مصدرها المصطلحات النحوية واللغوية والبلاغية والعروضية القديمة أساسا، وهي مجسدة لمقولات فكرية معينة في زمن معرفي وفني معين والثروة المفرداتية الخارجية تأتي وتنمو عن طريق الترجمة والتعريب بمعناه الواسع، إذن المعجم اللساني العربي في طريق التكوين».⁽³⁾ هناك مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق الهيئات والباحثين اللغويين في هذا المجال، وإن كان أكبر مشكل يعانيه المصطلح اللساني في الحقيقة هو عدم توحيد بين أقطار البلدان العربية الإسلامية. ولعلّ الإشكال ينعكس بجلاء عند تصفّح أحد المعاجم اللسانية العربية ثنائية اللغة أو المتعددة، إذ تمثل لغة المتن في معظمها اللغة الأجنبية. وهو ما تجاوزه المستشرق ميشيل قيطوط

¹ – ينظر: قرفة، زينة. المعجم المختص دراسة في المنهج والمادة، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات لمكتب تنسيق التعريب نموذجا. قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف2، 2014-2015م، ص 150، عن مجلة اللسان العربي، ع9، 1995م.

² – الفهري، عبد القادر الفاسي. اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية. ص 182.

³ – المرجع نفسه. ص 223.

في معجمه الثنائي اللساني، إذ خصص قسما عربيا -فرنسيا، وآخر فرنسيا-عربيا، وهو صنيع يحسب له. وبهذا يؤدي المعجم الثنائي دورا مهما في إثراء مجال المصطلحات، ويمكن الاستفادة منها لمعرفة أهم الصعوبات التي يعانيتها هذا المجال.

لا تقل أهمية المعجم الثنائي في المجال العلمي، وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك، عند الحديث عن المصطلح وتعريبه، وقد تكون اللغة العربية من أكثر اللغات استفادة من هذا النوع من المعاجم، نظرا لما يعانیه العرب في هذا المجال، ولا سيما النقني منه، يكفي أن معظم المعاجم الثنائية العربية المتخصصة اللغوية وغيرها، تجعل لغة الانطلاق إحدى اللغتين الأجنبية الفرنسية أو الإنجليزية.

1-4-4-المعجم الثنائي وتعليم اللغات الأجنبية: لاشك أن المعجم الثنائي يسهم في تعلم

اللغات الأجنبية وتعليمها، وهو من الوسائل التي يعتمد عليها معلمو اللغات الأجنبية أحيانا، فكثيرا ما يُطلب من المتعلم قراءة نص بلغة أجنبية، والإجابة على أسئلته بتوظيف معجم ثنائي، وهناك دراسات غربية كثيرة اهتمت بهذا الموضوع، منها دراسة روبير قاليسون (Robert Galisson) التي عمل فيها على البحث عن الطرائق المناسبة التي يمكن من خلالها الاستفادة من المعجم الثنائي، لتعليم اللغة الفرنسية بوصفها لغة أجنبية، حيث أشار إلى بعض العيوب التي تصعب؛ بل أحيانا تمنع المتعلم، ولاسيما بالنسبة إلى الشخص الذي لا يعرف اللغة الأجنبية، (نرجو خاصة التنبيه على عادات المعجمية الثنائية التي يبدو أنها تغض عينيها عن المشاكل المنهجية، والاكتفاء بالكفاءة اللغوية في اللغتين. وقد حاولنا بهذه الدراسة فتح طريق شخصي، للوصول إلى المعنى لبعض الأجانب، وخاصة للطلبة المتقدمين، الذين سيجدون في هذه المقاربة إجراء للتعلم الذاتي).⁽¹⁾ وهناك دراسات أخرى غُيّت بهذا الموضوع، مثل دراسة عفار أحمد هاشمي تحت إشراف المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية بباريس، التي تناول فيها الحديث عن المعجم الثنائي لتعليم اللغة الفرنسية، والذي يمكن أن يستفيد منه الفارسيون والترجمة والمعلمون سواء للفهم أو للتعبير.⁽²⁾ ولا يقل الاهتمام بدور المعجم الثنائي في تعليم اللغات الأجنبية لدى العرب، إلا أن هذا المجال لا يزال في بداياته لديهم، ومن الباحثين الذين أشاروا إليه الباحث اللغوي علي القاسمي، حيث وضح أن المعجم الثنائي

¹ - Galisson, Robert. Lexicologie et enseignement des langues (essais méthodologiques), Paris HACHETTE. p 168.

² - Hachemi, Afagh Hamed. « La lexicographie bilingue d'apprentissage : Le cas des dictionnaires français-persan », Appropriation et transmission des langues et des cultures du monde: Actes du Séminaire Doctoral International. 2012, p164. Institut National des Langues et des Civilisations Orientales-PARIS. <https://www.soas.ac.uk/clp/plidam-doctoral-seminar-proceedings-2012/file116376.pdf>

في بداياته الأولى (كان موجّهاً لمتعلمي اللغات الأجنبية، ولاسيما الإنجليزية، لكنها تراجعت مع ظهور الطريقة المباشرة في تعليم اللغة الأجنبية، إذ كثيراً ما يمنع بعض المعلمين طلبتهم من استعمال هذه المعاجم لكن بحوث علم اللغة النفسي، أثبتت أنّه لا يمكن الاستغناء أحياناً عن هذه المعاجم).⁽¹⁾ ومع ظهور التقنيات المعاصرة، ووسائل التواصل الاجتماعي، ازداد الابتعاد عن المعجم الثنائي، إلّا أنّه قام مقامه المعجم الإلكتروني، إذ كثيراً ما يتّجه الباحث إلى محركات البحث للبحث عن معنى كلمة أجنبية أو مقابل لها بلغته.

1-4-5- المعجم الثنائي وهويّة العالم الإسلامي العربي: لا يختلف أحد حول أهميّة التّرجمة

في نقل العلوم وخدمة الشّعوب والحضارات، وقد تؤدي دوراً عكسياً، وهذا يحدّده المترجم والمترجم عنهم « ولكن هذه التّرجمة اليومية تعكس على العربيّة أثراً لغويين مباشرين آخرين لافتين: يتعلّق أولهما بالمعجم، ويتعلّق الثاني بالنّظم. أمّا ما يتعلّق بالمعجم، فيتمثّل في التّصرّف بالترجمة، إذ يستبدل بالمقابل العربي (الدّقيق) مقابل (غير أمين)، وذلك في المواقف التي تتناول موضوعات... الدّين والسياسة، إذ يعتمد المترجم إلى استبدال دار العبادة بالكنيسة... وهذا التّصرّف الذي يمارسه المترجم بتوجيه الرّقيب الذاتي والمباشر، وإن كان ظاهر القصد به حيناً أو مراعيًا للحساسية الثقافية هذا التّصرّف يفضي إلى تأثير عكسي على مدلولات الألفاظ في العربيّة وتداولها...».⁽²⁾ وإذا حلّلت الصّيغتان دلاليًا، فإنّ الفروق ستكون كبيرة، إذ تصلح الصيغة الأولى لأيّ شعب، فدار العبادة للمسلمين غير دار العبادة للمسيحيين ولا لليهود أو غيرهم، وهنا تضليل واضح، وفرض لعقيدة معيّنة في اللّغة دون مراعاة لعقيدة أهلها.

قد تؤدي التّرجمة إلى تشويه النّص الأصلي، فينعكس ذلك سلبيًا على الثقافة الأصلية للعمل، فيكون المترجم بذلك، قد أنتج صورة جديدة للعمل وفق رؤيته وثقافته. ويرى آخرون أنّ العمل المترجم يجب أن يراعي الفئة المترجم لها لا الفئة المترجم منها، وهذا إشكال آخر من إشكالات التّرجمة. يبقى أنّ التّرجمة ما هي إلّا محاولة، لنقل صورة ثقافة معيّنة من لغتها الأصلية إلى لغة أخرى تنتمي إلى ثقافة أخرى. «... بل هناك عوامل أخرى تتدخّل بصورة مباشرة في تحديد ماهية النّص المترجم، منها الخلفية الفلسفيّة والثقافية للمترجم، والهدف الذي ترمي إليه الترجمة، والمستوى الاجتماعي الحضاري السوسيو

¹ - ينظر: القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 156، 157.

² - الموسى، نهاد. اللّغة العربيّة في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التّحوّل. ص 95.

حضاري للمتلقّي».⁽¹⁾ بمعنى أنّ التّرجمة حسب هذا الطّرح، لا يمكن أن تكون أمينة، طالما أنّها خاضعة لخلفيات صاحبها وخصائص المتلقّي. وهنا سيكون أثر التّرجمة خطيرا ومشوّها لهوية العالم العربي الإسلامي، « ومشكلة الترجمة في نظر أمبرتو إيكو (Umberto Eco) تطرح بالدرجة الأولى على لغة الوصول. ولذلك فإنّ رهان المترجم يتمثّل في تقديم نص مطابق للنصوص المحلية. وهذه النظرة يشاركه فيها بعض السياسيين، وبعض المهتمين بالشأن الثقافي لخوفهم من أشكال الغزو الأجنبي والتأثير الكبير الذي قد تلحقه اللغات القوية باللغات الأقل منها...».⁽²⁾ بالمقابل، هناك من يتحدّث عن الأثر الإيجابي لعملية التّرجمة، حيث يذكر الأستاذ بسام بركة الدّور المهم للتّرجمة، في تجذير هوية المجتمع، «... فالتّرجمة إلى العربية، هي أبعد من أن تكون استلابا للهوية، إنّها على العكس من ذلك إغناء لها وتعزيز لبنائها طالما أنّ ما يُترجم يعبر عنه بالّلغة العربية وأنّه بالتّالي مؤهل لأن يدخل في أساس بناء الهوية العربية».⁽³⁾ غيّب هذا القول واقعا مريرا يعيشه بعض الباحثين واللّغويين، وهو نقل الأفكار الغربية وإسقاطها كما هي على العربية دون أي غربة أو تكييف؛ إنّ ما تحدّث عنه اللّغوي لن يتحقّق إلّا باجتهاد الباحثين العرب والاستفادة من هذه التّرجمات تحليلا ونقدا وتكييفا مع الواقع الاجتماعي والثقافي العربي الإسلامي، وهو ما حدث في العصور الذهبية للّلغة العربية.

تناولت الباحثة سعيدة كحيل جانبا من هذا الإشكال، « إنّ التّراجع عن اختيار التّراث العربي في استراتيجيات ترجمة الكتاب في الفترة الأخيرة -في نظري- لحساب التّأليف المعاصر المتشبع بروح الغرب في ميادين اللّغة والأدب والثقافة بوجه عام لهو دليل هزيمة، وقبول بمنطق الآخر الدّاعي إلى تغييب الذات بدعوى الإصلاح علما أنّه - أي الآخر - كان قد امتلك ناصية تراثه، فحاوره ونقد أنساقه الداخلية تحليلا وتركيبا... وممّا أسفر عنه في درسنا اللّغوي المعاصر مثلا- الاقتلاع الخاطي للنّظريات اللسانية الغربية وأفكارها النّظرية، ومناهجها التّحليلية، ومحاولة زرعها في تربة غير مخصبة ليست تربتها الأصلية، بدعوى أنّ المناهج لا تعرف الحدود الجغرافية، وأنّها عالمية كعالمية الفكر البشري، هكذا تتراءى لي دعوات بعض

1 - عبد العالي، بشير. "إشكالية المعنى في النصّ المترجم". ص 110.

2 - عبيد، عبد الرزاق. "ترجمة الأمثال والحكم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية: الصعوبات والحلول". ص 404.

3 - بركة، بسام. "الترجمة إلى العربية دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية". ص 32.

اللغويين العرب في المشرق والمغرب العربيين في هذا السياق». (1) يبدو أنّ التّرجمة في الوقت الحالي رغم كلّ الإيجابيات التي يفترض أن تحقّقها، إلّا أنّها في معظم الأحيان تعود بالسّلب أكثر من الإيجاب، وذلك سواء من اللّغة العربية أو إليها. ومن أهمّ القضايا المطروحة كذلك في هذا المجال ترجمة القرآن الكريم، فهل يمكن ذلك سواء أكان ذلك من المؤمنين به أو من غيرهم؟

1-4-6- ترجمة معاني القرآن الكريم: اهتمّ المستشرقون بالقرآن الكريم، وهو كلام الله عزّ وجلّ والكتاب المنزل على سيّدنا محمّد الأمين ﷺ وهو آخر الكتب السماوية، وإذا كان هذا الكتاب وحياً مرتبطاً بعقيدة المسلمين، فهل يمكن لمستشرقين أن يتناولوه بموضوعية، وهم لا يؤمنون به؟ بل منهم من يسعى جاهداً لدحض كلّ ما جاء فيه، وجعله كلاماً بشرياً، ومن الأعمال التي قاموا بها في مجال الدّين الإسلامي ترجمة القرآن، وإذا قيل عن التّرجمة عموماً بمعنى ترجمة كلام بشر من لغة إلى أخرى بأنّها خيانة، إذ مهما بلغ حرص المترجم، وتمكّنه في اللغتين لن يتمكن من تمثّل النصّ الأصلي بأمانة تامة، فما بالك بترجمة كلام الله عزّ وجلّ، وقد عجز العرب أنفسهم فرسان الفصاحة والبيان عن الإتيان بمثله، وقد اتّفق أهل العلم في الشريعة الإسلامية على استحالة ترجمة القرآن الكريم، وقرّروا أنّ المعاني هي التي تترجم. وقد شغل القرآن العظيم بال المستشرقين بكلّ جنسياتهم ومدارسهم، وعملوا على ترجمة معانيه (ترجمة القرآن حسبهم)، وللتعرّف على استحالة ترجمة القرآن تمّ الرجوع إلى ترجمة المستشرق كازيميرسكي وترجمة بلاشير، اخترت الآية الثّانية من سورة الكوثر، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ والتي ترجمها كازيميرسكي بـ:

« Adresse ta prière au Seigneur et immole-lui des victimes ».(2)

وترجمها بلاشير بـ:

« Prie donc en l'honneur de ton Seigneur et sacrifie ! ».(3)

أول ما يشدّ الانتباه، هو الإيجاز الشّديد الذي تتّصف به الآية مع عظم دلالاتها، والعكس في اللّغة الفرنسية، وهذا ما يؤكّد استحالة ترجمة القرآن العظيم، ولا يمكن فهم معانيه الحقيقية إلّا باللّغة العربية، أمّا الترجمة، فيمكن لأيّ مبتدئ في اللغة العربية أن يدرك أنّ كلا التّرجمتين عجزتا عن نقل

1 - كحيل، سعيدة. "ترجمة الكتاب العربي بين العالمية والعولمة". في الآداب العالمية، مجلة فصلية تصدر عن اتّحاد الكتاب العرب بدمشق 2013م. السنة الثامنة والثلاثون. ع 154. ص 24.

2 - Kazimir ski, Le Koran, traduction nouvelle, faite sur le texte Arabe, charpentier, libraire-éditeur, paris, 1844, p 504.

3 - Régis Blachère, le coran (al-qor'ân) traduction, G.P. Maisonneuve, Larose éditeurs, 1966, p 668.

معنى الآية الكريمة، وإن كانت ترجمة المستشرق كازيمرسكي أكثر بعدا وشططا عن الأصل، فقد حرّف معنى الآية تماما، فقله: « تقديم ضحايا » يمكن تأويله بأشخاص، وكأن الله عزّ وجل يطلب من نبيّه الكريم محمدا ﷺ أن يضحي بأشخاص، في حين المعنى المقصود هو أضحية العيد. أمّا ترجمة بلاشير فهي أقرب إلى الصواب، لكن الجاهل بالقرآن المبين، والثقافة الإسلامية لن يفهم ما يعني ب (الأضحية). كما لوحظ أنّ كازيمرسكي احتفظ باسم السورة كما هو، في حين أطلق بلاشير عليها تسمية (Sourate CVIII "L'abondance"). وقد أشار الباحث ضيفاوي إلى اختلاف تسميات سورة الفاتحة لدى المستشرقين، (ففي حين أطلق عليها كزيمرسكي (chapitre premier)، سماها بلاشير (laliminaire) ودوغاير (Du Ryer)، ومونتيه (Montet)، وبيرك (ouverture)، فيما اقترح الباحث (prologue).⁽¹⁾ والأحسن أن يُحتفظ بها كما هي، فهي بمثابة اسم العلم، ولا يترجم اسم العلم بل يبقى على هيئته الأصلية، ويمكن شرح التسمية بين قوسين للتوضيح.

وإذا كانت ترجمة نص أدبي بطريقة مطابقة للنص الأصلي، تكاد تكون مستحيلة، ففي القرآن أكثر استحالة، « لكن الإشكالية تظلّ في قضية (المعادلات) وخصوصا عندما يجد المترجم نفسه أمام نص مقدّس، موحى كنص القرآن الكريم، الذي يدخل في تقليد توحيدي انطلقت منه أو من المفترض أن تكون كذلك...».⁽²⁾ واهتمّ بلاشير بالإضافة إلى الأدب بالدراسات القرآنية، فقدّم سنة 1947م كتابه (مدخل إلى القرآن)، ثمّ قدّم ترجمة للقرآن سنة 1950م رتبّ الآيات حسب النزول. ثمّ أعاد تقديمها سنة 1957م؛ مراعيّا فيها ترتيب المصحف العثماني، ويضم هذا الكتاب إحدى الدراسات المتّصلة بالقرآن وأثره في نشأة المعجم العربي، كما قام بدراسات عن شخصية الرسول ﷺ. ويبدو أنّها اتّسمت عموما بالاعتدال، والميل إلى النظرة الموضوعية.⁽³⁾ ولابدّ من الإشارة إلى أنّ العرب تصدّوا لتصحيح بعض الأخطاء التي جاءت في ترجمات معاني القرآن الكريم للمستشرقين، ومنهم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، الذي وضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، يقول: « ولما أجمعت العزم على ذلك راجعت

¹ - ينظر: ضيفاوي، بن محمد. "أندري دي ريبير بين ترجمة القرآن وقرآن الترجمة" في مجلة الحوار المتوسطي، مجلة محكمة، مخبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجبالي ليايس، الجزائر، 2016. ع 11-12. ص 100.

² - البقاعي، محمد خير. "ثقافة النص المترجم، الترجمة وتحريف الكلم". في مجلة الذريعة، السنة السادسة، رمضان 1424هـ-نوفمبر 2003م. ع 23. ص 171.

³ - درويش، أحمد. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م. دط. ص 15.

معجم فلوجل مادة مادة، على معاجم اللغة وتفسير الأئمة اللغويين، وناقشت موادّه، حتى رجعت كل مادة إلى بابها...»⁽¹⁾ كما قام الأستاذ إبراهيم عوض بعمل مماثل مع المستشرق الألماني بوهل.⁽²⁾ وقد وقف على بعض الترجمات للقرآن الكريم في دائرة المعارف وأبان ما فيها من شطط.

2- المعجم العربي بين المستشرقين والعرب:

ستخصّص هذه المحطّة للنظر في علاقة المستشرقين بالمعجم العربيّ عموماً، والتأثير والتأثر المتبادل، وبما أنّ السّبق في هذا المجال كان للعرب، فمن المؤكّد أنّ التّأثر أسبق من التّأثير، ومعه ستكون الانطلاقة.

2-1- اهتمام المستشرقين بالمعجم العربي وتأثرهم به: يعترف المستشرقون بسبق العرب في

مجال المعجم الأحادي، وكانت البداية بجمع هذه المعاجم التي كانت على شكل مخطوطات في البلدان الأوربية وكانت نادرة، وهي نفسها التي قامت أعمالهم المعجمية عليها « واشتهر في الشرق القاموس العربي للفيروآبادي (729-817هـ/ 1329-1415) المعروف أكثر بالقاموس المحيط، وقد نشره بكالوتا حوالي عام (1233هـ-1817م)، ويحتوي على جلّ ألفاظ العربية -وهي اللّغة التي يعتبرها المستشرقون الأكثر ثراء في العالم- وقبل هذا التاريخ، لم يكن القاموس سوى مخطوطاً نادراً حتى في الشرق. وأما النسخ المخطوطة من القاموس المحيط، التي اكتشفها الأوروبيون، فقد كانت باهظة التكاليف»⁽³⁾. وهذا يعكس الأهمية الكبيرة التي أولاها المستشرقون للمعاجم العربية، التي رأوا فيها ما يغنيهم عن غيرها، ف « كان طبيعياً أن يستعمل علماء الاستشراق الأوروبيون المعاجم والموسوعات العربية في البداية للاستعانة بها في دراساتهم، وكان من المسلّم به عندهم أنّه من العبث، وإضاعة الجهد بذل جهود جديدة في هذا المجال، طالما أنّ المعاجم العربية التي كتبها العلماء العرب أنفسهم متوفرة في كل فرع وموضوع فضلاً على الثقة الكبيرة التي تحيط بتلك المعاجم والأمانة العلمية، والدقة اللّتين تحلى بهما أجيال من اللّغويين العرب والمسلمين على حد تعبير (مانفرد أولمان).⁽⁴⁾ وقد تولى المستشرقون طباعته و« كان

1 - عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة، دار الكتب المصرية، 1943-1364هـ، دط، ص هـ.

2 - ينظر: عوض، إبراهيم. دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل. القاهرة، مكتبة البلد الأمين، 1419هـ-1998م. ط1.

3 - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية. ص 244.

4 - عمارة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 29.

المستشرقون الفرنسيون يقتفون آثار المكتبات والكتب، في أوروبا وفي العالم الإسلامي ولذلك فقد علموا بواسطة الدكتور الأستاذ بمدرسة الطب بالقاهرة، بمشروع طباعة القاموس المحيط للفيروزآبادي. وكان المشروع يقضي بطبع 1500 نسخة توزع على مصر والحجاز وسوريا وباقي البلاد الإسلامية الأخرى كالعسطنطينية والهند وبلاد المغرب⁽¹⁾. وهو إنجاز رَحَّب به المستشرقون. حيث «اعتبر (PERRON) طباعة القاموس فرصة لا تعوّض، ولذلك راسل رئيس تحرير المجلة الآسيوية (MOHL) مقترحاً عليه التعريف بالمشروع في المجلة، وطلب عدداً معيناً من النسخ بواسطة القنصل الفرنسي، اعتقاداً منه أنها ستباع بسرعة في أوروبا. ومن ضمن ما جاء في تفاصيل الرسالة أن مراجعة طباعة القاموس تتم من طرف شيخ (PERRON) في اللغة العربية، وهو الشيخ محمد بن عمر التّونسي (1204-1274هـ/1789-1858م) المعروف بتمكّنه من العربية، والذي سيقابل النسخة التي بحوزته المراجعة اعتماداً على 7 أو 8 نسخ، بنسخة القاموس المطبوعة بـالكوتا. وكان (DE SACY) يملك نسخة من هذا القاموس ونسخة أخرى كانت بحوزة (DOM GABRIEL TAOUIL) اقتناها من أستاذه في العربية الدارجة بمرسيليا⁽²⁾. ومن المعاجم التي أثارت اهتمامهم، وتأثروا بها معجم الأصفهاني «صاحب كتاب غريب القرآن، فإنّه بنى معجمه الجليل على اعتبار المضاعف هجاء واحداً ولم يبال بتكرار حرفه الأخير... والمستشرقون وضعوا معاجمهم مقتفين أثر الأصفهاني، ولم يبتكروا الطريقة من عندهم بخلاف ما يظنّه جمهور المتطفلين على اللغة⁽³⁾. لقد كان المعجم العربي عموماً ومؤلفوه محلّ إعجاب المستشرقين، «وأثنى فريق آخر من المستشرقين على (لسان العرب) و(القاموس المحيط)، لأنّه لا يستطيع كتابة هذين المعجمين، إلّا شعب عال جداً في الثقافة والأدب، ولا يستطيع جمع مثل هذين المعجمين، إلّا الباحثون المتميّزون. ويرى المستشرقون أيضاً أنّ الخليل بن أحمد يعدّ أول شخص يحاول تسجيل معاني المفردات الكاملة للغة في العالم، وكان يقصد بذلك جذور الكلمات كلّها، بدلاً من الكلمات كلّها، وليس في هذا سوى مثال واحد على أنّ العرب توفّر لديهم الموقف الصّحيح والسّجّية الموفّقة لتأليف المعاجم⁽⁴⁾. وهذا اعتراف صريح بتمكّن العرب في هذا المجال، وسبقهم الموفّق. وألّف

¹ - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية. ص 244.

² - المرجع نفسه. ص 244.

³ - الكرمل، الأب أنستاس. نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها. ص 2، 3.

⁴ - ياقوت، محمود سليمان. منهج البحث اللغوي. ص 112.

المستشرقون في مرحلة لاحقة، معاجم بدا فيها تأثرهم الكبير بالنموذج العربي، « صدرت مجموعة من معاجم المستشرقين، كانت أكثر صلة بالفصحى والمعاجم العربية، وأكثرها لم يكن التّصير هدفا في تأليفه، فكان الهدف العلمي يغلب على تأليفه، وكان أغلب تلك المعاجم ترجمة لأحد المعاجم العربية أو عدد منها، ولم تكن الدّراسات اللّغوية نضجت في أوروبا، كما أصبحت فيما بعد ولذا كان أغلبهم مقلّدا اللّغويين العرب في أعمالهم المعجميّة»⁽¹⁾ وإن كان بعض الباحثين العرب يشكّك في نية تأليفها، ويربطها بدوافع دينية وسياسية.

2-2- نقد المستشرقين للمعجم العربي: طال نقد المستشرقين التّراث العربيّ كلّ بدءا بالشعر الجاهلي بل لم يسلم القرآن العظيم من تشكيكهم وبثّ الشّبهات، أما في مجال المعجم ورغم إعجابهم الكبير بما أبدعه العرب، إلّا أنّ هذا لم يمنع بعضهم من البحث عن التّهم، حيث « بذل برونليش (Braunlich) في بحث عنوانه: (الخليل وكتاب العين) نشرته مجلة (إسلاميكا) في العدد الثاني لعام 1962م، في جمع كل المعلومات التي تخصّ (كتاب العين)، وما يتعلّق منها بالنّقد الموجه إليه على وجه الخصوص. وحرص أيضا على ذكر كل الأعلام الذين أنكروا أن يكون الخليل مؤلف هذا العمل المعجمي»⁽²⁾. هذا فيما تعلّق بنسبة المؤلّفات إلى أصحابها، وانصبّ اهتمام بعضهم الآخر على المنهج المتّبع في المعاجم العربيّة. ولكن المستشرقين وجدوا بعض جوانب القصور والنّقص في ميدان التّأليف المعجمي عند العرب لأنّهم اتّبعوا (المعيارية) في حصر ألفاظ اللّغة، فكانوا يذكرون أحد النّماذج اللّغوية دون أن يهتمّوا بتسجيل النّظور اللّغوي الذي طرأ عليها.⁽³⁾ ومما عابوه المنهج الذي اختار المعجميون وفقه مفردات معاجمهم. حدّد أولمان وجوه القصور في المعاجم العربية في « الطّابع المعياري الذي تتّسم به تلك المعاجم، فهي تذكر نموذجا لغويا، لكنها تهمل النّظور اللّغوي للنموذج المذكور. بالإضافة إلى ضيق ومحدودية الرّقعة التي تغطيها القواميس العربية، إذا قورن ذلك باتّساع دائرة الثقافة العربية... ويضيف فقدان الدقة النّاتج عن عدم التّفريق بين المعنى العام أو الإجمالي لجذر الكلمة وبين المعنى الفعلي

¹ - الحميد، عبد العزيز بن حميد. أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج1، السعودية 1433هـ-2012م. ص175.

² - البقاعي، محمد خير محمود. "آراء المستشرقين في نسبة "كتاب العين" إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، غراف دولامال أنموذجا"، في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 1428هـ. ع1. ج13. ص367.

³ - ياقوت، محمود سليمان. منهج البحث اللغوي. ص113.

الواقعي، فللكلمات دقائق وظلال تظهر في سياق النص، وتحدد ضيق المعنى أو اتساعه وتورد المعاجم في أحيان كثيرة بدلا من المعنى الأصلي للكلمة الشيء المعني⁽¹⁾. ما توصل إليه الباحث إسماعيل أحمد عمايرة هو أنّ المستشرقين تنبهوا في القرن التاسع عشر إلى جوانب النقص المذكورة في الأعمال المعجمية تزامنا مع ظهور المنهج التاريخي.

ومن أبرز المستشرقين الذين نقدوا المعجم العربي، وكان له أكبر الأثر في المعجم العربي وكان من مؤسسي مجمع اللغة العربية، كما ذكر الأستاذ إبراهيم مذكور، المستشرق فيشر الذي خطأ بعضا مما ورد في معاجم العرب، «... ورأيت من الواجب عليّ أن أورد هذه الكلمات والتعابير والمعاني ذاكرة المعجم الذي نقلتها عنه، إذا ما تراءى لي أنّ هذه التعابير لا تنتمي إلى العصر المتأخر، وفي رأيي أنّه قد وردت في القاموس وتاج العروس تعابير مولدة. وهكذا تعرضت بطبيعة الحال لخطر احتمال توريد أخطاء، وقعت فيها هذه المعجمات العربية»⁽²⁾. وهو ما قد يدلّ على خطورة دور المستشرقين، إذ كثيرا ما يتحفّظ الباحث العربي في تخطئة القدامى. أمّا المستشرق فتجده يفعل ذلك بكل جرأة ولا يلتمس لهم أيّ عذر كأن يكون زمانه غير زمانهم أو منطلقاته غير منطلقاتهم، وهي من أكبر عيوب المستشرقين. ومما عابه المستشرق فيشر طريقة بعض المعجميين العرب في ترتيب مداخلهم، «أما ترتيب المواد على حسب أواخر الأصول، كما هو موجود في أغلب المعجمات العربية التي ألفها العرب مثل الصّاح، ولسان العرب، والقاموس، وتاج العروس... فليس بحسن، أولا لأنّه إذا كان الحرف الأخير حرف علّة، فكثيرا ما يقع التباس؛ وثانيا لأنّ الحرف الأخير يكثر ألاّ يكون أصليا، كما في (أب) من مادة (أبو)، وفي (أخ) من مادة (أخو)، وفي (ابن) من مادة (بنو)، وفي (است) من مادة (سته) وفي ماء من (موه) وغيرها، وثالثا لأنّه بهذه الطّريقة يصعب ترتيب الكلمات الأحادية والكلمات الثنائية، كما نجدها من بين الحروف الدالة على معنى في غيرها، ومن بين الضمائر. ⁽³⁾ بالنسبة إلى هذا الحكم قدم المستشرق حجة موضوعية. وفي السّياق نفسه تقريبا، ما ذهب إليه مونتاني من أنّ المعاجم العربية القديمة، قد أهملت المصطلحات العلمية والتقنية والقانونية، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحياة العربية القديمة

¹ - عمايرة، أحمد إسماعيل. المستشرقون والمناهج اللغوية. ص 30.

² - فيشر، أ. المعجم اللغوي التاريخي، القسم الأول من أول حرف الهمزة إلى أ.د. القاهرة، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1387هـ-1967م. ط1. ص 26.

³ - المرجع نفسه. ص 28.

و(لم يستثن من هذا الحكم معجم (لسان العرب)، وهذا ما جعل بعض الباحثين العرب أنفسهم يدعون إلى الاستفادة من أعمال المستشرقين الذين اهتموا باللغة العربية وآدابها مثل (Dozy) أو الهندي التّهانوي صاحب معجم (كشف اصطلاحات الفنون)، إلا أنّه أهمل بدوره لتجاوز مفرداته. ولهذا نشر مجمع اللغة العربية معاجما، مثل المعجم الوسيط، ويشير إلى معجم المجمع المصري الذي يشتمل على 11300 مفردة دالة على مفاهيم حديثة، كما ينوّه في الأخير بالعمل الذي يصفه بالضخم والقيم لكل من المستشرق الألماني هانس وير الموسوم بـ (Arabisches wörterbuch) وببلا المسمى المعجم الصّغير (L'Arabe Vivant) والذي يحتوي على 2700 مفردة، وليون برشي في معجمه المشتمل على 5000 كلمة⁽¹⁾). وهي معاجم في الحقيقة أخذت مادتها من المعاجم العربية، مع وجود بعض المصطلحات والكلمات الحديثة، وهو ما يُلَمَس في المعاجم المذكورة، ومن المستشرقين من عاب على المعاجم العربية إكثارها من الغريب والمترادف، وصعوبة البحث في بعضها عن الكلمات.

2-3- المستشرقون والمعاجم الإسلامية: لعلّ أهم عمل قام به المستشرقون، هو تحقيق الكتب التراثية التي ضاع منها الكثير، ونقلت إلى ديار الغرب أثناء الحروب الصليبية وقبلها، إذ تجد معظمها بمكتبات الغرب في أوروبا وأمريكا وغيرهما. والغريب في الأمر أنّهم لم يقصوا أيّ مجال من دائرة اهتمامهم، بما فيه مجال الدين والعقيدة بل لعلّه كان أهم لديهم من غيره، بالإضافة إلى المعاجم، وبما أنّ تأليف الموسوعات هو الوسيلة التي تضمن لهم الإحاطة بكل ما له صلة بالعرب والعربية، فقد ألّفوا موسوعات تعاون فيها المستشرقون من كل المدارس الاستشراقية، وانضمّ إليهم بعدها باحثون من أبناء المسلمين العرب.

¹ -ينظر: عياش شماني، فاطمة. المستشرقون واللغة العربية فانسان مونتاي نموذجاً ترجمة ودراسة. ص31.

2-3-1- تأليف الموسوعات ودوائر المعارف: اهتم المستشرقون بالمعاجم والموسوعات، ومن

أعمالهم التي شملت الحضارة الإسلامية دائرة المعارف الإسلامية، « والإسهام الفرنسي في هذه الدراسات العلمية غزير ومتنوع يأخذ أحيانا شكل المجهود الجماعي، ويأخذ أحيانا أخرى شكل المجهود الفردي المتميز، ولا شك أنّ أهم ما أثمر عنه الجهد الجماعي للمستشرقين فكرة الموسوعات العامة أو دوائر المعارف الإسلامية، وكان أقدم صورة لتنفيذ هذه الفكرة في القرن السابع عشر ممثلا في العمل الموسوعي الذي اضطلع به إيربلو وأسماء المكتبة الشرقية... والذي أسهم فيه معه وأتمه بعد وفاته تلميذه أنطوان جالون مترجم ألف ليلة إلى الفرنسية، وقد صدرت فكرة العمل الموسوعي التالي في هذا المجال في أواخر القرن التاسع عشر حين أقرّ مؤتمر المستشرقين المنعقد في جنيف سنة 1894م فكرة إصدار "دائرة المعارف الإسلامية".⁽¹⁾ والغريب في الأمر أنّ العرب كان لهم حضور في هذه الأعمال التي موضوعها العالم الإسلامي بإشراف أجنبي، «... وكان يمثل مصر في هذا المؤتمر أمير الشعراء أحمد شوقي، وقد أسند الإشراف العلمي على الموسوعة إلى المستشرق الفرنسي باسيه، والمستشرق الإنجليزي أرنولد والمستشرقين الألمانين هوتسما وهارتمان، وتمّ إنجاز هذا العمل الضخم بثلاث لغات، الفرنسية والإنجليزية والألمانية في أربعة مجلدات ما بين عامي (1913-1942)، غير أنّ وفرة الدراسات التي ظهرت في القرن العشرين في أوروبا دفعت مؤتمر المستشرقين المنعقد في باريس سنة 1948م إلى إقرار الحاجة إلى طبعة جديدة من دائرة المعارف الإسلامية أسند الإشراف عليها إلى المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، وخلفه بعد موته المستشرق الفرنسي (شارل بيل).⁽²⁾ تابع هذا العمل بعض الباحثين العرب الذين رأوا فيه جهدا يستحق الإعجاب، « وتعتبر ذخيرة حقيقية للمعارف الإسلامية تحتوي على أكثر من تسعة آلاف مادة مرتبة ترتيبا أبجديا، تتراوح في الطول ما بين خمسين إلى خمسين ألف كلمة للمادة الواحدة، حسب أهميتها في سباق الحضارة الإسلامية، وتمثّل هذه المواد في مجموعها تغطية شاملة لكل جوانب الحضارة الإسلامية، بدءا من أصول الدين الحنيف ومرورا بالأدب الإسلامي، وتراجم حياة الشخصيات الإسلامية الكبرى، كما كتبها أشهر المستشرقين في القرن العشرين». ⁽³⁾ يتبادر إلى الذهن عند تأمل هذا القول تساؤل قد يكون مشروعا، هل يمكن للعرب التأليف في تاريخ الغرب وأعماله بكلّ مجالاتها، ومن ثمّ يشرف على هذا العمل عرب يوجهون أصحاب هذا التاريخ (الغربيين)؟ هناك خطب جلل في هذه الأعمال، ليس على مستوى المستشرقين فلهم كل التقدير والاحترام على ما قاموا به، ولكن اللوم يقع علينا نحن العرب المسلمين، إذ رحنا نمجّد كل عمل يقوم به المستشرقون، لأنهم أسقطوا عنّا المسؤولية ونابوا عنّا في كتابة تراثنا وإحيائه؟

يوصل الباحث قوله: « تعدّ دائرة المعارف الإسلامية من أهم أعمال المستشرقين، لأنها جمعت جهودهم العلمية في عمل موحد، وتناول كل واحد منهم ما يدخل ضمن تخصصه العلمي، واشتملت على بحوث ودراسات، وآراء ومعارف عظيمة الفائدة والأهمية، وهي تغني عن خزانة علمية، وتوفر للباحث جهداً لا يستطيع تحقيقه، في سبيل الاطلاع على كل ما يتعلّق بالتراث الإسلامي». (4) ولكن إذا نُظر إلى هذا العمل من زاوية أخرى، فإنّ خطره كبير، فكيف لمستشرقين من مختلف المشارب، وهم غرباء عن العالم الإسلامي، كيف لهم أن يكتبوا بموضوعية عن عالم غير عالمهم يدين بغير دينهم وينطق بغير لغتهم؟ يقول الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي: « وإذ كان خير ما أُلّف وأكثره استيعاباً في هذا الفنّ دون منازع ولا معارض، هو كتاب "نجوم الفرقان في أطراف القرآن لمؤلفه المستشرق فلوجل الألماني الذي طبع لأول مرة عام 1842 ميلاديّة، فقد اعتضدت به وجعلته أساساً لمعجمي». (5) لم يكتف العرب بالإعجاب بهذه الأعمال؛ بل انطلقوا في أعمالهم منها.

ومما ورد في كلمة الناشر في ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، « وتتراوح في هذه الدائرة النظرة الموضوعية والعلمية للتاريخ الإسلامي، ويمتزج الاجتهاد بين علماء الغرب أو المستشرقين وعلماء الشرق من المسلمين على حدّ سواء، فلم تكتف ترجمة هذه الموسوعة بنقل النصّ الأجنبي؛ بل أضافت إليه الشروح والتعليقات المناسبة في النقاط التي يُخشى فيها من الالتباس أو يختلف فيها الرأي أو تتعدّد فيها الرؤى». (6) يحتمل هذا الكلام تأويلات كثيرة، فقد يُفهم منه التعاطف الكبير، ومسايرة المستشرقين في أخطائهم، وعدم الاعتراض على ما ورد من أخطاء، والخضوع لما قام به المستشرقون، وقد يُفهم أنّه كلام من باب التلطّف والتأدّب الذي يفرضه المنهج العلمي أو المنهج النفعي الذي يتعامل بموضوعية مع أخصّ الخصوصيات، خوفاً من تضييع مكاسب معيّنة؟

1 - درويش، أحمد. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. ص 13.

2 - المرجع نفسه. ص 13.

3 - خورشيد، إبراهيم زكي وآخرون. موجز دائرة المعارف الإسلامية. الآثار العلوية، مركز الشارقة للإبداع الفكري. ج 1. ط 1. ص ي.

4 - النبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 40.

5 - عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص هـ.

6 - خورشيد، إبراهيم زكي وآخرون. موجز دائرة المعارف الإسلامية. ج 1. ص ز. (كلام الناشر).

2-3-2-المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف: يُقال إنّ هذا العمل من أعظم ما قام به المستشرقون. أمّا وجه العظمة، فيكمن في تفرّغهم وبذل جهد كبير في جمع كل الأحاديث، وما له صلة. ووضعتها في معجم سيكون مرجعا للغرب، ولكن الأخطر من ذلك هو رجوع العرب إليه، ولا يُخشى على أهل التخصّص، وإنّما على غيرهم ممّن لا علم لهم بهذا المجال، وقد كثر مؤخرا التجريح في الحديث، ومنهم من ينكره مطلقا، ولا يعترف إلاّ بالقرآن الكريم، لا بدّ أنّ ما جاء في مثل هذه الدّراسات والأعمال له أثره الكبير، ومن الباحثين من راح يبحث في دوافع هذه الأعمال، « وواضح أنّهم قاموا بإعداد هذا المعجم لحاجتهم الماسة إلى تلك الفهرسة في دراساتهم الاستشراقية، ولم يقصدوا بتصنيفه أن يقدموا خدمة للمسلمين»⁽¹⁾ لا يعقل أن ينتظر المسلمون من غيرهم أن يخدموا دينهم (الإسلام)، وهم لا يؤمنون به وسواء أكانت نواياهم الإساءة إلى الدّين والتّغيير منه، خوفا من انتشاره أو كان الأمر لأهداف أخرى فإنّ الأمر سيان، لأنّ العبرة بالنتائج، ولا بدّ من إيجاد آليات لمواجهة هذه الأعمال، والتّنبية إلى ما فيها من زيغ بغض النظر عن الخلفيات، وهو ما قام به بعض العلماء والباحثين، إلاّ أنّها جهود تكاد لا تذكر أمام جهود المستشرقين، ومنهم الأستاذ سعد المرصعي الذي يقول: « وقد اطلّعت على هذا المعجم أثناء إعدادي لكتاب (الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم)، فهالتي أخطأؤهم العديدة الجمة المتنوعة وقسمتها إلى سبعة أنواع وفق ما هو منفصل في (أنواع الأخطاء) واكتفيت بإيراد نماذج لكل صنف منها دون استقصاء لها، إذ أنّها من الكثرة بحيث تفوق الحصر التي بلغت (479) تسعة وسبعين وأربعمائة نموذجا»⁽²⁾ وهنا يظهر وجود فئة من الباحثين العرب نادت بجرأة ووضوح إلى الحذر من هذه الأعمال.

في حين يدعو بعضهم الآخر إلى الإقبال عليها والاستفادة منها، « اهتمّ المستشرقون بالتأليف المعجمي والموسوعي للعلوم العربية والإسلامية، وانكبّوا على التّراث العربي، وتدوين تاريخ الآداب العربية وإعداد موسوعات ومعاجم علمية، تساعد الباحث على إعداد بحوثه العلمية، وتيسير مادة البحث لديه وتزويد المؤلفات العلمية بفهارس متقنة، والعناية بالتّقسيم والتّبويب»⁽³⁾ وهنا لا بدّ من تعاون بين الباحثين للاستفادة من المفيد وردّ غيره، إذ يصعب على الباحث بمفرده تتبّع كلّ هذه الأعمال.

1 - المرصعي، سعد. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. الكويت، دار القلم، 1408هـ-1988م. ط1. ص 10.

2 - المرجع نفسه. ص 10.

3 - النبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 39.

2-4- أثر المستشرقين في المعجم العربي: لم يكتف المستشرقون بنقد المعجم العربي؛ بل عملوا على إنفاذ آرائهم فيه، وإدخال التغييرات والإضافات التي رأوها، وأول ما لوحظ غياب معاجم ثنائية لدى العرب، حيث أبدع العرب في مجال المعجم الأحادي، وهذا باعتراف المستشرقين بمختلف مشاربهم ومدارسهم، وهو ما فتح المجال للمستشرقين، ليكون لهم السبق فيه، إذ تعدّ معاجمهم الثنائية سواء العربية-الفرنسية أو العربية-الإنجليزية أو العكس، وغيرها من الأعمال التي عُدّت منطلق العرب في تأليفهم وأبحاثهم ودراساتهم حيث استفادوا من أعمال المستشرقين الذين اهتموا بهذا النوع من المعاجم في وقت مبكر، لحاجتهم إلى تعلّم اللغة العربية، ويبدو أنّ هذا المجال لا يزال يشكو النقص في العالم العربي. رغم كل المجهودات التي بذلها المستشرقون في تأليف معاجم ثنائية عربية-فرنسية، إلّا أنّ هناك من يعتبر هذا غير كافٍ وها هو منتراّن يقول: « لا يوجد مثلاً بحوث جماعية تتناول علوم اللغة العربية ويجب أن تشكو من نقص معجم عربي-فرنسي جيد يستخدمه المستعرب والعربي معا». (1) يعكس هذا القول التوجّه نحو التعاون العربي- الغربي في مجال المعجم الثنائي العربي.

بدأ التعاون بين العرب والمستشرقين في هذا المجال مبكراً، ففي زمن الاحتلال الفرنسي والإنجليزي مثلاً، كانت أعمال المستشرقين متأثرة بالمعاجم العربية، وفي بعض الأحيان يُطلب من بعض العرب المساعدة، وأكثر ما تجسّد هذا التعاون في انضمامهم إلى أكبر المجامع وأهمّها؛ بل عدّ بعضهم من مؤسسيها، ومن أبرز المستشرقين في المجال المعجمي فيشر، «... ولم يكن غريباً، وهذا درسه وتلك منزلته أن يكون بين مؤسسي مجمع اللغة العربية، بدأ معه يوم أنشئ، واشترك مع زملاء له في وضع المعجم العربي الحديث، وحين ذاك أعلن عن رغبته في أنّه يسعده أن يتوجّه جهوده السابقة بأن يضعها تحت تصرّف مجمع اللغة العربية، لكي يتولى نشرها ويضمّها إلى قائمة مطبوعاته...» (2) لم يكن فيشر هو الوحيد في المجال المعجمي، إذ تعتبر لجنة المعجم من بين اللجان التي عيّنها مجمع اللغة العربية لتحقيق أهدافه في هذا المجال، والتي تتكوّن من حاييم نحوم أفندي (رئيساً)، والشيخ إبراهيم حمروش، وأحمد العوامر بك والأستاذ جب والأستاذ فيشر والأستاذ نيلنو والأستاذ ليمان. (3) تعكس هذه الأسماء المكانة التي حظي بها المستشرقون

1 - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. المغرب، دار القلم للطباعة والنشر، 2000م. ط1. ص39. عن العقيقي.

2 - فيشر، أ. المعجم اللغوي التاريخي: القسم الأول من أول حرف الهمزة إلى أيد. كلمة الأستاذ إبراهيم مذكور. ص هـ.

3 - فؤاد الأول ملك مصر. مرسوم بتعيين الأعضاء العاملين لمجمع اللغة العربية الملكي. ج1. ص12.

في هذا الصرح العلمي الكبير، والآفاق التي فتحت لهم لتحقيق أهدافهم، كما يُلاحظ أنّ عدد المستشرقين في هذه اللجنة يفوق عدد العرب، والسؤال المطروح ما هو سرّ هذا التفوق العددي للمستشرقين في مجال حساس مثل المعجم العربي؟

يعتبر معجم فيشر التاريخي من البراهين الساطعة على التأثير المتبادل بين العرب والمستشرقين وفي أحيان كثيرة، هناك تسهيلات يقدّمها العرب لهم، ومما صرح به المستشرق فيشر: « وأخيراً بدأ في سنة 1936 التطوّر السعيد، إذ قرّرت الحكومة المصرية في خريف هذه السنة بناء على اقتراح مجمع اللغة العربية في القاهرة -وزير المعارف حينذاك، هو الأستاذ محمد علي علوبة - السماح لي بإتمام العمل في معجمي في القاهرة، وأن تتحمّل نفقات طبعه. وقد تجلّى كرمها في تحملها تكاليف إقامتي في القاهرة طول أشهر الشتاء من كلّ سنة إلى أن يتمّ معجمي، وكذلك بالسماح لي بمساعدة مصري وبعده من الشبان المصريين يعملون قراء ونساخين، رغبة منها في إنجاز العمل، كما هيأت للمجمع خلال سنتين شراء عدد وافر من الكتب التي كانت تنقصه، وكنت أنا في حاجة إليها من أجل عملي وهكذا برهنت الحكومة المصرية والمجمع على أن رعاية اللغة العربية... أمر يعينها كلّ العناية».⁽¹⁾

ويعدّ هذا المعجم ثمرة امتزاج المناهج الغربيّة والعربيّة، فالمنطلق من المنهج التاريخي، وتأثراً بعمل سابق وهو معجم أكسفورد، إلّا أنّه التزم بمنهج المعجميين العرب. « فكيف إذا يجب أن يكون معجم اللغة العربية الفصحى ملائماً للتطور العلمي للعصر الحاضر؟ الجواب: يجب أن يشتمل المعجم على كل كلمة -بلا استثناء- وجدت في اللغة، وأن تعرض على حسب وجهات النظر السبع التالية: التاريخية والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية، والنحوية والبيانبة والأسلوبية».⁽²⁾ يعدّ فيشر من المستشرقين الذين تركوا أثراً واضحاً في المعجم العربي، وهو ممّن نادوا إلى تأليف معجم تاريخي للعربيّة وشرع في تنفيذه لولا أنّ الله تعالى توفاه قبل إتمام العمل، باستثناء الجزء الذي أصدره المجمع ولم يتجاوز بداية حرف الهمزة، إلّا أنّ هذا العمل تبنته بعض البلدان العربية، منها الجزائر تحت إشراف المجلس الأعلى للغة العربيّة، وقد بدأت ثماره تنضج وتقطف تباعاً. اتّضح ممّا سبق، أنّ المستشرقين وضعوا بصماتهم في المعجم العربي بكلّ أشكاله، ولم يقتصروا على المجال اللغوي؛ بل تجاوزوه إلى مجالات أوسع، مثل

¹ - فيشر، أ. المعجم اللغوي التاريخي: القسم الأول من أول حرف الهمزة إلى أ.د. ص 31.

² - المرجع نفسه. ص 22.

دوائر المعارف، وفهارس ألفاظ الحديث الشريف وغيرها، مثل معجم المصطلحات الفلسفية للمستشرق الفرنسي ماسينيون.

في الحقيقة هناك أعمال كثيرة، تثبت التأثير الكبير للمستشرقين في المعجم العربي عموماً والمعجم العربي الثنائي بخاصة، ومنهم المستشرق الفرنسي دانيال ريغ، إذا أخذ النموذج من المحدثين إذ كان له السبق في وضع معجم ثنائي عربي-فرنسي، مع خضوعه لمنهج العرب في الترتيب، وقد سار على نهجه معظم مؤلفي المعاجم الثنائية العرب. ومما انتقل من المستشرقين إلى العرب وضع معاجم عامية، وهو ما لم يكن موجوداً قبل ذلك، والمصنّفات التي وضعت في العامي، كانت للتصويب وليس لنشر العامية وتعليمها كما هو لدى المستشرقين. ومن الجهود المبذولة في مجال المعجم، والتي انطلق صاحبها من أعمال مستشرقين ما قام به أحد مؤلفي المعاجم، « وبعد إنجاز الكتاب المذكور أشار عليّ العالمان الجليلان أستاذنا الدكتور محمد حسن عبد العزيز وأستاذنا الدكتور محمود مكي عضوا مجمع اللغة العربية أن أضّم إلى ذلك الجهد ما وضعه المستشرقون من استدراقات على المعاجم العربية، فتوفّرت همّتي لمواصلة الرحلة حتى تحيط بكل الجهود التي قدّمت، وكانت هذه الخطوة من خلال معجمات ثلاثة هي: (هانس فير، ودوزي، وإدوارد لين)⁽¹⁾. قد يعكس هذا الأمر ما تحظى به معاجم المستشرقين من مصداقية بين العرب.

إذا ما استثنى اللغويون والمعجميون العرب القدامى، الذين أفنوا أعمارهم في البحث والتأليف يقلّ هذا الأمر بين العرب المحدثين، وقد يكون هذا أكثر شيء يثير إعجاب العرب بالمستشرقين، وربما كل هذه الجهود المبذولة والتّضحيات الكبيرة، تجعل العرب مهما كانت توجّهاتهم ينبهرون ويندهشون لكل هذا الإصرار والمثابرة والجديّة، وكل هذه الإنجازات الضخمة التي يعجز باحث عن الإحاطة بها. فلا يمكن بحال إنكار الأثر الكبير للمستشرقين في المعجم العربي، ولا يقتصر هذا التأثير على الجانب المنهجي الشكلي؛ بل يتعداه إلى قضايا أخرى.

¹ - داود محمد، محمد. المعجم الوسيط واستدراقات المستشرقين: خلاصة مستفادة من هانس فير، و"رينهارت دوزي"، و"إدوارد لين. القاهرة دار غريب للطباعة والنشر، 2006م. ط1. ص9.

2-5-دراسات العرب حول الأعمال المعجمية للمستشرقين: تزايد اهتمام العرب بالاستشراق وقضاياها، ولاسيما الفكرية والدينية، وامتدّ مؤخرا إلى المعاجم، إذ تشهد ساحة البحث اللغوي دراسات قيّمة حول معاجم المستشرقين ودراساتهم، منها:

2-5-1- دراسة الباحث عبد العزيز بن حميد الحميد: تناولت أربعة عشر (14) عملا استشراقيا مختلفا، من حيث الأهداف والمادة والحجم، واهتمّ بجهودهم في المناهج والمعاجم وتحقيقها، وجمع أسماء المعاجم والرّسائل اللّغوية التي حققوها، وأشار إلى مناهجهم في الفهرسة اللّغوية، مثل: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي للهولندي فنسك وآخرين، ومفتاح كنوز السنة، ونجوم الفرقان في أطراف القرآن للألماني فلوجل.

أما الدراسة التحليلية فشملت المعاجم التّاريخية (تكملة المعاجم العربية-لهولندي دوزي) المعجم اللّغوي التّاريخي للألماني فيشر، معجم اللّغة العربية الفصحى لعدة مستشرقين ألمان، ومن معاجم الموضوعات (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي، محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية لدوزي، محاضرات الاصطلاحات الفلسفية العربية للفرنسي ماسينون العريف معجم في مصطلحات النّحو العربي للبريطاني (بيير كاكيا). كما تناول مجموعة من دراسات المستشرقين حول المعجم العربي منها (معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني للألماني فرنزيم)، والمحكم والمخصّص في كتاب ابن سيده المرسي للإسباني كابا نيلاس، وكتاب العربية للألماني يوهان فوك وكتاب العربية الفصحى الحديثة للأمريكي ستكيفتش.⁽¹⁾ حاول الباحث من خلال هذا العمل الإحاطة بأهمّ أعمال المستشرقين، ووتتبعها بالتحليل والنّقد. أمّا أكثر ما ألحّ عليه الأستاذ الباحث الحميد بالنسبة إلى المستشرق دوزي، فهو تأثيره في معجمه بالمنهج التّاريخي، وهو ما جعله لا يقتصر على اللّغة العربية الواردة في المعاجم القديمة؛ بل تعداها إلى كلمات مستعملة في عصور لاحقة، سواء أكانت عامية أو دخيلة وتناول نقاطا هي المعجم في نظر دوزي، مبينا أنّ تصوّره للمعجم المثالي يتّصف بتتبع الكلمات عبر العصور والأقطار المختلفة، مع ضرورة الإحاطة بالمجالات كلها، مشيرا إلى أنّ وقت ذلك لم يحن بعد. لأنه عمل جبار يحتاج إلى جهود جماعات لا أفراد. ومما قاله عنه الأستاذ الباحث الهولندي كيس فرستينغ إنّ خلفيته الثقافية، وتأثره بالمنهج اللّساني المنتشر في القرن التّاسع عشر، والذي يشجع دراسة

1 - ينظر: الحميد، عبد العزيز بن حميد. أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي.

اللّهجات، هو ما جعله يعتبر اللغة العربية منقرضة منذ قرنين.⁽¹⁾ وهي الأفكار التي تناقلها معظم المستشرقين وروجوا لها. ومن الدراسات القيمة دراسة الباحث إبراهيم بن مراد، حيث وقف على معجم المستدرك، وذكر أهميته وتميّزه، وتناول نقاطا كثيرة سيذكرها البحث باختصار.

2-5-2- دراسة الباحث إبراهيم بن مراد: يظهر بوضوح إعجاب الأستاذ بن مراد بمعجم دوزي « وقد كان دوزي -إضافة إلى ما أصدره من أعمال- حريصا على تدوين ملاحظاته واستدراكاته المعجمية على المعاجم العربية، ومعاجم المستشرقين الثنائية اللغة، وعلى ما يقع بين يديه من كتب التراث العربي وقد تجمّع له أثناء هذه المرحلة التي استغرقت حوالي أربعين سنة من البحث والتتقيب رصيد معجمي جديد وافر كانت خلاصته المستدرك على المعاجم العربية الذي صدر في طبعته الأولى النهائية في لندن سنة 1881م، أي قبل وفاة المؤلف بسنتين 1883م، والكتاب في الحقيقة إضافة مهمة جدا إلى المعجم العربي، لا نعرف أنّ أحدا من المستشرقين أو من العرب المحدثين قد أتى بمثلها». ⁽²⁾ ثم بيّن أنه رغم أهميته، فإنّه لم يحظ بالاهتمام والدرس والتقييم، وهذا في وقته.

ومما ذكره الباحث بن مراد في خاتمة بحثه، « لا نعلم أنّ أحدا من المحدثين العرب والمستعربين قد قام به، فكان الكتاب لذلك إضافة نفيسة إلى المعجم العربي، وفتحاً جليلاً في تاريخ المعجمية العربية فهو أول معجم يقرّ بما للغة الأمصار الإسلامية من دور في إثراء اللغة العربية وينطلق من مبدأ أنّ الفصاحة فصاحات، وأنّ اللغة العربية كغيرها من اللغات كائن حيّ متطور، وأنّ معجم اللغة العربية كشف مفتوح لا يمكن أن ينغلق على لغة عصر بعينه أو مصر بعينه». ⁽³⁾ وبعدها وقف على المادة المعجمية، حيث وضّح أنّها متنوعة، وقد خالف فيها المعجميين السابقين والمعاصرين له، الذين تقيّدوا بالفصيح، وما جاء عند العرب القدامى، ولم يضيفوا إلّا القليل مثل فريتاج (ت1861) في معجمه العربي-اللاتيني، وكذلك المستشرق الإنجليزي لان (1876) في معجمه العربي-الإنجليزي، وبطرس البستاني (1883) في محيط المحيط، وتكوّن رصيده من الألفاظ والمصطلحات والعبارات، ممثلاً لمستويات مختلفة من اللغة، هي: المولّد والعامي والملحون والمحرّف والشاذ، والمعرّب، والدّخيل، واستمدّ

¹ - ينظر: درويش، أحمد. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. ص 179، 182. وينظر: علي توفيق، الحمد. "نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية". ص 12 إلى 28.

² - بن مراد، إبراهيم. دراسات في المعجم العربي. دار الغرب الإسلامي. بيروت-لبنان، 1987م. ط1. ص 201.

³ - المرجع نفسه. ص 216.

مادته من مصادر متنوعة، حيث استقرأ حوالي خمسين وأربعمائة (450) مصدرا ينتمي معظمها إلى ما بين القرن الرابع والقرن العاشر للهجرة، وهي نصوص نثرية في معظمها، تشمل اختصاصات عديدة مثل كتب التاريخ والتراجم والطبقات والرحلة والجغرافية والإجازات والشهادات والعقود والقصص والأخبار والموسوعات الأدبية، والكنائش، وكتب الطب والنبات والفلاحة ومدونات الفقه. أما نقد الباحث بن مراد فقد انصبَّ على النقص الكبير، حيث ذكر بعض الألفاظ الواردة في جامع ابن بيطار ولم ترد عنده مثل: (آذان الغزال، أكل نفسه، وأفرسق... وأشار كذلك إلى تحريف بعض الألفاظ، وهو ما أدى إلى تكرار بعض المداخل، مثل (بسكير) عوض (بشكير) بالشين. هذا بالنسبة للجمع. أمّا بالنسبة للوضع فافتتح العنصر بذكر الأخطاء الواردة في الترتيب وأنّ دوزي كان مقلداً إلى حد تجاوز فيه أحيانا أخطاء المعجميين العرب.⁽¹⁾ وهذا يؤكد تأثر المستشرقين بالمنهج المعجمي للعرب، إذ رغم نقدهم له، إلا أنّهم لم يتمكنوا من تجاوزه في أعمالهم.

اتّبع المستشرق الترتيب الألفبائي والجذور دون الحروف الزوائد، وقد نتج عنه أخطاء، مثل وضع المداخل في غير موضعها، كما وضع ألفاظا أعجمية تحت جذور عربية، بالإضافة إلى إقحام ألفاظ بداياتها حروف أعجمية ولاوجود لها في العربية الفصحى ضمن أبواب الحروف العربية أو تحت جذور عربية، كما وضع جذورا وهمية، وتعدّدت المداخل الفرعية في المدخل الرئيس الواحد.⁽²⁾ ما يمكن قوله إنّ معظم المستشرقين قدامى ومحدثين، يقعون في مثل هذه الهنات، وهي مقبولة من باحثين غرباء عن اللغة، إذ تتطلّب منهجية الترتيب وفق منهج العرب القدامى تركيزا كبيرا وإعادة مراجعة العمل، وهو ما قد يتعذّر في حالات كثيرة، وهو ما أكّد عليه الباحث ابن مراد، بقوله إنّ هذه الأخطاء مجرد عمل منهجي، ولا يهدف إلى الانتقاص من قيمة العمل.

سُجّلت كذلك على مستوى قضية التعريف ملاحظات كثيرة، افترضها بالحشو في المعجم، وذلك بتكرار المداخل المركبة، إذ يرد وفق الجزء الأول تارة ووفق الثاني تارة أخرى، وهكذا، بالإضافة إلى التعريف السطحي أحيانا كثيرة، مثلما كان يفعل القدماء عند اكتفائهم بلفظ (معروف)، مثلا: (تامجث) عرفه ضرب من الشجر، بالإضافة إلى تعريف المجهول بالمجهول عند ذكر أسماء بعض النباتات

¹ - ينظر: بن مراد، إبراهيم. دراسات في المعجم العربي. ص 202، 203، 205، 206.

² - المرجع نفسه. ص 208، 209، 211، 212.

مكتفيا بذكر تسمياتها اللاتينية، مثل: (تروب) ب (treub) وهكذا.⁽¹⁾ الحقيقة أنه لا يخلو عمل بشري من نقص، ولا سيما إذا كان صاحبه أجنبيا عن اللغة.

أما تصوّر دوزي للمعجم العربي، فيظهر جليا في مقدمة معجمه المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، « وإنني إذ أتحدث عن معجم عربي أعني بذلك قاموسا يأخذ على عاتقه إلى جانب اهتمامه بكل ما لديه من طاقة بالمعنى الدقيق، الذي كانت تعنيه كل كلمة لدى نشأتها... وأخيرا نناشد هذا القاموس أن يكشف لنا عن كل المعاني التي عبرت عنها الكلمات في جميع الأقطار التي تألفت منها هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا... وإنني أتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي أنتظر منه أن يستند على الدوام إلى نصوص المؤلفين، فيخط لنا إذا صح التعبير تاريخ كل كلمة... وختاما إنني أحلم بالقاموس المنطوي على كل التعابير العلمية والفنية المشروحة شرحا منهجيا...».⁽²⁾ أجمعت الدراسات التي تناولت معجم دوزي على الجهد الكبير المبذول في هذا العمل، أما بالنسبة إلى النقد الموجّه إليه، فكان مشفوعا بتبريرات من شأنها أن تخفّف من وطأته.

2-5-3- دراسة علي توفيق الحمد: سار الباحث علي توفيق الحمد على نهج الأستاذ بن مراد، من إيراد إيجابيات المعجم وعيوبه، « أمّا ما وقع فيه دوزي في معجمه من أخطاء وهفوات إن على مستوى الجمع أو الوضع، فمرّدّه إلى كونه أعجميا غريبا عن اللغة وأهلها، ولعلّ ما يشفع له أيضا أنّ موضوع المعجمية موضوع شائك واسع، لا يستطيع النهوض به فريق كامل، فكيف يستطيعه بمفرده؟ ومع ذلك فقد استطاع، وحقّق نجاحا جيّدا، إضافة إلى أنّ كتب التراث المطبوع منها كان محدودا والمخطوط منها يصعب العودة إليه، وقراءته بسهولة ودقة أحيانا، وكذلك فإنّ اعتماده على المستشرقين الأعاجم سبّب له الخطأ والزلل في بعض الأحيان علاوة على كثرة المصادر والمراجع وتنوعها».⁽³⁾ التمس الباحث توفيق الحمد أعدارا كثيرة للمستشرق دوزي، والحقيقة أنّ النقد موجه للعمل لا للمستشرق، وهو ما يعكس محاولة التزام الموضوعية لدى الباحث العربي.

¹ - ينظر: بن مراد، إبراهيم. دراسات في المعجم العربي. ص 214، 215.

² - دوزي، رينهارت. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل. لبنان، الدار العربية للموسوعات، 1433-2012. ط1. ص9، 10.

³ - علي توفيق، الحمد. "نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية". ص 28.

2-5-4- دراسة الباحث عبد الحميد فضة: لا يتسع المقام للاستفاضة في ذكر تفاصيل

الدراسة، سيكتفى بملخص للبحث، إذ أكد الباحث عبد الحميد فضة، مثل سابقه فرادة المعجم وتمييزه معتمدا دراسة مستويات التحليل اللغوي في المعجم، بدءا بالصوت والصرف والتركيب، والمعجم، ثم انتقل إلى دراسة المداخل وترتيبها والشرح والشواهد التي اعتمدها المستشرق. وأشار إلى قلة الأشكال الواردة، بالإضافة إلى قضايا الضبط، بتحديد أهم ما ذكر من ملاحظات، مثل: أصول الكلمات. (1) إن أهم ميزة للمعجم، هي كثرة مصادره ومداخله كونه يقع في مجلدين كبيرين، ويرد الشروح إلى أصحابها في مواضع كثيرة. أما المآخذ التي سجلها الباحث على المستشرق، فهي نفسها المذكورة لدى الأستاذ بن مراد مع تفصيل أكبر، ولعل ما وقف عنده وله صلة بموضوع البحث، ملاحظته المتمثلة في أنه لم يسجل الكلمات المتصلة بالعلوم الإسلامية ومصطلحاته، في حين دون المصطلحات المسيحية من معجم البستاني، كما آخذه على إيراد كلمات عامية ودخيلة ومحرّفة وفصيحة دون تحديد مستوياتها وهو ما أحدث خطأ كبيرا في معجمه. (2) وقد ذكرت هذه الملاحظة في دراسة الأستاذ بن مراد، لكنه نظر إلى الأمر من زاوية أخرى، فذكر هذا المستوى بالنسبة إليه شيء إيجابي يخدم اللغة العربية، ولا يراه البحث كذلك، فإيراد الألفاظ العامية دون الإشارة إلى ذلك تشويه للغة العربية ولا يخدمها.

3- الدراسات المعجمية الحديثة في ضوء معاجم المستشرقين:

يتحدث هذا العنوان عن اتجاهين في مجال الدراسات المعجمية، أحدهما يهتم بدراسة المعجم بغية نقده، وتحديد نقاط القوة والضعف فيه، وهو النوع الغالب، يستفاد من هذه الدراسات في مجال صناعة المعجم، ومدى مراعاته للمعايير المعجمية التي وضعها المعجميون، وهناك أبحاث تهتم بالمعجم بوصفه مدونة ينطلق منها الباحث للإجابة على تساؤلات مختلفة، تتعلق بطريقة تعامل صاحب المعجم مع اللغة الأجنبية وموقفه منها، ولاسيما في المعاجم الثنائية، حيث يتعامل المعجمي مع لغتين إحداهما لغته في الغالب والثانية أجنبية عنه، ومدى تمكنه من مستويات التحليل اللغوي لتلك اللغة، وكذا نوع الاستعمالات اللغوية الواردة وطبيعة المفردات المتضمنة فيه، ومدى تخصصه في المعجم، والوقوف

¹ - ينظر: فضة، عبد الحميد. دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي معجم دوزي - أنموذجا-. رسالة ماجستير. إشراف الدكتور مصطفى عمار. قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، 2014-2015م.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 75.

على مدى موضوعيته في التعامل مع اللغتين، ونوع المعلومات التي أوردها في هذه المدونة ومنهجها ومن هنا يحاول هذا النوع من الدراسات الاستفادة من هذه المعاجم بوصفها مدونة، تشتمل على خصائص لا توجد في غيرها، وهي أنها تكشف عن مجالات كثيرة في الآن ذاته. يتحوّل المعجم الثنائي إلى وثيقة تاريخية اجتماعية ثقافية وسياسية وعلمية، تعكس قضايا مهمّة في طبيعة العلاقة بين صاحب المعجم واللغة وأهلها، أو بين المستشرق واللغة (بين العالم الغربي والعالم العربي الإسلامي)، مع تسجيل أنّ معظم ما توصّل إليه البحث في هذا المجال كان للغربيين.

اهتمّ العرب مبكراً بالمعجم الأحادي، في حين ارتبط ظهور المعجم الثنائي بالغرب، إذ لم يشعر العرب بالحاجة إلى هذا النوع من المعاجم، وهو ما انعكس على ساحة البحث اللغوي، إذ قلّت الدراسات المعجمية لهذا النوع، « وعلى الرغم من خطورة المعجمات الثنائية اللّغة في نهضتنا الراهنة ودورها الهام في تيسير الاستفادة من مدنية الغرب وتكنولوجيته، فإنّه لم يظهر في العربية حتى الآن كتاب متخصص يتناول هذا النوع من المعجمات بالدرس والتحليل...»⁽¹⁾ ويبدو أنّ هذا الواقع لا يقتصر على العرب بل يعيشه الغربيون أيضاً، وهو ما يفهم من قول اللغوي علي القاسمي، « وحين كان كاتب هذه الصفحات يدرس العلوم اللّغوية في الولايات المتحدة الأمريكية، لاحظ أنّ المكتبة الإنكليزية -هي الأخرى- تكاد تخلو من كتاب متكامل عن الصناعة المعجمية الثنائية اللّغة، فدرس هذا الموضوع على اثنين من كبار علماء اللّغة الأمريكيين لهما جولات مشهودة في صناعة المعجمات ونقدها، وهما الأستاذ أرجبولد. أ. هل (Archibald A.Hill)، والأستاذ جيمس سلد (Sledd)»⁽²⁾ أما في الغرب وحسب المؤلفين هنري بجوان (Henri Béjoint)، وفليب توارو (Philippe Thoiron)، ففي « فرنسا وباقي البلدان الغربية اقتصر الاهتمام على دراسة المعاجم الأحادية اللّغة والعامة... هناك نوعان من المعاجم المهمة أهملتها هذه الدراسات، وهي المعاجم اللّغوية المتخصصة، والمعاجم الثنائية...»⁽³⁾ قد يُفسّر الأمر بكون هذا النوع من المعاجم موجّه لفئة خاصة.

1 - القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. ص ش.

2 - المرجع نفسه. ص ش.

3- Voir Béjoint, Henri et autres. les dictionnaires bilingues. p5.

3-1- أسس دراسة المعاجم: تقوم دراسة المعاجم عموماً على مجموعة من القضايا التي تتيح تقييم هذه المعاجم، من حيث تقيدها بالمعايير المعجمية، ذكرها الأستاذ إبراهيم بن مراد، وهي الجمع والوضع وهما مصطلحان أشير إليهما في مقدمة لسان العرب لابن منظور،* يتناول الباحث في الجمع المصادر التي استند إليها المعجمي، وجمع المدونة، والمستويات اللغوية، من الفصح والعامي والدخيل ودرجة الكلمة من التخصص والتعميم، والمجالات الدلالية أو المجالات المفهومية في المعجم المختص. أما الوضع، فيهتم بترتيب المداخل وقضايا التعريف.⁽¹⁾ فرّق الباحث بين مصطلحين حيث أطلق مصطلح المجالات الدلالية للأبواب الموجودة ضمن المعجم العام، ومصطلح المجالات المفهومية ضمن المعجم المختص. وقد عرّف الوضع في المعجم المختص أنه "المنهج الذي يعتمد المؤلف المعجمي في تخرج المدونة التي جمعها... بعد أن يجمعها المعجمي متقيداً بمقاييس وضوابط خاصة بالمصادر والمستويات اللغوية والمجالات الدلالية أو المفهومية، توضع في الكتاب المقصود تأليفه منها اعتماداً على مقاييس أخرى منهجية، يحدّد بها المعجمي لنفسه الطريقة التي يعالج بها الوحدات المعجمية في المدونة، ليتألف منها الكتاب، والمنهج الذي يعتمد في معالجة تلك الوحدات المعجمية يقوم على ركنين هما الترتيب والتعريف."⁽²⁾ ويمكن القول إنهما أهم عناصر صناعة المعجم، وبهما تُقاس جودته، كما تعكس توجهات المعجمي ومنهجه.

أما المداخل فهي، (عبارة عن الوحدة اللغوية التي تأتي تحتها بقية الوحدات اللغوية، وهو في اللغة العربية واللغات الاشتقاقية، يتكوّن من جذر الكلمة، والتي تكون من حروف صامتة غالباً، ومن النوعين في غيرها. أما الترتيب فهو الطريقة أو المنهج الذي يتبعه المعجمي في تنظيم الثروة اللفظية من مورفيمات، وكلمات وتعابير اصطلاحية وسياقية).⁽³⁾ ومما يهتم به الترتيب الخارجي منهج ترتيب المداخل الرئيسية، وأشهر المناهج الترتيب الأبجائي دون النظر إلى الاشتقاق لسهولة، وهناك من ينطلق من الجذور ثم ينتقل إلى الفعل، فمشتقاته، ليصل إلى الأسماء، وهكذا، وهناك الترتيب الموضوعاتي أو

* قول ابن منظور: "... ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع".

¹ -ينظر: بن مراد، إبراهيم. المعجم العلمي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري. بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي 1993م. ط1. ص 69، 70، 71.

² -ينظر: المرجع نفسه. ص 105.

³ -ينظر: قرفة، زينة. المعجم المختص دراسة في المنهج والمادة: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات لمكتب تنسيق التعريب نموذجاً. ص153.

وفق الحقول الدلالية، وهو منهج ظهر عند العرب عُرف بالرسائل اللغوية، وهناك ترتيب عشوائي، وهو إيراد المداخل دون أن تؤخذ الحروف بعين الاعتبار، وهذا النوع أكثر ما يظهر في المعاجم العامية إن صحّ تسميتها بذلك، أو قوائم ألفاظ العامية. ويُقصد بالترتيب الداخلي طريقة إيراد المداخل الفرعية والمعلومات المسندة إلى المداخل، ومدى الالتزام به؛ كأن يبدأ بالفعل الثلاثي فالرباعي فالخماسي، ثم الاسم الثلاثي فالرباعي وهكذا. وقد وردت بعض الضوابط في معجم الوسيط، وهي: تقديم الأفعال على الأسماء وتقديم المجرد على المزيد وتقديم المعنى الحسي على المعنوي والحقيقي على المجازي، واللازم على المتعدي، وترتيب الأفعال بدءاً بالثلاثي المجرد ثم المزيد بحرف ثم بحرفين ثم المزيد بثلاثة أحرف ثم الرباعي المزيد بحرفين ترتيباً هجائياً.⁽¹⁾ وهو ترتيب يتطلب معرفة باللغة العربية واشتقاقاتها، وقد لا يتيسر للجميع التقيد به.

ويتمثل التعريف في الوسائل التي يتخذها المعجمي لشرح الوحدات المعجمية، ويختلف من معجم ثنائي إلى آخر، إذ يكفي بذكر الكلمة الفرنسية المقابلة للكلمة العربية في بعض المعاجم ولاسيما المختصة منها، وتوظف معاجم أخرى وسائل توضيحية، مثل ذكر الكلمة في جمل قد تكون آية قرآنية أو أقوال مأثورة، أو عبارات اصطلاحية أو سياقية وغيرها. وقد ذكر الباحث خليل إبراهيم الحماش أهم الوسائل المتبعة في التعريف، وهي: (2)

1- ذكر الكلمة ودلالاتها، وذكر التعبيرات الملحقة بالكلمة وفق الترتيب الآتي: الأمثلة الموضحة لدلالة الكلمة، التعبيرات الاصطلاحية، التعبيرات السياقية، الأقوال المأثورة، الكلمات المركبة، الصيغ الاشتقاقية والصرفية، والصور التوضيحية إن وجدت أو الإحالة إليها.

2- إذا كانت للكلمة دلالتان أو أكثر، فتذكر المواد الملحقة بكل دلالة حسب الترتيب السابق.

3- إذا وردت الكلمة في استعمالين أو أكثر، فتذكر المواد الملحقة بكل استعمال.

ظهرت الحاجة إلى المعاجم منذ القدم لدى الصينيين، وكذا العرب الذين نبغوا في المعجم الأحادي اللغة، إذ ملأت اللغة العربية حياتهم في المجالات كلها، وهو ما صرف اهتمامهم عن المعجم

¹ - ينظر: مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ص 29، 30.

² - ينظر: الحماش، خليل إبراهيم. "مشكلات الدلالة في المعجم الثنائي اللغة (من وجهة النظر العملية)". الرباط، مكتب تنسيق التعريب صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية: أبحاث الدورة التدريبية المنعقدة بالرباط من: 31 مارس إلى 8 أبريل 1981.. ص 85-86.

الثَّنَائِي، والعكس هو ما حدث لدى الغرب، إذ أحسّوا بحاجة ماسة لتعلّم لغات أخرى، وعلى رأسها العربية التي كانت لغة علم وحضارة، وهو ما دفعهم إلى تأليف هذا النوع من المعاجم، وانعكس هذا الأمر على الدّراسات المهمة به.

3-2- نشأة مقارنة ما وراء صناعة المعجم اهتمّت الدّراسات المعجمية في البداية بالبحث في

أنواع المعجم، وتطوّره وصنّاعته هادفة إلى تحسينه من خلال نقده على مستوى قضايا الجمع والوضع وكذا على المستوى الشكلي، وبما أنّ المعجم يمثّل صورة المجتمع، بما يحتويه من ثروة لفظية، تشمل جميع المجالات، ولاسيّما المعجم الثَّنَائِي الذي يحمل بين طيّاته ثقافة شعبيين مختلفين؛ بل أحيانا ثقافات فقد ظهرت دراسات معجمية تدعو إلى اتّخاذ أداة فاعلة تكشف عن معلومات تاريخية وثقافية واجتماعية وسياسية، « المعجم بوصفه أداة ثقافية يقدّم صورة حقيقيّة ذات مصداقية للجماعات البشرية، وللتنوّات التي تحيط بهم، وعند الحديث عن المعجم الثَّنَائِي، فهذا يعني حوارا بين ثقافتين متصارعتين، لكونه شيئا اجتماعيا موجّها للجمهور، ويسهم في تقديم صورة للتّاريخ الثّقافي للشّعوب ولغاتهم، ولللاقات القائمة بينهم في فترة زمنية معينة من تاريخهم وكونه نصا ما وراء معجمي، فإنّ دراسة بنية الكلمة في المعاجم الثَّنَائِيّة، ستّضح من خلال الإنتاج أو مضمونها وذلك اعتمادا على أكبر قدر من المعايير الاجتماعية والتّاريخية».⁽¹⁾ يعكس هذا القول أهميّة المعجم عموما، والثَّنَائِي خاصة في تقديم معلومات اجتماعية وثقافية تتجاوز المعرفة اللّغوية، وهو ما يدخل في أحد اهتمامات ما وراء صناعة المعجم.

ككلّ علم تكون اهتماماته في البداية محصورة في قضايا محدودة، لا تتجاوز التأسيس له بإيجاد المصطلحات، والتّاريخ والوصف، وانصب اهتمام العلماء على المعجم الأحادي، وبعدها المعجم الثَّنَائِي بدرجة أقلّ، وبدأ الاهتمام ببعض القضايا المرتبطة لا باللّغة في حد ذاتها؛ بل بطريقة التّعامل مع هذه اللّغة، وكيفية توظيفها لتحقيق أهداف غير لغوية، سواء أكان بقصد أو بغير قصد (رغم أنّ ما وراء المعجم الثَّنَائِي كان قبل القرن العشرين (20) فإنّ تطوره محتشم، هناك حدثان يشهدان ويؤرخان لاتّجاه آخر شهده هذا النوع (إعمال الفكر في المعجم) عامة، والثَّنَائِي خاصة؛ أوّل محاضرة اهتمت مطلقا بمشاكل المعجم كانت سنة 1960 في إنديانا (Indiana)، ونشرت هذه الأعمال سنة 1962 تحت الاسم نفسه، وقد خُصّص مجال معتبر للمعجم الثَّنَائِي، حيث عولجت عدة قضايا كبرى، مثل المداخل (Swanson 1962)، المحتوى المعجمي (1962Haas). المقابلات (Martin 1962)، الغموض

¹- Gaudin, François et Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale, 1830-1930. synergies argentine, 2013.n2. p 94.

(Innuci)، ليأتي الحدث الثاني بعد حوالي عشرين (20) سنة، يتعلّق الأمر بالمحاضرة الأولى (d'Euralex)، للجمعية الأوروبية للمعجم في ليكستر (L'Exeter)، سنة 1983م، وقد أصبحت معلما لما وراء صناعة المعجم (métalexigraphie).⁽¹⁾ يتّضح أنّ النّواة الأولى لهذه الدراسات التي لا تقتصر على الجوانب اللّغوية في المعجم؛ ظهرت في القرن التاسع عشر إلّا أنّها أخذت طريقها إلى مجالس العلماء والباحثين في نهاية القرن العشرين.

3-3- ما وراء صناعة المعجم (métalexigraphie): تتطّلق هذه المقاربة من دراسة

المعجم بطريقة مغايرة لما كان سائدا في ساحة البحث اللّغوي، فهو مفهوم حديث، و« رغم حداثة اسمها المفحّم الذي تشكل في ألمانيا في بداية السبعينات، وانتشارها في أوساط المولعين بالمعاجم فإن ما وراء صناعة المعجم، والتي ستسمى ببساطة (دراسة) أو (تحليل) أو (نقد المعاجم) قديمة قدم هذا النوع من المؤلفات وكذا الموسوعة. بيد أنّها تخلصت حديثا من الحس والجدل أو المدح الفارغ عند إدراك أن المعاجم مواد سيميائية ونصوص ذات طبيعة خاصة، وأيضا، ومن دون شك، عندما أراد المعجميون بصفتهم كانوا لسانين كذلك، أن يعرفوا ويقارنوا ويقيموا نشاطهم ومنتجاته. وافتتح نقد المعاجم هذا المعجمي الإسباني الكبير جوليو كزراس (Julio Casarès)، واتخذ اتجاهين مختلفين يرتبط أحدهما بكشف الظروف الفعلية لإنتاج هذه المؤلفات، أما الآخر، الذي يتكون خاصة من الأحكام القيمية وتحليل النصوص، فهو يعود إلى التقليد النقدي الذي طوّر بالضبط في معجم بيير بايل (Pierre Bayle)». ⁽²⁾ تبين ممّا سبق أنّ الدّراسات المعجمية عموما، اهتمّت بدراسة المعجم لخدمة المعجم، لكن ظهرت دراسات معجمية حديثة تدرس المعجم وتنقده، لتصل إلى معطيات تتعلّق بالمعجم وصاحبه والخلفيات الدينية والتاريخية والفكرية والثقافية التي تثيرها، وهي نافذة ضمن هذه المقاربة تحاول الاقتراب من المدونة واستنطاقها من جميع جوانبها، و« تتخذ ما وراء صناعة المعجم من المعاجم وتاريخها موضوعا للدراسة حيث تعرض رؤية تحليلية ونقدية حول المؤلفات، وكذا بنيتها والطرائق المعتمدة في وضعها دون السعي إلى صناعتها. وبذلك، يمكن دراسة المعاجم من خلال الزوايا الثلاث الآتية: المدونة والبنية الكبرى والبنية الصغرى». ⁽³⁾ وهناك مقاربتان إحداها التأمّلية (théorie contemplative) والثانية تحويلية

¹ -Franjié, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p 34, 35.

² - Rey, ALAIN. De l'artisanat du dictionnaire à une science du mot. Armand colin, paris, 2002. p52.

³ - Gaudin, François et Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale, 1830-1930. p 103.

(théorie transformatrice) موضحاً أنّ التّوجه الآن نحو الثّانية، إنّ دراسة معجم ثنائي بطريقة استقبالية (prospective) يقتضي بداية التّفكير في المحتوى والاستعمال لتقييم النوعية والفائدة.⁽¹⁾ رغم أنّ هذا النوع من الدراسات يخدم كثيراً الشعوب المحتلة التي خضعت لسنوات أو قرون للدول الغربية إلاّ أنّ الباحثين العرب لم يهتموا بهذه المقاربات، عكس الباحثين الغربيين الذين قاموا بدراسات حول بعض المعاجم.

3-5- أسس الدّراسة في مقارنة ما وراء صناعة المعجم:

هناك من حدّد أربعة أبعاد لدراسة المعجم، باعتماد مقارنة ما وراء صناعة المعجم وهي:⁽²⁾

3-5-1- البعد البديهي (La dimension axiomatique): يتضمّن القرارات الاستراتيجية

للمؤلف المعجمي، الذي يحدّد النوع: (معجم، موسوعة، عام، متخصص)، النوع: (أحادي، ثنائي متعدد). المادة الأشكال، مدى وجود صور وأشكال.

3-5-2- البعد المنهجي (La dimension méthodique): يهتم بالتّناول المعجمي من حيث

المعلومات النّحوية والإملائية والصّوتية، والصّيغ والتراكيب، حول المفردات (l'objet-lexique). كما يهتم بتقنية التّعريف، ومدى توظيف المرادفات والأضداد. بالإضافة إلى توظيف الصّيغ الموصوفة والتّمثيل لها.

3-5-3- الهيكل المعجمي: ويضم جانباً دلالياً (un versant dénotatif): يشمل التّصنيف المعتمد

واختيار المداخل، والتّعريف المعجمي (l'article) وتنظيم (المادة) المعجمية مع أمثلة أو دونها، وجانباً إيحائياً (un versant connotatif)، يشير إلى العلامات والرّموز ومدى تعريفها، بالإضافة إلى التكنولوجيا المعجمية (technologie dictionnaire) المتمثلة في استغلال مساحة الكتاب، وتنظيم الورقة، والفروق المطبعية.

3-5-4- البعد الكشفي (La dimension heuristique): وهنا تنبيه إلى ضرورة التّمييز

بين الكشف الصّريح والضّمني، أما الصّريح، فقد يظهر من خلال الأمثلة المبتكرة، وأمثلة مذكورة. ومن جهة المصادر المستخدمة، فغالبا ما يؤدي اختبار الاستكشاف لدى مؤلف المعجم إلى إثبات وجود

¹- Franjé, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. p 37.

²- Petrequin, Gilles et Swiggers, Pierre. La métalexigraphie. Contours et perspectives d'une (sous-)discipline. In: L'Information Grammaticale, N114, 2007. pp. 7-10. http://www.persee.fr/doc/igram_0222-9838_2007_num_114_1_4443 Document généré le 15/12/2015

تشابك بين المصادر (ضمنية/ صريحة).

3-5-5- البعد التأويلي (La dimension herméneutique): يتركز على المفردة (l'objet-lexique) حيث يمكن للمعجمي أن يكتفي بتحليل المفردة أو الكلمة كمادة لغوية أو أن يقيم علاقات سببية (liens causals) مع عقل الإنسان وأحاسيسه ومع العقليات والمجتمع ومع الواقع كذلك. يُلاحظ أنّ هذه الأبعاد تشمل كل ما له علاقة بالمعجم، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، ومن حيث المضامين، والمناهج، وكذلك اللغة بكل مستوياتها، وخلفياتها، والعلاقات الرابطة بين المعجم وما هو خارج المعجم، من معطيات إنسانية بشرية.

3-6- نماذج لدراسات بمقاربة ما وراء صناعة المعجم:

رغم الادّعاء الحاصل بين الباحثين والعلماء، بأن المناهج الحديثة كرّست الموضوعية، ومجّدت العلم، وجردته من الأهواء والعواطف الإنسانية، وأن الأعمال الصادرة بعد ظهورها، تتميز بنسبة عالية من الموضوعية، ومنها المعجم الثنائي الذي يُفترض فيه الأمانة لدى صاحبه أكثر من غيرها من المؤلفات، لأنّ المؤلف يتعامل مع لغتين؛ إحداهما لغته، والأخرى لغة أجنبية عنه، تنتمي عادة إلى شعب غير الذي ينتمي هو إليه، وحينها سيكون المعجميّ أمام امتحان في الأمانة العلمية، فهل يعدّ تأليف المعاجم -ولاسيما الثنائية منها- عملاً نزيهاً علمياً بحثاً؟ هناك دراسات تؤكّد أنّ « صناعة المعجم ليست عملية بريئة، بل تشكّل صورة تُسقط إichاءات، (fantasmes) تكشف عن إرادات (مقاصد) (des volontés). وكل مؤلف للمعجم يمثّل طبقة معيّنة (porte-parole d'une classe) عبر إيديولوجية، هو يظن دون شكّ أنّه يقدّم بأمانة مجموعة من الأشكال... لكن لا يوجد أمانة ممكنة... الفعل الإرادي على اللغة، يتمّ بداهة على العناصر التي يمكن لضمير القارئ عزلها». ⁽¹⁾ أشار الباحث الطيّب ولد لعروسي إلى دراسة من هذا النوع، تؤكّد ما سبق، حيث تتبّع الباحثان محفوظ محتوت والباحثة فاليري دولافيجن كلمة (عدل) في معجمين لبولمي ومحمد بن سديرة لاكتشاف علاقة المعجم وما يحتويه بالأهداف الذاتية للمعجمي، والمقصود من البحث عن كلمة (عدل) هو معرفة الأهداف المعلنة وغير المعلنة للمشروع المعجمي نفسه بكلّ أبعاده... وهي تحليل عند بولمي (Paulmier Adrien) إلى نظام العدالة كما كانت تنتظر إليه المؤسسة الاستعمارية بواسطة محامين ونظام عدالة، لذا فإنّ الخطاب

¹ - Rey, Alain. De l'artisanat du dictionnaire à une science du mot. p87.

الإيديولوجي المجدد في المعجمين، يعتبر كآلة بيداغوجية تربوية، الغرض منها الانتشار، مما يبين المعاملات الاستعمارية، بشكل احتقاري للمؤسسات الأهلية وبالتوازي، فإنها تربط كلمة عدالة بالمحاكم الفرنسية.⁽¹⁾ وهذا من الأساليب الحديثة التي يلجأ إليها المختصون في الإشهار وذلك بربط كلمة معينة إيجابية بجهة أو مؤسسة، كأن تذكر كلمة السعادة وتربطها بمؤسسة معينة أو بمنتوج ما. وهنا يربط العقل الباطن بين ذلك المنتج المعلن عنه وكلمة السعادة، وهو ما سينعكس على سلوك المستهلك، الذي سيقبل بحماس كبير على ذلك الشيء.

فعندما يتم ربط كلمة (عدل) بفرنسا ستترسخ الفكرة مع الوقت، حيث يستحضر الشخص صفة (العدل) بمجرد سماع كلمة (فرنسا)، وهو ما سيخلق في العقل الباطن تفكيراً إيجابياً، وتوجهات وسلوكات إيجابية نحوها، وذلك مهما صدر عنها من أفعال، وقد أشار إلى هذه الفكرة المؤلف ماتوري، عندما تناول علاقة الكلمات بأفراد المجتمع، وكيف يحدث التفاعل بينهما، وبما أنّ المعجم قائمة من الكلمات التي اختارها صاحبها لنقل معناها للمتلقى، وهو لاشكّ متأثر بعوامل كثيرة قد تكون اجتماعية أو عقائدية أو سياسية أو ثقافية من حيث يشعر أو لا يشعر.⁽²⁾ يعكس هذا القول أهمية الكلمة وتأثيرها في الفرد والمجتمع، وكيف أنّ اختيار كلمة في سياق ما أو مع شخص أو شعب ما، يحدده أحيانا كثيرة أهداف يضعها مستعملها، وبما أنّ الحديث بصدد المعاجم، فإنّ نوع الكلمة المستعملة وسياق توظيفها يعكسان خلفيات لدى المعجمي وتأثيراً معيناً يسعى إلى إحداثه لدى القارئ وقد يكون الأمر عفويا.

وُجّهت اتهامات كثيرة إلى المستشرقين وأتباعهم، تمثلت في استغلالهم المعجم لتحريف اللغة العربية وإدخال كلمات ودلالات ليست منها، « عمد الاستشراق إلى إفساد اللغة العربية على النحو الذي نجده في كتاب المنجد من إدخال مصطلحات غير عربية إلى صميم النص العربي، وما نجده من خطأ في تفسير بعض المصطلحات العربية مثل محاولة تفسير كلمة (الطلاق)، بقولهم إنّهم الذين أدخلوا في الإسلام كرها وتفسير كلمة عمد (ع. م. د) بأنه غسيل الولد بماء المعمودية، في حين أنّ المعمودية ليست كلمة عربية وإنّما هي كلمة قبطية تنطق معموديت بالذال المعجمة، يقول الدكتور مصطفى جواد إنّ أغلاط المنجد لا

¹ - ينظر: ولد لعروسي، الطيّب. "محمد بن أبي شنب ومسألة الاستشراق". الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنتظم، المدينة من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورا مديرية الثقافة، 2015م، ص 213.

² - voir : Mahtout, Mahfoud et Delavigne, Valérie. sens et interprétation du mot justice dans un corpus de dictionnaire bilingues de la période coloniale en Algérie. p14. voir aussi Georges Matore, la méthode en lexicologie. librairie marcel Didier. paris, 1953. p 51.

يمكن لأحد أن يستقصيها، نبهنا على ثلاثمائة وأربع وعشرين منها ونحن لم نقرأ فيه إلا عند الحاجة».⁽¹⁾ يؤكد هذا القول قدرة المعجم على إحداث تأثيرات على المستوى العقدي والاجتماعي والسياسي عن طريق اللاوعي، (بمعنى دون التصريح بتلك الأفكار)، وهذا أخطر ما في الأمر، إذ لا ينتبه إلى ما تخفيه الكلمات والعبارات، مما لم يصرح به إلا المختصون في تحليل الخطاب والنقد الثقافي، ومن لهم دراية في أمور السياسة. «... فكل من يدرس الشرق كان يحتاج إلى مفردات علمانية تتماشى مع هذه الأطر، لكنه إذا كان الاستشراق قد قدم المفردات والمفاهيم النظرية الجاهزة، وأساليب العمل -فذلك حقا ما فعله الاستشراق بل وما كان عليه الاستشراق، اعتبارا من نهاية القرن الثامن عشر- فإنه قد احتفظ بما يعتبر تيارا ثابتا في "خطابه" وهو الدافع الديني الذي أعيد تشكيله أو المذهب الطبيعي للأسباب الخارقة».⁽²⁾ إن هذا النوع من البحوث عادة ما يبتعد عنه الباحثون ولاسيما اللغويون منهم، ربّما لما قد يجره عليهم من تبعات، وقد يرى بعضهم أنّ هذا ليس من البحث اللغوي، بما أنّ اللغة يجب تناولها عند أكثرهم بعيدا عن إنسانيتها، فهي مجرد مادة، أو أصوات ومستويات، تدرس لندرس لذاتها، مع أنّ هذا النوع من الدراسات قد يزيل الغموض عن قضايا كثيرة، ويكشف عن مغالطات كثيرة وكبيرة.

ومن الدراسات التي اهتمت بمقاربة ما وراء صناعة معجم، المقال الذي نشره الباحثان فرانسوا جودان ومحفوظ محتوت حول المعاجم الثنائية الصادرة في الجزائر، في فترة الاحتلال الفرنسي من خلال الأبعاد الاقتصادية، والسياسية والثقافية مجتمعة (conjoncturelle)، هذه الخطوة من شأنها التوصل إلى المضمون الاستعماري، الذي سيُنتج بدوره مجموعة من الخصائص والمعطيات الإيديولوجية البادية في النص المعجمي، والتأثير الذي يريده المؤلفون والتناقضات المتكررة...⁽³⁾ إلا أنّهما لم يحددا المعاجم المدروسة، ومما توصلا إليه أنّ المعاجم الثنائية الصادرة في الجزائر، لا تعتبر أدوات لسانية فحسب؛ بل هي إنتاج ثقافي يعكس الإيديولوجية المسيطرة آنذاك، وبعيدا عن الطابع التعليمي، تمثل هذه المعاجم شهادة متميزة حول علاقة الاحتلال الفرنسي بالشعب الجزائري، ونظرة المحتلين للأهالي، فهي مصادر قيّمة للأرشيف، كما تعكس مكانة اللغات والتأريخ لها، حيث سمح التبادل اللغوي الثقافي بإيجاد العلاقات بين المعجمية الثنائية

¹ - الجندي، أنور. مقدّمات العلوم والمناهج، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة.... ص 184.

² - إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 209.

³ - Gaudin, François et Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. p 95.

والأحادية، وكان المعجم من بين الأدوات التي وظفتها الحكومة الاستعمارية الفرنسية لترسيخ اللغة الفرنسية وعكست الرغبة في تنصير الأهالي. كما شجعت على دراسة اللهجات المحلية، فألفوا كتباً وضعوا لها قواعد ومعاجم لتعليمها، وهو ما سمح لها بأن تتحوّل إلى لغة مكتوبة بعدما اقتصر على الجانب الشفوي.⁽¹⁾ وبهذا يخرج المعجم عن دائرة الكلمات من أجل الكلمات ومعانيها، إلى نطاق أوسع، تسيّره معطيات غير لغوية. يؤكّد الباحث الناقد إدوارد سعيد أنّ الجهود الاستشراقية في مجال المعجم؛ وفي غيره عملت على تكوين صورة أخرى للعرب، حيث اتّسمت جلّ أعمالهم بالفوقية، « وكانت أساليب الاستشراق الخاصة من وضع المعاجم والقواعد النحوية إلى الترجمة، والتفسير الثقافي، تعيد بناء القيم القائمة في الشرق العريق القديم، وفي المباحث التقليدية مثل فقه اللغة، والتاريخ والبلاغة والجدلية المذهبية، فتكسو عظامها لحما وتعيد تأكيدها... كما أعيد إدراج المباحث التقليدية في نسيج الثقافة المعاصرة. ولكن هذا وذاك كانا يحملان آثار السلطة ومعناها القدرة على بعث الشرق؛ بل وخلقه، والقوة الكامنة في المناهج الجديدة والمتقدّمة علمياً لفقه اللغة والتعميم الانتربولوجي. وباختصار فبعد أن نقل المستشرق الشرق إلى العالم الحديث، بدأ يحتفل بمنهجه وبمكانته باعتباره مبدعاً علمانياً، أي باعتباره رجلاً تمكّن من خلق عوالم جديدة...».⁽²⁾ وهنا يكون المعجم، قد أدى جزءاً من هذه المهمة التي صنعت شرقاً آخر بالصورة التي أرادها ورآها الغرب.

* Il s'agit, dans notre cas, d'examiner les dictionnaires bilingues confectionnés en Algérie pendant la période coloniale, sous leur dimension économique, politique, culturelle, conjoncturelle et pragmatique. Cette démarche doit faire ressortir un ensemble de faits caractéristiques du contexte colonial : les partis pris idéologiques qui se manifestent dans le texte lexicographique, l'effet perlocutoire recherché par les auteurs, les contradictions fréquentes, etc. Dans cette optique, comme nous l'avons déjà écrit, l'histoire culturelle des dictionnaires prolonge et élargit l'analyse de discours lexicographique en l'articulant « à une sociolinguistique inscrite en diachronie ; l'étude des objets linguistiques replacés au sein d'objets sociétaux durables permettra de mieux comprendre la place que jouent les dictionnaires dans l'identité des communautés linguistiques quand elles se donnent des images d'elles-mêmes et quand elles sont en relation les unes avec les autres ». Les dictionnaires bilingues de la période coloniale sont donc à considérer comme témoins d'une époque et l'approche des textes lexicographiques doit être envisagée dans toutes ses dimensions et en corrélation avec le contexte qui les a vus naître.

¹ - François Gaudin et Mahfoud Mahtout, histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie, p 107.

² - إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 210.

المبحث الثالث: الاستشراق الفرنسي وأثره في العالم الإسلامي العربي

1- الاستشراق الفرنسي بين الماضي والحاضر:

يسعى هذا المبحث إلى التعريف بالاستشراق الفرنسي، بدءاً بنشأته، ومستشريقيه، ووسائله. وستخصّص له وقفة مطوّلة مع الجزائر، نظراً لكونه من أكثر المدارس الاستشراقية انشغالا بالجزائر وما أكثر المستشرقين الذين ولدوا بالجزائر، وعَمَرُوا فيها. كما أنّه الأكثر احتكاكا وتأثيرا في الجزائريين وهذا لعوامل كثيرة، وسيعرّف ببعض الأعمال الفرنسية، مثل: (اللغة العربيّة، المعجم، والدراسات القرآنية) وسينتهي إلى التّأثيرات السلبية ليس في الجزائريين فحسب؛ بل في صورة المسلمين عموما، وكيف عمل على تشويه الحقائق، وتمكّن للأسف من التّرويج لأفكار كثيرة أساءت وتسيء إلى يومنا هذا لصورة الإسلام في العالم، وفي الواقع هو تشويه لصورته، فحسب، أما حقيقة الإسلام الطاهرة النقيّة باقية راسخة أبد الدّهر، مهما تشوّهت الصّورة في بعض العقول، فالذي يبحث عنه في منابعه الأصيلة سيجده ولا يمكن إدراك مدى هذا التشويه، إلا بالعودة إلى الأصل.

1-1- لمحة تاريخية عن الاستشراق الفرنسي: سيقف البحث في هذه المحطة عند الاستشراق الفرنسي لكون مدوّنة البحث لمستشرقين فرنسيين ونظرا لما تتميّز به هذه المدرسة في علاقتها بالشرق، ولاسيما الشمال الإفريقي، وسيحاول كذلك إبراز أهمّ مميّزات الاستشراق الفرنسي وأعماله، سيتناول الاستشراق الفرنسي في الجزائر، لا سيّما أنّ معظم أصحاب المعاجم إما مروا بالجزائر أو تعاملوا معها، أو ولدوا بها، أو ذُكرت في أعمالهم. كما أنّ البحث سجّل في جامعة جزائرية، وعليه يحسن به أن يخصّ الجزائر بوقفة، كذلك بوصفها من بلدان العالم الإسلامي العربي، وستكون الجزائر عيّنة ممثلة لها العالم، ينظر البحث من خلالها إلى أعمال الاستشراق الفرنسي وآثاره.

ترجع العلاقات الفرنسية مع العرب إلى أمد بعيد، ويرقى الاحتكاك والاتصال الأول بين العرب والفرنسيين (الغالين) إلى سنة 114هـ/732م التي شهدت وقعة بواتييه (Poitiers) الشهيرة في قلب فرنسا قرب نهر اللوار...⁽¹⁾ وكانت هناك ردود أفعال من فرنسا، توجت بالحروب الصليبية، التي قادتها فرنسا، حيث « إنّ حملة الملك القديس لويس اصطبغت بصبغة فرنسية خالصة، وهي الصبغة التي تميّز هذه عن سائر الحملات الصليبية السابقة... ذلك لم يغيّر من كونها ذات طابع دولي، نظمتها

1 - المقداد، محمود. الدراسات العربية في فرنسا. ص 8.

المسيحية بوجه عام، وأسهم فيها العالم المسيحي كله، أما حملة الملك لويس التاسع، فتبدو لنا على عكس ذلك... فهي أول حملة استعمارية، قامت بها مملكة فرنسا في الشرق...»⁽¹⁾ لكن فرنسا مُنيت بالهزيمة في هذه الحملة، وهو ما جعلها تفكر في طرائق أخرى غير السلاح التقليدي، مثل الدس بين المسلمين، وتجنيد المبشرين لمحاربة الإسلام وتعاليمه. وكانت الحروب الصليبية موجهة للقضاء على الحضارة الإسلامية، أو بالأحرى الاستيلاء عليها « على هذه الحروب المسيحية ضد الإسلام أُطلقت تسمية الحروب الصليبية، وكانت نتائجها على التاريخ العام للحضارة في أوروبا مهمة جدا، وكان من المستحيل السكوت عنها، في كتاب موجه ليس لوصف حضارة العرب وحسب، ولكن تأثيرها في العالم...»⁽²⁾ واستمر الاهتمام باللغة العربية مع الملوك الفرنسيين اللاحقين الذين أدركوا أهميتها... وكانت فرنسا في الواقع من أكثر هذه الدول اهتماما باللغة العربية منذ وقت مبكر، إذ قام الملك فرانسوا الأول سنة 1530 بإصدار أوامره بالاهتمام بها وتعليمها في معهد فرنسا (كوليدج دو فرانس) وقد تابع الملك -الشمس لويس الرابع عشر اهتمامه بتعليمها في مدرسة فتيان اللغات إلى جانب التركية والفارسية بوصفها جميعا لغات إسلامية بارزة ومفيدة آنذاك لخدمة الصلات والمصالح والمطامع الفرنسية...»⁽³⁾ وبالعودة إلى التاريخ، فقد كانت فرنسا تحظى بعلاقات تجارية مع العالم الإسلامي وكانت هناك تبادلات حضارية في العصور الذهبية للأمة الإسلامية، « من المشهور في بعض كتب التاريخ أنّ الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان يرتبطان بعلاقات سياسية، وكانت بينهما صلة ودية جعلتهما يتبادلان الهدايا والرسائل...»⁽⁴⁾ كما سُمع الكثير عن الرحلات المتبادلة، والسفراء الذين كانوا يمثلون الرعايا الموجودين هناك، وقد حظوا بامتيازات كثيرة لدى العثمانيين وازدادت العلاقات بعد حملة نابليون بونابارت على مصر سنة 1798م، واحتلال الشمال الإفريقي. « بالإضافة إلى الامتداد الفرنسي في سوريا ولبنان يقول محمد محمد حسين: إنّ الحافز الأساسي لتكوين الإمبراطورية الاستعمارية الثانية، هو في اعتقادنا حافز أدبي لردّ اعتبار فرنسا، فغزو الجزائر سنة 1830م كان ردّ

¹ - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. ص 19، 20. عن:

René Grousset, histoire des croisades et du royaume France de Jérusalem, v. 3, p.428.

² - Le Bon, Gustave. La Civilisation des Arabes. Alger, Casbah éditions, 2009. p281.

³ - المقداد، محمود. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. ص 186.

⁴ - رضائي، رمضان وآخرون. "الصلات بين الحضارتين الإسلامية والرومانية (اعتمادا على العلاقات السياسية بين الرشيد وشرلمان)". في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. إيران، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، 1434هـ-2013م. السنة السادسة عشرة. العدد الأول. ص 55.

فعلهم لفقد جزء من مستعمرات فرنسا فيما وراء البحار، ثم لهزيمة نابليون الأول سنة 1815م، وغزو تونس سنة 1881م، كان ردّ فعل لهزيمة نابليون الثالث سنة 1870م، ونجد انعكاس هذه الروح في عبارات التفاخر التي كانوا يطلقونها على إمبراطوريتهم، فهم تارة يسمونها فرنسا ذات المائة مليون من السكان ... وتارة فرنسا العظمى⁽¹⁾. أسهمت هذه المعطيات التاريخية والحضارية وغيرها، في التمازج الحضاري بين فرنسا والعالم الإسلامي، وهو ممّا أدّى إلى تميّز الاستشراق الفرنسي عن غيره من المدارس في تعامله مع الشرق الذي يُعتبر غنيمة حرب استولى عليها.

أمّا في مجال الاستشراق، فيعتبر روبير منتران: "العقد الأخير من القرن الثامن عشر الانطلاقة الحقيقية للدراسات الشرقية بفرنسا، ويبدو الاهتمام بالمؤلفات الشرقية واضحاً، في المصنّف الشهير (وصف مصر) ... وما كاد ينتهي هذا القرن، حتى شهدت فرنسا تفهقراً في الدراسات الشرقية عقب ظهور المدرسة الألمانية، التي زاحمت بشهرتها المدرسة الفرنسية... ليعود المجد الاستشراقي لفرنسا مع المستشرق الفرنسي الكبير سلفستر دو ساسي (Silvestre de sacy)، في القرن التاسع عشر⁽²⁾ وهو الأمر الذي أكّده الباحث محمد العربي معريش، « ومن الواضح أنّ الدراسات الاستشراقية مدينة في تطوّرها وازدهارها لدوساسي بعلاقاته مع الحكومة وكثرة مراسلاته، وعلى الخصوص بتدريسه الذي لم ينقطع عنه، التدريس الذي خلف جيلاً من المستشرقين اللامعين، بعضهم تتلمذوا مباشرة عليه... وبعضهم الآخر تتلمذ عن دوساسي تتلمذاً غير مباشر⁽³⁾». يبدو أنّ المدرسة الاستشراقية الفرنسية تدين بشهرتها، لهذا المستشرق الذي ذاع صيته، ليس في فرنسا فحسب، ولكن في الغرب ككلّ، (حيث تخرّج على يد دي ساسي معظم المترجمين الذين رافقوا نابليون في حملته على مصر، كما تخرّج على يديه المستشرق السويدي هولنبوي والمستشرق الألماني فليشر والمؤرخ الفرنسي شامبليون، مكتشف حجر رشيد، ومن ورائه أسرار الحضارة الفرعونية⁽⁴⁾). وحسب المؤلف أحمد درويش، فإنّه المؤسس الحقيقي للدراسات العلمية في مجال الاستشراق حول الأدب العربي بنزعتة الموضوعية الحديثة في الاستشراق، وبفضله تحرّر الاستشراق من المرجعية الدّينية⁽⁵⁾. لم يوضّح الأستاذ

1 - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. ص 21، 22.

2 - المرجع نفسه. ص 26، 27.

3 - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية. ص 99.

4 - ينظر: درويش، أحمد. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. ص 39، 40.

5 - ينظر: المرجع نفسه. ص 39.

(أحمد درويش) ما يقصده بقوله، وكأنه يلمح إلى انتقال الاستشراق من مرحلة الذاتية إلى مرحلة الموضوعية أمّا بالنسبة إلى المرجعية الدينية، ففيه نظر، إذ تشهد أعمال المستشرقين أنفسهم على التأثر بالنزعة الدينية بين مصرّح وملّمح.

ومع دو ساسي ظهرت مرحلة جديدة « سمّيت هذه المرحلة بمرحلة التأسيس والاستقلال الحقيقيين للاستشراق الفرنسي، بحيث في هذه المرحلة بالذات فُتح الباب واسعا لمعرفة الشرق الإسلامي، ودراسته من جميع نواحيه، والاهتمام بالأعلام والشخصيات الإسلامية، والآثار الأدبية والعلمية والدينية. وإن كان روبير منتران يرى أنّ دراسة العربية في هذه الفترة كانت قد طغت على غيرها من الدراسات الاستشراقية وأنّ الفترة الكلاسيكية من التاريخ الغربي؛ أي القرن الثامن وحتى الحادي عشر للميلاد، هي التي نمت دراستها أكثر من سواها...»⁽¹⁾ واستمرّ الاستشراق الفرنسي في تحقيق خطته ومشاريعه، « وقد تمّ عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام 1873م»⁽²⁾ ما يؤكد الدور الريادي لفرنسا في هذا المجال.

كانت معظم الدّراسات في القرن التاسع عشر على ما يبدو، ذات طابع وصفي وتاريخي تعمل على البحث عن المعطيات، وترجمتها وتعليم اللّغة العربية، لكن بعدها يقول روبير منتران: « بولادة القرن العشرين ظهر تحوّل في الاستشراق الفرنسي، فقد سمح إنشاء المدرسة العلمية (التّطبيقية) للدراسات العليا في باريس، بتجديد المواد المتنوعة والمتخصّصة، لاسيّما على صعيد الدراسات الاستشراقية، فقد كانت الدّروس المعطاة في هذه المدرسة على شكل مناقشة بحوث موجهة عادة إلى مستمعين متقدمين»⁽³⁾ يفهم من هذا أنّ الأهداف صارت أكبر وأهمّ من ذي قبل، « من جهة أخرى، بدأت البحوث تكتسب أبعادا جديدة، وذلك في استخدام أساليب علوم إنسانية أخرى وأهداف جديدة، فتطوّرت هكذا البحوث والدّراسات الأكثر تخصّصا يوما بعد يوم، كتلك التي تعنى بقضايا التاريخ الاقتصادي والتاريخ الاجتماعي والتاريخ العمراني والمشاكل والمسائل التكوينية وأصول اللّغة، وفقه اللّغة، وصولا إلى القضايا الدّينية والفنون والآثار، وذلك بنوع مختلف عما كان

1 - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن. ص 29.

2 - زقزوق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ص 44.

3 - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن. ص 30.

في السابق من تاريخ إخباري أو سياسي تقريري، بحيث تغيّرت أسس البحث عنها».⁽¹⁾ بديهي أن تتغيّر أساليب البحث وطرائقه، إذ يعدّ القرن العشرون الفترة التي بدأ فيها الاحتلال الفرنسي يتلقى مقاومة شديدة من الجزائريين، وغيرهم من الشعوب المحتلة، وهو ما جعل فرنسا تستعين بمستشرقها وتوجّههم نحو دراسات من شأنها، أن تضعف المقاومين، وتعزّز مكانتها بينهم، فمثلا هناك من تخصّص في الصوفية، مثل المستشرق ماسينيون، إذ عمل بعضهم على نشر الخرافات بين الشعوب لينشغلوا بها عن المقاومة. كما اهتموا بدراسة موضوعات إسلامية: كالقرآن الكريم والسنة والفرق الدينية، لتشكيك الشعوب في دينهم، والتفريق بينهم، ودرسوا تاريخهم لإثارة الفتن، بإحياء القوميات ولاسيما بين الأمازيغ والعرب، وغيرها من الأهداف التي غيرت مجرى الدّراسات الاستشراقية الفرنسية. واصل الاستشراق الفرنسي أعماله بالنشاط نفسه طيلة فترة الاحتلال، وقد يتبادر إلى الأذهان أنّه توقف بمجرد استقلال البلدان الخاضعة له، وهذا هو المتوقع بما أنّه ارتبط بالاستعمار، إلّا أنّ ما حدث هو العكس، إذ بقي اهتمامه بتلك البلدان إلى يومنا هذا، وإن كانت الوسائل مختلفة أحيانا وتسمياتها مكيفة، هناك مراكز ومؤسسات وجامعات وباحثون يهتمون بكل ما يحدث في العالم الإسلامي العربي، ومؤلفات ومعاجم تصدر إلى يومنا هذا، وهو ما يترجم التمسك بأهدافهم وتحقيقها بشكل آخر قد يكون أكثر تأثيرا وفعالية، "وبصفة عامة فإنّه ليس للاستشراق التقليدي المنزوي في المؤسسات الكبرى والجامعات سوى عدد قليل جدا من الأشياء يمنحها لطلبة يرغبون في أن يتعلموا بسرعة عربية حية ويكتشفوا ثقافة معاصرة ليصبحوا صحفيين، ومنشطين وسياسيين ومؤرخين، أو لمن باشروا السير في هذا النّهج، ويبحثون عن التعرّب...».⁽²⁾ يعبّر المستشرق دانيال ريغ عن جزء من واقع الاستشراق بعد الاستقلال، والمجالات المذكورة تعكس أهم دواعي الإقبال على العربية، والمستفيد الوحيد هو الغرب. ومن المؤسسات المنشغلة بالعالم الإسلامي حاليا معهد العالم العربي بباريس.

عموما ارتبط الاستشراق الفرنسي في علاقته بالعالم الإسلامي العربي، بأغراض متعددة، تبدأ بالصراعات والحروب، لأسباب دينية واقتصادية، والمعاملات التجارية التي تمتد عبر التاريخ، بالإضافة

¹ - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن. ص 30.

² - ريغ، دانيال. رجل الاستشراق. ص 224.

إلى العلاقات السياسية، ممثلة في السفارات المتبادلة بين الدول العربية والغربية، والعلاقات العلمية الثقافية، التي عرفت تغيرات كثيرة، حيث بدأت العلاقة بإقبال الغرب على الشرق لاستنزاف علومه حيث كانت اللغة العربية على رأس قائمة اللغات المطلوبة، وكانت عملية الترجمة من العربية نشطة في البداية، لما عرفه المسلمون من تقدم في جميع المجالات، ولا تزال العلاقة قائمة إلى يومنا هذا.

1-2- المستشرقون الفرنسيون مميّزاتهم، أدوارهم، وسائلهم:

1-2-1- مميّزات المدرسة الاستشراقية الفرنسية: رغم اشتراك المدارس الاستشراقية في الأهداف والوسائل الكبرى، إلّا أنّ المدرسة الفرنسية، كان لها مكانة متميّزة وخطيرة، « هناك سمات صبغ بها الاستشراق الفرنسي نفسه، حتى تميّز عن باقي المدارس الاستشراقية الأخرى، من هذه السمات ما هو راجع إلى مكونات الفرنسي ذاته النفسية والخلقية، والتي يقول عنها اللورد كرومر: إنّ الأسباب التي تجعل الحضارة الفرنسية ذات درجة خاصة من الجاذبية، بالنسبة للأسويين، وسكان شرقي المتوسط واضحة، وفي واقع الأمر، إنّ هذه الحضارة أكثر جاذبية من حضارتي إنجلترا وألمانيا؛ بل إنّها علاوة أكثر سهولة للتقليد»⁽¹⁾ عرفت فرنسا ولا تزال، بنظرتها الفوقية لكل من هو غير فرنسي، ولاسيّما إذا كان مسلما عربيا، وقد أشار إلى ذلك المستشرق الفرنسي دانيال ريج، « إنّ للمستشرقين المعاصرين والفرنسيين منهم على الخصوص، بعض الحق في عدم الشعور بالارتياح سواء أكانوا فرنسي الأصل أم ذوي أصول عربية... إنّهم يشعرون بأنّ الاستشراق قد اتهم بالتعاون مع المؤسسة الاستعمارية؛ بل إنّهم متّهمون أحيانا بنهب التراث الثقافي العربي... وبالمقابل، فإنّه من الصّعب عليهم هم أنفسهم التخلّص من نظرتهم المتعجرفة لأعمال نظرائهم من الباحثين العرب»⁽²⁾ يكفي الاطلاع على بعض الدّراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون سواء ما تعلّق بالعربية أو غيرها ليكتشف القارئ ذلك، فهم كثيرا ما يعيّتون أنفسهم أوصياء على اللغة العربية؛ بل وعلى المسلمين العرب جميعهم، ويمنحون أنفسهم حق التصرّف في كلّ ما له صلة بهم، وكأنّ هؤلاء المسلمين لا عقول لهم ولا حقوق. وما وجدوا إلّا لخدمة فرنسا وأطماعها والانصياع لأوامرها. ومما أشار إليه الأديب أحمد درويش، في هذا السياق

1 - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. ص40. عن إدوارد، سعيد. الاستشراق: المعرفة، السلطة الإنشاء. ص 222. تر: كمال أبو ديب.

2 - ريج، دانيال. رجل الاستشراق. ص 48.

« ومع أن دور شامبليون الخلاق في التاريخ الحضاري للشرق، لا يمكن إنكاره، فإنّ المرء لا يستطيع أن يوقف نفسه هنا، عن استطراد عاطفي نابع عن رد فعل، ضد الطريقة التي عبر عنها فنان فرنسي حين حاول تجسيد هذا الدور في تمثال كان يتصدر مبنى الكوليج دي فرانس القديم في باريس، ويظهر فيه شامبليون، وقد ارتكز بإحدى قدميه على رأس أحد الفراعنة...»⁽¹⁾ قد يكون السكوت في هذا المقام أبلغ من التعليق.

أما عن المكونات الثقافية للحركة الاستشراقية الكبرى، التي حدثت في فرنسا، منذ القرن الثامن عشر، فحدّدها المستشرق دانيال ريغ في ثلاثة نماذج، وُسم الأول بالإنسية وبالتعميق في دراسة الأدب والثقافة العربيين، والسمة الغالبة على النشاط في هذا المجال هي البحث. أما النموذج الثاني فهو نشاط ميداني في الوسط العربي، يتمثل في الترجمة الشفهية والكتابة (النقل)، والملاحظة، ويأخذ هذا النشاط طابعا إثنوغرافيا في بعض الأحيان، ويختص النموذج الثالث بالتعليم.⁽²⁾ لقد غزا المستشرقون كل المجالات، كيف لا؟ وقد تحوّل الشرق بين أيديهم إلى حفريات ومخابر يطبقون فيها تجاربهم ويُسقطون عليها نظرياتهم. وتميّز الاستشراق الفرنسي عن منافسه البريطاني بمضاغفة جهوده الاستشراقية، إذ رغم أنّ بريطانيا كانت متفوقة من حيث عدد المستعمرات إلا أنّ فرنسا تجاوزتها في مجال الاستشراق.* وكان تكليف المستشرقين في معظم الأحيان فرديا، قد يرجع الأمر إلى قلة المستشرقين، مقارنة بالمناطق المحتلة، وهو ما جعل المستشرقين؛ يتوزعون حسب كفاءاتهم ومهامهم، « يرى روبير منتران أنّ الاستشراق الفرنسي يتناول في القسم الأكبر من دراساته وأبحاثه الحقب الكلاسيكية، وما بعدها بقليل وخصوصا ما يتعلّق باللغة والأدب والفنّ والآثار والعلوم الإسلامية والدينية ومتعلقاتها، غير أنّ ما يميّز غالبية هذه الدراسات أنّها فردية. أما الدراسة والبحث الجماعيان فلا يظهران إلّا حينما يكون الموضوع مشاكل العالم الإسلامي وحده، ونادرا ما يمتدّ إلى دراسة مشاكل من الماضي السحيق».⁽³⁾ لعلّ السؤال الذي يطرح نفسه؛ هو منذ متى كانت فرنسا تحرص على حلّ مشاكل المسلمين لتدرس مشاكله، أو أنّ هناك أهدافا تتوارى خلف هذه الأبحاث؟ لا شك أنّ هذا القول يؤكّد ارتباط معظم هذه الدراسات بالاحتلال

¹ - درويش، أحمد. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. ص 40.

² - ريغ، دانيال. رجل الاستشراق. ص 55.

* للاطلاع على المعلومات يمكن الرجوع إلى الطبيب بن براهيم، الاستشراق الفرنسي... ص 141 وما بعدها.

³ - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. ص 38.

الفرنسي وإدارته، ومسخرة لخدمة أهدافه، وأكثر ما تميّز به الاستشراق الفرنسي هو خدمته للإدارة الفرنسية في البلدان المحتلة، إذ كان سلاحاً من أسلحتها،* حيث أسهم في محاربة اللغة العربية لتحلّ الفرنسية محلّها، وتجريد أهلها من هويتهم، وحرمانهم من حقوقهم، « واختفاء المؤسسات التعليمية كان يعني اضطهاد اللغة الوطنية، وهي العربية، فقد اعتبرها الفرنسيون لغة أجنبية وميتة: أجنبية لأنّ اللغة الفرنسية كانت قد أصبحت لغة الجزائر الرسمية، منذ قرار الإلحاق سنة 1834م، ما دام هذا القرار في حدّ ذاته كان يعني أنّ الجزائر نفسها، قد أصبحت فرنسية، وميتة لا لأنّ مصيرها قد انتهى كمصير اللاتينية والإغريقية فقط، ولكن أيضاً لأنها لن تكون قادرة على أن تصبح لغة حضارة».⁽¹⁾ وظّفت فرنسا اللغة الفرنسية، بوصفها سلاحاً قوياً من شأنه أن يعزّز مكانتها في الجزائر، وفي غيرها، «...فنابليون كان يودّع بعثاته الاستعمارية قائلاً: علموا اللغة الفرنسية أينما ذهبتم، فتعليمها هو خدمة الوطن الحقيقية وهكذا كان قائدهم يؤكد: إنّ الجزائر لن تصبح مملكة فرنسية حقيقية إلّا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية».⁽²⁾ فعلا اللغة هي مفتاح من مفاتيح القلوب فإذا تحدّثت بلغة قوم واعتدت ذلك، فإنّك مع مرور الزمن ستكتشف أنّك متعاطف مع أهلها ومع ثقافتهم، وهو فعلاً ما يحدث في أرض الواقع، وإن كان الأمر نسبياً.

1-2-2- أدوار المستشرقين الفرنسيين:

تعدّدت أدوار المستشرقين بتعدّد حاجات فرنسا وأهدافها، ما بين أهداف سياسية توسعية ودينية واقتصادية، وارتبط جلّهم بالإدارة الفرنسية، وتعاونوا في خدمتها.

1-2-2-1- المستشرقون المبشرون: ارتبط الاستشراق الفرنسي، ولاسيما القديم منه

بالتبشير حيث كشفت بعض الدّراسات عن مستشرقين فرنسيين رهبان وقساوسة وآباء، ألّفوا في جميع المجالات وفي المعاجم بخاصة، مثل: معجم بيلو (Belot) وغيره، ذكر المؤلّف الطيب بن إبراهيم أربعين (40) مستشرقاً، «... سنتعرّض لذكر أسماء مجموعة من المستشرقين المبشرين من القساوسة والآباء والرّهبان الفرنسيين الذين جمعوا بين الاستشراق؛ فدرسوا العربية والإسلام وعلومهما وبين عملهم

*آلف بنيامين معجماً صغيراً بالعربية والفرنسية، احتوى على حوارات موجهة للاستعمالات العسكرية، طبع بإشراف وزارة الحرب سنة 1830م.

1 - سعد الله، أبو القاسم. الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م. ط4. ج2. ص 161، 162.

2 - عبد الفتاح، سيف الدين. "اللغة والهوية والسياسة". ملتقى اللغة والهوية وحوار الحضارات، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2006. ص 37.

في المجال التبشيري وأنشطته بطريقة أو بأخرى».⁽¹⁾ ينتمي معظمهم إلى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وقد تطرّق البحث إلى بعض الأعمال، وتبيّن أنّ أصحابها قد تلقوا تكويناً لاهوتياً. كذلك المستشرق بارتيملي الأب (Barthelemy. P)، (1716-1795م)، اهتم في أبحاثه بالنقود والمسكوكات عند المسلمين. وبورجاد الأب، (Bourgade.P)، وهو مستشرق فرنسي تعلّم العربية في باريس، ثم التحق بالجزائر سنة 1838م ثم التحق بتونس. وتيري الأب (Thery. PG) الذي أقام بالجزائر وجارديه لويس (Gardet.Louis)، (1904-1986م). حصل على شهادة جامعية في الفلسفة تأثر بالمستشرق ماسينيون، اعتنى بالثقافة العربية والإسلامية، وخاصة التصوّف الإسلامي انتقل إلى الجزائر سنة 1933م، واستقرّ بمدينة الأبيض سيد الشيخ بمركز المبشرين. وهنري لامانس الأب (Lammens. H. P) (1862-1937م)، وهو من أكثر المستشرقين الفرنسيين تعصبا ضد الإسلام، من أهم أعماله مشاركته في كتابة دائرة المعارف الإسلامية. ومونو الأب (Monot.P) (1928-؟) ولد بباريس انضم إلى الرهبان سنة 1951م؛ سمي كاهنا سنة 1956م. ثم التحق بالمعهد البابوي للدراسات العربية بتونس ونال الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من السوربون سنة 1972م.⁽²⁾ وعموماً يمكن القول إنّ «عمل المبشرين والمستشرقين ينقسم إلى أمرين يتعلق الأمر الأول بالدفاع عن فرنسا وإظهارها بمظهر حسن أمام الجزائريين، حتى يتقبلوا عملية الغزو ويساندوها، والأمر الثاني هو اتّهامهم كل من حمل السلاح ضد فرنسا وحاربها...».⁽³⁾ هذا غيظ من فيض، وهو ما يؤكّد صلة الاستشراق الفرنسي بالتبشير أو التّفنير من الدّين الإسلامي ففي النّهاية لا يهتمّ الفرنسي تنصير المسلم بقدر ما يهتمّ إبعاده عن دينه الذي يُعدّ سرّاً عزّة وقوّة.

1-2-2- المستشرقون العسكريون: يعترف الفرنسيون أنفسهم، بدور المستشرقين في ترسيخ قدم الاحتلال الفرنسي في البلدان المحتلة، حيث تعامل معظم المستشرقين الفرنسيين مع إدارة الاحتلال الفرنسي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن أبرزهم المترجمون الذين رافقوا الجيش وقدموا له مساعدات جمة ولاسيما على مستوى تعليم اللّغة العربية، والعاميات بخاصة للتواصل مع الأهالي، وقد ذكر المستشرق هنري

¹ - بن إبراهيم، الطيب. الاستشراق الفرنسي وتعدّد مهامه خاصة في الجزائر. الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع، 2004م. ط. ص 69.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 69، 70، 71، 73، 74.

³ - بن حمو، محمد. دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. القاهرة، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس 1409هـ-1989م. ص 118.

ماسي (Henri. Masset) أولئك الذين اشتهروا بفضل منشوراتهم المتعلقة بالدراسات العربية، منهم: (أرنو (Arnaud)، باقار (Bagard)، باروخ، (Baruch)، بروسلا (Brosselard)، كلارك (Clerc)، دومون (Dumont)، فيرو (Féraud)، قوان (Guin)، هيرو (Hureau)، إسماعيل هامت (Ismaël. Hamet)، مارتان (Martin)، ميرسي (Mircier)، ميير (Meyer)، بينتو (Pinto)، ريموزا (Rémusat)، روسو (Russeau)، سينيوات (Seignette)، سيكار (Sicard)، سونك (Sonneck)، توشون (Tauchon)، فينيار (Vignard)، فانسان (Vincent) ويعدّ بوسي مارسلان (Baussier) على رأس القائمة وله معجم ضخّم بعنوان (dictionnaire pratique arabe-français)». (1) وهناك أسماء كثيرة لم تُذكر، مثل: (شربونو، وليون بيرشه وغيرهم).

ومن العسكريين الذين ذكرهم الباحث صالح زهر الدين: (المستشرق لويس دي بوديكور (Louis de Beaudicourt)، ولويس ماسينيون (Louis Massignon)، وليفي بروفنصال (E. Variste Levi-Provençal). (2) إلا أنّ بعضهم، جمع بين المجالين التّبشيري والعسكري. انتقل دي بوديكور (1815-1882م) إلى الجزائر (البلدية)، وأسّس مستعمرة كاثوليكية صغيرة، دورها تبشيري، لكنه كان يتسّّر بالدين حيث تكشف مؤلفاته عن دوره السّياسي والعسكري، وكان من الداعين إلى توطين الموارد* في الجزائر ومن مؤلفاته (المواطنون في الجزائر) صدر سنة 1852م، وفي 1953م نشر كتاب (الحرب في الجزائر) وفي 1956م كتاب (استعمار الجزائر)، و(تاريخ مستعمرة الجزائر) سنة 1860م، و(فرنسا في سوريا) سنة 1860م، و(فرنسا في لبنان)، توفي في باريس سنة 1882م. (3) وبهذا يكون قد خدم الأطماع الفرنسية ميدانيا ونظريا.

أما ماسينيون (1883-1962م)، فهو مستشرق أكثر شهرة من السّابق، يُلاحظ في الأوساط العلمية اختلاف كبير حوله، إلا أنّه لا يمكن إنكار دوره السّياسي، حيث كان تحت تصرّف وزارة الشّؤون الخارجية

1 - يحياتن، محمد. دراسات حول اللّغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. ص 104.

2 - زهر الدين، صالح. "العسكرة الاستشراقية وانعكاساتها الكوارثية على العرب والمسلمين". في مجلة دراسات استشراقية، صيف 2019م. ع19. ص48. <https://m.iicss.iq/files/investigations/39jqhb4gk.pdf> 20-11-2020.

*الموارنة هم أتباع الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية، وهي كنيسة مسيحية مشرقية، اجتمع أتباعها حول القديس مارون السوري والذي قضى حياته متنسكا في القرن الخامس الميلادي في جبل قوروش على نهر العاصي في الأراضي السورية، تتبع سلطة البابا في روما اتخذت لبنان مركزا لها.

3 - ينظر: زهر الدين، صالح. "العسكرة الاستشراقية وانعكاساتها الكوارثية على العرب والمسلمين". ص 51، 52.

وكُلف بمهام كثيرة منذ سنة 1917م، وكان ضابطاً ملحقا بمكتب المندوب السامي الفرنسي في سوريا ولبنان ودخل القدس مع الجيش، كما كُلف بإجراء تحقيق حول الطوائف في المغرب. وغيرها من الأعمال، وعبر أكثر من مرة عن تشجيعه للاحتلال.⁽¹⁾ ومما قاله: « أنا نفسي كنت متحمسا لعملية الاستعمار في ذلك الحين، وقد كتبت له لكي أعرب عن أمني بفتح قريب للمغرب بقوة السلاح، وقد أجابني بالموافقة وليعترف بأن المغرب كان في ذلك الحين يعاني من وضع رهيب، لكن خمسين عاما من الاحتلال ما كان لها بدون (ليوتي)... أن تستقر على شيء يذكر». ⁽²⁾ وكان لهذا المستشرق أثر كبير في العالم العربي الإسلامي على جميع المستويات، لا يتسع المجال لذكر أعماله، ولعل أكثر ما اشتهر به اهتمامه بالحلاج* بالإضافة إلى إسهامه في المجمع المصري.

أما ليفي بروفنسال (1894-1956) فقد ولد بالجزائر، وهو من أسرة يهودية، التحق بالجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى، ثم أرسل إلى مراکش ضابطاً في الشؤون الإسلامية، كلفه عسكريا الماريشال (ليوتي)، بإعداد دراسات حول اللهجات العربية، وسنة 1945 ألحقه وزير التربية الفرنسية بديوانه في باريس وعين أستاذا للغة العربية والحضارة الإسلامية، في كلية الآداب بباريس (السوربون) إلى أن وافته المنية شغل مناصب كثيرة، حيث عمل وكيلا لمعهد الدراسات الشرقية المعاصرة، ومديرا لمعهد الدراسات السامية في جامعة باريس، ومديرا للمطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية. كما أسس مجلة (Arabic) التي تخصصت في الآداب العربية والعلوم الإسلامية، وترك أكثر من عشرين مؤلفا حول الحضارة العربية والإسلام. ⁽³⁾ هذه نماذج على سبيل المثال لا الحصر، تثبت تورط المستشرقين في أعمال عسكرية وسياسية وتكشف عن خدمات كبيرة، لولاها لكانت مهمة فرنسا أصعب بكثير، علّق الباحث محمود المقداد قائلاً: « ونحن نتوقع اليوم أن يكون عدد كبير من المستعربين الفرنسيين ممن يقدمون أيضا خدمات جلى لبلادهم في مصالحها وإداراتها المختلفة: كوزارة الشؤون الخارجية، ووزارة الحربية، ووزارة الثقافة ووزارة الإعلام ووزارة التعليم الوطني ووزارة الاقتصاد ووزارة التجارة وفي السفارات والقنصليات الفرنسية في مختلف البلدان العربية

¹ - ينظر: زهر الدين، صالح. "العسكرة الاستشراقية وانعكاساتها الكوارثية على العرب والمسلمين". ص 53.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 53. عن لويس ماسينيون، "فوكو في الصحراء أمام إله إبراهيم وهاجر وإسماعيل، أيام الثلاثاء في دار السلام، 1959، ص 59 (بالفرنسية)، ومجلة الفكر العربي، ع 31، ص 94.

* هو الحسين بن منصور بن محمى الملقب بالحلاج ولد (244هـ - 858م) يعتبر من أكثر الرجال المختلف فيهم، كان شاعرا صوفيا من شعراء الدولة العباسية، اتهم في آخر حياته بالكفر، وقتل على يد الحكام سنة (309هـ - 922م).

³ - ينظر: صالح، زهر الدين. "العسكرة الاستشراقية وانعكاساتها الكوارثية على العرب والمسلمين". ص 58، 59، 60.

وهذا أمر مسلم به لدى لدى دولة ترى أن لها مصالح دائمة وثابتة في الشرق العربي وأن لها صلات تقليدية عريقة ببعض أجزائه»⁽¹⁾ وهنا لن يستغرب القارئ الكريم حين يجد أسماء المستشرقين مقترنة بوزارة الخارجية أو المعاهد السياسية، أو بالقضايا السياسية عموماً، بما أنهم نذروا أنفسهم لخدمة وطنهم.

1-2-2-3- وسائل المستشرقين الفرنسيين: وظّف الاستشراق الفرنسيّ وسائل كثيرة ومتنوعة لتحقيق أهدافه، إذ بادر المستشرقون بفتح كليات للدراسات الشرّقية، وجمعيات، ومجلات وغيرها. عموماً اتخذ الاستشراق وسائل كثيرة سيُعرض بعضها.

1-2-2-3-1- المدارس والمعاهد: أسست فرنسا عددا كبيرا من المدارس والمعاهد، في إطار عملها الاستشراقي، لتسهيل عملية الاطلاع على لغات وعلوم وثقافة الشعوب الإسلامية والشرقية عموماً. وكانت انطلاقتها الأهم من الأندلس، ثم أنشأت في بداية القرن الثاني عشر (12) مدرسة ريمس بأمر من البابا سلفستر الثاني، ومدرسة شارتر في النصف الأول من القرن الثاني عشر، ومدرسة الطب في مونبوليه، وأنشأ رجال الدين جامعة تولوز سنة 1217م. وأنشأت جامعة باريس كرسيًا للغات السامية ثم كرسيًا للدراسات الإسلامية، وأنشئ معهد الآداب للغة العربية والتمدين الإسلامي، وأنشأ الملك فرانسوا الأول في ريمس كرسيًا للعربية والعبرية 1519م، وأنشئ كرسي للعربية والسريانية بمعهد فرنسا 1587م والمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس 1795 جاءها الطلاب من بلدان أوروبية كثيرة، مثل ألمانيا وإنجلترا وإيطاليا في عهد دي ساسي. جامعة ليون سنة 1808م تدرس العربية والآثار المصرية والتمدين الإسلامي. المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس سنة 1868م. المعهد الكاثوليكي بباريس سنة 1875 تدرس فيه اللغات العربية والسريانية.⁽²⁾ ولم تقتصر على إنشاء هذه المؤسسات داخل فرنسا وإنما عملت على نشر مثلها في مناطق كثيرة من العالم العربي الإسلامي، مثل: مصر سنة 1798م المدرسة الشرقية في القسطنطينية سنة 1802م، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة 1880م مدرسة الآداب العالية بالجزائر سنة 1881م، معهد قرطاجنة بتونس 1895م، المعهد الفرنسي بدمشق 1922م، معهد الدراسات المغربية الرباط سنة 1931م، معهد الدراسات العليا بتونس 1945م، المعهد

¹ - المقداد، محمود. الدراسات العربية في فرنسا. ص 159.

² - ينظر: بن إبراهيم، الطيب. الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر. ص 133، 134.

• الجمعية الفرنسية لنشر المخطوطات الشرقية (سنة 1787م)، وكان من بين أعمالها نشر كتاب مروج الذهب للمسعودي، ورحلة ابن بطوطة، وجغرافية الإدريسي، وسيرة ابن هشام وتفسير البيضاوي وغيرها.

• الجمعية الفرنسية الآسيوية (سنة 1822م)، وهي من أبرز الجمعيات نشاطا في جمع التراث العربي وفي السنة نفسها شرعت في نشر (المجلة الآسيوية).

•جمعية قسنطينة للآثار، نشأت سنة 1852م، وكان من بين أعضائها البارون بواسوني، والمستشرق شاربونو.

•الجمعية التاريخية الجزائرية، أسست 1855م بالجزائر العاصمة، باقتراح من المستشرق أدريان باربريجر، رسمت أهدافها في قانونها التأسيسي الذي جاء فيه: إنّ الجمعية التاريخية الجزائرية، تقصد من كلمة التاريخ مجاله الواسع الذي يحتوي على دراسات الأشخاص، والحوادث، والنّصب التذكارية ودراسة الأرض ذاتها التي ترتبط بها. فهي تهتم بالتاريخ بالمعنى الصحيح، بالجغرافية، واللّغات والفنون الجميلة، والعلوم لكامل إفريقيا.

• الشركة الجغرافية والأثرية بمدينة وهران سنة 1878م ظهرت. وعملت على جمع المخطوطات والاعتناء بها فهرسةً وترتيباً، إثراءً للمكتبات الخاصة والعامة.⁽³⁾ يتبين بتأمل أعمال هذه الجمعيات، أنها لم تدع

2- يسكر، محمد. "اهتمامات الاستشراق الفرنسي وتوجهاته في المغرب العربي قراءة أنموذجية في التراث الجزائري". من

http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=48677. بتاريخ: 03/ 04/ 2016م. نشر بتاريخ: الاثنين 2 ذو القعدة 1436هـ

الموافق ل: 17-08-2015.

3 - المرجع نفسه.

مجالاً إلا ولجته، وهي الأعمال التي استغلتها فرنسا لإحكام وثاقها على الجزائر.

كما شُيّدت العديد من المراكز في ديار الغرب، حيث عبّر منتران عن رضاه اتجاه الجهد الذي تبذله فرنسا في مجال دراسة شمال إفريقيا وتاريخها المعاصر، ولاسيما أنها أنشأت مختبرا مزودا بوسائل ناجحة، هو مركز البحوث والدراسات لجمعية البحر المتوسط في إكس بروفانس، "يقوم هذا المركز بنشر مطبوعات تدور حول بلاد المغرب، ولا تهمل دراساته الجوانب الاقتصادية والسياسية وعلوم الاجتماع والجغرافية والثقافية المعاصرة، وقد اكتسبت شهرة عالمية، بحيث بات يقصده باحثون ودارسون من شتى أقطار العالم. ومن مميزات هذا المركز أيضا أنه ينشر سنويا دليلا لبلدان شمال إفريقيا على مدى نحو عشرين عاما. (1) يؤكد هذا الكلام استفادة فرنسا من الاستشراق لدعم وجودها في البلدان المحتلة، ومن المعلوم أنّ من أهمّ البلدان التي تحرص فرنسا على إبقائها تحت سيطرتها هي بلدان المغرب العربي ولاسيما الجزائر.

يعدّ معهد العالم العربي بباريس من بين الأدلة القاطعة على استمرار الاهتمام الفرنسي بالعالم الإسلامي العربي، بعد انتهاء الاحتلال التقليدي أو المباشر لبلدانه، وقد تبنى الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران (François Mitterrand) هذا المشروع منذ 1981م، والذي يمثل أوائل أعماله وأهمها وكان ذلك برفقة وزير الثقافة جاك لانج (Jack Lang)، ليتم افتتاحه يوم 30 نوفمبر 1987م. وقد عملوا على تجديده وتطويره بمساعدات حكومية وسعودية. حيث كان آخر تجديد في حدود العلم سنة 2017م في الذكرى الثلاثين لإنشائه. (2) يشتمل على مكتبة ضخمة، ومما ذكر في دليل منشورات المعهد سنة 2009م، « تنشر مكتبة معهد العالم العربي مطبوعات تتمثل في مجموعة من الأدلة العملية (guides pratiques)، وملفات وثائقية في مناسبات خاصة ثقافية أو سياسية أو أدبية حسب برمجة المعهد. تتوجه إلى المختصين وأصحاب المكتبات والوسطاء الثقافيين والأساتذة والجمهور المتعطش للتعرف على العالم العربي. (3) وقد تناولت كتباً في مجال الآداب والفنون والأحداث السياسية والدولية والتاريخ المعاصر وشخصيات بارزة. ومن الشخصيات المشار إليها: (مالك حداد ومحمد بن شنب)، وغيرها من الشخصيات المتعاونة مع فرنسا أو التي هاجرت إليها.

¹ - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. ص 39.

² - institut du monde arabe, L'institut Du Monde Arabe Fete ses 30 ans en lumiere, une histoire exceptionnelle, 2017.

³ - institut du monde arabe, Bibliothèque, catalogue des publications, Paris, septembre 2009.

وبتتبع أعمال المعهد يتّضح أنّه يركّز جلّ اهتمامه على الفنون من سينما وموسيقى وغناء ورقص ومناقشة بعض موضوعات الساعة، لاسيما في مجال السياسة والدين وغيرها. بالإضافة إلى تعليم العربية بفروعها، ومن الأعمال المرتبطة بالعربية الشهادة الدولية للتحكم في اللغة العربية. بالإضافة إلى المركز الثقافي الفرنسي الموجود في الجزائر العاصمة ومن أهم أهدافه نشر اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، والذي يشتمل على مراكز فرعية. لم تدّخر فرنسا جهدا ولا وسيلة لتحقيق غاياتها، « لفرنسا مجالات خاصة بالاستشراق أو وثيقة الصلة به، تصدر في باريس والشرق الأدنى، وشمال إفريقيا منذ عهد بعيد، عن الجمعيات أو المعاهد أو الإدارات الحكومية أو الهيئات الخاصة أو الرهبانات ذوات اللسان الفرنسي، خلا المجالات التي أنشأتها جمعية المستشرقين باللغة الفرنسية، وتعنى جميعها بالعرب في تحقيق تاريخهم وجغرافيتهم وأنسابهم وبحث أديانهم وشرائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم ودرس لغاتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم... وألفت من مجموعها مكتبة نفيسة، فيها زبدة أعمال المستشرقين في آلاف المجلّدات»⁽¹⁾. تكشف كلّ هذه الأعمال عن أهداف خفية تسعى فرنسا إلى تحقيقها، فلو اقتصرّت الدّراسات على اللّغة والعلوم، لقلّ إنّ الهدف علميّ بحث، لكن عندما تُبذل الجهود في دراسة تاريخ المنطقة وجغرافيتها ودينها وأنسابها، بالإضافة إلى لغتها، لا يمكن بأيّ حال إنكار وجود مصالح لفرنسا كما لا يمكن تصديق أنّ كلّ هذه البحوث موجهة لخدمة الشعوب المحتلة، وأنشأ المستشرقون صحفا لتتبع آثار المخطوطات في العالم العربي وذلك جمعا وتحقيقا وترجمة، منها: (2)

• المجلّة الآسيوية، وهي مجلة فصلية تصدر بباريس عن الجمعية الآسيوية، منذ سنة 1822م، وهي مختصة في تتبع الآثار العربية، والمطبوعات ذات الأهمية العلمية، غطّت بنشاطها كل مجالات الاستشراق الفرنسي وغيره، مع نشر تعريفات بالكتب الجديدة دوريا، إضافة إلى ترجمة النّص. بالإضافة إلى المجلة الإفريقية وهي من أشهر المجالات نشاطا في العهد الاستعماري، انصبّ اهتمامها حول نشر المخطوطات العربية والمحلية والوثائق، ظهر العدد الأول منها 1856م، تصدرها الجمعية التّاريخية الجزائرية في الجزائر. نشرة الجمعية اللغوية (1905) بباريس، مجلة الآداب العربية (1937).

مجلة أرابيكا (1954) وهي مجلة للمستعربين الفرنسيين ونظرائهم، تصدر تصدر ثلاث مرات في السنة

¹ - العقيلي، نجيب. المستشرقون. ص 162.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 162، 163، 164.

تشتمل على اللغة والأدب والتاريخ والحضارة في العالم العربي.

• مجلة الدراسات الإسلامية، وهي نشرة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر، صدر منها عدة مجلدات سنوية من سنة 1927م، صدرت في باريس بإشراف لويس ماسينون ومشاركة معهد الدراسات الإسلامية بباريس والمعهد الفرنسي في دمشق.

• حوليات معهد الدراسات الشرقية "بجامعة الجزائر"، والتي بدأت في إصدار أعدادها الأولى بداية من سنة 1934م.

اهتمّ الفرنسيون بدراسة الكثير من الكتب العربية، وتحقيقها ونشرها، بما فيها المؤلفات الجزائرية سخّروا لذلك عدّة مجلات متخصصة، إضافة إلى المطابع التي هُيئت لهذه الأغراض، فكانت تنشر باللغتين العربية والفرنسية، (فمنذ سنة 1832م، نظم المقتصد المدني جوتي دوبيسي مطبعة بالعربية والفرنسية لطبع الجرائد الرسمية).⁽¹⁾ كل هذه الجهود وغيرها، من بين أهدافها وأهمّها؛ السيطرة على البلدان المحتلة، وذلك بجمع أكبر قدر من المعلومات في جميع المجالات. قد يظن ظان أنّ هذه الدراسات توقفت باستقلال معظم البلدان، إلّا أن الاطلاع على دراسات الفرنسيين، ومؤلفاتهم الحديثة تثبت العكس فالمهمة لا تزال متواصلة، ومن بين المؤلفات، كتاب بعنوان: « Dix ans de recherche universitaire française sur le monde arabe et islamique de 1968-69 à 1979 ». وهو كتاب صادر عن جمعية المستعربين الفرنسيين، طبعة البحث حول الحضارات، سنة 1982م بباريس. وهو كتاب يضمّ ستة آلاف (6000) رسالة دكتوراه موضوعها حول العالم الإسلامي العربي، في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الفرنسية خلال عشر سنوات.⁽²⁾ شمل هذا الكتاب أو دليل الرسائل الجامعية، تسعة (9) أقسام: ستة منها اعتمدت التقسيم الجغرافي، بمعنى تقسيم الأعمال حسب البلدان والمناطق التي تدرسها، وتمسّ العالم العربي المعاصر، واعتمد التقسيم الموضوعاتي في الأقسام الثلاثة المتبقية، تتمثل الموضوعات ذات التقسيم الجغرافي في: الإسلام ما قبل العصر المعاصر؛ يتناول كل المشاكل المتعلقة بالعالم الإسلامي ثم موضوع اللغة واللسانيات والأدب العربي، وأخيرا الهجرة. وتتفرّع هذه العناوين الكبرى إلى موضوعات فرعية متخصصة، في كل ما يتعلّق بالعالم الإسلامي، من حيث الفنون والهندسة، والقانون الداخلي

¹ - ريغ، دانيال. رجل الاستشراق. ص162.

² - association française des arabisants, Dix ans de recherche universitaire française sur le monde arabe et islamique de 1968-69 à 1979, publier avec le concours du ministère de l'éducation nationale et du ministère des relations extérieures, edition recherche sur les civilisations, Paris, 1982.

والاقتصاد، التعليم والبيداغوجيا والإثنولوجيا، والدراسات السياسية، الجغرافية الفيزيائية، والأقليات غير المسلمة، والطب بالنسبة للمغرب فقط، الفكر المعاصر، علم النفس، القضية الفلسطينية، الجهات والبناء الحضري، العلاقات الدولية، علم الاجتماع. أما ما تمّ تصنيفه حسب الموضوعات، فهو: الإسلام ما قبل المعاصرة، الفن وعلم الآثار التاريخ، الإسلام (Islamologie)، الفلسفة وتاريخ العلوم، اللغة واللسانيات والأدب العربي، اللغة واللسانيات العربية والبربرية، الأدب العربي، الأدب المكتوب بالفرنسية الأدب المقارن. وتمّ تقسيم المناطق حسب دور الإسلام فيها، إذ ذكرت مناطق ذات إسلام مركزي وأخرى ذات إسلام غير مركزي.⁽¹⁾ يهتمّ هذا التصنيف المعتمد بمعرفة انتشار الإسلام والتعامل معه في المناطق المعنية بالدراسة، وهو ما يعكس أنّ معيار (الإسلام) مهم جدا في دراساتهم، وهو ما يحاول الكثير من العرب المسلمين أنفسهم إنكاره والادّعاء أنّ هذا محض حساسية وتحسّس من العرب، لا علاقة له بالعلم والبحث العلمي.

وهناك كتاب آخر على المنوال نفسه، لكن ليس في إطار أكاديمي جامعي، عنوانه « mille et un livres sur le monde arabe » وهو دليل للكتب والدراسات المؤلفة حول العالم العربي في فرنسا.⁽²⁾ وتناول مجالات كثيرة منها: (عموميات، فلسفة، أديان، علوم اجتماعية، لغة، علوم بحتة علوم تطبيقية، فنون، أدب، جغرافيا، سير وتراجم، تاريخ).⁽³⁾ أكّد المستشرق أندريه ميكيل في تمهيد الكتاب العلاقة الوطيدة لفرنسا بالعالم العربي، «أما السبب في تخصيص كتاب للمنشورات الفرنسية، فهو أن فرنسا، منذ العصور الوسطى، أكثر البلدان الغربية مشاركة للعرب في تاريخهم؛ حربا وسياسة وتجارة وعلماء. يُضاف إلى ذلك مساهمتها الكبرى في ما اصطلح على تسميته بالاستشراق، بكل ما عنته الكلمة عبر العصور من أغراض نزيهة أو غير نزيهة، ومن مواقف مسبقة، ومن حماسة، ومن أهواء، وأقلّ ما يقال إن ذلك كلّهُ، لا يمكن أن يُتهم بأكثر العيوب شناعة، أعني اللامبالاة».⁽⁴⁾ يثبت هذا الكلام أنّ العالم الإسلامي بقي محلّ اهتمام الفرنسيين، بعد استقلال معظم بلدانه، والدراسات مستمرة، للإحاطة

1- voir: association française des arabisants, Dix ans de recherche universitaire française sur le monde arabe et islamique de 1968-69 à 1979. p 15, 16.

2-voir : institut du monde arabe, mille et un livres sur le monde arabe. catalogue d'ouvrages de recherche et de documentation, Paris, édités en France, 1989.

3- voir : association française des arabisants, Dix ans de recherche universitaire française sur le monde arabe et islamique de 1968-69 à 1979. sommaire.

4- voir : ibid. تمهيد الكتاب والتمهيد باللغتين الفرنسية والعربية (تمهيد).

بكل صغيرة وكبيرة تخصّه، والسؤال المطروح لماذا؟ إذا كان هذا العالم كما يقال متخلف ولا يُرجى منه خير، فلم الاهتمام به وبما يحدث فيه؟

1-2-2-3- المؤتمرات: اتخذت فرنسا وسائل كثيرة لخدمة مصالحها، ومنها المؤتمرات التي وظفتها للتنسيق مع المدارس الاستشراقية الأخرى، ولاستكمال مخططاتها، وإحكام السيطرة على مستعمراتها ولتقييم إنجازاتهم. كان لفرنسا الريادة في معظم مجالات الاستشراق، سواء في إنشاء المدارس والتعليم والمجلات، وكذلك في عقد المؤتمرات والدعوة إليها، (فهي كذلك في مؤتمرات المستشرقين، كانت السبابة الأولى إلى فكرة عقد هذه المؤتمرات، والداعية والمنظمة والمحتضنة لها، والأعلى رقما في عدد مؤتمرات الاستشراق التي احتضنتها باريس، الذي بلغ أربعة مؤتمرات؛ كان الأول سنة 1873م، والمؤتمر الحادي عشر سنة 1897م، والمؤتمر الواحد والعشرون سنة 1948م، والمؤتمر التاسع والعشرون سنة 1973م وهناك مؤتمر المستعمرة الفرنسية الرابع عشر المنعقد في الجزائر سنة 1905م. ومؤتمرات أخرى كثيرة دعت إليها).⁽¹⁾ والجدير بالملاحظة أنّ الجزائر كانت البلد المحتل الوحيد، الذي عُقد فيه مؤتمر للاستشراق، وهذا ما يؤكد المكانة والاهتمام الكبيرين اللذين أولتهما فرنسا للجزائر، ولئن تعددت رقعة مستعمراتها، إلا أنّ الجهود الكبرى كانت متجهة نحو الجزائر ومرتكزة عليها.

¹ - ينظر: بن إبراهيم، الطيب. الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر. ص 138، 139.

2- الاستشراق الفرنسي في الجزائر:

2-1- أهمية الجزائر للاستشراق الفرنسي: لعلّ أول ما يجب الافتتاح به؛ هو الإجابة عن التساؤل حول مدى انتماء الجزائر وبلدان المغرب العربي إلى الشرق الذي يعدّ محلّ اهتمام الاستشراق. فهل تعدّ الجزائر وما جاورها منضوية ضمن جغرافية الشرق، رغم كونها تنتمي إلى بلدان المغرب؟ وهو ما جعل البعض يخرجها من دائرة الاستشراق إلّا أنّه، و« منذ وصول الإسلام إلى بلاد المغرب ومعه اللّغة العربية، وحتى بداية الدّراسات الاستشراقية في القرن 19م، والثّقافة العربية الإسلامية ومن ضمنها الآداب العربية، لم يكن بالوسع التمييز فيهما بين المشرق والمغرب، لاسيّما بلاد المغرب، التي ظلّت المقررات التعليمية فيها، تعتمد على أمّهات المصادر الأدبية، ذات الأصول المشرقية، لأجل هذا كان المشرق، ولا يزال بعدا أساسيا في مجال الثّقافة العربية والإسلامية، وما هذه الثّقافة سوى جذع شجرة امتدّت غصونها إلى بلاد المغرب والأندلس. وتعدّ قصة "العقد الفريد" شهيرة في تاريخ الأدب العربي ذلك أنّه رغم كون (العقد) إنتاجا أندلسيا، إلّا أنّه اعتبر بضاعة مشرقية ردّت إليه».⁽¹⁾ صحيح أنّ الجزائر لا تنتمي جغرافيا إلى الشرق، لكنها جزء لا يتجزأ منه حضاريا. وبهذا يزول اللبس الذي قد يقع أحيانا حول هذا الموضوع.

من المعلوم أنّ بلدان المغرب العربي أو دول شمال إفريقيا، من أكثر البلدان التي خضعت لدراسات المستشرقين الفرنسيين، وقد نالت الجزائر الحصة الكبرى من اهتمامهم، حيث تحوّلت إلى حقل تجارب لهم، على جميع المستويات الدّينية واللّغوية والعلمية، « وإذا كان عدد المستشرقين في المغرب العربي أقل من الجزائر وفق السياسة الاستعمارية الفرنسية، فإنّ عددهم في تونس يقل عما كان في المغرب أيضا».⁽²⁾ ومؤلفاتهم خير شاهد على ذلك، « ولقد بذلت جهود علمية جماعية خلال الأربعينيات في إطار مشروع اكتشاف الجزائر، الذي تكوّنت له لجنة، وخصصت له ميزانية، وصدر عنه عدة مجلّات. ولقد ظل سائدا اعتبار الجزائر جزءا من الشرق الذي تتحدّث عنه ألف ليلة وليلة وظهر ذلك في أعمال الفنانين الفرنسيين بصفة فردية أو على نفقة الحكومة الفرنسية، وفتحت المجلة الآسيوية صدرها للدراسات، والمقالات والمذكرات والأخبار القادمة من الجزائر، من مستشرقين نشطين أمثال: (شيربونو، وفانسان) وغيرهما... كما كانت أعداد المجلة الآسيوية تصل إلى الجزائر، وتوزع على بعض

1 - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي. ص 235.

2 - نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون مجمعيون. ص 82.

ضباط الجيش الفرنسي». ⁽¹⁾ كل هذا الكلام، يثبت بما لا يدع مجالا للشك، أنّ الجزائر والمغرب العربي عموما كانا، أرضا خصبة للاستشراق بكل أشكاله.

يرجع اهتمام فرنسا بالجزائر إلى ما قبل الاحتلال بكثير، حيث تصدرت قائمة اهتمام الاستشراق الفرنسي، « وكان للمستشرق أدريان باربريجر السبق في إنشاء فرع للمخطوطات العربية بمكتبة الجزائر التي وصفها وليم ماك غيكن المترجم بالجيش الفرنسي، في رسالة بعث بها إلى وزير التربية الفرنسي بأنها تحتوي على ما يقارب 700 مخطوطا، جمعها تقريبا السيد باربريجر، وهي ذات أهمية كبيرة، يتكوّن قسم كبير منها، من بقايا مكتبات قسنطينة العامة الملحقة بالمساجد والمبعترة، فهي تضمّ عددا كبيرا من الكتب المتعلقة بالدين والفقه الإسلاميين. أما الآثار العلمية والتاريخية أو الأدبية بها قليلة لكنها ذات أهمية». ⁽²⁾ يرجّح هذا القول كفة الميزان إلى النفعية المطلقة لأعمال المستشرقين في الجزائر وغيرها وهذه المخطوطات التي انتقلت من الجزائر إلى فرنسا في القرن السابع عشر وما قبله، كانت البذور الأولى لعمل المستشرقين الفرنسيين.

وارتبط الاستشراق الفرنسي بالمغرب أو بلدان الشمال الإفريقي أكثر من غيرهم، يتأكّد ذلك من خلال تتبّع أعمال المستشرقين الفرنسيين، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّهم لم يهتموا بالبلدان الأخرى، مثل مصر وسوريا ولبنان وغيرها؛ لكن الجهد الأكبر بذل في الجزائر بخاصة، وجارتها المغرب وتونس، بشهادة المستشرق دانيال ريغ، « إنّ الجزائر بالضبط هي التي ستكون حجر المحك بالنسبة للاستشراق الفرنسي فهو المكان الذي ستأكد فيه المواهب التي ظهرت في باريس... إنّها المكان الذي سيجد فيه نواة المكتبة بفضل المخطوطات المجموعة هنا وهناك... أنّ توطين لغتنا (أي جعلها وطنية) هو الشرط الوحيد لأن تصبح الجزائر من الممتلكات الفرنسية... والشيء الخارق للعادة حقيقة، والذي يجب القيام به هو إحلال الفرنسية محل العربية شيئا فشيئا، لأنّها وهي لغة السلطات والإدارة لن تجد صعوبة في الانتشار بين الأهالي، خصوصا إذا جاءت الأجيال الجديدة للتعليم في المدارس وبأعداد كبيرة». ⁽³⁾ وهذا لوجود مصالح كثيرة بالنسبة إلى الفرنسيين، تتمثّل في استغلال هذه المناطق واستنزاف ثرواتها « ولتحقيق هذه

¹ - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي. ص 169.

² - ينظر: ريغ، دانيال. رجل الاستشراق. ص 109.

³ - المرجع نفسه. ص 161.

المهام كان من الضروري، أن تُوجد الدوائر الاستشرافية مؤسسات، تساهم في تفعيل هذا المسار، وتسهيل تنفيذ مراحله بكلّ دقة، وإن كانت هذه المؤسسات فَعَلَتْ نشاطها قبل المرحلة الاستعمارية، غير أنّها وجدت في الجزائر - مقارنة مع غيرها من البلدان - ميدانا خصبا فسيحا للتطبيق، وقد ذكر المستشرق (م. ش. تيار) في كتابه (الجزائر في الأدب الفرنسي)، أنّ الفرنسيين كانوا في جهل مطلق حتى عام 1830م بكلّ ما يتعلّق بالجزائر، وأشار إلى أنّ الأدب الفرنسي، استلهم الكثير من البيئة الجزائرية وثقافتها، وأحصى ما لا يقل عن 228 قطعة بين قصيدة وديوان شعر و 246 رواية ذات قيم أدبية متنوعة بين عام 1830 إلى 1924م، وهذه المجموعة مكرّسة للجزائر فحسب⁽¹⁾. يتبيّن ممّا سبق أنّ الجزائر كانت بؤرة الاهتمام للفرنسيين ولا تزال إلى يومنا هذا. ومن بين الادّعاءات التي حاول مستشرقوها نشره، بعد احتلال الجزائر أنّها جزء طبيعي من فرنسا، واعتبرت أنّ الشمال الإفريقي، كان قديما متصلا بالنشاط الفرنسي الجنوبي عند حدود جبال واحدة ولما تصدّعت تلك السلسلة، بفعل العوامل الطبيعية والزلازل انشطرت الأرض إلى شطرين، ومن جراء هذا الانشطار تكوّن بوغار جبل طارق ومضيق مسينا⁽²⁾. هذا جزء يسير، ممّا ادّعته فرنسا لتسوّع أفعالها.

شكّل احتلال فرنسا للجزائر محطة زودتها بما لم تكن تحلم به، إذ « جاء احتلال الفرنسيين الجزائر سنة 1830 دفعا قويا جدا للدراسات العربية في فرنسا، إذ ازدهرت ازدهارا عظيما، إلى حدّ أنّ معظم المستعربين الذين برزوا في ميدان الاستعراب الفرنسي، كانوا قد تكوّنوا كليا أو جزئيا في المدرسة الجزائرية أو درسوا على أيدي من تكونوا فيها على أقل تقدير، ذلك لأنّ المستعربين أصبحوا على اتّصال مباشر بالتراث العربي وعلى احتكاك قوي بجزء من الأمة العربية وجها لوجه. وقد عبر المستعرب الفرنسي هنري ماسه (H. Masse) في مقالة طويلة جدا له، عن جوانب هذا الازدهار في الذكرى المئوية، لاحتلال الجزائر وكشف النقاب فيها، عن محاولات الفرنسيين فرنسة الشعب العربي في الجزائر...»⁽³⁾. يؤكد هذا القول ما تمثّله الجزائر من أهمية لفرنسا قديما وحديثا.

¹ - ينظر: جوردا، بيير. الرحلة إلى الشرق: رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: مي عبد الكريم علي بدرا. سوريا، الأهالي للتوزيع، 2000م. ط1. ص 63، 64.

² - ينظر: حداد، حليم ميشال. قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم. تونس - الجزائر، 1999. دط. ص 131.

³ - المقداد، محمود. الدراسات العربية في فرنسا. ص 187.

2-2- مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر: قد تكون البداية الرسمية للاستشراق الفرنسي مرتبطة

باحتيال الجزائر سنة 1830م، إلا أنّ تتبّع تاريخ الاستشراق عموماً، والفرنسي خاصة، كشف عن تعاملات ومعاملات كثيرة بين الغرب والشرق؛ العالم المسيحي والعالم الإسلامي، وذلك منذ شرع الغربيون بالاهتمام بكل ما هو إسلامي وعربي، إلا أنّ التوثيق الفعلي والكلي بأرض الجزائر يبدأ فعلاً بهذا التاريخ. وقد استأنس البحث بما ذكره الأستاذ عبد الرزاق دحمون، الذي جعلها في ثلاث مراحل، أضاف إليها البحث مرحلة رابعة، لخصت فيما يأتي: (1)

2-2-1- المرحلة الأولى: تمتد من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى غاية إنشاء المدارس العليا سنة 1879م. وهي ما يمكن عدّه مرحلة التأسيس الفعلي للاستشراق المنظم والمهيكل، وفق احتياجات الاحتلال الفرنسي، وقد تميّز باهتمامه بالترجمة، التي ستسمح للفرنسيين بالتواصل مع الشعب الجزائري، والنفوذ إلى عقيدتهم وثقافتهم كمدخل وتمهيد لاكتشاف مواطن ضعفهم، والتأثير فيهم. وكان تشجيع الكتب التعليمية للفصحى والعاميات والمعاجم الثنائية كبيراً، لما لها من أهمية تيسر لهم تحقيق أهدافهم المعلنة والخفية.

2-2-2- المرحلة الثانية: تبدأ من سنة 1880م إلى الاحتفال المؤي بالاحتلال سنة 1930م. هنا بدأت ثمار الاستشراق ترى النور، وصدرت أعمال كثيرة للمستشرقين الفرنسيين، في جميع المجالات؛ الإسلامية بكل فروعها الاجتماعية، والثقافية، والعلمية. مع زيادة الاهتمام بالمجلات والجمعيات والمؤتمرات، وغيرها. يمكن القول إنّ الاستشراق الفرنسي نفذ إلى المجتمع الجزائري، وبدأ يمارس تأثيراته، عن طريق التعليم تارة، والتتصير تارة أخرى والطب، وسخر العلماء لوضع نظريات تدعم الاتجاه التسلطي والقهري للفرنسيين على الجزائريين.

2-2-3- المرحلة الثالثة: يمكن القول إنّ بداية هذه المرحلة، كانت سنة 1930م إلى 1962، فيها تبلور الفعل الاستشراقي وتجسّد نضجه، من خلال ذلك الكم الهائل من الدراسات والمؤلفات والمعاهد المتخصصة والثانويات وتضاعف التعاون بين المستشرقين الفرنسيين والإدارة العسكرية، وتعدّدت مهامهم وتنوعت.

2-2-4- المرحلة الرابعة: من 1962م إلى يومنا هذا، قد يعتقد بعض الباحثين أنّ الاستشراق الفرنسي قد انتهى بانتهاء الاحتلال العسكري للبلاد الجزائرية، إلا أنّ معاينة الواقع تكشف عن حقيقة مغايرة، فالاستشراق الفرنسي ما زال ملازماً للجزائر، وبقي عاجزاً عن التخلص من ارتباطه بالجزائر، التي عدّت ولا تزال غنيمة من

¹ - ينظر: دحمون، عبد الرزاق. إسهامات المستشرقين بين السلب والإيجاب: دراسة نموذجية حول الاستشراق الفرنسي بالجزائر. الجزائر دار لمسة، 2021م. ط1. ص 31، 32.

غنائم الحرب التي بذلت لإخضاعها وامتلاكها سنوات، وهي مصرّة على أنها يجب أن تستفيد من الجزائر وتسيطر عليها أكثر مما مضى، وهناك من الفرنسيين وما أكثرهم الذين رسخت في أذهانهم فكرة أنّ فرنسا هي صنعت الجزائر، وهم يشوهون بذلك الحقائق، ويقلبونها رأساً على عقب، فالجزائر كانت مصدراً أفادت منه ولا تزال. وكلّ ما فعلته أنّها استنزفت خيراتها واستعبدت شعبها، ومسخت عقولاً كثيرة باتت تحمل بنات أفكارهم، وتصدّق أنّ فرنسا فعلاً خدمتهم، وجعلتهم متحضرين، ونسوا أنّ الحضارة كلّ الحضارة كانت مع الإسلام الذي حاربته بكلّ ما أوتيت من قوّة، وهو ما حدث في الأندلس بشهادة الكثيرين منهم المستشرق زيجريد هونكه « أوليس من العجيب أن نتساءل لماذا نفسّر كما يحلو لنا والعرب قد احتلوا فعلاً جزءاً من أوروبا هو الأندلس؟ فلم يقضوا على المسيحية التي يزعمون أنّ شارل مارتل قد حماها، ولم يقضوا على المدنية الغربية التي لم يكن لها وجود لقد حوّلوا الأندلس في مائتي عام حكموها من بلد جذب فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف مهذب النفس يقدّس العلم والفن والأدب قدّم لأوروبا سبل الحضارة وقادها في طريق النور».⁽¹⁾ يكفي الاطلاع على أعمالهم وإعلامهم فالجزائر تكاد لا تفارق نشاطاتهم السياسية والثقافية والاجتماعية، ولو اتسع المقام لذكرت نماذج كثيرة ولكن يقتصر البحث على الإشارة إلى بعض نشاطات معهد العالم العربي، وربما أكثر اهتمامه منصب على الأعمال الجزائرية الروائية والمسرحية والآداب والفنون بصفة عامة، يستحضر البحث في هذا السياق ما ذكره الفرنسي جون بروفو « كل من لديه تعاملات مع بلدان الشمال الإفريقي، سواء أعلق الأمر بعمله أو برحلة سياحية، سيدرك بنوع من الحيرة مدى ثراء تاريخنا بالذكريات المشتركة كما أنّ هناك هذا التبادل العميق للعواطف والأفكار والأحاسيس، التي يعكسها الأدب من بين مجالات أخرى من ألبير كامو (Albert Camus) ساعة الإنزال الفرنسي سنة 1834م، الذي قام بدراساته في الجزائر إلى آسيا جبار أوّل مؤلف من الشمال الإفريقي تستقبله الأكاديمية الفرنسية، مروّراً بول روبير (Paul Robert) الذي أصدر معجماً في جزء كبير بمسقط رأسه الجزائر».⁽²⁾ والأدلة لما تقدّم كثيرة جداً، ليس الهدف التفصيل فيها، وإنما يكفي معرفة هذه الحقيقة والتفكّر فيها، علّها توصل البعض إلى اكتشاف ما كان مجهولاً أو مكنوناً.

¹ - زيجريد، هونكه. شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أوروبا. ص 540، 541.

² - Pruvost, Jean. Nos Ancêtres Les arabes : ce que notre langue leur doit. p187.

2-3- المستشرقون والتعليم في الجزائر أثناء الاحتلال: اتخذت فرنسا سياسة مزدوجة في

مجال التّعليم، أثناء حقبة الاحتلال الفرنسي، تمثّلت الأولى في تعليم العربية للمعمرين الفرنسيين، وموظفيها بخاصة، إذ كانوا مطالبين بمعرفة اللغة العربية، ولأسيما العامية، التي من شأنها مساعدتهم في أداء وظائفهم ضمن الإدارة الفرنسية، «كانت المؤسسات التعليمية موجّهة إلى الفرنسيين مدنيين وعسكريين، لتعليمهم اللغة العربية الفصحى والعامية، وهذه الحلقات (الكراسي) بدأت في ديسمبر 1832م وانتهت بدمجها في مدرسة الآداب والمدارس الشرعية الثلاث سنة 1879م. وهي حلقة الجزائر وقسنطينة ووهران وكوليج الجزائر، والكوليج الامبريالي بالعاصمة، مدرسة الآداب، مدرسة ترشيح المعلمين (النورمال)، المدارس الشرعية الثلاث»⁽¹⁾. إذ عرفت فرنسا من خلال الدّراسات الاستشراقية التي حصلت عليها، أنّ اللّغة العربية بمثابة الحصن المنيع الذي يحمي الجزائريين، ويربطهم بعقيدتهم، وهي سر قوتهم، فكانت اللّغة العربية أول ما استهدفته فرنسا، «إنّ المكانة التي تتمتع بها اللّغة العربية، في المجتمع الجزائري، دينيا، واجتماعيا، ونفسيا، وثقافيا وحضاريا، ودورها الفعال في الحفاظ على الوحدة الوطنية؛ بكل تراثها وموروثها الثقافي والاجتماعي، وكونها أداة تواصل مع تاريخ الجزائر العريق وجذورها الحضارية، هذا كله لم يكن غائبا على خبراء المخابر اللغوية، وتحاليل علماء النفس اللغوي، الذين أجمعوا على أنّ اللّغة العربية في الجزائر هي صمام أمان يجب إتلافه، وهي أخطر ما يعترض مشروع فرنسا (فرنسة الجزائر) ثقافيا واجتماعيا، وبالتالي أصبح في حكم المؤكد تحطيم هذا السور الواقي، وهذا الحصن المنيع للفرد والمجتمع»⁽²⁾. وقد توحدت آراء الفرنسيين وجهودهم، لترسيخ هذه الفكرة وتجسيدها فوق أرض الواقع. «ونذكر هنا على سبيل المثال تلك الرّسالة التي أرسلها المتصرّف المدني الفرنسي في الجزائر السيد بريسون (Bresson) -الذي كان قد خلف جنّتي دي بوسي في هذا المنصب سنة 1836م- إلى المفتش العام للتعليم والتي دعا فيها إلى ضرورة دراسة اللّغة العربية والتوسع فيها، وهذا بهدف معرفة عادات وتقاليد الأهالي وطريقة تفكيرهم، ويرى أنّ هذه العملية، لا يجب أن تتوقف على مجموعة من المترجمين؛ بل يجب توسيعها إلى بعض رجال الثقافة والفكر؛ وعلى رأسهم المستشرقين»⁽³⁾. وهكذا بدأت الجهود تبذل لتعليم الفرنسيين اللّغة العربية حيث أشار هنري ماسي «إلى انتظام دراسة اللّغة العربية في الجزائر منذ سنة 1838م، تحت إشراف بريني

¹ - داوي، زينب. المستشرقون واللغة العربية تعلّمًا وتعليمًا في الجزائر، إبان الفترة الاستعمارية: وليم مارسه أنموذجًا. رسالة ماجستير في الدراسات الاستشراقية الأدبية واللغوية. الجلفة، جامعة زيان عاشور، قسم اللغة العربية، 2008-2009م. ص 74.

² - بن إبراهيم، الطيب. الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر. ص 149.

³ - لونيسي، إبراهيم. بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي. ص 101.

وكانت المحاولات الأولى في 1831م، وقد أشار كور (cour) إلى أستاذيات اللغة العربية في المجلة الإفريقية سنة 1924م. ركّز الفرنسيون في بداية الأمر على تعليم اللغة العربية للفرنسيين وتعليم اللغة الفرنسية للأهالي، وكانت هذه الدروس عمومية ومجانية، أسند تدريس اللغة العربية، للسيد جوني فرعون الذي حظي بنجاح جمّ واضطر إلى مضاعفة دروسه، وهو ترجمان الحملة الفرنسية على مصر، عيّن في 1832 أستاذا للغة العربية في الجزائر في ثانوية لويس لوقران الذي توفي قبل تولي أستاذية الجزائر⁽¹⁾. وهذا يعني أنّ هناك تشجيعا لتعليم اللغة العربية وارتباطه في الوقت ذاته بعاملين إما بالكنيسة أو بالجيش.

أمّا السياسة الثانية، فتمثلت في تعليم العرب واليهود الفرنسية، « كما قامت بإنشاء جوائز سنوية للذين يتعلمون اللغة العربية من الفرنسيين سنة 1851م، كما أعلنت وزارة الحرب عن تفضيلها عارفي العربية في الوظائف المدنية، وهذا سنة 1853م⁽²⁾. لا بدّ أنّ هذا المخطط قد أسهمت جهات كثيرة في نجاحه، لتتحوّل الجزائر إلى بلد فرنسي تابع وخاضع، « كما عملت الإدارة الفرنسية على فرنسة كامل المحيط الجزائري، وعلى رأسها الإدارة والتعليم، إذ أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة في الجزائر، ومما ورد في قرار أصدرته السلطات الاستعمارية سنة 1849: « إنّ لغتنا هي اللغة الحاكمة فإنّ قضاءنا المدني والعقابي، يصدر أحكامه على العرب، الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإنّ أهمّ الأمور التي نعني بها قبل كل شيء، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين⁽³⁾. لا يمكن تصوّر أنّ فرنسا تريد جعل الجزائريين فرنسيين حقيقة؛ بل المقصود من هذا المخطط أن يفقد الجزائريون إحساسهم بالانتماء إلى وطنهم وعندها سيحلّ محله الإحساس بالضّياع، وهو ما سيجعلهم قابلين للاستعباد، فهي تعلم جيّدا أنّه لا يوجد شعب يتنكّر لوطنه، إلّا ذلّ وهان، ومعلوم علم اليقين أنّه لا عزة لإنسان إلّا في وطنه وبوطنه، مهما كان هذا الوطن. لقد شاع بين النّاس أنّ الاستعمار علّم الجزائريين وثقّفهم، وكان حريصا على تخليصهم من جهلهم؟ « وهنا يتساءل الدارس عن حقيقة التّلاميذ، الذين كانت تستقبلهم المدارس التي شيّدتها

¹ - يحياتن، محمد. دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. ص 73.

² - لونيبي، إبراهيم. بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي. ص 89.

³ - المرجع نفسه. ص 90.

الإدارة الاستعمارية في الجزائر؟ الملاحظ من خلال أعداد المبشر (جريدة) أنّ معظم التلاميذ الذين التحقوا بها أو الذين تخرجوا منها بعد نجاحهم في مختلف الامتحانات أو نالوا الجوائز، هم أولاد القيادات العربية بصفة عامة... فمثلا المادة الثالثة من القانون الخاص بالمدرسة العربية الفرنسية المعروفة باسم المدرسة السلطانية، تنص على أنّ المدرسة لا تتحمّل مصاريف التلاميذ الذين يزاولون دراستهم في المدرسة، ما عدا أبناء الضباط، وضباط الصف والقيادات العربية، وأبناء الأهالي الذين قدّموا خدمات للدولة الفرنسية»⁽¹⁾. عموما، فإنّ كلا التّوجّهين يخدم مصالح فرنسا في الجزائر، والجدول الآتي يعكس هذه الحقيقة.

جدول يمثّل عدد الجزائريين والأوروبيين المتمدرسين في الجزائر⁽²⁾

السنوات	حقوق		علوم		آداب		طب وصيدلة		المجموع	
	مسلم	أوروبي	م	أ	م	أ	م	أ	م	أ
1919 1920	.	614	2	310	.	266	15	344	17	1534
1920 1921	21	632	4	289	17	263	10	310	47	1494

إذا قورن بين عدد الجزائريين والفرنسيين الذين يتلقون التعليم في التخصصات المختلفة، فالفرق واضح، وهو لصالح الفرنسيين، ففي السنة الأولى سبعة عشر (17) طالبا جزائريا مقابل أربع وثلاثين وخمسمائة وألف (1534) طالب فرنسي. فالسنة الأولى بفارق سبعة عشر وخمسمائة وألف طالب (1517) والسنة الثانية بفارق سبعة وسبعين وأربعمئة وألف (1477). يعكس هذا الجدول جزءا من حقيقة تعامل فرنسا مع التعليم في الجزائر، واتّضحت الأهمية التي أولتها ل مجال التّعليم، وكيف استغلته لخدمة مصالحها ستُذكر في المحطة الآتية، أهم الأستاذيات التي أنشئت بالجزائر، لتعزيز هذا المجال.

رأت فرنسا ضرورة إيجاد مؤسسات رسمية، تتولى مهمّة التّعليم في الجزائر، والتي أنيطت بها مهمة تنفيذ مخططات الاستعمار الفرنسي، وهذا ما حدث، حيث « أنشئت أستاذية للغة العربية الدارجة بمعهد الجزائر، عيّن على رأسها قرقس (Gorgos) مؤلف بعض المقالات والكتب المدرسية سنة 1846م (عن طريق المسابقة)، ثم زوّدت قسنطينة بأستاذية للعربية درّس بها المترجم العسكري فينيار خلال

¹ - لونيبي، إبراهيم. بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي. ص 87.

² - بن حمو، محمد. دور التّبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. ص 150.

أشهر، ثم عوّضه شيربونو في 21 ديسمبر 1846، غداة ذلك أنشئت أستاذية للعربية الدارجة في وهران وقد أسندت للمترجم هدمارد (Hadamard).⁽¹⁾ بالإضافة إلى أستاذية للتعليم الثانوي.

أما القائمون على الأستاذيات في الجزائر، فيقول هنري ماسي: «درّس بها فضلا عن فرعون وبريني، كل من كومباريل (Combarel) (1847-1869) وریشوبي (Richebé) (1874-1877) وهوداس (Houdas) في وهران، هدامارد (1846-1855) وكومباريل (1855-1869). وهوداس (1869-1877) وماشويل (Machuel) (1877-1881)، ودلفين (Delphin) وموليارس (Mouliéras) (1877-1889)، ودوكلنستي - موتلنسي (Calasanti-Motyliniski) (1889-1906) وكور...».⁽²⁾ إنّ هذا العدد الكبير من المستشرقين المسخّرين لتعليم اللّغة العربية بالجزائر ليدلّ بجلاء على الاهتمام الذي أولته فرنسا للتّعليم، لكن بالشكل الذي يخدم مصالحها.

كما خصّصت كتب كثيرة ومطبوعات، لتعزيز عملية التّعليم، إذ «أولى المستشرقون الفرنسيون أهمية لتعليم العربية، من خلال إعداد مناهج خاصة لتعليم القراءة، وتيسير تعليمها للفرنسيين. وقد تكون المناهج موجّهة أحيانا في نفس الأثناء، لتسهيل تعليم الفرنسية للعرب، من ذلك على سبيل المثال، لا الحصر: (عناصر الجملة وترجمتها إلى العربية الدارجة، وتمارين في قراءة المخطوطات العربية ودروس في القراءة العربية)».⁽³⁾ وهنا يتجلّى دور المستشرقين الفرنسيين في نشر اللّغة الفرنسية بين الجزائريين، ونشر تعليم العاميات بين الأوروبيين. «أما المؤلفات الخاصة، التي تأتي في نظر العرب أنفسهم في مقدمة الترتيب المنطقي أو النظام التسلسلي للعلوم، فهي الموجهة إلى إتقان اللّغة (النحو) وهي كثيرة، وتشهد على التوسع المتنامي في دراسة واهتمام المستشرقين باللّغة العربية. من ذلك ما نشره (De Perceval) من طبعة ثالثة لنحو العربية الدارجة. ونشر (Bled De Braine) درس العربية المؤلف من النّحو والتمارين، الموجهة إلى الأوروبيين المقيمين بالجزائر وباقي أقطار شمال إفريقيا.⁽⁴⁾ وظّف جلّ المستشرقين الحرف اللاتيني لتعليم العربية، «وظهرت عدة كتب في مختلف الدرجات والمستويات التعليمية، حتى الذين لا يرغبون في إجهاد أنفسهم لدراسة الحروف العربية، يمكنهم أن يصلوا إلى

1 - يحياتن، محمد. دراسات حول اللّغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. ص 85.

2 - المرجع نفسه. ص 86.

3 - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية. ص 239.

4 - المرجع نفسه. ص 240.

معرفتها من خلال كتاب Martin حوارات عربية-فرنسية، على سبيل المثال، وهو يشتمل على جمل وعبارات تستعمل في اللهجات المغاربية. وكتاب (Bresnier) منتقيات عربية (Leon وCherbonneau) حكم لقمان، وكذلك نواذر إسلامية لـ (Cherbonneau)⁽¹⁾. سخر المستشرقون الفرنسيون كل الوسائل لتحقيق أهدافهم، فتنوعت تبعاً لذلك مؤلفاتهم؛ من كتب ومعاجم لتعليم الفصحى، وأخرى لتعليم العامية إلا أن الملاحظ لديهم في هذا المجال، هو الانصراف إلى العامية شيئاً فشيئاً على حساب الفصحى.

2-3- المستشرقون الفرنسيون والمعجم الثنائي في الجزائر: تعدّ مدرسة الاستشراق الفرنسي، من أهم المدارس وأكثرها اهتماماً بالعمل المعجمي، وبما أن الجزائر، من أكثر البلدان التي شددت أنظار الفرنسيين وأثارت أطماعهم، فسيحاول البحث الإشارة إلى التأليف المعجمي الثنائي فيها؛ قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه وبعده، مع ذكر بعض النماذج لمستشرقين فرنسيين ألفوا معاجم ثنائية لم يتناولهم القسم التطبيقي والملاحظ أن العمل المعجمي ولئن عُرف قبل ذلك، إلا أنه نشط مع بداية الاحتلال الفرنسي الذي شجّع تأليف المعاجم الثنائية لتحقيق أهدافه السياسية والتوسعية، فكثر المعاجم المصنّفة فيها، ما بين فصحى وعامي.

تجدر الإشارة إلى أن ظهور معاجم ثنائية، تهتم باللغة المنطوقة في العالم العربي ارتبطت بأهداف سياسية ودينية، وإن كان هدف بعض أصحابها في البداية؛ هو تسهيل التواصل بين المتحدثين بتلك اللهجة والأجانب الذين يتعاملون معهم في مجال التجارة، وهناك دراسات كثيرة تثبت ذلك، ومنها المقال الذي قام به باحثان من جامعة روان الفرنسية (Rouen)، ومما ورد فيه أن تأليف المعاجم الثنائية للهجات الجزائرية بما فيها البربرية، قد بدأ قبل الاحتلال الفرنسي لأغراض علمية، إلا أن الحكومة الفرنسية، وظفته بعدها لمصالح سياسية بحتة، وشجعت تأليف معاجم ثنائية لمختلف اللهجات الجزائرية، « هذا الكتاب الذي تضمن العربية المسماة "العامية" (vulgaire)، يهدف إلى تقديم خدمات، ويخفي في الحقيقة رهانات استراتيجية مرتبطة بمصالح فرنسا في الشمال الإفريقي⁽²⁾. وهذه حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها.

2-3-1- المعاجم قبل الاحتلال الفرنسي: زار بعض المعجميين المغرب قبل بعثات شارل العاشر وهناك مجموعة من الكتب أطلعت القوى الغربية، قبل بدء مرحلة الاحتلال فوائد احتلال منطقة في شمال

¹ - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية. ص 240.

² - voir Gaudin, François, Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. p98.

إفريقية، الأعمال التي تناولت لهجات جزائرية، كانت مفضلة، ومرحبا بها لاستكشاف اللغات المحلية والحصول على معلومات عملية واضحة، حول الشعب الجزائري وبلاده ونشاطاته واستعمالاته.⁽¹⁾ أشار صاحب المقال إلى كتابين ألفا قبل مرحلة الاحتلال في النحو والمعجم؛ مختصر للغة البربرية لفنتور براديس (Jean-venture de paradis) (1789-1790)، والثاني فرنسي-عربي لجون فرانسو غوفي (Jean-François Ruphy) سنة 1802م، كتب الأول باليد، وبقي يدويا خمسين سنة إلى أن نشرته شركة جغرافية في باريس سنة 1844، شمل رقعة جغرافية ممتدة تضمّن ثلاثة أعمدة كلمات فرنسية والمقابل بالبربرية وأحيانا بالعربية الفصحى أو العامية، أما الكتابة فكانت بالخط اللاتيني والخط العربي، وأعيد طبعه مرتين سنة 1864م، و1884، يبدو أنّه يخلو من نوايا سياسية توجه به إلى فقهاء اللغة (philologues) وللمسافرين، لكن يتغير الأمر عندما يأمر وزير الحرب أميدي جوبيرت (Amédée Jaubert) بطبعه ويتم استغلاله لأهداف سياسية توسعية، فتحول مساره بعد حوالي نصف قرن في نهاية حكم الملك لويس فليب (Louis-Philippe) إلى أداة للاحتلال.

أما المعجم الثاني، فتناول العامية (vulgaire)، يهدف إلى تقديم خدمات ويخفي في الحقيقة رهانات استراتيجية مرتبطة بمصالح فرنسا في الشمال الإفريقي، ويتمثل الخطّ المشترك بين المعجمين في بيان أهمية منطقة المغرب العربي للمستقبل التجاري والسياسي لفرنسا، ويؤكد صاحب المقال صدور عدة معاجم بعدة لغات قبل الاحتلال.⁽²⁾ مهما ألفت المعاجم في هذه الفترة إلا أنّ المتوقّع أن أثناء الاحتلال أكثر لازدياد الحاجة إليها، وهو ما ستكشفه المحطة الآتية.

2-3-2- المعاجم الثنائية أثناء الاحتلال الفرنسي: تمّ إحصاء حوالي ثمانين (80) معجما ثنائيا ما بين [1830-1930]، وقد تمّ تأليفها لحاجات سياسية توسعية، وضعت تحت تصرّف رجال الإدارة والمبعوثين المطالبين بالتحكم في لغة المنطقة المحتلة، وقد واجه أصحابها صعوبات، لكونها لهجات ليست مكتوبة. وقد سجّل المعجم الثنائي الاستدماري، ضمن المعجمية الأوروبية بوصفه موضوعا أو نوعا جديدا في وسط جديد، يهدف إلى جمع اللغات المستعملة، ووصفها في المنطقة المحتلة، وتحول لهجاتها المحلية إلى لغات مكتوبة. وهنا نشهد ظهور خطاب معجمي متميّز مغرق بإيديولوجية خاصة

¹ - Gaudin, François, Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. p96.

² - voir : ibid. p 97.

وقد سخرت الإمكانيات اللازمة لصناعة معاجم ثنائية للإدارة الاستعمارية، وهكذا بدأت منذ 1836 وأول معجم ثنائي للاستعمار كان لدي بوسي (Roland du Bussy). يذكر الباحثان أنّ عدد المعاجم مرتفع إذا ما قورن بعدد السكان الأوروبيين (78) معجما، وهو أقلّ من مليون ساكن، وهو موجه لهم بالدرجة الأولى.⁽¹⁾ حيث أفنى المستشرق مارسية حياته، في عمل معجم للغة العربية في شمال غرب إفريقيا ونشره بعنوان (نصوص عربية تكرونية)، في ثمانية مجلدات صدرت ما بين سنة (1925م و1961م) وألف مارسولين بوسيه معجما، طبع بالجزائر سنة 1871م باسم (معجم علمي فرنسي عربي)، يحتوي على 746 صفحة، وصفه وليم مارسية في ملاحظاته، بقوله: يمكن اعتباره أهمّ عمل للمدرسة الاستعرابية الجزائرية القديمة.⁽²⁾ ووضع المستشرق مسكريه (MasQueray) عدّة دراسات اجتماعية لقبائل البربر، من بينها معجما عن لهجة الطوارق، نشره في الجزائر وباريس، على هيئة كراسات ما بين سنة 1893م إلى سنة 1895م، وله دراسة عن تكوين المدن عند السكان المقيمين في الجزائر، نشرها سنة 1886م بباريس في 326 صفحة، وكتبت المستشرقة جواشون (A. Goichon) كتابا عن (حياة المرأة في الميزاب) تمّ نشره سنة 1927م، وكتب كل من بيريه، وبوسكيه دراسة عن (عادات الجزائريين ومؤسساتهم ومعتقداتهم) صدر المجلد الأول منها سنة 1939م.⁽³⁾ وقد ذكر المرحوم محمد يحياتن حوالي ثمان وثلاثين (38) معجما، جعلها في قسمين معاجم تقنية ومعاجم عملية، لا يتسع المقام لإيرادها جميعها، يمكن للقارئ الكريم الاطلاع عليها، في كتابه لترجمة لبعض الأعمال الاستشرافية بالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي.⁽⁴⁾

1-Beaussier, dictionnaire pratique arabe-français contenant tous les mots employés dans l'arabe parlé en Algérie et en Tunisie, ainsi que dans le style épistolaire, les pièces usuelles et les et les actes judiciaires (Alger, 1871).

2-Ben cheneb, mots Turks et persans conservés dans le parler algérien (Alger, 1922).

3-Eudel, dictionnaire des bijoux de l'afrique du nord, (paris, 1906).

4-Fagnan, additions aux dictionnaires arabes (alger, 1923).

5-Parmentier, vocabulaire arabe-français des principaux termes de géographie...(1882).

6-Belkassem ben sedira, petit dictionnaire arabe-français de la langue parlée en algerie...(Alger, 1882, 1886), augmenté par ben cheneb.

7-Hélot (L.et H), dictionnaire de poche français-arabe et arabe-français à l'usage des

¹ - Gaudin, François, Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. p 99.

² - ريغ، دانيال. رجل الاستشراق. ص 156.

³ - بسكر، محمد. "اهتمامات الاستشراق الفرنسي وتوجهاته في المغرب العربي قراءة أنموذجية في التراث الجزائري". عن أعلام ومعالم. ص 105.

⁴ - ينظر: يحياتن، محمد. دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية.... ص 138، 139، 140، 140.

militaires, voyageurs et négociants en afrique (paris et alger, 1847).

أورد الباحث عبد الحميد الحمد أهم معاجم المستشرقين الفرنسيين، منها: (1)

- 1- كوسان دي بيرسيغال، أصدر القاموس العربي الفرنسي سنة 1827.
 - 2- ج.ج. مارسل (1776-1904)، معجم فرنسي عربي بالفصحى والعامية، (1837) واسمه كنز المصاحبة.
 - 3- كوش (1818-1895)، معجم فرنسي -عربي، وعربي-فرنسي (المطبعة الكاثوليكية) ط1 1862 والثانية 1882م، في 758 صفحة، ثم جدد الأب بيلو طبعه وأضاف عليه.
 - 4- دي كورتاي (1821-1889)، المعجم العربي التركي، (1870).
 - 5- بوسيه (1821-1873)، القاموس العلمي العربي الفرنسي، نشر سنة 1878 في الجزائر بعد وفاته وكان ذا أهمية كبيرة في ميدانه.
 - 6- مشويل (ت1922)، معجم فرنسي - عربي، (الجزائر 1877-1917).
 - 7- ليفي بروفنسال (1894-1956)، المعجم التطبيقي لعربية القرن العشرين، الرباط، 1942، المجلد الأول عربي فرنسي.
 - 8- ر.ل. بلاشير، (1900-1930)، معجم عربي فرنسي انجليزي، ألفه مع مصطفى التومي وغيره صدر الجزء الأول منه باريس (1967).
 - 9- مارسيه، المعجم، وهو معجم كبير جمع فيه اللهجات المغربية ونصوصها وأصواتها، (1942).
- تؤكد هذه المعاجم ارتباط المعجم الثنائي الفرنسي الوثيق -ولاسيما أثناء فترة الاحتلال - بالجيش وخدمة الإدارة الفرنسية بجميع فروعها، فمثلا من المعاجم التي ذكرها المرحوم يحياتن، تبين أنها شملت تقريبا المجالات كلها من جيش، قانون، جغرافيا، ولهجات محلية عربية، وبربرية (أمازيغية)، كما يؤكد هذا الكم الهائل من المعاجم، تسخير فرنسا للمستشرقين لخدمة مصالحها.

2-3-3- المعاجم بعد فترة الاحتلال: صدرت معاجم ثنائية كثيرة بعد استقلال الجزائر، لكن ما

يتميزها، أنها تهتم بلهجات بعض المناطق الجزائرية، وسيقف العمل التطبيقي على نموذج لها.

2-4-أنواع المعاجم في فترة الاحتلال الفرنسي: (2)

- 2-4-1- المعاجم الثنائية المتضمنة لغة واحدة مشتركة مستعملة والفرنسية، متبوع ببعض الحوارات الشائعة، والمفردات العربية الأكثر استعمالا، تحت تصرف الفرنسيين، في إفريقيا صدر سنة 1830.
- «dictionnaire de la langue franque ou petit mauresque suivi de quelques dialogues familiers».

¹ - الحميد، عبد العزيز بن حميد. أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي. ص37، 38، 39.

² - voir Gaudin, François, Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. p 99, 100 , 101.

2-4-2- المعاجم الثنائية المقابلة للغة الهيمنة (الفرنسية) واللهجات المغربية والشرق الأوسط أو العامية (koiné) مثل المعجم عربي-فرنسي الذي يتضمّن كل جذور اللغة العربية والمشتقات في الاستعمال العامي، وكذا الفصح وللهجات الجزائر والمغرب، بالإضافة إلى قاموس الكلمات البحرية والفنون الحربية بالعربية والفرنسية (1846-1847).

2-4-3- المعاجم الثنائية المقابلة للغة المهيمنة واللهجات العربية، مثل:

le dictionnaire de poche, français-arabe et arabe –français a l'usage des militaires des voyageurs et des négociants en Afrique (1847) Hélot et Henri Léon.

2-4-4- معاجم ثنائية تتضمّن اللغة المهيمنة ولهجة عربية جزائرية، مثل:

le petit dictionnaire arabe-français et français-arabe, (idiome d'Alger) 1836, Roland de Bussy.

2-4-5- المعاجم الثنائية التي تقابل الفرنسية بلهجات بربرية متباعدة، مثل:

Grammaire et dictionnaire abrégés de la langue berbère, venture de paradis.

2-4-6- المعاجم الثنائية المقابلة للفرنسية ولهجة بربرية واحدة بمختلف تنوعاتها المحلية للأب (père) (Huyghe 1906).

2-4-7- المعاجم الثنائية الفرنسية مقابل استعمال بربري واحد في إطار جماعة لغوية واحدة، مثل:

Essai de dictionnaire français-kabyle (zouaoua), 1873.

اهتمّ الفرنسيون بتأليف المعاجم الثنائية، قبل الاحتلال الفرنسي، لأغراض علمية وعملية تتمثل في دعوة العلماء للاهتمام بهذه اللّغة واللهجات، التي اكتشفوها في الجزائر، بالإضافة إلى مساعدة المسافرين والتجار الذين يتعاملون مع سكان الجزائر، وقد أحصى عددها خلال قرن واحد من (1839-1930) بحوالي ثمانين (80) معجماً.⁽¹⁾ لخص المستشرق الفرنسي هنري ماسيه مجال اهتمامات المستشرقين في الجزائر، فقال: إنّ المجالات التي عالجه المستشرقون في الجزائر من خلال رحلاتهم هي: المعاجم، واللّسانيات، والخطوط، والتاريخ والدين، وتحقيق وترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والفقهية والعلمية، ثمّ الدراسات الأنثوغرافية والفلكلورية، وأخيراً الكتب المدرسية.⁽²⁾ وهنا يتّضح

¹ – voir Gaudin, François, Mahtout, Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. p98.

² – ينظر: يحياتن، محمد. دراسات حول اللغة العربية خلال الفترة الاستعمارية.

أنّه لم يترك مجالا إلاّ طرقه.

2-5- دراسات عنيت بالاستشراق الفرنسي في الجزائر: تبين من خلال الدراسات المطّلع عليها أنّ الاستشراق الفرنسي، قد شملت اهتماماته جميع المجالات سواء اللّغوية والأدبية والدّينية والسياسية والعلمية والتاريخية، ومن الدّراسات التي ركّزت على الاستشراق الفرنسي في الجزائر ترجمة الأستاذ إبراهيم صحراوي لكتاب المستشرق دانيال ريغ، رجل الاستشراق أو مسارات الاستشراق في فرنسا وترجمة الأستاذ يحياتن رحمه الله تعالى، لأهم أعمال المستشرقين الفرنسيين بالجزائر، وكتاب بحوث في التّاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي، وكتاب الاستشراق الفرنسي، وتعدّد مهامه للمؤلف إبراهيم بن طيب بالإضافة إلى بعض الدّراسات والبحوث الجامعية بمختلف مستوياتها، منها أطروحة الباحث محمد العربي معريش.

ومما ورد لدى الباحث (محمد خالدي)، «عرف المجتمع الجزائري الحركة الاستشراقية في جميع مجالاتها مع دخول الجيش الفرنسي إلى أرضه، فمنذ أن وصلت جحافل الجيش الفرنسي أرض الجزائر سارعت السلطات الاستعمارية إلى وضع يديها على كلّ المخطوطات والوثائق العثمانية، وكلّ ما يتعلّق بالمجتمع الجزائري، وثقافته ودينه وتاريخه، وغير ذلك. ووضعتهم تحت تصرّف المستشرقين الذين سخّروا كلّ طاقاتهم، وبذلوا كل مجهوداتهم، من أجل دراسة وتحليل وترجمة هذا الإرث... والإسراع في تحضير، وتهيئة هذا المجتمع من أجل إدخاله وإدماجه، في بوتقة الدولة الفرنسية ثقافيا وحضاريا واجتماعيا. وحرصت السلطات الاستعمارية الفرنسية على تجنيد وتوظيف هؤلاء المستشرقين في المناصب الإدارية الحساسة، للاستفادة من خبرتهم واستغلالها في بسط نفوذها الاستعماري».⁽¹⁾ أظهرت جلّ الدّراسات السّابقة وغيرها، أنّ اهتمام المستشرقين الفرنسيين انصبّ بصفة عامة حول التراث العربي الإسلامي دراسة وجمعا وانحصرت اهتماماتهم، في تتبّع المخطوطات وجمعها في مراكز بحث جامعية أو في مكنتات خاصة وترجمة النّصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والعلمية وأمّهات الكتب، ووضع معاجم والاهتمام باللّغة العربية ولاسيما اللهجات.

كما تناول الباحث عمار بركات عمل مستشرقين في الجزائر، وهما (ألفرد بل، وبورديو)، في مجال الأنثروبولوجيا، ومما ورد فيها أنّه « في الجزائر، ومع بداية خضوعها للاستعمار الفرنسي منذ

¹ - خالدي، محمد. "المستشرقون وأثرهم الفكري والفني في الجزائر". في مجلة الأثر، الجزائر، 2012م. ع 13. ص 273.

1830م، لم تكن بمنأى عن الدراسات الاستشراقية، ولكن ما يميّز هذه الدراسات، أنها كانت دراسات أنثروبولوجية، وقد ظهر مفهوم الأنثروبولوجيا استجابة لما حدث من حالات التحوّل التي شهدتها أوروبا. وبالتحديد خلال القرن 16م والقرن 18، خاصة مع التطور والتحول في العلوم الاجتماعية، بانفصالها عن الفلسفة واتجاهها إلى المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة. بالإضافة إلى حركة الاكتشافات الجغرافية التي استلزمت دراسة هذه الثقافات الجديدة⁽¹⁾. يبدو أنّ هذا المجال تمّ تسخيره لخدمة مصالح فرنسا، « لقد بدأت الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر باعتبارها دراسات وصفية أو ما يعرف بالمونوغرافيا والإثنوغرافيا. والتي قام بها العسكريون والإداريون والغرض منها معرفة طبيعة الثقافة والتقاليد الجزائرية حيث ساهمت هذه الدراسات من أنثروبولوجيا المكتب التي كان فيها الباحث يبقى في مكتبه، وتأتيه المعلومات من المخبرين إلى أنثروبولوجيا المعاشية، بمعنى يذهب الباحث بحد ذاته إلى المجتمع ويشارك أعضاء الثقافة تقاليدهم وممارستهم⁽²⁾». بالنظر إلى الكمّ الهائل الذي اضطلع به المستشرقون في جميع المجالات، فلا يكفي القيام بدراسة أو بحث فردي، لابدّ من دراسات جماعية تشرف عليها هيئات رسمية، للتمكن من الإحاطة بهذه الأعمال ودراستها وتمحيصها.

2-6- المستشرقون الفرنسيون واللغة العربية والدراسات القرآنية:

2-6-1- الاستشراق الفرنسي واللغة العربية: تعدّ المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أكثر المدارس اهتماما باللغة العربية، يعكس ذلك كثرة المؤلفات والدراسات والأعمال التي عُنت بالعربية ولئن تراجع هذا الاهتمام، إلّا أنّه لم يتوقّف إلى يومنا هذا، يكفي أن تبحث في إصدارات الفرنسيين حول العربية بما فيه مجال المعجم فستجد الكثير.

ألّف المستشرقون الفرنسيون عددا لا يحصى من الكتب حول العربية، وفي مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، (اهتمّ المستشرقون الفرنسيون باللغة العربية بمختلف مجالاتها، وممّن وضع بصمته المستشرق بوستيل (Postel) الذي ألّف منذ 1539م كتاب قواعد اللغة العربية، ودرّس بجامعة فيينا عام 1552م، وأصدر كتاب عادات وشريعة المسلمين، والبارون دي ساسي

¹ - بركات، عمار. "سؤال الإيديولوجيا والدراسات الاستشراقية الأنثروبولوجية في الجزائر: أنموذجان ألفرد بل وبيار بورديو". وزارة الثقافة الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، شيكو للطباعة والنشر، 2015م. ص 94.

² - المرجع نفسه. ص 95.

شيخ المستشرقين، أنشأ المجلة الآسيوية الموجودة إلى الآن، ومن مؤلفاته كتاب (النحو العربي)، ونجد المستشرق كاترمير (Quatremere) وهو من تلاميذ دي ساسي، ورينان الذي كتب (تاريخ اللغات السامية)، أظهر فيه علاقة النحو العربي بمنطقة أرسطو، و(كتاب اللغة العربية الفصحى) سنة 1968م وبالنسبة إلى اللغة العربية الحديثة ومفرداتها، فنجد مؤلفات كل من بروفسال وكولان وبيرشييه وبيلا⁽¹⁾. ولعل كتب المستشرق فليش تعكس الدقة الكبيرة التي يتعاملون بها مع العربية، منها كتاب فقه العربية الضمائر، الأفعال، والأدوات. (Traité de philologie Arabe, vol.II pronoms, morphologie verbale, particule) صدر سنة 1979م، وهو الجزء الذي توفر أما الجزء الأول فكان سنة 1961م وقد تحدث عن تأخر صدوره، لانشغاله بمهام أخرى، تتعلق بالتأليف في العامية والمشاركة في أعمال كُلف بها ضمن دائرة المعارف الإسلامية وأشار إلى صعوبة الظروف التي أنجز فيها أثناء الحرب بلبنان.⁽²⁾ رغم الظروف التي ذكرها المستشرق، إلا أنه استجاب لواجب الوطن، وهذا يؤكد مرة أخرى إخلاص المستشرقين في أعمالهم وتضحياتهم، ولو كان على حساب راحتهم وانشغالاتهم الشخصية.

أما في المجال الصوتي، فهناك كتاب دروس في الصوتيات العربية (cours de phonétique Arabe) لصاحبه جان كانتينو (Jean Cantineau). «عرف جان كانتينو بدراساته حول العاميات وكان يوجه تلاميذه إلى هذه الدراسات العربية، كان مهتماً بالجانب الصوتي للعاميات والفصحى، وقد صدرت الطبعة الأولى سنة 1941م».⁽³⁾ وكتب في مجال الصوتيات والصرف، كذلك المستشرقان جيورج بوهاس (Georges Bohas)، وجان باتريك غيوم (Jean-Patrick Guillaume) بعنوان: (دراسة نظريات النحاة العرب الصرف والصوتيات).⁽⁴⁾ ومما أشارا إليه أن «النحو شكّل أهمّ مجالات الفكر الإسلامي (la grammaire a constitué l'un des principaux domaines de la pensée Islamique). إنّ دراسة طريقة البرهنة لدى النحاة العرب، يمكن أن تؤدي إلى معرفة التفكير الإسلامي الكلاسيكي، ولابدّ من توضيح؛ وهو أنّ النصوص التي تهمننا هي الوصفة للنظام اللغوي (description

¹- ينظر: سالم الحاج، ساسي. نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية. ص110.

² - voir Fleisch, Henri. Traité de philologie Arabe, vol.II pronoms, morphologie verbale, particule. Beyrouth, Dar El-Macheq, 1979. Introduction.

³- voir : Cantineau, Jean. cours de phonétique Arabe. paris, librairie Klincksieck, 1960. Avertissement.

⁴- voir : Bohas, Georges, Guillaume, Jean-Patrick. Etude des théories des grammaires Arabes : morphologie et phonologie. Damas, institut français de Damas, 1984.

(systematique de la langue) وليس كتب أصول النحو، مثل الخصائص لابن جني. اللع للأنباري، أو الإيضاح للزجاجي...»⁽¹⁾. يعكس ما تقدم حرص المستشرقين على تتبع كل ما له علاقة باللغة العربية والتدقيق في موضوعاتها وقضاياها، وهم يفرقون بين الجانب النظري للدراسات والجانب التطبيقي. كما يلاحظ أنهم يربطون دراساتهم دائماً بالإسلام، تلميحاً تارة وتصريحاً تارة أخرى. وهنا يقف البحث وقفة استفهام أو استكار...؟! فلو ورد في دراسة باحث عربي، وهو يتحدث عن النحو مصطلح (فكر إسلامي)، لتلقى سهاماً من النقد اللاذع، وسئل: ما دخل الفكر الإسلامي في النحو؟ لكنه حين يرد في أعمال المستشرقين أو الغربيين يكون أمراً مقبولاً وموضوعياً؟

كما سبق، لا يمكن الإحاطة بكل المؤلفات حول العربية، إلا أن معظمها ينسج بالطريقة نفسها منهاجاً ومضموناً، ذلك أنهم خريجو مدرسة واحدة، تلقوا الأفكار نفسها، واستقوا مادة بحوثهم من المصادر نفسها، وعليه قد يكفي الباحث الاطلاع على نموذج واحد للتوصل إلى بعض الأفكار التي يحملها المستشرقون الفرنسيون حول اللغة العربية، وهو ما سيقف البحث عليه فيما يأتي.

2-1-6-1- نموذج لمؤلفات المستشرقين الفرنسيين:

2-1-6-1-1- كتاب هنري فليش (Henri fleisch): اهتم المستشرق الفرنسي هنري فليش باللغة العربية اهتماماً بالغاً كما وكيفاً، يعكس ذلك عدد أعماله في اللغة العربية، إذ تناول قضايا في منتهى الدقة، قد لا يجرؤ على الخوض فيها باحث عربي، ومنها كتاب (L'Arabe classique, Esquisse d'une structure linguistique)، وقف البحث على ترجمة له، للأستاذ عبد الصبور شاهين، صدرت في طبعين إحداهما بعنوان: (العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي)، والأخرى: (العربية الفصحى نحو بناء لغوي)، وتم استثمارها للاطلاع على بعض آراء المستشرق، إذ لا يتسع المقام للتفصيل.

يبدو أن هذا الكتاب وصاحبه كلاهما، أثارا إعجاب الأستاذ عبد الصبور شاهين، الذي قال: «لقد قضى الرجل ردحا طويلاً، يحاول ويتأمل إلى أن كتب الله له التوفيق في محاولته، فأخرج للناس كتاباً - أقرر هنا غير مغال، ولا متحيز أنه لم يسبق به مادة أو منهاجاً في المستويات التي تناولها

¹- Bohas, Georges, Guillaume, Jean-Patrick. Etude des théories des grammaireins Arabes : morphologie et phonologie. préface. p VIII.

وبخاصة في الصّرف والنحو».⁽¹⁾ والحقيقة أنّ المستشرق طرق قضايا صرفية ونحوية دقيقة للغاية، وإن كان فعله ذاك، لم يفارق النظرة الغربية والأجنبية، فالملاحظة الأبرز فيما كتبه، هو المقارنات الكثيرة التي يجريها بين العربية والفرنسية، وكأنّه ينتقد العربية في بعض المواضع، لمخالفتها نظام الفرنسية. خصّ المستشرق العلماء العرب وغيرهم بهذا الكتاب، وفي هذا دلالة على جدية العمل وحرص صاحبه على إنفاذ آرائه، ليأخذ بها العلماء، ولم يستعبد المتعلّمين، وكأنّه أدرك بأنّه طرق موضوعات قد يصعب عليهم استيعابها. « الكتاب موجه إلى العلماء بالعربية واللّغويين السّاعين إلى معرفة بناء اللّغات المتعددة، مع الرغبة فيما لو كان بإمكان الطلبة الاستفادة منه، وتجاوز النّحو الوصفي، كما أعني كلّ أولئك الذين اضطرتهم مهنتهم إلى البقاء في بلد من البلدان العربية، فانطلقوا في شجاعة يتعلّمون اللّغة الأدبية، محاولين النّفوذ إلى عبقريتها».⁽²⁾ يحمل هذا القول مدحا للّغة العربية من جهة ومن جهة أخرى تلميحا أو تصريحاً بصعوبتها، بدليل أنّه وجّه العمل للعلماء والباحثين، وجعل دراسة اللغة العربية وتعلمها شجاعة، والشجاعة مطلوبة كما هو معلوم عند التّصدي لأمر خطير أو صعب للغاية.

أمّا ما يثير الانتباه في هذا العمل، فهو خوض المستشرق في تفاصيل، قد يغفل عنها العرب أنفسهم، فلو وقف الباحث على بعض الأفكار أو القضايا، لأمكنه الكشف عن موقف المستشرق من العربية. وهو موقف امتزج فيه المدح بالذمّ، حتى لا تكاد تستبين رأيه وموقفه الحقيقي -وهو منهج معظم المستشرقين- إذ كثيرا ما تجد في كتاباتهم المدح والإعجاب، وإذا بك تصطدم بأحكام ذاتية وقاسية عن اللّغة العربية أو عن علمائها، ولاسيّما القدامى منهم. ومما لفت الانتباه عبارة (نحو بناء لغوي جديد)، التي ظهرت في ترجمة الأستاذ (عبد الصبور شاهين) وهي توجي بنوع من النّقل، لما طرحه المستشرق من أفكار حول العربية، والتعامل مع اللغة العربية على أنّها من الممتلكات التي استولى عليها المستشرقون، مثلها مثل سائر المخطوطات والآثار، التي تملأ متاحف أوروبا، وهو عكس ما يذكره المترجم: «... وحسبك أن تذكر أنّه قدّم كتابه بقوله: هذا المؤلّف الصغير ليس دراسة لفقه اللّغة العربي، ولا هو بالنّحو الوصفي، إنّّه بعيد كلّ البعد عن هذه المجالات. فهو كما يدلّ اسمه مجرّد مخطّط، يتّصل بالأحداث البارزة أو بالقيمة العامة والخطوط

¹ - فليش، هنري. العربية الفصحى دراسة في البناء اللّغوي. تر: عبد الصبور شاهين. القاهرة، مكتبة الشباب، دت. دط. ص 17.

² - المرجع نفسه. ص 42.

الأساسية... إنه مخطّط يرمي إلى تقديم بناء لغوي جديد. السؤال الذي يتبادر إلى الذهن، هو: هل يمكن لعربي أن يؤلّف كتاباً بعنوان: (الفرنسية نحو بناء لغوي جديد)؟ وإذا ما حدث فكيف يستقبل الفرنسيون عموماً والباحثون بخاصة هذا العمل؟ وعن تعامله مع التراث، يقول المترجم « فأما المادة، فإنّها بداهة مستقاة من المراجع الأصلية القديمة التي عالجت قضايا اللغة الفصحى ابتداءً من كتاب سيبويه، وأهمّ ما في الأمر موقفه من هذه المادة، فهو لم يحاول أن يبتدع، أو أن يتلمّس المآخذ شأن كثير من الباحثين في تراث الأقدمين والناقدين لمناهجهم، وإنّما هو يحاول أن يبعث في القديم روحاً جديدة تبقى عليه أصالته، وتمنحه الحياة بمنطق علمي». (1) وهنا قد يلمس نوع من المجاملة من قبل المترجم، وسيتبيّن ذلك عند تناول بعض الآراء أو النظريات التي اعترض فيها على بعض القضايا النحوية والصرفية، وقدم بديلاً لها يوافق توجّهه.

أمّا استفاضته وتقصّيه التفاصيل، وذكره بعض الإحصاءات، فهذا ملاحظ في عمله، « واستطاع المؤلف في دراسته هنا، أن يستقصي استقصاء عجباً، جميع صور الكلمة العربية، حتى لتشعر أنّه قد طاف بجميع المعاجم والمظان اللغوية، ليستحضر هذه الشواهد النادرة على وجود صيغة أو أخرى فمحاويلته موفقة -دون شك- في هذا المجال، ونظرة إلى دليل الصيغ تقنعك بهذا، وإن كنا نجد مثيلاً لهذه المحاولة لدى بعض القدماء، كالسيوطي في المزهري، مع اختلافهما في المنهج الذي سيقى في إطاره الصيغ». (2) هذه خاصية لا يمكن إنكارها، إذ يحرص المستشرق في معظم الأحيان على ذكر الأرقام إلى جانب الظواهر التي يتناولها بالدراسة. « وهناك عدد كبير من الأصول نوات الصوامت الأربعة، أي الرباعية، وهي مسجلة في المعاجم، ولكن بعض الإحصاءات التي أجريت على النص القرآني كشفت عن وجود خمسة عشر أصلاً رباعياً فحسب، في مقابل 1160 أصلاً ثلاثياً...». (3) بالنسبة إلى المنهج بيّن المترجم أنّ المؤلف وظّف أكثر من منهج، وهو فعلاً ما يتّضح من تتبّع موضوعات الكتاب، « وأما المنهج، فقد استخدم المؤلف في كتابه، فيما يتعلّق بتقرير الظواهر النحوية بمفهومها العام -المنهج الوصفي القائم على الإحصاء، وطبّق بعض أفكار النحو الأوربي، حين أخذ بنظام السوابق واللواحق في تحديد شكل الكلمة، فعلاً كانت أو اسماً، كما طبّق بعض أفكار المنهج

¹ - فليش، هنري. العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي. ص 17.

² - المرجع نفسه. ص 76.

³ - المرجع نفسه. ص 17.

التاريخي والمنهج المقارن لإظهار علاقات اللغة الفصحى وتطوراتها، وبهذا جاء عمله متكاملًا تساعدت فيه كل المستويات المنهجية تقريباً⁽¹⁾. وقد وظف المنهج التقابلي الذي يقارن بين اللغات المنتمية إلى فصائل مختلفة، عندما قابل بين نظام العربية ونظام الفرنسية. ويكشف هذا القول مجدداً عن تأثر المستشرق باللغة الفرنسية عند الحكم على العربية. «... وبذلك يظهر لنا أنّ للتضعيف دوراً بنائياً في اللغة العربية، أما الفرنسي فإنّه يخضع لعاداته اللغوية، عندما يصادف كلمات ذات تضعيف، فهو يكتب الصوت المضعف هكذا (Dictionnaire, Grammaire)، ولكنه لا ينطقه على حين أنّ العربي، إذا فاتته ملاحظة التضعيف لا يعدّ نطقه غير دقيق فحسب؛ بل يكون غير مفهوم أيضاً⁽²⁾». وقد سُجّلت بعض الملاحظات، بشأن قضايا ذكرها المستشرق، قد تكون مرتبطة بالمنهج المنطلق منه، وقد تكون مرتبطة بعوامل أخرى.

- **صعوبة العربية:** « هذه العربية لغة صعبة، وتكمن إحدى صعوباتها، إن لم تكن أكبرها في حيث كانت قائمة على نموذج لغوي خاص، مختلف تمام الاختلاف عن ذلك النموذج الذي قامت على أساسه اللغات الأوروبية⁽³⁾. يمكن القول إنّ هذا الكلام غير منطقي ولا علمي، فمن البديهي أن تختلف أسس اللغة العربية عن أسس اللغات الأوروبية، وهذا ما يدخل في مميزات كل لغة، ولاسيما اللغة العربية. فأيّ إنسان قد يرى لغة الآخر صعبة، وهو المطالب بتعلمها واستيعاب نظامها، وليس من المنطق أن يُغيّر كل ما يجده صعباً فيها، لتتلاءم مع قدراته وميولاته.

- **مخالفة القدامى في بعض القضايا:** « ومن أوضح ما يمثّل لنا الاتجاه الوظيفي... موقفه من مصطلحي: (الماضي والمضارع)، فقد عبّر عنهما في كتابه بـ (accompli) و (inaccompli)، وأعرض عن استخدام الكلمتين الشائعتين: (présent)، و (passe)⁽⁴⁾. واقترح مصطلحي: (التام، وغير التام) أمّا مبرّره فمنطقه أنّ المصطلح، يجب أن يصاغ حسب وظيفة الفعل، إلّا أنّ المستشرق سجّل على مصطلح المضارع عدم الدلالة على وظيفة الفعل؛ وإنّما استمد تسميته من مشابهته لاسم الفاعل، عكس مصطلح الماضي، وهو ما جعله يسمي الماضي بالتام، والمضارع بغير التام، على أساس أنّ الماضي حدث وانتهى، والمضارع لم

1 - فليش، هنري. العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي. ص 19.

2 - المرجع نفسه. ص 78.

3 - المرجع نفسه. ص 41.

4 - المرجع نفسه. ص 27.

يحدث بعد، أو لم ينته⁽¹⁾ كما اعترض على الحالات الإعرابية ونظرية العامل، « ومن مشكلات الفعل العربي موقف المؤلف من الحالات الإعرابية للفعل، حيث يرى أنّ دلالة الفعل تشير إلى وظيفته في الجملة، وهو ما يجب أن يحدّد شكله الإعرابي...». وقد علّق المترجم على هذا: « وقد استقرّ حوارنا على تخصيص الرفع بحالة (الإخبارية)، وتخصيص النصب بحالة (الإنشائية)...»⁽²⁾ ما يلاحظ أنّ المترجم اقتنع باقتراح المستشرق، رغم أنّه عقّد بذلك ما كان بسيطاً ومبسّطاً، يكفي أن تتأمل المصطلحات التي اقترحها، للدلالة على المضارع حسب حالات إعرابه، حيث قابل المضارع المرفوع بـ (غير التام الإخباري) والمضارع المنصوب بـ (غير التام الإنشائي)، والمضارع المجزوم بـ (غير التام المجزوم) (1)، والتام المجزوم (2) بـ (غير التام الأمري)⁽³⁾. يبدو أن المستشرق صعب الأمور من حيث لا يشعر، وللقارئ أن يرجع إلى الكتاب، ليصطدم بأفكار كثيرة دخيلة على نظام اللغة العربية، لا يسمح المقام بالتوسع أكثر من هذا.

وهنا لا يمكن القول، إنه أراد بذلك الإساءة، ومما يُظنّ أنّه التبس عليه، قوله: «... ولنأخذ مثلاً الجملة: (le loup a mangé l'agneau)، (الذئب أكل الحمل)، فكلمة (le loup) مسند إليه كما نعلم لأنها تسبق الفعل، وكلمة (l'agneau) مفعول به مباشر، لأنها جاءت بعد الفعل، ويكفي قلب المواضع حتى يعكس المعنى أيضاً، (l'agneau a mangé le loup) (الحمل أكل الذئب). هذا التغيّر إذن هو الذي يبرز القيمة المحدّدة لموقع الأسماء بالنسبة إلى مواضعها»⁽⁴⁾. لم ترد إشارة في الترجمة إلى أنّ هذا الكلام مخالف لنظام اللغة العربية، إذ لا يقتصر معنى الكلمة على موقعها في الجملة العربية، ففي اللغة العربية تغيير موقع كلمة (الحمل) لا يغيّر وظيفتها، لأنّ القارئ يعلم أنّ الفاعل هو الذئب سواء أكانت الكلمة قبل الفعل أو بعده. فالمسند إليه هو الذئب في كل الأحوال، ومن خصائص العربية التقديم والتأخير، لأغراض بلاغية غالباً، يبدو أنّ هذا الالتباس حدث بسبب المقارنة وإسقاط نظام الفرنسية على العربية، وهما مختلفان كلّ الاختلاف.

كما ذكر أنّ الكلمات المنتهية بألف مقصورة أو ممدودة لا إعراب فيها، وهذا كذلك ليس من نظام اللغة

1 - ينظر: فليش، هنري. العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي. ص 28.

2 - المرجع نفسه. ص 28.

3 - ينظر: المرجع نفسه. ص 28.

4 - ينظر: المرجع نفسه. ص 81.

العربية، إذ تعرب هذه الكلمات بحركات مقدرة.⁽¹⁾ ومما ذكر في دراسة المستشرق تفضيل صيغة أخرى عوض صيغة (ف ع ل)، وهو قول يصعب تحليله بموضوعية، لذا سيكتفي البحث بإيراده، ويترك المجال للقارئ... وقد اختار النحاة العرب الأصل (ف ع ل) الذي يأتي منه الفعل (فَعَلَ). أما اللغويون الأوروبيون فيختارون بدلا منه غالبا الأصل (ق ت ل)، (الذي يأتي منه الفعل: قَتَلَ)، والغرض من ذلك تحاشي صعوبة النطق بالعين كما يتقادون بذلك احتمال التشابه في التسجيل... ونحن نستخدم هنا الأصل (ق ت ل)؟⁽²⁾ وكأن أفعال اللغة العربية كلها لم تُجد إلا بالفعل (قتل، ولا يوجد فعل آخر يمكنهم نطق حروفه جميعها، ويجد الباحث العربي في تصريحات الغرب ما يؤكد أن العرب يميلون في لغتهم إلى ألفاظ العنف.

2-1-1-6-2- نموذج لدراسات معاصرة: يعتبر المقال الذي نشره المستعرب بيير لاغشي (Pierre Larcher) بعنوان اللغة الفصحى حفريات لغوية لمفهوم (لسانيات إيديولوجية)، من الدراسات التي حاولت تشويه العربية، إذ تناول في القسم الأول من دراسته بعنوان (اللاهوت وفقه اللغة في الإسلام)، وهنا ينسب الإسلام إلى العصر الوسيط، وكأنه لكل عصر إسلامه؟ (la théologie et la philologie dans l'islam médiéval)، رجع فيه إلى أصل تسمية اللغة الفصحى، وأنها جاءت من صيغة أفصح اللغات العربية، وهي تختار لغة قريش، وتصفها بأفصح اللغات لا على أسس لغوية؛ بل على أسس دينية (لغة مقدسة).⁽³⁾ وهنا حلل الأستاذ بيير الموضوع بطريقة تجرد اللغة العربية من أي خاصية لغوية، توهمها لتكون لغة علم وحضارة، وإن كان قوله إنها لغة مقدسة في الحقيقة، لا يزيدها إلا قوة وصمودا، فثباتها من ثبات كلام الله عز وجل، لكنه لا يهدف إلى ذلك بالطبع، وإنما يهدف إلى تجريدها من مقومات اللغة الحية الصالحة لبناء الحضارة، وهو يعلم أن هذه اللغة، التي جعلها لغة طقوس، حملت الحضارة وأشرق بها نور العلم على العالم، وليس على العرب والمسلمين فحسب؛ بل وعلى الغرب بشهادة الغرب قبل الشرق. أما القسم الثاني: فتناول: (الإيديولوجية واللسانيات في العربية في العصر الحديث) (idéologie et linguistique dans le domaine arabe à l'époque moderne) يواصل الأستاذ تأكيد فكرته، القائمة على ربط العربية بالجانب العقدي والديني في العصر الحديث

¹ - ينظر: فليش، هنري. العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي. ص 86.

² - المرجع نفسه. ص 79.

³- Voir Larcher, Pierre. « AL-Lugha al-fuḥṣā : archéologie d'un concept » idéolinguistique ». in revue des mondes musulman et de la méditerranée, 124, novembre 2008, Langues et religion et modernité dans l'espace musulman, université de Provence, p265, 266, 267, 268, 269. Journal.openedition.org/remmm/6035. Le 29/05/2020.

ويرى أنّ أنسب مصطلح يعبر عن هذا الموضوع، هو اللسانيات الإيديولوجية (idéo linguistique). يؤكّد في خاتمة مقاله نقطتين؛ تتمثّل الأولى في طغيان لغة العامة، وهي اللّغة العاميّة، وقد فرضت نفسها بوصفها لهجة، بالمقابل اللغة الفصحى، التي لا تظهر إلّا مرتين بوصفها تسمية للفصحى أمام مجموعة أخرى من التّسميات: لغة الكتب أو الكتابة، واللغة الأصليّة، واللغة القديمة، ولغة مضر واللّغة المضريّة، (كل التّسميات التي تؤكد قدم اللّغة)، واللغة الصّحيحة والفصيحة (تسميات تؤكد صحتها أو سلامتها)، ولغة الخاصة. والخطر في الأمر أنّه يربط مجددا اللغة الفصحى بالقرآن الكريم أمّا العامية فيجعل منها لغة الوطن العربي، والذي أطلق عليه تسميتين (islamo centrée) و(arabo centrée)، بمعنى المتمركز على الإسلام والمتمركز على العربيّة، وفي هذا تقسيم؛ بل تشتيت واضح يجعل من اللغة العربيّة، تعيش صراعا مفتعلا يتصارع فيه قطبان، المدافع عن القرآن ويقصد به الدين والمدافع عن الوطن وكأنّهما شيئان مختلفان؟ ولا يفوّت الفرصة، حين يشير إلى المقاومة والصدّ اللّذين يُواجه بهما كل مدافع عن اللّهجة، بحجة أنّه هجوم على الإسلام، وهجوم على وحدة الوطن العربي. مؤكّدا أنّ الأمر يزداد، إذا كان هذا المدافع أجنبيا واستشهد بمصر، والرّد الذي تلقاه كل من ولهم سبيتا (Wilhelm Spitta)، ووليام ولكس (William Willcocks). والذي ألقى محاضرة (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين).⁽¹⁾ عمل فيها على ربط تخلفهم باللغة العربيّة، وحاول إقناعهم بالتخلي عن العربيّة وحرفها العربي، وهنا يستنكر الباحث صنيع هؤلاء الذين اعترضوا على هذه الدعاوى.

وأخر ما يقف عليه، هو التّصريح بأنّ اللغة الفصحى مفهوم مثير للجدل، وليست واقعا لغويا صافيا؛ بل حقيقة إيديولوجية، ولهذا يقترح إدراجها ضمن اللسانيات الإيديولوجية.*⁽²⁾ وهو يكشف بهذا عن رغبته في تحويل اللغة العربيّة إلى مفهوم جدلي يثير الصراعات أكثر منه لغة تحمل حضارة وتجمع بين الشعوب، والجميع يعلم أنّ الواقع عكس ما قدّمه الأستاذ الباحث، ولئن كانت الموضوعية هي أكبر إنجاز يدّعيه الغرب، فإنّه بهذه الأعمال أوّل من يهدمها، وليست العربيّة هي اللغة الوحيدة التي تفرعت عنها لهجات، فلماذا لا يُثار هذا الإشكال في اللغات الأخرى، وإذا تعلّق الأمر بالعربيّة تتحوّل إلى

¹- Voir Larcher, Pierre. « AL-Lugha al-fuḥṣâ : archéologie d'un concept « idéolinguistique », p274, 275.

* «Venant ainsi rappeler qu'à l'époque moderne comme à l'époque médiévale, le concept polémique (il pose en s'opposant) et par suit qu'il n'est pas une catégorie purement linguistique mais tout autant idéologique, ce pour quoi nous proposons de l'appeler idéo linguistique »

²- Voir Larcher, Pierre. « AL-Lugha al-fuḥṣâ : archéologie d'un concept « idéolinguistique », p 275.

قضية كبرى؟ كما « شغلت قضية اللغة والعرق والعقلية بال علماء اللغة في القرن التاسع عشر، إذ حاولوا تحت تأثير علم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا أن يجدوا علاقة بين اللغة وبين عقلية الشعب الذي يتكلم هذه اللغة أو تلك... وجميعنا يذكر ارنست رينان وحكمه القاسي على الشعوب السامية وعقليتها وصفاتها الخلقية بناء على درس العبرية بوجه خاص»⁽¹⁾. ما يمكن قوله هنا هو أنه رغم وجود دراسات تناولت اللغة العربية بطريقة موضوعية، إلا أن بعض المستشرقين يشتركون في نظرة سلبية نحو اللغة العربية تتوارى خلف مدحهم المعلن.

إنّ تتبّع آراء المستشرقين الفرنسيين حول اللغة العربيّة، سواء من خلال الدراسات العربية أو من خلال كتاباتهم هم أنفسهم، تكشف عن ازدواجية في المواقف وغموض، تلمسه عند امتزاج المدح بالذمّ، إذ كثيرا ما تتوارى حقيقة مواقفهم خلف النظريات والمناهج، إلا أن هذا لا ينفي وجود مستشرقين أحبوا اللغة العربية، كيف لا وهي لغة حيّرت الباحثين والعلماء، في بقائها كلّ هذه الأزمان محافظة على نظامها اللغوي ومجازها واشتقاقاتها، وغيرها ممّا عجب له المستشرقون وأعجبوا به، وهي حقيقة لم يتمكنوا من إنكارها، رغم كل شيء. أما المواضيع التي امتدح فيها المستشرقون اللغة العربية فكثيرة، سترد بعض المقطعات منها، ما أورده الباحث عبد الحميد الشوربجي، (فهذا هو المستشرق الفرنسي (ت. ج. دي. بور) يمدح اللغة العربية ويفضّلها على اللاتينية والفارسية، حيث يقول: (وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة المفردات ووفرة في صور التعبير، وبما في طبيعتها من قبول للاشتقاق، خليفة بأن تتبوأ مكانها بين لغات العالم ولو قارناها باللغة اللاتينية في ثقلها وقلة مرونتها أو باللغة الفارسية في فرط إسهابها لوجدناها تمتاز عليهما، بما فيها من صور لفظية قصيرة، تدلّ على المعاني المجردة، وهذه خاصيّة عظيمة النفع في ممارسة العلوم).⁽²⁾ وهي شهادة للمستشرق تصحّح فكرة خاطئة، طالما نشرها بعض المستشرقين، وهي عدم صلاحيتها للعلوم وقد كانت لغة العلم.

يقول جيرار لوكونت (Gérard Lecomte): « يبقى أنه حاليا من غير المجدي، التفريق بين العربية الفصحى والعربية الحديثة لأسباب بيداغوجية... النتيجة هي أن العرب جميعهم يملكون لغة

¹ - فريجة، أنيس. نظريات في اللغة. ص 27. نقلا عن ارنست رينان.

² - ينظر: الشوربجي، عبد الحليم. الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين حول العربية. ص 57. عن تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت. ج. دبور، ترجمة وتعليق محمد عبد الهادي أبو ريّة. ص 55، 56.

مكتوبة مشتركة، وما زالت تحافظ على نظامها هي لغة القرآن، لكن تتحدث مجموعة لهجات تشكّل اختلافات كبيرة بينها...»⁽¹⁾ يعكس هذا القول موضوعية المستشرق مقارنة ببعض المستشرقين، إذ تحدّث عن وجود عربية فصحي واحدة، أمّا الاختلاف، فلا يظهر إلّا في العاميات، وهذا أمر واقع في اللّغات جميعها، فالفرنسية مثلا تتفرّع إلى لهجات تختلف من منطقة إلى أخرى، والسؤال الذي يتكرّر لم يُسكت عن هذا الأمر ويُقبل، في حين يتحوّل إلى ظاهرة إذا تعلّق الأمر باللغة العربية؟

ومما قاله فانسان مونتاي: « لقد احتفظ العرب بعادات تفكير يصعب عليهم التخلي عنها. فلقد رأينا كيف أنّ قوميتهم، هي في ذات الوقت ذات طبيعة لغوية وثقافية أساسا. والحال أنّ لغة الإسلام القديمة ليست أداة دقيقة. إنّ الميل للشكل قد طغى دائما على المتطلبات العميقة. صحيح أنّ هذا الأمر قابل للتغيير شريطة تحاشي الانغلاق على النفس. وفي هذا الاتجاه، إنّ التدريس بالعربية وحدها، أمر ممكن على الصعيد التقني ولكنه قد يؤدي إلى الإفكار وانحدار المستوى الثقافي. فالثقافة العالمية ذات تعبير عربي شيء مستحب ومأمول وقابل للإنجاز. بيّد أنّ شروط نجاحها مرهونة بالطريقة والدقة والصرامة »⁽²⁾ يحمل هذا القول نظرة مزدوجة فمن جهة يؤكد قدرة اللغة العربية على التعبير عن الأمور التقنية، وبالمقابل يوحي بالصّرر الذي قد يتسبب فيه ذلك، وهنا يكمن الغموض في موقف المستشرق.

2-7- الاستشراق الفرنسي والقرآن العظيم: لم يفرّق المستشرقون في حقيقة الأمر بين الإسلام

والعربيّة، ذلك أنّهم أدركوا منذ البداية استحالة الفصل بينهما، ليس لأنّ الإسلام لا يكون دون عربية فحسب وليس لأنّه لا عربيّة دون إسلام كذلك؛ بل لأنّ الله عزّ وجلّ شاء أن تقترن اللّغة العربية بالإسلام لتُبعت بهما معا حضارة الأمة الإسلامية، وتشعّ بنورها على العالم أجمع، وهذا لا ينفي وجود شعوب عربية غير مسلمة، ولا شعوب مسلمة غير عربية، إلّا أنّ قمة الحضارة الإسلامية لن تتحقّق إلّا باجتماعهما، وهو ما حاربته الغرب ويحاربه بكلّ ما أوتي من قوّة، بمحاولة إضعاف العربية وإقصائها تارة وبإثارة الشّبهات حول بعض القضايا الدّينية والعقدية تارة أخرى، لإدراكهم هذه الحقيقة.

كثيرا ما تعامل الاستشراق الفرنسي مع الإسلام بطريقة ذاتية، حيث خصّص دراسات كثيرة شملت القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، والفرق الدّينية، وكلّ ما له صلة بالدّين في العالم الإسلامي

¹ - Lecomte, Gérard. grammaire de l'arabe, que sais je ?. p 7.

² - عياش شماني، فاطمة. المستشرقون واللّغة العربية فانسان مونتاي نموذجا ترجمة ودراسة. ص 188.

بما فيه بعض الطرق الصوفية المنحرفة، كما جعل بعض الطقوس والعادات العربية جزءاً لا يتجزأ من الإسلام، وهو بريء منها. لا يسمح المقام بعرض دراساته جميعها، وإنما سيقصر على إشارات ومقتطفات لدراسات قرآنية، لما يمثله القرآن العظيم من قداسة لدى المسلمين، ولارتباطه باللغة العربية إذ لا يمكن الحديث عن قرآن بلغة غير العربية، وشرف اللغة العربية تستمد من كونها لغة هذا الكتاب المبين ذي المنهج القويم. لم يقل اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالقرآن الكريم عن غيره من الموضوعات إذ لقي اهتماماً كبيراً منذ وقت مبكر، «... وكان القائم بالأعمال الفرنسي في مصر أندريه دوريه (André du ryer) يعرف هذه اللغة معرفة طيبة، فكان أول من نقل القرآن إلى الفرنسية، وأرفق به... (مختصر في دين الأتراك)، وظهرت ترجمته غير الدقيقة أولاً سنة 1647 ... حتى أزاحتها ترجمة سفاري (Savary)»⁽¹⁾. يعتبر الاستشراق الفرنسي من أكثر المدارس الاستشراقية، اهتماماً بالقرآن العظيم وقد تناوله عدة باحثين وسبقت الإشارة إلى بعض الترجمات للقرآن الكريم، وها هو ذا البحث يقف على مميزات هذه الدراسات الاستشراقية وأهدافها، من خلال دراسة الباحث أحمد نصري الذي أشار إلى أن من أهم أهداف الاستشراق الفرنسي من دراسة القرآن الكريم، «الحيولة دون تسرب مبادئ القرآن وأفكاره إلى بني جلدتهم، فنقد التوراة والأنجيل مصداقيتها ومشروعيتها، الثاني: التقليل من قيمة القرآن، والتوهين من شأنه عند المسلمين حتى يتمكنوا من تنفيذ مخططاتهم الصليبية الغربية والصهيونية العالمية، ولقد أشار جلاستون إلى هذه الحقيقة، في قولته المشهورة: ما دام هذا القرآن موجوداً، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون في أمان...»⁽²⁾. إلا أن هناك من ينفي وجود خلفيات أو نوايا تسيء إلى القرآن الكريم، وأن شأنها شأن الدراسات الأخرى، التي عُنت بالأدب والتاريخ، وغيرها من الموضوعات العلمية والإنسانية، لكن المؤكد أنه يستحيل، لمن لا يؤمن بقديسه أن يدرسه بموضوعية ودون أن يتأثر بمعتقداته وثقافته بقصد أو بغير قصد.

¹ - فوك، يوهان. الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين. تر: بحيري سعيد حسن، محسن الدمرداش. القاهرة، زهراء الشرق 2006. ط1. ص 164.

² - نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. ص2. عن مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية. ص 40.

ومن جملة المستشرقين الفرنسيين الذين تناولوا القرآن الكريم، إما في مؤلفات كاملة أو في جزء من دراستهم، مونتيه إدوارد* (E. Montet) (1856-1927)، حيث ترجم معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية سنة 1825م، ونشر كتابا حول الإسلام وتناول في مقدمة ترجمته شخصية النبي محمد ﷺ وتاريخ القرآن ويبدو أنه تميّز بنوع من الاعتدال مقارنة بغيره من المستشرقين الفرنسيين. أشار كذلك المستشرق هنري ماسه** (H. Massé) (1886-1969) في كتابه (الإسلام) إلى القرآن الكريم.

ومن أكبر المستشرقين الفرنسيين اشغالا بالقرآن الكريم المستشرق بلاشير (Régis Blachère)*** (1900-1973م)، الذي أصدر ترجمتين، رتب السور في الأولى حسب النزول سنة 1949م، والثانية صدرت سنة 1957 حسب الترتيب الأصلي للسور، وألف كتابا سماه (معضلة محمد) (le problème de Mahomet). أصدر بعدها كتاب (المدخل إلى القرآن) (Introduction au Coran)، ويعدّ كتابه القرآن (LE Coran)، أهم عمل في مجال الدراسات القرآنية الاستشراقية، وتناول فيه سبعة موضوعات: تكوين المصحف وتدوينه، الرسالة القرآنية في العهد المكي، الرسالة القرآنية في العهد المدني، الواقعة القرآنية وعلوم القرآن، التفسير القرآني أصوله وأغراضه، القرآن والسنة مصدرا العقيدة والشريعة في الإسلام القرآن في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي. تميّز حسب الباحث (أحمد نصري) بالشمول والجرأة.

أما المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون (M. Rodinson) (1915-2004) فينتهي إلى المدرسة المادية التي تعادي كلّ ما هو روحاني، وبالأخصّ الدّين، وقد تعامل مع القرآن الكريم بوصفه وثيقة

* مستشرق فرنسي ولد بليون من أصل سويسري، أحرز لقب دكتور في اللاهوت البروتستانتي من جامعة باريس 1883م، وفي عام 1885م عين أستاذا للعربية والآرامية والعهد القديم في جامعة جنيف، ثمّ أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام سنة 1894م، ورأس تلك الجامعة (1810-1910)، وانتدبته الحكومة الفرنسية في بعثتين علميتين إلى المغرب (1901-1910)، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ نشأته.

** مستشرق فرنسي عمل مديرا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذا بجامعة الجزائر (1916-1927)، ومديرا للمدرسة الوطنية للغات الشرقية سنة 1927م، وعضوا في مجمع الكتابات والآداب والمجمع الإيراني سنة 1938م، والمجمع العلمي بدمشق وانتدبته الحكومة للعديد من المهام الثقافية، واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.

*** ولد المستشرق ريجيس بلاشير 30 جوان 1900م بمونروج في ضواحي باريس، هاجر إلى المغرب سنة 1915م، حيث عمل والده في الإدارة المحلية، درس العربية في ثانوية الدار البيضاء لدى هنري ماسي. سافر إلى الجزائر بعد حصوله على البكالوريا لمواصلة تحصيله العلمي في الجامعة، تحصل على الليسانس في اللغة العربية سنة 1922م، وشهادة التبريز سنة 1922م. عين أستاذا في مدرسة مولاي يوسف بالرباط إلى غاية 1929م، ثم باحثا بمعهد الدراسات المغربية العليا في الرباط. عاد بلاشير إلى فرنسا سنة 1935م، ليدرس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الشهيرة بباريس. ناقش رسالة الدكتوراه في جامعة السربون حول المتنبي، ترقى إلى درجة أستاذ كرسي الألب العربي في العصر الوسيط في جامعة السربون إلى غاية تقاعده سنة 1970م. وخارج هذا المجال عمل مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية التابع لأكاديمية العلوم من 1956-1965م، وشارك في تأسيس جمعية تطوير العلوم الإسلامية، وعين عضوا في أكاديمية العلوم جوان 1972م، وواصل نشاطه إلى أن وافته المنية في 07 أوت 1973م. ممّا عُرف عنه الدعوة إلى الاعتراف بحقوق الجزائريين والتونسيين والمغاربة.

تاريخية، وأنه نتاج لا وعي محمد ﷺ وهو كلام بشري عادي⁽¹⁾ والنتيجة التي توصل إليها الباحث في الحقيقة، أنت متغامرة مع الواقع والمنطق إلى حد بعيد، «...فإننا نقرر في يقين جازم أن السمة المهيمنة التي تنتظم فيها آراء المستشرقين -فكريا ومنهجيا- هي التصدي للقرآن الكريم، وقد يبدو هذا الجزم منطويا على شطط في المغامرة، ولعله يبدو مصادما للروح العلمية التي ينبغي أن تتحلى بها الدراسات الاستشراقية، هذه الروح التي من شروطها الحذر والحيلة، وتجنب الأحكام المطلقة. ومعظمهم يميل نحو التفسير المادي للوحي، وأنه عمل بشري محض، وهو عبارة عن أحداث تاريخية أو مجموعة من الوقائع الاجتماعية».⁽²⁾ تعدّ الكتب السماوية من أكثر الموضوعات التصاقا بذاتية الإنسان وهويته؛ إذ يصعب إقصاء ذاتية الباحث، والنظر إلى كتاب معارض لعقيدته نظرة حيادية، كما لا يُنتظر من مسلم يدرس التوراة أو الإنجيل أن يكون موافقا ومصدقا لكل ما جاء في الكتابين، مع أنهما كتابان مقدسان إلا أن عقيدته تمنعه من التعامل مع الكتابين بموضوعية مطلقة فلا يمكنه تجاهل أنهما محرّفان، وهو أمر لا يتفق مع معتقدات الباحث اليهودي أو المسيحي وهذا ما يؤكد أن الموضوعية ليست ممكنة إلا بقدر محدود، وهذا القدر يحدده نوع المجال والموضوع الذي يتناوله الباحث، وكذا شخصيته، وخلفياته ولاسيما العقديّة منها.

حاول الباحث (أحمد نصري) البحث عن الخلل في تحليلات المستشرقين ودراساتهم، وتوصل إلى أن « المشكلة الأساسية لآراء المستشرقين، هي انطلاقها من مسبقات فكرية، ومحاولة الاستدلال عليها بأي شيء، كيفما كانت حالته العلمية، المهم أن يخدم الغرض الذي من أجله أثير ذلك الموضوع القرآني».⁽³⁾ من أكثر الموضوعات التي تقف الموضوعية أمامها عاجزة الموضوعات الدينية لأن الدين في الحقيقة جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان وهويته، ومن المستحيل أن يضعه جانبا ويتناساه، وهو يدرس أي موضوع مهما كان. ولهذا فاللوم لا يقع على المستشرق الذي يتحدث عن القرآن الكريم؛ بقدر ما يتوجّه إلى الباحث المسلم الذي تبني هذه الأفكار دون نقد أو تمحيص.

¹ - ينظر: نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. ص 9، 10، 11، 12.

² - المرجع نفسه. ص 242.

³ - المرجع نفسه. ص 248.

ومما يؤكد اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالقرآن الكريم؛ بل يعد من أولى اهتماماتهم، الفهرس الذي وضعه دوسلان للمخطوطات العربية الإسلامية؛ في المكتبة الوطنية بباريس، الذي افتتحه بـ (القرآن-تفسيرالقرآن-الأحاديث-الفقه-علم الكلام-التاريخ-السيرة-علم الكون والجغرافيا- الموسوعات- الفلسفة- الأخلاق العامة-الإدارة- الرياضيات- الميكانيك- الموسيقى- الفلك-التقويم- النجوم- العلوم الخفية (السحر، والكيمياء السحرية-التاريخ الطبيعي-الزراعة-البيطرة وعلم النخيل-الفروسية والطرده وفن الحرب- الطب-...-الشعر:-الدواوين والقصائد-المجموعات والمختارات -القصص الخيالية: - الحكايات والخرافات الحكمية والقصص المختلفة-القصص والروايات-قصص الفروسية-المقامات الأمثال والحكم- فقه اللغة: بشكل عام، النحو، المعاجم- البلاغة- الإنشاء-العروض-كتب المصادر (البيبلوغرافيا).⁽¹⁾ يكفي تأمل الترتيب الذي صنفت وفقه الموضوعات لمعرفة درجة الاهتمام ونوعيته كما هو واضح فالدين الإسلامي حظي بمرتبة الشرف، وهذا يعكس الأبعاد المختلفة للاستشراق الفرنسي الذي حاول إقناع المسلمين أنه يسعى إلى خدمتهم، ولم يكن همهم يوما غير خدمة مصالح الفرنسيين.

3- الاستشراق الفرنسي وأثره في العالم الإسلامي العربي:

تبين أن الاستشراق الفرنسي كان من بين أكبر المدارس انشغالا بالعالم الإسلامي، وفي الآن ذاته الأكثر تأثيرا فيه، سواء أكان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهو تأثير شامل ومتواصل إلى يومنا هذا. ستكون هذه المحطة التفاتة إلى بعض التأثيرات والآثار في الجزائر بخاصة، والعالم الإسلامي العربي عموما.

3-1- أثر الاستشراق الفرنسي في المجتمع الجزائري: بعد التعرف على بعض نقاط التأثير على اللغة العربية، من حيث إسقاط مناهج الغربيين عليها، سيقف البحث عند تأثيرات أخرى أشمل منه بدءا باللغة، ووصولاً إلى طريقة التفكير ورؤية الذات والآخر، وهو لاشك أخطر بكثير، وإن كان التأثير في اللغة لا يقل خطورة، بوصفها الوعاء الحامل لهذا الفكر، إلا أن محاولة التأثير في اللغة العربية يمكن تجاوزها، بتعاون أهل هذه اللغة من العلماء والباحثين وغيرهم، والتفافهم حولها للنهوض بها وتخليصها من شوائب قد علقت بها.

¹ -المقداد، محمود. الدراسات العربية في فرنسا. ص 57، 58.

ستكون مجرد إشارات إلى بعض المجالات، التي ترك فيها الاستشراق الفرنسي أثره إلى يومنا هذا، سواء على المستوى التعليمي والعلمي أو الاجتماعي أو الثقافي، « تعرضت الجزائر لعملية مسح كبيرة كان هدفها الأول؛ تغيير قلوب الوطنيين ضمن خطة تبشيرية استشرافية خطيرة، وكان القصد من هذا كله؛ هو تحويل الجزائري من عربي مسلم يقف عند حدود دينه ويلتزم بعقيدته، ويحترم تراثه وفكره إلى إنسان تائه وضائع وسط زحام الحضارات والأفكار والمعتقدات، لا يدري أين قبلته ... فساعتها يجد نفسه مضطرا، لأن يطلب العون والخبز من فرنسا، ويلتمس بين ذراعيها الحماية والأمان».⁽¹⁾ وبما أن التعليم هو ركيزة المجتمعات، فقد اتخذت فرنسا سياسة خطيرة في هذا المجال وقد سبق الحديث عن التعليم في الجزائر، وهي عينة ممثلة للعالم الإسلامي العربي، وتبين أن العمل الاستشراقي تحت إشراف الإدارة الفرنسية، تسبب في توجيه النظام التربوي التعليمي ليتماشى مع أهداف فرنسا، التي عملت على إقصاء اللغة العربية، وإبعاد الجزائريين عنها، فكان التعليم باللغة الفرنسية، والعكس بالنسبة إليهم، إذ كانت اللغة العربية محط اهتمامهم. كما أن الفئة الجزائرية المستفيدة من التعليم، كانت قليلة جدا. وهذا ما يدخل في سياسة تجهيل الشعب الجزائري.

أما الآثار المترتبة عن ذلك، فلا تزال ممتدة إلى اللحظة، إذ عانى معظم الجزائريين غداة الاستقلال من الأمية، وكانت الفئة المتعلمة قليلة مفرنسة ومعربة، وهو ما فرض على الجزائريين مواصلة التعليم بالفرنسية ومحاولة التعريب بالتدريج، ونجحت الجزائر في تعريب التعليم، إلا أن تعليم المواد العلمية والتقنية ولاسيما في الجامعة بقي بالفرنسية، فقد تمكنت فرنسا بمساعدة المستشرقين الفرنسيين وغيرهم من ربط اللغة العربية بالدين والأدب إلى حد بعيد، وكأنتهما المجالان الوحيدان اللذان تصلح لهما، ومن هنا بدأت قصة تراجع اللغة العربية على المستوى التعليمي والعلمي، حيث ترسخت هذه الفكرة في عقول الكثيرين، وتحولت إلى قناعة وحقيقة لا يمكن ردّها أو مناقشتها.

ورغم مرور أكثر من نصف قرن، إلا أن الآثار تزداد رسوخا وتأثيرا، يظهر ذلك فيما يشهده التعليم في مستوياته المختلفة، إذ بعد أن خطت الجزائر خطوات في تعريب التعليم على مستوى الابتدائي والمتوسط والثانوي، يشهد هذا المجال حاليا تراجعا، ولاسيما في المجالات العلمية، حيث كان تعليم الرياضيات والعلوم المختلفة بالحروف العربية، في حين وجد المتعلم نفسه يكتب الرموز الرياضية

¹ - بن حمو، محمد. دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. ص 134.

والكيميائية والفيزيائية وغيرها بالحروف اللاتينية (الفرنسية)، ويقوم بالعمليات الحسابية من اليسار إلى اليمين، واتّخذوا لذلك حججا كثيرة، أكثرها مرتبطة بتحضير المتعلم للتعليم الجامعي المفرنس، وهو في الحقيقة أمر لا تفسير له، فقد درست أجيال وأجيال بالعربية، وتفوّقت على مستوى العالم أجمع، والعلماء والأطباء والباحثون في جميع المجالات العلمية المنتشرون في أنحاء العالم لخير دليل، وهذا ناتج عن تطبيق المناهج الفرنسية التي تعكس استمرارية الاستعمار الفرنسي بشكل مباشر وغير مباشر.

أفرزت السياسة الفرنسية الاستعمارية، بمعية جنودها من بعض المستشرقين تغييرات في البنية على المستوى الاجتماعي والثقافي، حيث (قُسّم المجتمع الجزائري إلى أربع فئات: فئة الشيوخ ممّن يطبقون الإسلام وراثيا، فكرهم تقليدي مستسلمون لكل ما يحدث، وفئة الشباب الأميين يشتغلون بالزراعة وفئة الشباب المثقف بالثقافة الفرنسية تأثروا بالثقافة الغربية الفرنسية واقتنعوا أنّ النجاح والتطور لا يكون إلاّ بهذه الثقافة. أما فئة الشباب المثقف بالثقافة العربية الإسلامية، الذين تأثروا بجمعية العلماء المسلمين فيرون الحلّ مع الإسلام واللغة العربية، إلاّ أنّها فئة مضطهدة، وليس لها تأثير كبير).⁽¹⁾ ويمكن القول إنّ التقسيم نفسه مستمر إلى يومنا هذا. إذ يشهد المجتمع الجزائري فئات مختلفة من حيث الفكر السائد هناك فئة مشغلة بالحياة اليومية وحاجاتها الدنيوية، وفئة تحاول التمسك بالمبادئ الإسلامية وقيمه والدفاع عنها، وهي فئة تعيش بين مدّ وجزر. وفئة أخرى تشبعت بالثقافة الفرنسية تسعى إلى إحكام سيطرتها على معظم الميادين، ولاسيما منهم الشباب « إنّ الجيل الفرنسي الجديد الذي تلقى كلّ معلوماته المتعلقة بالبلاد الإسلامية وخاصة بالجزائر من المستشرقين يعتقد أمورا لا حقيقة لها في أرض الواقع ومن ذلك أنّ الجزائر قطعة من فرنسا، ويجب أن تعود إليها في يوم ما، وأنّ أهلها لا ينتمون إلى عائلة الإنسان المتحضّر... وما فتئوا يرددون أن فرنسا هي ربّة النعمة التي أنقذت الجزائر وأخرجتها من قافلة الفقر والتخلف». ⁽²⁾ وهي الفكرة التي يدعون إليها ويحاولون ترسيخها في عقول الشباب، الذين صار معظمهم يمجّدون فرنسا، ويتمنون قطع البحار للوصول إليها، وريثما يحدث ذلك فهم يقلّدونها، فتجد الجزائري يتحدّث بلسان فرنسا ويفكر بمنطقها. وهذا من آثار الاستشراق الفرنسي، « إنّ جلّ الدّراسات الاستشراقية المتعلقة بالجزائر كانت تهدف إلى تسويق الوجود الاستعماري، وهي تؤكد دائما على أن

¹ - ينظر: بن حمو، محمد. دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. ص 252، 253.

² - المرجع نفسه. ص 268.

الاستعمار الفرنسي للجزائر ضروري جدا، لأنّ دور الاستعمار يصبح جليلا شريفا إذا كان غرضه تنمية الإمكانات الاقتصادية والخبرات التي وفرتها طبيعة هذا البلد، خصوصا إذا كان العرب غير قادرين على التّحكم في هذه الموارد والخبرات، وتؤكد هذه الدراسات على أنّ المسلم ضعيف الهمة لا يستطيع مواجهة العقبات والصعوبات... فيسلم كل ذلك إلى العناية الإلهية، فهي وحدها القادرة على حلّ مشاكله، وهكذا فإنّ الغاية الصريحة من هذه الدراسات جميعها، تكمن في إقامة الحجة على أنّ المسلمين غير مؤهلين، لأن يستغلوا خيرات بلادهم، وعليه فإنّ الوصاية عليهم وحدها، كفيلة بالنهوض بهم». (1) نتج عن معظم الأعمال الاستشراقية مدرسة جزائرية فرنسية تُخرّج مدافعين عن فرنسا ودعاة لأفكارها.

ومن الدّراسات المعاصرة التي تؤكد أنّ تأثير فرنسا بالجزائر لا يزال مستمرا، « تلك الأطروحة التي قام بها باحث فرنسي، وهو فرانسوا كوربييه، (François Corbier) حول المدارس الفرنسية في تيزي وزو، والتي نشأت في البداية بطريقة غير شرعية، ثم أخذت طريقها إلى التّرسيم، يحدّثنا الباحث عن أهم النتائج التي توصّل إليها من خلال بحثه، والتي تتمحور حول فقدان الهوية لدى الطالب الجزائري، جراء إحاطته بمحيط فرنسي، فهو يرفض اللغة العربية، والتاريخ، وكل ما هو دين، فيعيش هؤلاء نوعا من الاغتراب، سواء المهاجرون منهم أم الباقون». (2) واختيار ولاية تيزي وزو يؤكّد تمسّكهم بفكرة التّفريق بين القبائل والعرب في الجزائر، وإبراز قرب القبائل منهم، لكونهم أكثر قابلية للتّحضر بوصفهم أكثر تفاعلا مع فرنسا، والدّراسات المهتمة بالجزائر والعالم الإسلامي العربي ككل كثيرة وتشمل المجالات جميعها، ولاسيّما الآداب والفنون والسياسة. يكفي للتأكد من ذلك، الاطّلاع على نشاطات معهد العالم العربي بباريس. أما المركز الثقافي الفرنسي بالجزائر فيهدف إلى غرس وتجذير هذه الثقافة الفرنسية في الجزائر، فالمتجول داخل هذا المركز يُخيّل إليه أنّه فعلا في فرنسا، فترى جزائريين بثوب فرنسي وسلوكات فرنسية.

¹ - بن حمو، محمد. دور التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. ص 154.

² - Corbier, François. les écoles « françaises » de Tizi-Ouzou émigration, politique et francité en ALGERIE. thèse de doctorat. université d'Aix -Marseille- université Provence, décembre 2011. P 249.

كلّ هذا انعكس على أفكار بعض الجزائريين، إذ هناك مفاهيم قُلبت رأساً على عقب، فصار بعضهم يضع العربية والفرنسية في كفة واحدة، « يقول سليمان بن عيسى: * اللّغتان المكتوبتان هما العربية الفصحى والفرنسية، وكلاهما ليس اللغة الأمّ لأيّ شخص، نعيشهما عن وعي أو غير وعي باعتبارهما لغتان أجنبيّتان، ظهرت الفصحى مع انتشار الإسلام في الجزائر، وظهرت الفرنسية بعد الاستعمار الأولى (العربية) لغة مقدّسة، والثّانية دنيويّة...»⁽¹⁾ تعكس هذه المقولة تأثراً واضحاً بالفكر الغربي، كيف لا، وهو يجعل اللّغة العربية واللّغة الفرنسية في الدّرجة نفسها، فهو يرى أنّهما لغتان أجنبيّتان، وهذا مخالف للواقع، فالعربية جاء بها الإسلام وتبناها المسلمون طواعية؛ بل وخدموها، والدّليل على ذلك المؤلفات الكثيرة للأمازيغ؛ منها الأجرومية وغيرها.* أمّا الفرنسية، فقد جاء بها الاحتلال الفرنسي وفرضها على الأهالي قسراً وجبراً، ولم يُسمع عن أمازيغي أو عربيّ ألف كتاباً أو كتباً في الفرنسية للفرنسيين فاشتهر بينهم -في حدود العلم- وللقارئ الكريم أن يقارن؟

لكن هناك من يجعل الفرنسية، وسيلة لتطوير العربية، والكيف مجهول؟ وهو يرى أنّه، « ليس هناك أيّ عمل علميّ في التّعريب المواكب بدون ازدواجيّة، لأنّ اللّغة الأجنبية من شأنها أن تعيننا على إصلاح لغتنا من جوانب عديدة، وأن تضمن لنا التفتح الضّروري على عالم التقدّم والرقى، في انتظار أن تتقوى أجنحة لغتنا، نحن نشغل في المعهد انطلاقاً من الفرنسية كلغة أولى... وهكذا نرى أنّ وصف وضع مرفوض، ومقاوم وضع الازدواجية، يتحوّل في المعهد إلى حل يدعو إلى المحافظة على هذا الوضع والعناية به، بل الدعوة إلى وضع يُعترف للغة الأجنبية فيه بالدور الأول، لا كلغة عمل وحسب بل لغة تتحوّل إلى أداة حاسمة لإصلاح اللغة الوطنية».⁽²⁾ صحيح أنّ هذه القول جاء على شاكلة السّابق إلّا أنّه أخطر بكثير، إذ يدعو بصريح العبارة إلى اتّخاذ لغة أجنبية، وهي الفرنسية أداة لخدمة اللغة الوطنية، كلام غريب وعجيب! ولا يمكن تصوّر المنطق الذي قام عليه، كيف للفرنسية أن تخدم اللغة الوطنيّة؟ وماذا يقصد باللغة الوطنية؟ وقد يُفسّر هذا الكلام بما جاء في هامش الصفحة: « وجود

* كاتب وفنان مسرحي جزائري يعيش في فرنسا، يكتب أعماله باللّغة الجزائرية والفرنسية.

¹ - ولد خليفة، محمد العربي. "المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية: دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية". ص 124.

* الإمام ابن آجروم هو محمد بن محمد بن داود أبو عبد الله الصّنهاجي الفاسي النّحوي الفقيه المقرئ المالكي، الشّهير بابن آجروم معناها الفقير الصوفي، ولد بفاس عام 672 هـ -1273م. ومن أشهر أعماله الأجرومية في النّحو التي نافست ألفية ابن مالك.

² - الفهري، عبد القادر الفاسي. اللّسانيات واللّغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، الكتاب الثاني. ص 187.

تنسيق مع فرنسا ومؤسسات تختصّ بخدمة اللغة الفرنسية على الخصوص، في حين لا نجد ما يوازي هذا النوع من التبادل مع الهيئات العربيّة»⁽¹⁾. يصعب فهم هذا الكلام وخلفياته، كيف لمؤسسة وهيئة عربية أن تتواصل مع مؤسسة مختصة بخدمة الفرنسية وتجد صعوبة في التواصل مع مثيلاتها في الوطن العربي؟

3-2- جزائريون تأثروا بالاستشراق الفرنسي في مجال المعجم الثنائي: رغم أنّ فرنسا حاولت

إقصاء الجزائريين من المشهد العلمي، إلّا أنّ هناك عددا منهم تمكّنوا من فرض أنفسهم، ومن أبرزهم الجزائري ابن أبي شنب، بالإضافة إلى بلقاسم بن سديرة، ولهما معاجم ثنائية، فرّق بعض الباحثين بين الشخصيتين، حيث جعلوا العالم ابن أبي شنب مستقلا عن الاحتلال الفرنسي، كونه حافظ على معتقداته رغم تأثره بأفكار المستشرقين، فقد ألف وراجع معاجم ثنائية للهجات الجزائر والفرنسية، وكذلك فعل ابن سديرة الذي أصدر معاجم للعامية، وقد أشار إلى معجمين منهما سابقا.

يبدو أنّ « محمد بن شنب (1869-1929) واحد من كبار علماء الجزائر ومفكرها، تميّز باطلاعه الواسع على العديد من اللغات والثقافات، وهو ما يتجلّى في إنتاجه المعرفي الغزير، الذي فاق الخمسين كتابا في فنون متعدّدة، تراوحت بين التأليف والتّحقيق والتنقيح والتّصحيح... وهو وإن كان دأب على منهج المستشرقين في تحقيقاته، إلّا أنّه سار على درب أسلافه من العلماء المحققين المدققين... فجلس إلى كبار المستشرقين محاورا ومناظرا»⁽²⁾. يعدّ الأستاذ بن شنب من بين القلّة من الجزائريين الذين تمكنوا من ولوج عالم المستشرقين الفرنسيين، من بابه الواسع، والتبحّر في علومهم، إذ لم يكن مرحبا بهم، « لذلك كانت مساهمة العلماء من الأهالي المحليين في العلوم الإنسانية ضئيلة، ما يمثل (5.08%) من الإنتاج العام، منها مقالات: (محمد بن شنب) و(رحماني) عالم إثنيات قبائلي، كان لهما حضور منظّم، إذ نجد من بين (1475) مقالة نشرت في المجلة الإفريقية (32) كاتبها مسلما حرروا (75) مادة، كانت في معظم الأوقات، هي قراءات للكتب العربية المعاصرة... مما يوضّح بأنّه كان هناك نظام توجيهي فرنسي للمجال المغاربي، صدرت عنه رؤية للعالم العربي الإسلامي، بقيت آثارها في كتب

1 - الفهري، عبد القادر الفاسي. اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، الكتاب الثاني. ص 187.

2 - وزارة الثقافة، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، شيكو للطباعة والنشر، 2015م. ص5.

التاريخ وعلم الاجتماع لفترة طويلة، قد نستطيع القول إنها كانت لازالت (دراسات موجهة) حسب خطط منطلقة من توجهات سياسية وثقافية معينة، وأن أغلب المعلومات التي تضمنتها من قبل ما يسمى بـ (المكاتب العربية)، التي كانت تندرج ضمن عملهم الإداري، وفي معظم الأحيان كان هؤلاء جزءا من النظام الكولونيالي الذي بات يستعملهم كأدوات إدارية⁽¹⁾. أسهم الجزائري ابن شنب في المؤتمرات الاستشراقية، « من بينها المؤتمر 14 الذي عقد بالجزائر سنة 1905م، والذي جمع ما يزيد عن 500 مشاركا... الذي مكّن ابن أبي شنب من الالتحاق بالكلية دارسا ومدرسا بها سنة 1894، نظرا لما لاحظته عليه من تفوّق ونبوغ وقدرة على العطاء، فعمل على استيعابه ضمن المؤسسة الاستشراقية... كما انتدبته الإدارة الفرنسية، لتمثيلها في عدة مؤتمرات، منها المؤتمر السادس لمعهد المباحث العليا العربية، الذي عقد بالمغرب سنة 1929، ومثل الجزائر سنة 1928 في المؤتمر الدولي السابع عشر للمستشرقين بمدينة أوكسفورد ببريطانيا⁽²⁾. وهذا ما قد يعكس تأثره بهم، فلو لم ينهج نهجهم ما كانوا ليتمكنوا من هذه المهام، « يقول الفرد بل (Alfred Bel) واصفا منهج بن شنب في البحث، لقد تمكن بفضل قوة عزمته من أن يستفيد من كتب المختصين في الدراسات الإسلامية والأدب العربي واستطاع أن يواكب مناهج العمل، التي يطبقها العالم الأوروبي الحديث مع البيبليوغرافيا، ونقد المصادر التي استخدمها في بحوثه⁽³⁾. يبقى أن العمل مع المستشرقين لا يعني بالضرورة التجرد من المبادئ، إذ يقال إنه رغم بعثاته إلى خارج الوطن، إلا أنه حافظ على لباسه التقليدي. وهذا في حدّ ذاته قد يكون دليلا على تمسكه بهويته، وقد يكون فصلا بين المجال العلمي وحياته الشخصية، وهو من مناهج الغرب، فعلى المستوى العلمي والمنهجي هو متأثر بالمستشرقين أما على المستوى الشخصي فهو على سيرة الأجداد، وهذا من المفارقات الكثيرة التي نراها في الواقع المعيش.

¹ - ولد لعروسي، الطيّب. "محمد بن أبي شنب ومسألة الاستشراق"، وزارة الثقافة، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية شيكو للطباعة والنشر، 2015م. ص206.

² - هيصام، موسى. "محمد بن شنب والمحافل الاستشراقية مؤتمر الجزائر 1905 أنموذجا". سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، ص233.

³ - كعوان، فارس. "محمد بن شنب والمشروع الاستشراقي من خلال الإسهام في دائرة المعارف الإسلامية". سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق. ص244.

3-3- العرب المتأثرون بالدراسات الاستشراقية القرآنية: ترك الاستشراق الفرنسي بصمات

قوية وعميقة في تلامذتهم من الشرق؛* بل كثيرا ما يتجاوزونهم في إطلاق بعض الأحكام القاسية لاسيما في المجال الديني، إلا أنهم يتفاوتون في أساليب التعبير عن ذلك، ويمكن القول إنهم من المستغربين الذين تشبّعوا بأفكار الغرب، ويعدّ بعضهم من المستشرقين، بعد التحاقهم بفرنسا إلى درجة أنهم يدافعون عن أفكارهم أكثر من أصحابها الأصليين. لا يسمح المقام بالاستفاضة في هذا الموضوع، وإنما سيكتفي البحث، بنموذج من المتأثرين وممن ذكر في إحدى الدراسات، الباحث الجزائري محمد أركون،* « تبيّن من خلال البحث الأثر الجليّ لمناهج المستشرقين في تكوين الخلفية الفكرية لمحمد أركون، مع كونه ينقم عليهم، قدم منهجياتهم في دراستهم للإسلام. واتّضح فقدان أركون للمنهج العلمي، وتخبّطه، وتشبّته في المنهجيات التي يزعم استخدامها ويمتدح نفسه دائما بسردها، مع فشل تلك المناهج في مجالها الذي تطبّق فيه في مسار العلوم الاجتماعية واللغوية والإنسانية». ⁽¹⁾ تتبّع البحث مقدّمة كتاب أركون الذي ترجمه تلميذه هاشم صالح، للوقوف على بعض ما ورد فيها من نصوص، تكشف عن منهجه، ومدى تأثره بالمستشرقين ومما ورد فيها: « لقد شرعت في تطبيق إشكاليات ومناهج اللسانيات والسيمانيات لتحليل الخطاب القرآني منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي، ونشرت عام 1970م البحث الأول بعنوان (كيف نقرأ القرآن)، كمقدّمة لترجمة كازيمرسكي للقرآن (Garnier Flammarion)، وجمعت البحوث التي صدرت بين عامي 1970 1982 في كتاب عنوانه قراءات في القرآن، وصدرت الطبعة الأولى منه في باريس عام 1982، والطبعة الثانية في تونس عام 1991، سيجد القارئ في هذا الكتاب ثلاثة فصول مختارة من ذلك الكتاب (قراءة سورة الفاتحة، قراءة سورة أهل الكهف، واحتجاج المشركين

* من المفكرين المتأثرين بالاستشراق الناقد عابد الجابري في كتابه "التراث والحداثة"، و مترجم كتب محمد أركون هاشم صالح، وبعض مؤلفات علي حرب، مثل: "نقد النص"، و"نقد الحقيقة"، ونصر حامد أبو زيد، مثل: "الخطاب والتأويل"، و"مفهوم النص". وأدونيس "الثابت والمتحوّل" وتلميذ محمد أركون رمضان بن رمضان في خصائص التعامل مع التراث، ومحمد شحرور: الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة. وأمين الخولي.

* ولد محمد أركون في توريرث ميمون في منطقة القبائل الكبرى، بالجزائر عام 1928م من عائلة قبايلية، التحق في سن التاسعة بأبيه الذي كان يملك دكانا للبضائع، في منطقة يكثر فيها الفرنسيون، (عين العرب)، تعلّم العربية والفرنسية، وتأثر بخاله المنتمي لإحدى الطرّق الصوفية، وكان يحضر معه مجالس الصوفية، في تلك القرية، أتمّ تعليمه الثانوي في مدرسة مسيحية عام 1945، ثم دخل الجامعة حيث درس الأدب العربي في جامعة الجزائر العاصمة ما بين 1950-1954م، دخل في الفاتح نوفمبر 1954م جامعة السوربون، وقام امتحانه سنة 1956م، وفي سنة 1968م قدّم رسالته في الدكتوراه عن ابن مسكويه، وفي 1971م عمل أستاذا للفكر الإسلامي، وفي 1999م أسس معهدا للدراسات الإسلامية في فرنسا.

¹- السرخاني، محمد بن سعيد. الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم. ص9. تاريخ الاطلاع: 13-12-2015م.

وأهل الكتاب على قضية التنزيل ... ثم أضفت فصلاً آخر لم ينشر بعد، عن المكانة المعرفية والوظيفية المعيارية للوحي»⁽¹⁾. يكشف هذا القول عن نقاط مهمة، أولها التصريح بتطبيق المناهج المختلفة على القرآن العظيم، بالإضافة إلى وضعه مقدمة لكتاب كازيمرسكي، الذي ترجم فيه معاني القرآن الكريم سبق عرض نموذج لسورة ترجمها كازيمرسكي، مع ما فيها من شطط وانحراف عن المعنى الأصلي. «وكنيت قد شرحت ... نقطتين هامتين أولاً: ما يجب على القارئ أن يتزوّد به من تكوين علمي والإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير والنقد الإبستمولوجي، وثانياً أن يتدرّب القارئ على التمييز بين الاحتجاج والإدراك والتأويل والتفسير الذي يتم في الإطار المعرفي العقائدي الدوغمائي، وبين التحليل والتفكيك للخطاب الديني. فهذان شيئان مختلفان»⁽²⁾. تضمّن هذا القول مصطلحات ومفاهيم كثيرة، طالب فيه الباحث أركان القارئ الباحث بضرورة التمييز بينها، كون الخلط بينها هو سبب سوء الفهم لدى بعضهم، « فتحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم معانيه الصحيحة وإبطال التفسير الموروثة؛ بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته (الخطاب النبوي)، (Le discours prophétique) ... يُطلق على النصوص المجموعة في كتب العهد القديم أي (la bible)، والأنجيل والقرآن، كمفهوم يشير إلى البنية اللغوية والسميائية للنصوص، لا إلى تعريفات وتأويلات لاهوتية عقائدية، إلا أنّ التحليل اللغوي والسميائي سابق منهجياً وإبستمولوجياً على التحليل والتأويل اللاهوتيين...»⁽³⁾. يشتمل هذا القول على طرح فلسفي، يمكن وصفه بالمغالطات المعرفية وأخطر ما فيه - في حدود الفهم - هو التسمية التي أطلقها على القرآن الكريم، اقتداء بالغرب، وهي (الخطاب النبوي) بدل الخطاب الإلهي، وهذا ما يمكن تأويله عند البعض بأنّه كلام النبي الكريم محمد ﷺ، وليس لله سبحانه وتعالى.

أمّا الفصل بين دراسة القرآن الكريم بوصفه خطاباً إلهياً، وبوصفه خطاباً أو نصاً قابلاً للتحليل بمناهج الغرب، فهذا أيضاً من مناهج المستشرقين ومكائدهم إن صحّ القول، فالمنهج هنا عبارة عن أداة

1 - أركون، محمد. القرآن من الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. تر: هاشم صالح. بيروت، دار الطليعة، 2005. ط2. ص5.

2 - المرجع نفسه. ص5.

3 - المرجع نفسه. ص5.

يسوّغ بها المستشرق لنفسه ولغيره ما توارد عليه من أفكار وإجراءات مهما كانت، وحتى يسوّغ دعوته استخدم ما يسميه المنهج التفكيكي في دراسة القرآن الكريم، يقول: « لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموماً بالقرآن، إنّ هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حدّ بالعمل اللاهوتي والممارسة الطقسية الشعائرية الإسلامية منذ مئات السنين، إلى درجة أنّه يصعب استخدامها كما هي، فهي تحتاج إلى تفكيك سابق من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة، كانت قد طمست، وكتبت ونسبت من قبل التراث التقوي الورع، كما من قبل المنهجية الفيلولوجية (اللغوية) النهائية أو المغرقة في التزامها بحرفية النص⁽¹⁾. ويبدو تأثر المفكر أركون بالغرب ومناهجهم وأفكارهم في قوله: «... ولاشكّ في أنّ الفكر الإسلامي، بقي أبعد ما يكون عن ممارسة الفكر الأنثروبولوجي، بالمعنى الواسع الذي ندعو إليه، من العقل والثقافة والتفكير السائد في الغرب... وإذا ما تمّ الإجماع الكامل على هذا التوجّه المعرفي، فلا بدّ أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية، عن طريق إعادة القراءة، لما قدّمه الخطاب الديني عامة والخطاب النبوي الخاص بأهل الكتاب...»⁽²⁾ ومما جاء في مقدّمته عن الاستشراق بصريح العبارة « لم يعد ممكناً اليوم أن نتكلّم عن الاستشراق والمستشرقين، كما كنّا نفعل حتى السبعينات من القرن العشرين وذلك من أجل رفضهم وإدانتهم والإعراض عن إنتاجهم العلمي؛ بل يجب علينا أن نقوم بترجمة أهمّ الأعمال المخصّصة للدراسات الإسلامية، والتي ينتجها هؤلاء المستشرقون الأكاديميون بالذات وذلك لكي نتمكن من مناقشتها على أسس علمية موضوعية، لا على أساس إيديولوجي وعقائدي. ومن الأمثلة التي ضربتها مرارا وتكرارا لشرح مفهوم اللامفكر فيه في الفكر الإسلامي المعاصر⁽³⁾. ويعترف في الفقرة الآتية بخضوعه للفكر العولمي، وسعيه إلى نشر هذا الفكر للارتقاء، « والعولمة كمرحلة تاريخية جديدة من مراحل الفكر، تفتح لأول مرة المجال من أجل المقارنة بين أنظمة الحقيقة التي سيطرت على البشر عبر التاريخ. وهي إذ تفعل ذلك تخضع كلّ نظام لمنهجية الحفر الأركيولوجي العميق من أجل الكشف عن البنيات التحتية... وهذه المرة لا يمكن استثناء أيّ نظام من أنظمة الحقيقة بحجة أنّه إلهي منزّل، وغيره بشري زائل أو دنيوي عرضي، لا فجميع التراثات الدينية سوف تخضع

¹ - السرخاني، محمد بن سعيد. الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم. ص19. عن: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل. ص29.

² - أركون، محمد. القرآن من الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. ص6.

³ - المرجع نفسه. ص8.

لمنهجية النقد التاريخي، والحفر الأركيولوجي في الأعماق. وإذا كان هناك نظام للحقيقة يستحق الاستثناء، فسيجبر لا محالة على أن يجدد بيانه وبراهينه وتأصيله، بحسب ما تقتضيه عولمة الذهن البشري، وما يصاحب ذلك من المعرفة الكونية العالمية⁽¹⁾. قد يفهم من هذا القول أنه يسوي بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام البشر، ولا يعترف بهذا إلا من سار على نهج الغرب والمستشرقين، « والملاحظ لمنهج أركون ودعوته يجد أنه لم يأت بجديد، وإنما هو ترديد لمقولات دعاة التغريب من قبله، ولكن بثوب جديد محمل بطائفة كبيرة من المنهجيات، وفي وسط ركام من المفاهيم والمصطلحات الغامضة، ليتفق مع من سبقه في حربهم على الثوابت الشرعية، وعلى كل ما هو غيبي بدعوى التحرر من سلطة النص⁽²⁾. إذا اكتفي بمناقشة هذه الفكرة الأخيرة وحدها، فإنها تعكس خطورة هذه الأفكار والنظريات على المسلمين لا على القرآن المحفوظ، فلو أن كل واحد فهم القرآن بعيدا عن النص، لتعددت الدلالات تبعا لأهواء القراء وتوجهاتهم، لا تبعا لما شرعه الحق سبحانه وتعالى.

3-4- أثر الاستشراق الفرنسي في تشويه صورة المسلمين العرب: نشر المستشرقون صورا كثيرة مخالفة لحقيقة المسلمين وواقعهم، والتي ترسخت للأسف في عقول الغربيين، الذين رسخوها في العالم. ومما ورد في دراسة حول صورة العالم العربي في الأدب الفرنسي والإيطالي خلال القرن التاسع عشر « رغم التطور الباهر لوسائل الإعلام والاتصال، وكثرة الأسفار بين الدول والقارات، إلا أن المعرفة التي يمتلكها أغلبية الأوروبيين حول العالم العربي، قائمة على أساس صور مرسخة في مخيلتنا من القرن الثامن عشر؛ فترة الأدب الكبير للرحلات الأوروبية، والمدونات الكبيرة للرحلات إلى الشرق والدراسات الشرقية، خاصة الفرنسية والإنجليزية، التي سبقت ورافقت ودعمت التوسع الاستعماري الفرنسي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، كما أكد إدوارد سعيد، خلال هذه المرحلة التاريخية ترسخت الفكرة (الصورة) الأوروبية في مخيلة الأوروبيين... وفي الآن ذاته، وبفضل مكانتها المسلم بها والسيادة الأوروبية، تؤكد أيضا الهيمنة الدائمة لأفكار الأوروبيين وتصوراتهم حول الشرق⁽³⁾. لا يدع هذا الكلام أي مجال للشك، وقد تيسر لهم ذلك، من خلال ولوجهم جميع المجالات التي من شأنها أن تؤثر في

¹ - أركون، محمد. القرآن من الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. ص 9.

² - السرخاني، محمد بن سعيد. الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم. ص 43.

³ - Vittorini, Valerio. L'image du monde arabe dans la littérature française et italienne du XIX^e siècle, Analogies, différences, possible influences. Doctorat, directrice Gannier Odile, directeur Verdi no, Stefano. Université Nice Sophia Antipolis, France, 2015. P27.

معتقدات الشعوب وأفكارهم، ومنه على سلوكهم، مثل: الأدب ولاسيما الحكايات، والعلوم باختلافها مثل: الأنثروبولوجيا التي رُوّجت لأفكار خطيرة جدا، منها وصف الشعوب العربية المسلمة بالتخلف والوحشية وغيرها من الأوصاف التي ينأى البحث عن ذكرها، ومن العناوين الواردة في أحد الكتب الفرنسية، (La société barbare)، والذي يعترف بتجريد الجزائريين من هويتهم (le moi collectif)، وبأنّ الرجل الأبيض الغربي، يقوم بمهمة صعبة، تشكل حملا ثقيلا عليه، تتمثل في تحويل الأهالي إلى بشر مثله⁽¹⁾. فكان الخطاب الاستشراقي في مجمله محمّلا بالإيديولوجية* (توجيه التفكير) التي تحقّر المسلمين عموما، وتجعل الأوروبيين والغرب هم الجنس المتفوّق، الذي له الحق في الوصاية على هذه الشعوب، والاستفادة من ثرواتها وتسييرها بما أنّه عاجز عن ذلك.

يرجع هذا الأمر إلى البدايات الأولى للاستشراق، إذ صنع المستشرقون صورة للشرق، كما تخلّوه، ونقلوها إلى الغربيين وغيرهم، وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي سلفستر دو ساسي الذي عمل على « إنجاز ... يتمثل في بنائه مجالا كاملا، ففتش ونبش المحفوظات الشرقية باعتباره أوروبيا وتمكن من ذلك دون أن يترك فرنسا، فقام بتتحية بعض النصوص جانبا، ثم عاد إليها وعالجها وكتب لها الشروح، ووضع لها القواعد، ورتّبها، وكتب تعليقات عليها. وبمرور الوقت أصبح الشرق في ذاته أقل أهمية من الصورة التي رسمها له المستشرق، وهكذا وضع ساسي (شرق المستشرق) من موقع فكري مغلق داخل لوحة تعليمية، فظلّ فيه لا يريد الظهور والانتماء لدنيا الواقع⁽²⁾. قد يقول قائل كيف له أن يقنع كل العالم الذي تلقى أعماله، إذا كان من يعيش في الشرق عاجزا في أحيان كثيرة عن نقل الصورة كاملة، فكيف لمن لم يزره في حياته كلّها أن يفعل ذلك؟ « وكان ساسي أدكى من أن يتجاهل تقديم الحجج التي تدعم آراءه وأعماله، فكان أولا، يوضّح دائما، سبب استعصاء تقبّل الأوروبي (للشرق) في ذاته، قائلا إنّ ذوق الأوروبي لن يتقبله ولن يتقبله ذكاؤه، وكان ساسي يدافع عن فائدة وأهمية الشعر العربي مثلا، ولكنه كان يقول في الواقع أنّ على المستشرق، تحويل ذلك الشعر تحويلا صحيحا حتى

¹ - voir Lucas, Philippe. Vatin, Jean-Claude. L'Algérie des anthropologues. paris, librairie François Maspero, 1982. p30.

* الإيديولوجية عقيدة أو مجموعة من القناعات الموجهة، لمجمل التفكير والسلوك. وعرفها كارل مانهايم أنها كلّ تأويل أو إدراك لوضعية اجتماعية لا يقوم على تجربة ملموسة، ويكون نتيجة لمعرفة محرفة لتلك التجربة تستخدم لحجب الوضعية الحقيقية وتؤثر في الفرد بطريقة قهريّة. عن محمد العربي ولد خليفة، المسألة اللسانية وقضايا اللسان والهوية، ص39.

² - إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 218.

يقدره الجمهور الأوروبي، وكانت أسبابه تقوم على أسس معرفية بصفة عامة، ولكنها كانت تتضمن أيضاً تبرير المستشرق لعمله...»⁽¹⁾ يحمل هذا الكلام الكثير من الدلالات الخطيرة، وهو ما يعني أنه ليس كل ما يقرؤه العربي من كتب حقّقها المستشرقون، جاءت كما كانت عليه في أصلها قبل أن تتناولها أيدي المستشرقين، لأنّهم بطبعهم يميلون إلى وضع بصماتهم في كلّ عمل يقبلون عليه، ليتلاءم مع أدواقهم وثقافتهم، وكذا بسبب نظرته الفوقية لكل ما أنتجه المسلمون العرب، فالمستشرق هو وحده يملك المناهج، وهو يملك ناصية العلوم، أما العرب فلا يمكنهم القيام بعمل كامل أو مقبول - على الأقل في نظرهم - « لقد حلّ الأستاذ إدوارد سعيد في دراسته عن الثقافة والإمبريالية، هذا التيار الذي سماه العالمية (worldiness)، وشبّهه بظلال الطيف على المرأة، فالغرب يفضّل أن يرى في عالمنا العربي، الطيف المنعكس، وليس الأصل، بسبب سوابقه التاريخية وهواجسه الأمنية واستعلائه الذي يدفعه إلى نفي المختلف عنه». ⁽²⁾ يكشف هذا التحليل حقيقة الغرب، وهو كلام صادر عن باحث عاش، وتشرب من مناهج الغربيين وفقهها، وكشف عن خلفيات، قد يعجز الباحث العربي الذي قضى بعض السنوات معهم عن معرفتها، إذ عادة ما يتغلب الإعجاب والانبهار على بعض الباحثين العرب، الذين يجدون أنفسهم أمام هذا الآخر، وهذا ما يعطل تفكيرهم، فتجدهم يتقبلون ما أنتجه الآخر، بما أنّهم لا يجدون في أنفسهم ما قد يعادل إنتاجهم أو يفوقه، وإن حدث أن أنتج شيئاً ينافسه أو يفوقه، فعندها يرافق هذا العمل شعور بالفضل والتبعية للآخر يؤكد هذه الفكرة هذا القول: «... لكن المختصين العرب في هذا العلم يستخدمون منهجية مقتبسة عن المنهجية الغربية، لأنّه ليس في مقدورهم تصنيف طريقة خاصة بهم في البحث، ولذا كان محتماً أن تستخدم الطرق الأوروبية بتبصر، لأن سياق أبحاثها يخالف السياق العربي، ومن المعلوم أن المغرب العربي يطبق المنهجية الفرنسية القائمة على الموضوعية البحتة...»⁽³⁾ يعكس هذا الكلام خطورة ما حققته فرنسا، لأنّه في أعماقه؛ يرى أنّه لم يكن ليفعل شيئاً دون هذا الآخر.

¹ - إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ص 218.

² - ولد خليفة، محمد العربي. المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية. ص 183.

³ - الصيادي، محمد المنجي. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. ص 21، عن عبد المولى، محمد. "ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي". اللسان العربي. السنة 10. كانون الثاني/يناير، 1973م. ج 1، ص 158.

يعترف معظم الباحثين بهذه الحقائق، إذ تشير إليها معظم الدراسات والبحوث، حول الاستشراق سواء أكان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وفي جميع المجالات، « لقد وسَّع التاريخ دائرته فلم يعد يقتصر على الوقائع المادية، وتتابع الممالك السياسية، ولكنه أضحى ينشد النفاذ في عمق حياة الشعوب وإعادة تشكيل وضعهم العقلي والاجتماعي في كل جوانبه. أضحى التاريخ إذن في حاجة إلى كل الآثار التي تركتها الأمم في حياتها الدينية والتشريعية والأدبية والفنية، وحتى في لغتها. لقد صار كل شيء بالنسبة للمستشرقين وثائق تاريخية، وفي غالب الأحيان وثيقة لا تقل أهمية عن أصلها، ما دامت تتجه نحو رسم واقعه». (1) عبّر الباحث محمد العربي معريش بطريقة صريحة عما قام به المستشرقون، حين سخّروا كلّ الإمكانات لتشكيل صورة جديدة للمسلمين، تنطلق من دراسات وبحوث قاموا بها لتحقيق أهداف يصعب القول إنّها بريئة، يتأكد ذلك بمجرد إجراء مقارنة بسيطة بين ذاك المسلم الذي كان يعيش في العصور الذهبية، والمسلم الحالي، إذ عُرف المسلم العربي آنذاك باعتزازه بدينه وبلغته وبكلّ ما ينتجه، واهتمّ بالمعرفة وعمل على تطوير العلوم باختلافها، وقد انعكس ذلك على مجالات كثيرة لم يهتمّ بها لهذه الأسباب، مثل اكتفائه بالمعاجم الأحادية، واستغنائه بلغته عما سواها، وعدم اهتمامه باللغات الأخرى إلّا ما ورد عرضاً، أمّا المسلم العربي الحالي -باستثناء المحافظين- فقد انقلبت الصورة السابقة رأساً على عقب. ولا يُستغرب ذلك، لأنّ المعلومات التي يستقيها الجميع، بما فيهم الباحث في اللغة العربية وعن اللغة العربية، يجد نفسه مجبراً على العودة إلى مراجع ومؤلفات ألفها المستشرقون أو الغربيون عموماً فأعمالهم فيها لا تعدّ ولا تحصى، « وإذا أردنا أن نتحدث قليلاً عن الحصيلة بلغة الأرقام، يمكن أن نسجل بعد مرور أربعين سنة عن أول اجتماع لمستشاري الجمعية والمجلة، ثمانين مجلداً من المجلة الآسيوية، وسبعة عشر مجلداً من مؤلفات متنوعة، وخمسة مجلدات من مجموع مؤلفي الشرق، يضاف إليها المؤلفات التي عزم المجلس على طبعها ضمن المجموع، والتي كان يجري تنفيذها وقتئذٍ، مما مجموعه اثني عشر مجلداً». (2) وهي نتائج توصّل إليها باحثون كثرون، فبينما يحاول بعضهم التعبير عن ذلك بتأدّب وبطريقة ودّية، يكشف بعضهم الآخر عن الخلفيات الخفية، « إنّ الزحف الاستشراقي على الثقافة العربية والإسلامية ومؤسساتها العليا، ربط جوانب من هذه الثقافة، بأفكار وقيم

¹ - معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية. ص 83.

² - المرجع نفسه. ص 88.

دخيلة تتبعها مفكرون مسلمون، كما كان تغلغل المستشرقين في المؤسسات العربية الإسلامية العلمية والتعليمية ونفوذ سلطانهم الفكري عليها وعلى أهلها، قد حمل آثارا سلبية وأكثر خطورة تدميرا للقيم والمبادئ والأصالة، التي أقيمت عليها هذه المؤسسات». (1) يتحدث الباحث نذير محمد عن واقع عاشته وتعيشه معظم جامعات العالم العربي، حيث يعمل بعض الأساتذة الأجانب والعرب الذين تكوّنوا على أيدي الغربيين على تنفيذ مخططات بعض المستشرقين في العصر القديم والحديث، «والأستاذ الجامعي الذي اعتلى منبرها، وهو معني بمهمة تشويهية للتراث، أو مهتم بتوهين القيم الفكرية الأصيلة، لا يصعب عليه النّفوذ إلى ذهنية الشباب لأداء مهمته التي بعث أو استقدم من أجلها ... والمشكلة القائمة هي أن المستشرقين الذين يفترض فيهم أن يقدموا معارفهم ودراساتهم الموضوعية ينحرفون عن الوجهة السليمة إلى تعليم الشبهات والافتراءات ضمن المعايير الأجنبية، التي يكثر حولها النقاش والجدل». (2) ومعلوم أنّ الجامعة من أهم المؤسسات العلمية والتعليمية، فإذا كان الابتدائي وما بعده يعلم الأجيال، فإنّ الجامعة تكوّن معلمي هذه الأجيال جميعها. كما أنّ تأثيرات هذه المؤسسة تمتدّ لتشمل المجتمع بكلّ مؤسساته الاجتماعية والتعليمية والسياسية، والدينية والاقتصادية والثقافية، فهذا الجامعي الذي يتخرج من الجامعة سيّجّه إلى جميع المجالات الموجودة في المجتمع.

توصّل الباحث نذير محمد إلى « أنّ معظم المستشرقين الجامعيين من الأعلام المعروفين بنشاطهم الفكري العالمي الغزير، وقد اختيروا من بين سائر المستشرقين، ليحققوا نجاحات فكرية في الوسط الجامعي، ومن هؤلاء: الفرنسيون (باسيه) رئيس مؤتمر المستشرقين في الجزائر، وبرفّنسال الأستاذ في كليات متعددة والمكلف بمهام حكومية خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق و(بلاشير) الأستاذ المجمع في دمشق، و(جويري أغناطيوس) الإيطالي عضو مجلس الأعيان بروما ووزير الإنتاج (وشاخت) الألماني الأستاذ والعضو المجمع في عدة مجامع عربية وأوروبية و(سارتون) الأمريكي الأستاذ والعضو في عشرة مجامع و(عبد الكريم جرمانوس) المجري المحاضر في عواصم عربية وإسلامية ووزير الإنتاج أيضا، و(ألفرد جيوم) الانكليزي والمجمع في دمشق وبغداد...». (3) ما يثير

1 - نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون مجمعيون. ص 79.

2 - المرجع نفسه. ص 127.

3- المرجع نفسه. ص 128.

الانتباه؛ بل والشك أيضا في هذه الأسماء المذكورة، أنها تمثل معظم المدارس الاستشراقية، « ولقد سلك المستشرقون، المتسترون تحت ستار العلم والبحث والتعاون بين الشعوب والذين هم في أعماقهم حدة خد للاستعمار بشتى أنواعه وللتبشير بأبشع صورته، كل مسلك ظنوه محققا لآمالهم وموصلا لأهدافهم فقد استطاعوا أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي في مصر ومجمع اللغة العربية دمشق والمجمع العلمي في بغداد. كما تدخلوا بتأييد من الاستعمار - في مجال التربية والتعليم فحاولوا غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين ونجحوا في هذا السبيل إلى حد كبير لسوء الحظ». (1) وحسب الأستاذ محمد نذير « يغلب على الجامعيين المستشرقين جميعهم أعمال ونشاطات فكرية أو سياسية أو إدارية، مما يرجح أن لكثير منهم مهمات جاسوسية إلى جانب مهماتهم الترفيفية. ويدل على هذا أنهم لم يستقدموا لتدريس العلوم والطب والرياضيات، التي كان الغرب متفوقا فيها وإنما كانوا يدرسون علومنا وما له صلة بالعقيدة والعربية والتاريخ والحقوق والفلسفة بالأساليب الاستشراقية المغرضة». (2) ومعلوم أن العلوم الطبية والرياضيات وغيرها من العلوم الطبيعية لا تؤثر في تكوين الشخصية إلا بمقدار بسيط، إذ هي علوم نفعية عقلية بحتة، عكس العلوم الإنسانية التي تصوغ فكر الإنسان وتوجهاته، وإذا تحكموا في فكره صار سلوكه تابعا لفكره. فإذا أقنعت شخصا أنه لا عاجز عن رفع كيس يزن رطلا وكثرت عليه ذلك فإنه سينتهي بالافتتاع بتلك الفكرة، ولن يحاول مجرد الاقتراب منه. وهو ما حدث مع معظم العرب المسلمين الذين تم إقناعهم بأن الغرب هو مفتاح القوة والنجاح، وأنه لا يوجد شيء جميل ومفيد في هذا الكون إلا وفرنسا وراءه، والعكس صحيح بالنسبة للمسلمين، وهم يعلمون علم اليقين أن هذا افتراء فالمجد والنجاح الحقيقي ظهر عند المسلمين، لكنهم أضاعوه عندما أضاعوا دينهم، فانتقل عنهم إلى غيرهم.

يشرح المفكر الجزائري مالك بن نبي هذه الفكرة، وينبّه إلى بعض الآليات المستخدمة في ذلك «... حيث لا نعتبر إنتاج المستشرقين، من زاوية ذاتية أصحابه، ومن ناحية ميزاتهم الفكرية ونواياهم بل من زاوية من يستخدم إنتاجهم لغايات خاصة ... ولعلهم إذا لا ينتظرون وقوع الفراغ الإيديولوجي لاحتلاله بل يصنعونه هم، وربما يشغلونه مؤقتا بأفكار سواهم حتى تنتهي في مرحلة أولى عملية فصلنا

1- حمادة، محمد ماهر. رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكرا ومادة، القسم الأول، دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبية، ص 228.

2- نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون مجمعيون. ص 129.

عن أفكارنا بتلك الأفكار الفاصلة الوسيطة».⁽¹⁾ ومن بين القصص التي ذكرها المفكر مالك بن نبي في هذا السياق، أنه انعقد مؤتمر في باريس للعمال الجزائريين بأوربا، وبرمج توزيع كتيب لصاحب العرض تناول مشكلة من مشاكل الجزائر المعاصرة آنذاك، لكن أصحاب الاختصاص في الصراع الفكري ولكي يشغلوا الحضور عن الاهتمام بهذا المشكل، دعوا المستشرقة الألمانية هونكه، والتي عرضت بعضا من كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) تمدح فيه الحضارة الإسلامية وتمجدها، وبعدها أنهت كلمتها قام الجميع يصفق لها، وقد اندمجوا في هذا الكلام ودخلوا في حلم الماضي ونسوا حاضريهم.⁽²⁾ في العصر الحديث، حيث راحت تذكر أمجاد العرب، وكان العرب طبعاً يصفقون لها، لكن النقاد فهموا المقصد من حضورها، إذ كانت مهمتها تخدير العقول وشغلهم عن قضايا تهمهم.

كتب أحد دعاة التعليم الاستعماري في هذا الشأن، فقال: « إنَّ أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا، وجعلها أكثر ولاء وإخلاصاً في خدمتهم لمشاريعنا، هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدنا، فالمقصود إذن باختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسبما نريد».⁽³⁾ هذا الكلام واضح وصريح لا يحتاج إلى تأويل، وهو يعكس نظرة فرنسا ومعظم مستشرقها إلى الجزائريين، إنَّ الدراسات التي قام بها المستشرقون، صوّرت الجزائريين على أنَّهم مجموعة من البدائيين الذين لا يحسنون إدارة شؤونهم: « لنا مصلحة نظرية وتطبيقية لنتعرّف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية أولاً لأنّه من حقنا ومن واجبنا نحن الفرنسيين أن نعرف ونفهم جميع الشعوب التي نحملها وندير شؤونها، ولا نتوقف أبداً عن القيام بالواجب نحوها، فالاستعمار الفرنسي هو الذي دفع بالدراسات السوسولوجية، وأنَّ مبشرين لافيتو (La fitau) وشارلوفو (Charleroi) أسّسا البحوث الاجتماعية في أمريكا كما أسستها في إفريقيا جيوشنا وحملاتنا الاستكشافية».⁽⁴⁾ لقد سخّرت فرنسا كلّ بحوث المستشرقين في جميع المجالات لخدمة أهدافها.

¹ - بن نبي، مالك. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. ص 45.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 17.

³ - لونيسي، إبراهيم. بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي. ص 115. عن أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972م. تر: حنفي بن عيسى، ص 16.

⁴ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. ص 143.

هناك أدلة كثيرة تؤكد الآثار السلبية الكثيرة في الدول الإسلامية، وعلى رأسها الجزائر وتونس والمغرب ولبنان وسوريا وغيرها من البلدان، ولم يكن سلاحهم الهدام والأخطر هو السلاح الحربي؛ بقدر ما كان السلاح الفكري، ومهمة التصدي له تقع على عاتق النخبة قبل غيرها، وما يؤسف له أن عالم البحث العلمي يشهد جمودا فكريا وتقليدا صارخا، جعل معظم الباحثين يحجمون عن إمطة اللثام عن الحقيقة، « وهذا الالتزام المبدئي حرم النقد من القدرة على معرفة عيوب الخطاب، ومن ملاحظة ألعيب المؤسسة الثقافية وحيلها في خلق حالة من التدجين والترويض العقلي والذوقي لدى مستهلكي الثقافة... حيث سيكون من همنا أن نحرك أدوات النقد، باتجاه فعل الكشف عن الأنساق، وتعرية الخطابات المؤسساتية والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة»⁽¹⁾ وهذا ينطبق على الغرب عموما وعلى فرنسا في كل البلدان التي احتلتها، وأخطر تأثير بالإضافة إلى تشويه التراث العربي والاستيلاء على قدر كبير منه هو تلك الأفكار السلبية التي غرسها في هذه الشعوب، حيث لقيت هذه الأفكار مقاومة لدى شعوب تلك الفترة، لأنهم كانوا يفرون من الفرنسيين ويحتمون بدينهم فزادوا قوة، فمن يصدق أن الجزائر تخرج فرنسا ببنادق الصيد؛ بل كان سلاحهم الأكبر بشهادة الفرنسيين أنفسهم: « الله أكبر ». أما الجيل الحالي، فصار يفر من دينه ويرتمي في أحضان فرنسا وأمثالها، وهو سرّ ضعف المسلمين حاليا. ما تعيشه الأمة الإسلامية في هذا الزمن هو الذوبان في الآخر الذي يمثله الغرب « إن من أخطر ما يشيع بين بعض المفكرين والباحثين المسلمين هو أن فكر الأمم الغربية هو الأصلح دوما. انطلاقا من صلاحية التكنولوجيا المستوردة منها، وقدرتها على الوفاء بمطالب الإنسان المعاصر. ولقد أدى مثل هذا الظن... إلى الإحساس الداخلي بالتبعية لفكر هذه الأمم»⁽²⁾ ولا يمكن الخروج من هذه الدوامة إلا بالرجوع إلى هويتنا وديننا الحنيف.

إن صنع الغرب صورة سلبية للمسلمين بمساعدة بعض المستشرقين، وهو ما انعكس سلبا على أرض الواقع إلى غاية هذه الأيام، « أكدت دراسة مع عينة تكوّنت من 1029 مستجوبا، وذلك (من 6 إلى 12 ديسمبر 2012م) أن الفرنسيين لديهم نظرة سلبية متزايدة نحو الإسلام، بنسبة (55%) ومما ذكره، أنه يجب منع المسلمين من ممارسة شعائرهم الإسلامية في فرنسا. مع تسجيل الباحثة ملاحظة

¹ - الغدامي، عبد الله. النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005م. ط3. ص15.

² - أبو بكر، الأمين عبد الحفيظ. توجيه العلوم وفق المنهج الإسلامي. القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2002م. دط. ص 28.

مفادها أنّ هذا النبذ للإسلام لا يظهر مع الدّيانا الأخرى.⁽¹⁾ لم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، حيث جاء في التقرير الأخير للجنة الاستشارية لحقوق الإنسان (CNCDDH)،* أنّ أعمال العنف ضد المسلمين ارتفعت بنسبة (30%) ... هذه المعطيات المضلّلة للرأي العام الغربي، ولبعض المثقفين حول العالم العربي، قد لا تكون مجرّد إهمال (négligence) أو نتيجة صدفة مؤسفة؛ بل يمكن النّظر إليها كتصميم يعدّ جزءاً من هذا التّصوّر الثقافي العالمي، ذو الطّبيعة الاستبدادية، الذي سماه رفايل سيمون، الوحش الهادئ (le monstre doux) الذي يشكّل مكوّناً واحداً، كما عبّرت رئيسة اللّجنة كريستين لازرج (Christine Lazerges)، عن قلقها من ارتفاع الأعمال المعادية للمسلمين، حسب الإحصاءات كما هي عليه، منذ 2010م، مبدية ملاحظتها بأنّهم يواجهون ظاهرة أكثر تنظيماً مقارنة بالأعمال العنصرية الأخرى، وهي في تزايد مستمر طيلة الثلاث سنوات الأخيرة.⁽²⁾ تؤكد هذه المعطيات وغيرها كثير، تأثيرات أعمال بعض المستشرقين، الذين كوّنوا صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، إلى درجة أنّ بعض المسلمين أنفسهم تبنوا هذه الصورة. مهما قيل في هذا الأمر، فستبقى الكلمات عاجزة عن تصوير حقيقة هذه الآثار السلبية. والسؤال المطروح: هل يمكن إعادة الصورة الحقيقية للمسلمين؟ وكيف؟ ومن؟ ... وهنا رأى البحث الاستفادة من عمل متميّز قام به أستاذي الفاضل صالح بلعيد، حيث قارن بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإنكليزي، وهو يعكس تماماً حقيقة الاستشراق الفرنسي أو الاستعمار الفرنسي، ففي النّهاية هما وجهان لعملة واحدة. إلّا أنّ البحث اكتفى بالاستعمار الفرنسي.

¹- voir : Vittorini, Valerio. L'image du monde arabe dans la littérature française et italienne du XIX^e siècle, Analogies, différences, possible influences. P 15.

* la commission consultative des droits de l'homme.

²- ibid.p15.

جدول يمثل خصائص الاحتلال الفرنسي⁽¹⁾

الاستعمار الفرنسي	
استعمار عسكري وثقافي واقتصادي	تحول الفرنكفونية دون النهوض باللغات الرسمية
مسح + تنصير + إلغاء	جيوش جرارة وضعت لخدمة الفرنكفونية
فرنسا مهووسة بتحقيق مشروع الفرنكفونية	علاقة (تبعية) مع دول الفرنكفونية
الفرانكفونية إكراه رمزي مادي خارجي	النخبة ركبته موجة الإيديولوجية
ربط ديني كاثوليكي عصي على الفصم	أفرغت جهدا في استماتة العقل واللسان والوجدان
لا يفتح لك نوافذ العلم المعاصر	تعمل على إحداث شرخ بين ساكنة البلد المستعمر
فرنسا تمارس الحجر اللغوي...	تدخلت في قضايا التربية - القضاء - الجنسية - التسيير المحلي
الفرانكفونية لغة وثقافة وإيديولوجية.	شغلها تغيير فكر المستعمر أولا، ثم نهب خيراته
النخبة استتباع عبيد لسيد	نجحت في ترك بصماتها في بلدان المستعمرة

لاشك أن تأمل هذه النقاط المذكورة في الجدول حول فرنسا، وتأمل واقع البلدان التي احتلتها يؤكد صحتها وصدقها، بما لا يدع أي مجال للشك، ففرنسا بجيوشها وبعض مستشرقها ومبشرها عملت على تغيير فكر البلدان المحتلة؛ بل ركزت على النخبة منهم وذوي التأثير في المجتمع، نظرتها كانت دائما نظرة تسلط وسيطرة عليهم، رغم ما قد تدعيه من مودة وحرص على مصلحة هذه البلدان.

¹ - بلعيد، صالح. الاهتمام بلغة الأمة - العبرة من الفرنسيين - ص 297، 298.

الفصل الثالث: المعاجم الثنائية الفصيحة

ذات الترتيب الألفبائي

المبحث الأول: تحليل معجم أوغست شربونو (اللغة الكتابية)

المبحث الثاني: قضايا الجمع في معجم دانيال ريغ

المبحث الثالث: قضايا الوضع في معجم دانيال ريغ

المبحث الرابع: اللغة العربية في أعمال المستشرق دانيال ريغ

المبحث الأول: تحليل معجم أوغست شربونو (اللغة الكتابية)

التعريف بالمستشرق شربونو (Cherbonneau):⁽¹⁾ هو جاك أوغست شربونو (Jacques Auguste Cherbonneau) (1228-1299 هـ / 1813-1882 م)، لم تشر معاجم المستشرقين المتوصل إليها للمستشرق شربونو، ولهذا اكتفي بما ورد في مواقع على الشبكة، والتي لم تذكر أي معلومات هي كذلك عن نشأته، وقد اكتفت بكونه، عُرف بكثرة أعماله في الحياة المعرفية والسياسية بباريس. وسعى إلى تأسيس ثقافة فرنسية-عربية حديثة مشتركة بالجزائر، كما فعل قبله المستشرق بربرجر (Berbrugger)، وكان مولعا بالحرية ومصرًا على أهمية تعليم العربية. انضم إلى الجمعية الآسيوية سنة 1841م، ونشرت له أعمال كثيرة منها ترجمة كتب أدبية، مثل بعض مقامات الحريري، سنة 1845م. وتم تعيينه في كرسي العربية للمستوى العالي ما بين (1847-1862) إلى جانب تعليم الفرنسية للعلماء المسلمين والمتفوقين منهم، دروس للكبار. وكانت كتبه الموجهة للأهالي قائمة على احترام الدين الإسلامي، كما خصص مكانا لتعليم البنات. وعلم العربية للأوروبيين، وأكد بالنسبة إليهم على أهمية التحكم في اللغة الشفوية.

إضافة إلى أعمال إدارية ومراسلات باللّهجات، وبعض الحكايات بلغة الشارع، وكان مصرًا على إقناع الجزائريين بالنوايا الطيبة للحكومة الفرنسية، وعمل على إيجاد عربية جزائرية حديثة بإدخال الاستعمالات المحلية في حكايتي (ألف ليلة وليلة، وحكاية شمس الدين ونور الدين وحيل دليله)، ومنهما اقتبس نصوصا لطبعات مدرسية سنة 1852-1856م. كما يعدّ شربونو من المؤسسين الأوائل لأول جمعية للعلماء الجزائريين، سنة 1852م، وكذا جمعية الآثار في قسنطينة حيث تعرّف على العصور القديمة للاتينية والعربية، والماضي المسيحي والإسلامي.

وصار بعد مهمة من رينان في إطار آثار مدينة نوميديا سنة 1856م، مراسلا لجمعية الأعمال التاريخية بالوزارة، واستدعي سنة 1863م للجزائر، لاستخلاف برون (Perron) على رأس المدرسة العربية-الفرنسية. هاجمته الصحافة الفرنسية المعادية لتعليم العربية سنة 1867م مع زميله بربرجر، واتهموه باعتناق الإسلام، وكذلك فعل معه الصّفويون المعارضون للعربية الحديثة المدافعون

¹- voir : 3rabica.org et. www.books.openedition.org/enseditions/3730?lang=fr/7/4/2020

على الأعمال الكلاسيكية للنهضة في الشرق، وقد تضرّر من تراجع الإدارة الفرنسية عن سياسة تعليم العربية في الجزائر، وبعد إغلاق الثانوية نُقل إلى إدارة الجريدة الرسمية الجزائرية للغة العربية سنة 1871م، وفي سنة 1879م استخلف دي سلان (De Slane) في كرسي العربية العامية في مدرسة اللغات الشرقية.

أهم أعماله: (1)

- épisode du Roman d'Antar et 30^e séance d'al-Ḥarīrī, 1845.
- édition et traduction d'extraits d'un traité de la conduite des rois et histoire des dynasties musulmane.
- le kitāb al-Faḥrī d'ibn aṭ-ṭiqtaqā, 1846-1847.
- édition scolaires, les Fables de Lokman, 1846, 2^e 1903.
- anecdotes musulmanes, 1847 pour des élèves plus avancé.
- élément de la phraséologie française, 1851.
- manuel des écoles arabes -française de l'Algérie, 1854.
- dictionnaire français-arabe, pour la conversation en Algérie, 1872.
- dictionnaire arabe –français (langue écrite), 1876.(وهو موضوع الدراسة)
- Ibn Qūtiyya sur la conquête de l'Andalousie.
- Aḥmad-bābā, de Tombouctou pour ses notices biographiques des savants malikites.
- Ibn Ḥamādu pour les premiers Fatimides, le voyageur al-Abdarī.

ومن بين هذه الأعمال، توصل البحث إلى كتاب anecdote musulmanes

(، cours d'arabe élémentaire, suivi d'un dictionnaire analytique, arabe, قُسم إلى

قسمين: الأول بعنوان (نوادير إسلامية) اشتمل على ثلاث وثلاثين (33) حكاية، معظمها قصيرة أو متوسطة الطول، لم يوضع لها عناوين؛ بل هي حكايات مرقمة: افتتحت بالحكاية الآتية: « قيل أنّ محمّد بن عبد الملك الزيات عمل تنور من حديد ومسامير إلى داخل، ليعذب به من يريد عذابه فكان هو أول من جعل فيه، وقيل له ذُق ما كنت تذيق الناس». (2) ومن الحكايات المرتبطة بالعقيدة الإسلامية أنه: « رُفع يوما للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الحق سؤال في القهوة، صورته ما قولكم في شراب يسمّوه القهوة، يجتمعوا عليه الجماعة يشربوه ويزعموا أنّه جائز مع أنّه يترتب عليه مفسد

¹- voir www.books.openedition.org/enseditions/3730?lang=fr/7/4/2020.

²-Cherboneau, Auguste. anecdote musulmanes texte arabe, cours d'arabe élémentaire, suivi d'un dictionnaire analytique, paris, Alger, 1847,p1.

كثيرة. فهل ذلك جائز أم حرام فأجاب بحرمتها، وأنها مسكرة وكتب على هذا السؤال جواب واسع⁽¹⁾. وهي حكايات طريفة أو ساخرة تحمل عبرا، تعكس أحيانا يوميات المسلمين، تأتي بلغة فصيحة عموما، إلا أنها تتحرف عنها قليلا، في بعض المواضع، وهو ما يرجح أنها كتبت عن راو، راعى خصائص الخطاب الشفوي، مثل: (تسكين آخر الكلمات، وحذف النون من الأفعال: يسموه يشربوه). والقسم الثاني (معجم عربي - فرنسي)، وهذا العمل صورة تؤكد اهتمامه بالفصحى. ويبدو من خلال تتبع سيرة المستشرق شربونو وأعماله، أنه كان مهتما بتعليم العربية بشكل لافت للنظر، أما العامية الجزائرية، فعمل على تعليمها للأجانب بخاصة، وكان يهتم بالفصحى والأدب العربي، وقد عرضه اهتمامه بالعربية إلى مشاكل كثيرة، كما لاقى معارضة من المحافظين بسبب دعوته إلى تعليم العامية. واهتم بمجال الآثار والتاريخ. عموما تعكس أعماله ذلك الاهتمام المشترك لدى معظم المستشرقين بمجالات الأدب العربي، والتعليم، والتاريخ وكل ما له علاقة بالإسلام والمسلمين. لكن ما ميّزه أنه كان يتعاطف مع الجزائريين حسب ما ورد.

1-التعريف بمعجم شربونو:

1-1-المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1-العنوان: ورد العنوان باللغة العربية (قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية)

الجزء الأول (أ-ص)، وباللغة الفرنسية في صفحة أخرى، (-DICTIONNAIRE ARABE (FRANÇAIS (LANGUE ÉCRITE).

1-1-2- دار النشر: مكتبة لبنان ببيروت، أما سنة النشر فقد وردت سنتان الأولى هي 1973

والثانية هي 1981.⁽²⁾ أما أول طبعة فظهرت سنة 1876م، وإعادة طبعه تعكس أهميته والحاجة إليه.

1-2-المعلومات الواردة في بداية المعجم:

1-2-1-تصدير: افتتح المعجم بتوطئة لدار النشر، كُتب في آخرها دائرة المعاجم مكتبة لبنان.

ومما ورد فيها: « لقد ارتأينا في دائرة المعاجم إجراء بعض التعديلات على كتابة بعض الحروف العربية

* وكتب على هذا السؤال جوابا واسعا.

¹ -Cherboneau, Auguste. anecdote musulmanes texte arabe, cours d'arabe élémentaire, suivi d'un dictionnaire analytique.p 2, 4.

² - ينظر: شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). الجزء الأول أ-ص. بيروت، مكتبة لبنان، 1981. طبعة جديدة.

قبل إعادة طبع هذا المعجم بحيث جعلناها تتفق والشكل الحديث المتعارف عليه في شتى أنحاء العالم العربي فحوّلنا الـ (ب إلى فـ والـ فـ إلى قـ)، وهي تعديلات قصدنا منها تسهيل قراءة النصوص العربيّة على المُراجع الكريم⁽¹⁾. وهو ما يبيّن أنّ المستشرق اعتمد الكتابة القديمة لبعض الحروف، بعدها يجد القارئ مقدّمة المؤلّف التي استغرقت ثماني (8) صفحات. أتبعها بقائمة المختصرات وشرحها، وهي كثيرة إذ تجاوزت الخمسين رمزا قد يدلّ هذا على كثرة المعلومات الواردة، وقبل ذلك أشار إلى تنقيط الحرفين: (ف وب) على الطّريقة الإفريقية* وأنّ النجوم تعبّر عن الجذور. ووجود حرف (F) بعده أحد الحروف (A, I, O) أو حرفين أو ثلاثة، يعني أنّ المضارع تكون عينه إما بالفتحة أو بالضمّة أو بالكسرة، وبعض الأفعال تقبل حركتين أو ثلاث، وقدّم أمثلة لذلك.

1-2-2-مقدّمة المعجم: افتتح المستشرق شربونو مقدّمته بالإشارة إلى ضرورة الاعتراف

بأنّ الثراء المعجمي للغة العربية** سلبيّ، إذ يؤثر سلباً على وضوح اللغة وسهولتها، حيث يؤدي تأمل المعاني المختلفة، وأحياناً المتناقضة التي تتضمنها المعاجم العربية تحت الكلمة الواحدة إلى الإصابة بدوار، وهو ما ذهب إليه صاحب كتاب التاريخ العام للغات السامية إرنست رينان (E. RENAN).⁽²⁾ ويؤاخذ المستشرق المعجميين الأوروبيين من خلال قول المستشرق الفرنسي رينان، الذي عبّر عن عدم اكتفائهم بتسجيل المعاني الحقيقية والتعابير المستعملة، وأنّهم وجدوا متعة في رصد المعاني النادرة، ولم ينتبهوا إلى أنّهم يسهمون في إيجاد خليط أو (هجين un chaos-) وأنّه بقليل من الجهد والإرادة يمكن العثور على كل ما نتمناه ونطلبه.

يقول: وعليه أخذت على عاتقي هذا الأمر، إذ جمعت في جزأين سهلي الاستعمال العناصر الضرورية للتعبير الفصيح، استغرق هذا الانتقاء عدّة سنوات، وهو عمل في منتهى الدقّة، لاعتماد العمل على اختصار القوائم الموجودة دون حذف أيّ كلمة ضرورية، واستبعدت مجموعة من المترادفات، وماهي في الحقيقة إلّا صفات تمّ تحويلها إلى موصوفات، أو استعارات وظّفها بعض

¹ - ينظر: شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). توطئة المعجم.

• ذكر في بداية المعجم أنّ الحروف عدلت، بمعنى سيد القارئ هذه الحروف كما تستعمل حالياً.

• قصد المستشرق كثرة المترادفات.

² - ينظر: المستشرق شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 1 من مقدّمته. عن:

E. Renan, Histoire et système comparé des langues sémitiques, 1^{er} édition, page 362.

الشعراء، وبالعودة إلى ملاحظات رينان ... مثل بكلمة (عجوز) التي أحيطت بكَمٍّ من الكلمات، وهو أمر لا تفسير له، بالإضافة إلى تصريحات المسلمين أنفسهم، الذين اشتكوا من كثرة المترادفات والغموض الذي يلحق المعنى الحقيقي للكلمة. وحسب مقدّمة ابن خلدون فإنّ أتباع البديع بالغوا في هذا الأمر، إذ لم يتمكّن الشيخ البلفيقي* من إخفاء ضيقه الشّديد من عمل البلاغيين هذا. لكن صنيعة هذا كان إجابة غير مباشرة، على إشكالية تثار بكثرة في الدراسات والبحوث اللغوية القديمة والحديثة حيث وضح أنّ هناك تسمية واحدة وغيرها صفات استعملت لاحقاً بوصفها تسميات، وبهذا فهو ينفي وجود التّرادف، بمعنى التطابق بين معاني الكلمتين، إلّا تجاوزاً، وهو ممّا ورد لدى بعض العلماء والمؤلفين العرب قديماً، منهم أبو هلال العسكري.⁽¹⁾ الذي أثبت أنّه لا وجود للتّرادف بمعنى تطابق معاني الكلمتين مطلقاً.

ثمّ يذكر أنّه أبقى على الكلمات التي رأى فيما بينها علاقة منطقية، وحاول الفصل بين ما هو حقيقي وما هو مجازي، وألغى بعض الألفاظ، مثل الفعل (أفدَسَ) الوارد في معجم فريتاغ، وهو لفظ غريب، وعمل على إزاحة كل الكلمات الغريبة، التي تؤثر سلباً على التعبير الحديث. كما حرص على أن تستجيب هذه القائمة لاحتياجات الدّروس المقدّمة، وذلك بمراجعة بعض الدّلالات في أعمال بعض المستشرقين الفرنسيين، يقول: وقد قرأت بتركيز شديد ترجمات كل من: (MM. De Salane, Garcin de Tassy و Defrémery و Barbier de Meynard و Gustave Dugat كما أضاء لي الطّريق تصفّح المؤلفات القيّمة لكل من (De Sacy و Quatremère و Caussin de Perceval وReinaud).

* هو أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الشيخ الوليّ أبي إسحاق بن الحاج السّلمي البلفيقي، ولد في المرية سنة 680هـ (1281-1282)، وبدأ تعلّمه فيها وفي إشبيلية، ثمّ انتقل إلى المغرب وقرأ في بجاية على قاضي الجماعة أبي منصور أحمد بن عبد الحق المشدالي (731هـ). ثمّ ذهب إلى مراکش وبعدئذ استقرّ في سبتة، ثم عاد على الأندلس، ونزل في مالقة وأخذ عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي. تولى القضاء في مالقة (735هـ)، توفي في رمضان سنة 773هـ الموافق لـ 1372م. وهو شاعر. فروخ، عمر. تاريخ الأدب العربي. الأدب في المغرب والأندلس (7هـ-10هـ). بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، 1983م. ط1. ج6. ص498.

¹ -ينظر: العسكري، أبو هلال. الفروق في اللّغة. تح: لجنة إحياء التراث العربي. بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1998م. ط5.

ليقف عند أكثر ما يزعج الطلبة، وهو البحث عن الجذر، الذي كثيرا ما يتوارى خلف الاشتقاقات المختلفة للفعل، ولمساعدتهم على معرفة آلية إضافة حروف الزيادة إلى المجرد. ثم بيّن طريقة إيراده هذه الأفعال، حيث فصل بين الجذر المرفق بنجمة على يساره، وما يتفرّع عنه، وحاول انطلاقا من الجذر الإتيان بكل ما يمكن أن يتضمّنه من صيغ. قُتّمت كل صيغة في سطر مستقل، مكتوبة بالحروف يرافقها رقم مع تصنيف الفعل. ومثّل لذلك بالجذر (أمّ، أمّ، تأمّ، إئتمّ، إستمّ، إمّة، أمام، إمام، إمامة) انطلق من الفعل الثلاثي، فالمزيد بحرف، فحرفين، فثلاثة، لينتقل إلى الأسماء، كما هو موضّح في الأمثلة. حيث ترد الصيغ ذات المعنى الواحد على السطر نفسه.

بعيدا عمّا سبق ينبّه المؤلّف إلى غياب الحركات أو كما سماها (les points -voyelles) يوضّح في الهامش أنّ ما دفعه إلى ذلك هو الاقتصاد، ولم يثبتها إلّا في مواضع قليلة، كما روعي في الترتيب تسلسل الكلمات، بالقدر الذي يسمح باستخراج المعاني الأساسية، مع بيان نوع الكلمة بدقّة من حيث الصفة والفعل والجمع، ووردت الضمائر المنفصلة والمتّصلة في الأمثلة المقدّمة، أما الأدوات، والتي يسمّى معظمها السّوابق، فقد وجب توظيفها كما تظهر في الخطابات، لإظهار تأثيرها على عناصر الجملة، حيث قام بتوظيف هذه الصيغ المختلفة في عبارات مبتورة، كانت الوسيلة لشرح بعض التّعابير. عبّر بعدها عن رغبته في توضيح بعض المعاني، باعتماد نصوص مقتبسة من المؤلّفين المعروفين في الأسلوب الفصيح (يسميه الكلاسيكي)، إمّا لبراعتهم أو لتأثير كتاباتهم، إلّا أنّ الإطار الضيق الذي حدّده النّاشرون، جعله يكتفي بأبسط التّعريفات وأوضحها وأسهلها.

كما أشار إلى أهميّة تتبّع التدرّج الذي أوصل ابن خلدون في مقدّمته إلى السير بكلمة (عمران) من فكرة التّعير (peuplement) إلى الحضارة (civilisation)، وقد أكّد ذلك بأدلة، وفعلا اقتبس بعض العبارات التي تضمّنت هاتين الكلمتين. ثمّ أعلم القارئ بوجود قائمة بالكلمات النّادرة الاستعمال والمهجورة في نهاية الجزء الثّاني، وينبّه في النّهاية إلى أنّه سيكون مخطئا جدا إذا اعتقد أنّه سيجد لغة التّخاطب، إذ هذا الكتاب ليس معجما فرنسيا-عربيا للكلام في الجزائر؛ بل اكتفى بالآليات والاصطلاحات العربية الفصيحة (الأسلوب الكلاسيكي حسبه). وأخيرا ختم مقدّمته بتوجيه الشّكر للذين كانوا عوناً له في إصدار القاموسين.

تضمّنت هذه المقدّمة بعض المعطيات حول القاموس، وشرح طريقة وضعه، بالإضافة إلى إمكانية استخلاص بعض المعلومات حول المستشرق شربونو، ونظرته للغة العربيّة، وأهمّ المستشرقين

الذين تأثر بهم أو رجع إلى مؤلفاتهم، كما ذكر بعض المؤلفات المطلع عليها، مثل: كتاب رينان ومقدّمة ابن خلدون. وأورد بعد المقدّمة قائمة المختصرات المستعملة في قاموسه. يُلاحظ أنّه لم يلتزم بالقواعد الحديثة لتأليف المعاجم، مثل التعريف ببعض قواعد اللغة العربية.

1-3-3- تصنيف المعجم:

1-3-3-1 -معجم للناطقين باللغة الفرنسية: تبين في القسم النظري أنّ المعجم قبل وضعه لابدّ من تحديد الفئة المتوجّه إليها، كل ما ذكره المؤلف في مقدّمته، هو أنّ قاموسه موجّه لكل من يريد الكتابة بلغة فصيحة، ويغلب الظنّ أنّه يتوجّه به إلى المهتمين باللغة العربية من غير أهلها يفهم ذلك من حرصه على أن يكون هذا القاموس في المستوى، ليستجيب للدّروس التي يقدّمها لفئة المتعلّمين، وهذا ما يبيّن أنّه يهتمّ بهم بالدرجة الأولى، وبتلبية احتياجاتهم.⁽¹⁾ ويمكن أن تكون له وظيفة تحقيق الفهم بوصفه يشرح الكلمة العربية باللغة الفرنسية، وهذا ما ييسّر فهم هذه الكلمات المشروحة لمن يجهل معناها، لاسيّما أنّه يوردها في غالباً في أمثلة، إما آيات قرآنية أو حكم وغيره.

1-3-3-2 -معجم للتعبير الكتابي: وضّح المؤلف أنّ قاموسه وضع لمساعدة الكاتب على إنشاء نصوص مكتوبة رفيعة المستوى، وبلغة بسيطة في الوقت ذاته، لمساعدة الطّلبة، مع تحفيزهم على العودة إلى الكتب التعليمية الأخرى وعدم الاكتفاء بهذا القاموس.

1-3-3-3 -معجم للغة الفصحى: يفهم من عنوان القاموس (اللغة الكتابية) أنّه تضمّن اللغة العربية الفصحى، أشار إلى ذلك في آخر مقدّمته، عندما نبّه القارئ إلى أنّه لن يجد لغة التّخاطب اليومي، يقول: « لم أضمنه إلّا التّعابير الفصيحة بمعنى الأسلوب الكلاسيكي ». ⁽²⁾ وهنا إشارة ضمنية إلى وجود نوع آخر من المعاجم، التي تعنى بالأسلوب العامي الشفوي غير المكتوب، ويمكن استخلاص رؤية المستشرق من خلال هذا العنوان، والمتمثلة في استبعاده للعامية عن مجال الكتابة.

1-3-3-4 -كتابة اللغة العربية بالحرف العربي: كتبت اللغة العربية في هذا القاموس بالحرف العربي، ولا يلجأ المؤلف إلى الحرف اللاتيني إلّا في مواضع نادرة، مثل: (khoun) * عندما شرح

¹ - ينظر: شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). الجزء الأول ا-ص. المقدّمة. ص III.

* je n'y ai introduit que les matériaux et les mécanismes de la diction pure c'est -à dire du style classique proprement dit.

² -ينظر: شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). الجزء الأول ا-ص. المقدّمة. ص VIII.

* أسقطت الهمزة من بداية الكلمة بالحرف الفرنسي.

كلمة إخوان،⁽¹⁾ وهذا يعكس حرصه على توظيف الحرف العربي.

1-3-5-معجم عام: يُصنّف هذا القاموس ضمن المعاجم العامة، إذ حاول الإحاطة بمعظم مفردات اللغة العربية المتداولة في المعاجم العربية، وذكر أشهر المؤلفين المعروفين بأسلوبهم الأنيق البسيط، بالإضافة إلى استعانتة بترجمات ومؤلفات بعض المستشرقين، كل ما يمكن من التعبير الفصيح، وأنه حاول اختصار الكلمات الموجودة في المعاجم والتخلص من المترادفات.⁽²⁾ وقد أشار إلى أمثلة تخصّ تسميات بعض الحيوانات والموجودات، كالأسد والعسل، وغيرها موضحاً أنّ تسمياتها واحدة، والكلمات الأخرى هي صفات، داحضا بذلك نظرية الترادف، كما سبق ذكره.

1-3-6-معجم ألفبائي: اعتمد المؤلف في قاموسه الترتيب الأبجدي، يظهر ذلك بداية من الغلاف الخارجي، الذي تضمّن (أ-ص)، وهذا يعني أنّ هذا الجزء من القاموس، سيتضمّن الكلمات التي تبدأ بالهمزة ← إلى حرف الصاد، أما في المقدمة فلم يُصرّح بنوع الترتيب.

جدول يمثل تصنيف قاموس اللغة الكتابية

للناطقين بلغة المتن		للناطقين بلغة الشرح	+
اللغة الفصحى	+	اللغة العامية	
للتعبير	+	للفهم	+
للقارئ	+	للترجمة الآلية	
تأريخي		وصفي	+
عام	+	متخصص	
ألفبائي	+	موضوعاتي	
الخطّ الأصلي للغة	+	نقحرة	

¹ - ينظر: شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص 6.

² - المصدر نفسه. ص 1.

* « j'ai réuni en deux volumes ...les éléments nécessaires de la diction littéraire...il s'agissait d'abrégier la nomenclature sans la tronquer, je me suis appliqué à écarter une foule de synonymes »

← يشير البحث إلى وجود فرق بين الألف والهمزة، وإن كانت التسمية الشهيرة هي الألف، إلا أنّ الألف والهمزة في الاستعمال مختلفان. والمقصود هنا هو الهمزة، ويقال همزة قطع للأصلية وهمزة وصل للزائدة، التي تسقط وصلا، عكس الألف الذي يأتي حرف مدّ.

2- قضايا الجمع في المعجم:

2-1- مصادر مادته: لم تذكر المراجع والمصادر المعتمدة في هذا القاموس، باستثناء ما ورد في مقدّمته والهامش، منها: كتاب (التاريخ المقارن للغات السامية) لـ ارنست رينان، و(المقدّمة) لابن خلدون. أما المعاجم ففكر معجم فريتاغ (العربي-اللاتيني lexicon arabico-latini, Freytag)، وذكر أنّه اطلع على ترجمات بعض المستشرقين منهم: (ديسلان ديفرماري، ديتاسي، دي ساسي، وكاترمار، ورينو، وكوسان دي برسوفال)، وغيرهم. أما المراجع الأخرى فلم يذكرها؛ بل اكتفى بالإشارة إليها، عندما تحدّث عن بعض الشعراء والبلاغيين الذين بالغوا في الإتيان بالمترادفات والمجاز، وبعض الأدباء الذين تميّزوا بأسلوبهم الرفيع وكذا بعض المعاجم للمستشرقين.

2-2- اختيار المداخل: وضّح المؤلّف أنّ المادة تنتمي إلى الاستعمال الفصيح، ولم يشر إلى عدد المداخل. أمّا معيار اختيار المداخل، فكل ما ذكره أنّه أقصى المترادفات والمجاز، حيث يجد الرّاعب في التّأليف ضالّته. وبما أنّ ما يهتمّ البحث بالدرجة الأولى هو نوع اللّغة الموظّفة فسيكتفي بدراسة الباب الأوّل (الهمزة) المشتمل على أربعة وأربعين ومائة (144) مدخلا، يكتفي المستشرق أحيانا بمدخل واحد رئيس، وتتفرّع عنه أحيانا مداخل فرعية.⁽¹⁾ وهذا ما سيأتي.

2-3- مداخل باب الهمزة: لوحظ بالعودة إلى بعض المعاجم العربيّة أنّ المستشرق لم يُحط بمدخل باب الهمزة، إذ هناك مداخل يفترق إليها، وذلك مقارنة بمعجم الوسيط ومعجم دانيال ريغ هناك مداخل مشتركة بينه وبين لسان العرب، الذي اشتمل على خمسة وسبعين ومائتي مدخل (275)، حيث تمّ تسجيل حوالي سبعة وثمانين (87) مدخلا مشتركا، وفي معجم شربونو حوالي ثلاثة وأربعين ومائة (143) مدخلا. أمّا معجم دانيال ريغ، فتضمّن حوالي سبعة وسبعين ومائتي (277) مدخلا. وبلغت في الوسيط حوالي اثنين وثمانين وثلاثمائة (382).

مدخل الباب الأوّل في كلّ من معجم (شربونو ودانيال ريغ وابن منظور ومجمع القاهرة):

عدد المداخل	شربونو	دانيال ريغ	ابن منظور	مجمع القاهرة
	144	277	275	382

يتبيّن باستقراء هذه الأرقام أنّ معجم شربونو اكتفى بما رآه مهما لمتعلمي اللغة العربية، كما

¹ - ينظر: شربونو، أوغست. قاموس اللغة الكتابية. باب الهمزة.

أنّه لم يتضمّن المفردات الحديثة، وهو ما قد يفسّر التّفاوت بين هذه المعاجم، من حيث عدد مداخل الباب الأوّل. يتمثّل الهدف من هذا الصنيع في معرفة مدى إحاطة المستشرق شربونو بأهمّ المداخل وقد علم القارئ الكريم أنّ المعجم الأحادي هو المنطلق الذي يرجع إليه مؤلفو المعاجم الثنائية، فإذا كانت لغة الانطلاق هي اللغة العربية، فالأصل في ذلك الرجوع إلى معاجم عربية أحادية، للإحاطة بمفردات تلك اللّغة قدر الإمكان، لتأتي المرحلة الثانية، وهي البحث عمّا يقابل هذه المفردات في اللغة الهدف، مثل اللّغة الفرنسية.

2-2-4-المستويات اللّغوية: تشتمل اللّغة العربية على مستويات مختلفة باختلاف المقام، وقد ذكر سابقاً أنّ هذا القاموس للّغة الكتابية، ممّا يعني أنّه سيتضمّن مستوى واحداً، وهو المستوى الفصيح، فهل التزم المؤلف بهذا الاختيار؟ سيعمل البحث على تتبّع مداخل باب الهمزة للإجابة على هذا السؤال.

2-2-4-1-المستوى الفصيح: حاول المستشرق الالتزام بما ذكره في مقدّمته، وهو التقيّد باللّغة الكتابية -كما سماها- إذ تمثّل اللّغة العربية الفصحى النّسبة الكبرى في قاموسه ولاسيّما (باب الهمزة) الذي تكاد مداخله تخلو من العامي والدّخيل، باستثناء ما ورد عند شرح بعض الكلمات، ويبدو أنّها وردت تأثراً بترجمات خاطئة لمستشرقين رجع إليهم، أو لاعتقاده أنّ وجود هذه الكلمات والعبارات قد يثري قاموسه أكثر، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الأبواب الأخرى تضمّنت مستويات أخرى، ولاسيّما العامّي.* ومن الكلمات التي تدلّ على أنّه رجع إلى معاجم قديمة: (أَبَخ، أَبَق، أَبِيل، أَرَب، أَرَش). فكلّمة أَبَخ ترد عادة في المعاجم الحديثة بالواو (وَبَخ)، ثمّ قد يُشار إلى الهمزة، أمّا المعاجم القديمة فتوردها بالهمزة، كذا الفعل (أَبَق) بمعنى هرب، وأرب التي ذكر معناها، وهو الذكاء والفتنة. أما المعنى المشهور بين النّاس، فهو معنى الحاجة يقال: (قضى أربه)، أي حاجته، كذلك الأمر بالنّسبة إلى كلمة (أَرَش)،⁽¹⁾ التي تعني الدّية، وهي غير موظّفة في الاستعمال اللّغوي المعاصر في حدود العلم.

* سترد بعض النّماذج من باب الباء دون إطالة.

1 - مجمع اللّغة العربية، الوسيط، مادة (أرضت).

2-2-4-2-المستوى العامي: رغم أنّ المؤلف شربونو أكدّ خلّو معجمه من لغة التّخاطب اليومي، إلّا أنّه يضمّن بعض المداخل هذا المستوى اللّغوي، فيورد كلمة أو عبارة عامية على أنّها فصيحة، وأحيانا يشير إلى ذلك، بتوظيف الرمز الذي وضعه في بداية المعجم بمعنى عامي (vulg.) أي (vulgaire)، وأحيانا يشير إلى المنطقة، وهذه نماذج لهذا النّوع.

جدول يمثل نماذج للاستعمال العامي في باب الهمزة

المدخل ⁽¹⁾	الكلمة أو العبارة
أب	en algérie, on dit souvent même on l'écrit souvent suivi d'un complément, ce mot exprime la possession, l'habitude, la qualité ou le défaut, l'abondance, etc. on le trouve dans un grand nombre de surnoms ou de sobriquets. ex: بو معزة: l'homme qui possède une chèvre, ou se fait suivre par une chèvre... بوجه écu marquer d'une effigie (vulg. boudjou) ...*
أتى	- آتوني بالخاين.
أجل	أَجَل, fém. أَجَالَة , veuf, veuve, d'où le v. n. تَأَجَّلَ devenir veuf.
أخذ	en vulg. on dit أخذًا à la 3 ^e pers du prétérit. (الفعل الماضي) - كيف أخذتم التريكة بأسرها
آخر	آخرين plur. vulg.
أسر	التريكة بأسرها
أكل	تأكّل - إئتكل ماكلته تجارة ولباسه خسارة قلّة المأكلة... مأكلة... كالي. et vulg. أكل... وكّال et vulg. أكّال... واكلّة. et vulg. أكلة
ال	الذيب
أله	لله القاييل/ على وجه الله
أمن	avoir confiance, se fier à. أمن
أمّ	أمّ اللبل
أل et آل	organiser, combiner, prendre des mesures, établir un système. تَوَّل ... procédé تاويل
إيا	انا وإياك
أيه	oui, partic. d'affirmation ; composée de la locution et إياه ! par dieu أي والله

قد يُقبل وجود المستوى العامي إلى حدّ ما، حين يُعلّم القارئ بذلك، إلّا أنّه كثيرا ما يورده دون

¹ - ينظر: شربونو، أوغست. (اللغة الكتابية)، ص2، 3، 4، 5، 9، 11، 12، 13، 15، 20، 21، 22.

* أورد ألقابا أخرى مع شرحها بالمعاني العامية، (بو الاعراس، بونعاس، بومرزاق، بو نافع، بونفع، بوتليس، بوزنزن، بوجليدة، بوفريك).

إشارة إلى عاميته؛ بل أكثر من ذلك، إذ يجعله فصيحاً، وهو ما يشكّل خطراً على اللغة العربية. وسيتمّ تحليل بعضها، حيث طرأ على بعض الكلمات العربية تحريف إما بالحذف أو الزيادة أو القلب وأحياناً هناك تحريف على مستوى التركيب والدلالة.

2-2-4-1-2-الخلط بين الفصيح والعامي: جاءت بعض الصيغ بكتابة فصيحة، في

حين هي عامية في الاستعمال، مثل: (أَجَال، أَجَالَة، أَكَلَة، أَمّ الليل، استأهل، مستأهل، تَوَلّ)، يلاحظ القارئ الكريم أنّ هذه الكلمات على أوزان عربية معروفة، وهي: (فَعْلَة، مَفْعَلَة، فُعْلُ الفَعْل، اسْتَفْعَل مُسْتَفْعِل، فَعْل). سيتوقّف البحث عند المعاني الصحيحة لهذه الكلمات في موضعه. أمّا كلمة (آخرين)، فقد أثبتنا على أنّها عامية، في حين أنّها عربية فصيحة. كما تجدر الإشارة إلى أنّ كلمة (أَجَال)، هي كلمة قبائلية، يقال: (أَجَال، ثَجالت)، وبالعامية يقال: (هَجَال) حيث أبدلت الهمزة هاءً ويقابله في الفصحى (الأيّم) أو (أرمل). كما وردت عبارات امتزج العامي فيها بالفصيح، سواء من حيث الصياغة أم التركيب أم الدلالة. العبارة الأولى هي: (قَلّة الماكل) والصواب هو (قَلّة الأكل) أو (المأكل). والثانية عبارة عن مثل شعبي يستعمله العامّة، (ماكلته تجارة ولباسه خسارة). والعبارة العامية هي: (ماكلتو تجارة ولباسو خسارة)، حاول المستشرق ردها إلى الفصحى، كما وردت في المتن. أما مقولة (لله القایل)، فيبدو أنّ هناك خللاً، فللمدح يقال (لله درك) ولا تدلّ العبارة الواردة على المدح (في حدود العلم). كما يظهر تأثير العامية على عبارة (على وجه الله)، (على وجه ربي). فالكلام الفصيح يوظّف عبارة (لوجه الله). لاشكّ أنّ القارئ الكريم يلمس ركافة في عبارة: (لأنكم تستأهلون الأرواح)، وذلك لتأثرها بالأسلوب العامي. كما توظّف عبارة (انا وإياك)، بشكل كبير في لغة التّخاطب، وقد جُمع بين ضمير رفع وضمير نصب، وهذا لا يصحّ في العربية، فالضمير المنفصل (إياك) لا يكون إلّا للنّصب، إذ يمكن قول: (أنا مستعد)، ولا يمكن قول: (أنا وإياك مستعدان)، بل (أنا وأنت...).

2-2-4-3-الدّخيل في المعجم: تضمّن باب الهمزة في القاموس بعض الكلمات الدّخيلة

وردت ست (06) كلمات، وتجدر الإشارة إلى أنّ كلمة (أسطورة)، وردت في القاموس على أنّها أعجمية، في حين لم تشر المعاجم العربية قديمها وحديثها إلى ذلك. أما ما لم يشر المؤلّف إلى عجمته، فهما المدخلان: (إبريق، وأبنوس).

جدول يمثل الدّخيل في القاموس

بالفرنسية	بالعربية ⁽¹⁾	بالفرنسية	بالعربية ⁽¹⁾
ébène, bois noir	أبنوس	aiguère	إبريق
contrée, région, climat	إقليم	etale	اسطبل
diamant	ألماس	histoire, fable	أسطورة

وردت هذه الكلمات الدّخيلة التي تضمّنها المدخل الأوّل في معاجمنا العربية، ولاسيّما الحديثة منها، فلا وجود لكلمات مقحمة من قبل المستشرق. ففي القاموس المحيط، ورد في مادة (سطر): (... والأساطير أحاديث لا نظام لها، جمع إسطار وإسطير بكسرهما، وأسطور، وبالهاء في الكل...) والتّعريف نفسه تقريبا وارد في معجم لسان العرب: (... والأساطير الأباطيل والأساطير أحاديث لا نظام لها، واحدها إسطار وإسطارة بالكسر، وأسطير، وأسطيرة، وأسطور، وأسطورة). أما من المعاجم الحديثة، فكرّر معجم الوسيط تعريف القاموس المحيط دون أيّ إشارة إلى عجمة الكلمة.⁽³⁾ وعليه فالمستشرق لم يخرج عمّا تعارف عليه المعجميون العرب.

جدول يمثل النسبة المئوية للمستويات اللّغوية في المعجم

النسبة	المستوى اللّغوي
84.63%	الفصيح
11.18%	العامي
04.19%	الدّخيل
100%	المجموع

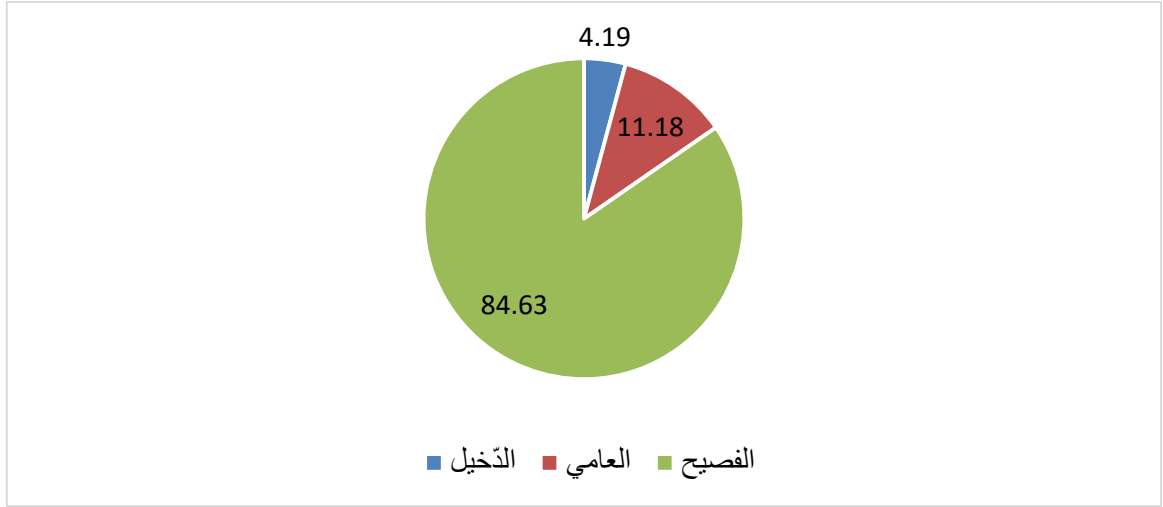
بالعودة إلى (باب الهمزة) في القاموس، بيّنت النسب المئوية أنّ المستشرق قد ضمّن نسبة من العامي والدّخيل، وإن كانت قليلة جدا مقارنة بالمستوى الفصيح، كما تبين الدّائرة النسبية الآتية. إلّا أنّ هذا الحكم لا يمكن تعميمه على العمل كلّه.

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 2، 9.

² - المصدر نفسه. ص 2، 11، 13.

³ - الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف. القاهرة، دار الحديث، 1429هـ-2008م. دط. مادة (سطب). وابن منظور، لسان العرب، مادة (سطر). ومجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (السريالية).

الدائرة النسبية للمستويات اللغوية في المعجم



تؤكد هذه الدائرة النسبية عدم تقيد المستشرق بما ورد في بداية عمله، حيث تضمن كلمات فصيحة كثيرة إلا أنه، وخلافا لما ذكره أورد كلمات عامية، وما يؤسف له أنه أحيانا يشير إلى ذلك، ويُعرض عنه أحيانا أخرى. يمكن تفسير وجود العامية في معاجم المستشرقين عموما، بأنهم عادة يرجعون إلى معاجم وضعها المستشرقون السابقون، وهم لأسباب مختلفة، قد ضمتوا معاجمهم كلمات عامية، قد يرتبط بعضها كما قيل بالمنهج الوصفي، الذي يدعو إلى تجاهل اللغات المكتوبة، وإن كان هذا مستبعدا، ولاسيما أن معظم أصحاب المدونة لا علاقة لهم بالبحث اللساني، -لا علاقة مباشرة- وهم غالبا يتعاملون مع الاحتلال الفرنسي، وهو ما قد يرجح أن الأسباب ليست لاعتبارات علمية.

3- قضايا الوضع في المعجم:

3-1- الترتيب في المعجم:

3-1-1- الترتيب الخارجي: حاول المستشرق شربونو الاقتداء بمنهج العرب في طريقة

الترتيب، إذ جاء ترتيب الأبواب ألفبائيا، محاولا تتبع الاشتقاق على مستوى الكلمات، بالطريقة نفسها الموجودة لدى العرب. وسيتم تناول بعض المداخل، لمعرفة ترتيبها داخليا.

3-1-2- الترتيب الداخلي: اعتمد المؤلف في ترتيب مداخل معجمه الترتيب الألفبائي

انطلاقا من الجذر، ثم يتدرج في إيراد اشتقاقاته المختلفة، وقد راعى ذلك في باب الهمزة الذي تم الاطلاع عليه باستثناء بعض المواضع، مثل: كلمة (ابن) الواردة في باب الهمزة، والأصل فيها أن ترد ضمن باب الباء.

جدول يمثل نماذج لطريقة الترتيب في المعجم

الاشتقاق	المدخل	الاشتقاق	المدخل
أبد	أبد/أبد/أبد-أبيد	أبر	أبر/إبرة/مئبر
إبريز	/	إبريق	/
إبط	أبط-تأبط	أبق	/
إبل	/	إبليس	/
إبن	/	أبيل	/
أبنوس	/	أب	أبوة/أبوي
أبي	تأبي/إباء/أبية/أبي	إتان	/
أتى	ءأتى/تأتى/آت/إتيان	أثاث	/
أثر	أثر/تأثر/إثر/أثر/تأثير/مأثر	أثيل	/
أثم	إثم	أجاج	وأجوج
أجر	أاجر/استاجر/أجر/أجر/أجرة/إجارة/أجير	أجل	أجل/استأجل/أجل/أجل/مأجل/مؤجل/مجال/أجال

يوضح هذا الجدول طريقة ترتيب المداخل في المعجم، والملاحظ أنه يعتمد جذر الكلمات في بعض المداخل، ويغفل عن ذلك في بعضها الآخر، مثل: كلمة (إبن) التي أوردها ضمن حرف الهمزة في حين توردها المعاجم العربية ضمن باب الباء مادة (بنى).⁽¹⁾ بيد أنه التزم بهذا الترتيب مع الفعل (أب) والاسم (أب)، الذي رده إلى مادته الصحيحة، وهي (أبو)، وإن كان الأصل أن يأتي بعد كلمة (أبيل) لسبق الواو حرف الياء في الترتيب ألفبائي، وتجدر الإشارة إلى أنه كان يفترض أن يسبق هذه الكلمة الجذر الثلاثي (أبل)، كما أنه يفتح بالمضعف أحياناً، مثل: (أثم)، فالأصل ذكر الثلاثي منه، وهو (أثم) لينتقل بعدها إلى المضعف. كما أن المستشرق شربونو لم يلتزم بطريقة واحدة في ترتيب مداخل معجمه، سواء الرئيسية أو الفرعية، حيث يفتح مداخله بالأفعال، مثل: (أبد، أبتد، أبر أبق، أبي، أتى، أثر، أثم)، وهو الغالب في القاموس إلا أنه يقدم الأسماء في مواضع أخرى. مثل: (إبط، إبل، أبيل، إتان أثاث، أثيل أجاج...)، ويختلف ترتيب الكلمات من مدخل إلى آخر. مثل: (أبي تأبي/إباء/أبية/أبي أتى/ءأتى/تأتى/آت/إتيان، أثر/تأثر/إثر/أثر/تأثير/مأثر).

¹ - ينظر: ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة (بنى). والمعجم الوسيط. مادة (بنى).

توضّح هذه الأمثلة أنّ ترتيب المداخل الفرعية، لم يخضع لنظام ثابت وموحّد، ففي الأوّل أورد فعلاً، فمصدراً فصفة، وفي الثّاني بدأ بالفعل وأتبعه باسم الفاعل، فالمصدر، والأمر مختلف كذلك في المثال الثّالث. لكن عموماً يبدأ بالأفعال فالأسماء. ومن المواضيع التي ذكر فيها أكثر من كلمة: (أزر أرز، رز، أذاة، أذية، أرخ، أرخ، آرخ أستاذ، أستاذ، أشر، أشر، آشر)، وغيرها من المواضيع، التي يدرج فيها أكثر من كلمة للمعنى الواحد، وهو ما يتناقض مع هدفه المذكور، والمتمثّل في استبعاد المترادفات.

3-2- التّعريف في المعجم: يُقصد بالتّعريف تحديد أهمّ العناصر الموظّفة لشرح المداخل وقد أُشير إلى بعض المعطيات المرتبطة بالرّسم الإملائي في موضع سابق، أما الشّيء المميّز الذي لا بدّ من ذكره، فهو كتابة الكلمات والعبارات العربية بالبنط العريض، وهو ما يبرز الخطّ العربي أكثر من الفرنسي، أما من حيث طبيعة المعلومات الواردة، فتختلف من مدخل إلى آخر. ويمكن تسمية نوع التّعريف المعتمد في القاموس بالتّعريف النّقابلي، حيث أورد المؤلّف لكل مدخل عربي ما يقابله في اللّغة الفرنسية، يتبعه أحياناً ببعض العناصر التّوضيحية.

3-2-1- نماذج لتعريف المداخل: للتعرف على منهج المستشرق في تعريف مداخل معجمه، سيتناول الجدول الآتي نماذج من قاموسه.

جدول يمثل تعريف المدخل الأوّل

المدخل	مقابله	مدخل فرعي	مقابله
أ (1)	elif ou alif première lettre de l'alphabet arabe...il conçoit les voyelles brève et les signes orthographique. dans la numération il représente le chiffre 1.	أ	أنؤمن كما آمن adv. interrog, est ce que ? أما تذكر أتجدون نعمة الله...ألم تر...السفهاء ... si la phrase interrogative est composée de deux membre, le second membre doit commencer par أ, autre adverbe interrogatif.

افتتح هذا الباب بحرف الهمزة (ا) باللّغة الفرنسية، ورد على رأس الصّفحة، مبيناً أنّه الحرف الأوّل في الألفبائية، وكُتِبَ بالحرف اللّاتيني كلفيّة نطقه باللّغة العربية، وقد سجّل كتابتين الأولى

¹ -شربونو، أوغست. قاموس اللغة الكتابية، عربي - إفرنسي. ص 1.

تبدأ بحرف (E)، والثانية بحرف (A)، وذكر أنه، يقبل الحركات، وباقي أنواع العلامات (مدّ، شدة). لا بدّ من الإشارة في هذا السياق إلى أنّ هناك تداخلاً بين حرف العلة (ألف) والهمزة (ء) ففي الاستعمال الكتابي تطلق الهمزة على حرف الألف القابل للحركات، وهناك الألف المدية. كما اعتبر المستشرق هذا الحرف مقابلاً للرقم واحد (1)، إلا أنّ هذا الحكم ينطبق على الأبجدية التي يقابل كل حرف فيها رقماً معيّناً، أمّا الألفبائية، فهي مجرد حروف. ثمّ بيّن أنّه قد يأتي بوصفه أداة استفهام، ذاكراً بعض السياقات لهذه الأداة، وذلك عن طريق إيرادها في جمل مختلفة، وفي نهاية الشرح يذكر أنّ الاستفهام الذي يتكوّن من قسمين لا بدّ أن يبدأ بـ (أم) وهي أداة استفهام أخرى، وهذا غير صحيح، إذ (أم) أداة عطف لا أداة استفهام، وقد ترد ضمن سياق الاستفهام، والملاحظ أنّه لم يمثل لهذا الحكم الذي قدّمه، ومثاله من القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، [سورة البقرة، الآية: 6].⁽¹⁾ إلا أنّه يمكن تفسير ذلك، بالاختصار على أهمّ استعمالاته في نظر المستشرق.

جدول يمثل تعريف المدخل الخامس

المدخل	مقابله	مداخل فرعية	مقابلها
أبر ⁽²⁾	f . o et i , 1,v.a., piquer ; نماذج calomnier	أبر إبرة مئبار	féconder les palmiers aiguille à coudre étui pour les aiguilles

عرّف المستشرق هذا المدخل بذكر مقابله باللغة الفرنسية، أرفقه برموز، تبين أنّ مضارع هذا الفعل يكون بضمّ الحرف الأصلي الثاني منه وكذا بكسره، بمعنى (يأبر، يابر)، ثمّ ألحق هذا المدخل بثلاثة (03) مداخل فرعية مع مقابلاتها باللغة الفرنسية، دون الاستعانة بجمل أو أمثلة باللغة العربية.

¹ - ينظر: ابن منظور. لسان العرب. (باب الألف). الحمد، علي توفيق، الزغبى، يوسف جميل. المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ط2، دار الأمل، الأردن، 1414هـ-1993م، ص14 وما بعدها. - فوال بابتي، عزيزة. المعجم المفصل في النحو العربي. بيروت-لبنان دار الكتب العلمية، 1413-1992م. ط1. باب الهمزة، ص 7 وما بعدها. - بديع يعقوب، إميل. معجم الإعراب والإملاء. القاهرة، دار العلم للملايين، 1983م. ط1. ص11 وما بعدها.

² - شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص 1.

جدول يمثل تعريف المدخل السادس

المدخل	مقابله
إبريز ⁽¹⁾	or pur--

اكتفى المستشرق بذكر المقابل باللغة الفرنسية، دون أي رمز أو توضيح آخر، ربّما لكونه لا يوظّف في الاستعمالات اللّغوية، فالكلمة المعروفة في اللّغة العربية هي الذهب، لكن الإبريز هو الذهب الخالص كما يتّضح من مقابله الفرنسي.

جدول يمثل تعريف المدخل السابع

المدخل	مقابله
أبريق ⁽²⁾	aiguère à goulot étroit. أباريق محزوق العنق aiguère أباريق pl. , أباريق

ذكر المدخل (أبريق) وأردفه بجمعه (أباريق) ومقابله بالفرنسية، ثمّ وظّفه في جملة باللّغة العربية والفرنسية.

جدول يمثل تعريف المدخل العاشر

المدخل	مقابله
إبل ⁽³⁾	les لا صدقة في الإبل الجارة. chameaux, race cameline. آبال pl. , إبل et إبل chameaux employés aux travaux ne sont pas sujet à la dime.

ذكر في المدخل العاشر صيغتين متطابقتين (إبل، إبل)، ولم يوضّح الفرق بينهما، وهي من المواضع التي أسقط فيها الحركات رغم أهميّتها، ثمّ ذكر الجمع، وذكر حديثا شريفا تضمّن هذه الكلمة باللّغتين العربية والفرنسية، دون الإشارة إلى أنّه حديث، بمعنى سقوط الزكاة عن الإبل التي تجرّ ويعمل بها، ولم يقصد صاحبها الاتّجار بها؛ بل يتّخذها لأعماله.

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 2.

² - المصدر نفسه. ص 2.

³ - المصدر نفسه. ص 2.

جدول يمثل تعريف المدخل الثامن عشر

المدخل	مقابله
أتى ⁽¹⁾	f.i , 1, v.n., venir à ou chez, avec l'acc le fermier est venu me trouver. Après que vous aurez reçu la dépêche. votre lettre très-honorée nous est parvenue. nous désirions que vous preniez la peine de venir aujourd'hui. puis on apporte les mets. فلا بدّ تخبروني في أيّ يوم. il faut que vous me préveniez du jour de votre arrivée. il n'est pas venu. لم يأت. amenez-moi le maraudeur. آتوني بالخاين. 5, v.n, être arrangé, disposé. etre perfectionné. arriver. آت. 4, v.a., donner. آتوني. آتوني. qui doit venir ; qui doit avoir lieu, prochain. إتيان arrivée ; accès ; venue.

اشتمل هذا المدخل على اشتقاقات متنوعة نسبيا للفعل آتى، الذي وضح أنّه مكسور العين في المضارع، ثمّ وظّفه في جمل مختلفة في الماضي والمضارع والأمر، وأورد للمضارع كل حالاته الإعرابية من رفع ونصب وجزم، ومع ضمائر مختلفة، إلّا أنّه لم يشر إلى نوع هذه الصيغ، بعدها أورد الفعل (آتى) وذكر مضارعه، ثم الفعل (تأتى)، ليرجع إلى اسم الفاعل للفعل (أتى)، (آت) ومصدره (إتيان)، وذلك دون الإشارة إلى هذه الصيغ. لا يتسع المقام لإيراد نماذج أخرى، إلّا أنّ الملاحظ هو عدم التزامه بطريقة تعريف موحّدة مع المداخل كلّها؛ بل يثبت معلومات تارة ويغفلها تارة أخرى، ينوّع من الأمثلة تارة ويكتفي بواحد أحيانا، وهكذا.

3-2-2- الواسائل التوضيحية في المعجم: أشار المؤلف في مقدّمة معجمه إلى أنّه لم يتوسّع أو يسهب في إيراد الشواهد، نظرا لما فرضته عليه دور النشر من قيود، جعلته يحدّد مادته « كان بودي توضيح بعض المعاني، بالعودة إلى نصوص أشهر المؤلّفين في الأسلوب الفصيح سواء أكان ذلك راجعا إلى موهبتهم وتقوّهم أم لتأثير كتاباتهم، إلّا أنّ تعليمات دور النشر فرضت عليّ الالتزام بأبسط الشروحات، فكم كان مهما تتبّع كلمة عمران في مقدّمة ابن خلدون...»⁽²⁾. سيعمل البحث في هذه المحطّة على إيراد أهمّ وسائل التعريف والشرح المعتمدة.

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 3.

² - ينظر: المصدر نفسه. ص 6.

3-2-2-1- شواهد قرآنية وأحاديث نبوية لم يشر إلى مصادرها:

جدول لنماذج من الأجزاء المقتطعة من آيات قرآنية⁽¹⁾ وأحاديث شريفة⁽²⁾

المدخل	الشاهد باللغة العربية	ترجمتها باللغة الفرنسية
أ	أؤمن كما آمن السفهاء . قال تعالى: ﴿...قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ...﴾، [سورة البقرة، 13].	est-ce que nous croirons comme ont cru les insensés ?
أخذ	حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وقال: ﴿... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْزَبَتْ...﴾، [سورة يونس، 24]	jusqu'au moment où la terre aura revêtu sa parure.
إذا	إذا ما حصلت ما في الصدور . وقال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الْصُّدُورِ﴾، [سورة العاديات، 10].	lorsque les pensées intimes seront mises au grand jour.
أرض	وسع كرسيه السماوات والأرض . وقال: ﴿...وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (255)...﴾، [سورة البقرة، 255].	son trône s'étend sur les cieux et sur la terre.
	وما تدري نفس بأي أرض تموت . وقال: ﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ...﴾، [سورة لقمان، 34]	nul ne sait dans quel pays il mourra.
أليم	فبشرهم بعذاب أليم . وقال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، [الانشقاق، 24].	annonce-leur un supplice cruel.
أن	ان تصوموا خير لكم . وقال: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾، [سورة البقرة، 184].	il est préférable pour vous que vous observez le jeûne.
إن	فما رميت إذا رميت فأنه الله رمى . وقال: ﴿...وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى!...﴾، [سورة الأنفال، 17].	ce n'est pas toi qui lance des traits, lorsque tu les décoches c'est dieu qui les lance.
إنما	ومن جاهد فأنما جاهد لنفسه . قال الحق: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَأِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ...﴾، [سورة العنكبوت، الآية 6].	celui qui fait des efforts, ne travaille que pour lui
إبل	لا صدقة في الإبل الجارة	les chameaux employés aux travaux ne sont pas sujet à la dime.
إن	إنَّ احداً جبل يحبنا ونحبه	certes qu'ohod est une montagne qui nous aime et que nous aimons.

¹ - ينظر : شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص 1، 5، 7، 8، 13، 16، 17.

² - ينظر : المصدر نفسه. ص 2، 17.

وردت حوالي عشر (10) آيات قرآنية في الباب الأول، وهذا شيء يشد الانتباه، حيث إن هناك نصوصاً متطابقة مع الآيات الكريمة الواردة في القرآن الكريم، في حين وظفت بعض الشواهد معدلة، كما يُحتمل أنه أخذها من مراجع أخرى، إلا أنه لم يشر إلى مصدرها في المتن. وتضمن الباب الأول من قاموس المستشرق شربونو شواهد من الحديث الشريف، إلا أنه لم يشر إلى ذلك، تماماً كما فعل مع الآيات القرآنية بل اكتفى بذكر هذه الشواهد، وكأنها جمل لا تنتمي إلى نصوص مقتبسة، والسؤال المطروح، هل يعلم المستشرق أنها مقتبسة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية؟

3-2-2-2-الأمثال والحكم: (1) أورد المستشرق شربونو عدداً لا بأس به من الأقوال المأثورة، وهذا يشترك فيه مع المستشرق دانيال ربيع، إلا أن الموضوع الوحيد الذي أشير فيه إلى نوع العبارة، بأنها حكمة هي: (كلّ ائاء يترشح بما فيه)، برمز (prov)، أما الأمثال والحكم الأخرى، فقد أوردها دون إشارة إلى ذلك.

جدول يمثل نماذج من الأمثال والحكم في المعجم

المدخل ⁽²⁾	العبارة باللغة العربية	العبارة باللغة الفرنسية
أجل	الرزق مقسوم والأجل مختوم	le pain quotidien est mesuré et le terme de la vie est fixé par un décret divin
أدب	أدب المرء خير من ذهبه	l'éducation pour l'homme vaut mieux que la fortune.
إذا	إذا رأيته يسبه أعلم أنه يحبه	si tu vois qu'il le gronde, sois convaincu qu'il a de l'amitié pour lui.
أكل	ماكلته تجارة ولباسه خسارة	sa nourriture est de l'argent bien placé, tandis que ses habits sont de l'argent perdu.
أمر	إذا أسند الأمر إلى جماعة أسند إلى التفريط	lorsqu'une affaire est confiée à une commission, elle est livrée à la négligence.
أمن	من تجنّب الخبار أمن العثار	celui qui prend garde aux trous est sûr de ne pas broncher
أنس	بلاء الإنسان من اللسان	le malheur de l'homme vient de sa langue.
	اللسان يكمل الإنسان	on est autant de fois homme qu'on parle de langues.
أنى	كلّ ائاء يترشح بما فيه	il ne sort par les pores d'un vase que le liquide qu'il contient. Prov
	التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان.	la lenteur (la prudence) vient de Dieu, tandis que la précipitation (la légèreté) vient de Satan.
أو	والله ما يبالي عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه	peu importe à ton oncle qu'aïlle au-devant de la mort ou que la mort vienne le surprendre.

وظف المستشرق حكماً وأمثالا كثيرة نسبياً، تجاوزت عشرة (10)، وهو ما قد يعكس اطلاعه

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص 6

² - المصدر نفسه. ص 4، 6، 7، 11، 14، 15، 18، 19، 20.

الواسع على الأمثال والحكم العربية، وميله إلى هذا النوع من الكلام العربي الفصيح، وهو ما لا يجده القارئ أحياناً في المعاجم العربية. إلا أنه تضمنَ حكمة تستعمل لدى العامة، وهي: (ماكلته تجارة ولباسه خسارة)، وهو ما يعكس تأثره بالعامية.

3-2-2-3- التعبيرات الاصطلاحية:

جدول لنماذج من العبارات الاصطلاحية

المدخل ⁽¹⁾	العبرة باللغة العربية	العبرة باللغة الفرنسية
أب	الولد نسخة من أبيه	l'enfant est une copie de son père
أجر	تقجرون وترحمون	Dieu vous récompensera et vous recevra dans sa miséricorde.
	الأجر عند الله	la récompense est ente les mains de Dieu
ألا	لا اله إلا الله	il n'y a de Dieu que Dieu.
أله	بالله عليك، ما شاء الله، ان شاء الله، الحمد لله وحده، على وجه الله، استغفر الله	je vous adjure au nom de Dieu, ce que Dieu veut, s'il plaît à Dieu, louange à Dieu l'unique, pour l'amour de Dieu, je demande pardon à Dieu.
	القدرة الإلهية	la providence divine.
أمر	آل أمره على الصلاح	ses affaires se terminèrent heureusement.

ما يُلاحظ أنّ المستشرق لم يكثر من التعبيرات الاصطلاحية؛ بل اكتفى بالقليل، مثل القدرة الإلهية التي قابلها بـ (la providence divine)، ويقابلها في العربية (العناية الإلهية)، أما عبارة (القدرة الإلهية) فمقابلها الأنسب هو (pouvoir divin). ويعدّ من العبارات المستعملة بكثرة لدى أهل الكتاب والمسلمين.

3-2-2-4- التعبيرات السياقية:

جدول يمثل نماذج من العبارات السياقية

المدخل ⁽²⁾	العبرة باللغة العربية	المدخل ⁽³⁾	العبرة باللغة العربية
أرز	طعامهم الأرز المطبوخ بالسمن.	الذين	العرب الذين اكرتينا الجمال منهم.
أسف	تأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهل	أن	ما صدقت أن الفجر لاح حتّى قمت.
أمن	أو كان مأموئاً عليها.	أين	لا نعرف أين نتوجّه.
أنى	بين يديه أنيتان قد غطيتا.	-	-

تضمّنت مداخل باب الهمزة عبارات سياقية قليلة، مقارنة بما اعتاده القارئ في المعاجم

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 2، 4، 12، 13، 14.

² - المصدر نفسه. ص 8، 9، 15، 19.

³ - المصدر نفسه. ص 12، 16، 22.

الأخرى، رغم أنه يساعد على معرفة كيفية توظيف الكلمة في بعض السياقات.

3-2-2-5-المجاز: لم تتضمن مداخل هذا الباب عبارات مجازية كثيرة، باستثناء بعض

الآيات القرآنية، وأشار في موضع واحد إلى المجاز.

جدول يمثل المجاز المشار إليه

المدخل	العبارة باللغة العربية	العبارة باللغة الفرنسية
أكد ⁽¹⁾	مثلك لا يستحق الى تأكيد	une personne comme vous n'a pas besoin qu'on lui fasse de nouvelles recommandations- terme de rhétor ; corroboration.

يمكن القول إن هذه الجملة توحى إلى مكانة الشخص، وهو ما جعل المستشرق يضع أمامها

رمز المجاز، مع الإشارة إلى تأثير المستشرق بالأسلوب العامي في هذه العبارة.

3-3-مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

3-3-1-المستوى الصوتي: نادرا ما يشير المؤلف إلى الجانب الصوتي، مثلا حين عرّف مدخل

(الهمزة)، ذكر بأنه يقبل الحركات القصيرة وسائر العلامات (المدّ والتّضعيف). ومن الظواهر المشتركة

بين المستويين الصوتي والصرفي الواردة في المعجم: (التّسكين، والحذف، والزيادة والإبدال والقلب)، وردت

ضمن المستوى الصوتي، بوصفها كلمات فصيحة حرّفا العامة، فجرت على ألسنتهم بهذا الشكل.

3-3-1-1-التّسكين: سُكّن الحرف الأوّل من كلمة "ثريكة"، الذي يستعمل لدى العامة

بالسّكون (ثريكة)، كما أورد كلمة أستاذ وأستاذ متتابعين دون الإشارة إلى أنّ الفصحى توظّف كلمة

(أستاذ) بالذّال، أمّا بالذّال فنطق عامّي.⁽²⁾ والله أعلم.

3-3-1-2-الحذف: أسقطت الهمزة في بداية كلمة (أبو) لتصير (بو)، وفي الفعل (أخذ) الذي

صار (خذا)، وبعد أن كان يبتدئ بالفتح سكّن العامّة أوله، وهذا من خصائص الاستعمال العامي، الذي

يتنافى مع نظام اللغة العربية الفصيحة الذي يوجب الابتداء بمتحرّك والوقوف على ساكن.

3-3-1-3-الزيادة: أضيفت الألف في آخر الفعل (خذا)، وفي الفعل (تأكّل)، الأصل فيه

هو الفعل المبني للمجهول (أكل)، أو (أنتكل)،* وهنا حذف للألف الوصلية والهمزة وتضعيف للكاف

إلا أنّ الاستعمال العامي أدخل حروفا أخرى، وهي التّاء والألف في أوّل الفعل مع تضعيف الكاف

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 11.

² - ينظر: المصدر نفسه. ص 9.

* أنتكل ورد بمعنى أنتكل الشيء أكل بعضه بعضا، النّار اشتدّ لهيبها كأنما أكل بعضها بعضا، وبمعنى فسد في لسان العرب والوسيط.

والاسم (مأكلة)* على وزن (مفعلة) أراد به (الأكل)، وقد زيدت ميم في أوله وتاء مربوطة في آخره. وكذا كلمة (تريكة)، وهي في الفصحى دون مدّ (تركة).

3-3-1-4-الإبدال: قلبت الهمزة ياء في الكلمات: (خاين، وذيب، قايل) و واوا في كلمة (وكال)، فالأصل فيها: (خائن، ذئب، قائل، أكّال)، وهذا من خصائص اللهجة العامية.

3-3-1-5-القلب المكاني: يمكن اعتبار الاسم (كالي)، قلبا للاسم (آكل)، فوزن آكل هو فاعل، وبتقدّم الكاف وإتباعها بألف الفاعل، والانتهااء بالياء التي انقلبت عن الهمزة، يمكن اعتبار الكلمة فصيحة، على وزن (عالف). يبقى أنّ كلمة (كالي) عامية في عرف الاستعمال، والله أعلم.

3-3-2- المستوى الإملائي: وردت كتابة الكلمات عموما بشكل سليم، باستثناء بعض

الهفوات الواردة في الجدول، وهي قليلة، منها:

جدول يمثل أمثلة لكلمات محرّفة إملائيّا

المدخل ⁽¹⁾	موضع الكلمة المحرّفة
أأجر	3, v. act., prendre à gages. أجر
إحد	إتحاد/un, unité, واحد
آخر	آخر. dernier. qui se trouve à la fin. آخر, fém.
أدّ	الوسيط مادة أدّ الأمر الداهي المنكر "جنتم شيئا إذا" (الإدّ) chose odieuse ; malheur. أدّ
إزاء	position... إزاء
إسم	إسم...
أفيكة	افائك pl. أفيكة
أمر	signe, indice, marque. امرأة
أمن	amen, ainsi soit –il. أمن... rassurer une personne. / أمن آمن... / أمن آمن, fém. ة, sur, qui n'offre point de danger. / مؤمن celui qu'il faut croire. / آمن آمن
أنف	d'abord, en premier lieu. أنفًا
أنى	pl, أناء temps, heure... أنى
آن	dans ce temps-là... أوانيد

* ورد في كل من لسان العرب والوسيط مأكلة بمعنى ما يؤكل.

هو تغيير يحدث على المستوى الصرفي للكلمة، حيث يتغيّر الترتيب الأصلي لحروف الكلمة، فينتج عنه تغيير في بنية الكلمة مع احتفاظها بمعناها.

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص4، 5، 6، 9، 10، 11، 14، 16، 18، 19، 21.

يقدّم هذا الجدول نماذج للخلل الذي حدث على مستوى بعض الكلمات، ومعظمها تتعلّق بكتابة همزة القطع والوصل، مثل: (اتّحاد، اسم)، بالإضافة إلى كتابة همزة قطع واحدة والأصل في الكلمة أن تكتب بهزتين، بمعنى همزة ممدودة، مثل: (أمين، أنفا)، وقد كتبت هذه الكلمات بهمزة قطع. كما يحدث العكس مع بعض الكلمات مثل: (إزاء)، والأصل فيها هو (إزاء). كما كسرت همزة بعض الكلمات والأصل فتحها والعكس، مثل: (إحد وأصلها أحد، وأدّ وأصلها إدّ) كما كتبت الهمزة بطريقة غير صحيحة، مثل: (مأمّن وأصلها مؤمّن)، وكتبت كلمة أخيرة دون مدّ (أخرة)، والعكس حدث مع كلمة (أفيقة)، التي تكتب دون مدّ، حيث وردت في الوسيط (الأفِكة)⁽¹⁾، ويبدو أنّ هناك خلافا في كتابة كلمة (أمارة) التي وردت (أمرأة)، هذه نماذج من بعض الهفوات التي وردت في الباب الأوّل، إلّا أنّ الأكثر تكرارا؛ هو الخلط بين مواضع همزة القطع والوصل. ويبدو أنّه أراد نحت كلمة (أوان)، و(نذ)، فكتبت بالشكل الوارد (أوانيز).

3-3-3- المستوى الصرفي: لم يركّز المستشرق على الجانب الصرفي، أما تعامله مع الكلمات على مستوى بنيتها، فكان سليما إلى حد ما، حيث كان يشير أحيانا إلى بعض الصيغ الصرفية، مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، وجاءت معظم الصيغ صحيحة، باستثناء القليل من الهفوات، منها التعامل مع الهمزة والألف، والمدود والحركات، وصيغ الجمع، والأسماء المنقوصة سيشار إلى بعضها.

3-3-3-1- التعامل مع الحروف والمدود والحركات:

3-3-3-1-1- التعامل مع همزة القطع والوصل : وردت كلمات بهمزة وصل والأصل فيها همزة قطع والعكس، كما أثبتهما بشكل صحيح في مواضع كثيرة، وهذه نماذج لبعض المداخل.

¹ - مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. مادة (أفل).

جدول يمثل الخلل على مستوى كتابة همزتي القطع والوصل

الكلمة الواردة	الأصل فيها	الكلمة الواردة	الأصل فيها	الكلمة الواردة	الأصل فيها
ابريق	إبريق	الا	إلّا	بازاء	الأصل فيها
ابط	أبط	الخذ	آخذ	تأسيس	تأسيس
أباء	آباء	الى	إلى	أستاذ	أستاذ
إبن	ابن	لا تواخذنا	لا تؤاخذنا	أسطورة/ أساطير	أسطورة/ أساطير
ابيه	أبيه	إتخذ	اتخذ	أسطول/ أسطون	أسطول/ أسطون
ان	أن	اخو	أخو	أهله	أهله
اتن	أتن	اخوان	إخوان	اسم	اسم
الاعزّ	الأعزّ	اخوة	أخوة	استأصل	استأصل
أتوني	أتوني	اخوت - اخيت	أخيت	أكف	أكف
ءأتى	أتى	ءآخا	آخا	إعتبره	إعتبره
إتيان	إتيان	إذاك - اذ ذاك	إذ ذاك	ألذي *	ألذي
أجر	آجر	استغفر	أستغفر	آذان	آذان
ميازيب	مآزيب	مأمّن	مؤمّن	أمين - أنفا	أمين - أنفا

فرّق المؤلف بين الهمزة والألف في مواضع، في حين وظّفها في بعض المواضع بطريقة عشوائية، قدّم الجدول السابق نماذج لها، إذ يسقط همزة القطع في بداية بعض الكلمات ويعوّضها بهمزة وصل، مثل: (ابريق، ابط، الابل، ابيه، ان، اتن، الاعزّ، اتيان، الا، الى، اخو، اخوان، اخيت اذاك، ارض، تأسيس، استاذ، اهل، اذان، كأنهم...)، ويحدث العكس في كلمات أخرى، حيث يثبت همزة القطع، والأصل أن تكتب بهمزة وصل، مثل: (إبن، إسم، إستأصل، إعتبره ألذي...) وسجّلت الهمزة واوا في بعض المواضع، مثل: (تواخذنا، يومن...)، ويبدو أنّ الأمر قد اختلط على المؤلف في كيفية إثبات الهمزة الممدودة، إذ يكتبها صحيحة حيناً (آ)، وترد حيناً آخر همزة على السطر قبلها أو بعدها مثل: (ءأتى، ءآخا، آتوني...)، وأحياناً بكتابة همزة قطع وبعدها ألف مدّ، مثل: (أجر)، وبهمزتي وصل متتابعتين، مثل: (آخذ - الخذ) وكتبت كلمة (أباء) جمع (أب) بالهمزة، دون مدّ في حين يفترض أن ترد بهمزة ممدودة (آباء)، وقد تكرّرت بعض هذه الصيغ كثيراً. كما يرسم همزة ممدودة في بعض الكلمات عوض ألف المدّ مثل: (أداء، ارّاء).

* تجدر الإشارة إلى أنّ الأسماء الموصولة الأخرى وردت صحيحة: (التي، الذين، اللات).

3-1-2-3- التضعيف والمدود: تحكّم المستشرق شربونو في مواضع الشدة التضعيف

حيث أثبتتها في معظم الكلمات، باستثناء الأسماء المعروفة. وأسقطت في مواضع نادرة، مثل: (مؤخر)⁽¹⁾ والأصل كتابتها (مؤخر). وظّف المستشرق المدود بطريقة سليمة في باب الهمزة باستثناء بعض المواضع القليلة، وهي واردة في الجدول.

جدول يمثل أمثلة لهفوات على مستوى المدود

الكلمة في المعجم ⁽²⁾	الصواب
منبار	منبر
اللات	اللاتي
أولايك، هاولاء	أولئك، هؤلاء

ما يمكن قوله هو أنّ معظم هذه الهفوات مرتبطة بكلمات يصعب تمييزها، ولاسيما بالنسبة لأسماء الإشارة، وكذا كلمة الرحمن التي تكتب عادة دون مدّ مع نطقها بالمدّ، أما الكلمة الأولى فمعروفة، وتكتب دون مدّ.

3-1-3- الحركات: اهتمّ المستشرق بالحركات، حيث ذكر في مقدّمته بعض المعطيات

بالنسبة إلى الأفعال، موضّحا أنّ هناك أفعالا تُفتح عينها في المضارع، وأخرى تُضمّ، وأفعال تُكسر عينها، وقد تحتل حركتين أو ثلاثا، مثل: (زحم يزحم، دخل يدخل، غلظ يغلظ، فغر يفغر، يغرف يغرف، رجح يرجح ويرجّح ويرجّح).⁽³⁾ إلّا أنّه أعلم القارئ في مقدّمته، أنّه لن يلتزم بتحريك الكلمات إلّا في مواضع قليلة، وفعلا هذا ما عمل به، والملاحظة التي يمكن تسجيلها، هي أنّ المواضع التي ظهرت فيها الحركات لم تُختَر بعناية، إذ توضع في كلمات لا لبس فيها، في حين تغيب في كلمات أخرى تستوجب الحركات لفهم معناها، وهذه عيّنة منها: (أبار، أبر، ابل، *اتن، *أجاج، أجوج، *أخوان

¹ - ينظر: شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص6.

² - المصدر نفسه. ص1، 12، 19، 21.

³ - ينظر: المصدر نفسه. قبل قائمة الاختصارات. ص9.

* وردت هذه الكلمة في لسان العرب مثلا بصيغتين (إبل، إبل) بالكسر والسكون معا، حبذا ضبط الصيغة.

* وردت في القاموس المحيط ثلاث صيغ لجمع كلمة أتان، وهي: (أثن، أثن، أثن).

* أجاج: ما كان شديد الملوحة أو المرارة، أجوج: هو المضيء.

اخوة، أذن، اذان، أذب، أزر أسر، أكلة، ألف، أنف، أنفة، أنوف، أنق، أنوق). معظم هذه الكلمات تحتل أكثر من صيغة، بمعنى أنها تقبل أكثر من حركة، كما قد ينتج عن تغيير الحركة تغيير في المعنى أو صعوبة في نطق الكلمة، ولأسيما أنها ليست من الكلمات الشائعة؛ بل أكثر من ذلك هذا القاموس موجّه للمتعلّمين، والأصل فيه أن يأخذ بعين الاعتبار حاجات المتعلمين، ويسهّل عليهم الاستفادة منه، فالكلمة الأولى مثلاً: إبره جمعها: (إبار وإبر) لها الدلالة نفسها، وكذلك (إبل وإيل)، والأمر ذاته مع جمع كلمة (أتان: أتن، أتن، أتن)، (أكلة، أكلة) بمعنى حكة. كما تحتل بعض الكلمات أكثر من معنى مثل: (أرب: أرب: الحيوان لم يجتر)، (أزر: التف بعضه ببعض، فتقوى، أزر: حصان أبيض العجز الفخذين)، (أسر: قيد، أسر: احتبس)، (أشر: نشر وأشر: مرح). إنّ تأمل هذه الكلمات وغيرها، يعكس الصعوبة التي سيجدها مستعملو هذا القاموس، إلّا إذا كان لهم قدم راسخة في اللغة العربية، أو أنّهم ملزمون بالعودة إلى المعاجم العربية، لضبط هذه الكلمات ومعرفة معانيها بدقّة. أمّا المواضع التي أثبت فيها المؤلف الحركات، فهي قليلة وهو ما يؤثّر سلباً في مثل هذا النوع من الأعمال التعليمية بالدرجة الأولى.

جدول يمثّل أمثلة لبعض الهفوات في صياغة الكلمة

المدخل ⁽¹⁾	الكلمات المحرّفة
أثر	traces, vestige, مواتر. pl. مأثر
إحد	اتحد et اتحد -أحد
أسر	être fait prisonnier en guerre...تأسر... faire prisonnier ...أسر...أسر
ألف	auteur d'un livre. مؤلف / œuvre littéraire ou scientifique, livre. pl. تأليف
أمر	1,v.a,ordonner, prescrire...syn. أمر. 1, v.a, ordonner, prescrire...syn. أمر. fut. أمر، مؤمر dont le part. est مؤمر
(2) المدخل	
أجر	brique cuite. أجور et أجر
آخر	autre ; plur. vulg. آخرين. آخر. pl. آخر
إس	أساس. pl. إس
أنث	femme, femelle. Mortaise. أنثي. pl. أنثى

يعكس الجدول أمثلة لبعض الهفوات على مستوى اشتقاق بعض الأسماء والأفعال، مثل:

(مأثر ومواتر)، وهي على وزن مَفْعَل ومَفَاعِل، (فالأصل مأثر ومأثر)، وهي من الفعل (أثر)، وكذا

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 3، 4، 9، 12، 14.

² - المصدر نفسه. ص 4، 5، 9، 17.

الأمر بالنسبة للمصدر (تأليف الذي جمعه على تواليف، في حين الأصح هو تأليف)، كما ضعف الفعل (أسر)، وجعله على وزن: (فَعَلَ وَتَفَعَّلَ)، ولم يرد ذلك في المعاجم العربية، ومنها الوسيط.⁽¹⁾ أمّا الفعل (اتّحد)، فلا وجود لهذه الصيغة، إذ أصله (وحد) وعندما صيغ على وزن (افْتَعَلَ) صار (اِوْتَحَدَ)، حيث أبدلت الواو تاء وأدغمت التاءان، والصيغة الصحيحة ذكرها بعد هذه الصيغة، وهي (اتّحد). والملاحظة المسجلة على الفعل (ءآمر)، وكذا اسم المفعول (مؤمر) أنّ كلا الكلمتين لا تستعملان في اللغة العربية، على الأقل بالمعنى الذي أشار إليه. ورد في الوسيط: (آمر الله القوم إيماراً: كثر نسلهم وماشييتهم. وآمر فلانا في الأمر شاوره).⁽²⁾ وكما هو واضح، إذا افترض أنّ المستشرق قد أخطأ في كتابة الفعل، بالشكل الوارد فإنّ المعنى المسند إليه لا ينطبق عليه، فيكون بذلك، اشتقّ صيغة جديدة، وأسند إليها معنى كلمة أخرى.

سجّلت بعض الهفوات على مستوى جمع بعض الكلمات، مثل: (آجرة وآجر)، وليس (أجر وأجور)، كما جمع كلمة (آخر) على (آخر)، وذكر أنّ كلمة (آخرين) هي جمع يستعمل في العامية والصواب أنّ كلمة (آخرون) هي جمع كلمة (آخر). أمّا كلمة (آساس)، فهي جمع لكلمة (أسس): (وجمع الأسس إساس، وجمع الأساس أسس، وجمع الأسس آساس).⁽³⁾ أمّا كلمة أنثى فجمعها على (أناثي)، إلا أنّ الجمع المعروف هو (الإناث). كما وردت كلمات مثل: (مؤذي، أراضى، أشافي).⁽⁴⁾ الخلل في هذه الكلمات هو عدم حذف يائها، والأصل في الاسم المنقوص النكرة المنون حذف يائه وتعوض بتكوين العوض. فالكلمات الواردة، الأصل فيها: (مؤذٍ، أراضٍ، أشافٍ). وتجدر الإشارة إلى أنّه أورد بعض الأسماء المنقوصة النكرة صحيحة، مثل: (آتٍ، مؤذٍ).⁽⁵⁾ يمكن تفسير ذلك بمعرفته لهذه القاعدة.

عموماً، بلغ عدد مداخل باب الهمزة حوالي عشرة وأربع مائة (410) كلمة، ولتسهيل العملية اكتفى البحث بالمداخل الرئيسية، عددها حوالي أربعة وأربعين ومائة (144)، أمّا المضبوطة بالشكل

1 - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (إسباناخ).

2 - المرجع نفسه. مادة (أمر).

3 - ابن منظور. لسان العرب. مادة (أسس).

4 - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 8، 10.

5 - المصدر نفسه. ص 3، 7.

فمقدّرة بحوالي ستة ومائة (106)، وإن كان الضبط في كثير من الأحيان ناقصاً، إذ يورد حركات في مواضع يمكن الاستغناء عنها، في حين تغيب في بعض الكلمات التي يعجز القارئ عن فهمها إما لوجود عدّة احتمالات لتلك الكلمة، أو لكون الكلمة مجهولة لديه، ثمّ صنّفت الكلمات المضبوطة إلى حركات ضرورية وأخرى ثانوية. قدّرت الحركات الضّرورية (التي تساعد على فهم معنى الكلمة) بـ تسع وأربعين (49)، والثانوية بـ سبع وخمسين (57). وهذا يعني أنّ المستشرق لم يتخيّر المواضع التي سيجعل فيها الحركات. وسيّضح الأمر أكثر من خلال هذه الأمثلة.

تتمثّل المواضع التي أورد فيها المستشرق الحركات مع إمكانية الاستغناء عنها في التّونين الوارد في آخر بعض الكلمات، مثل: (يومًا، أبدًا، آتٍ، مأمونًا، مؤدٍ، أنفًا، أهلاً، أيضًا). بالإضافة إلى الهمزات المكسورة، إذ يدلّ وجود الهمزة تحت الألف على أنّها مكسورة ولا حاجة لإثباتها، إذا ارتبط الأمر فعلاً - مثل ما قال المستشرق - بالاققتصاد، مثل: (إِتَّخَذَ، إِزَارَ، إِسَّ، إِيْتَمَرَ، إِنْ، إِنَّ، إِنْسَانٍ إنسانية). وتضبط أحياناً بعض الحروف الممدودة، ومعروف أنّ الحرف الصّحيح يدلّ على حركته نوع المدّ الذي يلحقه فإذا ألحق بألف فهو مفتوح، وإن كان بواو فهو مضموم، مثل: (أَبَ أولاء)، فلا حاجة لإثبات الحركات لدلالة المدود عليها. كما ظهرت الحركات في كلمات معروفة ولا ضرورة ملحّة لضبطها، مثل: (أَخُ أخت، أَدَبُ أرز، أَصْلُ، أَشْرُ تَأَصَّلَ، أَكَّدَ، تَأَكَّدَ، أَكَلُ، أُمُ، أَمْرُ أمور، أَمِيرُ أمراء، أَمَلُ، تَأَمَّلَ، أَمَّنَ أمان، كَأَنَّ، إِنَّ، إِنَّمَا).

3-3-4-المستوى النحوي: لم ترد معلومات نحوية كثيرة في هذا القاموس، باستثناء بعض

المواضع التي ذُكرت فيها أدوات نحوية، وأحياناً أخرى بعض السياقات التي تقتضي توظيف أداة في موضع معيّن. يشير المؤلّف عادة إلى نوع المدخل، من حيث هو حرف أو أداة أو اسم أو فعل، كما يدرج الجمع والمؤنث في معظم الأحيان. تتبع البحث بعض التراكيب، لمعرفة تعامل المستشرق مع اللغة العربية على المستوى النحوي.

جدول يمثل أمثلة للجمل الواردة في القاموس

المدخل ⁽¹⁾	بالعربية	بالفرنسية
أ	ألم تر؟	ne vois-tu pas ?
	أما تذكر يوماً لقيت الرسول	ne te rappelles tu pas le jour où je rencontrai le prophète ? أما autre adverb interrogatif.
أتى	أتانا الأعزّ كتابك فلا بدّ تخبروني في أيّ يوم تأتون	votre lettre très-honorée nous est parvenue. il faut que vous me préveniez du jour de votre arrivée.
أسف	تأسّف على ما صنع من الجميل مع غير اهل	il gémit d'avoir fait du bien à un homme qui en était indigne.
أصل	لا له أصل	cette assertion est sans fondement.
أما	أما أولادك فلا حيلة فيهم	quand à tes enfants, il n'y a plus rien à faire pour eux.
أمر	آل أمره على الصّلاح	ses affaires se terminèrent heureusement.
أمن	يؤمنون فيما أنزل	ils croient à ce qui a été révélé.
أنى	كلّ اناء يترشّح بما فيه	il ne sort par les pores d'un vase que le liquide qu'il contient.

تضمّن هذا الجدول بعض التراكيب المخالفة لقواعد اللغة العربية، وهي متنوعة منها توظيف حروف الجرّ في غير محلّها، مثل الجمل الثلاث: (أما أولادك فلا حيلة فيهم)، (آل أمره على الصّلاح). و (يؤمنون فيما أنزل)، فالأصل في الأولى أن يتّصل الاسم بحرف الجرّ (لـ) أيّ (لا حيلة لهم)، أما الثانية فحرف الجرّ الأنسب لها هو (إلى)، بمعنى (... آل أمره إلى الصّلاح)، وفي الثالثة: يقتضي الاستعمال الصّحيح توظيف حرف الجرّ (بـ)، إذ يتعدى الفعل آمن (بالباء). فيكون الصّواب هو (يؤمنون بما...)، وورد مع اللام في القرآن الكريم في موضع واحد، قال الله تعالى: ﴿فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [سورة العنكبوت، الآية: 26].

أما على مستوى الجمل الثلاث الآتية: (أتانا الأعزّ كتابك)، و (لا له أصل)، و (كلّ اناء يترشّح بما فيه)، يلمس القارئ خلافاً في تركيب هذه الجمل، من حيث ترتيب عناصرها، ففي الأولى وردت الصّفة قبل الموصوف، وهذا مخالف للقاعدة النحوية: (الصّفة تتبع الموصوف)، ولا يصحّ أن تتقدّم عليه، كذلك الأمر في الثانية: فالأصل هو: "لا أصل له"، فلا يأتي بعد لا النافية للجنس حرف

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 1، 2، 3، 9، 10، 14، 15، 19.

جَرَّ، وإنما تتبع باسمها. أمّا الحكمة فالأصل فيها أن يتقدّم الجار والمجرور، لأنّه العنصر الأكثر أهميّة في هذا التّركيب، فالمبتدأ كل إناء خبره هو الشّيء الذي يرشح لا فعل الرّشح. وحُذف ما حقّه الإثبات في الجملتين الآتيتين: "فلا بدّ تخبروني في أيّ يوم تأتون"، "تأسّف على ما صنع من الجميل مع غير اهل"، فالأولى أصلها: "فلا بدّ أن تخبروني..." حذفت أن المصدرية، قد يكون الأمر تأثراً بالعاميّة. أمّا الثّانية فحذف ضمير المضاف إليه، ويعلم القارئ الكريم أهميّة هذا العنصر في الجملة وإن كان فضلة، إلّا أنّ حذفه يحدث خللاً في التّركيب اللّغوي، إذ لا يتّضح معنى المضاف إلّا بوجود المضاف إليه. وتوّن المضاف في جملة: (أما تذكر يوماً لقيت الرسول)، ولا يكون المضاف منوّناً لأنّ الوقوف عليه يوهّم بانتهاء الجملة، فالصّواب هو (أما تذكر يوم لقيت الرسول).

كما وُظّف حرف نفي عوض حرف آخر، فعند النّظر في المقابل الفرنسي، يُعرف أنّ المقصود هو الزّمن الحاضر، ولهذا فالمقترح هو قول: (ألا ترى؟) وليس (ألم تر). يمكن تعديل العبارة العربية (ألم تر؟) إلى صيغة أخرى هي (ألا ترى؟)، أو تعديل المقابل الفرنسي إلى «tu n'a pas vu?» ليدلّ على صيغة الماضي، إذ تستعمل أداة النفي (لم) للماضي وأداة النفي (لا) للحاضر.

3-3-5-المستوى المعجمي والدّلالي: سجّل البحث عدّة هفوات على المستوى الدّلالي

لبعض الكلمات العربية، وكذا على مستوى التّراكيب، وسيقف عند بعضها، بداية بالمستوى الإفرادي. 3-3-5-1-عدم التّطابق بين العربية والفرنسية على المستوى الإفرادي: تجاوز عدد الكلمات العربية التي قابلها القاموس بمقابلات فرنسية لا تطابقها ستين (60) موضعاً، وهي مقسّمة وفق المستوى الإفرادي والتّركيبي، ومن حيث الدّلالة إلى مقابلات غير دقيقة وأخرى غير مناسبة تماماً.

جدول يمثل عدم الدقة في المقابل على مستوى الكلمات

المدخل (1)	بالفرنسية
أبد	durer, être permanent, être éternelle...أبد
آت	qui doit venir, qui doit avoir lieu, prochain آت
أثم	2, v. n., commettre une infraction à la loi divine, un péché. أثم
الآخرة	la vie future
أخوات	sœur, compagne, amie.
أذن	annoncer l'heur de la prière, accorder l'autorisation, permettre, autoriser. أذن
استأذن	solliciter la permission...demander un congé.
أذى	subir un dommage, être lésé. أذى
أصل	prendre racine, être enraciné أصل
أفق	solide, enraciné. de race nobl أفق
أكد	contrée, pays. horizon. monde, univers. أفق
أم	solide...أكد
أمة	suivi d'un complément, ce mot indique la possession, l'habitude, la qualité ou le défaut, l'abondance, etc (voy. أبو). أم
أمن	peuple, nation. أمة
مؤانسة	sureté, sécurité, bonne foi, loyauté. grace, amnistie. / أمنة sécurité, fidélité ; dépôt, مؤانسة
أنف	rapports sociaux. / استئناس مؤانسة
أنى	être le premier à faire une chose. أنف
أهلا	commencer. أنف
أل	d'abord, en premier lieu. أنفاً
أي	pudeur, honte, dédain. أنفة
	tarder être en retard. / أنى différer, ralentir, retarder.
	adv... vous avez trouvé une famille... أهلا
	premier / أولي أل
	résultat ; succès / أولي أل
	c'est-à dire, savoir. أي

يعكس هذا الجدول عدم الدقة في شرح بعض الكلمات العربية، وبما أن الكلمة العربية ومقابلها الفرنسي مثبتة في الجدول، فسيقتصر على تحليل بعضها وحسب، طلباً للاختصار. قابل الفعل المضعف (أثم) بمعنى الفعل المجرد (أثم)، وقد ورد في الوسيط: « أثم وقع في الإثم ...أثمه عدّه آثماً». (2) والأمر نفسه حدث مع الأفعال المتبقية. شرح المستشرق كلمة (الآخرة) بطريقة غامضة، بقوله إنها الحياة

¹ - شربونو. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 1، 3، 5، 6، 7، 8، 10، 11، 13، 14، 15، 18، 19، 20، 21.

² - مجمع اللغة العربية، الوسيط، مادة (أثم).

المستقبلية، ولا يُفهم من هذا الشرح المعنى المعروف، وهي الحياة الأبدية التي سنعيشها بعد الموت.

جدول يمثل عدم التطابق بين اللغتين

المدخل (1)	بالفرنسية
أبيل	أبيل، fém. ة, affligé.
مئجال	مئجال échéance
أَدَّ	أَدَّ...arriver, survenir.
أدا	الوسيط مادة إذ المشي ليس بالسرّيع ولا بالبطيء aider: ...أدا
أرخ	أرخ les historiens أصحاب التواريخ
أسا	أسا se consoler. تأسّى
أصل	أصل raffermir dans sa base, consolider les racines أصلي essentiel, fondamental, principal, primitif, primordial ; radical. d'origine noble.
أفك	أفك renverser de fond en comble.
الذيب	الذيب le chacal
ألف	ألف se familiariser avec une personne. تألف
	ألف habitude que l'on a d'une personne. مؤالفة
	ألف auteur d'un livre. مؤلف
أم	أم adv. interrog...
أمد	أمد...finir, être terminer أمد...terminer. limiter
أمن	أمن être fidèle. loyal dans ses procédés. أمن regarder comme fidèle... أمن...se fier à, accorder sa confiance أمن et أمن loyalty ; beaux sentiment (أمانة صدق استقامة) قاموس فرنسي عربي
أل	أل d'où l'on a fait le verbe تَوَّل organiser, combiner, prendre des mesures... أل aboutir. تَوَّل...procédé...système. أل musicien

تضمّن القاموس بعض الكلمات العربية التي قابلها المستشرق بشروحات فرنسية بعيدة عن الصواب، وقد اختار البحث نماذج من باب الهمزة، حيث قابل الأفعال: (أَدَّ، وأدا، وتأسّى)، على سبيل المثال بمقابلات لا تطابقها تماماً، فالفعل "أَدَّ" قابله في الفرنسية بالفعل (وصل)، والفعل (أدا)

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص2، 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 20.

يقابله في الفرنسية بالفعل (ساعد)، ورد في الوسيط أدا: المشي ليس بالسريع ولا بالبطيء»⁽¹⁾. وكذلك الفعل (تأسى)، بمعنى اقتدى قابله بالفرنسية بالفعل (يواسي) من المواساة.

قد يكون هذا العدول عن الصواب، نتيجة اختلاط معاني بعض الكلمات العربية والفرنسية فالفعل (أد) يشبه الفعل (عاد)، لاسيما أن النطق الفرنسي للحرف (عين) هو (ألف)، وكذا الفعل (أدا) يشبه الفعل الفرنسي (aider). أما المدخل (أال) فقد ذكر له مشتقات لا وجود لها في اللغة العربية الفصحى، إذ يمكن اعتبارها من الفعل (أول يؤول) إلا أن المعنى المسند إليها ينطبق على كلمة عامية، وهي (التأويل) بمعنى أن الشخص قد قام بواجبه، وأمن مستقبله، وغالبا ما يكون الأمر ماديا. وهناك أسماء واردة أيضا بمعان فرنسية تخالف المعنى العربي أصحاب التواريخ، وهو يقصد المؤرخين، وكلمة أصلي التي قابلهما بأساسي أو قاعدي، وغيرها من الكلمات التي يوضحها الجدول.

جدول يمثل عدم الدقة على مستوى التراكيب

المدخل ⁽²⁾	التركيب العربي	التركيب الفرنسي
أبى	فأبيت عن ذلك	je m'y refusai.
أثر	قطع إثرهم	il les extermina.
أداة	كل أداة الخبز عندي غيره	j'ai tout ce qu'il faut pour faire du pain, excepté la farine.
إذن	ممن كتب عن إذنه	de la part de celui par l'ordre duquel la présente a été écrite.
أله	إن شاء الله	si il 'plait à Dieu
أم	أعندكم الرزق ام لا	avez-vous ou non de la fortune ?
أمر	آل أمره على الصلاح	ses affaires se terminèrent heureusement.

إن المتأمل في الجمل الواردة بالجدول، يجد أن هناك خلا على مستوى الكلمات المختارة للتعبير عن المعنى المطلوب، وأحيانا هناك اختلاف بين الجملة العربية والفرنسية، ويتأكد القارئ من ذلك، عندما يطلع على التركيب الفرنسي، فمثلا: عبارة (إن شاء الله)، كان الأولى مقابلتها بـ (Si Dieu le veut). وعندما يقول (أعندكم الرزق...)، ويقابلها بـ (avez-vous ou non de la fortune ?)، فمعنى الرزق ليس نفسه مع كلمة (fortune)، التي يقابلها في اللغة العربية (الثروة)

¹ - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (إذ)

² - شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص، 2، 3، 7، 13، 14.

وقد يكون هذا التعبير ناتجا عن التأثير بالعامية، فاختلط الأمر على المستشرق. فكلما الرزق قد تدلّ في العامية على الثروة. أمّا في الفصحى، فيشمل كل ما هو مادي ومعنوي.

جدول يمثل عدم تناسب التراكيب العربية والفرنسية دلاليا

المدخل ⁽¹⁾	التركيب العربي	التركيب الفرنسي
أجل	لأجلك/ من أجل أن	à cause de toi / parce que.
أكد	مثلك لا يستحق إلى تأكيد	une personne comme vous n'a pas besoin qu'on lui fasse de nouvelles recommandations-Terme de rhétor. Corroboration.
أكل	اعتبره عند الأكل	observez-le quand il mange.
أله	ما شاء الله	ce que Dieu veut
أمر	فوض له الأمر	se référer à l'avis de quelqu'un
أن	أن تصوموا خير لكم يقال ان الزيت رشح من حجر هنالك للنبي	il est préférable pour vous que vous observez le jeune. On dit que l'huile a dégoutté d'une pierre qui se trouve dans cet endroit, en faveur du prophète.
إنّما	إنّما يقرأون القرآن تلقينا	ils lisent seulement le koran comme objet d'instruction.
أهل	بنى على أهله.	dresser une tente pour son épouse...
أهل	لانكم تستأهلون الأرواح	parce que vous méritez qu'on se sacrifie pour vous (vous mérité les âmes).
أيّ	أيّها الملك السعيد	O roi dont nous souhaitons le bonheur !
أين	إلى أين؟	jusqu'ou ? jusqu'à quand ?

سُجِّل خلل على مستوى العبارتين (لأجلك)، و(من أجل أن)، فالأولى يقابلها (pour toi) والثانية يقابلها (pour que)، وفي (مثلك لا يستحق إلى تأكيد)، قد يكون الأنسب هو: (لا يحتاج إلى تأكيد)، لأنّ المعنى المطلوب ليس الاستحقاق بل الحاجة، وقد يكون هذا تأثرا بالعامية التي توظف الفعل (يستحق) بمعنى يحتاج. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الفعل (اعتبره)، فالصواب هو (لاحظه)، وعبارة (ما شاء الله)، أيضا يكثر استعمالها بمعنى الدعاء، وتقال عند الإعجاب بالشيء يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ...﴾، [سورة الكهف، الآية 39]. أمّا إذا أراد المعنى المذكور بالفرنسية، فالأنسب (ما شاءه الله). وتحمل جملة (فوض له الأمر)، معنى غير الذي ذكره المستشرق، فوضت الأمر أي تركت الأمر لشخص آخر، وليس كما ذكر.

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص 3، 11، 13، 14، 16، 17، 19، 20، 21، 22.

كما تم تحريف معنى الآية الكريمة: ﴿... وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، [سورة البقرة، الآية 184]. فالمقابل الفرنسي، لا يعكس تماما معنى هذه الآية، والأمر نفسه ينطبق على الجملة التي تليها، فلا تطابق بين معنى الجملة العربية والفرنسية. وقوله: (إِنَّمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ تَلْقِينَا)، لا يتطابق مع الجملة الفرنسية، فالمقصود بالجملة العربية أَنَّ طريقة تعليم القرآن تعتمد على التلقين، وليس كما أشار إليه بوصفه تعليمات وأوامر فحسب.

كما اختلط على صاحب القاموس معنى عبارة (بنى على أهله)، التي تعني الزواج، وليس أن يجعل خيمة لزوج. ويبدو واضحا تأثر المستشرق بالكلام العامي، في قوله: (لأنكم تستأهلون الأرواح). فالمقابل الفرنسي يقابله بالعربية (لأنكم تستحقون أن نضحّي من أجلكم)، أو (أنتم أهل لأن نضحّي من أجلكم)، وهناك فرق بين الجملة العربية (أيّها الملك السعيد) والجملة الفرنسية (O roi dont nous souhaitons le bonheur!)، ففي الجملة العربية وصف الملك بأنّه سعيد، أمّا في التّركيب الفرنسي، فهناك تمن بأن يكون سعيدا. ويسجل صيغة الاستفهام (إلى أين؟) التي تعني بالفرنسية (ou)، وحسب، أمّا العبارات الأخرى التي قابلها بها فبعيدة عنها، في حدود العلم.

4- رؤية المستشرق شربونو إلى اللغة العربية:

4-1- رؤيته في ضوء المعجم: لم ترد في هذه المدونة تصريحات تعبّر عن مواقف واضحة اتّجاه اللغة العربية، إلّا ما جاء في مقدّمة المعجم عرضاً، حين تحدّث عن كثرة مرادفاتها التي تسبّب الدوار لقارئها.⁽¹⁾ كما أشار إلى تذرّم الطّلبة من الجذور، وكيفية العثور على جذر الكلمات.⁽²⁾ ويمكن تأويل هذا الكلام إلى نظرة سلبية نحو اللغة الفصيحة، أو بالأحرى الصّعوبة التي يجدها الأجنبي في التعامل مع هذه اللغة، إلّا أنّه يستدرك بعدها بإبداء إعجابه بأساليب اللغة العربية ومعانيها، ورغبته في تتبّع معاني الكلمات في كتب، مثل كلمة (عمران) في المقدّمة لابن خلدون.⁽³⁾ وهو بهذا يعبّر عن اهتمامه بالفصحى وشغفه بتتبّع معانيها؛ بل ذكر أنّه حرص على إخضاع عمله لمعايير المعجم العربي.⁽⁴⁾ أشار في نهاية المقدّمة إلى أنّ القارئ الباحث عن الاستعمالات العامة سيكون مخطئاً، فهذا القاموس لم يُعدّ للتّحاور في الجزائر؛ بل حرص على تضمينه التّعابير الكتابية الفصيحة بمعنى الأسلوب الفصيح.⁽⁵⁾ تأثّر المستشرق شربونو بطريقة المعجميين العرب، يبدو ذلك واضحاً من خلال اتّباعه لطريقتهم في ترتيب مداخل قاموسه، وإن كان التّأثّر غير مباشر، بمعنى حدث ذلك عن طريق زملائه من المستشرقين، إذ لم يذكر معاجم عربية؛ بل مراجعه لمستشرقين وبقليل من التأمّل، يتأكّد القارئ أنّه حاول الالتزام بما جاء في المعاجم العربية عامة. أمّا المعاجم فاكتمت بمعاجم المستشرقين، ولم يرجع إلى المعاجم العربية القديمة، أو على الأقل لم يذكر ذلك.

4-2- رؤيته في ضوء أعماله الأخرى: ليكون البحث فكرة أشمل عن نظرة المستشرق شربونو

إلى اللغة العربية، رجع إلى دراسته حول اللهجة الجزائرية، ويتمثّل هذه العمل في تتبّع الكلمات والتّعابير المستحدثة في اللهجة الجزائرية عنوانه: (ملاحظات جديدة حول العربية العامية للجزائر) (nouvelles observations sur le dialecte arabe de l'Algérie)

يتّضح من خلال هذا العنوان أنّ لغة المتن هي اللهجة العربية الجزائرية، وهي دراسة جديدة حسب المستشرق شربونو، تشكّل ملاحظات جديدة، قسّمها إلى قسمين، يتمثّل الأول: في المدخل الذي ذكر فيه بعض المعلومات، والجهد المبذول في هذا العمل والهدف منه، كما قدّم أمثلة لبعض

1 - شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية). ص 1 من المقدمة.

2 - المصدر نفسه. ص 6 من المقدمة. (VI).

3 - المصدر نفسه. ص 6 من المقدمة. (VI).

4 - المصدر نفسه. ص 8 من المقدمة. (VIII).

5 - المصدر نفسه. ص 4 من المقدمة. (IV).

الظواهر اللغوية التي لاحظها. أما القسم الثاني: فتمثّل في قائمة الكلمات المتنوعة وخصّص جزءا منه لمجموعة قوائم الأفعال الرباعية، والتي تضمّنت قائمة أخيرة احتوت على صفات صيغت من الرباعي. قدّم دراسته على أنّها معجم مصغّر للألفاظ العامية، «هو نوع من المعاجم مجزّأ إلى قسمين تتضمّن المجموعة الأولى كلمات من كلّ الصيغ. أمّا المجموعة الثانية، فلا تشتمل إلّا على أفعال مصاغة من النّوع الرباعي، وهو الطّابع الغالب في هذه الكلمات المضافة حديثا».⁽¹⁾ يتّضح الهدف من هذه الدّراسة من خلال المقدّمة التي ذكر فيها المستشرق منهجه، كما تدعّم الخاتمة هذا الأمر ويمكن القول إنّ هذه الدّراسة عبارة عن ردّ على المستشرق رينان، بدليل أنّه افتتح دراسته بقول ارنست رينان، الذي تحدّث عن العربية الفصحى واللهجات أو اللّغة المكتوبة ولغة الكلام، كما وضّح ذلك في قوله، وذكر أنّ لكل منطقة تعابيرها المفضلة وأنماطها المعتادة وعاداتها الخاصة في النّطق وما سجّله هو أنّ الفروق قليلة جدا بين هذه اللهجات، وهو ما أدهشه كيف تتّصف لغة ممتدة على مساحات شاسعة بمثل هذه الوحدة.⁽²⁾ حيث ذهب المستشرق شربونو إلى أنّ مقولة هذا العالم الأكاديمي لا تنطبق على شمال إفريقيا وبخاصّة الجزائر.⁽³⁾ ويكشف عن حقيقة أخرى، مغايرة لما توصّل إليه هذا العالم: «في الحقيقة مع قلة التّواصل والعلاقات مع سكان مستعمرتنا نكتشف بسرعة في كلامهم قلبا وخللا وأخطاء، وهو ما يميّز اللّغة المستعملة». يقول: «سأعرض على قراء الجريدة الآسيوية بعض الملاحظات الجديدة، استكمالا لما صدر في عدد ديسمبر 1855م، لن أذكر هنا إلّا الكلمات التي تعرّضت لتغييرات واضحة في اللهجة أو الكلام المحلي، وهي إما مجازية أو أصلية مستمدة من أصالة الشعب المتمسّك بعاداته، بهذه الأمثلة سنتمكّن من تحديد طبيعة هذه الاختلافات، وسيكون مؤسفا أن تُطرح لعلماء فقه اللّغة (الفيلولوجيين)». ⁽⁴⁾ يقصد النّتائج التي توصّل إليها بعض الباحثين، ومنهم رينان حول اللّغة العربية، وهنا يُفهم أنّ اللّغة الموحّدة المقصودة هي الفصحى، فالاهتمام بالعامية ظهر مؤخرا فالجميع يفهم الفصحى ويتكلّمها ويكتبها بالطريقة نفسها، أمّا اللهجات فهي المتغيّرة. ولو وجّهت دراسة المستشرق إلى الفصحى ما اعترض على ما توصّل إليه العلماء، فالفيلولوجي يهتم باللغات المكتوبة.

¹ – voir: cherbonneau, Auguste. nouvelle observations sur le dialecte arabe de l'Algérie. p 15.

²– ibid. p 3.

³– ibid. p 3.

⁴ – ibid. p 4.

يؤكد في الخاتمة النتيجة التي توصل إليها، «هذا العمل مجرد غلبة للكلمات والعبارات غير المكتوبة، والتي تشكّل الدليل، إلا أنّ النتائج المتوصل إليها أكثر أهمية من المادة في حدّ ذاتها. حيث اكتشفنا بطريقة غير متوقعة، وجود عربية خاصة بكل منطقة، وهو شيء غريب (مدهش) ويشير الفضول، وأنا سعيد بإثارته مع تقديري للغوي (للفيلولوجي) المشهور أرست رينان».⁽¹⁾ فالهدف من هذه الدراسة، (المعجم المصغر) هو تسجيل المفردات التي طرأ عليها تغيير في اللهجة الجزائرية وهو ردّ على المستشرق رينان، ودليل وحجة لدحض ما توصل إليه، ويمكن إضافة هدف آخر ويتمثل في فهم آلية هذا التغيير، لاسيّما أنّه اعتمد مناطق عديدة في بحثه، وتأتي المادة في المرتبة الأخيرة حسب المستشرق نفسه، فالأهم عنده هو النتائج التي حقّقتها دراسته.

ومن التّغييرات التي دخلت على الكلام العربي الجزائري، في ضوء هذه الدراسة، حرف (الياء) وهو عامل أساس في إفساد العربية، ويظهر تأثيره في الخطاب من خلال الضمائر، والأسماء الموصوفة والأفعال والظروف. ويقترن أحيانا بألف مدّ، مثل: برية (beria) عوض (برة)، و(مرايا) (mraia) عوض (مراة، أنايا) (anaia) عوض (انا) (melian) عوض (ملان)، و(يغزو) (ierzou) صار (يغزي) (ierzi)⁽²⁾.

كما تحدّث عن عامل آخر، وهو تضعيف بعض الحروف، وهي كما يقول نتيجة طبيعية لرغبتهم في تخفيف بعض الصيغ الثقيلة، والتي جعلت (نملة) (nemla) (نمّلة) (nemmala) (دملة) (demla) (دمالة) (demmla)، وغيرها من الكلمات.⁽³⁾ قد لا يكون التّضعيف لتخفيف الكلمة كما ذكر المستشرق. فالمعروف أن التّخفيف يكون بالحذف أو ربّما القلب أو الإبدال، بل قد يرتبط الأمر بنطق شاذ للكلمة علق بالألسن وشاع بذلك الشّكل، بالإضافة إلى المدّ.

حاول في هذا العمل كتابة اللهجة المتداولة في بعض المناطق الجزائرية، ويبدو أنّ اهتمام المستشرق بالعامية، له علاقة برغبته الشّديدة في ربط الجزائريين بالفرنسيين والعكس، إلا أنّ هذا ليس الهدف الوحيد، إذ تعكس الدّقة التي تناول بها الكلمات العامية، وحرصه الكبير على ردّ بعضها إلى أصلها الفصحى حسّاً علمياً، إلا أنّه يجنح في كثير من الأحيان إلى المنهج المعياري، حين يعود

¹ - cherbonneau, Auguste. nouvelle observations sur le dialecte arabe de l'Algérie. p 35.

² - ibid. p9.

³ - ibid. p9.

بالقارئ إلى أصل الكلمة الفصحى، قبل تحوّلها إلى لهجة. بالإضافة إلى ردّه بعض الألفاظ إلى أصولها، مثل بيان أن أصل الكلمة من اللغة الرومانية. يقول: «لقد سجّلت، وحلّلت وشرحت الخصائص الأساسية، وحاولت أيضا إيجاد القوالب التي أفرغت فيها العبارات الشاذة أو غير القياسية وأرجو من القارئ ألاّ ينفر من موضوعية ملاحظاتي وجفافها، ففي البداية أردت وضع قوائم ألفبائية مستمّدة من كراستي (كناشي) فحسب. لكن شيئا فشيئا نشأ من رغبتني في تحرير سجل ثريّ تصنيف هذه القوائم بطريقة منهجية إلى حد ما. وأرجو أن أستحق بذلك تفهم كل المهتمين بمستعمرتنا».⁽¹⁾ جمع المستشرق مادّته من الميدان، حيث ورد: «لقد جمعت الكثير في مقابلاتي المستمرة والكثيرة مع السكان في تبسة وتلمسان وبسكرة وقسنطينة، بتنقلي من مكان إلى آخر في الجزائر. سجّلت بعناية العبارات الفجّة، ولا أظنّني فعلت شيئا غير مفيد».⁽²⁾ وهذا يعني أنّه تجوّل بين مناطق الجزائر ليجمع أكبر قدر ممكن من المفردات والعبارات المستحدثة في اللهجة الجزائرية، وقد ذكر بعض المناطق الأخرى في دراسته.

لا يهدف هذا القاموس إلى التعريف بالمفردات التي يحتوي عليها فحسب؛ بل يسعى إلى إثبات انحرافها عن اللغة العربية الفصحى. وإلى جانب المجال التعليمي، فإنّه يتوجّه به إلى العلماء والباحثين، ثمّ إلى كل من يهتمّ بالجزائر.⁽³⁾ يمكن أن يفهم من هذا الكلام أنّ الفرنسيين، وكل الأجانب معنيّون بهذا العمل. لابدّ أنّ هذا العمل سيفيد الفرنسيين في تعاملهم مع الجزائريين، فقد سعى المستشرق إلى تعريف الكلمات بشكل دقيق، باستثناء بعض المواضع، وهو من البحوث التي فتحت أبوابا واسعة أمام الدّراسات المهمة باللهجات.

4-2-1- التسميات التي أطلقها على العربية: ذكر المستشرق تسميات للعربية الفصحى، منها: (véritable l'arabe)، والتي يمكن مقابلتها بـ (العربية الحقيقية) أو المستعملة في الواقع اللّغوي و(pure l'arabe) أي العربية القحّة الفصحى.⁽⁴⁾ وهو ما قد يعكس موقف المستشرق الفرنسي شربونو من اللغة العربيّة بوضوح، إذ يفرّق بين اللغة الفصحى، وهي الأصل عنده، واللهجة الجزائرية التي

¹ - cherbonneau, Auguste. nouvelle observations sur le dialecte arabe de l'Algérie .p 14.

² -ibid. p10.

³ -ibid. p 14

⁴ - ibid. p13, 14.

اعتبرها تحريفا للأولى، وشكلا دخيلا على اللغة الأصلية والأصلية، إلا أن هذا لا يعني إقصاء هذا الاستعمال؛ بل بالعكس هو يحث على تعلّمه بالنسبة للأوروبيين. وعبر في كتابه نواذر إسلامية المتبوع بمعجم عربي- فرنسي عن طموحه، ورغبته في تطوير تعليم اللغة العربية في فرنسا.⁽¹⁾ وهذا ما يكشف عن اهتمامه باللغة العربية.

4-3- نظام الكتابة في معجم شربونو: وظف المستشرق الحرف العربي لكتابة مداخل اللغة

العربية الواردة في قاموسه (اللغة الكتابية)، ونادرا ما يشير إلى مدخل من المداخل بالخط اللاتيني، مثل: حرف الهمزة الذي أعاد كتابته: (Elif ou Alif) ومؤذن (Moueddin)، أغا (Agha) اخوان (khouan). أما في المداخل الأخرى فيكتفي بالخط العربي. وهو ما قد يعكس عدم الاهتمام بنطق الكلمات، ويمكن أن يعبر عن رؤية المستشرق المتمثلة في ضرورة إتقان المتعلّم الخط العربي واللغة العربية معا، إذ لا يتيسر استعمال هذا القاموس إلا لمن له معرفة باللغة العربية كتابة ونطقا.⁽²⁾ وهذا العمل قد يمثل وجهة نظر المستشرق، الذي يميل إلى كتابة اللغة العربية بخطها، ممّا يفرض على مستعمل قاموسه التعامل مع الحرف العربي وتعلّمه، وقد يقترن هذا الأمر بحاجة الفرنسيين في تلك الفترة إلى الخط العربي للتعامل مع الشعوب المستعمرة وخير مثال لذلك الجزائر.

إلا أنه عثر على دراسة للمستشرق، وظف فيها الحروف العربية بالخط اللاتيني إلى جانب الخط العربي، وقد تتبّعها البحث للوقوف على هذه الحروف اللاتينية، حيث لوحظ أنّ حرف الظاء لا وجود له في هذه الدراسة، ولم يشر إلى هذه الحروف في بداية العمل، كما يفعل بعض المستشرقين،* وهو ما اقتضى استخلاصها من الكلمات الواردة في المتن سيعرضها البحث فيما يأتي:

¹-Cherbonneau, Auguste. anecdote musulmanes texte arabe, cours d'arabe élémentaire, suivi d'un dictionnaire analytique. avertissement.

² - ينظر: شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية).

* يفتح بعض المستشرقين أعمالهم المعتمدة على حروف عربية بالخط اللاتيني (النقحرة)، بوضع قائمة الحروف العربية بالخط العربي يقابلها قائمة بالحرف العربي المكتوب بالخط اللاتيني.

جدول يمثل الحروف العربية ومقابلاتها باللاتينية (النقحرة)

الحرف العربي	الحرف اللاتيني	الحرف العربي	الحرف اللاتيني	الحرف العربي	الحرف اللاتيني	الحرف العربي	الحرف اللاتيني
أ	a	ب	b	ت	t	ث	t
ج	dj	چ	tch	ح	h, h	خ	kh-k
د	d	ذ	d	ر	r	ز	z
س	s,ç	ش	ch	ص	s,ş	ض	d
ط	t,ṭ	ظ*	z	ع	a, ' ,	غ	r
ف	f	ق	k- k	ف	g- gu—k	ك	k
ل	l	م	m	ن	n	هـ	h
و	ou-w	ي	-ï-ia-i-eï- ai-ie	-	-	-	-

يمثل هذا الجدول الحروف التي وظّفها المستشرق شربونو في معجمه المصغّر للكلمات العاميّة، وهي دراسة للتغيرات الطارئة على العربية الجزائرية، وبمجرد ملاحظة هذا الجدول، يتّضح أنّ هناك حروفاً أشكلت على المستشرق، وهو ما سيفصل فيه البحث لاحقاً. يُلاحظ أنّ المستشرق لم يلتزم منهاجاً واحداً في كتابة بعض الحروف العربية بالحرف اللاتيني، إذ لم يعتمد كتابة موحّدة إلاّ أن يكون له أسباب جعلته يميّز بين هذه المواضع، لم يتبينها البحث، كما أنّه يقابل بعض الحروف العربية بحرف لاتيني واحد، وهو ما يصعب المهمّة للناطقين بغير هذه اللّغة. ولم يتمكّن من ضبط مقابل بعض الحروف بدقّة، وقد يرجع السّبب إلى كونها ليست من العربية الفصحى، حيث لا يوجد أحياناً كثيرة تطابق بين الكلمة بالحرف العربي ومقابلها بالحرف اللاتيني، وسيذكر البحث بعض النّماذج لهذه الظّواهر. لا يُعاب على المستشرق شربونو الخلط الذي وقع فيه عند كتابة بعض الكلمات العربية بالحرف اللاتيني، ذلك أنّ معظم هذه الحروف يختلف المستشرقون في طريقة كتابتها باللاتينية.

* ورد هذا الحرف في موضع واحد فحسب، وهو الصّفحة الأخيرة من هذه الدّراسة.

جدول يمثل كتابة كلمات عربية بالحروف اللاتينية

العربي	اللاتيني	الأمثلة
الثاء	t	temezera ⁽¹⁾ - ثمزرى
چ	tch	تچكچك ⁽²⁾ - tchechtchak
خ	kh-k	تخربط ⁽³⁾ - tekraḥḥ / kharboḥ
الذال	d	هكذايا ⁽⁴⁾ hakedaia - رادنه - rardène
السين	ss - s-ç	هلولوس - helouess hawwas / مسكية - meskia / سليس - saliça ⁽⁵⁾
الصاد	ş-s	حرقص - ⁽⁶⁾ ḥarkoş / تملصق - temolsok
العين	a-'-èi	عرقن - arkan / برادعي - bradèi / نزايعي - nezâi'ei / الافعى - el-afa'a / يبع - ba'ba تقرقع - tekarka' / كعوان - kaouân / عتروس - a'trous ⁽⁷⁾
القاف	g-k-k	ابريق - brik / قدام - kdâm / حرقص - ḥarko / بقباقة - bogbaka / بعوق - ba'ouk ⁽⁸⁾
ف	g-gu-k	تقرقش - teguerguéche / ترزقظ - tezeḡot / قنطرة - kanṭara / فانه - gana ⁽⁹⁾
الواو	w-ou	وطاية - outaia / بؤت - bewet / حواس - hawwas / نوى - noua / خلواط - khelouât ⁽¹⁰⁾
الياء	-i-ia-i-eï ai-ie-y	يزي - izzi / يغزو - ierzou / هنايا - henaia / بصايلة - bsaila / كرايشي - krâichi فراي - ferrai / سيفت - sifeṭ / مغيب - merieb / تمريل - temeriel ⁽¹¹⁾

يكشف الجدول السابق عن الخلل الكبير الناتج عن كتابة العربية بالحرف اللاتيني، وعدم التحكم في كتابة كلمات كثيرة، إذ لم تخضع إلى منهجية موحدة، وهو ما يصعب مهمة القارئ ولاسيما من الأجانب (غير الناطقين بالعربية). سيتتبع البحث ما ورد في الجدول لتحديد نوع الخلل أو الغموض الذي ميّز بعض الكلمات، وقد تمّ اختيار نماذج تعكس الاضطراب في توظيف بعض الحروف، اتبعت هذه الدراسة الترتيب الألفبائي.

وظّف المستشرق شربونو حرف (الثاء) مقابل حرف (الثاء)، وذلك في الكلمة القبائلية (ثمزرى) وإن كانت دراسته تخلو من كلمات عربية بهذا الحرف. كما يظهر الصوت (تش) الذي عبّر عنه بالحرف العربي (چ)، وبالفرنسية ب (tch). ولا علم للطالبة بهذا الصوت وفق هذا الشكل، إلا أن يكون صوتا

¹- voir: Cherbonneau, nouvelles observations sur le dialecte arabe de l'Algérie. p33.

²- ibid. p25.

³- ibid. p 21

⁴- ibid. p9 p22.

⁵- ibid. p5 , 15, 20, 27.

⁶-ibid. p21, 5

⁷- ibid. p 5, 6, 7, 8, 24, 32, 6, 18.

⁸- ibid. p8, 21, 15, 27.

⁹- ibid. p 32, 31, 19

¹⁰- ibid. p 5, 15, 20, 6.

¹¹- ibid. p 8, 9, 5, 7, 19, 28, 29, 33.

خاصا. وفي الموضع نفسه بالنسبة إلى حرف الخاء أنه قابله في الفعل بـ (Kharbot)، في حين ذكر المصدر بـ (tekraibitt) بمعنى قابل الخاء بـ (kh) في الكلمة الأولى، وبـ (k) في الكلمة الثانية، وقد يكون كما سلف الذكر سهواً أو تأثراً بنطقه، فالفرنسيون ينطقون الخاء كافا. وقابل حرفي: (الدال والذال) بحرف لاتيني واحد وهو (d)، وهذا ما ينتج عنه صعوبة التمييز بين بعض الكلمات. ولا ينطقها نطقاً سليماً إلا من كان من أهل تلك اللهجة. تبين النماذج الواردة في الجدول، بالنسبة لحرف (السين) أن المستشرق شربونو جعل لهذا الحرف أكثر من مقابل باللاتينية، إذ يقابله أحيانا بالحرف (s)، وأحيانا أخرى بالحرف (ss)، وأخرى بـ (ç)، وهو ما يعكس الاضطراب والصعوبة التي واجهها، وينطبق الأمر نفسه على حرف الصاد، إلا أن الخلل بالنسبة لهذا الحرف قد يكون سهواً، أو خطأ مطبعياً، ذلك أن معظم الكلمات المشتملة على حرف الصاد يكتبها بحرف (S)، إلا أنه أورد بعضها بحرف (s).

أما الحرف الذي يبدو أنه أشكل على المستشرق، فهو حرف (العين) إذ يقابله بالشكل (ʿ)، وتارة أخرى بالحرف (a)، وبـ (èi)، وقد أثر ذلك على طريقة كتابة بعض الكلمات، مثل: (a'trous)، في حين كان الأولى أن يقدّم حرف (ʿatrous)، والأمر نفسه بالنسبة لكلمة (kaouân)، حيث حذف العين، وأبقى على حرف (a).

هناك مسألة أخرى تتعلق بشكل هذا الحرف (ʿ)، إذ يفتر إلى أدنى الشروط، ليكون مقابلاً للحرف العربي (ع)، كما أنه لا ينسجم مع الحروف العربية؛ بل بما فيها الحروف اللاتينية، إنه شكل يصلح للحركات كما هو في اللغة الفرنسية. أما بالنسبة إلى حرف (القاف) فيقابله بالحرف اللاتيني (K)، وأحيانا تسقط هذه النقطة فيقابله بحرف (k)، وقد يكون ذلك سهواً أو خطأ مطبعياً. كما قابله في كلمات قليلة بالحرف (g). ومما يلاحظ أنه أورد كلمة تنتهي بحرف القاف، والأصل أن تكتب بـ (ف)، وهي (بعوق). ويقابل حرف (ف) بثلاثة حروف مختلفة واردة في الجدول السابق، وقد يُبرر هذا الخلط بعدم التفريق أحيانا بين القاف والفاء، مثل المثال السابق، وكلمة (قنطرة) التي كتبها بحرف (ق)، إلا أنه قابله بحرف (k) أي القاف بالعربية، وبالنسبة للحرف (gu)، و(g)، فيبدو أنه طبق القاعدة الفرنسية على العربية. هناك اضطراب في كتابة حرفي الواو والياء، كما هو واضح في الجدول السابق، ولا شك أن هذه الاختلافات لحجة دامغة تثبت أن كتابة لغة بحروف لغة أخرى يؤدي حتماً إلى تحريفها، إذ مهما اجتهد الكاتب للمحافظة على خصائص اللغة الأصلية، سيفقد في ذلك. وما يُستغرب له أن الخلل

طال الحروف غير الموجودة في اللغة الفرنسية، كما شمل أيضا الحروف المشتركة، مثل حرف (السين).

ما يمكن استخلاصه بالنسبة إلى المستشرق شربونو هو أنّ توظيفه للحرف اللاتيني مقابلا للحرف العربي كان للضرورة، تسهيلا على القارئ، فمعظم الكلمات العامية التي أوردها ليست مفهومة، ولا توجد في المعاجم السابقة، وهذا ما جعله يلجأ إلى الحرف اللاتيني، بدليل أنّه لم يوظّفه في معجمه السابق اللغة الكتابية إلا في مواضع نادرة. إنّ كتابة اللغة العربية بالخطّ العربي في معجمه للغة الفصحى قد يعبر عن ارتباط الخط اللاتيني باللّهجات، وعندما يتعلّق الأمر بالفصحى، فإنّها تكتب بالخطّ العربي، هذا ما تمّ التوصل إليه مع المستشرق شربونو من خلال عمله المُطلّع عليهما.

المبحث الثاني: قضايا الجمع في معجم المستشرق دانيال ريغ (عربي-فرنسي)

قبل الشروع في استكشاف هذا المعجم، لابدّ من التّعرف على صاحبه، لما لذلك من فائدة

في تحليل المعجم، فتري من هو دانيال ريغ؟

التعريف بالمستشرق دانيال ريغ (Daniel Reig): ⁽¹⁾ ما أثار الاستغراب في رحلة البحث عن سيرة المستشرق الفرنسي دانيال ريغ، أنّه لم يُعثر على تعريفه في معاجم أسماء المستشرقين المطلّع عليها. رغم أعماله الكثيرة في اللّغة العربية، ولد ببوخنفيس وية سيدي بلعباس في الثامن والعشرين 28 من شهر سبتمبر 1929م. ⁽²⁾ فهو أستاذ اللّغة والأدب العربي في السوربون ومعهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات السياسية، ودكتور في الدراسات الإسلامية والآداب ألّف الكثير من الكتب حول اللّغة العربية. قيل إنّه أحبّ اللّغة العربية حين تعلّم أصولها في المغرب على شيخ جليل، ثمّ تخصص في قواعدها وآدابها، وانصرف إلى تعليمها في جامعات فرنسا البارزة كالسوربون ودار المعلمين العليا، وهو من أبرز المستشرقين الذين اهتموا بها. توفي في شهر فيفري 2007. وبما أنّ مؤلفات المستشرق تسهم في التّعرف عليه، فلا بأس من الوقوف عند بعضها.

أهمّ أعماله: من الكتب التي ألّفها سلسلة لتدريس اللّغة العربية الحديثة بالطريقة السمعية البصرية (الجزء الأول: اتعلّم العربية مكتبة ميزو نوف لاروز، ط1، 1977، الطبعة الثانية 1981)، وهو مؤلف بسط فيه المستشرق آراءه حول العربية وتعليمها، ⁽³⁾ و(الجزء الثاني: اتكلّم العربية مكتبة لاروز)، وألّف ألف فعل... وفعل كتاب التّصريف، ⁽⁴⁾ مكتبة ميزو نوف لاروز، باريس 1982م، والجزء الثالث (مختارات عربية، جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب)، وممّا قاله في تقديمه: « إنّ الدّوافع التي حدثت بي إلى جمع هذه (المختارات العربية) تنبع على اختلافها وتعدّدها من رغبتني في فتح أبواب التّعرف على العالم العربي أمام الأجيال الجديدة، التي تنشأ في فرنسا، وغيرها من البلدان غير العربية، وتصبو إلى أن تكتشف حقيقة هذا العالم، اكتشافاً مباشراً، ولو من خلال

¹ - استقى البحث هذه المعلومات من الحوار الذي أجراه الأستاذ إبراهيم صحراوي مع المستشرق كما سيأتي ذكره، وكذا من المعلومات الواردة في معجمه.

² - https://data.bnf.fr/fr/11921423/daniel_reig/

³ - voir :Daniel reig, اتعلّم العربيّة, Manuel d'arabe moderne, lehrbuch fur neu-arabisch hand book for modern arabic, 2^e édition, revue et augmentée, Maisonneuve et Larose, paris, 1981, l'introduction.

⁴ - ينظر دانيال ريغ، ألف ألف فعل... وفعل، كتاب التّصريف، دط. باريس، مكتبة ميزونوف لاروز، دت. دط.

الأدب والصحافة».⁽¹⁾ وهي مقتطفات قصيرة لأشهر الأدباء المحدثين، منهم: (المنفلوطي، المازني علي الطنطاوي، جبران خليل جبران، طه حسين، نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس، وعبد الحميد بن هدوقة، والطيب صالح). ومن الصحافة مجلة العربي، والكثير من حكايات جحا، ومما أورده حكاية (الزارع أكبر من السلطان): « سألّه يوماً شيخ القرية، وكان ضيفاً عليه، قائلاً: السلطان أكبر أم الزارع؟ فأجابه الشيخ: طبعاً، الزارع أكبر، لأنّه لو لم يقدّم حنطة لمات السلطان جوعاً». ⁽²⁾ أمّا أهمّ ما ألفه في مشواره الاشتراقي، فهو (معجم اللّغة العربية الحديثة السبيل عربي -فرنسي/ فرنسي -عربي مكتبة لاروس، سلسلة ساتورن باريس، صدرت الطبعة الأولى سنة 1983م). وتتابع الطبعات الواحدة تلو الأخرى.⁽³⁾ وهذا يدلّ على رواجه إلى أيامنا هذه. أما مدوّنة البحث، فهي آخر طبعة وُجدت في السّوق، الصّادرة سنة 2008.⁽⁴⁾ إلّا أنّها لا تختلف كثيراً عن السّابقة.

- (كتاب ألف ألف فعل... وفعل كتاب التصريف): هذا الكتاب معجم للأفعال العربية، أشار مؤلّفه إلى أنّه يندرج ضمن الكتب التّعليمية، وهو موجّه بالدرجة الأولى إلى النّاطقين باللّغة العربية بوصفها لغة أجنبية، كما يمكن لأهلها الاستفادة منه. عبّر المؤلّف في مقدمته عن الصّعوبة التي يجدها المتعلّم في تصريف الأفعال، موضحاً « أنّ ذلك يرجع إلى عقم طرق التّعليم الخاص بالنّحو والصّرف وإلى غموض الكتب التي بين أيدي الطّلاب وحشوها بالتّعريفات السقيمة التي يصعب فهمها والتّطبيق عليها. أما رأينا في التّعليم بصفة عامّة وفي تعليم اللّغة العربية بصفة خاصّة فإن نترك جانباً، نحن المتعلمين الخرافات اللّغوية والخزعبلات النّظرية في النّحو العربي لنمارس طرقاً تربوية مباشرة. فانطلاقاً من ذلك أردنا أن نسيل فيض الأفعال العربية في جداول منظّمة، واضحة بسيطة الاستعمال يستطيع الطّالب أن يُرجع إليها كلّاً من آلاف الأفعال الواردة، أو الممكنة الورد في اللّغة العربيّة». ⁽⁵⁾ عبّر المستشرق في هذه الفقرة عن سخطه على الطّرائق المستعملة في تعليم النّحو والصّرف؛ بل يشمل هذا الحكم اللّغة العربية كلّها، حاول في هذا العمل أن ييسّر تعلّم تصريف الأفعال على

¹ ينظر: ريغ، دانيال. مختارات عربية: جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب. باريس، ميزونوف إي لاروز، دت. دط.

² المرجع نفسه. ص 309.

³ ينظر: ريغ، دانيال. السبيل الوسيط: معجم عربي-فرنسي. باريس، لاروس، 1987م. دط.

⁴ - Reig, Daniel. Arabe, dictionnaire Arabe-français, français-arabe, 200 000 mots, expression et traduction, Larousse, 2008.

⁵ ريغ، دانيال. ألف ألف فعل... وفعل، كتاب التصريف. مقدّمة الكتاب.

المتعلمين، وذلك باعتماد طريقة مبسطة ومنظمة. يقول: « قد لا يقبل مثال من بين الأمثلة التي استشهدنا بها في سياق هذا الكتاب، أو فعل من بين الأفعال التي أدخلناها في اللائحة العامة، قد لا يقبل هذه الصيغة أو تلك من الصيغ الموجودة في الجداول المخصصة للاشتقاق أو للتصريف إلا أننا أردناها مختصرين فيها تارة، مقتصرين على الإشارة إليها أخرى، وليس ذلك إلا للدلالة على الآليات الاشتقاقية والنظاميات التصريفية التي تختص بها العربية بين اللغات الأخرى، والتي تمكّنها من أن تسكب في قوالبها الخاصة أية مادة لغوية وتعربها أخيرا. فهذه حقيقة دائمة، كان الخليل بن أحمد أول من اكتشفها...»⁽¹⁾ يعترف المستشرق بوجود بعض الأمثلة التي قد تشذ عن الاستعمال إلا أنه انطلق من قواعد ثابتة ومعروفة في صرف اللغة العربية وطريقة الاشتقاق فيها، وهو ما جعله يتوصّل إلى أمثلة غريبة عن الاستعمال في بعض المواضع القليلة المطّلع عليها. « وإذا كانت لمثل هذا الكتاب فائدة ولو متواضعة، فإننا مقتنعون بأنها تكمن في قيمته النموذجية التربوية. هذه هي الأسباب التي حدت بنا إلى وضع كتاب يفيد الطالب غير الناطق الطبيعي باللغة العربية، وقد يفيد في الوقت ذاته أخاه الناطق الطبيعي بها. هذا أملنا، وهاكم جهدنا نبذله لنفع هذه اللغة ونهديه لأبنائها وغيرهم من المعجبين بها»⁽²⁾ قد يعجب قارئ هذا الكلام بهذا المستعرب الفرنسي الذي يشكو من حال طرائق تعليم اللغة العربية، إلا أنه لم يكتف بالشكوى؛ بل اجتهد وبادر باقتراح طريقته، والأكثر من ذلك تصريحه بأنه تصرف في اللغة العربية وأدخل صيغا ليست منها عن طريق تطبيقه لآليات التوليد والاشتقاق التي يعتبرها من نقاط قوة اللغة العربية.

افتتح كتابه بفهرست أبجدي لمحتوياته، أثبت فيه أهمّ العناوين الواردة في الكتاب، أمامها أرقام الصفحات. أتبعه بتمهيد، أشار فيه إلى وجود دليل للأفعال العربية الأكثر تداولاً، والتي يقارب عددها عشرة آلاف (10.000) فعل. وهذه الأفعال مرتبة حسب الترتيب الأبجدي* التام، ومصحوبة بأرقام هندية ... ترجع كلّ من وجد صعوبة في التصريف إلى الجدول الخاص بالفعل الذي يبحث عنه، وهذا في آخر الكتاب.⁽³⁾ ثم انتقل إلى تعريف مصطلح التصريف بالتفصيل، وتعرّض فيه إلى

¹ - ريغ، دانيال. ألف ألف فعل... وفعل، كتاب التصريف. مقدّمة الكتاب.

² - المرجع نفسه. مقدّمة الكتاب.

* أورد المستشرق كلمة أبجدي في حين المقصود هنا هو الألفبائي.

³ - ينظر: ريغ، دانيال. ألف ألف فعل... وفعل، كتاب التصريف، من ص 217 إلى ص 280.

أنواع وحالات الفعل كلّها، مع ذكر الأمثلة، مستعينا بجداول للتصريف. مفتتحا إيّاه بالفعل الثلاثي الصحيح المجرد، وعرفه وذكر الأبواب الستة. ما يمكن قوله في هذا الكتاب، إنّهُ عمل متميّز يستحقّ دراسة مستقلة تحيط بقضاياها، وتبرز آراء المستشرق دانيال ريغ في هذا المجال.

-رجل الاستشراق مسارات اللغة العربية في فرنسا: قام الأستاذ إبراهيم صحراوي* بترجمة كتاب الإنسان المستشرق (homo orientaliste) للمستشرق الفرنسي دانيال ريغ، وقام بحوار معه نُشر في جريدة الفجر يوم 17-08-2012، وحسب المترجم فالكاتب « قراءة وصفية نقدية تحليلية للاستشراق من الداخل، فهو موجه لجمهور غربي (فرنسي) أساسا، وناقشه حول موضوع الاستشراق».⁽¹⁾ قبل الإشارة إلى هذا الحوار، لا بأس بتقديم لمحة حول هذا الكتاب الذي قُسم إلى خمسة فصول: عُنوان الأول بـ (اللغة العربية الأسطورة والواقع)، أشار فيه إلى أربع نقاط (الكلمة العربية لا تموت) العروبة (الألسنة الفاسدة) (الّلحن) (دراسة العربية والاستشراق).

أمّا الفصل الثّاني فوُسم بـ (منبع الأنوار) تناول ثلاث نقاط: الأولى (كيف لا يكون الإنسان فارسيا أو تركيا)، الثّاني: (البدايات)، والثّالث: (صعوبة تحمّل الحياة في الموانئ والمدن العربية) تقرّع إلى ثلاثة عناصر: (المناضلون في الموانئ)، (الباب العالي)، (كيفية الاستعراب). وخصّص الفصل الثّالث لـ (ميلاد الاستشراق المستعرب)، قسّمه إلى أربعة مباحث (نقد النّظام)، (مشروع استشراقي)، (بدايات التعمّق في البحث)، تناول فيه (جمع المخطوطات والمكتبات)، و(طبع النّصوص)، و(المطبعة)، و(التّبحر المنتصر)، المتفرّع بدوره إلى: (المدرسة الاستشراقية الفرنسية) (التّلاميذ والإشعاع)، (باريس عاصمة الاستشراق). واختار للفصل الرابع عنوان: (عاصمة الاستشراق)، افتتحه بمبحث: (الاستشراق والسلطة)، تضمّن: (عناصر الخدمات)، (إمكانية الاختيار)، (خدمة الدّولة)، (مغريات إيساب دوسال)، ثمّ مبحث (الاستشراق في الاستعمار)، تناول فيه (جيش أفريقية: من الترجمان إلى المترجم)، و(من العالم إلى الأستاذ)، و(من الملاحظة إلى

* أستاذ بجامعة الجزائر، تعرّف المترجم على المؤلّف عن قرب عندما كان مشرفا على أطروحته الجامعية سنة 1989.

¹- ينظر: ريغ، دانيال. رجل الاستشراق: مسارات اللغة العربية في فرنسا. تر: إبراهيم صحراوي. الجزائر، دار التّوزيع للنّشر والتّوزيع 2008. دط. مقدّمة الطبعة الجزائرية. ص5. وحسان، م. "إبراهيم صحراوي يحاور رجل الاستشراق دانيال ريغ"، جريدة الفجر، بتاريخ:

www.djazair.com/alfadjr/222714/25/09/2014. 2012-08-17م.

الاستغلال). خُتم الكتاب بفصل خامس موسوم بـ (الاستشراق بلا مشروع)، تحدّث فيه عن (صورة المستشرق المستعرب)، مشيراً إلى التّطبيق والنّظرية و(الأضواء الأخيرة)، ثمّ من (الأستاذ إلى الأستاذ)، وبعدها توقّف عند (تقاطع الطّرق)، فيه (الطّريق الجديد)، (التّعليم الثّانوي)، و(التّعليم العالي)، و(البحث). وتناول في مبحث الإخفاق عن (المستعربين الفرنكفونيين)، و(المستعربين المعرّبين).

أمّا المبحث الأخير فكان على شكل سؤال، وهو (مستعرب، هل قلت مستعرب؟)، حيث ناقش مصطلح (الاستعرب)، وطرحه بشكل مغاير لما عرف به وعليه قبلاً.⁽¹⁾ يعدّ هذا الكتاب وثيقة تاريخية تعرّف القارئ بالاستشراق الفرنسي، وقد تضمّن أفكاراً كثيرة، تؤيّد ما ذهب إليه البعض من ارتباط الاستشراق بالاستعمار وربّما بالتّصير، وهو ما يمكن أن يدخل في قولهم: (وشهد شاهد من أهلها)، إذ يرى بعض الباحثين أنّ هذا افتراء على الاستشراق. وهو ما يجعله مرجعاً مهماً لفهم ظاهرة الاستشراق أو على الأقلّ بعض زواياها، وإن كان المؤلف دافع بكلّ ما أوتي من قوة عن المستشرقين، وحاول نفي بعض التّهم الموجهة إليهم، هذا الكتاب كذلك، جدير بدراسة مستقلة تُشرّح ظاهرة الاستشراق في ضوءه.

1- التّعريف بمعجم دانيال ريغ: (2)

1-1- المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1- عنوان المعجم: كتب العنوان على الغلاف الخارجي باللّغة الفرنسية، وهو

(dictionnaire Arabe-Français)، وخصّصت صفحة داخلية لكتابة العنوان باللّغة العربية (معجم عربي - فرنسي/فرنسي-عربي)، في حين ذُكر العنوان في الطّبعات القديمة باللّغة العربية على الغلاف الخارجي.⁽³⁾ إلّا أنّ هذا الأمر قد يرتبط بالناشر، ولا يعكس موقف المؤلّف.

1-1-2- المسهمون في العمل: ذُكرت في بداية المعجم معلومات حول مؤلّف المعجم

وكل من أسهم في تأليفه. مؤلّف القسم عربي - فرنسي هو الأستاذ دانيال ريغ (Daniel Reig) أستاذ في السوربون ومعهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات السياسية، أمّا القسم فرنسي - عربي - فحرّره آن ريغ لوك (Anne Reig-Luck). وكان تصحيح المخطوطة

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. رجل الاستشراق: مسارات اللّغة العربية في فرنسا. فهرس الكتاب.

² - Reig, Daniel . Arabe, Dictionnaire Arabe-français : 200 000 mots, expressions, et traductions.

³ - ينظر: ريغ، دانيال. السبيل: معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي.

وإعادة النظر للأستاذ أحمد الكاخي (Ahmed Kakhi)، ومراجعة وتصحيح هيلين هوسمان فلوران برنار دوفين (Hélène Houssemaine – Florent Bernard Dauphin). وأسهم في عمل السكريتارية أوديل لاجونيس (Odile Lajeunesse)، فائزة القاسم (Fayza Alkacem)، حاتم بن عثمان (Hatem Benothman) وحيد السعفي (wahid Assaafi). يلاحظ أنّ أسماء المساهمين كلّها مذكورة، كلّ حسب دوره في إعداد هذا المعجم، وهذا العدد يعبر عن الأهمية التي أعطيت لهذا العمل ويفهم منه أنّ هناك تعاوناً بين العرب والفرنسيين.

1-1-3- دار النشر: وبعدها مباشرة تأتي تسمية دار النشر، وسنة النشر، ولم يذكر رقم هذه الطبعة، بل اكتفى الناشر بملاحظة لاروس 2008 للطبعة الحالية، ولاروس 1983م للطبعة الأولى. ثم ذكر بلد النشر والعنوان الكامل لدار النشر بباريس، 21 شارع مونبارناس -باريس 75006.⁽¹⁾ وصدوره بفرنسا، يعكس تواصل اهتمامها باللغة العربية.

1-2- المعلومات الواردة في بداية المعجم:

1-2-1- مقدمة المعجم (كلمة الناشر): لم تشمل مدونة البحث على مقدّمة، في حين تضمّنت الطبعة القديمة تمهيدا باللغة العربية، تحدّث فيه المؤلّف عن هدفه من هذا العمل، وهو إقامة جسر بين اللّغتين العربية والفرنسية. كما أشار إلى الفئة التي يتوجّه إليها، وأنّه حذف المفردات القديمة والمصطلحات المستخدمة في المجالات المتخصصة، وأنّه حاول الاستجابة للمتطلبات الجديدة للغة وحدّد منهج الترتيب.⁽²⁾ أمّا الطبعة موضوع الدراسة، فافتتحت بتصدير للناشر، افتتحه بعنوان بارز مكتوب بخط سميك، وهو **(إلى القارئ)** عرّف فيه بالمعجم، وبين أنّه منظم بطريقة تسمح له بالانتقال بسهولة بين اللّغتين، إلّا أنّه يؤكد على أهمية اللّغة العربية، وذلك للحاجة الماسّة إلى معجم يقدّم اللّغة العربية الحديثة بطريقة سهلة. وانتقل إلى عنوان جديد وسمه بـ (معجم للغة العربية الحديثة)، يوضّح أنّ المعجم موجه لكل من يريد اكتشاف العالم المعاصر عن طريق اللّغة العربية ويشير إلى أنّ عددهم في تزايد مستمر، مبيناً أنّه بني انطلاقاً من الواقع الحي من كتب وجرائد ومجلات، ومؤلفات الأدباء المعاصرين، وأنّه اعتمد طريقة الجزاءات، ويتوقف بالشرح عند هذه

¹– Reig, Daniel. dictionnaire Arabe-français, français-arabe : 200 000 mots.

² – ينظر: ريغ، دانيال. السبيل الوسيط: معجم عربي- فرنسي. ص5.

المصادر الثلاثة: وهي الكتب المدرسية، و(الصحافة اليومية والأسبوعية)، و(الأدب الحديث)، ويضع عنوانا آخر، هو (معجم شامل للغة العربية الحديثة)، يحدّد فيه الجانب الكمي للمعجم، ليتوقف عند عنوان آخر، هو (معجم عمليّ التصميم) بيّن فيه طريقة الترتيب المعتمدة. تنتهي هذه المعلومات بكلمة (الناشر)، للدلالة على أنّ هذا التّصدير من وضع الناشر.⁽¹⁾ قدّمت المعلومات الصّورية عن المعجم. وضع الناشر في بداية القسم عربي - فرنسي جدولا للمحتويات، افتتحه بكلمة للقارئ. يليه شرح لمنهج المعجم، بالنّسبة للقسم العربي-الفرنسي. والأمر نفسه بالنّسبة للمسرّد الفرنسي - العربي. ووقفة لمعالم السير في القسم العربي - الفرنسي، بدءا بالنص العربي وانتهاء بالنص الفرنسي، وأتبعه بمختصر في النّحو الفرنسي، وبعدها جداول لتصريف الأفعال، والأصوات العربية المكتوبة بالحروف اللاتينية، يليها ذكر الدّول الأعضاء في الجامعة العربية، ولائحة بلدان العالم، ثمّ المنظمات والهيئات الدولية، فالموافقة بين التقويم القمري والتقويم الشمسي. وأخيرا وقبل الولوج إلى المعجم (العربي - الفرنسي)، أورد الاختزالات الاصطلاحية والمواد.

تجدر الإشارة إلى أنّ القسم العربي، قد ذكر منهج المعجم بالّغة العربية، وبعض قواعد اللّغة الفرنسية وتصريف الأفعال. واعتمد اللّغة الفرنسية في القسم الفرنسي مع ذكر بعض المعطيات اللغوية حول اللّغة العربية، سيقف البحث عند بعض هذه المحطّات بالوصف والتحليل؛ حسب الحاجة إليها.

1-2-2- المعلومات الصّرفية والنّحوية: تناول المؤلف صرف اللّغة العربية ونحوها وهذا

في القسم فرنسي-عربي،⁽²⁾ بدأ بالفعل الماضي، حيث صرّف الفعل (جلس) مع جميع الضمائر ثمّ أشار إلى مطابقة الفعل لفاعله، ومطابقة الصفة والإضافة، ولام التعريف، والإثبات والإدغام، ثم الفعل المثال، وصرّف الفعل (وصل) في جميع الأزمنة، وفعل الأمر مع الفعل (وقف)، مشيرا إلى اسم الفاعل والمفعول ثم الخبر، واسم الجنس واسم التفضيل، وظرفي (المكان والزمان)، والمفعول لأجله والمطلق، ثم المضاف إليه والمفعول به. ثم انتقل مجددا إلى الأفعال، وقدّم هذه المرة الفعل الأجوف، وصرّف الفعل (قال) في جميع الأزمنة مع الضمائر كلّها، مشيرا إلى اسم الفاعل والمفعول منه، ثم انتقل إلى الشرط والحرف والتّصريف، والصّرف والعطف، وفي كل مرة يشرح كل ما له

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. السبيل الوسيط: معجم عربي- فرنسي. ص 9، 10.

² - Voir: Reig, Daniel. dictionnaire arabe-français/ français-arabe, partie français-arabe. p 14-45.

علاقة بهذه المواضيع، وتوقف عند الألوان في المذكر والمؤنث.

أشار إلى مصطلح (الإعراب)، موضحاً ذلك بمثال، وإلى الممنوع من الصّرف، ثم إلى الفعل الناقص وصرفه مع جميع الضمائر والأزمنة، وذكر اسم الفاعل والمفعول، ثم انتقل إلى اسم الإشارة في المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث. بعدها تحدّث عن الاشتقاق، وذكر الأوزان المزيّدة والتّعريف والمعرفة وأفعال القلوب، ليقف عند المثنى بمثال توضيحي، ثم النعت والمنعوت، والحال وكان وأخواتها، والمؤنث والمستقبل، والجنس، والهمزة وكل الحالات التي تأتي عليها ثم الفعل المهموز، ثم الفعل المضارع المرفوع والمنصوب، والمضارع المجزوم.

ثم وقف عند النكرة والاستفهام، والحروف الهجائية موضحاً القمرية منها والشمسية، ثم أشار إلى حروف العلة، والوصلة والمدة، والمذكر والنفي بجمل اسمية وبعدها بجمل فعلية والمصدر، اسم الوحدة، اسم المكان، واسم الآلة، أسماء العدد البسيطة والمركبة، ثم أسماء العدد الترتيبية، ثم اسم الفاعل، والحال، واسم المفعول والمجهول، ثم نائب الفاعل، الجملة الاسمية بأمثلة توضيحية حول المبتدأ والخبر، والنفي بـ (ليس)، والجملة الفعلية.

قدّم أمثلة توضيحية عن كيفية تركيب الجملة، وتطابق الفعل مع الفاعل والصفة مع الموصوف والجملة الموصولة والصلة النكرة، والصلة المعرفة، الاسم الموصول الخاص، الاسم الموصول، فاعل الاسم الموصول مفعول الاسم الموصول، مجرور الاسم الموصول المشترك، الجمع المذكّر السالم الجمع المؤنث السالم، جمع التكسير، حرف الجر، اسم الإشارة، الضمير، الضمير المنفصل، الضمير المتّصل، النسبة، الفعل المضاعف، الجر والمجرور، الفعل المجزّء، والفعل المزيّد، والفعل الصحيح والفعل المعتل، وحروف المدّ والحركات. ختم هذا القسم بالنّظام الكتابي مسجلاً حروف الهجاء العربية ومقابلاتها الفرنسية.⁽¹⁾ ذكر المؤلّف معظم المعلومات الصّرفية والنّحوية، التي قد يحتاج إليها مستعمل المعجم. وهو ما ورد في الدّراسات المعجمية الحديثة التي تؤكّد على أهمية التّعريف بنحو اللّغة التي يودّ القارئ تعلّمها أو البحث عن معاني كلماتها بالدرّجة الأولى، لا بدّ أنّ المستشرق قد ألّم بمعظم المعطيات الواجب ذكرها، وهو ما يعكس اطلاعه على الدراسات المعجمية الحديثة، بالإضافة إلى تمكّنه من اللّغة العربية، وأعماله المذكورة سابقاً تشهد بذلك.

¹- Voir Daniel Reig, dictionnaire arabe-français/ français-arabe, partie français-arabe. p 14-45.

1-2-3- منهجية الترتيب: افتتح المعجم بالحديث عن القسم العربي-الفرنسي، واضعاً

عنواناً بارزاً هو (المفردات)، موضحاً طريقة الترتيب المتبعة، وبعدها قدّم القسم الفرنسي-العربي وطريقة الترتيب، ثم انتقل إلى شرح كيفية البحث والمنهج المتبع بالتفصيل في النص العربي ضمن القسم الأول، وبيّن في القسم ذاته كيف يكون البحث في النص الفرنسي.

1-3-3- مصادر مادة المعجم: وضّح المؤلف أهم مصادر اللغة العربية التي ضمّنها

معجمه، والطريقة المعتمدة في ذلك، وهي طريقة الجزّات، قسّمها إلى ثلاثة مصادر رئيسية: هي الكتب المدرسية بالدرجة الأولى، مبرّراً ذلك بكونها تضمن استمرارية اللغة ووحدتها، و« ذلك أنّ البرامج التعليمية تجمع بين النصوص المستمدة من الأدب الحديث والمنتخبات النثرية والشعرية الكلاسيكية، التي تمثّل التقاليد الثقافية، منذ الجاهلية (المعلّقات) إلى القرون 3-6هـ (9-12م)»⁽¹⁾. بالإضافة إلى الصحافة اليومية والأسبوعية، « لقد فرز عدداً كبيراً من الجرائد والمجلات الصادرة من المحيط إلى الخليج مروراً بأوروبا، حيث تصدر منذ سنوات عدّة مجلات عربية، لقد نالت بعض المطبوعات العربية مكانة عالية على الصعيد العالمي، فلذلك اعتبرت مراجع تشهد على حياة اللغة العربية المعاصرة، وكذلك أفسح مكاناً واسعاً للمنشورات التي تتضمن أبواباً خاصة لتعميم المعارف في جميع الميادين العلمية»⁽²⁾. ذُكرت معلومات عامة حول مصادره، دون الإشارة إلى أسماء هذه الكتب والجرائد والمجلات. والملاحظ أنّه لم يشر إلى أيّ معجم، ولا يُستبعد أن يكون المستشرق قد رجع إلى بعض المعاجم القديمة، ليستقي منها بعض الشروحات الواردة، مثل: أوابد الكلام، ومآبر وغيرها من الكلمات. هناك ربط بين الأدب الحديث والكتب المدرسية، مؤكداً على الجانب التاريخي مبيناً أنّه اعتمد بدرجة كبيرة على الأدب المعاصر، ويقصد به الأدب الموجود ما بين سنة 1900 وسنة 1950. * « لكن المنتخبات الواردة في هذا النوع من المؤلفات، تنتمي بشكل خاص إلى المرحلة الكلاسيكية الجديدة (1850-1900)، وإلى مرحلة الازدهار ... غير أنّ الأدب المعاصر الذي نقرؤه منذ ثلاثين سنة، قد اعتبر مرجعاً هاماً من بين المراجع الوثائقية المستخدمة في تأسيس بناء هذا

1 - دانيال ريف، معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. ص 9.

2 - المصدر نفسه. ص 9.

* يبدو أنّ المقدّمة المخصّصة للطبعة الأولى سنة 1983م هي نفسها الموضوعية في مقدّمة الطبعة الحالية.

المعجم، ذلك أنّ ممثلي هذا الأدب هم الذين عاصروا الانقلابات السياسية التي سمحت للشعوب العربية غداة الحرب العالمية الثانية أن تتحرّر من قيودها، وأن تكتسب وجوداً فعلياً وشخصية حقيقية داخل الجماعة الدولية، وكذلك هم الذين عاشوا الثورة التكنولوجية العظيمة التي أعقبت الحرب، فقد اتّسمت لغتهم بطابع التّطوّر العميق الذي سبّبه حركة التّثقف المنتشرة في العالم، منذ ربع قرن⁽¹⁾. ركّز النّاشر على استفادة ممثلي هذا الأدب من التّطوّر الحاصل في العالم بعد تحرّره من الاستعمار وظهور الثورة التكنولوجية الكبيرة، وربّما هو يقصد التّفكّح على الغرب وثقافته والتّشرب منها. كما أشار إلى عدد الكلمات التي تجاوزت 45000، وذلك في حوالي 40000 عبارة، بالإضافة إلى ألف مثل. موضحاً أنّها تدلّ على بعض التقنيات الحرفية اليدوية التي تعدّ مخلفات في أوروبا⁽²⁾. وهذا فيه إحياء إلى التخلف الذي يعيشه العرب.

1-2- تصنيف المعجم:

1-2-1- معجم للناطقين بالفرنسية والعربية: تؤكّد معظم الدّراسات المعجمية الحديثة أنّ تحديد الهدف من المعجم هو الذي يوجه المعجم، وعليه تتوقّف صناعته، كما ذكر العلماء أنّه « يصعب صناعة معجم يتوجّه إلى الفئتين في الوقت ذاته، فإمّا أن يكون للناطقين بلغة المتن أو بلغة الشّرح⁽³⁾. فتري ما هي الفئة المعنية بهذا المعجم؟ يقول النّاشر: « نُظّم هذا المعجم بطريقة تتيح للقارئ الانتقال بسهولة من إحدى اللّغتين إلى الأخرى، وقد أعطيت الأولوية للغة العربية، وما ذلك، إلّا لمسيب الحاجة منذ زمن طويل إلى معجم سهل الاستعمال، يتناول بشكل فعلي حقيقة اللّغة العربية الحديثة⁽⁴⁾. يتبيّن من خلال الشقّ الأوّل من هذا الكلام أنّ المعجم موجّه إلى القارئ الفرنسي والعربي معاً. بمعنى أنّ القارئ الفرنسي يستفيد من هذا المعجم بالدّرجة نفسها مع القارئ العربي "نتيح للقارئ الانتقال بسهولة من إحدى اللّغتين إلى الأخرى"، إذ يمكن للقارئ العربي البحث عن مقابل كلمة فرنسية بالّغة العربية، ولاشكّ أنّه يقصد الاستفادة من المسرد الفرنسي- العربي، الذي يحيل بواسطة أرقام إلى المتن العربي - الفرنسي. أما الشقّ الثاني، فيبيّن أنّ الفئة المعنية بالدّرجة

1 - ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. ص 10.

2 - ينظر: المصدر نفسه. ص 10.

3 - القاسمي، علي. صناعة المعجم الحديث. ص 37.

4 - ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. ص 9.

الأولى هي القارئ الفرنسي، (وقد أعطيت الأولوية للغة العربية)، بمعنى أن التعريف باللغة العربية أهم، ولا يكون هذا إلا للأجنبي، إذ لا يعقل أن تعرّف العربي بلغته، فالأجنبي يستفيد من اللغة الأجنبية عنه أكثر، والعربي يستفيد من الفرنسية وهي اللغة الأجنبية، وفي الصفحة التي تليها، قول الناشر: « إن لغتهم، وهي اللغة العربية الحديثة، بما فيها من الإيجاز والمتانة والمرونة والقدرة على التعبير عن كل شيء ليست - بعد الآن - بحاجة إلى أن تبرهن حيويّتها. لقد حان وقت الاعتراف بوجود لغة مثل هذه اللغة*»⁽¹⁾ ومن هنا يفهم أن المعجم موجّه للأجانب، ويدعوهم إلى التعرف على اللغة العربية، والاعتراف بها، فهو يخاطب أشخاصاً يجهلون اللغة العربية، ويريدون اكتشافها أو بالأحرى اكتشاف العالم العربي عبرها، بما أن مفتاح الولوج إلى هذا العالم هو اللغة العربية.

كما يمكن الاستدلال على ذلك، بوجود معلومات عن اللغتين الفرنسية والعربية، وهو ما يؤكّد أن صاحبه يتوجّه به إلى الناطقين بلغتي المتن والشرح معاً، لكن ليس بالدرجة نفسها، فبالنظر إلى المفردات الواردة فيه يظهر أنه حقيقة موجّه بالدرجة الأولى إلى القارئ بلغة الشرح، ولاسيما أنه بيّن في بداية المعجم أنه اختارها من مصادر عربية سواء أكانت كتباً مدرسية أو جرائد، أو مجلات، فالقارئ الأجنبي سيجد ضالته في هذا المعجم، في حين يقتضي هذا الأمر أن القارئ العربي لن يجد كلمات تخص المجتمع الفرنسي، إلا أنه يمكنه الاستفادة من مقابلات الكلمات العربية باللغة الفرنسية، معناه الاستفادة من هذا المعجم في عملية الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية.

1-2-2- معجم للتعبير الكتابي والفهم: قد يؤلّف المعجم لمساعدة القارئ على التعبير

بلغة ما، وهذا يفرض عليه طريقة معيّنة، أو لمساعدة القارئ على فهم اللغة، ولكن كيف يكون التمييز بين هذين النوعين؟ وضّح اللغوي علي القاسمي أن الأمر مرتبط باختيار لغتي المتن والشرح، ممثلاً بصناعة معجم إنجليزي-عربي للأمريكيين، فإذا أردنا به معجماً للتعبير جعلنا من الإنجليزية لغة المتن، ومن العربية لغة للشرح، أما إذا أردنا معجماً للفهم، فستكون اللغة العربية لغة المتن، والإنجليزية لغة الشرح، ويبرز فرق آخر يتمثّل في محتوى المداخل وبنيتها، بحيث تختلف طبيعة المداخل

* وردت الجملة بهذا الشكل، قد يكون خطأ مطبعياً، والصحيح "بحاجة إلى أن تبرهن على حيويّتها". وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجملة الثانية الصواب والله أعلم "حان وقت الاعتراف بوجود مثل هذه اللغة".

1 - ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. ص 10.

وعدها.⁽¹⁾ وبهذا فالعربي الذي يقرأ نصاً فرنسياً على سبيل المثال، سيحتاج معجماً للفهم، تكون فيه لغة المتن هي الفرنسية، ليتيسر له البحث عن الكلمات الفرنسية التي، لم يفهمها مشروحة بلغته العربية، والعكس صحيح بالنسبة إلى الفرنسي الذي يقرأ نصاً عربياً، فإنه سيحتاج إلى معجم للفهم تكون لغة منته هي اللغة العربية، ولغة الشرح هي الفرنسية.

تناولت الدورة التدريبية هذه النقطة، « فإذا كان هدف المعجم إنتاجياً أي مساعدة الأجنبي الذي يتعلم اللغة العربية على الإنتاج أي التعبير الشفوي أو الكتابي باللغة العربية، جعلنا مفردات المتن أو المدخل هو اللغة الأخرى، وجعلنا الشرح باللغة العربية... أما إذا كان الهدف هو مساعدة الأجنبي على استيعاب المادة المسموعة أو المكتوبة باللغة العربية، جعلنا مفردات المتن أو المدخل هي مفردات اللغة العربية، وجعلنا اللغة الأخرى لغة الشرح». ⁽²⁾ وعليه يمكن القول إن الغرض الأساس من هذا المعجم هو مساعدة الفرنسي على فهم مفردات اللغة العربية، وتلقي الخطاب العربي المكتوب والمسموع، وقد يستفاد منه في التعبير بهذه اللغة، لوجود قسم فرنسي -عربي يقول الناشر: « خصص هذا المعجم لمن يرغبون - وعددهم يزداد يوماً بعد يوم - في اكتشاف العالم المعاصر عن طريق اللغة العربية». ⁽³⁾ بالإضافة إلى قوله: « فيتيح على كل حال للقارئ المثقف تناول مسألة مطروحة بواسطة هذه اللغة». ⁽⁴⁾ يوضح هذا الكلام أن الهدف هو مساعدة القارئ على الفهم بالإضافة إلى تحقيق هدف آخر، وهو التعبير « يمكن للباحث أن يختار الكلمة العربية التي تناسب المعنى الفرنسي أدق مناسبة، إن لهذه الطريقة التي توفر تكاليف طبع مجلد آخر باللغتين: الفرنسية والعربية منافع عديدة، منها إمكانية اختيار الكلمة المعنية، وفقاً لسياقها المعنوي الحقيقي من جهة والوصول مباشرة إلى تركيبها في الجملة من جهة أخرى». ⁽⁵⁾ لم يحدد المعجم فئة بعينها؛ بل هو موجه لكل من يريد التعرف على العالم العربي أو قراءة ما يكتب باللغة العربية. وتسمح الأمثلة والشواهد التي اعتمدها بتحقيق هذا الهدف، أي مساعدة القارئ على التعبير باللغة العربية.

1 - ينظر: القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 41، 42.

2 - أبو بكر، يوسف خليفة. "المعلومات النحوية في المعجم العربي ثنائي اللغة"، مكتب تنسيق التعريب، صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية: أبحاث الدورة التدريبية المنعقدة بالرباط من: 31 مارس إلى 8 أبريل 1981، الرباط: مطبعة الساحل، ص، 55، 56.

3 - ريغ، دانيال. معجم عربي -فرنسي، فرنسي -عربي. ص 9.

4 - المصدر نفسه. ص 10.

5 - المصدر نفسه. ص 13.

1-2-3 معجم باللغة الفصحى: ألف المستشرقون معاجم كثيرة، تختلف اللغة الموظفة فيها

من معجم إلى آخر، حسب خلفياتهم وأهدافهم، فمنهم من ألف باللغة العربية الفصحى، ومنهم من جمع بين الفصحى والعامية، ومنهم من اقتصر على العامية. أمّا المستشرق دانيال ريغ، فقد وظّف اللغة العربية الحديثة على حدّ قوله، كما ذكر آنفاً، وهي لغة الصحافة والكتب المدرسية والأدب المعاصر.⁽¹⁾ وهو ما سيتبيّن البحث في موضعه بإذن الله تعالى.

1-2-4 معجم عام: اشتمل هذا المعجم على مفردات اللغة العربية العامّة، مع استبعاد

مفردات اللغة المتخصصة، « فلذلك يقدّم هذا المعجم تلك المفردات التي تدلّ على بعض التقنيات الحرفية اليدوية... كذلك هو الحال بالنسبة إلى المفردات التي تتعلّق ببعض الحيوانات والنباتات والجمادات... إنّ هذا المعجم إلى جانب مثل هذه المفردات التي هي خاصة بثقافة تقليدية من جهة وبالثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، يزخر بالمفردات الدالة على المفاهيم المعاصرة دون أن يبالغ في عرض التفاصيل التقنية». ⁽²⁾ وعليه يصنّف معجم المؤلف دانيال ريغ ضمن المعاجم العامة.

1-2-5 معجم وصفي: يورد المعجم الوصفي الكلمة كما هي في الاستعمال الآني. يقول

الأستاذ علي القاسمي: « المعجم الوصفي الخالص يستقي المواد وطريقة التلفظ، والشواهد من الفترة التي يظهر فيها، ويرتّب معانيه طبقاً لشيوعها، أو طبقاً لأيّ معيار وصفي آخر، كما أنّه لا يتناول أصول الكلمات وتاريخها...». ⁽³⁾ فيكون المعجم وصفيًا، لاكتفائه بتقديم الكلمات كما وردت في الكتب والجرائد والمجلات، وإن كان يشير في بعض الأحيان إلى أصول بعض الكلمات.

1-2-6 معجم بالخطّ العربي: وظّف هذا المعجم الخطّ العربي، باستثناء بعض الكلمات

القليلة، التي وردت بالخطّ اللاتيني، مثل: (hadith⁽⁴⁾، ka'ba⁽⁵⁾، muezzin⁽⁶⁾)، وغيرها من الكلمات.

1 - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. ص 9، 10.

2 - ينظر: المصدر نفسه. ص 10.

3 - القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. ص 45.

4 - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. مادة أثيث، (أثر).

5 - ينظر: المصدر نفسه، مادة أثر، (مأثور).

6 - ينظر: المصدر نفسه، مادة أربية، (مؤذن).

جدول يمثّل تصنيف معجم دانيال ريغ

+	للناطقين بلغة المتن	+	للناطقين بلغة الشرح	+
	اللغة الفصحى	+	للغة العامية	
	للتعبير	+	للفهم	+
	تأريخي		وصفي	+
	عام	+	متخصص	
	الخط العربي	+	النقحرة	

ما يميّز المعجم أنّه تمثّل معظم المعايير المعجمية التي يجب توفرها في المعاجم الثنائية من حيث المعلومات المذكورة، والمنهجية المتبعة. بالإضافة إلى أنّه متوفّر للبيع، وهناك إقبال كبير عليه، من جميع فئات المجتمع،* عكس المعاجم الأخرى، التي لا يصل إليها إلاّ الباحثون عموما وهو ما يجعله أكثر تأثيرا مقارنة بغيره. كما أنّ صاحبه توجّه به إلى العالم العربي والغربي على حدّ السواء -حسب قوله- وإن كانت الدراسات المعجمية الحديثة تنفي إمكانية توفر معجم ثنائي لأهل لغة المتن ولغة الشرح معا، وعليه هناك اختلاف في طريقة تحليله مقارنة بالسابق.

2-المدخل في المعجم:

1-2-اختيار المدخل: اعتمد المؤلف في اختيار المدخل على الجذاذات، حيث عمل على فرز أكبر عدد ممكن من الكلمات الواردة في الكتب المدرسية والجرائد والمجلات وبعض الأعمال الأدبية، كل ما ذكره أنه، « انطلق بناء هذا المعجم من صميم اللغة العربية الحيّة بالذات، الحيّة في الأوساط السياسية والدوليين الوزارية، الحيّة في المكاتب الإدارية والأعمال الاقتصادية، الحيّة في الصحف والكتب في التعليم والتصنيع الحيّة في كليّة الآداب والعلوم والفنون، الحيّة أيضا في الأغاني والأفلام، والإذاعة والتلفزة لقد فُرِزت آلاف الوثائق على اختلاف أنواعها، من عناوين المحلات التجارية إلى الجرائد الرسمية مرورا بالإعلانات الإدارية والنّشرات الدّعائية، ثم نقلت هذه المفردات والعبارات المفردة إلى آلاف وآلاف الجزازات».⁽¹⁾ لا بدّ أنّ المدخل ستكون متنوّعة، وهي تمسّ جميع مجالات الحياة.

* ومما أنكره، منذ حوالي ثلاثين سنة، أنّ أحد الأطفال حصل على معجم دانيال ريغ السبيل هدية، وذلك في مسابقة تنظمها الشرطة لتعليم الأطفال قوانين المرور. وهذا يدلّ على رواجه على الأقل في الجزائر. كما تحولت في بعض المكتبات، ومعظمها يعرض هذا المعجم.

• يقصد بالمدخل هنا قائمة الكلمات التي اختارها صاحب المعجم.

¹ - ريغ، دانيال. معجم عربي -فرنسي، فرنسي -عربي. باريس، مؤسسة لاروس، 2008. ط2. ص 9.

2-2-المدخل في أبواب المعجم: قُدِّر عدد الكلمات في هذا المعجم حسب ما ورد في بداية المعجم، بخمس وأربعين ألف 45000 كلمة. أما المدخل الرئيسي فبلغ عددها اثنين وتسعين وستة آلاف (6092) موزعة على حروف الهجاء، يختلف عدد المدخل الرئيسي الواردة في أبواب المعجم من حرف إلى آخر، تمّ حساب عدد المدخل الرئيسي ضمن كل حرف، وهي مدرجة في الجدول الآتي:

جدول يمثل عدد المدخل في أبواب المعجم

الباب	مدخله	الباب	مدخله	الباب	مدخله	الباب	مدخله
الهمزة	277	الدال	243	الضاد	78	الكاف	292
الباء	391	الذال	48	الطاء	128	اللام	211
التاء	127	الراء	295	الظاء	17	الميم	305
النّاء	71	الزاي	159	العين	287	النون	372
الجيم	274	المسين	359	الغين	158	الهاء	200
الحاء	296	الشين	262	الفاء	261	الواو	213
الخاء	229	الصّاد	167	القاف	319	الياء	53
مجموع المدخل الرئيسية 6092							

يوضّح الجدول أنّ عدد المدخل الفرعية أضعاف عدد المدخل الرئيسية، فقد ذكر النّاشر في التّقديم أنّ عدد الكلمات هو خمس وأربعون ألفا، وبطرح الرئيسية من هذا العدد يتبيّن أنّ عدد الفرعية هو اثنان وخمسون وتسع مائة وثمانية وثلاثون ألفا (38908).

2-3-مقارنة عدد مدخل حرف الهمزة مع معجم الوسيط: للتّعرف على مدى استيفاء المستشرق دانيال ريغ كلمات حرف الهمزة تمّ الاطّلاع على الباب نفسه في معجم الوسيط، بوصفه المعجم الأقرب منه زمانيا ومنهجيا، حيث يشتركان في الاهتمام باللّغة العربية الحديثة (حسب ما أورده المستشرق). تبين بعد إحصاء عدد المدخل الرئيسية أنّها بلغت اثنين وثمانين وثلاثمائة (382)، في حين ورد في المدونة سبعة وسبعون ومائتان (277)، والفارق هو خمسة ومائة (105) مدخلا. اتّضح بعد إحصاء عدد المدخل المشتركة أنّ هناك تقريبا باعتبار المدخل الفرعية، إذ بلغ عددها حوالي أربعة عشر ومائتين (214)، في حين انفرد الوسيط بحوالي سبعة وسبعين ومائة (177). أمّا أهمّ ملاحظة يمكن تسجيلها، فهي الاختلاف بين المعجمين من حيث المدخل، إذ ترد بعض المدخل رئيسية في أحد المعجمين وفرعية في الآخر. وهو

♦ العنوان الموجود بين قوسين هو الوارد في المعجم، أبقى عليه كونه يخدم البحث.

ما يصعب تحديد المداخل المشتركة بدقة. لأنّ المعيار الأساس هو المداخل الرئيسية، ولهذا يجب تتبّع المداخل الرئيسية الواردة في الوسيط، والبحث عنها في المدوّنة (المعجم الثنائي) سواء أكانت رئيسة أم فرعية. كما وردت بعض المداخل في معجم المستشرق الفرنسي، ولم ترد في معجم الوسيط.

جدول يمثل نماذج لمداخل مشتركة بين المعجمين

المدخل في الوسيط	رقمه	المدخل في المدوّنة	رقمه
الآب	03 (رئيس)	آب	22 (فرعي)
آدم	07 (رئيس)	آدم	56 (فرعي)
آذار	08 (رئيس)	آذار	61 (رئيس)
الإبل	39 (فرعي)	الإبل	17 (رئيس)
أتى	56 (رئيس)	أتى	28 (رئيس)
الأرسطراطية	110 (رئيس)	أرسطراطي	80 (رئيس)
أُسْل...	184 (رئيس)	أُسْل...	121 (رئيس)
الأسطوانة	168 (رئيس)	(سطن) أسطوانة	2556 (رئيس)
الإقليم	238 (رئيس)	إقليم	161 (فرعي)
أسه... الأوس..	350 (فرعي)	الأوس	245 (رئيس)

يعكس هذا الجدول الاختلاف المسجّل بين المعجمين، إذ يرد المدخل تارة رئيسا في الوسيط وفرعيا في المعجم الثنائي، ويحدث العكس تارة أخرى، في حين يرد كلاهما مدخلا رئيسا في كلا المعجمين في بعض المواضع.

جدول يمثل نماذج لمداخل انفرد بها الوسيط⁽¹⁾

الأسماء	الأفعال
الأدريون، آيين، الأباء، الأبراء، الأبرشية، إبريز، الأبزى، أباه، أبى، أبز، أبسه، أبص، أبلت، أبن، أتب، أت، أتل	أبأه، أبى، أبز، أبسه، أبص، أبلت، أبن، أتب، أت، أتل
الإبليز، الأبيقوريون، الأترج، الإبتاد، الإدرجيين أدريالين	أتن، استأتن، أثا، أجد، استأجز، أجن، أجد، أجن، أد، أير
اللاأدرية، أرثوذكس، الإردب، الإردواز، الأركون، الإستار	أر، أرس، أرض، أرطت، أرى، أرب، أسل، أش، تأشن
الإستيج، الأسقربوط، الأسوار، الأصف، الألمنيم، أمشير	أصر، أصت، أصل، أضت، أفد، أفر، أفق، أك، استأكم
أمق، أناضول، الأنام، الأناناس الأنزيم، الأنسولين	ألت، ألسه، ألك، أل، أمته، أمج، أمخ، أمد، أمض، تأمع
الأنشوجة، انفلوانزا، الأنموذج، أنيميا، أورانس، أوزوريس	أمه، أنخ، أنض، أه، أم، آس، أض، أيك، أمت، أيا، تأيا.
إزيس، إيلياء، الأيهقان، الإيوان، أيان.	

ورد حوالي ثلاثة وستين (63) فعلا في الوسيط، لم يذكرها المستشرق ريغ، وهو ما يمثل نسبة

¹ - ينظر: مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. باب "الهمزة".

(36%) من الكلمات، والنسبة المتبقية للأسماء، تنتمي قائمة الأفعال إلى اللغة العربية الفصحى. أما الأسماء فمنها الفصحى، مثل: (الآباء، الأصف)، ومعظمها من المحدث والمعرّب والدّخيل، مثل: (الأذريون، الأبر، اللا أدريّة).

جدول يمثل نماذج لمداخل انفرد بها المعجم الثنائي⁽¹⁾

الأفعال	الأسماء
أفرق، تفرق، أقلم، تأقلم، أمرك، أنكلز، تأنكلز، أورب تأورب، أين.	آحين، آخينوس، أراق، إربان، أرتوازي، أردني، أردي أرمني، أزدخت، أزوت، إست، إستراتيجي، إسترليني إسرائيلي، أسيتات، أشوري، أطرب، آغا، أفعي، أفغاني أفاقيا، أقلمة، تأقلم، أكريليك، إلخ، الذي، ألفباء، اللي ألماني أممي، إمبراطور، إمبريالي، أميبة، أندلسي، أنقري أنود أوبب، أوبك، أوابك، أوزون، أوفست، أوكاليتوس إواله، أوم إيديولوجية، إيراني، أيضا، إيطالي، إيكى دنيا.

يبدو أنّ معظم الكلمات التي انفرد بها المعجم عربي-فرنسي لدانيال ريغ تنتمي إلى الدّخيل: (آخينوس، أزدخت، أزوت...)، الجنسيات: (أردني، أردي، أرمني، إسرائيلي، أشوري...). أما الأفعال، فيلاحظ أنّها مستحدثة، قد تكون من لغة الصحافة، أو أنّ المستشرق هو صاغها اعتمادا على قواعد الاشتقاق، إذ يبدو أنّه مولع بهذه العملية، (الاشتقاق)، وهو ما تحدّث عنه في أكثر من موضع، سواء في معجمه هذا أم في مؤلفاته الأخرى، إذ لا وجود لها في الوسيط: (أفرق من كلمة إفريقيا، أقلم من إقليم، أين من أيون...).

3-المستويات اللغوية في المعجم: اعتمد البحث لدراسة المستويات اللغوية في المعجم

أبواب: (الهمزة والباء والتاء) عيّنة، اقتصر البحث في البداية على باب واحد، ولكن حرصا على أن تكون النتائج أكثر دقة، أضيف بابا (الباء والتاء)، ولولا عامل الزمن لكانت العيّنة أكبر، إذ كلما شمل التحليل عددا أكبر كانت النتائج أدق. وخلافا للمعاجم الأخرى، فضّل البحث مع هذا المعجم تناول مستوى الفصحى والعامي، والمعرّب والدّخيل في البداية لضبط المستويات اللغوية بدقة أكبر.

3-1- المستوى الفصحى: بلغ عدد المداخل الرئيسية لباب الهمزة (أ) مائتين وسبعاً وسبعين

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. باب "الهمزة".

(277)، تنتمي معظمها إلى المستوى الفصيح، حيث انتقى المستشرق دانيال ريغ مادته من الصحافة والكتب المدرسية والأدبية. ومن البديهي أن تكون الغلبة لهذا المستوى، والملاحظ أنه ضمن معجمه كلمات فصيحة، لم تعد مستعملة لدى المعاصرين، أو قليلة الاستعمال، مثل: ("أباشة" (13)، "إشراس" (130)، "أكر" (165)، "أنبة" (213)).* وفيما يأتي جدول يوضح نسبة الفصيح في الأبواب الثلاثة.

جدول يمثل نسبة الفصيح في الأبواب الثلاثة المختارة

المستوى الفصيح	نسبته
باب الهمزة	76.91%
باب الباء	83.35%
باب التاء	84.05%
مجموع الفصيح في الأبواب مجتمعة*	80.43%

يُظهر الجدول نسبة الفصيح، التي قُدّرت في باب الهمزة بحوالي (76.91%)، وتعكس تفوق المستوى الفصيح، وهو ما ينطبق على باب الباء، إذ تقدّر نسبة الفصيح فيه بحوالي (83.35%) ما يمثل نسبة لا بأس بها من مجموع مادة هذا الباب، الذي قُدّرت مداخله الرئيسية بتسعين وثلاثمائة (390). وكذلك الأمر بالنسبة إلى باب (التاء) الذي بلغ عدد مداخله الرئيسية ستة وعشرين ومائة (126)، ونسبة الفصيح قاربت (84.05%).

3-2- المستوى العامي: عدد الكلمات العامية في باب (الهمزة) هو أربع (04)، والعدد نفسه في باب (التاء)، أما (الباء) فتضمن تسع عشرة (19) كلمة.

جدول يمثل نسبة العامي في الأبواب الثلاثة المختارة

العامي	نسبته
باب الهمزة	01.44%
باب الباء	04.87%
باب التاء	01.76%
مجموع الأبواب مجتمعة	02.69%

يعكس الجدول أعلاه ضآلة نسبة المستوى العامي، إذ بلغت أكبر نسبة (04.87%) في باب

* أباشة (الأخلاق من الناس)،* إشراس، (نبات يتخذ منه الغراء)، أكر (فلج)، أنبة (باننجان).

* نسبة المستوى الفصيح في الأبواب الثلاثة هي حصيلة جمع نسب الأبواب وقسمة النتيجة على ثلاثة.

(الباء)، وبعدها يأتي حرف (التاء) ب (02.69%). أما أدنى نسبة فسجلت في باب (الهمزة)، وهي (01.44%)، وهذا شيء إيجابي بالنسبة لمعجم ثنائي، وضعه مستشرق فرنسي. وإن كانت هذه النسبة لا تنطبق إلا على العينة المدروسة، ولكن في كل الأحوال واضح أن المستوى الفصيح هو الغالب في المعجم. وقد ثبت ذلك بتصفّح بعض أبواب المعجم الأخرى أو معظمها.

جدول يمثل نماذج لكلمات عامية في باب الهمزة

المدخل	بالعامية	المقابل الفرنسي ⁽¹⁾	المقترح
119	إسفنج	beignet, éponge	حيوان بحري نباتي ⁽²⁾
181	مؤالفة	fréquentation, adaptation	تكيف، عاشر، خالط
184	اللي	qui, que, quoi	الذي، التي...
272	إيكي دنيا	néflier, nèfle	زعرور بستاني، شجرة زعرور جرمانى ⁽³⁾

أورد صاحب المعجم كلمات عامية، وهذا لا يشكل خطراً في حد ذاته، بل الخطير في الأمر أنه لم يشر إلى كونها عامية إلا في موضعين، وهو ما يجعل القارئ يعتقد أنها فصيحة، فمثلاً المدخل "إِسْفَنْج"، وهو حيوان بحري نباتي، رخو الجسم، ذو مسام واسعة. ومقابله بالفرنسية (beignet, éponge) المعنى الأول الذي أورده المستشرق، وهو (beignet) يحيل إلى استعمال عامي، هناك مناطق في الجزائر، ولاسيما القبائل منها يطلقون هذه الكلمة على فطيرة بالدقيق والخميرة ثقلى، إلا أنه لم يشر إلى ذلك. والمدخل الفرعي (مُؤالَفة)، الذي شُرح حسب دلالاته العامية، وهي: (/s'habituer s'adapter/)، في حين شرحها معجم الوسيط: (ألفه مؤالفة عامله أو شارطه على ألف).⁽⁴⁾ إلا أن العامة يوظفون هذه الكلمة (مؤالفة) بالمعنى الذي ذكره المستشرق. وهو ما يعكس تأثره بالعامية. ويقال لذلك المعنى ألفة والشيء مألوف، وقد أورده في موضع آخر. أما الكلمتان الفرنسيّتان فيقابلهما في اللغة العربية: (تكيف إلفا، وألفة، وتعود). أما المدخل (اللي: dialect.pron. rel.inv. qui, que, quoi). فقد ذكر أنه عامي كما هو واضح. فالإشارة إلى أن الكلمة عامية، يخفف من تأثيرها السلبي على اللغة العربية. أما أن تُذكر

1 - إدريس، سهيل. المنهل. ص 554، 36، 817.

2 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (أَسِفَ).

3 - إدريس، سهيل. المنهل. ص 817.

4 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (أَلَق).

الكلمة وتشرح حسب استعمالها العامي على أنها فصيحة، فهذا من شأنه أن يسيء إلى اللغة العربية.

جدول يمثل نماذج لكلمات عامية في باب الباء

المدخل	العامية	مقابلها الفرنسي	في المنهل ⁽¹⁾
283	بابور	bateau	السّفينة أو الباخرة
304	ببّوش	escargot	حلزون
307	بتّيّة	baril	برميل
430	بزبوز	robinet, goulot	صنبور، حنفية
437	بزّ	frère de lait	أخ في الرّضاعة
523	بقرج	bouilloire	غلاية، مغلاة
541	بلارج	cigogne	لقلق

يلاحظ القارئ الكريم أنّ هذه الكلمات يستعملها بعض المتكلمين العرب في خطاباتهم اليومية إلاّ أنّها ليست معروفة لدى الجميع، فالكلمات: (ببّوش، وبزبوز، وبزّ)، يُجهل معناها، ولولا المقابل الفرنسي ما عُرف معناها، ولو عرضت هذه الكلمات على شعوب البلدان العربية، فإنّها ستعرف في مناطق وتجهل في مناطق أخرى؛ بل قد تُعرف من بعضهم في البلد الواحد، وتُجهل من بعضهم الآخر. أمّا الكلمات الفصيحة فسيعرفها العرب جميعهم في كل مكان، لن يختلف العرب وغير العرب حول معناها، وهو ما لا ينطبق على الكلمات العامية التي لا يفهمها إلاّ أهلها سواء أكانوا من منطقة من مناطق المشرق أو المغرب. أمّا بالنسبة إلى كلمة (بزّ)، فلا بأس من الإشارة إلى أنّها من أصل فارسي، واقتضت للدلالة على المعنى المعبر عنه في الجدول السابق، إلاّ أنّ العامّة وظّفوها للدلالة على معنى آخر، وهو الأخوة في الرّضاعة.⁽²⁾ بالإضافة إلى كلمة (بنطلون) التي وردت في قاموس المنهل، إلاّ أنّها لم ترد في الوسيط، وهذا ما جعل البحث لا يدرجها ضمن الدّخيل، إذ تستعمل هذه الكلمة لدى العامّة، وقد ترد في بعض الأعمال الأدبية، لاسيّما أنّ هناك مقابلا عربيا مستعملا.

¹ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 136، 486، 132، 1074، 166، 249، 867.

² - مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. مادة (بزل).

جدول يمثل نماذج لكلمات عامية في باب التاء

المدخل	العامية	مقابلها الفرنسي	المنهل ⁽¹⁾
682	تبلدى	baobab	بأوباب، حميرة، شجر...
713	ترمة	fesse	ردف، ألية، كفل، عجيزة
721	تريكو	tricot	سرد، زرد (نسيج مسرود)
786	توانسة	tunisien ; tunisois	تونسي، تونسيون

ينطبق ما قيل حول كلمات بابي (الهمزة والباء) على كلمات باب (التاء)، فهي تستعمل في بعض المناطق، ولا يفهمها العرب جميعهم، ولا بدّ من العودة إلى الكلمات الواردة في معجم المنهل. أمّا كلمة (توانسة)، فهذا الجمع على غير قواعد اللغة العربية، وأكثر استعماله في العامية. والفصحى هو (تونسيون).

3-3- مستوى المعرب: لا بدّ من الإشارة إلى أنّ البحث لا يفرّق بين الدّخيل المعرب والدّخيل الأجنبي، سواء أتم إخضاعه لقواعد اللغة العربية أم لا، إذ دخل إلى اللغة العربية من لغة أخرى، إلاّ أنّه مراعاة لما أقرّه المجمع القاهري فرّق بينهما، ولاسيما أنّه تمّت مقارنة هذا العمل مع معجم الوسيط. ومما لوحظ أنّ بعض الكلمات وأغلبها أفعال اشتقت من كلمات أجنبية أو أسماء أعلام، مثل: (أمرك؛ أمركة: américaniser, amérisation)، و(أورب: européaniser) (تأورب: s'européaniser) و(تلفز: téléviser، تلفن: téléphoner). إلاّ أنّها واردة في قاموس المنهل.⁽²⁾ باستثناء الفعل (ترك) الذي لم يرد. أمّا عدد الكلمات المعربة في باب الهمزة، فهو حوالي عشرين (20)، وفي وباب الباء عشرة (10) وتضمّن باب التاء ستا (06).

جدول يمثل نسبة المعرب في الأبواب الثلاثة المختارة

المعرب	نسبته
باب الألف	07.00%
باب الباء	02.00%
باب التاء	04.00%
المجموع	04.33%

يلاحظ من هذه النسب، أنّها قليلة مقارنة بما قبلها، وقد يرتبط الأمر بطبيعة الكلمات المقترضة

¹ - إدريس، سهيل. المنهل قاموس فرنسي-عربي. ص 129، 525، 1228.

² - ينظر: ريغ، دانيال. قاموس عربي-فرنسي، المدخل (201)، المدخل (242)، المدخل (711)، (751)، (752). وإدريس، سهيل. المنهل: قاموس فرنسي-عربي. ص 63، 497، 1186، 1187.

من اللغات الأخرى، علماً أنّ معظمها من الفارسية والتركية والفرنسية واليونانية.

جدول يمثل نماذج لكلمات معربة في باب الهمزة

المدخل	الدّخيل	المقابل الفرنسي	المنهل ⁽¹⁾
12	إبزيم	agrafe ; boucle ; fibule	كُلاب، مَشَبِك، إِبْزِيم
10	إبريق	aiguière ; bouilloire ; broc...	إبريق بعروة
75	أرخيل	archipel	أرخيل، مجموعة جزر
110	أستاذ	professeur enseignant ;	مدرّس، معلم/أستاذ...
122	إسمنت	ciment	مِلَاط، إسْمَنْت
161	أقلم	acclimater ; régionaliser	أقلم، بَلَد/طَبَق اللامركزية
170	إكسير	elixir	إكسير، حجر الفلاسفة
216	إنبيق	alambic	إنبيق، كَرْكَة، (آلة تقطير)

تتكرّر الملاحظة نفسها مع الكلمات المعربة في باب الهمزة، إذ هناك كلمات لديها مقابلات عربية فصيحة، مثل: (إبزيم، أرخبيل، أستاذ، إسمنت، إكسير، إنبيق)⁽²⁾، وهي مذكورة في الوسيط باستثناء الكلمة الأخيرة (إنبيق)، حيث اكتفى بكلمة (كَرْكَة)⁽³⁾، التي تعني آلة لتطهير المياه، وهذا هو الأصل، فإذا وجدت كلمة عربية، فلا داعي لإيراد الدّخيل، وإن أرادوا التعريف بهذه الكلمات يمكن تخصيصها بمعجم للمعرب والدّخيل. أمّا كلمة (أقلم) فهي كما يلاحظ القارئ الكريم دخيلة على اللغة العربية. إلاّ أنّه تمّ إخضاعها للوزن العربي فجاءت على وزن (أفعل)، وقد اجتهدوا لإيجاد كلمة عربية هي بَلَد، إلاّ أنّ هذا الفعل لديه دلالة أخرى في اللغة العربية، لها علاقة بالبلادة وضعف العقل وقصوره. أمّا كلمة إبريق⁽⁴⁾ فقد وردت بالمقابل نفسه في المعاجم كلّها، ولا مقابل لها في الفصحى.

1 - إدريس، سهيل. المنهل. ص 48، 50، 90، 468-978، 250، 28-1036، 447، 53.

2 - مجمع اللغة العربية، الوسيط. مادة (أبش)، (أرج)، (الإسباناخ)، (أسف)، (أفن).

3 - المرجع نفسه. مادة (الركّذن).

4 - المرجع نفسه. مادة (أبش).

جدول يمثل نماذج لكلمات معربة في باب الباء

المدخل	المعرب	المقابل الفرنسي	المنهل (1)
282	بابوج	babouche	بابوج (حذاء بلا كعب)
285	باذنجان	aubergine	باذنجان، أنب
597	بنكام	sablier	ساعة رملية
633	بوصلة	boussole	بوصلة، حَكّ
654	بيرق	bannière	راية، بيرق، علم...

بالنسبة إلى باب الباء فإن الكلمة الوحيدة التي لا مقابل لها في اللغة العربية الفصحى، هي (البابوج)، وهي كلمة فارسية (بابوش)، أما الكلمات المتبقية، فكما يلاحظ القارئ الكريم لديها ما يقابلها، مثلاً كلمة (باذنجان) عربيتها (أنب)، وواحدتها (أنبة)، والكلمة العربية أخف بكثير من الكلمة الفارسية، وكذا كلمة (بنكام) الواردة في الوسيط يقابلها في العربية (ساعة رملية) وهي معروفة بين الناس، و(بيرق)، يقابلها علم أو راية، وكلاهما معروف ومتداول.⁽²⁾ أما كلمة (بوصلة) فقد ذكر لها المنهل كلمة (حَكّ). أما الوسيط فقد ذكر إلى جانب (بوصلة) كلمة (بيت الإبرة).⁽³⁾ إلا أن المتداول بين الناس هو كلمة (بوصلة).

جدول يمثل نماذج لكلمات معربة في باب التاء

المدخل	الدخيل	المقابل الفرنسي	المنهل (4)
670	تابوت	bière ; cercueil ; sarcophage	نعش، تابوت
693	تُدْرَج	faisan	تُدْرَج، ديك رومي
734	تِقْن	habile ; industriels ; technicien	ماهر، حاذق، فطن
741	تكنولوجيا	technologie	تِقانة (علم الصنائع)
781	توتياء	oursin	أخينوس، توتياء البحر

يوضح الجدول من جديد وجود كلمات معربة، في حين أن هناك كلمات فصيحة تعبر عن

¹ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 121، 109، 1085، 169، 129.

² - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (باذنجان)، و(الأنب)، مادة (بِن)، مادة (البيرق).

³ - المرجع نفسه. مادة (أبر).

⁴ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 148، 514، 600-1183، 1184، 855.

معانيها، مثل (تابوت، وتدرج، وتقن، وتكنولوجيا)، علماً أنّ هذه الكلمات شائعة بين الناس، باستثناء كلمة (تدرج)، فالمستعمل هو (ديك رومي)، أمّا بالنسبة لكلمة (توتياء) فمن الواضح أنّ ليس لديها كلمة فصيحة تعبّر عن معناها، إما الدّخيل (أخينوس) أو المعرّب (توتياء). وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ معنى كلمة (توتياء)، في الوسيط هو حجر يُكتحل بمسحوقه.⁽¹⁾ في حين وظّف المستعرب الكلمة نفسها للدلالة على حيوان بحري. علماً أنّها وردت في المنهل (توتياء البحر)، قد يكون سقوط كلمة (البحر) مجرد سهو. بينما لم ترد كلمة (تكنولوجيا) في الوسيط.

3-4- مستوى الدّخيل: بلغ عدد كلمات الدّخيل في باب (الهمزة) واحد وأربعون (41). أما باب (الباء) فاشتمل على أربع وثلاثين (34) كلمة، فيما بلغ عددها في باب (التاء) أربع عشرة (14) كلمة، وهي كلمات مستحدثة، إذ يعكس بعضها واقعا سياسيا، يتمثّل في سيطرة أمريكا وأوروبا على الدّول التي دونها في الإمكانيات المادية.

جدول يمثّل نسبة الدّخيل في الأبواب الثلاثة المختارة

نسبته	الدّخيل
14.80%	باب الهمزة
08.71%	باب الباء
11.11%	باب التاء
11.54%	مجموع الدّخيل في الأبواب

تضمّن باب (الهمزة) حوالي (14.80%) من الدّخيل الأجنبي، علماً أنّ هناك كلمات لا وجود لها في معجم الوسيط، بوصفه المعجم الذي راعى الكلمات الحديثة والمعاصرة، بما فيها الدّخيلة والمعرّبة، مثل: (أخينوس، إربيان، أرتوازي، أزدرخت، أوبك، إيديولوجية...).⁽²⁾ تمّ تسجيل نسبة أقلّ من الدّخيل في باب (الباء)، إذ بلغ حوالي (08.71%)، وسجّلت نسبته (11.11%) بالنسبة إلى حرف (التاء)، سيقدم البحث نماذج من كل باب، فيما يأتي:

¹ - مجمع اللغة العربية. الوسيط. (أتأمت)، (تخذ)، (تقل)، مادة (التّهو).

² - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. المداخل على التّوالي: 53، 67، 68، 98، 238، 266.

جدول يمثل نماذج لكلمات دخيلة في باب الهمزة

المدخل	الدخيل	المقابل الفرنسي	المنهل ⁽¹⁾
20	أبنوس	ébène, bois d'ébène	أبنوس
53	أخينوس	oursin	أخينوس، توتياء البحر
67	إربيان	écrevisse, homard, langouste, crevette	إربيان فُرَيْدِس جَمْبَرِي
68	أرتوازي	artésien(puits)	أرتوازي (متعلق بالبئر التي تقذف مياهها ...)
98	أزدرخت	azédarac	أزدرخت (شجرة للتزيين)
145	أغسطس	aout	آب، أغسطس...
157	أفيوم	apium	أفيوم
168	أكسجين	oxygène	أكسجين

اتّضح بعد العودة إلى قاموس المنهل أنّ الكلمات الواردة في الجدول السابق ليس لها مقابلات أخرى في اللغة العربية، باستثناء كلمتي (أخينوس وإربيان)، حيث قابلهما في المنهل بأخينوس وتوتياء البحر، علما أنّ كلمة توتياء معرّبة، والكلمة الثانية: ب (إربيان، وفُرَيْدِس، وجَمْبَرِي). كما أنّ هذه الكلمات واردة في الوسيط (الآبنوس، الآبنوس،⁽²⁾ أغسطس-آب، الأفيون، الأكسجين).⁽³⁾ باستثناء الكلمتين المذكورتين، فلم تردا.

¹ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 429، 855، 330، 97، 120، 79، 846، 858.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 429. ومجمع اللغة العربية. الوسيط. ص 1.

³ - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (أغسطس)، مادة (أفن)، مادة (أفن).

جدول يمثل نماذج لكلمات دخيلة في باب الباء

المدخل	الدّخيل	المقابل الفرنسي	المنهل (1)
292	باص	autobus; autocar ; bus	باص، سيارة كبيرة للنقل.
405	برلمان	parlement	برلمان، مجلس النواب مجلس الأمة.
421	بروز	encadrer	أحاط، أزر، بروز، أطر لوحة.
422	بروليتاريا	prolétariat	طبقة العمال، الطبقة الكادحة.
535	بگل	boucler ; agraffer	شبك، عقص الشعر، عكف
590	بنسلين	pénicilline	بنيسلين.
592	بنطلون	pantalon	بنطال، سراويل
596	بنك	banque	مصرف، بنك.
622	بودرة	poudre	غبار، رماد، تراب، مسحوق، ذرور.
649	بيجاما	pyjama	بيجاما، منامة
665	بيكار	compas	فِرْجار، بِرْكار

بالنسبة لكلمات باب (الباء)، فواحدة منها فقط لم يُذكر لها مقابل آخر، وهي كلمة (بنسيلين) أما الكلمات الأخرى، فكما يلاحظ القارئ الكريم، ذُكر لها مقابل آخر أو أكثر. وهذا يعني إمكانية الاستغناء عن الكلمات الدخيلة، التي لديها مقابلات باللغة العربية الفصحى، وإن كانت أحياناً طويلة بعض الشيء، مثل كلمة (باص)، التي قوبلت في المنهل بسيارة كبيرة للنقل، مع العلم أنّ هناك كلمة متداولة، وهي (الحافلة)، إلا أنّها لم تذكر. وما يستغرب له أكثر هو أنّ الوسيط ذكر بعض هذه الكلمات الدخيلة، رغم وجود كلمات فصيحة تقابلها في اللغة العربية، مثل: (بروز، بنك، البدة البجامة، بركار)،⁽²⁾ أمّا ما يحسب للوسيط فهو إشارته إلى كون الكلمة دخيلة أو معرّبة، وهو ما لا يذكره المستعرب دانيال ريغ. وهذا من شأنه الإساءة إلى اللغة العربية. أمّا الفعل (بگل)، فلم يرد ذكره في معجم الوسيط بالمعنى الوارد في معجم دانيال ريغ؛ بل بمعنى آخر وهو (بگل... خلط ولبسه).⁽³⁾ والفرق بين معنى الكلمة في كل من المعجمين واضح.

¹ - إدريس، سهيل. المنهل. ص، 184، 874، 456، 981، 164، 891، 129، 952، 996، 275.

² - ينظر: مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. مادة (برنيطة)، (بنّ)، (بدر)، (البحتر)، (البركار).

³ - المرجع نفسه. مادة (بكر).

جدول يمثل نماذج لكلمات دخيلة في باب التاء

المدخل	الدّخيل	المقابل الفرنسي	المنهل ⁽¹⁾
694	تراخوما	trachome	حُثَار، تراخوما، رمد حبيبي
695	ترام	tram ; tramway	نُرام، قطار كهربائي
698	ترباس	verrou	مزلاج، مغلاق
739	تكتيك	tactique	تعبئة، احتراب
740	تكسي	taxi	تاكسي، سيارة عدّادة
747	تلسكوب	télescope	مقرب، راصدة
749	تلغراف	télégraphe	مبارق
792	تيل	lin; fibre	كتّان

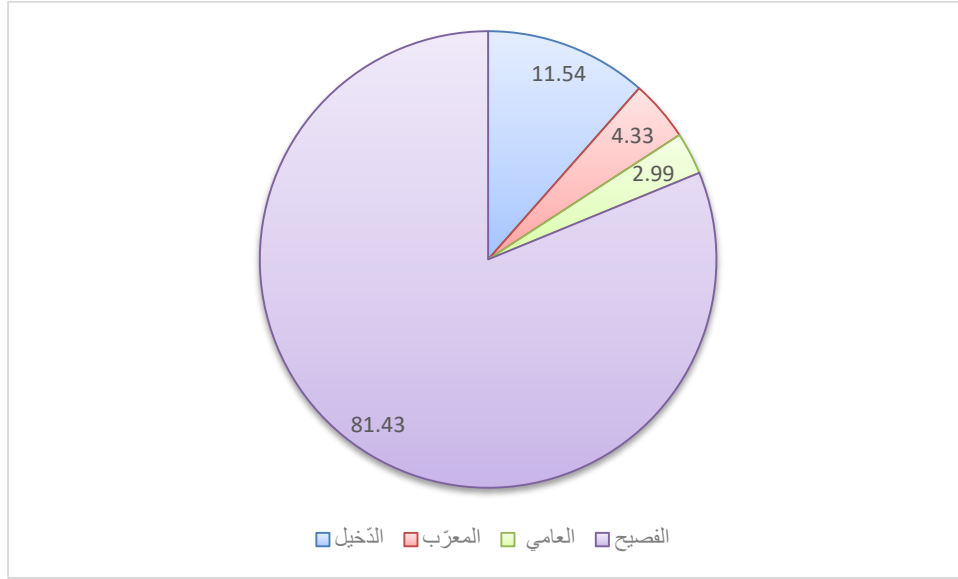
معظم الكلمات الواردة في الجدول لديها مقابلات فصيحة، وهي مدرجة في المنهل والغريب في الأمر أنّ هذه الكلمات الدّخيلة واردة في معجم الوسيط، (تراخوما، ترام، ترباس تكتيك، تلسكوب تلغراف، وتيل).⁽²⁾ باستثناء كلمة "تكسي". فالنّقد قبل أن يوجّه إلى المستعرب دانيال ريغ، الأولى أن يتوجّه إلى مجمع اللّغة العربية، بوصفه الهيئة الأولى، التي تهتمّ باللّغة العربية الفصحى في العالم العربي، فإذا ضمّنت معاجمها هذه الكلمات الدّخيلة مع وجود مقابلات فصيحة لها، فهو اعتراف بها بطريقة أو بأخرى، إذ الأصل أن تدرج الكلمات التي لم تجد لها بعد مقابلات، فهي دعوة غير مباشرة إذا صحّ القول لاستعمال الدّخيل، فمثلا كلمة (تراخوما) عرّفها بالرّمذ الحبيبي في باب (التاء)، وذكر كلمة الرّمذ⁽³⁾. في باب (الراء)، معرّفا إيّاها: (داء التهابي يصيب العين)، فلم تذكر كلمة (تراخوما)، بما أنّ الرّمذ كلمة عربية فصيحة تدلّ على ما تدلّ عليه كلمة تراخوما؟ كما أنّ الشائع بين الناس هو الكلمة العربية.

¹ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 1215، 1218، 1263، 1173، 1183، 1186، 1185، 724.

² - مجمع اللّغة العربية. الوسيط. مادة (تخذ)، (ترمس)، (تر)، (تلع)، (تلغ)، (تلغراف)، (التيفود).

³ - المرجع نفسه. مادة (ررمم).

الدائرة النسبية للمستويات اللغوية في معجم المستشرق دانيال ريغ



توضّح هذه الدائرة النسبية تفوّق المستوى الفصيح في كل من باب (الهمزة والباء والتاء) مقارنة بالمستويات اللغوية الأخرى، وهو ما قد يعبر عن توجّه المستشرق دانيال ريغ نحو الفصحى فمن خلال معجمه الثنائي عربي-فرنسي، يُلاحظ أنّه حرص على تضمينه مداخل فصيحة؛ بل أحيانا تجده يخالف ما ذهب إليه في تقديم البحث من أنّه لن يتضمّن كلمات قديمة، حيث وردت كلمات لا يكاد يفهمها الجيل الجديد من العرب، وإن كانت قليلة، مثل: (أباشة، إشراس، أكر، أنبة).

يمكن تفسير هذه النتائج بكون المستشرق دانيال ريغ، حاول تضمين معجمه الكلمات العربية الفصيحة، وذلك انطلاقاً من المصادر التي ذكرها في مقدّمته، وهي الكتب المدرسية والصحافة اليومية والأسبوعية، ومؤلفات الأدباء المعاصرين.⁽¹⁾ وهو ما قد يفسّر وجود كلمات تنتمي إلى معجم لغوي غير فصيح، متكوّن من: (دخيل، ومعرب، وعامي). إذ هناك كلمات لها مقابلات في اللغة العربية الفصحى، وردت في قاموس (المنهل الفرنسي-العربي)، إلّا أنّ المؤلف لم يدرجها، كما وردت بعض الكلمات من (الدخيل والمعرب) في معجم الوسيط، وهو ما يوضّح أنّ المجمع أجاز استعمالها في حين وردت بعض الكلمات في مدوّنة البحث، ولم يتضمنها الوسيط.

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. ص 9، 10.

المبحث الثالث: قضايا الوضع في المعجم

1- الترتيب في المعجم:

1-1- الترتيب الخارجي: ذكر سابقا نظام الترتيب في المعجم حسب المستشرق ريغ. أما هذا العنصر فسيتتبع مدى تجسيد هذا النظام في المتن، وذلك من خلال باب (الهمزة). اعتمد المعجم على الترتيب الألفبائي، ونظام الجذور حيث قُسم إلى أبواب بداية من الحرف الأول في اللغة العربية وهو (الهمزة)، ختاماً بآخر حرف وهو "الياء". كما خضعت مداخل هذه الأبواب إلى الترتيب نفسه. إذ افتتحت بالهمزة بوصفها أداة استفهام في سياقات مختلفة، ثم كلمة (اب-آب) وهو شهر أوت يليه المدخل (اح-آح)، (أحين-آحيني)، (اس-آس)، (أب)، (أجد)، (أبد)، (أبر). هذه هي المداخل الرئيسة التي وردت في الصفحة الأولى من (باب الهمزة)، التزم المؤلف بالترتيب المذكور، حيث بدأ بحرف الهمزة، فكلمة تبدأ بهزتين وباء، وثانية تبدأ بهزتين فحاء، لينتقل إلى حرف الألف، متلوا بحرف الباء، فكلمة حرفها الثالث هو الجيم، فحرفها الرابع هو حرف "الدال" فراء، وهكذا.

1-2- الترتيب الداخلي: وضح المؤلف بالنسبة للقسم العربي-الفرنسي الأساس الذي نظمت وفقه مداخل المعجم، والمتمثل في مراعاة الاشتقاق المعروف عند اللغويين العرب، فهي مرتبة حسب الترتيب الأبجدي (يقصد الألفبائي)* الخاص بالأصول التي اشتقت منها الكلمات - الأم، والتي قد تطابقها هذه الكلمات - الأم مطابقة تامة أو شبه تامة: وبين ذلك بمثال توضيحي:

1867 دَهَنَ - (الأصل: د. ه. ن). / 1872 دوحه ج دُوح (الأصل: د. و. ح).

ويدرج ملاحظة في حالة وجود فارق بين الكلمة - الأم والأصل. كتب الأصل قبلها بين قوسين: 1869 (دهور) تَدَهَوَّرَ / 3868 (فأت) VIII إفتأت . بالنسبة إلى المعلومات عموماً تختلف في المدخل الواحد من كلمة إلى أخرى، وأكثر ما يرد هو الإشارة إلى الكلمة ونوعها من حيث الجمع، وأحيانا يشير إلى المؤنث، ونادراً ما تجتمع، مثل المدخل (رقم 50 آخر م أخرى ج آخر)، كما يذكر أحيانا نوعها بوصفها أداة ويرد مع معظم الأفعال حالات اتصاله بضمائر النصب المتصلة، وكذا حروف الجر التي يتعدى بها. فيما ترد كلمات أخرى دون أي تخصيص، وسيأتي بيان ذلك.

* الكلمة المناسبة هي الألفبائي، أما الأبجدية فتحيلنا إلى ترتيب من نوع آخر.

1-2-1- التّرقيم العددي للمداخل: استعان المؤلف بترقيم الكلمات، لتسهيل العودة إليها اعتمد الأرقام العربية، إنّ الكلمات - الأم، رُقمت من 1 إلى 6092، ذكر في أعلى الصفحات رقم الكلمة - الأم وأصلها. (الرقم والأصل اللذان تبدأ بهما الصفحة وتنتهي). كما أدرج الأرقام الرومانية، « الفعل المجرد والأسماء المشتقة منه، مرتبة حسب الترتيب الأبجدي الخاص بالأصل، كما قلناه آنفا. والتّرقيم هنا، بالأرقام العربية. أما الأفعال المشتقة من المجرد وأسمائها، فهي مرقمة بالأرقام الرومانية من II إلى X ونادرا ما تصل إلى XII ». ⁽¹⁾ يُلاحظ في هذه المعطيات الدّقة والمنهج الصّارم المطبّق في المعجم.

1-2-2- منهج المستشرق في إيراد مداخل معجمه: حاول المستشرق ريغ أن يرتّب المداخل حسب جذورها العربية، بداية بالفعل إذا وُجد، ثمّ المصادر، وباقي المشتقات، وقد ذكر في بداية معجمه أنّ المدخل الرئيس (الكلمة الأم) كما وسمه، قد يكون اسما أو حرفا أو فعلا. ⁽²⁾ وهذا أمر وارد في اللّغة العربية إلّا أنّ الأصل هو البدء بالفعل المجرد إن وجد، في حال عدم وجوده يبدأ بالاسم، أو الحرف. أمّا من حيث طريقة إثبات المداخل، فهو يورد المدخل الرئيس بلون أسود داكن، باعتماد أرقام عربية (1، 2...) تليه المداخل الفرعية. وقد لوحظ من خلال تتبّع مداخل المعجم، أنّه لم يلتزم بمنهج واحد مع المداخل كلّها، إذ تجده يبدأ بالفعل تارة، وتارة أخرى بالاسم، وقد عاد البحث إلى معجم الوسيط، لمعرفة ما إذا كان عدم البدء بالفعل راجع إلى سبب موضوعي أو أنه لأسباب تخصّه سيتمّ تتبّع المداخل، لمعرفة كيفية تناولها عمليا، بعدما عُرض ذلك نظريا، ويقدم نماذج لكل حالة.

جدول يمثل نسب البدء بالفعل والاسم والمكتفى فيها بالاسم

نوع المداخل	النّسب
مداخل بدئت بالفعل فالاسم	20,35%
مداخل بدئت بالاسم فالفعل	10,20%
مداخل اكتفي فيها بالاسم	18,40%
مداخل خصصت لكلمات لا أفعال لها	~51%
المجموع	99.95%

بلغ عدد المداخل التي بدأ فيها بالفعل فالاسم، ثمانية وخمسين (58)، والتي افتتحها بالاسم

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي - فرنسي، فرنسي - عربي. ص 12.

² - ينظر: المصدر نفسه. ص 14.

فالفعل تسعة وعشرين (29). أمّا المداخل التي اكتفى فيها بالاسم مع وجود أفعال لها، فقدّرت بـ خمسة وخمسين (55)، واكتفى في موضعين بالفعل. وتتوّع المداخل المتبقية بين كلمات لا أفعال لها، أي جامدة، أو أسماء بلدان أو أدوات نحوية، وغيرها، مثل: (أ، آب: شهر أوت، آح، أبجد إبراهيم، إبريق أبريل، أثاب، أخينوس، إذ، إذا، أرتوازي، أستاذ، إسفنج، إسمنت، أسيتات، أشوري أفندي، أفيوم، أفاقيا إلّا، الخ، الذي، إلى، إيديولوجيا...).⁽¹⁾ اتّضح من تتبّع مداخل باب (الهمزة) أنّ صاحب المعجم بذل جهدا كبيرا، ليلتزم بالمنهجية التي ذكرها في بداية عمله، إلّا أنّ طريقة التعامل مع المداخل جاءت متنوّعة، فتجده يثبت الفعل المجرد وما تكوّن من حروفه، فالمزيد وما تكوّن من حروفه إلى أن يستوفي الأفعال جميعها، بمعنى المزيد بثلاثة حروف، وأحيانا أخرى يكتفي بالمجرد وكثيرا ما يذكر المزيد دون الإشارة إلى المجرد، فلا تجد المشتقات نفسها مع الأفعال كلّها، وكثيرا ما يحيد عن هذه الطريقة، ليفتح المدخل بالاسم ثمّ يتبعه بالفعل، وهو ما يخالف المنهجية المختارة. أمّا ما يشدّ الانتباه فهو اكتفاؤه بالأسماء دون إشارة إلى أفعالها، وقد تمّ الاطّلاع على هذه الأسماء في معجم الوسيط، للتأكد من وجود أفعال لها فاتّضح أنّ لها أفعالا، لكنّه لم يشر إليها.

كما يلمس القارئ أحيانا اضطرابا في طريقة إيراد المداخل الرّئيسة والفرعية، فتجد المستشرق منضبطا بذكر المدخل الرّئيس، وهو فعل مجرد، بعده مشتقاته، ثمّ يأتي المزيد بحرف فحرفين فتلاثة وبعده مشتقاته، وهي مداخل فرعية. إلّا أنّ بعض المداخل الرّئيسة تضمّنت مداخل فرعية ليست منها، وقد يحدث العكس، فيجعل مداخل ذات جذر واحد في مداخل مستقلة، وهو ما يتنافى مع المعيار الذي أقرّه في بداية معجمه.

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي - فرنسي، فرنسي - عربي. باب الهمزة.

جدول لمداخل افتتحت بالفعل فالاسم

الرقم	المدخل
08	أَبَر، إِبْرَة، إِبْرِي، آبرات، مئبر، أْبَر، تأبِير، مؤبِر
16	أَبَقَ، أَبَقَا، أَبَقَ.
22	أَبَا، إِبَاوَة، أَبُوَا، أَبُو، أَب، أَبِي، أَبَت، أَبَتِي، الأَبوان، آباء
31	أَثَر، أَثْرَا، يُؤَثِّر، إِثْر، أَثَر، أَثَر، أَثَرِي، أَثَرِيَّ، أَثَرِيَّات، أَثِير، إِثِير ⁽¹⁾ ، أَثِيرِي، مَأْثَرَة، مَأْثُور، أَثَر تأثير، مؤثّر، آثر، إيثار، إيثاري، إيثارية، تأثّر، متأثّر، استأثّر، استثنار، استثناري
47	أَحَّ، أَحَا
128	أَشَر، تَأْشِير، مُؤَشِّر
137	أَطَّ، أَطَّا، أَطِيط
159	أَقَّتْ، مُؤَقَّت
161	أَقْلَمَ، أَقْلَمَة، إِقْلِيم، أَقَالِيم، إِقْلِيمِي، مُؤَقِّم، تَأْقَلَمَ، تَأْقُلَم
181	أَلَفَ، أَلْفَا، * أُلْفَة، أَلِيف، إِلف، أَلَف، أَلَف، أَلَف، أَلُف، مَأْلُوف، أَلَفَ، تَأْلِيفَا، تَأْلِيفِي، تَأْلِيفِيَّة، تَأْلِيف مؤلّف، مؤلّف، أَلَفَ، مُؤَالَفَة، أَلَف، إِيلَافَا، تَألّف، تَأْلَفَ، تَأْلَفَ، تَأْلَفَ، ائْتَلَفَ، ائْتَلَفِيَّة، ائْتَلَافِيَّة
204	أَمَنَ، أَمِنَ، أَمْن، أَمَنَ، أَمَان، أَمَانَة، أَمِين، أَمِنَ، أَمِين، مَأْمُون، مَأْمَنَ أَمْن، تَأْمِين، مُؤَمِّن، أَمَنَ إِيْمَان، مُؤَمِّن، إِنْتَمَنَ، إِنْتِمَان، إِنْتِمَانِي، إِسْتَأْمَنَ، مُسْتَأْمِن

يتبيّن من هذه الأمثلة أنّ المستشرق لم يلتزم بالطريقة نفسها مع الأفعال كلّها، إذ حاول الإحاطة بمشتقات الفعل المجرد والمزيد في بعض المواضع، واكتفى بالفعل في غيرها. كما تمّ تقديم الفعل (أَزَّ) رقم (95) وحقّه التأخير، إذ ورد بعد المدخل (94)، وهو (أَرِيفَة) وبعده جاءت المداخل (أَزَج، أَزَح أزدرخت، أَزَر) على الترتيب، والأصل أن يأتي بعد الفعل (أَزَر).

¹ - باللغة الفرنسية (ether) مصطلح كيميائي. إثير.

* وردت الكلمة في المدونة بألف واحدة وهمزتين همزة مفتوحة، وأخرى مكسورة.

الرقم	المدخل
07	أَبَد، أَبَدًا، أَبَدِيّ، أَبَدِيَّة، أَبَدَة، أَبِيد، أَبَد، تَأْبِيد، مُؤَبَّد، تَأَبَّد، تَأَبَّدَا
15	إِبْط، إِبْطِي، تَأَبَّط، تَأَبَّط، مُتَأَبِّط
29	(أَث)، أَثِيث، أَثَاث، أَثَّث، مَوْثَث
37	أُجَاج، أُجِيج، أُجَج، تَأْجِجَا، تَأْجَج، تَأْجَج، مُتَأَجِّج
52	(أَخُو) أَخ، أخت، أَخوي، أَخويًا، أَخَوِيَّة، إِخْوَانِيَّة، أَخُوَّة، أَخِيَّة، أَخَائِيّ، أَخِي، مُوَاخَاة، الإِخَاء تَأْخِي، تَأْخِي
106	أُسّ، أُسِّيّ، أُسَاس، أُسَاسِيّ، أُسُوسَة، أُسّس، تَأْسِيس، تَأْسِيسِيَّة، مُؤَسَّس، مُؤَسَّسَة، تَأْسَّس، تَأْسَّس
124	أُسَى، أَسِيّ، أَسِيَان، أَسُوَّة، أُأْسَى، * مَأْسَاة، مَأْسٍ، مَأْسُوِيّ، مَأْسَاوِيّ، أَسَى، مُؤَاسَاة، مُؤَاسٍ، أَسَى إِيسَاء، مُؤَسِّس تَأْسَى، تَأْسِيًّا، تَأْسَى، تَأْسِيَا
138	إِطَار، أَطَار، أَطَر، تَأْطِير، مُؤَطَّر
218	أُنْثَى، أُنْثَوِيّ، أُنْثَوَة، أُنْث، تَأْنِيث، مَوْثَث
277	أَيُون، أَيْن، تَأْيِين

رجع البحث إلى معجم الوسيط للوقوف على هذه المداخل المذكورة ضمن الجدول، حيث تبيّن أنّه أوردّها جميعها ضمن مداخل رئيسة، تمثّلت في أفعال، منها المدخل (أبد ج آباد) الذي ورد في المعجم الثنائي مدخلا رئيسا، أمّا في الوسيط فقد ذُكر بهذا الشكل: (أَبَدَ، أَبودا، أَبَدَ أَبدا أَبَدُ، أَبَدُ تَأَبَدَ الآبدة، الأبد، أبدا). كذا الأمر بالنسبة إلى المدخل (أخ) الذي أوردّه الوسيط مدخلا فرعيا بعد الفعل (أخا، أخى، أّخى، تأخيا، تأخّى، تأخيا، الآخية، الأخ)، وهو مدخل رئيس افتتحت به المدونة المداخل الفرعية، كذلك جاء المدخل الرئيس (أُسّ) في الوسيط مدخلا فرعيا ضمن الفعل (أُسّ، أسّ الأساس الأُسّ، الإِسّ، الأُسّ، الأُسّ). وردت أيضا كلمة (أنثى) في الوسيط على هذا المنوال: (أُنْثَى أَنْثَى أَنْثَى، أَنْثَى، الأنثى، الأنثيان، الأنثى، المُنْثات، المُنْث)،⁽¹⁾ وهو ما يؤكّد أنّ المستشرق عدل عن الطّريقة التي وضعها في بداية معجمه، ليبدأ بأسماء مع أنّ لها أفعالا، الأمر

1 - مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. مادة (أبر)، (أخر)، (الإسباناخ)، (الأنثيمون).

جدول لمداخل اكتفى فيها بالاسم

الرقم	المدخل في المدونة	المادة	المدخل في الوسيط
13	أُبَاشَة من النَّاس	أَبَش	أَبَش، أَبِشَه، تَأَبَّش، أَبِشَه، تَأَبَّش، الأُبَاشَة
14	أُبْض، مَأْبِض	أَبْص	أَبْض، أَبِض، تَأَبَّض، الإِبَاض، الإِبَاضِيَة الأَبْوَض، المَأْبِض
17	إِبِل، إِبِلِيَّات، أُبْلَة، إِبَالَة	أَبْص	أَبْلَت، إِبِلَت، أُبْل، أِبْل، أِبْل، ائْتَبَل، تَأَبَّل، الأَبَابِيل، الإِبَالَة، الإِبِل
32	أُثْقِيَّة	أَنْف	أَنْف، آَنْف، أَثْف، تَأَثَّفَت، الأَثْفِيَّة
56	أُدْمَة، أَدِيم، أَدَم، أَدَمِي، إِدَام	أَد	أَدَم، أَدِم، أُدَم، أَدَم، أَدَم، ائْتَدَم، اسْتَدَم، أَدَم، الأَدَمِي، الإِدَام، الأُدَم، الأُدْمَة، الأُدْمَة
121	أَسْل، أَسْلَة، أَسِيل، أَسَالَة، مَوْسَل	أَسَى	أَسَل، أَسْلَه، تَأَسَّل، الأَسَل، الأَسْلَة
131	أُسْنَة	أُسَيَا	تَأَسَّن، الأُسْنَان، الإِسْنَان، الأُسْنَة
134	إِصْر، إِصَار، أَصْرَة، مَأْصِر	أَصَّت	أَصْرَه، ائْتَصَرَت، الأَصْرَة، الإِصَار، الإِصْر، الأَصِير، المَأْصِر
142	أُطَم، أَطُوم	أَطَمَ	أَطَمَ، أَطَمَ، أَطَمَ، تَأَطَمَ، الأَطَام، الأَطَم، الأَطُوم
151	أَفَق، أَفْقِي، أَفْقِيَّة، أَفَاق، مِئْفَاق، مَأْفِيق، مِئْفَاقِي	أَغْطَس	أَفَق، أَفَق، تَأَفَّق، الآفَقَة، الأَفَاق، الأَفُق، الأَفُق، الأَفْقِي، الأَفِيق

381

1-2-3-العدول*في تسجيل بعض المداخل: وضح المؤلف أنه اعتمد طريقة الجذور بمعنى وضع الكلمات التي تشترك في جذر واحد ضمن مدخل رئيس، لتتفرّع عنها المشتقات، إلا أنه يفصل أحيانا بين ما حقّه الجمع، ويجمع بين ما يمكن الفصل فيه، وهو أكثر ما تكرر. وسيقف البحث فيما يأتي على نماذج لهذه المداخل.

جدول لمداخل فصل بينها وحقّها الجمع

الرقم	المدخل	الرقم	المدخل
39-38	أَجَرَ - آجِرَة	26-25	(أتن) أتان - أتون
55-54	أَدَب - أَدَب	34-33	أَثَل - أَثَل ←
87-86 - 64	أَرَق - أَرْقَة - أَرَق	44-43-42-41	إِجَل - أَجَل - أَجَل - أَجَل
70-69	إِثْر - أُرْثَة	58-57	(أدو) أداة - (أدى) - أداء
79-78	أُرَز - أُرَزَّ	66-65	أرب - أربية
94-85-84	أُرْفَة - أُرْفِيَة - أُرْفِيَة	73 - 71	أرج - أرجوان
136-135	أَصْل - أَصْلَة	82-81	أرض - أرضة
166-165	أُكِر - أُكِرَة	129-128	أَشَر - أَشَر
205-194	أَمَّ - أَمَة	153-152	أَفَك - أَفَك
232-231	إِهَاب - أَهْبَة	181-180	ألف - أَلَف
251-250	أَوَّل آل إِيَالَة - أَوَّل آل مَالَا	225-224	(أنق) أنوق - أناقة
253-252	أَوَّل أَوَّلُون - أَوَّل آلَة	235-234	إِهْلِيلَج (هلج) - إِهْلِيلَج

يمثل الجدول عينة، لبعض المداخل التي فصل بينها في المدونة، حيث تأتي أحيانا متتابعة وأحيانا أخرى يفصل بينها مدخل أو أكثر، مع أنها بُنيت من جذر واحد، فالأصل أن يوردها ضمن مدخل رئيس واحد، كما هو موضح، وهو ما يشوّس على الباحث في هذا المعجم، كما أنه يتعارض مع المنهجية المذكورة في البداية.

* يُقصد بالعدول خروج المعجم عن الطريقة التي التزم بها في سائر المداخل.

← 33- أَثَل أَثُولَا أَثَل أَثَلَة أَثِيل أَثَل - 34 - (أثَل) أَثِيل أَثِيلِي أَثِيلِين.

جدول لمداخل جمع بينها وحققها الفصل

الرقم	المدخل
19	إِبْن ج أبناء بنو - إِبَان - أَبْن - تَابِين
189	(أَلُو) أَلَا - أَلُو - أَلُوَة - أَلِيَة ج أَلَايَا
221	أُنْس - أُنْس - إِنْس - إِنْسِي - إِنْسِيَة - أُنْسِيَة - أُنْس - أُنْس - إِنْسان - إِنْسانِي - إِنْسانِيَة - إِنْسانِيَات - أُناس - النِّساء نَسَائِي - نِسْوِي - نِسْوِيَة - نِسْوانِي - أُنْسَة - مَانُوس - أُنْس - تَانِيس - أُنْس - مُؤانِسَة - مُؤانِس - أُنْس - إِيناس - مُؤنِس - تَانَس تَانَس - إِسْتَانَس - مُسْتَانَس
230	أَتِي - أِناء - أِناءَة - إِناء - الأواني - أُنِّي - تَانِّي - تَانِّي - التَّائِي - مُتَانِّي

وردت هذه المداخل بدرجة أقل مقارنة بما سبقها، حيث جمع بين كلمات من جذر مختلف مثلاً: المدخل (ابن) لا يمكن أن نتفرّع عنه المداخل الفرعية التي وضعها المستشرق، وهي (إِبَان أَبْن). أما الصواب فإن ترد كلمة ابن في باب الباء لأنّ جذرها هو (بنو)، وهو ما نكره بنفسه، إذ ورد قبل كلمة (ابن) الجذر بنو، والأصل أن يكون الفعل (أَبِن) مدخلا رئيسا وبعده كلمة إِبَان. إذا ما اعتمدت طريقة المستشرق في ترتيب مداخله الرئيسية والفرعية، فإنّ كلمة (أَلِيَة) تتكوّن من جذر غير جذر (أَلُو)، وهو ما يجعل الكلمتين مستقلتين في الأصل. كذا الأمر بالنسبة إلى الفعل (أُنْس) الذي أورد ضمنه كلمات ليست من الجذر نفسه، فكلمة (النِّساء) من الجذر (نسا)، ⁽¹⁾ والأصل أن تنقل إلى باب (النّون). أما بالنسبة إلى كلمة (سَطْوانَة) فجاءت في المعجم الوسيط تحت باب (الهمزة)، في حين أوردتها المستشرق دانيال ريبغ تحت باب "السين" (سطن). عموماً احترم المستشرق ترتيب معظم المداخل الواردة في باب (الهمزة) باستثناء ما ورد. وتقدياً للإطالة اختار البحث أمثلة تؤكّد تحكّم المستشرق في التّرتيب وفق المنهج المذكور.

المدخل 02	المدخل 22	المدخل 237
آب (شهر أوت)	آب (الأب الأزلي)	آب أوبا (الرجوع)

يعكس هذا الجدول تحكّم المستشرق في وضع هذه الكلمات ضمن مواضعها بدقّة، فالكلمة الأولى هي المدخل الثاني تتكوّن من همزتين فباء، أمّا الكلمة الثانية فوردت ضمن المدخل الرئيس (أبا) فهي مشتقة منه، وجعل الكلمة الثالثة في المدخل سبعة وثلاثين ومائتين (237)، لأنّ أصل الفعل هو (أَوَب) لهذا جاء ضمن الكلمات التي تلا حرف الواو فيها حرف الهمزة. كما تضمّن أرقاماً عربية للمداخل الرئيسية وأخرى رومانية للمداخل الفرعية، يدلّ على اطلاعه على البحوث والدراسات المعجمية الحديثة. ⁽²⁾ وقد

¹ - مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. مادة (نسا).

² - ينظر: أحمد مختار، عمر. صناعة المعجم الحديث. ص 99، 101.

أشير إلى ذلك في موضع سابق، وهو ما يساعد القارئ على التفريق بين المدخل الرئيس والثانوي.

1-2-4- التكرار في المعجم: تكررت بعض الكلمات في عينة البحث، إلا أن ذلك قليل

ويرجع إما إلى طريقة كتابة الكلمة أو عدم التنبه إلى أنها ذكرت في موضع سابق، ولاسيما بالنسبة إلى العبارات الواردة في الشرح.

جدول يمثل ظاهرة التكرار على مستوى المداخل الرئيسية

المدخل	المدخل المكرر
ألف (على رأس المدخل)	ألف (179)
إديولوجي (58)	إيديولوجية (266)
أنيسون (222)	يانسون (6050)

وردت كلمات قليلة مكررة، منها كلمة (ألف) التي عرّفت على رأس الباب، حيث وضعت في وسط أعلى الصفحة، وتكرر ذكرها مرة أخرى، جاءت كذلك كلمة (إيديولوجية) في موضعين مختلفين لاختلاف كتابتها، في الموضع الأول بإسقاط الياء (إيديولوجية)، وفي الثاني بإثبات الياء (إيديولوجية). كذلك كرر المدخل (أنيسون)، وكما يلاحظ القارئ الكريم فالسبب في هذه الحالة أيضا هو اختلاف الكتابة، إذ بدئت الكلمة الأولى بالهمزة، أما الثانية فبالياء، ولابد أنها تستعمل لدى العامة بالياء لخفة الياء مقارنة بالهمزة.

جدول يمثل ظاهرة التكرار على مستوى الجمل الشارحة

المدخل	العبارة الأولى	المدخل	العبارات المكررة
أخذَ (49)	أخذَ دَمًا	أخذَ (49)	أخذَ الدَّم
أدى (58)	أداء الخدمة العسكرية/ أدى خدمة النجدة العسكرية/ أدى الخدمة العسكرية	أدى (58)	أدى أداء يمين، قَسَم، دين/ أدى قَسَمًا يمينًا، دَيَّنَه.
أمر (200)	أمير المؤمنين	أمن (204)	أمير المؤمنين
إبل (17)	حسن الإيالة والإبالة	آل (250)	حسن الإيالة
أول (252)	أول أيار	أيار (264)	أول أيار
أنس (221)	إنسان ج أناس، الناس	أنس (221)	أناس، الناس

لجأ المستشرق إلى هذه الطريقة بكثرة، إذ كثيرا ما يكرر بعض العبارات، في المدخل الواحد وأحيانا في مداخل مختلفة.

2-قضايا التعريف في المعجم:

ستكون الوقفة، فيما يأتي مع بعض المداخل الواردة في باب الهمزة (أ)، مع ذكر

بعض المداخل ومقابلاتها، وهو ما سيكشف طرائق التعريف في المعجم.

2-1- نماذج لتعريف المداخل: ينتبه القارئ للوهلة الأولى إلى أنّ طريقة التعريف تختلف

من مدخل إلى آخر، وللوقوف على أهمّ الطرائق التي اتّبعتها، سيعرض البحث بعض المداخل المختلفة من حيث طريقة تعريفها أو شرحها.

جدول يتمثل في تعريف المدخل الأول

المدخل	مقابله	مدخل فرعي	مقابله	الملاحظة
أ (هـ)	est-ce que ?	أَقْرَأْتُ	est-ce que tu as lu ? as-tu lu ?	particule d'interr. dir.
		أَلَا، أَلَمْ، أَمَا أَقَلَمْ	est-ce que...ne pas ?	1-peut être associée à une particule de négation
		أَمَا قَرَأْتُ	n'as-tu pas lu ?	
		لَا أَبَالِي أ	je ne veux pas savoir si ; peu m'importe que	2-particule d'interr. ind.
		أ...أَمْ سَوَاءً أ...أَمْ، أَوْ أَجَاء أَمْ لَا، سَوَاءً أَجَاء أَمْ لَا	qu'il vienne ou non	3- en corrélation avec une particule de disjonction

افتتح المؤلف هذا الباب بحرف الهمزة ا (ألف)، الذي ورد على رأس الصفحة، مبيناً أنّه الحرف الأول في الألفبائية، وكتب بالحرف اللاتيني كيفية نطقه باللغة العربية، وأنّه الحامل للهمزة في رسم الحرف إذا بدئ بها، وقدم معلومة صوتية، بأنّه قد يكون حرف مدّ للفتحة. قد يفهم من هذا التعريف أنّ المستشرق دانيال ريغ لم يشر إلى الفرق بين حرف العلة (ألف) والهمزة (ء)، في حين أنّ الهمزة والألف حرفان مختلفان. عرّف مؤلف المعجم هذا المدخل (أ) بتحديد وظائفه النحوية ذاكراً بعض السياقات لهذا الحرف، وذلك عن طريق إيراده في تراكيب مختلفة، كما هو موضح في الجدول، وقد حصره في كونه أداة استفهام مباشر (استفهام حقيقي)، وقد يرد أداة استفهام غير مباشر (استفهام يخرج إلى دلالات أخرى يحددها السياق). إنّ المطلع على معاجم اللغة العربية العامة والمختصة يدرك فقر هذا المدخل، من حيث استيفائه لوظائف الحرف فمن الوظائف المغيبة كونه

حرفاً للمضاربة، وغيرها من الوظائف والدلالات.⁽¹⁾ قد يفسر ذلك باكتفاء المؤلف بما رآه الأهم بالنسبة إلى القارئ.

جدول يتمثل في تعريف المدخل الثاني

المدخل	مقابله	المدخل الفرعية	مقابلها	الملاحظة
(اب) آب	aout	/	/	[calendrier syriaque]

اكتفى المستشرق في هذا المدخل بذكر مقابله باللغة الفرنسية، مع تسجيل ملاحظة أنه من الأشهر السريانية، وهو ما يدخل ضمن المعلومات التأيلية.

جدول يتمثل في تعريف المدخل الثالث

المدخل	مقابله	المدخل الفرعية	مقابلها
(اح) آح	blanc d'œuf ; albumen	آحين	albumine
		آحيني، بيلة ~ ة	albumineux, albuminurie

ذكر في هذا المدخل المعنى الأصلي لكلمة (آح)، التي قابلها بكلمتين الأولى مركبة، وهي كذلك في اللغتين العربية والفرنسية، بمعنى (بياض البيض)، بالإضافة إلى كلمة (albumen) ومن الواضح أن المقابل الأول عام، أما الثاني فهو مصطلح علمي، وردت بعدها كلمتان هما (آحين) و(آحيني~ ة)، قابل الأولى بـ (Albumine) والثانية بـ (albumineux ; albuminurie)، وعند العودة إلى المنهل يلاحظ أنه قابل كلمة (Albumine) بـ (زال، آح، بياض)، أما (albumen) فقابل بـ (سويداء): مادة نشوية أو دهنية أو آحية، تكون في البزرة وتغتذي منها الملقوحة. هناك تطابق بالنسبة للكلمة الثالثة، وهو تعريف بالمقابل، وما يؤخذ عليه أنه لم يبين نوع المدخل، في حين ذكر المعجمي سهيل إدريس رمز (chim) أمام كلمة (Albumine).⁽²⁾ تخصيصاً لها.

¹ - ينظر: ابن منظور. لسان العرب. باب الهمزة. علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزغبى، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي. الأردن، دار الأمل، 1414هـ-1993م. ط2. ص14 وما بعدها. - فوال بابتي، عزيزة. المعجم المفصل في النحو العربي. بيروت-لبنان دار الكتب العلمية 1413-1992م. ط1. باب الهمزة، ص7 وما بعدها. - إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء. ص11 وما بعدها.

² - إدريس، سهيل. المنهل. ص53.

جدول يتمثل في تعريف المدخل الخامس

المدخل	مقابله	المدخل الفرعي	مقابله
أَبَّ - أَبَّا هـ *	aspirer à désirer se prépare à partir avoir le mal du pays; nostalgie	أَبَاة	mal du pays ; nostalgie
~ لِلْمَسِير			
~ إِلَى الْوَطَن			

أورد المستشرق المدخل ضمن تعابير سياقية، ليقرب معناه إلى الأذهان، فبعد أن ذكره مستقلا أتبعه بجملتين، يلاحظ القارئ الكريم أنّ معنى الفعل في العبارة الأولى مختلف عن معناه في العبارة الثانية. أما المدخل الثانوي (أبابة) فقد اكتفى بإيراد مقابله باللغة الفرنسية.

جدول يتمثل في تعريف المدخل الثامن

المدخل	مقابله	المدخل الفرعية	مقابله	ملاحظة
أَبَّرَ -	piquer (insecte) féconder/ polliniser les palmiers	إِبْرَة ج إبْر	aiguille; aiguillon ; dard ; fig malveillance ; méchanceté médisance	fig
أَبَّرَا هـ		~ زَهْرَة، صَنْوَبِر	étamine ;aiguille de pin	
~ النَّخِيل		حَقَنَ هـ ~	faire une pique à qqn	
		~ الراعي	géranium	
		لَا يَدَّ مَعَ الْعَسَل	il n'y a point de rose sans épines (m.à m. il n 'ya point de miel sans aiguillons d'abeille)	prov .
		مِنْ		
		إِبْر النخل		
		إِبْرِي	en forme d'aiguille ; aciculaire	
		أَبْرَات	insectes munis d'un dard ; aculéates	
		مُبْرَر ج مَابِر	étui à aiguilles ; anthère	
		إِنَّهُ لَأَوَّ مَابِر فِي	colporter des calomnies	
		الناس		
		أَبَّرَ تَأْبِيرًا ii	pratiquer l'acupuncture ; féconder les palmiers	
		تَأْبِير	acupuncture	
		مُؤَبِّر	acupuncteur	

وظّف المستشرق صيغا توضيحية متنوعة، بالنسبة إلى هذا المدخل، منها عبارات سياقية وتعابير اصطلاحية، وأمثالا، واكتفى في المداخل الثانوية بالمقابل الفرنسي، فقله: (أبر النّخيل، إبرة زهرة، إبرة

* ورد في مقدمة المعجم أنّ الرمز هـ يعني (شيئا: الفعل المتعدي لا يقبل كمفعول به إلا اسما دالا على غير عاقل):

صنوبر، حقنه إبرة، إبرة الراعي)؛ هي أمثلة جاء فيها المدخلان ضمن سياقات متنوعة لتوضيح معانيهما المختلفة، كما لجأ إلى المثل في قوله: (لابدّ مع العسل من إبر النحل)، وهو ما يوضح معناه والسياقات التي يمكن أن تستعمل ضمنها. أما التعابير الاصطلاحية التي أدرجها (إنه لذو مآبر في الناس).^{*} لم ينضبط المستشرق بطريقة موحدة في المداخل كلّها؛ بل تجده يسهب في إيراد الأمثلة والسياقات المتنوعة مع مدخل معيّن،⁽¹⁾ ويكتفي بالمقابل الفرنسي في مداخل أخرى قد يرتبط الأمر بأهميتها، أو غموضها ووضوحها لديه.

أما الرّموز فقد وظّف الرمز (fig) للدلالة على المعاني المجازية للمدخل، وأمام المثل جعل رمز (Prov)، إلاّ أنّه لم يول أهمية كبيرة للرّموز في معجمه، إذ نادراً ما يشير إلى نوع المدخل، إلاّ إذا كان أداة أو مثلاً. كما يذكر أحيانا رمز (ج) أو (جج) أو (م) للدلالة على جمع المدخل أو جمع الجمع والمؤنث، إلاّ أنّ الملاحظة نفسها تتكرّر، وهي أنّه لا يلتزم بالطريقة نفسها في المداخل كلّها بل يثبت هذه التّحديدات تارة يتجاوزها تارة أخرى.

2-2- الوسائل التوضيحية في المعجم: تميّز المعجم بثراء كبير، من حيث الأمثال والحكم والعبارات الاصطلاحية، ولم يخلو من آيات مقتطعة من القرآن الكريم. وكانت الغلبة للعبارات السياقية، وهي التراكيب التي يشكّلها المتكلم، كلّ حسب قدراته وتمكنه من اللغة. واختار البحث نماذج منها. إلاّ أنّ المعجم يخلو من الصور والأشكال، أو الألوان على عكس معاجم الفرنسيين. وقد يرتبط ذلك بالجانب المادي، وقد يكون لاعتبارات أخرى.

2-2-1- شواهد قرآنية لم يشر إلى أنّها من القرآن الكريم: لجأ المستشرق إلى بعض الأجزاء المقتطعة من آيات قرآنية، وهذا ممّا ورد لدى مستشرقين كثيرين قبله، إلاّ أنّ منهم من يشير إلى ذلك ومنهم المعرض؛ وقد اختيرت نماذج لبعض الآيات الواردة في الجدول الآتي:

^{*} ورد في لسان العرب: المآبر التّمام وإفساد ذات البين. مادة (أبر).

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. المدخل 32 (أثر). الذي تناوله في صحتين تقريباً.

جدول لنماذج مقتطعة من آيات قرآنية

المدخل	الشاهد في المعجم	الشاهد في القرآن الكريم
إله (188)	إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ formule qu'un musulman prononce à l'heure du danger ; nous appartenons à Dieu et c'est vers lui que nous retournerons	﴿... قَالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(156)﴾، [سورة البقرة]
أي (262)	لا تدري نفس بأَيِّ أَرْضٍ interr.ind. nul ne sait en quelle terre	﴿...وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ... (34)﴾، [سورة لقمان]
إيّا (263)	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ C'est toi que nous adorons	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(4)﴾، [سورة الفاتحة]
===	إِيَّاي فَاتَّقُوا C'est moi que vous devez craindre	﴿...وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُوا(41)﴾، [سورة البقرة]

2-2-2 - الأمثال والحكم:

جدول يمثل نماذج من الأمثال والحكم في المعجم

المدخل	المثل بالغة العربية	المثل بالغة الفرنسية
أبر (08)	لا بدّ مع العسل من إبر النحل	il n'y a point de rose sans épines (m.à.m.il n'y a point de miel sans aiguillon d'abeille)
إتاء (27)	مخض الماء ليس له إتاء	donner des coups d'épée dans l'eau
أخ (52)	إخوان الوداد أقرب من إخوة الولاد	un frère par le cœur est souvent plus proche qu'un frère par le sang
أسل (121)	تتبي أسالة خده عن أصالة جدّه	bon sang ne serait mentir
أفن (155)	البطنة تأفن الفطنة	ventre plein n'a point de cervelle
الذي (178)	بعد اللّتيّ والتي ☺	après bien des discussions/ des palabres
أنّى (230)	كلّ إناء بما فيه يرشح	la caque sent toujours le hareng
=====	من تأتّى نال ما تمنى	tout vient à point à qui sait attendre ; qui veut voyager loin ménage sa monture
=====	في التّاني السّلامة	qui va lentement va surement
=====	العجلة من الشيطان والتّاني من الرحمان	plus fait douceur que violence
ألف (181)	التأليف بين الوسائل والأهداف	prov. qui veut la fin veut les moyens

ضمّن المؤلف دانيال ريغ معجمه الكثير من الأمثال والحكم، واللافت للنظر أنّه ترجمها بطريقة

جيدة، منها ما قابله بمثل فرنسي يساويه أو يقترب منه، ومنها ما شرّحه بأسلوبه الشخصي يعكس توظيف

هذه الأقوال المأثورة، تمكّن المستشرق من فهم معانيها، يظهر ذلك من ترجمتها بطريقة صحيحة إلى حدّ

كبير، ويكشف هذا عن رغبته في تعريف الغربيين أو الفرنسيين بالدرجة الأولى بهذه العبارات، بالإضافة إلى البعد الجمالي. كما يُلاحظ أنّ معظمها لا يعرفها إلاّ الخاصة مثل: (تتبئ أسالة خدّه عن أصالة جدّه)، ومنها المتداول بكثرة مثل: (في التآني السلامة)، و(العجلة من الشيطان والتآني من الرحمان). أمّا القول الوارد ضمن هذه القائمة، وليس بقول مأثور - في حدود العلم - فهو (التأليف بين الوسائل والأهداف) إذ ذكر في المقابل الفرنسي، كما هو واضح أنّه حكمة.

2-2-3- التعابير الاصطلاحية: * أكثر المستشرق من إيراد هذا النوع من وسائل الشرح.

جدول يمثل نماذج من العبارات الاصطلاحية

المدخل	العبارة بالّلغة العربية	العبارة بالّلغة الفرنسية
أبر (08)	إنّه لَدُو مآبر في الناس	colporter des calomnies
أتى (28)	أتى البيوت من أبوابها أتى على الأخضر واليابس	frapper à la bonne porte mettre à feu et à sang ; ravager
أثر (31)	أصبح أثراً بعد عين/استأثر بحصة الأسد	être complètement détruit/ se tailler la part du lion
أنفية (32)	ثلاثة الأثافي/ رماه بثلاثة الأثافي	jamais deux sans trois /donner le coup de grâce
آخر (50)	ذلك لا يؤخر ولا يقدّم	cela ne change rien à l'affaire
أرنب (92)	لا يرى أبعد من أرنبة أنفه	ne pas y voir plus loin que le bout de son nez
أزف (100)	دع الأزفة تأزف	advienne que pourra
أمّ (194)	رأيته بأمّ عينيّ	je l'ai vu de mes propres yeux

تُظهر هذه العبارات حرص المستشرق على توضيح معاني المداخل، وذلك بتوظيفها ضمن سياقات معروفة، وهي جمل جاهزة إذا صحّ القول، شاع استعمالها في مواقف معيّنة، وهي مختصرة غالباً، مثل جملة (أتى على الأخضر واليابس)، التي تستعمل للدلالة على المبالغة في الفعل مثل: (أتت النار على الأخضر واليابس)، بمعنى التهمت كل شيء، للدلالة على هول الخسارة.

* يُقصد بالتعابير الاصطلاحية: تلك الجمل التي اتفق الناس على استعمالها للدلالة على معنى معروف لدى الجماعة اللغوية، ومهما اختلفت المواقف تبقى دلالتها ثابتة.

2-2-4-التعبير السياقية: يقوم المستشرق في هذه العبارات بتوظيف المدخل المذكور

ضمن جملة أو أكثر ليقرب المعنى من القارئ ويوضحه.

جدول يمثل نماذج من العبارات السياقية

المدخل	العبارة باللغة العربية
أباشة (13)	أباشة من الناس
أدمة (56)	من أديم واحد/ أديم الأرض/ بنو آدم
أصل (135)	من ~ شريف/ ~ من الحقيقة/ في الـ ~ صورة طبق الـ ~ / طبقاً للـ ~ / نص، نسخة ~ (ة) / بلد، لون ~ / الخطيئة
أصلي	الـ ~ (ة) / قيمة، تغييرات ~ (ة) / رأسمال، عدد ~ / الجهات الـ ~ ة الأربع / سكان أصليون / أعضاء ~ /
أصول	ترجع ~ ه إلى / على حسب الـ ~ / المهنة/ الـ ~ والخصوم /
أصالة	~ متاحة، سائلة، ثابتة/ ~ المحاكمات/ الـ ~ التي يجب اتباعها/ علم الـ ~ / ~ الرأي/ عدم ~
أصيل	عضو، أستاذ ~ / فكرة، لوحة ~ ة/ جواد، حصان ~ / كلب ~ / تضارب ~
أصيل	جَنَح الـ ~
متأصل	حقد، عادة ~ (ة) / جذور ~ ة
استأصل	~ الداء/ ~ الرذائل، الأعداء/ ~ ورما خبيثا/ ~ المَلاريا
استئصال	~ اللورَئين، الزائدة
أَمَل (203)	أَمَلًا هـ، أنْ
أمل	الـ ~ بالمستقبل/ قطع الـ ~ في/ لا يبقى هناك أيُّ ~ / على ~ أن/ على ~ يأس/ خيبة ~ / بلا ~ / ~ كاذب
مأمول	غير ~
أَمَل	أَمَلٌ تَأْمِيلاً خَيْرًا/ ~ هـ من هـ / ~ يـ هـ
تَأْمَل	~ هـ من الرأس إلى أخمص القدم/ لتَأْمَل هذا المثل
تَأْمُل	فكر مولع بالـ ~ / هيئة تنم عن الـ ~

اختار البحث بعض المداخل، التي وظّف فيها المستشرق جملاً عادية، وكما يظهر في

الجدول، فقد تنوّعت هذه السياقات، بين جمل طويلة، وأخرى تتكون من كلمتين؛ وهي الغالبة.

2-2-5-المجاز: يُلاحظ أنّه لم يحفل كثيرا بالمجاز، قد يرتبط هذا بصعوبة استيعابه حيث

تأخذ الكلمات دلالات بعيدة عن المعاني الحقيقية، وهو ما يمكن أن يحجب المعنى عن المتلقي

ولاسيّما الأجنبي.

جدول يمثل نماذج من الاستعمالات المجازية

المدخل	باللغة العربية	باللغة الفرنسية
أزر (99)	عفيف الإزار	chaste, pudique
	داري إزاري (عدم الإشارة إلى أنه مجاز)	ni vu ni connu
أذن (62)	إنه أذن السيد	avoir l'oreille du maitre

بالنسبة إلى هذه المجازات يلاحظ أنها مشهورة، وهي أقوال مأثورة، وقد يكون هذا ما جعله يوردها، وهي كذلك من التراث العربي. إذ يستعمل المجاز الأول (نقي الإزار)، للدلالة على الشخص الطاهر ذي الأخلاق الحميدة، وتستعمل العبارة الثانية للتغريب في التستر والكتمان.

تعكس هذه الجداول الوسائل التي اعتمدها المستشرق لشرح المداخل، وهي كما يتجلى متنوّعة، وما يجب التأكيد عليه هو إغفال ذكر نوع الشاهد، مثل الآيات المقطوعة من القرآن الكريم. وقد برّر المستشرق دانيال ريغ عدم ذكره للمراجع والمصادر في بداية معجمه بكونه لم يقتبس نصوصاً كاملة، « يتمّ هذا الوصف كذلك من خلال العبارات، كما رأيناه فيما سبق، وهذه العبارات بمثابة مجموعات حرة للكلمات، ولذلك لا يرافقها مرجع (اسم مؤلف أو كتاب أو رقم صفحة)»⁽¹⁾ إلا أنّ هذا ليس بعذر، ولاسيما إذا تعلّق الأمر بالقرآن الكريم.

3- مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

3-1- المستوى الصوتي: تناول المستشرق الجانب الصوتي في باب (الهمزة) بطريقة سليمة، باستثناء بعض المواضع القليلة أو النادرة، مثل الحركات التي سبقت الإشارة إليها، وبعض الحروف المتأثرة بالنطق الفرنسي مثل كلمة أفيوم (157) أفيون (opium). ففي المنهل كتبت بالنون،⁽²⁾ وكذا في الوسيط.⁽³⁾ قد يكون ذلك تأثراً باللفظ الفرنسي، كما هو مسجل.

3-2- المستوى الإملائي:

جاءت كتابة المستشرق للغة العربية بطريقة جيدة، تدلّ على تحكّمه فيها إلى حدّ كبير، إلا أنّ هذا لا يمنع من وجود بعض الهفوات القليلة، مثل النماذج الواردة فيما يأتي.

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. ص 17.

² - إدريس، سهيل. المنهل. ص 846.

³ - مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. مادة (أفن).

جدول يمثل المستوى الإملائي في المعجم

المدخل	بالعربية	المقترح
أتى (28)	آتٍ - الأجيال الـ ~ ة	الآتية
أخذ (49)	أخذ على ه طريقه	عليه
أدى (58)	مؤدٍ (المؤدي) صفقة مؤد	مؤدية
أذى (63)	آذى إيذاء ه، آذى ه الأجنبي / آذى صحة ه	آذاه/ صحته
أفك (153)	mandibule (du bec des oiseaux)	فكّ
إلى (190)	إلى متى، إلām	إلى متى
آل (251)	أول البارحة، الأمس	أول أمس

وضّح هذا الجدول بعض المواضع التي حدث فيها عدول عن الصّواب -ولو نسبياً- ففي الأمثلة الأولى، يُلاحظ أنّه لم يوضّح كتابة بعض الكلمات بدقة في صيغة المؤنث، أو عند وصلها ببعض الضّمائر، إذ قد يخطئ الأجنبي في كتابة هذه الكلمات، إذا ما حافظ عليها كما هي في الأمثلة، فاسم الفاعل (آتٍ) عندما يصاغ في المؤنث تدخل عليه الياء فالتاء، وهو ما لم يُشر إليه كذلك الأمر بالنسبة إلى الأمثلة المتبقية، فالخلل هنا هو أنّ المستشرق افترض أنّ مستعمل المعجم يتحكّم في اللغة العربية وهو ما قد لا يتحقّق لكل المستعملين. وأضيفت همزة في بداية كلمة (فكّ)، في حين أنّ الكلمة المناسبة هي (فك) وليس (أفك)، فيكون موضعها الصّحيح ضمن حرف الفاء وليس الهمزة.⁽¹⁾ كما نحت صيغة الاستفهام (إلى متى) مؤرداً صيغة مختصرة، وهي (إلām) في حين هي اختصار لـ (إلى ما)، حذفت ألف الميم لدخول حرف الجرّ عليها. ♦

أمّا آخر مثال في الجدول، فهو التّعريف الذي أدخله على الظرف (أمس)، وما يعلمه مستعملو اللغة العربية أنّ هذا الظرف لا يأتي في هذا السّياق معرّفاً؛ بل يجب أن يكون نكرة، قد يكون الأمر التّبس على المستشرق بسبب المثال الذي جاء قبله وهو (البارحة) الذي لا يأتي إلّا معرفة، أمّا بالنسبة لمثاله فالصّواب فيه هو (أول أمس)، لأنّ هذا الظرف يعرّف وينكّر. وتعامل المؤلّف مع الحروف العربية بطريقة

¹ - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (أفك).

♦ ومما يروى في هذا، أنّ أحدهم سأل نحوياً فقال له: بما توصيني؟ قال: بتقوى الله وبإسقاط الألف.

سليمة، باستثناء (الهمزة)، وذلك في مواضع قليلة مثل: (المدخل الرئيس رقم 19 (إبن)، صوابه (ابن) والمدخل الفرعي 218 (إمرأة) بهمة قطع والأصل فيها همزة وصل (امرأة).

3-2-1-الهفوات المطبعية: وردت بعض الهفوات المطبعية القليلة في باب الهمزة، ومعظمها أثناء شرح المداخل الرئيسة والثانوية، ومما اطلع عليه، المدخل (49) بنظام وصوابه بنظام، والمدخل (181) " من "، بالإضافة إلى المدخل (194) (الغة)، وهو يريد اللغة، المدخل (233) (الحنس) ويقصد (الجنس). وأخيرا (النهائنة) وأراد (النهائية).

3-3-المستوى الصرفي:

3-3-1-التعامل مع الحروف والمدود والحركات:

3-3-1-1- الشدة: أثبت المستشرق دانيال ريغ الشدة في معظم الكلمات باستثناء الأسماء المعروفة

(الدهر، الناس، التمارين، اللغة، الشهر) وغيرها، وهذه الظاهرة تتكرر في المعجم كله.

3-3-1-2- المدّ: تعامل المؤلف مع المدود بطريقة سليمة، حيث أوردها في مواضعها المناسبة مع

الكلمات كلها، ولم ترد إلا هفوات قليلة، مثل كلمة "عَمَلٌ في قوله: (عَمَلٌ ه معاملته الأخ لأخيه)، حيث أسقط المدّ والأصل (عَامَلَهُ...)⁽¹⁾ والعكس بالنسبة إلى كلمة (أُولَئِكَ)⁽²⁾، إذ أثبت مدا بعد اللام، قد يكون وجود المد في الكلمات الواردة قبلها هو ما جعله يحافظ على المدّ. والمعروف أن تكتب دون مدّ (أولئك).

3-3-1-3- الحركات: تعامل المؤلف مع الحركات بطريقة منتظمة، إذ معظم كلمات

المعجم مرفقة بالحركات، باستثناء بعض المواضع التي أشار إليها عند تقديم منهجية عرض المداخل في المعجم، حين تأتي بعدها حروف المدّ، مثل: (بو، با، بي)، وعندما تدلّ على الإعراب، كما بين أنه يثبتها أحيانا في آخر الكلمة لتوضيح المقصود، مثل: (طبق الأصل)، وكذلك الأمر بالنسبة للتّونين في حالة نصب الكلمة، نظرا لتأثيره على الشكل الكتابي لها: (أ). تجدر الإشارة هنا إلى أنّ النّصب لم يكن الموضع الوحيد الذي أثبت فيه التّونين؛ بل ورد في مواضع أخرى، مثل: التّونين بالكسرة: (مَاتٍ مَوَاتٍ، مؤذٍ...)). وذكر أيضا أنّ بعض الحروف، قد ترافقها حركتان أو ثلاث

¹ - ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. المدخل أخ. رقم (52).

² - المصدر نفسه. المدخل أولو. رقم (251).

حركات، وهو ما يعني إمكانية ورود أكثر من قراءة.⁽¹⁾ إلا أن هناك حركات لم ترد بطريقة صحيحة.

جدول يمثل الخلل على مستوى الحركات

رقم المدخل	الهفوة	الصحيح	رقم المدخل	الهفوة	المقترح
أثر (31)	إثير	أثير	50	أُخْرَوِيَّات	أُخْرَوِيَّات
52	بالرُضاعة	بالرِضاعة، بالرِضاع	62	مُؤَذِّن	مُؤَذِّن
75	أَرْخَبِيل	أَرْخَبِيل	94	بِنْصْرَة	بِنْصْرَة
106	دُولِيَّة	دُولِيَّة	138	دُولَاب	دُولَاب
114	أُسْرَة مَلِكِيَّة	مَلِكِيَّة	145	أَغْطَس	أَغْطَس
149	أَفْعَى ج أفاع	أَفْعَى	161	تَأَقْلَمُ	تَأَقْلَمُ
172	أَكَلَات	أَكَلَات	195	إِمْبَرَاطُور	إِمْبَرَاطُور
أمرك (201)	أمريكان	أمريكان (أمريكيون)	217	أَنْتَ م أَنْتِ وحدكِ	وحدكِ م وحدكِ
218	أنثى ج إناث، أنثى	أنثى	آلة 253	آلة حاسبة، حَرْبِيَّة حِسَابَة آليَة	حاسبة آليَة

هناك غموض في طريقة كتابة الاسم (وحدكِ)، لاسيما بالنسبة إلى الأجانب، إذ قد يصعب عليهم التفريق بين الحالتين، فأيهما للمؤنث وأيهما للمذكر، فالأصوب الفصل بينهما، كما فعل بالضّمير (وحدكِ، وحدكِ). وهناك كلمات لم تفرق بحركات، مثل: (أرجح، رجح/ بين الناس/ أسلوب سلب)، وبما أن هذا المعجم موجّه إلى الناطقين بالعربية وغير الناطقين بها، فإن الأصل أن يحرص المؤلف على الحركات بشكل تام، فالعربي يمكنه قراءة الكلمة، وإن خلت من الحركات، أمّا غيره فلا يمكنه ذلك، ولهذا لا يمكن الاستغناء عن الحركات في مثل هذه المواضع.

إلا أن هذه استثناءات لا تؤثر على الدقة الكبيرة التي أثبت بها المستشرق الحركات، يظهر ذلك في مواضع كثيرة من معجمه، ومنها تفريقه بين (أحد عَشَرَ م إِحْدَى عَشْرَة)، تطبيقاً للقاعدة الموجبة تسكين الشين في الرقم عشرة، إذا دلّ على التّأنيث، وتفتح إذا دلّ على التذكير، وهو ما انتبه إليه المستشرق، الأمر الذي يؤكّد تحكّمه في اللغة العربية.

¹ - ريغ، دانيال. معجم عربي - فرنسي. ص 15، 16.

3-3-2- الاشتقاق في المعجم: تبين من خلال المعجم، ومن خلال مؤلفاته الأخرى أنّ المستشرق

ريغ من أكثر المستشرقين تحكّما في عملية الاشتقاق، إلّا أنّه وردت بعض الصيغ المخالفة للأصل.

جدول يمثل خلافا في اشتقاق بعض الكلمات

المدخل	الهدف	المقترح
إرم (90)	أرم	أرم
أزر (99)	مأزور (en état de pêchée) ⁽¹⁾	موزور من وزر
إطار (138)	أطار	مؤطر
الماس (186)	الماسي، مؤلمس	الماسي

سجل البحث عدولا على مستوى اشتقاق بعض المداخل، ذكر الفعل (أرم) ضمن المداخل مضعفا وهو ما لم يرد في معجم لسان العرب ولا في الوسيط. ⁽²⁾ قد يكون هذا اجتهدا من المستشرق، وهو بمعنى وضع علامة أو نصبها على الطريق. واشتق اسم المفعول (مأزور) بطريقة خاطئة من فعل آخر، إذ يقصد به الذي يقع عليه الوزر وهو (مؤزور)، وهو عدول أدى إلى تحريف الكلمة، فالمأزور هو الذي تلقى مساعدة ودعما. ورد في الحديث الشريف: « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ »، [رواه ابن ماجه]. وإن كان هناك من ضعفه، لكن القياس أن يأتي اسم المفعول من الفعل (أزر) على (مأزور).

أورد المستشرق في السياق نفسه كلمة (أطار)، وهي صيغة مبالغة على وزن (فعل)، مقابلا لكلمة (encadreur) في حين الصواب هو (مؤطر)، وهو اسم فاعل من الفعل أطر. كذلك بالنسبة لكلمة (مؤلمس)، فهي غير موجودة في اللغة العربية الفصيحة في حدود العلم، فهي من الفعل (المس) الذي وضعه المستشرق، ومنه اشتق اسم المفعول تأثرا بالكلمة الفرنسية (diamanté ; en diamant).

3-3-2-1- على مستوى الجمع: وردت صيغ الجمع بطريقة سليمة، باستثناء الكلمتين

الواردتين في الجدول.

¹ - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (الأرمادا وأز).

² - ينظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة (أرك)، و(أرم). مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (أرم) (الأرمادا).

جدول يعكس سلامة صيغ الجمع في المعجم

المدخل	الهفوة	المقترح
أَثِمَ (35)	أثم ج أئمة	أثم ج آثمون، أثم ج أئمة
أخ (52)	أخية ج أخايا	أخايا، وأخي
أمر (200)	مأمور ج مأمير	مأمورون

أُسند جمع كلمة لأخرى، مثل كلمة (أثم) التي أُسند إليها الجمع (أئمة)، في حين أن هذا الجمع لكلمة أخرى وهي (أثم). أما آثم فجمعه (آثمون). كذا بالنسبة إلى جمع كلمة (أخية) التي تجمع على (أواخي) و(أخايا) كما هو وارد.⁽¹⁾ والمستعمل بكثرة هو أواخي.

3-3-2-2-3-2-3 على مستوى النسبة: سجّلت صيغ النسبة إلى الكلمات في الجدول الآتي:

جدول يمثل خلافاً في نسبة الكلمات

المدخل	الهفوة	المقترح
أَثَر (31)	أثري، آثاري ج ون	أثري
أَسَرَ (114)	أسري، أسروي	أسري
أَمَرَ (201)	أمريكي، أمريكي، أمريكي	أمريكي

تضمّن الجدول أمثلة عُـل فيها عن القاعدة، فالنسبة إلى الجمع مخالفة للقاعدة التي تنصّ على ضرورة النسبة إلى المفرد،* فلا يصح القول (آثاري) لأنّ آثار جمع أثر، وتطبيقاً للقاعدة، فالأصل هو (أثري). وكلمة (أمريكاني، أمريكي) فالأصل هو (أمريكي، أمريكيون)، وهو ما تضمّن الوسيط أيضاً.⁽²⁾ لكن يبدو أنّ المستشرق تأثّر بالكلمة العامية (مريكاني). أما كلمة (أسروي) فالنسبة الصحيحة هي (أسري)، فالواو لا محلّ لها، ولا تستعمل بهذه الصيغة، إلّا أن يكون ذلك في لغة الصحافة، وهو أمر وارد، بما أنّها من مصادر المعجم.

3-4-المستوى النحوي (تركيب الجمل): جاءت اللغة العربية بطريقة سليمة على مستوى

التركيب، إلّا أنّ هذا لم يمنع وجود بعض الهفوات، التي سيرد بعضها في الجدول الآتي:

1 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (أجن).

* علماً أنّ مجمع اللغة القاهري، أجاز النسب إلى الجمع في حالة ما إذا كان الهدف هو النسبة إلى الجمع، لا إلى المفرد.

2 - مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط. مادة (تأمع).

جدول يمثل لهفوات على المستوى النحوي

المدخل	بالعربية	المقترح
أبر (8)	حقن ه إبره	حقنه بإبرة
أثيث (29)	أثث تأثيثا بيتا	أثث بيتا تأثيثا
أرب (65)	قطّع، مرقّ إربا	مرقّ شيئا إربا
أرفة (84)	أرف تأريفا مساحة	أرف مساحة تأريفا
إرم (90)	أرم تأريما طريقا	أرم طريقا تأريما
أكد (164)	أكّد أن /من المؤكّد أن	أكّد أنّ
ألم (185)	تألّم تألما من	تألّم من ...تألما
أذن (62)	عرف الأرنب وأذنيها	عرف...وأذنيه
إرث (69)	هو في إرث صدق، نزاهة	إرث صدق ونزيه
آل (251)	آل إليه ثروته عن زوّجته	آلت إليه ثروته من
آلة (253)	آلات الزراعية	الآلات الزراعية
أيّ (262)	أيّ م آية، (... أيّا كان م آية كانت)	أيّ م أيّ، (... أيّا كان م أيّا كانت)
	أياما (avec un explétif)، أعجب به أياما إعجاب	

يقدم هذا الجدول بعض الأمثلة، للعدول الذي جاء في معجم المستشرق دانيال ريغ، على المستوى النحوي، مع تسجيل أنه التزم في معظم المداخل بقواعد اللغة العربية، من حيث التّطابق بين الصّفة والموصوف تنكيرا وتأنيثا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وكذا العامل مع معموله، إلّا أنه أغفل ذلك في مواضع قليلة.

كما يكشف محتوى المداخل عن تحكّم المستشرق دانيال ريغ في اللغة العربية، وذلك سواء أكان على مستوى الكتابة أو على مستويات التحليل الصّوتي والصّرفي والنحوي والدّلالي، ومما يعكس ذلك الإشارة إلى اشتقاق الكلمات مثل: (أنبوب، أنبوبة-نَبَب)،⁽¹⁾ مطابقة العدد والمعدود، مثل: (مع الوجبات الثلاث)، وتقريعه بين الصيغ المختلفة، مثل: اسم الفاعل والمفعول: (مستأجر، مستأجر).⁽²⁾ وفي التراكيب ورد (أمّا...ف).⁽³⁾ وهي قاعدة نحوية توجب ربط جواب أمّا بالفاء، وغيرها.

1 - ريغ، دانيال. معجم عربي -فرنسي، فرنسي -عربي. مادة (أنت).

2 - المصدر نفسه. المدخل أجر (38)

3 -المصدر نفسه. المدخل (192).

3-5-المستوى المعجمي والدلالي:

3-5-1-عدم التطابق بين العربية والفرنسية على المستوى الفردي: ينطبق ما قيل عن مستويات

التحليل السابقة على الدلالة في المعجم، إذ يعكس ما تقدّم قدرة كبيرة لدى المستشرق في التعامل مع اللغة العربية على جميع المستويات، لكن مع ذلك سجّل البحث عدولاً دلاليّاً على مستوى بعض المداخل، وقد قُسم هذا العدول إلى صنفين: الأوّل قابل فيه بين كلمة عربية وكلمات فرنسية كثيرة، حيث يكفي إيراد كلمة فرنسية واحدة لضمان دقّة أكبر، ولمساعدة القارئ لئلا يضيع بين هذه الكلمات المختلفة، وإن كانت مترادفات في معظم الأحيان. أما الصنف الثاني فتمثّل في الإتيان بمقابلات بعيدة للكلمات العربية، أو عدم التطابق تماماً بين الكلمة العربية والفرنسية. وهذا ما سيتناوله البحث في الجدولين الآتيين.

5-5-1-1-عدم الدقة في المقابل: سُجّلت بعض الكلمات، التي يمكن القول إنّها

لم تكن دقيقة تماماً.

جدول يمثل نماذج لعدم الدقة بين الكلمات العربية والفرنسية

المدخل	بالعربية	بالفرنسية	المقترح
أَبَقَ (16)	آبَقَ	esclave fugitif	fugitif
أَثَّرَ (31)	تَأَثَّرَ	emboiter le pas à qqn ; suivre l'exemple	il est influencé
أَلَفَ (181)	تَأَلَّفَ	écrit ; œuvre (d'un écrivain)	مؤلفات
أَلَقَ (182)	أَلَقَ	brillant n. m éclat	أَلَقَ
أَمِنَ (204)	أَمَانَ	aman, clémence, immunité, protection, salut, sécurité, sureté	sécurité
أَنَفَ (223)	أَنَفَ	fierté, orgueil, pudeur	fierté, orgueil
أَلَّ (251)	أَوَّلَ	commenter, expliquer, interpréter, faire l'exégèse de	expliquer
آيَة (260)	آيَة	exemple, merveille, miracle, modèle, parangon, prodige	verset du coran

يمثّل هذا الجدول عيّنة من المفردات الواردة في المعجم، التي انّصفت بعدم الدقة على مستوى المقابل، عندما قابل بين كلمة واحدة وجملة، ففي العربية أورد كلمة (آبق) أمّا في اللغة الفرنسية فقد قابلها بجملة (esclave fugitif)، وهو ما يشوِّش على مستعمل المعجم، فإما أن يكتب (خادم آبق) ثمّ يقابله بتلك الجملة أو يكتفي بكلمة (fugitif). حيث ورد في الوسيط: « آبق أبقا وأباقا: هرب، فهو آبق وأبوق». (1) اكتفي بكلمة (هرب)، يمكن القول إنه سار على نهج المستشرق كزيمرسكي، الذي قابل كلمة آبق بـ: se»

1 - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (أَبَقَ).

«dit aussi d'un esclave qui se sauve»، وأبوق بـ: «...même signific...»⁽¹⁾. فالملاحظ أنهم يربطون هذه الكلمة بالعبد، في حين وردت في بعض المعاجم العربية مستقلة، فالكلمة عامة، وليست مختصة بفئة دون غيرها. وقد ورد الفعل أبق في قصة سيدنا يونس عليه السلام، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾، [سورة الصافات، الآيتان: 139، 140]. وهو ما يعبر عن هروبه من قومه.

كما لوحظ أن كلمة (آية) قولت بمجموعة كبيرة من الكلمات، إلا أن المقابل الأول الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع هذا المدخل، هو (verset du coran)، وقد أورد المعنى الديني، والمستعمل بكثرة لدى المسلمين في السطر الخامس، (signe de Dieu ; verset du coran). حيث ورد المدخل الرئيس "آية" وبعده الإشارة إلى العبارات: ("إنه آية"، "هو آية في الفضيلة"، "آية في الجمال" "آية ج آيات، أي"). ينطبق الأمر على سائر المداخل المتبقية، إذ يقابل بين كلمة واحدة ومجموعة من الكلمات الفرنسية.

3-5-1-2-المقابل غير مناسب:

جدول يمثل كلمات غير متطابقة دلاليا

المدخل	بالعربية	بالفرنسية	المقترح
أبجد (6)	أَبْجَدِيَّة	alphabet	abdjadia
إبل (17)	إِبَالَة	fagot (de bois)... administration ; gestion	إيالة
أخذ (49)	الألباب	les cœurs	les cerveaux
أرض (81)	أَرْضِيَّة	rez-de-chaussée	طابق أرضي
أصل (125)	الأصول	la procédure à suivre	الإجراءات
أنس (221)	أُنَاسٌ، الناس	les gens ; les hommes ; les autres	les gens

ورد ضمن المدخل ألف/ألفاء وقابله بالصيغة الفرنسية (ABC).⁽²⁾ أما السؤال المطروح فهو لماذا لم يذكر المستشرق المقابل (alphabet)، وهي مطابقة للكلمة العربية. علما أن المدخل (أبجدية) جعل مقابله الفرنسي هو (alphabet) المناسب في الأصل لكلمة ألفباء؟ وهو مقابل خاطئ يسوي بين الألفبائية والأبجدية، وهما كلمتان مختلفتان.

¹ - Kazimerski, A. De. Biberstein. Dictionnaire ARABE-FRANÇAIS. p5. الفئتين العربيّة والفرانساويّة.

² - ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. المدخل 179.

5-5-2- عدم التّطابق بين العربية والفرنسية على مستوى الكلمات المركّبة:

3-5-2-1- عدم الدّقة في المقابل:

يشتمل هذا الجدول على بعض الكلمات المركبة العربيّة التي قابلها المستشرق، بكلمات فرنسية، قد تفتقر إلى الدّقة.

جدول يمثّل عدم الدقة بين الكلمات العربية المركبة والفرنسية

المدخل	بالعربية	بالفرنسية	المقترح
أدب (54)	عالم الأدباء	le monde littéraire / des lettres	le monde des littéraires
أرخ (74)	قبل الأزمنة التاريخية	préhistorique	أزمنة ما قبل التاريخ
أصيل (135)	أستاذ أصيل	professeur titulaire	أستاذ دائم
أول (252)	التّعليم الأولي	enseignement primaire/ élémentaire	التّعليم الابتدائي

يقابل الكلمة المركّبة (عالم الأدباء) في المعجم كلمة فرنسية لا تطابقها، فعالم الأدب أو الآداب غير عالم الأدباء (le monde des littérateurs)، إذ يُقصد بعالم الأدب ما ينتجه الأدباء من شعر ونثر. أمّا عالم الأدباء فهو مرتبط بالذين ينتجون هذا الأدب، وهناك فرق بين الكلمتين. مع تسجيل ملاحظة أنّ المقابل نفسه ورد في المنهل (le monde littéraire).⁽¹⁾ أمّا المدخل الثّاني فهناك خلل في كتابته فالأصل هو (أزمنة ما قبل التّاريخ)، إذ يقال قبل التّاريخ وبعده، فإمّا الزمن وجد قبل التّاريخ أو بعده، وهو ما لا يُفهم من (قبل الأزمنة التاريخية). كذلك بالنّسبة إلى المدخل (أستاذ أصيل)، الذي قد يُفهم منه اتّصاف الأستاذ بالأصالة، فالرجل الأصيل والمرأة الأصيل، عبارة عن مدح. ولهذا يُفضّل توظيف كلمة (دائم)، علماً أنّ هذه الكلمة قد وردت في معاجم أخرى، ففي المنهل ورد (أستاذ نو كرسي أصيل).⁽²⁾ ينطبق الأمر على (التّعليم الأولي) الذي قد يفيد مرحلة قصيرة يُقدّم فيها للمتعلم بعض المعارف البسيطة ليبنى عليها معارف أخرى أكثر تعقيداً، أمّا الأنسب فهو (التّعليم الابتدائي).

¹ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 728.

² - المرجع نفسه. ص 978.

3-5-2-2-المقابل غير مناسب:

جدول يمثل كلمات مركبة غير متطابقة دلاليا مع المقابل الفرنسي

المدخل	بالعربية	بالفرنسية	المقترح
أرض (81)	كرة الأرض	globe terrestre	الكرة الأرضية
أسى (124)	مؤلف مأسوي	dramaturge	مؤلف المآسي
	ممثّل مأسوي	Tragédien	ممثّل المآسي
أصل (135)	لوحة أصيلة	tableau authentique	لوحة أصليّة
	تضارب أصيل	opposition tenace	متجذّر
	علم الأصول	la théologie ; la jurisprudence	---
إلى (190)	إلى أين	jusqu'ou	إلى أي مدى
أين (276)	إلى أين	jusqu'ou ?	ou vas-tu ?
أمّ (194)	الأمة الإسلامية	la communauté islamique	la nation
آلة (253)	آلة جهنميّة	machine infernale	آلة متفجرة
أولو (254)	أولو الألباب	homme de cœur/ de bonne volonté	cerveaux

لا يدلّ المدخل (كرة الأرض) على ما أراده صاحب المعجم، إذ يقال بالّلغة العربية: كرة السّلة وكرة الطّائرة، وغيرها من الرياضات، أمّا الأدقّ هاهنا فهو (الكرة الأرضية). أمّا المؤلّف والممثّل اللّذين يؤديان أعمالاً فنية مأساوية، (مؤلّف مأسوي، ممثّل مأسوي). فربما يحسن أن يقابلهما (كاتب مسرحي ممثّل المآسي) كما ورد في بعض المعاجم. أمّا الطريقة التي ورد بها المدخلان فتوحي بأنّ المأساة صفة، حيث نسب إلى المأساة، ثم وصف بها كل من المؤلّف والممثّل. كما استعملت كلمة أصيلة في غير محلّها، في مدخلين (لوحة أصيلة، تضارب أصيل) في حين الأنسب للكلمة الأولى هو (أصليّة لوحة أصليّة) ⁽¹⁾ ومن الأمثلة التي تعكس صعوبة؛ بل واستحالة إيجاد مقابل دقيق للمداخل العربية كلّها مصطلح (علم الأصول)، وهو « معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة ». ⁽²⁾ الذي قابله بـ (la théologie) يعني علم اللاهوت، علم الرّبوبيّة، نظرية لاهوتية، أمّا (la jurisprudence)، فيقصد به قضاء، أحكام القضاء اجتهادات محكمة في اختصاص معيّن، ⁽³⁾ والواقع أنّ معنى المصطلح العربي مختلف تماماً عن معنى المصطلحات الفرنسية، لأنّ المصطلح العربي يدخل ضمن المصطلحات

¹ - ينظر: إدريس، سهيل. المنهل. ص 422، 1216، 851.

² - البيضاوي، عبد الله بن عمر. منهاج الوصول إلى علم الأصول. دمشق، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2006. ط1. ص 16.

³ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 1197.

الإسلامية، ولا يمكن مقابلته بمصطلح آخر من ديانة أخرى، وإذا حدث فلا بدّ من توضيح يبيّن الفروق القائمة بينهما. والأمر نفسه ينطبق على مصطلح أهل السنة والجماعة الذي قابله بـ ; sunnites (orthodoxes)، ومن الواضح أنّ مصطلح (orthodoxes) مصطلح مسيحي يشير إلى فرقة من الفرق المسيحية، ولا يمكن بأيّ حال جعله مقابلاً لمصطلح إسلامي، وقد يعتبر هذا الأمر إقحاماً لمصطلح أجنبي. وتكرّر المدخل (إلى أين) مرتين إلا أنّ المقابل الفرنسي غير دقيق، فالأصحّ هو (-ou vas tu ؟)، أمّا المقابل الفرنسي الوارد فيقاله في اللغة العربية إلى أيّ حدّ أو مدى؟

كما وصفت الآلة بجهنمية في المدخل (آلة جهنمية)، إلا أنّ هذا التعبير غير وارد في اللغة العربية في حدود العلم، يقال فكرة جهنمية أو خطّة جهنمية. أمّا أن توصف آلة بهذه الصّفة فمستبعد وقد ورد في المنهل كلمة أخرى هي (آلة متفجرة) لا جهنمية.⁽¹⁾ كذلك هناك ترجمة حرفية لكلمة (أمّ الخلّ) التي قابلها بـ (mère du vinaigre) وهذا تحريف لمعنى الكلمة في اللغة العربية، حيث ورد في الوسيط: « أمّ الخلّ هي الخمر ». ⁽²⁾ -أكرمكم الله- كذلك (الأمة الإسلامية)، يستحسن أن تقابل بـ (la nation islamique)، وليس بـ (la communauté)، فالجماعة الإسلامية معناها مختلف عن معنى الأمة الإسلامية. أمّا عبارة (أولو الألباب) فيُقصد بها العقول، أمّا المقابل الصّحيح لما أورده باللغة الفرنسية أي هو أولو العزم. ولا بأس بالتنكير بأنّ كلمة (ألباب) اتّفق معظم أصحاب المعاجم الثنائية الفصحى المطلاع عليها على شرحها بالقلوب باستثناء المستشرق شربونو، قد يُفسّر ذلك بتأثرهم بالمصدر نفسه، حيث وردت كذلك لدى المستشرق كازيمرسكي.

¹ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 656.

² - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (خاله).

5-5-3- عدم التّطابق بين العربية والفرنسية على مستوى التّراكيب:

3-5-3-1 عدم الدّقة في المقابل:

جدول يمثل عدم الدّقة في مقابلة التركيب العربي بالفرنسي

المدخل	التركيب العربي	التركيب الفرنسي
أبا (22)	أَنْتَ بَأَبِي وَأُمِّي	tu me tiens lieu de père et de mère : tu es tout pour moi
أثّر (31)	تأثّر تأثّرًا حسنًا	être édifié (personne)
أكل (172)	تأكّل القوّة الشرائية	l'érosion du pouvoir d'achat
إله (188)	بركة الله فيك	que Dieu vous bénisse ; merci
	الحمد لله	bravo ! Dieu soit loué !
أمر (200)	إفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ بِهِ	fais ce qu'on te dit
أمل (203)	لَا يَبْقَى هُنَاكَ أَيُّ أَمَلٍ	il n'y a plus d'espoir
أب (237)	أَوْبُ أغنية	reprendre un refrain
إله (188)	ما شاء الله	formule d'encouragement comme Dieu le veut

يعكس هذا الجدول عدم الدّقة في إيجاد المقابلات الفرنسية لبعض العبارات، منها مقابلته جملة (تأثّر تأثّرًا حسنًا) بالفعل الفرنسي الذي يقابله بدقّة الفعل (اقتدى)، وكذا الجملة (أنت بأبي وأمي) بجملة فرنسية لا تطابقها في المعنى، فالعبارة العربية نقال في سياق آخر بمعنى أفديك بأبي وأمي، أو أنت أعلى من أبي وأمي. أمّا بالنسبة لجملة (بركة الله فيك) فقد وظّف الاسم، والصّواب أن يوظّف الفعل (بارك الله فيك)، وسجّل خلل على مستوى المقابل الأوّل لجملة (الحمد لله)، إذ لا تعني مطلقا ما أورده المستشرق (bravo!)؛ ولا يمكن أن يقال هذا الكلام لله عزّ وجل، لأنّها تحمل معاني التّشجيع وتعالى الله وتسامى عن مثل هذه الصفات والأفعال وهو تشويه يؤثّر سلّبا على العقيدة الإسلامية؛ بل الصّواب هو المقابل الثّاني (Dieu soit loué!)، والأمر نفسه مع جملة (إفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ بِهِ). وقد يكون الصّواب في جملة (لَا يَبْقَى هُنَاكَ أَيُّ أَمَلٍ) أن يكون النّقي بـ لم (لم يبق...)، أمّا آخر مدخل في الجدول، فقد حدث خلل على مستوى الفعل، فالفعل (أوب) لا يستعمل في السّياق الذي ورد فيه؛ بل الأفضل قول: (كّرر الأغنية، أو أعاد). وقابل عبارة (ما شاء الله) بجملة فرنسية تخالفها في المعنى تماما، فهذه الجملة توظّف عند رؤية نعمة عند الآخر؛ وللتعبير عن الإعجاب والاستعانة بالله لحماية المعجب به، وهناك فرق بين هذا المعنى وما أورده المستشرق.

5-3-2- المقابل غير مناسب:

جدول يمثل عدم التناسب بين اللغتين

التركيب العربي	التركيب الفرنسي	المدخل
إذن قاصر	émancipation d'un mineur	أذن (62)
أفك عن رأيه	changer d'opinion	أفك (152)
التأليف بين الأقمشة، الألوان	assortir les étoffes, les couleurs	ألف (181)
على أمل يائس	déçu ; désabusé	أمل (203)
أمل تأملاً خيراً	donner de/ entretenir l'espoir ; promettre...	
لننتأمل هذا المثل	prenons cet exemple	
الأمل بالمستقبل	la foi en l'avenir	
صرتَه أنفاً	tuer qqn sur le coup	أنف (223)
هشَّ به متأهلاً	accueillir avec affabilité	أهل (233)
آل معاشا إلى	réserver une pension à	آل (251)
أيلولة إلى هـ	hériter de	
تركوا النساء أيامى	ils n'ont laissé que des veuves	أيام (275)

إنَّ تأمل العبارات العربية الواردة في الجدول وما يقابلها باللغة الفرنسية، يبيِّن عدم الدقة التي تميّزت بها الجمل الفرنسية، وأحيانا هي بعيدة عن المعنى الحقيقي، وسيكتفي البحث بالمدخل الأخير فالمقابل الصحيح للجمله الفرنسية هو (ما تركوا إلاّ النساء الأيامى).

المبحث الرابع: اللغة العربية في أعمال المستشرق دانيال ريغ

1- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث المستويات اللغوية:

1-1- رؤيته في ضوء المعجم: يبدو من خلال معجم المستشرق الفرنسي دانيال ريغ، وكذا من خلال مؤلفاته الأخرى، وبعض تصريحاته؛ أنه من محبي اللغة العربية؛ بل والمدافعين عنها، إلا أن لديه آراءً، قد تتناقض مع هذا الأمر، وهذا ما سيقف عنده البحث في هذه المحطة.

يقول النّاشر: « فهذا المعجم إذن هو الطريق الأقرب إلى اكتشاف الواقع العربي، وإلى مواجهة الوسائل الإعلامية من إذاعة وتلفزة وصحافة. إنّ وسائل الإعلام هذه ليست منطوية على نفسها: فهي تقوم بنشر معلومات عامة عن الواقع العالمي الذي ليس اقتصاديا وسياسيا فقط؛ بل تقني وعلمي وفني ورياضي أيضا... ولكنّها بكونها متّجهة إلى المجتمعات العربية، تعكس بطبيعة الحال حياتها الاجتماعية والحضارية الخاصة بها». ⁽¹⁾ يتحدّث النّاشر في هذه الفقرة عن قدرة المعجم على تقريب صورة العالم العربي إلى القارئ، وعليه الاستفادة ممّا يرد في وسائل الإعلام، باعتباره ينقل الواقع العربي بجميع مجالاته، وهذا يؤكد اهتمام المستشرقين بالتّعرف على العالم العربي، ويكشف عن أحد أسباب الاهتمام باللغة العربية. وممّا ذكر حول أسباب اهتمامه باللغة العربية من خلال ما جاء في معجمه، تمكين العالم الغربي من معرفة العالم العربي، « إنّ الدّوافع التي حدت بي إلى جمع هذه المختارات... تتبع من فتح أبواب العالم العربي... ولو من خلال الأدب». ⁽²⁾ والسؤال المطروح هو: هل يكفي الأدب للتعريف بمجتمع ما؟ ولابدّ أنّ العودة إلى تاريخ العرب، يفتّد الكثير ممّا جاء في ألف ليلة وليلة، الذي أبدع فيه المستشرقون أيّما إبداع في تصوير العرب وحكامهم على أنّهم رجال لهو وترف. كما صوّرت تلك المؤلفات الأدبية المسلمين على أنّهم متوحشون، وغيرها من الأوصاف السيّئة المنسوبة إلى العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

عبّر المستشرق دانيال ريغ عن رغبته في وضع جسر بين اللغة العربية والفرنسية، وجعل العربية وسيطا يسمح باكتشاف العالم المعاصر، مشيرا إلى تزايد عدد المهتمين بها، وبالنّسبة إلى نوع اللّغة التي يتعامل معها، فقد اختار مصطلح (اللّغة العربية الحديثة)، معلّلا ذلك بالاستجابة

¹ - ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. ص 10.

² - ريغ، دانيال. نصوص مختارة. ص 1.

للمتطلبات الجديدة للغة. ومما ورد في مدح اللغة العربية: « الإيجاز... حان وقت الاعتراف باللغة العربية⁽¹⁾». وهو ما قد يعني ضمناً، أنه لم يكن معترفاً بها.

أمّا من حيث المستويات اللغوية التي تضمّنها المعجم، فقد كانت الحصة الكبرى للفصحى بل وردت كلمات لم تعد مستعملة في العصر الحديث، مثل: (أَكْرَ، أَتَبَّة)،* فقد فرضت الفصحى نفسها، وتضمّن الدّخيل بنسبة (15,87%) والعامي بنسبة (2,69%). كما عكس معجمه قدراته الكبيرة في مجالات أخرى، ولاسيما القسم النّحوي والدّلالي، رغم أنّ البحث سجّل بعض الهفوات، إلّا أنّها لا تنقص من قدر معجمه وجهده المبذول، وهذا شأن كلّ عمل بشري، فالكمال لله وحده.

ومما يمكن تسجيله من خلال معجمه هو اجتهاده في مجال توليد الكلمات، اعتماداً على خاصية الاشتقاق، مثل: (مُؤَلِّس) تأثراً بالفرنسية (diamanté)، وكذا في الجمع والنسبة، كما اهتم من خلال معجمه الثنائي بالمصطلحات، وهي كثيرة نسبياً، شملت مجالات إنسانية كثيرة، مثل: المجال الديني واللّساني والأدبي، والتّاريخي، والجغرافي، وكذا علمية مثل: (الكيمياء، والفيزياء والآثار، والاقتصاد والطبّ والرياضيات). عموماً حاول المستشرق أن يكون موضوعياً قدر الإمكان إلّا أنّ الموضوعية في مجال العلوم الإنسانية أمر يصعب تحقيقه في كثير من الأحيان، تعكس الأبواب المدروسة موقفاً إيجابياً إلى حد ما اتجاه اللغة العربية، مع تسجيل بعض التّحفظات.

1-2- رؤيته في ضوء أعماله الأخرى: إنّ التّحليل الموضوعي لما أنتجه المستشرق، يعكس

فعلاً اهتمامه باللغة العربية، كيف لا وقد أصدر كتباً في مجالات كثيرة، منها الأدب، حيث اختار مقتطفات متنوّعة من الأدب العربي، وقد انحاز إلى الحديث منه، وهو يصرّح بهذا في أكثر من موضع، فاللغة التي يدعو إليها هي اللغة العربية الحديثة، باعتبار أنّ لغة القرآن الكريم والشعر الجاهلي هي لغة ميّنة أو على الأقل شبه ميّنة بالنسبة إليه.

ومن المؤلفات التي تعكس اهتمامه الكبير باللغة العربية، كتاب (ألف ألف فعل... كتاب التصريف)، وهو كتاب يعكس تمكّن المستشرق دانيال ريغ من اللغة العربية، وهنا تحدّث عن صعوبة تصريف الأفعال للعرب وغيرهم، كما نقد بشدّة طرائق التّعليم ولاسيما الصّرف والنّحو، ووصف كتبها

¹ - ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. ص15.

* أكر: حرث/ أنبة: باذنجال.

بالغموض، وتحدّث عن (خزعلات نظرية في النحو العربي)، ودعا إلى طرائق تربوية مباشرة.⁽¹⁾ إلّا أنّ المستشرق اعترف بقوة اللغة العربية ولاسيما بميزة الاشتقاق.

يمكن الإشارة كذلك إلى كتاب مترجم لدانيال ريغ ترجمه الأستاذ إبراهيم صحراوي، وقد تضمّن بعض المواقف اتّجاه اللغة العربية، عبّر عن آراء كثيرة حول اللغة العربية، ولاسيما في الفصل الأوّل الذي عنوانه بـ (اللغة العربية: الأسطورة والواقع)، وأهمّ ما قيل: « ومنذ 1830م لم تُعرف اللغة العربية كلغة حضارة، ولم يُعترف لها بذلك إلّا مجموعة من الأفراد القلائل هم المستشرقون على وجه التّحديد وهذا إلى حين استقلال الجزائر». ⁽²⁾ يربط هذا القول أفول نجم اللغة العربيّة بتاريخ احتلال فرنسا للجزائر، إلّا أنّه في الآن ذاته، يصرّح بأنّ المستشرقين هم وحدهم كانوا يعترفون بكونها لغة حضارة ويربط مجددا هذه الوضعية التي مرّت بها اللغة العربيّة باستقلال الجزائر، وكأنّ اللغة العربية لغة الجزائر وحدها، وما قد يُفهم من هذا الكلام، هو أنّه يتحدّث عن اللغة العربيّة في الجزائر، إذ حاولت فرنسا أن تكتم أنفاس اللغة العربيّة، ورغم أنّها لم تنجح في ذلك، إلّا أنّها تمكّنت من ترسيخ أفكار سلبية وغرسها في عقول بعض الجزائريين حول اللغة العربية، لا تزال هذه الأفكار موجودة إلى يومنا هذا؛ بل يزداد جني ثمارها يوما بعد يوم. والملاحظ في هذا الكلام أنّه تجاهل الوجه المشرق للعربية خلال العصور الذهبية. كما تحدّث عن القداسة التي تحظى بها اللغة العربية، وهو ما تسبّب في جمود البحث اللغوي وإصابته بالشّلل حسب قوله.

ومن التّسميات التي أطلقها على العربية ما ورد في هذا القول: « وهكذا فإنّ المسلم الإندونيسي، رجل الدّين الذي يعيش في أقصى شمال سومطرة ... الذي يمارس مهنية العربية (اللاهوتية)؟ الكلاسيكية، قد يلاقي صعوبات جمّة في قراءة مجلة عربية تصدر هنا أو هناك في كبريات مدن الشرق الأوسط أو المغرب». ⁽³⁾ وكأنّ اللغة العربية هي لغة دين فحسب، ولا يمكن التّعبير بها عن سائر حاجات الفرد، وهذا كلام غير صحيح، فاللغة العربية كانت لغة العلم والعالم في عصر ازدهارها، وما اشتكى أهلها يوما من عجزها؛ بل بالعكس، فهي تتميّز بثروة من المفردات.

1 - ريغ، دانيال. ألف ألف فعل... مقدّمة الكتاب.

2 - ريغ، دانيال. رجل الاستشراق (مسارات اللغة العربية في فرنسا). ص 53.

3 - المرجع نفسه. ص 36.

كما أنّ الذي يتحكّم في العربية الفصحى لا يمكنه أن يعجز عن قراءة مجلة، صحيح هناك كلمات ومصطلحات مستحدثة، لكن هذا لا يؤدي إلى العجز الكلي عن الفهم، فهذا الحكم فيه مبالغة. اعتبر المستشرق دانيال ريغ اللّهجات العربية المختلفة لغات، تفرّعت عن اللّغة الأمّ؛ وهو يلوم العرب، لأنّهم جعلوا الفصحى هي الرّسمية، وأقصوا العربية الحديثة.⁽¹⁾ قد يُفهم من هذا الكلام أنّ العربية الحديثة هي نفسها اللّهجة، وهذا غريب نوعا ما، إذا قورن بما ورد في معجمه، صحيح أنّه تضمّن بعض الكلمات العامية القليلة، إلّا أنّه تضمّن بالمقابل كلمات فصيحة؛ بل كلمات فصحى نادرا ما يستعملها العرب في عصرنا هذا؟ وهو ما قد يعكس غموض معنى (اللّغة العربية الحديثة) لدى المستشرق، ويلجأ إلى الاستشهاد بقول الفيلسوف المغربي محمد عزيز الحباني، «... والأمة العربية التي ليست في طور البدائية تعامل اللسان العربي، كما لو كان أسطورة ميثولوجية، فلقد رسخ في ذهن أوساط العامة، وحتى عند بعض المغفلين من الخاصّة، أنّ اللّغة العربية لغة أهل الجنّة... خلّقت كاملة وقواعدها قارّة نحوا وصرفا... لذا كل من أراد محاولة إصلاح نزلت به صاعقة اللّغات من كلّ صوب».⁽²⁾ وهذا كلام يحمل نظرة سلبية تجعل قواعد العربية أمرا يجب التخلّص منه.

كما أشار إلى العجز العلمي للّغة العربية، بسبب التّبعية المفرطة للماضي، والتعلّق الشّديد بالموروث الحضاري للعرب، مستشهدا بقول اللّغوي المغربي عبد القادر الفاسي الفهري: « لا نرى لماذا لا يُفصل حاضر اللّغة عن ماضيها... هذا الماضي الذي يقطع الطّريق إلى الاندماج في العالم الحديث على الذين لا يجروؤن على الانفصال عنه».⁽³⁾ لكن الملاحظة التي يمكن تسجيلها في هذا المقام، هي أنّ هناك خلطا بين مصطلحين مختلفين، وهما اللّغة العربية الحديثة واللّهجة العربية يقول: « والمستشرقون على الأقلّ أولئك الذين تلقوا تكوينا جيّدا في اللّسانيات العامة... يهملون عموما العربية الحديثة التي مازالت تسمى في الوقت الحالي فصحى باعتبارها أدبية، وبالتالي، فهي في حكم المصطنعة. واللّغة الطبيعية والحقيقية الوحيدة (الرّسمية) في نظرهم، هي اللّغة المنطوقة المسماة عادة باللّهجة».⁽⁴⁾ وهنا يكشف المستشرق عن الجانب اللّساني الذي يدعو إلى العاميّة على

¹ - ينظر: ريغ، دانيال. رجل الاستشراق (مسارات اللغة العربية في فرنسا). ص 37.

² - المرجع نفسه. ص 40.

³ - المرجع نفسه. ص 40.

⁴ - المرجع نفسه. ص 40.

حساب الفصحى، ويُفهم منه أنه مؤيد لهذا التيار. ثم تجده يهاجم الجامعات العربية، لإهمالها البحوث في مجال اللهجات بعد الاستقلال، ويضيف أن اهتمام المستشرقين المختصين في علم اللهجات بهذه اللغات، قد يكون تأكيداً للإرادة الغربية في الإبقاء على الشعوب المستعمرة في حالة من الجهل ولوجود أسباب إيديولوجية وعودة البلدان العربية إلى العروبة.⁽¹⁾ وهنا كشف عن زاوية أخرى تتعلق بمخططات غربية تسعى إلى إبقاء المسلمين بعيداً عن حضارتهم.

يواصل موضحاً اختلاف المواقف والآراء حول اللغة العربية، يقول: «والدراسات التي شرعوا في تخصيصها لها، تجعلنا نتفائل بمستقبل هذه الأبحاث... ومع ذلك، يبقى الغموض يكتنف عبارة: اللغة العربية بمجرد ذكرها، ذلك أنها لا يمكن أن تعني بالنسبة للبعض - وهذا كموضوع للدراسة على الأقل- سوى اللهجات، وعلى العكس من ذلك بالنسبة للبعض الآخر، فاللغة المقصودة هنا هي اللغة القرآنية، وبصورة عامة اللغة العربية الكلاسيكية لا غير».⁽²⁾ ويشير إلى حقائق تتعلق باللهجات واختلافها بين المشاركة والمغاربة، ويتوقف عند اللهجة الجزائرية: «حتى في اللهجة الجزائرية التي ينزع البعض إلى الحطّ منها على أساس أنها اللهجة التي تعرضت للتشويه أكثر من غيرها بفعل الاستعمار».⁽³⁾ وهنا يعترف بكون اللهجة متقرّعة عن الفصحى، وكلّما ابتعدت عنها عدّ ذلك تشويهاً لها، وهذا في حدّ ذاته تناقض في رؤية المستشرق دانيال ريغ.

يلتفت مجدداً إلى الفصحى قائلاً: «إنّ اللغة العربية هي إحدى أقدم اللغات الكونية، لكن ثقل المعجم الناتج عن هذا القدم يشكّل عائقاً أمام عملية تقدّمها، ويقيد التواصل الجيد للدولة العربية بالإضافة إلى صعوبة محو الأمية، ولم تصل بعيداً في مجالات البحث العلمي، يشير بعدها إلى دعوة الجامعة العربية إلى مؤتمر في الرباط لدراسة قضية التعريب سنة 1961م».⁽⁴⁾ يحمل هذا الكلام الفصحى مسؤولية التخلف في مجالات كثيرة، منها التعليم والبحث العلمي، وقد تجاهل مسؤولية الاحتلال الفرنسي وغيره في هذا التخلف عن الركب، ففي الوقت الذي شهد فيه الغرب تطوراً وتطويراً لعلومه، كان المسلمون قابعين تحت نير الاحتلال، فقد كانوا مكبلين ومنشغلين بالدفاع عن أوطانهم. وكان من نتائج

1 - ينظر: ريغ، دانيال. رجل الاستشراق (مسارات اللغة العربية في فرنسا). ص 41.

2 - المرجع نفسه. ص 43.

3 - المرجع نفسه. ص 44.

4 - المرجع نفسه. ص 46.

ذلك، عدم مسايرة هذا التطور. كما أنّ المسؤولية في الحقيقة تقع على أهلها لا على اللغة.

ومما ورد في الحوار الذي دار بين المستشرق ريغ والأستاذ إبراهيم صحراوي أنّه لُقّب بالمستشرق رائد اللغة العربية، وأنّه كوّن معلّمين لنظام لغوي صعب، وهذا في حدّ ذاته يعكس نظريته إلى اللغة العربية، وقد يعتبر تناقضا في موقفه، إذ يتحدّث عن مرونة اللغة من جهة، ومن جهة أخرى يرى أنّها صعبة، وهو يدعو في مواقفه إلى إحياء اللغة المحكية في الكتب، واستشهد بأدباء أسهموا في ذلك، مثل: (نجيب محفوظ)، يؤكّد الفكرة نفسها عند الحديث عن تعليم اللغة العربية، أنّه لا بدّ من البدء بتعلّم اللغة المحكية. ويشير إلى اقتسامه ولعه باللغة العربية مع طلابه.⁽¹⁾ وهذا يؤكّد مجددا غموض رؤيته للغة العربية.

أمّا في كتاب (أتعلّم العربية)، فاللّافت للنظر هو العبارة التي افتتح بها كتابه، وهي: «à la mémoire de mon père pour qui l'arabe était une langue vivante» (وفاء لذكرى والدي الذي كانت العربية لغة حيّة لديه)،* تعبّر عن الرّؤية الذاتية لعلاقة المستشرق بالعربية لكن يبقى معنى العربية الحية مجهولا، فهل يقصد به العربية الفصحى الحديثة، كما يسميها معظم المستشرقين، أو أنّه يقصد بها العاميّة؟ وختم تقديمه للعربية الحديثة، بقوله: «بدأنا نحن المستشرقين المستعربين في فهم مدى الخطأ الذي نرتكبه، إذا قرّرنا أنّ اللهجات وحدها يجب أن تدرّس لتلامذتنا كلغة حيّة، وأيّ انحراف، إذا اختيرت لهجة معيّنة كمادة تعليم، ولا يمكن مقارنة الوضعية اللسانية للعربية إلّا بوضعية الألمانية، إذ لا يسبّب تعدد اللهجات الألمانية عدم التفاهم بين الألمان، حيث يتمّ التّواصل بلغة مشتركة، والتّعليم الموجّه للأعداد الكبيرة لا يأخذ بعين الاعتبار إلّا اللغة المشتركة».⁽²⁾ ويواصل دعمه للعربية التي يسميها الحديثة.

ويقول في كتاب تعليمي: «سواء أشنّا أم أبينا العربية الحديثة واقع لسانی، وثقافي للعالم المعاصر، هي أداة تعبير لأكثر من مائتي (200) مليون، فهذه اللغة الوسطى والحيّة هي المعنية بالتّعليم، وهي التي يجب تعليمها».⁽³⁾ يشجّع هذا الكلام الاهتمام باللغة المشتركة بين العرب

¹ - حوار أجري مع المستشرق دانيال ريغ.

* وردت الجملة بالفرنسية.

² - Reig, Daniel. أتعلّم العربية، Manuel d'arabe moderne, lehrbuch fur neu-arabisch hand book for modern arabic. paris, Maisonneuve et Larose, 1981. 2^{em} édition. p8.

³ -ibid. p8.

وبتعليمها، وهي الفصحى. هذا ما يجعل المستشرق يخرج من دائرة المستشرقين الدّاعين إلى العاميّة وإن كان لا يعترض على تعليمها لغايات معيّنة، منها التّمكّن من التّواصل بها، أو أنّه تبنى رأيين مختلفين، إذ تجده تارة يدعو إلى العاميّة، وتارة أخرى يعترف أن اللغة الجامعة للعرب هي تلك اللغة المشتركة، وهل يملك العرب غير الفصحى لغة مشتركة، الجميع يعترف بأنّ العامية تختلف في البلد الواحد من منطقة إلى أخرى، فما بالك في بلدان مختلفة؟

وعليه يمكن تلخيص رؤية المستشرق دانيال ريغ للغة العربية، بالقول إنّ هناك تناقضا بين أعماله وآرائه، حيث ألف كتباً باللغة العربية الفصحى، وقد ذكر بعضها عند التعريف بالمستشرق كما تعكس ترجمته لبعض الأمثال والحكم الواردة بالمعجم إتقانه للغة العربية الفصحى إلى حدّ كبير. إلّا أنّ هذا لم يمنع وجود آراء تعكس ميله إلى تشجيع اللهجات، وذلك لأسباب علمية ربطها باللسانيات الحديثة التي تجعل اللهجات أو ما يستعمل في التّواصل اليومي أولى بالاهتمام والدّراسة، من اللّغات الرسمية والمكتوبة.

كما أشار إلى أسباب إيديولوجية مرتبطة بالاستدمار، فاللغة الفصحى لديها مجالها الذي تستفيد منه بعض الدول الغربية، وهو ما يجعل بعض المستشرقين يهتمون بهذه اللغة، وفي المقابل هناك أسباب تجعلهم يشجعون اللهجات، ولاشك أنّ القارئ الكريم انتبه إلى أنّه يقال اللغة العربية واللهجات العربيّة، فالأولى بصيغة المفرد والثانية بصيغة الجمع.

2- رؤية المستشرق إلى اللغة العربيّة من حيث نظام الكتابة:

2-1- في ضوء المعجم: وظّف المستشرق الحرف العربي لكتابة الكلمات العربية في معجمه وهو متحكّم في اللغة العربية إلى حد كبير، وقد يعكس هذا الأمر أنّه موجّه للمتقنين للغة العربية، وهذه الفئة لا تحتاج إلى كتابة حروف اللغة العربية باللاتينية؛ بل على العكس من ذلك فهم مطالبون بالتحكّم في اللغة العربية بحروفها الأصلية، كما قد يعبرّ هذا عن توجّه المستشرق دانيال ريغ نحو اللغة العربية والخطّ العربي عموماً، فهو متأثرّ بالعرب إلى درجة كبيرة وطريقته المعتمدة في بعض أبواب المعجم خير دليل على ذلك.

يُفهم ممّا سبق أنّ المستشرق دانيال ريغ من أنصار الخطّ العربي، يعكس موقفه هذا اعتماده

الخطّ العربي في مؤلفاته، إلّا في بعض المواضع القليلة، وهو ما قد يُفسّر بأنّه اضطرّ إلى ذلك، لتقريب الكلمة إلى القراء من غير العرب. وكونه أدرج جدولاً بالحروف العربية ومقابلاتها الفرنسية، يدخل في تسهيل استعمال المعجم على الأجانب، ومراعاة لمنهجية المعاجم الثنائية والله أعلم.

2-2- رؤية المستشرق في ضوء أعماله الأخرى: يبدو أنّ المستشرق دانيال ريغ يستعمل

اللغة العربية بكلّ سهولة، وهو ما تعكسه مؤلفاته المذكورة، مثل: (كتاب أتعلم العربية) عرف القارئ أنّه ألف كتاباً كاملاً بالحرف العربي، لم يرد فيه أيّ حرف لاتيني، بما فيه مقدّمة الكتاب، وهو كتاب (ألف ألف فعل... وفعل)، وقد يُفسّر هذا بطبيعة القراء الذين يتوجّه إليهم بهذا العمل. فقد وردت المقدمة والتوضيحات بالفرنسية، وكُتبت كلمات الدروس بالعربية لغة وخطاً، وهناك مواضع ورد فيها الخطّ اللاتيني أمام الكلمة العربية، مثلاً: ⁽¹⁾ الإضافة: annexion

rapport d'annexion, 131, 186, 187. C'est le rapport du complément du nom au nom complété qui existe entre deux et quelque fois trois termes...

أمّا في المسرد الذي خصّصه للكلمات الواردة في المتن، فقد ذكر الكلمة العربية بالخطّ العربي، وأمامها الكلمة بالخطّ اللاتيني، ثم الكلمة الفرنسية، فالألمانية فالإنجليزية.

جدول يمثّل أمثلة لكلمات عربية مكتوبة بالخطّ اللاتيني ⁽²⁾

بالخط العربي واللاتيني	بالفرنسية	بالألمانية	بالإنجليزية
ابتعد ibta 'ada	s'éloigner	sich entfernen	to go away
انتظار intizār	attente	erwartung	waiting
حال ḥāl	état, situation	zustand	condition
استفهام istifhām	interrogation	frage	interrogation
حركة ḥaraka, at	voyelle brève	kurzer vokal	short vowel

¹ - Reig, Daniel. أتعلم العربية. manuel d'arabe moderne. p21.

² - ibid. p192, 193, 196, 207, 208.

يعدّ المستشرق دانيال ريغ من أهمّ المستشرقين الفرنسيين المحدثين، الذين اهتموا بالعربية الفصحى اهتماما كبيرا، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وتعكس مؤلفاته ولعه بالعربية، وهي مكتوبة بالخطّ العربي إلا في حالات قليلة، عندما يتعلّق الأمر بكتب تعليمية، فإنّه يلجأ إلى الخطّ اللاتيني وعلى نهجه سار المستشرق ماتيوي جيدر.

2-3- أفضلية الخطّ العربي للعربية: هذه نماذج لبعض الكلمات باللّغة العربية ومقابلاتها باللّغة الفرنسية، حيث تبيّن أنّ هناك كلمات عربية كثيرة تتكوّن من حروف قليلة جدا، مقارنة بالكلمات الفرنسية، ولا يمكن نفي العكس، إنّما هو من باب تفنيد ودحض الادّعاء القائل إنّ الحروف اللّاتينية أو اللّغة الفرنسية أكثر اختصارا من العربية، علما أنّ هناك كلمات عربيّة أيضا أطول من بعض الكلمات الفرنسية، وهي كلمات دخيلة في معظم الأحيان.

جدول لتراكيب عربية قصيرة مقابل تراكيب فرنسية طويلة

المدخل	التركيب باللّغة العربية	التركيب باللّغة الفرنسية
إلى (190)	الأمر إليّ	c'est moi qui décide ; à moi de jouer (fig)
أنّ (209)	لا شك أنّ	il n'y a pas de doute que
	كأنّ	comme si ; on dirait que
	بما أنّ	puisque ; étant donné que
أنثى (218)	تأنيث الكلمات	accord des mots au féminin
أنى (230)	أنى	comment ? comment serait-il possible que ? partout ou
آلة (253)	عمل آليا	fonctionner automatiquement/ comme un robot
إيا (263)	أعطيتك إياها (أعطيتُكها)	je te l'ai donnée
	متجاهلا إيانا	faisant semblant de nous ignorer

جاء هذا الجدول ردا على الدّاعين إلى كتابة العربية بالخطّ اللاتيني، والذين يزعمون اللّغة العربية، ويفضلون اللّغة الفرنسية، وهذا لا يُقصد منه الانتقاص من الخطّ اللّاتيني، فلكلّ لغة مكانتها وخصائصها التي تميّزها.

2-4- اللغة العربية في فرنسا حسب المستشرق دانيال ريغ:

يشير المستشرق دانيال ريغ إلى أنّ تعليم اللغة العربية، ولاسيما مؤخرا لم يعد يلقى اهتماما كبيرا بفرنسا، « ويبدأ بالتكوين معبرا عن عدم الرضا حول تعليم العربية في مراحلها المختلفة بفرنسة، رغم النّقد المحقّ منذ خمسة عشر عاما، سواء أكان ذلك على مستوى مضاعفة المناصب أم على مستوى تكوين الأساتذة، وتبقى وسائل نشرها ناقصة، رغم اهتمام السلطات العامة، حتّى السّنات القليلة الماضية، ورغم انتظار ما فتئ يتزايد منذ بداية السبعينات»⁽¹⁾. ليؤكد أنّ هذا المجال ليس بالمهم ضمن حركة الاستشراق «... وما هو سوى مظهر من مظاهر الحركة الاستشراقية، وقد يكون أقلّها تمثيلا للفكرة، التي أخذت عن الاستشراق إلى غاية سنوات 1979م»⁽²⁾. يعكس هذا الكلام الوضع المتردي للغة العربية في فرنسا « وعليه إذا أردنا إخراج اللغة العربية كلغة أجنبية من الخمول الفكري الذي عانتها مطوّلا حتى في الجامعات يجب علينا أن نحلّ في البداية السياق الثقافي الذي ظهر فيه هذا التّعليم وتطوّر، لمعرفة الأسباب العميقة والحقيقية للكآبة التي تخيم على الاستشراق الفرنسي المعاصر»⁽³⁾. ويشير بعدها مباشرة إلى « جعل السلطة تدرس العربية اللهجية إجباريا للطلّبة المفرنسين في السّننين الأولى والثّانية في معاهد وثانويات شمال أفريقية»⁽⁴⁾. يعكس هذا القول نظرة فرنسا والمستشرقين الفرنسيين إلى اللغة العربية وتشجيعهم عملية تعليم اللهجات العربية.

1 - ريغ، دانيال. رجل الاستشراق: (مسارات اللغة العربية في فرنسا). ص 48.

2 - المرجع نفسه. ص 51.

3 - المرجع نفسه. ص 49.

4 - المرجع نفسه. ص 49.

الفصل الرابع:

المعاجم الثنائية الفصيحة المرتبة دلاليًا

المبحث الأول: تحليل معجم (العربية الحية) لـ (شارل بيلا)

المبحث الثاني: تحليل معجم (لغة اليوم) لـ (ماثيو جيدر)

المبحث الثالث: تحليل معجم (اللسن) لـ (ميشيل قيطوط)

المبحث الأول: تحليل معجم (العربية الحية) لـ (شارل بيلا)

سيتناول هذا المبحث معجم المستشرق شارل بيلا (Charles Pellat)، الصادر سنة 1984م في

باريس، بعنوان:

(L'ARABE VIVANT mots arabes groupés d'après le sens et vocabulaire fondamental de l'arabe moderne.)

التعريف بالمستشرق شارل بيلا (Charles Pellat): يعدّ شارل بيلا من المستشرقين الذين كان مسقط رأسهم بالجزائر، حيث « ولد في سوق أخرس (الجزائر) [سوق أهراس]، بتاريخ 28 سبتمبر 1914م تلقى دروسه الثانوية في ليسه ليوتي بالدار البيضاء، وحصل على البكالوريا الجزء الأول 1931م، والثاني رياضيات 1932م، ثم على ليسانس اللغة العربية من جامعة بوردو (1933-1935)، وشهادة العربية من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط (1935)، وشهادة لغة البربر من كلية الآداب بجامعة الجزائر (1938)، وإجازة الأستاذية أجريجاسيون بالعربية ثمّ الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس (1946-1950)، وأدى الخدمة العسكرية (1935-1946)، وعيّن أستاذا في معهد مراكش (1934-1935)». ⁽¹⁾ وبعدها شغل منصبا وزاريا، وسلسلة من المناصب بباريس، « ومتبعا بوزارة الخارجية (1946-1947) وأستاذا في ليسه لوي لي-جران (1947-1951) وفي مدرسة اللغات الشرقية (1951-1956) وفي السوربون (1956)، ومديرا لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس السوربون (1972)، ومديرا لدائرة المعارف الإسلامية في نشرتها الفرنسية (1956)، وعضوا في مجمع ما وراء البحار (1973)، وعضوا في مجلة الإسلام والعصر الوسيط الصادرة في دلهي باللغة الإنجليزية (1970)، وقد انتدب لبعثات علمية، وإلقاء دروس ومحاضرات (معظمها بالعربية) في السنغال وموريتانيا، والمغرب، وتونس وليبيا، ولبنان والأردن وسوريا، والعراق والعربية السعودية، والهند، والباكستان. ثم لإلقاء دروس في جامعة برنستون». ⁽²⁾ ورد في موسوعة المستشرقين أنّه « توفي فجر الأربعاء 28 أكتوبر 1992م». ⁽³⁾ بتأمل سيرته الذاتية، يظهر أنّه مستشرق فرنسي ولد بالجزائر، تعلّق باللغة العربية، إذ رغم توجّهه العلمي في بداية تعليمه، إلّا أنّه تحوّل

¹ - يحي، مراد. معجم أسماء المستشرقين. ص 330، 331.

² - المرجع نفسه. ص 331.

³ - بدوي، عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين. ص 117.

إلى اللغة العربية في اللسانيات وما بعدها، وقام بمهمة لدى الحكومة الفرنسية (وزارة الخارجية)، ودرس بمراكش وبعدها بفرنسا، وشارك في أعمال كثيرة منها دائرة المعارف الإسلامية، وهو ما يعكس نشاطه المتنوع. فيما يأتي، أهم أعماله العلمية والأدبية:

أهم أعماله: ارتبط اسم المستشرق شارل بيلا بالجاحظ، فقد كان مهتما بدرجة كبيرة بهذا الأديب وله مؤلفات كثيرة، بعضها متوفر في المكتبات والمواقع الإلكترونية، وبعضها يصعب الوصول إليها ومما كتبه: (الوسط العلمي في البصرة وتنشئة الجاحظ)، وهو عمله في رسالتي دكتوراه، وأتبعها بثماني دراسات، كما كتب مادة (الجاحظ) في دائرة المعارف الإسلامية، ونشر ست رسائل للجاحظ، بالإضافة إلى كتب في اللغة والأدب العربي.⁽¹⁾ من الكتب المرتبطة باللغة العربية: اللغة والأدب العربي باللغة الفرنسية (langue et littérature arabes)،⁽²⁾ وقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1952م. ومن مؤلفاته كتاب مدخل إلى اللغة العربية الحديثة (introduction à l'arabe moderne)، الذي قدّم فيه المبادئ الأولى لتعليم اللغة العربية التي سماها (الحديثة)، قسمه إلى خمسة أقسام، تناول في الأول قواعد اللغة العربية، بدءاً بالأصوات والإعراب والتّصريف والضمائر والتّعريف والتّكثير، والعدد، والاشتقاق البناء للمجهول والشرط، وأورد بعض النصوص متنوعة بجدول للتّصريف، ختمه بمسرد للكلمات الواردة في الكتاب وفق ترتيب ألفبائي.⁽³⁾ والملاحظ أنّه وظّف اللغة الفرنسية لتقديم الدّروس، وكذا الحرف اللاتيني، لكتابة بعض الكلمات العربية، وأورد جدولاً للحروف اللاتينية المقابلة للحرف العربي. بالإضافة إلى (نصوص من الصحافة العربية) (recueil de textes de la presse arabe)، الذي ورد ذكره في كتاب المؤلفات حول العالم العربي.⁽⁴⁾ وكتاب (L'Islam, d'hier à aujourd'hui by Bernard (Lewis, Charles Pellat) ومن أعماله، مقال في مجلّة اللسان العربي، بعنوان: (مشاكل نقل الأصوات)، أشار فيه إلى وجود منهجين، لنقل الأصوات لدى علماء اللغة، قد يكون حرفياً (Translitteration) يعتمد على نقل أحرف الكلمة الأجنبية حسب طريقة مصطلح عليها، دون اعتبار النطق الحقيقي للكلمة، مثل:

¹ - ينظر: بدوي، عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين. ص 117، 118، 119.

² - voir: Pellat, Charles. langue et littérature arabes. Paris, librairie Armand colin, 1970. p 7.

³ - voir: Pellat, Charles. introduction à l'arabe moderne. . Paris, librairie d'Amérique et d'orient. 1974.

⁴ - Mardam, Farouk -bey, Roselyne du parc Locmaria. mille et un livres sur le monde arabe, catalogue d'ouvrages de recherche et de documentation. édités en France, institut du monde arabe, 1989. p136.

« (Al- dar) (ال-دار) عوض (A d'dar). النقل الصوتي أو الوضعي (Transcription phonétique). وهو منهاج يعتمد على نقل الكلمات حسب الشكل الذي تنطق به، مثل: (Ad-dar) في اللهجة العامية».⁽¹⁾ يعكس هذا الموضوع تمكنه في مجال الكتابة الصوتية، ذكر المستشرق بعض الصعوبات المتعلقة بالتشكيل وصعوبته، إلا أن الأمور تغيرت وزالت بعض المشكلات التي أحال إليها، لاسيما أن المقال كتب سنة 1964م، حيث كانت معظم البلدان العربية حديثة العهد بالاستقلال، والعربية كانت تعاني العزلة عن التقنيات الحديثة.

1- التّعريف بالمعجم:

1-1- المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1- عنوان المعجم:

L'ARABE VIVANT mots arabes groupés d'après le sens et vocabulaire)

(fondamental de l'arabe moderne)، يتّضح من خلال هذا العنوان أن المعجم يحوي مفردات اللّغة العربية الأساسية المعاصرة، وقد وسمه (العربية الحيّة)، نُشر في باريس سنة 1984م. يبدو أنه ضمّن بعض اللّهجات، لأنّه أشار في تقديمه إلى وجود كلمات محلية لمناطق مختلفة، مثل: (الجزائر مصر، العراق المغرب، تونس)، وغيرها. فهي مرتّبة وفق الحقول الدّلالية. تضمّن هذا المعجم ثلاثة وستين (63) حقلا دلاليا أو بابا، تناول فيها كل ما له علاقة بحياة الإنسان، ورد منهجه المعجمي في التّصدير الذي افتتح به المعجم وختمه بملحق أو قائمة ببعض الكلمات العربية ومقابلاتها الفرنسية مرتبة ترتيبا ألفبائيا على أساس الجذور مع الإشارة إلى قائمة المصادر والمراجع.

1-1-2- النّشر: صدر عن دار النّشر المكتبة الأمريكيّة والشرقيّة، أدريان ميزو نوف باريس

1984م. (librairie d'Amérique et d'orient, Adrien Maisonneuve, j. paris.).

¹- بيلا، شارل. "مشاكل نقل الأصوات اللّغوية". في مجلّة اللّسان العربي. الرباط، المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية 1384هـ-1964م. ع1. ص 85.

1-2- مقدمة المعجم: (كلمة أو تصدير)* لا يمكن ادعاء إمكانية اختصار مفردات اللغة العربية الحية حاليا في مائتين وخمسين (250) صفحة، وذلك من خلال الكتب الأدبية والعلمية والجرائد والمجلات والحصص الإذاعية والمحاضرات والخطابات، وبطريقة متزايدة الحوارات الراقية والمفردات (vocabulaire) التي نقدّمها لزملائنا وتلاميذهم، بعيدة عن الكمال فهي جزء من كلّ، ونعلم أنّ كلّ واحد منهم، سيكتشف نقائص سيكون له شرف استكمالها، بكتابة الكلمات الجديدة التي يجدها في قراءته ويجمعها ربّما بالصدفة. إنّ هدفنا عملي بالدرجة الأولى، وهو أكثر تواضعا في الآن ذاته، وذلك حتى لا نحمل ذاكرة التلاميذ المتفوقين فوق طاقتها، بمادة معجمية غير مفيدة في معظم الأحيان، ولتوجيه جهود الشباب المستعربين، ولمساعدتهم على اكتساب معجم فعّال ومركّز ولكنّه كاف، لن نشعر بالتقصير اتّجاه المستعربين بهذا الاختيار الذي يبقى على المصطلحات التي تتكرر بكثرة، (les termes dont l'indice de fréquence est assez élevé)، وهو ما يبرّر تقديمها في الأقسام الثانوية كمادة تعليمية، وكذا في المؤسسات التي تستقبل مبتدئين كبار.

يهدف هذا العمل إلى أن يكون قاعدة صلبة، ومحاولة لتطبيق المناهج الإحصائية المعمول بها في تعليم لغات حية أخرى على اللغة العربية، نظرا للنتائج الطيبة التي أثمرتها. هذا ونعلم أنّ هذه المناهج لديها دعاة ومعارضون، وكلّ فريق يتعصب لرأيه ويرفض الاتفاق والنقاهم، وهذا ما يؤدي إلى الغموض، ويصعب معرفة حقيقة الأمر. لنكون صادقين، فالمنهجية الإحصائية يستحيل أن ترتكز على إحصاء اليد العاملة البشرية حتى وإن انكبت مجموعة من الفرق المؤهّلة والمجدّة، للنهوض بهذه المهمة وبذلت قصارى جهدها، فبالنتائج المبهرة للرياضيات ستكون خاطئة في جزئياتها، وهو ما يفرضه الواقع وسرعة تطوّر اللغة العربية الحديثة ستكون الصّعوبات أكبر، بسبب وجود كلمات كثيرة تحمل كل منها معان متعدّدة، (مشكلة تعدّد المعاني للكلمة الواحدة) ولكي نقول كل شيء أو بصراحة بسبب الفوضى الدلالية لهذه اللغة التي تتأى عن الثبات (par l'anarchie sémantique de cette langue qui hésite à se fixer)* إذا أردنا لهذه الآلية الجميلة أن تسير بطريقة مُرضية، سيكون من الضروري أن ندخل عليها تحسينات.

* وردت هذه الكلمة باللغة الفرنسية في المتن: (avertissement).

* يحيل المستشرق القارئ في هذه النقطة إلى الهامش، ليقول: إنّ هذا الكلام موجود في مرجع له كتب فيه عن العربية بعنوان اللغة العربية لغة حية في كتاب أرض الإسلام سنة 1946. (L'Arabe, langue vivante dans En Terre d'Islam).

في البداية، تجسد هذا الكتاب بواسطة جرد دقيق للصحافة الشرقية اليومية التي قام بها م. بريل (M.Brill) ومساعدوه، والذي نُشر سنة 1940 بالقدس، تحت عنوان "قاموس الصحافة العربية اليومية" (Qamus as-sahafa al-arabiyya al-yaumiyya)، لقد قَدَّمنا سنة 1943 في كتاب أرض الإسلام (En Terre d'Islam) تقريراً مفصلاً يعطينا من الوقوف مطوّلاً عند النتائج المشجعة جداً التي حقّقها المؤلفون في ثلاثمائة وألفي (2300) كلمة، وهو ما يمثّل نسبة (90.8%)، وثلاثة آلاف (3000) كلمة أيّ نسبة (94.8%) من مجموع كلمات الصحافة، الذي يمثّل في هذا الإحصاء (6000) كلمة، وعليه فإنّ هذه الإحصائيات، لا تمثّل إلاّ الصحافة اليومية لفترة زمنية محدّدة، فالقائمة المحقّقة، لا تمثّل إلاّ جزءاً محدوداً، إلاّ أنّها تمثّل مرجعاً رئيساً، بمعنى أنّها توضح الطريق الواجب اتّباعه، ويمكن الاستفادة منها كنقطة انطلاق بإجراء جرد دقيق، وانطلاقاً من هذا الكشف باعتماد طريقة المقارنة والإقصاء المتتابع نعترف بأنّنا حقّقنا بدورنا بطريقة موضوعية نوعاً ما؛ قائمة أولية بأقل من (2700) كلمة، التي تمثّل بفضل درجة تواترها واستعمالها (90%) من المعجم العام، أو بطريقة أخرى في نص بمائة كلمة؛ نجد أنّ متوسط تسعين كلمة موجودة في قائمتنا، وقد قمنا باستخراج هذه النسبة، بعد عملية مسح في مجموعة من النصوص الحديثة للأستاذ هنري بيريس. وبتدريس هذه القائمة بانتظام بمعدّل خمسين وأربعمئة (450) كلمة في السّنة، ونظنّ أنّ اكتساب هذا القدر من الكلمات، يتجاوز قدرة التّلاميذ ذوي القدرات المتوسطة، ويكرّ في الهامش (فضّلنا تسجيل القائمة الأساسية في المسرد العربي، ويمكن للأساتذة إحداث تعديلات شخصية، كما يمكن ذلك للتّلاميذ الذين يرغبون في تعلّم هذه القائمة بطريقة فردية، وسيكون هذا تمرين ممتاز لهم، أو تحت إشراف معلمهم، ولهم أن يختاروا من مختلف الأبواب المصطلحات الأولية في المسرد، وسيكون لهم فرصة تشكيل نموذجهم الشخصي).

كان بإمكاننا تقديم هذه القائمة النّموذجية، ولكننا رأينا أنّه يستحسن إدراجها ضمن قائمة أوسع، إلاّ أنّ الكلمات المختارة تمّ وضعها في شكل أبواب أو مجموعات، تبدأ بالطّبيعة، وتمسّ كل ما يتعلّق بالإنسان وظروفه ونشاطاته موضوعية وفق ترتيب مثالي، إنّ نتائج مختلف الإحصاءات التي قمنا بها تسمح كذلك للتّلاميذ، بتوسيع الأفق المقدم في القائمة النّموذجية، الأبواب المختلفة ستبيّن أنّه إذا كانت المفردات الحيّة بعيدة عن تحقيق الأبعاد التي تعطيها لها المعاجم فإنّه يجب عدم الاقتصاد على قائمة محدودة. لا شيء يمنعني بعد تجربة سنوات من تكوين قائمة أساسية، بغية حصر مفردات نصوص البكالوريا، كما تحقّق ذلك بالنسبة للغات الحيّة الأخرى، وهي كافية في السّنوات الأولى، وسيتمّ إثراؤه شيئاً فشيئاً، وهو ما سيمكّن الطّلبة الفرنسيين من معرفة اللّغة العربية المستعملة وبسرعة.

في المسرد العربي الذي يمكن أن يستعمل كمعجم عربي- فرنسي، فضلنا الاحتفاظ بالترتيب التقليدي وفق الجذور، رغم سلبياته الواضحة إلا أن فيه إيجابيات، حيث يسمح بسهولة استخراج الكلمة التي نحتاجها، ولا تقل فائدته أثناء تدريس النحو، بخلق أمثلة تشتمل على هذه الكلمات، ومهم أيضا تقديم قائمة أساسية يمكن لأي كان، إما تقليصها أو إثرائها حسب حاجته. لا بد أن معرفة هذه الجذور أمر ضروري، ولا يمكن الاستغناء عنها للمبتدئين الذين يجب أن يكونوا رؤية واضحة حول النظام الصرفي للعربية (système morphologique de l'arabe). كما تحدث عن علاقة الكلمات المشتقة بالجذر من حيث المعنى، وذلك ببيان أنه كثيرا ما تستقل هذه الكلمات بمعان مغايرة، لتلك التي يدل عليها الجذر، وهو ما يمكن تسميته دلاليا الانفصال عن المعنى الذي كان يجمعها تحت الجذر، ومثل لذلك بالفعل (ضرب)، الذي لا تربطه علاقة بمشتقاته.

في هذه الظروف وبعد تحديد حجم المعجم (المفردات)، لابد من الاعتراف أن لكل مفردة وجودا مستقلا ودلالة محدّدة، (واضحة دقيقة) رغم الغموض (تحسس المعاني)، الذي يؤخر استقرار العربية ونشير إلى التأثيرات الأجنبية التي أسهمت في استقرار جزء مهم، ومعتبر من الكلمات- الأكثر حيوية- وكثيرا ما يجد المترجم نفسه في حيرة أمام الكلمات التي تظهر بأشكال مختلفة، وتم التركيز على الاستعمال الشائع، لإيجاد المقابل الدقيق لكل كلمة في لغتنا، أو المقابلات في حالة تعدد المعاني، هذا الإجراء سمح بتحقيق نتائج مشجعة، ففي الشمال الإفريقي بصفة خاصة، يشير إلى بعض الكلمات المحلية الخاصة بمناطق معينة، وأنه للتنبية أتبع الكلمة برمز، مثل: (الجزائر- A، تونس- T...). لكنه بين أن هذه الظاهرة قليلة، والغالب هو وحدة اللغة العربية. ختم تصديره بتوجيه الشكر للسيد هنري بيريس (Henri Pérès) أستاذ بكلية الآداب بالجزائر، الذي قدم له العون والنصح، وكذا السيد جيورج. س كولين (M. Georges S. Colin) أستاذ في مدرسة اللغات الشرقية، ولمعهد الدراسات العليا المغربية الذي اهتم بمراجعة العمل وتقديم ملاحظاته القيمة، وما يسجل أن المستشرق أورد هذا التصدير باللغة الفرنسية.

1-3- المعلومات الواردة في بداية المعجم:

1-3-1- مصادر مادة المعجم: لم يذكر المستشرق شارل بيلا معجما أو مرجعا بعينه، وإنما بيّن أنه رجع إلى مصادر حديثة، حيث قال: « لا يمكن ادّعاء إمكانية اختصار كلمات اللغة العربية الحية حاليا في مائتين وخمسين (250) صفحة، وذلك من خلال الكتب الأدبية والعلمية والجرائد، والمجلات والحصص الإذاعية والمحاضرات والخطابات، وبطريقة متزايدة الحوارات المرموقة».⁽¹⁾ وهي معطيات عامة لا تقدم معلومات دقيقة عن مصادره.

1-4- تصنيف المعجم:

1-4-1- معجم للناطقين بلغة المتن: أراد المستشرق شارل بيلا التوجّه بهذا العمل للفرنسيين الذين لديهم رغبة في التعرف على اللغة العربية، حيث ورد في تقديمه: «... وسيتّم إثراؤه شيئا فشيئا وهو ما سيمكّن الطلبة الفرنسيين من معرفة اللغة العربية المستعملة وبسرعة».⁽²⁾ يتّضح ممّا سبق أنّه يقصد الفرنسيين بهذا العمل أو المفرنسين.

1-4-2- معجم للتعبير: تبيّن أنّ المفتاح للحكم على معجم ما أنّه للفهم أو للتعبير، هو لغة المتن فإذا كانت لغة المتن هي لغة الناطق باللغة، فإنّ هذا يعني بأنّه معجم للتعبير، والعكس إذا كانت لغة الشرح هي لغته، فالفكرة أو الكلمة موجودة لدى القارئ بالفرنسية، لكنه يريد مقابلها في اللغة العربية، وإن كان الأمر فيه نظر، لأنّ المستشرق بيلا أورد الكلمات مستقلة دون وضعها ضمن سياق يساعد القارئ على توظيفها، وسيكون صعبا على القارئ الأجنبي توظيف الكلمات العربية ضمن سياقات، إلّا إذا كان لديه معرفة مسبقة، أو إذا اعتمد على مراجع أخرى، وللعلم فقد ضمّن المستشرق معجمه بعض التعبيرات والأقوال المأثورة، قد تمكّن المستعمل من إنشاء جمل.

1-4-3- معجم باللغة الفصيحة: يتضمّن المعجم لغة عربية فصيحة، سماها المستشرق بيلا اللغة العربية الحديثة، بمعنى أنّه اكتفى بالكلمات العربية الفصيحة المستعملة، وأقصى الكلمات القديمة والمهجورة، وهي الاستعمالات التي يجدها القارئ في الصحافة العربية.

¹—voir Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT mots arabes groupés d'après le sens et vocabulaire fondamental de l'arabe moderne. Paris, librairie d'Amérique et d'orient, 1984. avertissement, p1.

² - voire: ibid. p2.

1-4-4-الكثابة بالحرف العربي: وظف صاحب المعجم الحرف العربي لكثابة كلمات اللّغة العربية الواردة

بالمثن، باستثناء موضع واحد، عندما مثّل بيلا في تقديمه بالفعل (ضرب)، ككتب بالحرف الفرنسي (daraba).⁽¹⁾ قد يكون الأمر، لتقريب الكلمة من فهم القارئ الفرنسي، بما أنه كتب مقدمته بالفرنسية.

1-4-5-معجم عام: ذكر أنه سيشمل، كل ما له علاقة بالإنسان.⁽²⁾ ولا يختصّ بمجال بعينه.

1-4-6-معجم دلالي: يُصنّف ضمن المعاجم المرتبة حسب الموضوعات، أو ما يمكن تسميته حديثًا

بالحقول الدلالية.

جدول يمثل تصنيف المعجم

للناطقين بلغة المتن	+	للناطقين بلغة الشرح	
اللغة الفصحى	+	للغة العامية	
للتعبير	++	للفهم	+
تاريخي		وصفي	+
عام	+	متخصص	
الخطّ العربي	+	النقحرة	

يتوجّه المستشرق شارل بيلا إلى المفرنسين بالدرجة الأولى، وكانت لغة المتن هي الفرنسية حيث يسعى إلى مساعدة القارئ على التعبير باللغة العربية بالدرجة الأولى وعلى الفهم، فالقارئ لديه أفكار بلغته، ويلجأ إلى مثل هذه المعاجم، ليتمكّن من التعبير عن أفكاره باللغة العربية في هذه الحالة، وقد وظّف اللّغة العربية الفصحى مع وجود بعض الكلمات العامية، إلاّ أنه وضع للفصحى الحديثة حسب تعبير المستشرق، واستمدّ مادته من الصحافة العربية وكتب بالحرف العربي. اعتمد الترتيب الدلالي تناول معظم مجالات الحياة، وهو ما يجعله من المعاجم العامة.

¹— Pellât, Charles. L'ARABE VIVANT p4. (avertissement).

²-. ibid.p2. (avertissement).

2- قضايا الجمع في المعجم:

سيقف البحث عند موضوعات المعجم وإحصاء كلماتها، وتحديد مستوياتها اللغوية.

2-1- موضوعات معجم شارل بيلا: ستكشف هذه المحطة عن نوع الموضوعات وعددها.

جدول يمثل موضوعات المعجم

محور	عنوانه	محور	عنوانه
1	الكون، والأرض، والسماء، الهواء والمناخ	17	التغذية
2	الماء، النار، الحرارة، والضوء	18	العلاج والملابس والحلي
3	الوقت	19	المجتمع
4	الفضاء	20	المدينة والريف
5	الحيوانات	21	الحفلات والأعراس
6	الطيور، والأسماك، والزواحف، والحشرات	22	الرياضة
7	النباتات والمعادن	23	الرحلات
8	جسم الإنسان	24	الروح والفكر
9	الراحة والحواس الخمس والنوم	25	الإرادة ومظاهرها
10	الأمراض	26	الكلام والخطاب
11	العائلة	27	التعليم والثقافة والامتحانات
12	الميلاد والنمو والزواج والطلاق	28	المدرسة
13	الموت والأحزان والنجاحات	29	الأعداد والحساب
14	نمط الحياة	30	الكتابة والنحو
15	السكن	31	الأدب والطباعة
16	التأثير	32	علم الآثار والتاريخ
33	الجغرافيا	49	الإدارة الاستعمارية
34	الفلسفة	50	العلاقات / الدبلوماسية
35	الرياضيات	51	الصحافة والدعاية
36	الفيزياء والكيمياء	52	الوطن والواجب
37	الكهرباء	53	الجيش البري
38	الطب	54	الحرب
39	الفنون والسينما والراديو	55	الحرب البحرية
40	المحاسن	56	الطيران والحرب الجوية
41	العيوب	57	الاقتصاد والعمل والحرف
42	الأحاسيس	58	الفلاحة
43	الأديان	59	الصناعة
44	الحكومة	60	العملات، والأوزان، والقياسات
45	السياسة	61	وسائل النقل
46	الإدارة	62	البريد والمواصلات
47	الشرطة والجرائم	63	التجارة
48	العدالة	64	البنك والمالية

تم تقسيم مادة المعجم إلى أفعال وموصوفات وعبارات، وأحيانا هناك أقسام إضافية مثل: باب (l'école) الذي أضيف إليه أسماء الأعداد، وباب (la géographie) الذي تضمن أيضا: (أسماء البلدان والجبال، وشبه الجزر والبحار، والأنهار، والمدن). ما يلاحظ أن المستشرق بيلا أحاط بكل المجالات التي يحتاجها الإنسان في حياته، بدءا بما يحيط به في الطبيعة وجسمه وعلاقاته الشخصية، والعلمية والاجتماعية، والثقافية، والسياسية يعكس ذلك، كثرة أبواب المعجم التي بلغت أربعاً وستين (64).

2-2- عدد الكلمات والعبارات في المعجم: بلغ عدد كلمات المعجم ككل، أربعاً وستين وثلاثمائة وثمانية آلاف (8364)، بالإضافة إلى العبارات الواردة. وسيتم التفصيل في عدد كلمات كل مجال لمعرفة أي المجالات اشتملت على أكبر قدر من الكلمات.

جدول يمثل حقول المعجم من حيث عدد الكلمات

المجموعة	عدد كلماتها	عدد المجالات	النسبة
الأولى	[250-201]	05	07.81%
الثانية	[200-151]	16	25.00%
الثالثة	[150-101]	24	37.50%
الرابعة	[100-50]	19	29.68%
المجموع	8364	64	99.99%

يعكس الجدول تفاوت عدد الكلمات والعبارات التي تضمنتها حقول المعجم، إذ أكبر حقل هو الباب الثاني والأربعون (42) بعنوان الأحاسيس (Les sentiments)، بلغ فيه عدد الكلمات أربعين ومائتين (240). أما من حيث العبارات، فالحقل الأكبر عددا هو الثالث (3)، بعنوان الوقت (le temps) بلغ عدده ثلاثة ومائة (103). وسجل الحقل الثاني والستون (62) بعنوان (البريد والمواصلات) (poste et correspondance) أقل عدد، بـ سبع وخمسين (57) كلمة، واحتوى الحقل السادس عشر (16) بعنوان "التأثيث" (l'ameublement) على ثلاث (3) عبارات.

تضمنت المجموعة الأولى حقل (الأحاسيس) بـ (240) كلمة، يليه حقل (المجتمع)، بسبع وثلاثين ومائتي (237) كلمة، وواحد وأربعين عبارة، ثم (الروح والفكر)، باثنتين وثلاثين ومائتي (232) كلمة وثلاث وسبعين (73) عبارة. ف (الجغرافيا) بأربع وثلاثين ومائتي (234) كلمة، وسبع (7) عبارات. ثم (الأديان) بواحد وثلاثين ومائتي (231) كلمة، وأربع وثلاثين عبارة (34). يلاحظ أن هذه الأبواب متقاربة من حيث العدد.

وتأتي المجموعة الثانية على رأسها حقل (الفنون والسينما والراديو) باثنين وتسعين ومائة (192) كلمة، وواحد وأربعين (41) عبارة، ثم حقل (التعبير عن الإرادة) بتسعين ومائة (190) كلمة، وأربع وأربعين (44) عبارة، ثم (الأدب والطباعة) بثمان وثمانين ومائة (188) كلمة، وثلاث وثلاثين (33) عبارة، يليه حقل (جسم الإنسان) بخمس وثمانين ومائة (185) كلمة، واثنين وثلاثين (32) عبارة. وحقل (الحرب) بتسع وسبعين ومائة (179) كلمة، وثلاث وستين (63) عبارة. ثم حقل (الكون والأرض والسماء والهواء والمناخ) بـ سبع وسبعين ومائة (177) كلمة، وأربع وثلاثين (34) عبارة، وتختتم هذه المجموعة بحقل (التجارة) بسبعين ومائة (170) كلمة، وتسع وعشرين (29) عبارة. ثم حقل (الأعداد والحساب) بخمس وستين ومائة (165) كلمة، وثلاثين (30) عبارة، ثم حقل (الشرطة والجرائم) بأربع وستين ومائة (164) كلمة، واثنين وأربعين (42) عبارة، ثم حقل (الزمن)، بثلاث وستين ومائة (163) كلمة، وثلاث ومائة (103) عبارة. ثم حقل (الفيزياء والكيمياء)، بتسع وخمسين ومائة (159) كلمة، واثنين وعشرين (22) عبارة. ثم حقل (الماء والنار والحرارة والضوء)، بـ ست وخمسين ومائة (156) كلمة، وتسع عشرة (19) عبارة. تليها (الصحافة والدعاية) و(الجيش البري) بـ خمس وخمسين ومائة (155) كلمة، وثلاث وأربعين (43) عبارة لكل من الحقلين.

يظهر على رأس المجموعة الثالثة حقل (التغذية) الذي تضمّن خمسين ومائة (150) كلمة. بالإضافة إلى اثني عشرة (12) عبارة، يليهما حقل (العلاج والملابس والحلي)، وحقل (الزراعة) بـ ثمان وأربعين ومائة (148) كلمة، وبتسع (09) عبارات للأول وإحدى عشرة (11) للثاني، ثم (العدالة) بسبع وأربعين ومائة (147) كلمة، وثلاث وسبعين (73) عبارة. ثم حقل (السياسة) باثنين وأربعين ومائة (142) كلمة، وسبع ثلاثين (37) عبارة، ثم حقل (الفلسفة) بتسع وثلاثين ومائة (139) كلمة وست وعشرين (26) عبارة، ثم (المدرسة) بثمان وثلاثين ومائة (138) كلمة وعشر (10) عبارات. يليها حقل (المحاسن)، وحقل (البنك والمالية)، بأربع وثلاثين ومائة (134) كلمة لكل منهما، وإحدى عشرة (11) عبارة للأول، وأربع وخمسين (54) للثاني. ثم حقل (الاقتصاد) بسبع وعشرين ومائة (127) كلمة، وست وعشرين (26) عبارة، يليه حقل (الحيوانات) بست وعشرين ومائة (126)، وإحدى عشرة (11) عبارة. ثم حقل (نمط الحياة) بثلاث وعشرين ومائة (123)، واثنين وثلاثين (32) عبارة، ثم (التعليم والثقافة)

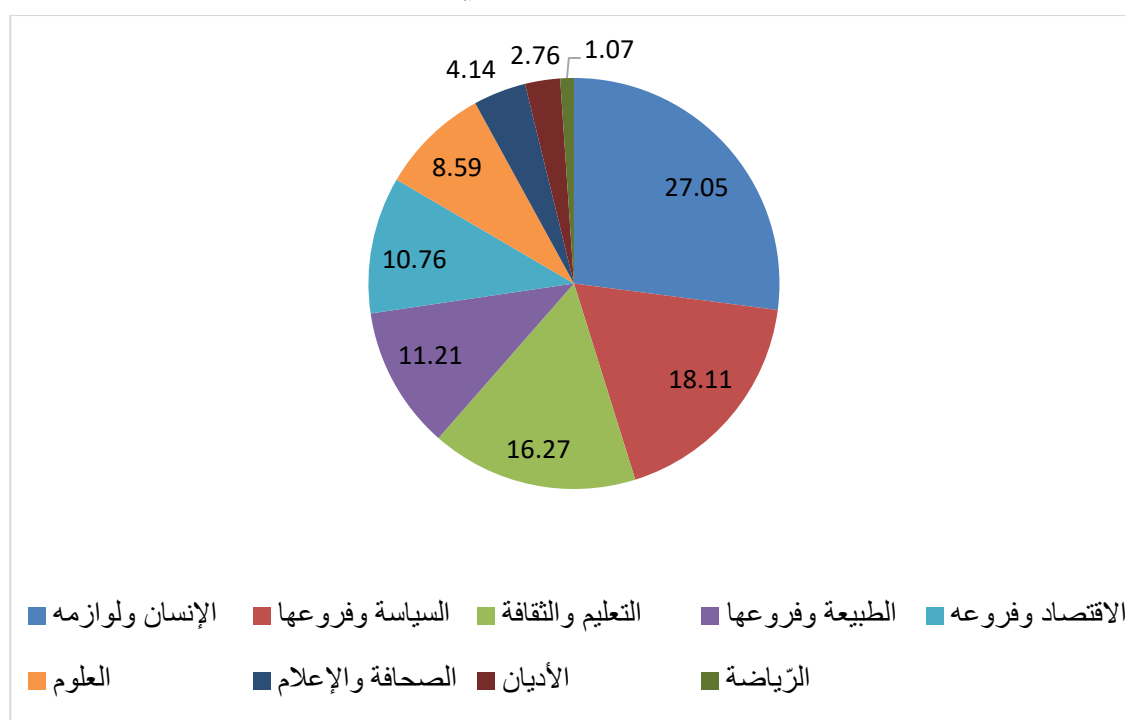
بأثنين وعشرين ومائة (122) كلمة، وتسع وعشرين (29) عبارة. يليها حقل (السكن)، بتسع عشرة ومائة (119) كلمة، وأربع عشرة (14) عبارة، ثم حقل (الفضاء) بثمانية عشرة ومائة كلمة، وتسع وعشرين (29) عبارة. و(الحكومة) بسبع عشرة ومائة (117) وسبع وتسعين (97) عبارة. ثم (الإدارة الاستعمارية) بست عشرة ومائة (116)، وست وثلاثين (36) عبارة. ثم حقل (الراحة والحواس الخمس والنوم) و(الدبلوماسية)، بثلاث عشرة ومائة (113) كلمة، لكل من الحقلين، وأربع وعشرين (24) عبارة للأول وخمس عشرة (15) للثاني. ونجد لكلا الحقلين (الأفراح والحفلات)، و(الكلام والخطاب) اثني عشرة ومائة (112) كلمة، وستا وثلاثين (36) وأربعاً وثلاثين (34) عبارة بالتتابع. ثم حقل (الأمراض) بعشرة ومائة (110) كلمة وأربع وعشرين (24) عبارة، وحقل (وسائل النقل) بسبع ومائة (107) كلمة، وخمس وثلاثين (35) عبارة وحقل (العيوب) بثلاث ومائة (103) كلمة، وإحدى عشرة (11) عبارة.

ويتراوح عدد كلمات المجموعة الرابعة، وعدد محاورها تسعة عشر (19)، ما بين خمسين (50) ومائة (100) كلمة، أقلها عددا حقل (الطيران والحرب الجوية) بأربع وخمسين (54) كلمة وست وثلاثين (36) عبارة، ف(البريد والمواصلات) بسبع وخمسين (57) كلمة، وثلاثين (30) عبارة، يليه حقل (العائلة) بتسع وخمسين (59) كلمة، وثمانية (08) عبارات، فحقل (الكهرباء) بثلاث وستين (63) كلمة، وإحدى عشرة (11) عبارة، ف (البحرية والحرب البحرية) بأربع وستين (64) كلمة وأربع وعشرين (24) عبارة. (العملات والأوزان والقياسات) بثلاث وسبعين (73) كلمة وأربع عشرة (14) عبارة، و(السفر) بأربع وسبعين (74) كلمة وتسع (09) عبارات، ف(الكتابة والنحو) بخمس وسبعين (75) كلمة وعشرين (20) عبارة، ثم (الموت والجناز والميراث)، بسبع وسبعين (77) كلمة وثلاث وثلاثين (33) عبارة، (علم الآثار والتاريخ) الذي تضمّن تسعا وسبعين (79) كلمة وعشرين (20) عبارة، ف (الصناعة) بأربع وثمانين (84) كلمة وخمسة عشرة (15) عبارة، ف (المدينة والريف) بست وثمانين (86) كلمة وعشرين (20) عبارة. و(الوطن والواجب)، بسبع وثمانين وعشرين (87) كلمة وأربع عشرة (14) عبارة، و(الرياضة) بتسعين (90) كلمة وأربع عشرة (14) عبارة، و(التأثيث) بأربع وتسعين (94) وثلاث (03) عبارات و(الخضروات والمعادن) بثمان وتسعين (98) كلمة وست (06) عبارات، يليه مجال (الميلاد والنمو والزواج والطلاق) بتسع وتسعين (99) كلمة وست وعشرين (26) عبارة، وتختتم هذه المجموعة بمجال

(الطيور والأسماك والزواحف والحشرات)، بمائة (100) كلمة وخمس (05) عبارات.

قد تعكس هذه الأرقام أهمية الحقول المذكورة، والشيء اللافت للنظر أنّ الأولوية كانت للجانب الإنساني: (من أحاسيس، وروح، وفكر، وأديان، وفنون وأدب وطباعة). ليأتي حقل (الحرب) وهذا يدلّ على أهميتها وحضورها في الواقع المعيش. وبعدها يذكر: (الشرطة والجرائم إلى جانب مجالات الصحافة والجيش البري، ثم السياسة والفلسفة والمدرسة والاقتصاد والتعليم والثقافة ثم الإدارة الاستعمارية والدبلوماسية)، وهذه المجالات تعبّر عن طغيان الجانب السياسي والحربي إلى جانب المجالات الأخرى.

دائرة نسبية تمثل الحقول الدلالية في المعجم



أول ملاحظة يمكن تسجيلها، هي اهتمام معجم شارل ببيلا بالإنسان، وكل ما له صلة به بدءاً بجسمه، وحواسه، وأمراضه، وميلاده ونموه وطلاقه، والعائلة، والموت والميراث، ونمط حياته، وسكنه والتأثيث، والتغذية، وعلاجه ولباسه، وحياته، والمجتمع، والأعياد، والمدينة والريف، والسفر، والمحاسن والعيوب والأحاسيس، وكما هو واضح من الجدول، فقد كانت هذه الموضوعات ضمن المجالات الأولى في ترتيب المعجم. كما سجّل البحث ثلاثة وستين ومائتين وألفي (2263) كلمة في حقل الإنسان ورتبته هي الأولى.

2-3-المستويات اللغوية في المعجم: سيستكشف البحث في هذه المحطة المستويات اللغوية

الواردة في هذا المعجم.

2-3-1- المستوى الفصيح: تبيّن بعد الاطلاع على المفردات الواردة في معجم المستشرق بيلا ودراسة

بعض حقوله، تبيّن أنّه التزم باللغة العربية الفصيحة، رغم تنوّع المجالات التي تناولها؛ بل كثيرا ما يوظّف كلمات وعبارات وأقوال مأثورة، تنتمي إلى لغة فصحي، قد يجهل بعض كلماتها الكثيرون، مثلا هناك كلمات لها معان قديمة وأخرى حديثة، واكتفي بذكر المعنى القديم منها، كما ينطبق الأمر على المصطلحات، إذ لوحظ أنّه يوظّف في مواضع عديدة المصطلح العربي، في حين تجد العرب يفضلون المصطلح المعرب أو (الدّخيل) وهذه نماذج للفصيح الوارد.

جدول يمثل الكلمات الفصيحة في المعجم

الكلمة العربية (1)	المقابل الفرنسي	الكلمة العربية (2)	المقابل الفرنسي
طُخْرُور ج طَخَاير *	cirrus	زمهرير	vent glacial
نوء ج أنواء	orage, averse	اقتبس	prendre (du feu) à
اصطلى	se chauffer	أورد	conduire à l'abreuvoir
تجلد	etre pétrifié	قنص	chasser
مسغبة	famine	قال	faire la sieste
قَفَر ج قَفَار	désert	عَدَد	epizootie
مفلوج	paralysé	سفور	suppression du voile

وردت في عنوان معجم المستشرق بيلا عبارة (اللغة العربية الحية)،* وأحال القارئ إلى مجموعة من المصادر التي توجي إلى اشتغال معجمه على لغة عربية حديثة، بوصفه رجع إلى كتب أدبية وعلمية وجرائد ومجلات وإلى الإذاعة وغيرها، وهو ما يعني أنّ القارئ سيكون أمام مدونة ثرية ومتنوعة.

بالعودة إلى المعجم العربي، اتّضح أنّ الجذر (جلد) لم يرد إلاّ اسما، ولم يرد فعلا لا في لسان العرب، ولا في معجم الوسيط، ورد « الجلمد الصّخر...الرّجل الشّديد...الشّديد الصّوت».(3) أمّا كلمة

¹- voir : Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT... p 5, 8, 12, 58, 134, 3, 88.

² - ibid. p 7, 14, 43, 76, 48, 144.

* الطُخْرُور هو سحاب صغير. ابن منظور. معجم لسان العرب. مادة (طحا).

• وردت باللغة الفرنسية.

³ - ينظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة (جلم). ومجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (الجلمدة).

(سفر)، فلها معان كثيرة في المعاجم العربية، منها الكنس والإشراق، والارتحال والكتابة، والإصلاح، إلّا أنّ المستشرق اختار لهذه الكلمة، المعنى المرتبط بكشف المرأة لوجهها، وفي لسان العرب: «...سفرت المرأة وجهها إذا كشفت النقاب عن وجهها، تسفر سفورا فهي سافرة». وفي الوسيط كذلك: «سفر-سفور: وضح وانكشف...وسفرت المرأة كشفت عن وجهها».⁽¹⁾ كما وظّف كلمة قرآنية، نادرا ما يستعملها الكتاب إلّا من كان له باع ودراية بالفصحى، وهي (مسغبة)، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [سورة البلد، الآية:14]. والمسغبة هي المجاعة في اللغة العربية، بالإضافة إلى كلمة (اصطلى) وهي كلمة قرآنية أخرى، وردت في قوله تعالى: ﴿...سَنَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ تَوَكُّمٍ بِشَهَابٍ فَبَشِّرْهُم بِظُلْمٍ﴾ [سورة النمل، الآية:7]. و«اصطلى النار بمعنى استدفأ بها».⁽²⁾ وهي كلمة تكاد لا تسمع حاليا. وكذلك في مجال الأمراض التي تصيب الحيوانات، وظّف كلمة (غدد)، وتبيّن أنّها طاعون يصيب الإبل.⁽³⁾ كما وظّف كلمة (مفلوج)، وفي الوسيط: (فُلَج الرجل: أصابه الفالج، فهو مفلوج)، وهو شلل يصيب أحد شقي الجسم طولا.⁽⁴⁾ وهذا يؤكّد مرة أخرى على تتبّع المستشرق للكلمات الفصحى، فقد كان المتوقع، بما أنّه يتحدث عن العربية الحديثة، أن يختار كلمة (شلل -مشلول). وممّا شدّ الانتباه الفعل (قال)، الذي لم يأت بالمعنى الشائع لهذا الفعل، فلو سئلنا، عن معنى (قال)، سنفكر للوهلة الأولى في الفعل: (قال من القول)، فإذا بالمستشرق يحيل القارئ إلى معنى آخر، وهو كما ورد في الوسيط: «قال: قِيلا نام وسط النهار فهو قائل، ج قُيِل وقِيَال».⁽⁵⁾ وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأقوال المأثورة، والعبارات التي جاءت فصيحة، وهي عبارة عن أمثال وحكم وجمل اصطلاح عليها، وأحيانا جمل بسيطة لها علاقة بالمجال المتطرّق إليه.

1 - ابن منظور. لسان العرب. مادة (سفر). مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (سَفَر).

2 - ينظر: المرجع نفسه. مادة (صَلَى).

3 - ينظر: المرجع نفسه. مادة (غَثَم).

4 - المرجع نفسه. مادة (فَلَح).

5 - المرجع نفسه. مادة (قال).

جدول يمثل نماذج لعبارات الفصحى

العبارة بالعربية ⁽¹⁾	مقابلها بالفرنسية
كل آت قريب	tout ce qui doit arriver est proche
ادرهمام البصر	presbytie
جنّ الليل	la nuit tomba

يلاحظ القارئ الكريم أنّ العبارات الواردة فصحى، أمّا الأولى فمعروفة، وتستعمل بكثرة لدى العامّ والخاص، إلّا أنّ العبارتين الثانية والثالثة، لا تأتي إلّا على لسان الفصحاء العارفين باللغة العربية. فعبارة (ادرهمام البصر)، تعني ظلمة البصر، يقال: ادرهمّ بصره أظلم. أمّا عبارة (جنّ الليل)، فتذكرنا بسيّدنا إبراهيم عليه السلام، في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا... ﴾، [سورة الأنعام الآية: 76]. وهنا يتكرّر تأثر المستشرق بما جاء في القرآن الكريم.

جدول يمثل مصطلحات فرنسية ومقابلاتها العربية

مصطلح بيلّا ⁽²⁾	مصطلح ريغ ⁽³⁾	مصطلح إدريس ⁽⁴⁾	المصطلح
علم طبقات الأرض	جيولوجية	إراضة، جيولوجية، (علم طبقات	géologie
هَيْضَة	هَيْضَة	هَيْضَة، هواء أصفر، كوليرا	choléra
تَكْصُّض	إجهاد عقلي، نفسي	إرهاق، إعياء، إجهاد	surmenage
حُمى تَيْفَئَة	حرارة	حمى تَيْفَئَة	fièvre
حُمى نَمَشَئَة	تيفوس	تيفوس، حمى صفراء	typhus
تَرْبِية	فن-علم التربية	علم التربية، علم أصول التدريس	pédagogie
مُعْناَة	مسرحية / تمثيلية غنائية	اوبرا مُعْناَة، تمثيلية غنائية	opéra
مأساة	مأساة، فاجعة روائية حزنة	مأساة (قصيدة مسرحية)	tragédie

وظّف المستشرق مصطلحات عربية مقابل مصطلحات دخيلة، فرضت نفسها على السّاحة اللغوية يوظّفها العرب بكثرة في أعمالهم، وهو ما قد يعكس حرصه على التزام المستوى الفصيح عندما يتيسّر له ذلك فمقارنة بالمستشرق دانيال ريغ والمعجمي العربي سهيل إدريس هو أكثر التزاما بالمصطلح العربي.

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT ... p33- 34,79 .

² - ibid. p62, 86, 88, 89, 90, 221, 3

³ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. المداخل بالترتيب: 1140، 5817، 1097، 1217، 791، 1995، 2525-4993، 124-3899-1258.

⁴ - إدريس، سهيل. المنهل. الصفحات بالترتيب: 574، 245، 1163، 529، 1242، 887، 845، 1216.

2-3-2- المستوى العامي: طغى المستوى الفصيح في معجم المؤلف بيلا، إلا أنه أورد بعض الكلمات العامية القليلة، وهو ما سيتناوله الجدول الآتي:

جدول يمثل كلمات عامية حسب تغيراتها

العامي ⁽¹⁾	طُلمَنَة، ولَاعة، بَشَلَّة، تَخْشِيَّة، مَعْنَى، أَبُو رِيَّاح، قَاضٍ، بُزَال خَشْكَانَجَة، مَوْسَى مَوَاسٍ طَقْطُوقَة، مَحْرَمَة، بَلْعَة بَلَاغ، هِنْدِي، قَزَاة شَاشِيَة.
الفصيح العامي دلاليًا ⁽²⁾	مال، طروش، شاهدة، حس، عوينات، ازداد، إملاك، مؤلفة، صحن، بَهْدَلَة، مُخْتَار، مَخَاتِير.
الفصيح العامي بالقلب ⁽³⁾	هداوة، فيران، حاسر الرأس.
الفصيح العامي بالزيادة ⁽⁴⁾	قرودة، نمورة، صيade، بولة، فرشاية.
الفصيح العامي بالحذف ⁽⁵⁾	البارح، دواره.

ما يلاحظ أنّ العامي ورد بدرجة قليلة مقارنة بالمعاجم الأخرى، وهو ما يؤكد تقيّد المستشرق بالعربية الفصحى إلى حد كبير، وقد صنّفت الكلمات إلى عامية لا تربطها صلة بالفصحى، أو هي بعيدة عنها وكلمات فصيحة إلا أنّ المتكلم أدخل عليها بعض التغيرات، كما هو واضح في الأمثلة. تمثل النوع الأول في الفصيح الذي حرّف معناه إلى معنى آخر، مثل كلمة (مال)، التي يوظّفها العامة للدلالة على الماشية. أمّا النوع الثاني، فهو ما قلب فيه حرف إلى حرف آخر، مثل كلمة (فيران)، التي قلبت فيها الهمزة إلى ياء تخفيفاً، وهو قلب مقبول في العربية الفصحى، كما أدخلت حروف زائدة على بعض الكلمات، وهي ليست منها، مثل: (قرودة، نمورة)، وأحياناً يحدث التّغيير بالحذف كإسقاط تاء البارحة.

¹- Pellat. Charles. L'ARABE VIVANT. p16, 18, 87, 117, 119 ? 122, 121, 127, 133, 142, 328, 143, 144, 59, 119 141, 53.

²- ibid. p44, 46, 70, 78, 77, 96, 97, 112, 371, 347, 163.

³- ibid. p 7, 47, 145.

⁴- ibid. p , 48, , 54, 67, 152, 127.

⁵- ibid. p29, 230.

2-3-3- الدّخيل في المعجم:

2-3-3-1- الدّخيل الذي له مقابل عربي: فُرق بين المصطلحات التي لديها مقابلات عربية،

وتلك التي لم يرد لها مقابل عربي، وسيقدّم الجدول الآتي نماذج لها.

جدول يمثل الدّخيل ذي المقابل العربي

الدخيل (1)	المقابل العربي	الدخيل (2)	المقابل العربي
بلاج	شاطئ	سجارة	لفافة
الويك أند	عطلة نهاية الأسبوع	بنطلون	سروال
بال	حوت	الموضة	الرائجة/ الصيحة
تتن	تبغ	مايوه	طاقم/ لباس السباحة
راتينج	صمغ الصنوبر	نيلون	مطاط
صالون	غرفة جلوس	خوري	راهب
برنس	أمير	كَنَبَه	سرير للجلوس
بُوفيه	خوان، صوان السفرة	دِبْلُومَة	شهادة

يمكن تقسيم هذه الكلمات إلى كلمات دخيلة شائعة، بمعنى أنّ معظم العرب يستعملونها، وهي قليلة مثل: (سجارة، وموضة، مايو)، وكلمات قليلة الاستعمال، فمثلا كلمة (بنطلون، بلاج ديبلوم...) هي كلمات نادرة ما تجدها في الكتابات الأدبية الملتزمة بالفصحى، وبما أنّ المستشرق شارل بيلا استقى مادّته من الصحافة فلا يستبعد أن تكون قد تسربت مع المقالات التي تتضمن كلمات عامية.

2-3-3-2- الدّخيل الذي لا مقابل عربي له: يتعلّق الأمر بالنسبة إلى هذه المجموعة بمصطلحات أو كلمات بقيت على حالها في لغاتها الأصلية، ولم تكيّف مع الميزان العربي، ونقلت كما هي إلى الاستعمال العربي، وهي ما يعرف بالدّخيل، وهذه نماذج منها.

¹- Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p14, 34, 54, 59, 60, 122, 382, 126.

²- ibid. p 141, 143, 144, 371 ,123.

جدول يمثل الدّخيل الذي ليس له مقابل عربي

الدّخيل (1)	الدّخيل (2)	الدّخيل (3)	الدّخيل (4)
سردين	ميكا	ماليكويا	أكليروس
أنقليس	بوتاسا	بيرة	كردينال
دلفين	فسفور	أرجيلة	فرماسون
ابنوس	هستيريا	تنبك	أرخبيل

تضمّن الجدول كلمات دخيلة تستعمل بكثرة، وتشمل مجالات متنوّعة، منها الحيوانات البحرية والمواد الكيميائية، والأمراض، والنباتات، والرّتب العسكرية، والطوائف الغربية، وغيرها. وبعد إحصاء عدد الكلمات الدّخيلة والعامة تأكدت تقيد المستشرق بيلا بالمستوى الفصيح إلى حدّ كبير، وهو ما يعكسه الجدول الذي تضمّن النسب المئوية للمستويات اللّغوية.

جدول يمثل المستويات اللّغوية في المعجم

المستويات اللّغوية	النسبة
المستوى الفصيح	99.06%
المستوى العامي	00.35%
المستوى الدّخيل	00.59%
المجموع	100%

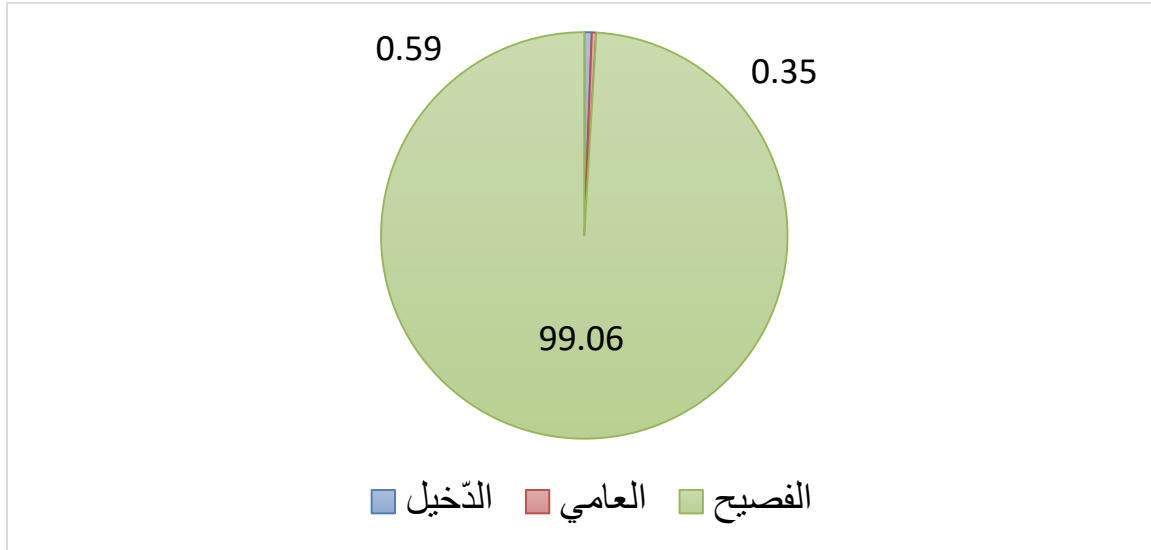
¹- Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p53 , 54, 60.

²- ibid. p61 , 62, 87.

³- ibid. p, ,88 136, 375, 137.

⁴- ibid. p,374 , 373, 13

الدائرة النسبية للمستويات اللغوية في معجم شارل بيلا



توضّح هذه الدائرة غلبة اللغة العربية الفصحى لدى المستشرق، حيث سُجّلت نسبة (99.06%) مقابل (0.35%) للعامية، و(0.59%) للدّخيل، وهما نسبتان ضئيلتان مقارنة بالفصحى. وهو ما يعني التزامه بما صرّح به في بداية معجمه.

3-قضايا الوضع في المعجم:

3-1-1-الترتيب في معجم المستشرق شارل بيلا:

3-1-1-1- الترتيب الخارجي للمعجم: اعتمد صاحب المعجم نظام الحقول الدلالية، وهو القائم على تقسيم المعجم إلى موضوعات مستقلة، وفق أبواب تحمل عنوانا عاما يجمع محتوياتها، مثل الباب الأول: المعنون بـ (الكون والأرض والسماء والهواء والمناخ)، حيث تضمّن أهمّ الكلمات ذات العلاقة بهذا المجال، وقد سبقت الإشارة إليها، ومما ذُكر في مقدّمة المستشرق: « المفردات المختارة، تمّ تصنيفها وفق عدد معين من الأعمدة، انطلاقا من طبيعتها، ولها علاقة بظروف عيش الإنسان ونشاطاته، وأعيد ترتيبها بطريقة جيّدة... والأبواب متنوعة...».⁽¹⁾ وهو ما تجسّد فعلا في المعجم.

3-1-2-الترتيب الداخلي للمعجم: يرتبط الترتيب الداخلي بمدى التزام المعجم بطريقة موحّدة

في ذكر مواده، وهو الأمر الذي ظهر فيه نوع من الانسجام والتوازن في بعض أجزائه، ونوع من العشوائية في بعضه الآخر، فقد قسّم المستشرق شارل بيلا الحقول الدلالية إلى فروع أو فصول؛ تناول في الأول:

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p11.

الأفعال، فالموصوفات، فالصفات، فالعبارات. باستثناء حقلي (الأعداد والبلدان)، اللذين حاد فيهما عن هذا التقسيم؛ نظرا لطبيعة الموضوعات المتضمنة، إلا أنّ هذه الكلمات لم تخضع لترتيب منطقي يساعد القارئ على التعامل مع هذا المعجم، إذ وردت الكلمات المتقاربة بطريقة مبعثرة، كما أنّه لم يلتزم بذكر المعلومات نفسها مع الكلمات كلّها، باستثناء حركة المضارع للثلاثي، التي التزم بذكرها، ففي كلّ مرة يذكر فعلا ثلاثيا يتبعه بحركاته في المضارع، مثل: (سَال -، نَبَعَ - عَبَرَ⁽¹⁾). فمع الأفعال مثلا يكتفي بذكر الفعل المجرد، وأحيانا يذكر مزيده، وأحيانا أخرى يضيف مرادفاته، مثل: (نَبَعَ تدفّق / غمر / نشف / عبر / انصبّ / ماج؛ تموّج؛ هاج / تخلّل / سبر / عكّر / طفا / صبّ / حرق، احترق / اضطرم / شعل / أشعل / خمد؛ طفئ / أظلم / سخن / ظلّل / بلّ / تدفّق /... / حرّق، أحرّق).⁽²⁾ عند ملاحظة هذه الأمثلة من الأفعال، يتبيّن عدم خضوعها لترتيب منظم ثابت.

كما يلاحظ القارئ، فالفعل (حرق) أتبع بالفعل (احترق)، ويرد الفعلان المزيديان: (حرق) و(أحرّق) بعدهما بسبعة عشر (17) فعلا آخر، وعموما أكثر ما يبدو على معظم الأبواب هو عدم التجانس والانسجام بين كلماتها. والأمر نفسه بالنسبة إلى الأسماء، إذ تجده يذكر أحيانا المفرد والجمع، وهو الغالب في المعجم، وأحيانا أخرى يكتفي بذكر المفرد، مثل: (ماء، مياه / مدّ / جزر / جزيرة جزر؛ جزائر / رأس؛ رؤوس / أرخبيل / مضيق؛ مضائق، زقاق / مرسى؛ مراس / مرفأ، مرفأ / مرفأ / ميناء، موانئ؛ / فرضة فرض /... / تيّار / محيط / رغوّة /... / سيل / فيضان).⁽³⁾ وهذا يتكرّر في الأبواب كلّها، ونادرا ما يشير إلى المفرد والمثنى والجمع وجمع الجمع، مثل: (يَد مَث يَدَانِ ج أَيْدٍ جج أَيْدٍ).⁽⁴⁾ وأحيانا يكتفي بالجمع، مثل: (آباء).⁽⁵⁾ الذي ذكره قبلا بالمعنى العام المتعارف عليه، وهو (أب ج آباء). و(الأكابر)، (الحاجيات) (مرافق).⁽⁶⁾ وغيرها من الكلمات.

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p11.

² - ibid. p11، 12.

³ - ibid. p13، 14.

⁴ - ibid. p68 .

⁵ - ibid. p92.

⁶ - ibid. p. 91, 112, 114, 122.

جدول يمثل التباعد بين الكلمات المكررة والمتقاربة

الكلمات وصفحاتها
قُبِيل، بَعْدَ، من بعدُ (ص29) ... قَبْلَ، مِنْ قَبْلُ، بُعِيدَ (ص30)
عَنْزَة (ص45) ... عَنْزَة (ص46).
قَنَّص (ص43) ... قَنَّاص (ص48).
نَخْل (ص57) ... نَخِيل (ص58).
رَمَل (ص45) ... رمل (ص60).
رُخَام (ص46) ...
تَحَرَّك (ص63) ... حَرَّك (ص64)
لُبُّ (ص57) ... لُبُّ (ص67).
أَنْف (ص78) ...
نَقَّة، انتكس (ص84) ... نَقَّة، نُكْس (ص88)
فرشاية (ص127) ... فرشاية (ص141).
زُخْرُفَة ج زَخَّارِف (ص127) ... زُخْرُف ج زَخَّارِف (ص214).
عَطَش، ظمئ (ص132) ... عَطَش، ظمء (ص134) ... عَطَش، عَطْشان (ص138).

يفصل بين كل هذه الكلمات المكررة أكثر من عشر (10) كلمات؛ بل قد تصل إلى أكثر من عشر (10) صفحات، كما هو مبين في الجدول السابق، وعلى سبيل المثال: الظروف المذكورة في البداية، يفصل بينها حوالي اثنتين وعشرين (22) كلمة أخرى مختلفة، وكلمة (نخل، نخيل) يفصل بينهما حوالي اثنتي عشرة (12) كلمة، وكذا الأمر بالنسبة للفعل (تحرك، حرك) اللذين فصل بينهما تسع عشرة (19) كلمة. أما كلمة (لب) الأولى يفصلها عن الكلمة الثانية عشر (10) صفحات.

كما يلاحظ القارئ الكريم فإن الفعل (حرك) في الأصل أسبق من الفعل (تحرك)، فالأول مزيد بالتضعيف والتاء، أما الثاني فمزيد بالتضعيف فحسب. هذه بعض الأمثلة التي تعكس الترتيب العشوائي لكلمات الباب الواحد، وهو ما ترتب عنه سلبيات كثيرة، مثل تكرار بعض الكلمات، وبعثرة كلمات متشابهة، وذلك بوضعها في مواضع مختلفة ومتباعدة. أما العبارات فكانت ظاهرة التكرار أقل مقارنة بالمفردات، ومما ورد عبارة (نكر أو أنكر الشمس في رابعة النهار)، في (ص10)، والعبارة (واضح كالشمس في رابعة النهار). (ص20). وأجلى من الشمس في رونق الضحى، في الصفحة نفسها. كما سجل ورود مفردات في قسم العبارات، مثل باب (الزمن) الذي اشتمل على ثلاث ومائة (103) عبارة، تضمنت أكثر من ثلاثين (30) مفردة، وهو ما نسبته

حوالي (34%) ، وهي: (مُبَكَّرًا، أَمْسٍ، الْبَارِحَ، غَدًا، الْآنَ، أَثْنَاءَ، خَالِيًا، طَالَمًا، طِيلَةً، قُبَيْلَ، بَعْدَ، فَوْرًا، تَوًّا، حِينًا خَالًا مُتَأَخِّرًا، الْيَوْمَ، نَهَارًا، لَيْلًا، مُوقَّتًا، رَيْنَمًا، بَيْنَمًا، طَوِيلًا، قَبْلَ، بُعِيدَ، قَرِيبًا، دَائِمًا، بَعْتَةً، فُجَاءَةً، حَدِيثًا، أَخِيرًا مُؤَخَّرًا، نَادِرًا، أَبَدًا، قَطُّ).⁽¹⁾ قد يكون إيراد هذه الكلمات ضمن قسم العبارات بسبب كونها ظروفًا.

3-2-3- قضايا التعريف في المعجم:

اكتفى المستشرق بذكر الكلمة الفرنسية، وما يقابلها باللغة العربية، وذلك ضمن مجموعة الأفعال والأسماء والصفات، ليتبعها بمجموعة الجمل والأقوال المأثورة، المرتبطة بموضوع الحقل الدلالي، سيتم التدقيق أكثر في سلامة الكلمات الواردة معجميًا ودلاليًا.

3-3-3- مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

3-3-3-1- المستوى الصوتي: لم يُسجل اهتمام بهذا المستوى لدى المستشرق شارل بيلا، باستثناء حرصه على إثبات الحركات، أو ما يسمى في الدراسات اللسانية الحديثة بالصوائت.

3-3-3-2- المستوى الإملائي: يبدو أنَّ المستشرق متمكّن إلى حد كبير في اللغة العربية، وهو ما سمح له بتناول الكلمات العربية وكتابتها بطريقة سليمة، ومضبوطة بالشكل، باستثناء بعض المواضع.

جدول يمثل بعض الهفوات الواردة في المعجم

نوع الهفوة	الكلمات
قلب الحروف ⁽²⁾	مَعْلَقَة
إبدال حرف بآخر ⁽³⁾	موقَّتًا، تأريخ الولادة، فُصُولِيَّة... السَّمَل، النَّمَالَة.
زيادة حرف ⁽⁴⁾	زِنَاء
حذف آخر الكلمة ⁽⁵⁾	الْبَارِحَ، حَم، تَأْشِير، نَي.
كتابة الهمزة ⁽⁶⁾	هدؤ، مبدأ النُّشُؤ والارتقاء

سُجِلَت خمسة أنواع من الهفوات؛ الأولى في قلب حروف كلمة "مِلْعَقَة"، أمّا في النوع الثاني فقد كُتِبَت كلمة (فُصُولِيَّة) بالصاد، وكلمتا (النَّمَل، والنَّمَالَة)، بالسين فبالنون، وحذفت التاء المربوطة من كلمة (تأشيرة) والواو من (حمو)، وكتبت (هدوء) و(النشوء)، بهمزة على الواو والأصل كتابتها على السطر.

¹ -voir: Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p 29, 30,31, 32.

² - ibid. p 136

³ - ibid. p30,99,136 ,138,155

⁴ - ibid. p100

⁵ - ibid. p29 ,94,138,184

⁶ - ibid. p7,291 .

3-3-المستوى الصرفي:

3-3-1-التعامل مع الحروف والمدود الحركات:

3-3-1-1-الشدة والمدود: سُجِّلَ تَمَكَّنَ مع المدود وتسجيل الإدغام، إلّا في القليل من المواضع

ففي هذه الكلمات: (قِطَاط، لُقَاق، طَابَاشِير، المَلَاء، خَطَاء، إلهي).⁽¹⁾ زيدت ألف مد والأصل أن تحذف، في حين حذفت حيث وجب إثباتها في: (تَتَأَبَّ، مَوَاعِد).⁽²⁾ أمّا الإدغام فتحكّم فيه أكثر، باستثناء كلمة (دَرَاعَة).⁽³⁾ ولا شك أن المستشرق يدرك أن الكلمات النكرة لا يمكن تبدأ بالشدة، وعليه فقد يكون مجرد زلة قلم.

3-3-1-2-الحركات: امتازت الكلمات عموما بالدقة، إذ يدرج أحيانا أكثر من حركة للكلمة

الواحدة، مثل: (وَسَادَة)، باستثناء بعض الهفوات، التي سيمثل لبعضها في الجدول الآتي:

جدول يمثل توزيع الحركات في المعجم

الكلمة (4)	الصواب	الكلمة (5)	الصواب	الكلمة (6)	الصواب
مُسْتَعْجِل	مُسْتَعْجَل	سَمَك	سُمَك	وُكِر	وَكِر / وَكَز
حَشْرَة	حَشْرَة / حَشْحَشُو	يَقْطَة	يَقْطَة / اليقطين	وُلِد	وُلِد / وَلَحَة
ذُل	ذُل - ذِلَّة / ذَل	عَيْشَة	عَيْشَة / العيص	جَبِر	جَبِر / مادة جَبَد
رُخْرَفَة ج زخارف	رُخْرَفَة	حَلَقَة ج حلق	حَلَقَة جَلَق + حَلَقَة وحلق	سَمَن	السَمْن / السَمْنُد
لَيْن	لَيْن	فَيْرُورَج	الفَيْرُورَج / فادت	مَقْدَرَة	مَقْدَرَة
الكلمة (7)	الصواب	الكلمة (8)	الصواب	الكلمة (9)	الصواب
الثَّلَاثَاء	الثَّلَاثَاء	الجُمْعَة	الجُمْعَة	فُجَاءَة مادة فَشَأ	فُجَاءَة
مَقْرَبَة	مَقْرَبَة	بُول	بُول	كُلُوءَة	كُلُوءَة / كلاه
بَرْدَا	بُرْدَاء / بَرَد	سَل	السَل / السلقون	كَسَاح	كُسَاح / كَسَد
مُخْتَضِر	مُخْتَضِر / اخْتَضِر	تَبْعِيَة	التَّبْعِيَة / التَّبْع	مَكْرَهَة ج مكاره	المَكْرَهَة
شَعَر	شَعَر	عُنُق	عُنُق / عَانَقَه	فَرَشَاءَة الأسنان	فَرَشَاءَة الأسنان
بَل - (10)	يَبِل / الْبَلْعَم	سَبَق - (11)	يَسْبِق / سَبَقَه	سَعَد (12)	سَعَد / سَطَم

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p47, 53, 61, 164, 375.

² - ibid. p76, 152-184.

³ - ibid. p 142.

⁴ - ibid. p28, 55, 112, 127, 130.

⁵ - ibid. p38, 78, 112, 128, 146.

⁶ - ibid. p47, 91, 120, 134, 191.

⁷ - ibid. p25, 37, 85, 105, 46.

⁸ - ibid. p26, 67, 86, 111, 66,

⁹ - ibid. p31, 68, 87, 112, 146.

¹⁰ - ibid. p13.

¹¹ - ibid. p21.

¹² - ibid. p109.

تمثل الكلمات الواردة في هذا الجدول عينة، لهفوات وردت في معجم المستشرق بيلا، وذلك على مستوى الحركات، وقد رجع البحث للتحقق من هذه الحركات إلى معجم الوسيط. حيث لوحظ قلة الهفوات فيما يخص الأفعال، وهذا يعكس تمكّن المستشرق في هذا المجال.

3-3-1-3- الاشتقاق في المعجم: ومن الهفوات التي وردت في معجم المستشرق، ما له صلة

بجمع الكلمات، وأحيانا في صياغة بعضها، وهو ما سيتضمّن الجدول الآتي:

جدول يمثل الهفوات على مستوى صياغة بعض الكلمات وجمعها

نوع الهفوات	الأمثلة
هفوات في المفرد والمثنى والجمع ⁽¹⁾	تَلَّ ج ثُلُول، هَاوِيَة ج أَهْوِيَة، عَقَبَة ج عَقَاب، مِينَاء ج مَوَانٍ، ضَوْء ج أَضْوَاء وضِيَاء مَرَّة ج مرات ومرار، مجتَر ج مجترون، طُطُوط، خُلْد ج خُلُود، (مَنَاجِذ) زُرَافَة ج زُرَاف لِقَاق ج لِقَالِيْق، جِبْهَة ج جِبَهَات، رُتِيَاء ج رُتِيَات (رُتِيَاوَات)، كَعْبَة ج كِعَاب طِيب ج أَطْيَاب، (أَطَاب وطُيُوب) امرأة ج نساء، جمع بين دَفْتِه، كِرَاسِي، حِساء ج أَحْسِيَاء.
هفوات في صياغة الكلمة ⁽²⁾	طُفُولِيَّة، رُجُولِيَّة، لُفْيَة، تَذْلِيل، تَهْدَأ، بَحْر، ظِمءٌ، صَوْبِن، أَسْقُوف، لَآغ، مَلْعَى تَفْرِيط تَرَأى فَاق، بَرِي-تَشَقَّى. شَيْد، أَشَادِه، تَشْيِيد، إِشَادَة، مُثَر، تَعَرَّضَ اعْتَرَضَ، تَعَرَّضَ اعْتَرَضَ تَذْلِيل، تَحْقِير، الْغَيْر، اللَّأْبَالِيَّة. أَلْفَت، اسْتَلْفَت الْأَنْظَار.

ستكون البداية مع أخطاء المفرد والجمع، إذ يمكن لأي باحث أن يتنبّه إلى وجود خلل في هذه الكلمات وطلبا للاختصار سيكتفي البحث بالإشارة إلى بعضها، مثل: كلمة عَقَبَة التي جمعها على عِقَاب ويعلم القارئ أنّ هذه الكلمة معناها مختلف تماما، فالعِقَاب من العقوبة، وهنا يتحدث عن السطح المرتفع عن غيره، (عَقَبَات). كما جمع كلمة (مِيناء) على (موان)، قد يرجع ذلك لاعتقاده أنّه اسم منقوص، فحذف آخره بما أنّه نكرة. والجمع هو (موانئ)، بإثبات الهمزة. وجمع كلمة (مَرَّة) جمعا غريبا، وهو (مرار)، والمعروف هو مرات. وعند جمع كلمة (مجتَر) لجأ إلى الجمع المذكّر السالم (مجترون)، في حين تجمع الكلمة جمعا مؤنثا سالما (مجترات) - في حدود العلم - تبعا لكلمة حيوانات المؤنثة. قد يكون السبب، هو الاجتهاد الشخصي للمستشرق، إذ ينطلق من الكلمة، ويحاول تطبيق القواعد المعروفة عليها، فينتج عن ذلك، مثل هذه الصيغ، وقد يكون الأمر مجرد سهو. أما ما يخصّ الهفوات المرتبطة بكيفية صياغة الكلمة، فهي متنوعة، والأرجح أنّ هناك خلطا مع كلمات أخرى، فمثلا الكلمتان: (طُفُولِيَّة) و(رُجُولِيَّة) صوابهما هو (الطُفُولَة)، و(الرَّجُولَة)، وقد يكون استعمالا عاميا، تأثر

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p4, 6, 13, 15, 26, 45, 48, 53, 65, 56, 70, 77, 98, 124, 126, 133.

² - ibid. p 98, 69, 151, 154, 1, 8, 134, 140, 372, 185, 346, 75, 76, 83, 118, 114, 148, 153, 154, 155, 82 .

به المستشرق. كما اختلط الأمر عليه فكلمة (تَدْلِيل)، (تحقير) يرادف تسخير والصواب هو (إذلال)، كما مدّ كلمة (أسقف)، والأصل أنها دون مدّ، (أسقف)، وقد جعل الكلمتين (برئ-تَشَقَّى) مترادفتين، في حين كلمة (تَشَقَّى) تحمل مشاعر سلبية اتّجاه الآخر، والأمر نفسه مع الكلمات: (شيد، أشاده، تشييد، إشادة)، جعلها كلّها تصبّ في معنى واحد وهو البناء، في حين (الإشادة هي مدح وذكر للمحاسن). أمّا الكلمات (الغير، اللأباليّة). ألغت، استلقت (الأنظار)، فقد تعكس اجتهاد المستشرق في صياغة كلمات من عنده، وقد تكون من مصادره التي رجع إليها فكلمة (غير) في اللغة العربية لا تدخل عليها ال التعريف، وإن كان هذا الاستعمال قد انقل إلينا، ويكتبها الكثيرون بهذا الشكل والأمر نفسه، بالنسبة إلى كلمة (اللابالية)، وقد يقصد المستشرق اللامبالاة، قد تكون زلات لم ينتبه إليها.

3-4- المستوى النحوي في المعجم: يمكن القول إنّ المستشرق، تحكّم في الجانب النحوي أكثر

مقارنة بالصّرف، وقد يكون هذا راجع لكون الهنات النحوية تحتاج إلى سياق، وهو ما لم يلجأ إليه في الكلمات، ولهذا فقد ظهر بعضها على مستوى بعض التراكيب، ومن الأمثلة التي تعكس تمكّنه تمييزه بين العدد عندما يتّصل بالموث والمذكر، مثلاً يقول: أربعة م أربع/ اثنا عشر م اثنتا عشرة⁽¹⁾. وما شدّ الانتباه في كلمة (عشرة) أنّه فرّق بين الموث والمذكر، وهو ما لا ينتبه إليه بعض الباحثين العرب، فقد جاء حرف (الشرين) في المذكر مفتوحاً، وفي الموث ساكناً.

كما انتبه إلى حذف حرف العلة بعد حرف الجزم (لم)، وضبط حروف الجرّ التي يتعدى بها الفعل، مثل: (لم يُبَالِ بـ).⁽²⁾ وواضح أنّه يدرك أنّ الفعل قد يتعدى بأكثر من حرف جر، « دعا ل - دعا على»⁽³⁾. وكسر همزة إنّ بعد (الظرف حيث)، (حيث إنّ).⁽⁴⁾ وهو أمر يغفل عنه بعض الباحثين العرب أنفسهم.

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p235 .

² - ibid. p354

³ - ibid. p366

⁴ - ibid. p433

جدول يمثل تراكيب محرّفة

الصواب	العبارة (1)
كان على قيد الحياة	كان في قيد الحياة
خطبه لـ	خطب هـ إلى
احتفل بزفاف فلان على فلانة	احتفل بزفاف فلان على فلانة
اجتنب هـ	اجتنّب عن
انتفع بـ	نفع بـ
عن حسن نيّة	عن حسن النيّة
عن سوء نيّة	عن سوء النيّة

تضمّن الجدول بعض العبارات المخالفة للتراكيب المألوفة، إلاّ أنّها قليلة ولا تنفي تمكنه. فمثلاً بالنسبة إلى الجملة الثالثة، قد يقصد المستشرق عبارة: (عقد قران فلان على فلانة). وهي مستعملة.

3-5- المستوى الدلالي: سجّل خلل على مستوى بعض المقابلات؛ منها الآتي:

جدول يمثل عدم الدقة في المقابل على مستوى الأفعال

اللغة العربية (2)	المقابل الفرنسي	اللغة العربية (3)	المقابل الفرنسي
نزل	tomber	راح	aller (le soir)
أطال، تطاول	allonger, rendre long	كبر، عظم	agrandir
سما	s'élever	رقّ	être mince, fin, délie
بدأ، أوب	commencer	ترأى	se voir
روّض	dresser un chevale	تزوج، اوب، اقترن	se marier avec
اضطجع	se coucher (sur le côté)	وفّق	concilier
ناشد، ابتهل، تضرّع	supplier qqn	شيد، أشاد	edifier

يكشف هذا الجدول عن خلل على مستوى بعض الأفعال؛ فمثلاً: الفعل (نزل) لا يقابله الفعل (tomber)، وإن كان الفعل العربي فعلاً، يستعمل بمعنى السقوط في سياقات، إذ يقال مثلاً: (نزل المطر) وبالفرنسيّة (la pluie tombe). وكذلك مع الفعل (راح) الذي ربطه بالمساء. وكلمة (ابتهل) مختصة بالتوجه إلى الخالق، ولا يكون الابتهاال إلاّ له سبحانه وتعالى.

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p74, 95, 102, 110, 207.

² - ibid. p2, 14,21 , 36, 43, 76, 148.

³ - ibid. p 21, 36, 37, 75, 96, 51,118 .

جدول يمثل عدم الدقة في المقابل على مستوى الأسماء

اللغة العربية ⁽¹⁾	المقابل الفرنسي	اللغة العربية ⁽²⁾	المقابل الفرنسي
فلك	astre	الكرة، الغبراء	le globe
تراب	territoire, terre, sol	صحو	lucidité
مصيف، مصطفى	estivage (lieu)	الجوامد، المعادن	les minéraux
كريمة	filie	مخدوم	maitre
شباب، حداثة	jeunesse	مال	bien/bétail
اسمنت، ترابة	ciment	عقل	raison
أبجدية	alphabet	حديث	une tradition

سيقف البحث عند بعض الكلمات وحسب، النوع الأول: هو الجمع بين كلمتين عربيتين مختلفتين أمام مقابل فرنسي واحد، مثل: (مصيف، مصطفى)، (شباب، حداثة)، (اسمنت، ترابة)، (الجوامد، المعادن)، إن كلمة (مصطفى) تشير إلى الشخص لا إلى المكان، وكلمة (حداثة) لا تناسب إطلاقاً الكلمة الفرنسية (Jeunesse)، كما قابل كلمة (كريمة) بالكلمة الفرنسية (Fille)، دون أي ملاحظة في حين المقابل الصحيح هو (généreuse) وإن كانت كلمة "كريمة" تستعمل فعلاً بمعنى الابنة في الممارسات الاجتماعية الراقية، وكان يجدر بالمستشرق الإشارة إلى ذلك على الأقل، لئلا يقع القارئ في الخطأ ويلتبس عليه الأمر.

أما بالنسبة لكلمة (أبجدية)، فقد سبقت الإشارة إليها سابقاً، لكن لأبأس بالتذكير، إن التأمل في كلمة (Alphabet)، وكلمة (أبجدية)، يعطي انطباعاً غريباً، لأن اللغة العربية تشتمل على كلمة عربية تقابل الكلمة الفرنسية، وهي أنسب من (أبجدية)، فالأبجدية هي طريقة مميزة لترتيب الحروف العربية، بحيث تحمل في الآن ذاته دلالات عديدة، لا يسمح المجال هنا للخوض في ذلك، ألا وهي كلمة (ألفبائية)* وقد تم تتبع كلمة (أبجدية) وظهر أنها ترد كثيراً في الدراسات والبحوث العربية، بمعنى الألفبائية، تماماً كما حدث مع الأعداد العربية التي تنبأها الغرب، واشتهر أنها أعداد غربية، وأن الأعداد الهندية هي العربية، إذ هناك الكثير من الناس يعتقدون ذلك ويتوجهون باللوم إلى العربية لصعوبة أرقامها.

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p1, 4, 25, 92, 97, 120, 246.

² - ibid. p4, 8, 59, 92, 44, 111, 192, 369.

* قد تكون كلمة ألفبائية المركبة عربية، وذلك لاقترابها من النطق العربي أكثر منه إلى النطق الفرنسي، إلا أن البحث لم يقف على دليل علمي واضح، إذ يُحتمل أن تكون من اللاتينية ألفا بيتا، وإن كانت كما ذكر سابقاً أقرب إلى العربية.

جدول يمثل خلا في مقابل الكلمات المركبة

اللغة العربية (1)	المقابل الفرنسي	اللغة العربية (2)	المقابل الفرنسي
على مدى الأيام	avec le temps	الشهر الجاري	le mois courant
التقويم الهلالي	le calendrier lunaire	عام أو سنة التأريخ	l'année en cours
الحلقة السادسة من	quinquagénaire	دار الحضانة	goutte de lait

يلاحظ أنّ العبارات العربية، في هذا الجدول ليست ملائمة للمقابلات الفرنسية، أو العكس إذ المعنى الدقيق للصيغ العربية مختلف عن معنى الصيغ الفرنسية. أمّا على مستوى الجمل فوردت عبارة (لبس الحداد)، التي قابلها بـ (prendre le deuil).⁽³⁾ ورد مقابل هذه الجملة في قاموس المنهل، وهو (لبس ثوب الحداد).⁽⁴⁾ وعليه قد تكون كلمة (ثوب) سقطت. وقابل جملة (أتى البيوت من أبوابها).⁽⁵⁾ بالجملة الفرنسية (frapper à la bonne porte)، ولاشك أنّ الأمر مختلف، فالكلام العربي يتحدث عن الكيفية أو الطريقة التي تؤتي بها الأمور، بمعنى اختيار الطريقة المناسبة لعمل الأشياء، ولا يتعلق الأمر ها هنا بمدى صحة ما تفعله أو لا. والله أعلى وأعلم.

جدول يمثل عدم الدقة في مقابل الأفعال

اللغة العربية (6)	المقابل الفرنسي	اللغة العربية (7)	المقابل الفرنسي
زال/ أزال	cesser/ mettre un terme à	بلد/ تبدّل	acclimater/s'acclimater
تراءى	se voir	تضاءل	s'affaiblir
سرى	être contagieux	ازداد	naitre
تقادى	se sacrifier	تجرّع	absorber qc

يلاحظ عدم تطابق الأفعال العربية والفرنسية، فالفعل (cesser/ mettre un terme à)، لا يطابق الفعل العربي زال؛ بل يناسبه الفعل (توقف)، ويبدو أنّ المستشرق قد تأثر بالصيغة الفرنسية، فظنّ أنّ (تراءى) معناه أن ينظر الشخص إلى نفسه، في حين يستعمل الفعل في سياق آخر، يقال: (تراءى له فلان عن بعد) بمعنى (ظهر له). كذلك الأمر بالنسبة للفعل (être contagieux) الذي يناسبه الفعل (أعدى) أو الاسم

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p30., 31, 102, 376.

² - ibid. p31, 32, 100.

³ - ibid. p107.

⁴ - إدريس، سهيل. قاموس فرنسي-عربي. ص 964.

⁵ - ibid. p124.

⁶ - ibid. p12, 21, 37, 75, 84, 118.

⁷ - ibid. p463, 43, 44, 83, 96, 132.

(معدٍ). وبالنسبة للفعل (se sacrifier)، يقال (فداه بنفسه)، أو (ضحى بنفسه)، أما (تفادى)، فلا صلة له بالفعل الفرنسي المذكور، ولتفادي الإطالة سيكتفى بهذا.

جدول يمثل عدم دقة المقابل في الأسماء

اللغة العربية (1)	المقابل الفرنسي	اللغة العربية (2)	المقابل الفرنسي
جَبّ	citerne	ترابي	territorial
مسيل	lit	الفضاء	le vide
يَدّ	patte antérieur	لَبّ	pulpe, cœur
إمداد	prolongation	كعبة	cheville
أشقر / أصهب	blond/roux	مولد	nativité, pays, natal
مصافحة	poignée de main	ترويح	ventilation
لغة	lexicographie	رواية	pièce
منهج	système	صحن	cour de la mosquée

يبدو أنّ معظم الأسماء العربية الواردة في الجدول، بعيدة دلاليا عن مقابلاتها الفرنسية، فكلمة (جب) مثلا تعني البئر، وقد وردت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿... وَالْقُوَّةُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ...﴾، [سورة يوسف، الآية:10]. بالنسبة لكلمة (إمداد)، يبدو أنّ هناك خلطا بين صيغتين مختلفتين هما (إمداد وتمديد) فالكلمة الفرنسية يناسبها الكلمة العربية (تمديد)، يقال: (مدد العطلة تمديدا)، ويقال: (أمدّه بالشّيء إمدادا إذا زوّده به).

ومن الكلمات التي يجب الوقوف عندها كلمة (لبّ)، حيث اتفق أصحاب المعاجم التي تناولها البحث بالدراسة على معنى معيّن لها، رغم أنّه غير دقيق، ف (اللّبّ) هو العقل، وليس القلب كما ذكر بعض المستشرقين، وقد تكرّرت في القرآن الكريم، ومما ورد قول الله تعالى: ﴿... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [سورة البقرة، الآية:269]. ووردت كذلك، في قوله عزّ من قائل: ﴿... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وغيرها. لا يمكن أن يتبادر إلى أيّ ذهن أنّ معنى كلمة (لبّ ج الباب) تعني القلب العضو الحقيقي، ففي الآية الكريمة الأولى ربط الله سبحانه وتعالى (اللّبّ) بالحكمة، وموضعها العقل، وكذلك في الآيتين التاليتين، اقترنت كلمة (الألباب)، بالعلم والتأمّل والتفكّر في خلق الله سبحانه وتعالى، وجلّ المستشرقين المطلّع على أعمالهم

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p5,13,43,37,71,72,152,246,283.

² - ibid. p8, 39, 57, 70, 96,128, 329, 371.

يجعلون معناها القلب. وهذه بعض الصيغ المركبة، التي يبدو أنها مخالفة للاستعمال الشائع.

جدول يمثل عدم دقة المقابل في كلمات المركبة

اللغة العربية ⁽¹⁾	المقابل الفرنسي	اللغة العربية ⁽²⁾	المقابل الفرنسي
استيوال الدم	urémie	رسم الازدياد	acte de naissance
تذكرة النفوس	acte de l'état civil	حياة فاعلة	vie active
حياة عاقلة	vie intellectuelle	حفلة تشييع	obsèques
مواد غذائية	donnerais alimentaire	حرية الاعتقاد	liberté de conscience

سيكتفى ببعض الصيغ الواردة فحسب، حيث قابل المؤلف سهيل إدريس كلمة (urémie) بـ (تَبُولُن الدم).⁽³⁾ في حين لم ترد الكلمة في معجم المستشرق دانيال ريغ. أمّا بالنسبة للكلمات الفرنسية (acte de l'état civil)، و (naissance)، فقد قابلها بكلمات عربية غريبة، قد تكون مستعملة في مناطق معينة. فالمعروف هو عقد الميلاد أو شهادة الميلاد. كذلك الأمر بالنسبة لكلمة (obsèques)، إذ لا يقال في العربية حفل جنازة؛ بل مراسيم. ليأتي البحث إلى عبارة (liberté de conscienc)، التي قابلها بـ (حرية الاعتقاد)، ولا علاقة لهذه بتلك، فالمقابل الدقيق هو (حرية المعتقد)، وقد يتعلّق الأمر بزلة قلم، والمقصود هو (croyance)، وهذا أقرب للصيغة العربية. علماً أنّ قاموس المنهل⁽⁴⁾ أورد المقابل نفسه الوارد لدى المستشرق شارل بيلا، وهذا أمر غريب.

4- اللغة العربية في أعمال المستشرق شارل بيلا:

4-1- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث مستويات التحليل والاستعمال:

سبق التعريف ببعض مؤلفات المستشرق شارل بيلا، وسيحاول البحث في هذه الوقفة أن يعرض رؤيته حول اللغة العربية من خلالها. وأهمّ مؤشر يدلّ على رأيه هي عناوين أعماله، إذ وسم معجمه بـ (l'arabe vivant...المفردات الأساسية للعربية الحديثة). بالإضافة إلى كتاب (introduction à l'arabe moderne)، كما استفاد البحث في هذه النقطة من كتاب (langueet littérature arabes). يُلاحظ أنّ جلّ أعماله تهتمّ بالعربية الفصحى، وإن كان يحدّد في معجمه الثنائي، وكذلك في كتاب تعليم

¹ - Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p88, 102, 116, 138.

² - ibid. p101, 115, 108, 377.

³ - إدريس، سهيل. المنهل. ص 1247.

⁴ - المرجع نفسه. ص 720.

العربية نوع العربية بكونها (الحديثة) أو المستعملة حديثاً، كما سماها (الحية).

4-1-1- رؤيته من خلال المعجم: ممّا ورد في معجم المستشرق شارل بيلّا: « لا يمكن ادّعاء

إمكانية اختصار كلمات اللّغة العربية الحية، حالياً في خمسين ومائتي (250) صفحة، وذلك من خلال الكتب الأدبية والعلمية، والجرائد، والمجلات والحصص الإذاعية والمحاضرات والخطابات، وبطريقة متزايدة الحوارات المرموقة (distinguées). المعجم (vocabulaire)....»⁽¹⁾ يؤكّد هذا الكلام توجّه المستشرق بيلّا نحو اللّغة العربية التي يتعامل معها ويسعى إلى تعليمها، وهي تلك اللّغة المستعملة في المصادر المذكورة آنفاً، سمتها عموماً التقيّد بالفصحى، مع احتمال إيراد بعض الكلمات العامية والدّخيلة، ولاسيّما في لغة الإعلام.

أمّا المنهج الذي تعامل به مع اللّغة العربية في معجمه، فتمثّل في المنهج الإحصائي، الذي صرّح بوجود صعوبات تعترض تطبيقه عليها بدقّة، ويظهر ذلك في قوله: « يهدف هذا العمل إلى أن يكون قاعدة صلبة، ومحاولة لتطبيق المناهج الإحصائية المعمول بها في تعليم لغات حية أخرى على اللّغة العربية، نظراً للنتائج الطيّبة التي أثمرتها... لنكون صادقين، فالمنهجية الإحصائية يستحيل أن ترتكز على إحصاء اليد العاملة البشرية، حتى وإن انكبّت مجموعة من الفرق المؤهّلة والمجدّة، للنهوض بهذه المهمة، وبذلت قصارى جهدها فبالنتائج المبهرة للرياضيات ستكون خاطئة في جزئياتها، وهو ما يفرضه الواقع وسرعة تطوّر اللّغة العربية الحديثة، ستكون الصعوبات أكبر بسبب وجود كلمات كثيرة، تحمل كل منها معانٍ متعدّدة (مشكلة تعدّد المعاني للكلمة الواحدة)، ولكي نقول كل شيء أو بصراحة بسبب الفوضى الدلالية (l'anarchie sémantique) لهذه اللّغة، التي تتأى عن الثبات،* إذا أردنا لهذه الآلية الجميلة أن تسير بطريقة مُرضية، سيكون من الضروري أن ندخل عليها تحسينات (un grain de bon sens)».⁽²⁾

بمحاولة استقراء هذا الكلام، قد يُفهم منه الموقف الإيجابي من اللّغة العربية، والسّعي لخدمتها بتطبيق مناهج طبّقت على لغات أجنبية أخرى عليها، وذلك في قوله: « ومحاولة لتطبيق المناهج الإحصائية المعمول

¹ - voir: Pellât, Charles. L'ARABE VIVANT. Avertissement. p1.

* يحيل المؤلف القارئ في هذه النقطة إلى الهامش ليقول إنّ هذا الكلام موجود في مرجع له كتب فيه عن العربية بعنوان اللغة العربية لغة حية في أرض الإسلام سنة 1946. (L'Arabe, langue vivante dans En Terre d'Islam).

² - voir: Pellât, Charles. L'ARABE VIVANT. Avertissement. p1.

بها في تعليم لغات حية أخرى على اللغة العربية»، وهذا الأمر ديدن المستشرقين، إذ يتعاملون مع العربية من منطلق مناهجهم، وهذا لا يعيبهم دائماً، فالمنهج الإحصائي هو المنهج الوحيد الذي يصعب إخضاعه لذاتية الباحث، شرط أن تكون طريقة التعامل مع المعطيات صادقة وموضوعية، بوصفه منهجاً يتعامل مع لغة الأرقام. يعبر هذا الكلام عن رغبة المستشرق في استفادة العربية من إيجابيات هذا المنهج، ولاسيما في ميدان التعليم، الذي يوجه إلى الفرنسيين الراغبين في ذلك.

كما يبدو متأثراً بالمنهج المعجمي للعرب، سواء في القسم الفرنسي-العربي الذي وظف فيه ترتيب الحقول الدلالية الذي كان للعرب السبق فيه أو في المسرد العربي-الفرنسي الذي رتب فيه الكلمات حسب الجذور.

ما لوحظ بالنسبة إلى المستشرق شارل بيلا أنه عكس المستشرق (دانيال ريغ) وجه عمله للفرنسيين دون العرب، "وهو ما سيمكّن الطلبة الفرنسيين من معرفة اللغة العربية المستعملة وبسرعة". وعليه فتفكيره منصب على إيجاد أسهل الطرائق التي يوصل بها اللغة العربية إليهم. أما قوله: "وهو ما يفرضه الواقع وسرعة تطوّر اللغة العربية الحديثة". فالحديث عن تطوّر العربية اعتراف بحيويتها ومسايرتها للعصر من جهة، لكن بالمقابل قد يفهم منه وجود بعض التوجّهات السلبية نحو العربية، فقله: (العربية الحديثة)، وكأنّه يُحيل إلى أنّ هناك عربيّة أخرى غير العربية الفصحى، وهذا في حدّ ذاته تحريف لحقيقة اللغة العربية، وهي الفكرة المنتشرة لدى معظم المستشرقين الذين يفرّقون بين عربية الجاهلية والإسلام والعربية المستعملة حالياً. وهذا بسبب وجود مفردات مستحدثة، وإهمال بعضها الآخر، ويغفل المستشرقون أنّ هذا جزء من نظام اللغة، ولا يجعل منها لغة أخرى. وهذا تطوّر طبيعي في اللغات كلّها حيث يتمّ إثرائها بمفردات جديدة مسايرة للعصر، وظهور مفردات جديدة لا يعني بحال ظهور لغة جديدة أو تغييراً في اللغة أو في تسميتها.

يطرح المستشرق فكرة أخرى، وهو بصدد الحديث عن صعوبة تطبيق المنهج الإحصائي على اللغة العربية، تتمثّل في المشترك اللفظي (تعدّد معاني الكلمة الواحدة)، ستكون الصعوبات أكبر، بسبب وجود كلمات كثيرة، تحمل كل منها معانٍ متعدّدة. وهو بهذا يتجاهل حقيقة أنّ هذه ميزة للغة العربية، وليست عيباً تُتهم به ولم يكتف بذلك؛ بل وصفها بالفوضى الدلالية، وهي الفكرة نفسها التي أشار إليها المستشرق (شربونو)، حين تحدّث عن الدوار الذي يصيبهم جراء الثراء المعجمي للغة العربية، وهو ما يؤكّد وحدة تصوّرات المستشرقين الفرنسيين ومواقفهم في معظم الأحيان حول العربية.

كما أن قوله: (هذه اللغة التي تتأى عن الثبات) غامض، إذ يصعب تحديد ما يقصده به، فهل هناك لغة حيّة ثابتة معجمياً؟ وكأنّ وجود مفردات حديثة وجديدة في العربية عيب؟ وهو الأمر الطارئ على اللغات كلّها بما فيها الفرنسية، فالمستوى المعجمي والدلالي يتطوّر في اللغات كلّها، لكن نظام اللغة العربية الصوتي والصرفي والنحوي ثابت لم يتغيّر منذ قرون. وفي موضع آخر يُكرّر الفكرة ذاتها، قائلاً: (في هذه الظروف وبعد تحديد حجم المعجم (عدد المفردات)، لا بدّ من الاعتراف أنّ لكلّ مفردة وجوداً مستقلاً ودلالة محدّدة، رغم التخبّط في البحث عن المعاني (tâtonnements) الذي يؤخّر ثبات العربية). يعترف المستشرق في بداية القول بوجود دلالات محدّدة للكلمات، لكنّه لا يلبث أن يؤكّد مرة أخرى غموضها، والجهد الكبير والشاق المبذول معها، وهو ما نتج عنه -حسب المستشرق- "تأخّر استقرار العربية"، ولا يوجد تفسير لما يقصده بهذا القول؟

لا ينسى المستشرق الإشارة إلى تأثر العربية باللغات الأخرى التي أثرت بها، (ونشير إلى التأثيرات الأجنبية التي أسهمت في استقرار جزء مهم، ومعتبر من الكلمات - الأكثر حيوية-). وهو بلا شكّ يقصد المصطلحات العلمية، التي دخلت من اللغات الأجنبية. وهذا أمر لا يمكن إنكاره، وله أسباب كثيرة، يتعلّق معظمها بالجانب التاريخي، وسياسة التّجهيل وإقصاء العربيّة من المجالات العلمية. وهو ما أشير إليه في الفصول النظريّة، وهي سياسة فرنسا في الجزائر، وسياسة الدول الكبرى جميعها مع البلدان المحتلة.

ليشير في الأخير إلى أنّ مفردات هذا المعجم، تخصّ عموم العرب، إلّا أنّه سجّل استثناء بالنسبة إلى بعض المفردات، والتي وصفها بالجهوية، وقد تمّ إتباعها برموز، مثلاً حرف (A) للجزائر. « ففي الشمال الإفريقي بصفة خاصة ... الإشارة إلى بعض الكلمات المحليّة أو الخاصة بمناطق معيّنة، وللتنبية أتبعنا الكلمة برموز مثل: الجزائر مصر، العراق، المغرب...»⁽¹⁾ وهنا اتّضح بعد البحث عن بعض هذه الكلمات أنّه لا يوجد اختلاف حولها، إذ تستعمل في العالم العربي أجمع، وذلك مثل: (مراقب-contrôleur)،⁽²⁾ إذ رمز لها بـ (M . T)، بمعنى أنّها تستعمل فقط، في: المغرب الأقصى، وتونس. وكما هو معلوم، فإنّ هذا أمر جانبي للصواب -في حدود العلم- إذ يتّفق العرب جميعهم على معنى واحد لهذه الكلمة. وأتبع كلمة (وَالِ -gouverneur) بالرمز (A) بمعنى أنّها تستعمل فقط في الجزائر. وهذا أمر موجود في البلدان الغربية المستعملة للغة واحدة، فيما يتعلّق بالإدارات والألقاب، ولا يقتصر على

¹- Pellât, Charles. L'ARABE VIVANT. Avertissement. p4.

²-. ibid. P 440.

العرب، إلا أنّ المعنى اللّغوي للكلمة متّفق عليه، وهو كما ورد في الوسيط: «الولاية: القرابة - الخطّة والإمارة - السلطان - البلاد التي يتسلّط عليها الوالي».⁽¹⁾ ومن الكلمات والعبارات التي أوردتها (لقضاء آخر الأسبوع، على الساعة الرابعة مساءً، بلد، شريطيّة هندی، بسّباس، الإدارة العرفية، مقيم، إقامة...) لم يتمّ إحصاء هذه الكلمات، لأنّ معظمها مشترك بين العرب ولا اختلاف حولها، وبعضها الآخر له علاقة بألقاب ومناصب إدارية، أو مأكولات أو فواكه تحمل تسميات مختلفة وبعضها عامي، مثل: (هندي) الذي قابله ب (cactus).⁽²⁾ وهو بالعربية الفصحى (التين الشوكي). وهذا ينفي وجود اختلاف في الكلمات العربية بين العرب، كما أشار إليه المستشرق.

4-2- رؤية المستشرق إلى اللغة العربيّة من حيث نظام الكتابة:

4-2-1- نظام الكتابة في المعجم: لم يرد في معجم المستشرق بيلا (العربية الحية) إشارة إلى الكتابة بالخط اللاتيني. وظّف المؤلّف شارل بيلا الخطّ العربي للكلمات العربية المقابلة للكلمات الفرنسية والملاحظ في هذا العمل أنّه كُتب بخطّ اليدّ، وأحيانا يجد القارئ صعوبة في فهم بعض الكلمات، ولاسيّما منها الكلمات الفرنسية، وقد يُفسّر هذا الأمر بالإمكانات المادية الضعيفة للمستشرق، مع حرصه على نشر هذا العمل، أو لأسباب أخرى مجهولة، كأن يكون التمكن من إثبات الحركات بدقة كبيرة، وهو ما لن يتيّسر له ربما بطباعته آليا، إذ صدرت له كتب طبعت آليا وظّف فيها الخطّ العربي، مثل كتاب مدخل إلى العربية الحديثة سنة 1974م؛ أي قبل هذا المعجم بعشر (10) سنوات، وقد ضبطت حروفه بالحركات. وما ينبغي التأكيد عليه هو التزام المؤلّف بالحركات بشكل كبير.

¹ - مجمع اللغة العربيّة. الوسيط. مادة (الموالي).

² - Pellât, Charles. L'ARABE VIVANT. Avertissement. p 59.

4-2-2- الكتابة المستعملة في مؤلفاته الأخرى: وردت قائمة الحروف اللاتينية التي يقابل بها

المستشرق بيلا الحروف العربية في كتاب (مدخل إلى العربية الحديثة).⁽¹⁾ حيث وظّف الخطّ اللاتيني لكتابة بعض الكلمات العربية عند الشرح، إذ ترد جملة بالفرنسية تقابلها جملة بالعربية، وبعدها يشرح بعض الكلمات بعربية مكتوبة بالخطّ اللاتيني، مثالاً:⁽²⁾

le roi, le ministre, le pays أَلْمَلِكُ، أَلْوَزَارَةُ، أَلْبِلَادُ

Malik un li-bilād in (مَلِكٌ لِبِلَادٍ) un roi d'un pays

يلاحظ القارئ الكريم، من خلال هذا المثال، كيفية تعامل المستشرق مع اللغة العربية في هذا الكتاب، ويفهم منه أنه يلجأ إلى الحرف اللاتيني، لتسهيل الدّروس على المتعلّمين الفرنسيين. وقد قوبلت الحركات، كما هو واضح، في المثال بحروف لاتينية وُضع تحتها سطر، وما لوحظ أنه أثبت همزة قطع في كلّ الكلمات المعرّفة، (الملك)، (أَلْحُكُومَةُ)، وغيرها. أمّا في كتاب اللغة والأدب العربي (LANGUE ET LITTÉRATURE ARABE)، فلا وجود للخطّ العربي، فهو كتاب باللغة الفرنسية، وردت فيه الكلمات العربيّة بالخطّ اللاتيني، قد يرتبط الأمر بكونه كتاباً نظرياً، (hidjâ', rithâ', nacîb, (zuhdiyyât)⁽³⁾ والكلمات بالخطّ العربي، هي: (النّسيب؛ أي شعر الغزل والزّهديات، والرّثاء، والهجاء). يتّضح ممّا سبق أنّ المستشرق شارل بيلا، يوظف الخطّ العربي في مواضع، مثل معجمه (العربية الحية)، وقد يكون للمستوى الذي يتوجّه إليه أثر في ذلك، بمعنى أنه يكتفي بالخطّ العربي مع المستويات المتقدّمة من المتعلّمين، ويوظّف الخطّ اللاتيني إلى جانب الخطّ العربي مع المستويات الأقلّ تقدّماً في تعلّم اللغة العربية، ويكتفي بالفرنسية في أعماله النّظرية، بمعنى في الكتب التي تهدف إلى التّعريف باللغة وأدبها لا إلى تعليمها.

¹ -Pellat, Charles. introduction à l'arabe moderne. p9, 10.

²-ibid. p21, 23.

³- ibid. p16, 17.

جدول يمثل الحروف العربية ومقابلاتها اللاتينية

مستقل	البداية	الوسط	الآخر	التسمية	مقابل لاتيني	مستقل	البداية	الوسط	الآخر	التسمية	مقابل لاتيني
ا	ا	ل	ل	alif	a	ض	ض	ض	ض	ādd	ḍ
ب	ب	ب	ب	bā'	b	ط	ط	ط	ط	āt'	ṭ
ت	ت	ت	ت	tā'	t	ظ	ظ	ظ	ظ	āz'	ḏ -ẓ
ث	ث	ث	ث	tā'	t	ع	ع	ع	ع	'ayn	'
ج	ج	ج	ج	ġim	ġ	غ	غ	غ	غ	ġayn	ġ
ح	ح	ح	ح	ḥā'	ḥ	ف	ف	ف	ف	fā'	f
خ	خ	خ	خ	āḥ'	ḥ	ق	ق	ق	ق	qāf	q
د	د	د	د	dāl	d	ك	ك	ك	ك	kāf	k
ذ	ذ	ذ	ذ	dāl	d	ل	ل	ل	ل	lām	l
ر	ر	ر	ر	rā'	r	م	م	م	م	mīm	m
ز	ز	ز	ز	zā'	z	ن	ن	ن	ن	nūn	n
س	س	س	س	sīn	s	هـ	هـ	هـ	هـ	hā'	h
ش	ش	ش	ش	īšn	š	و	و	و	و	wāw	w, ū
ص	ص	ص	ص	āṣd	Ṣ	ي	ي	ي	ي	yā'	y, ī

يمثل الجدول الطريقة التي يقابل بها الحروف العربية بالحرف اللاتيني أو النقحرة، وهي مقابلات

مشتركة أحيانًا بين المستشرقين الفرنسيين، ومختلفة في أحيان أخرى.

المبحث الثاني: تحليل معجم (لغة اليوم لماثيو جيدر)

سيتناول هذا المبحث معجم المستشرق ماتيو جيدر بعنوان (لغة اليوم LEXIQUE BILINGUE DE L'ARABE D'AUJOURD'HUI)، الصادر سنة 2001م بباريس، سيعمل البحث في هذه المحطة على استكشاف هذه اللغة، وكيفية تعامل المستشرق معها، في ضوء هذا المعجم وقبل ذلك لابد من التعريف بصاحبه.

التعريف بالمستشرق ماثيو جيدر (Mathieu Guidère): ولد ماثيو جيدر سنة 1971م بتونس درس بثانوية كارنوت بتونس قبل الانتقال إلى فرنسا، لمواصلة دراساته العليا في السوربون باريس(7) حيث درس الأدب المعاصر والدراسات الشرقية، توج مشواره بدكتوراه في اللسانيات الفرنسية، وفي 1997م كان الأول، حيث حصل على شهادة التبريز في اللغة العربية، وبدأ مشواره بوصفه أستاذا باحثا برتبة أستاذ محاضر في جامعة لوميار ليون 2. (université lumière Lyon 2)، لديه شهادة في الترجمة والعربية، وكان أستاذا من حين إلى آخر في المدرسة العسكرية الخاصة في سان كير (saint-Cyr)، من (2003-2007)، وبعدها أستاذا منتدبا، (professeur détaché) بجامعة جونييف من (2007-2011) قبل أن يُنصب بوصفه أستاذ الإسلاميات (islamologie)، والحضارة الإسلامية بتولوز (Toulouse 2) سنة 2011م. وبعد أحداث 11 سبتمبر 2011م، وبفضل كفاءاته اللغوية استتجد به وزير الدفاع الفرنسي حيث تخلى عن مهامه بالمدرسة العسكرية، ليسيّر برنامج اليقظة حول التطرف (programme de veille sur la radicalisation مخبر تحليل المعلومات الاستراتيجية والرقابة التكنولوجية laboratoire d'analyse de l'information stratégique et de veille technologique)) وكُلف ابتداء من 2004م بمهام في وزارة الدفاع، بوصفه ضابطا ومدرسا أكاديميا لابن أمير قطر الذي كان تلميذا ضابطا من (2004 إلى 2007م) في سان كير. ومن (2007 إلى 2011) فُصل من مهام أستاذ الرقابة الاستراتيجية متعدد اللغات والترجمة بجامعة جونييف، لكنه واصل في تسيير برنامج الرقابة الاستراتيجية حول التطرف.⁽¹⁾ يتضح أن الأستاذ تعامل مع الوسط السياسي والعسكري أكثر منه مع الوسط الأكاديمي، وارتبط اسمه بالمهام الأمنية بشكل جلي.

¹-www.diploweb.com/_Mathieu-GUIDERE_.html45 و 2019/10/7 /Biographie mise à jour en 2017.

أهم أعماله: أمّا مؤلفاته، فقد نشر عدّة كتب حول الإسلام المتطرّف* والإرهاب الدّولي، بالإضافة إلى أطلس البلدان العربية، وحول تحليل الرّبيع العربي. وفي 2013م شرع في سلسلة العالم العربي والعالم الإسلامي. يُعرف الأستاذ ماتيو جيدر حاليا، بكونه مختصا في الإسلاميات ومستعرب، ومن أفضل المختصين الفرنسيين في البلدان العربية والحركات الإسلامية. كما أنّ أبحاثه في التاريخ المعاصر مراجع ذات مصداقية كبيرة، وقد تحصل على جائزة أحسن معجم سنة 2012 بمعجمه (historical dictionary of islamic) باللّغة الإنجليزية. ونشر حوالي ثلاثين (30) كتابا حول اللّغة والثقافة والترجمة والجغرافية السياسية والإسلام المتطرّف، والإرهاب عامة. نشر عام 2017م أطلسا نسب فيه الإرهاب إلى الإسلام (le terrorisme islamiste)، ولديه مقالات أيضا حول الأحداث السياسية في البلدان العربية.⁽¹⁾ سينتقل البحث إلى أعماله في مجال اللّغة، فترى هل ستكون بالكثرة والتنوّع نفسه؟

أمّا في مجال اللّغة، فسجّل البحث ثلاثة كتب، وهي متوفرة في بعض المكتبات الجامعية الأولى: "نحويا صحيح" (grammaticalement correcte)، وهو كتاب تعليمي، كما هو واضح من عنوانه تضمّن دروسا في النّحو العربي، وهو موجه بالدّرجة الأولى إلى طلبة الثّانوي والمرحلة الجامعية الأولى بمدخل فرنسية وعربية، يتضمّن ثمانين (80) درسا، تطرّق فيه إلى بعض الصّعوبات التي يجدها المتعلّمون المفرنسون في بعض المفردات وترجمتها، وأتبع هذه الدروس بتمارين تمتحن مدى استيعاب المتعلّم للدرس، وهي مصححة في نهاية الكتاب.

وهناك مسرد مفصّل بالفرنسية والعربية يسمح بإيجاد الموضوعات المتضمّنة. ويقول إنّ اللّغة المعالجة في هذا الكتاب هي اللّغة العربية الفصحى الحديثة، ما سماه (l'arabe littéral)، والمستعملة في الأدب والإعلام، وقد أحال من يريد التعمّق إلى كتاب بلاشير (Blachère) وغيره.⁽²⁾ والكتاب الثّاني بعنوان أتكلّم العربيّة (je parle arabe)، وهو مجموعة من الألعاب اللّغوية، وفي نهاية الكتاب جدول

• لا وجود لإسلام متطرّف هناك إسلام واحد من عند الله سبحانه وتعالى، وهذا تشويه للحقائق. قد يصدق إطلاق هذه التسمية على بعض الجماعات التي تنسب نفسها إلى الإسلام، وهي معظمها مفتعلة لتشويه الإسلام. وحينها يصلح تسميتهم المتأسلمين المتطرفين.

¹- https://www.diploweb.com/_Mathieu-GUIDERE_.html 45 و 2019/10/7 /Biographie mise à jour en 2017

²- voir Guidère, Mathieu. grammaticalement correct! grammaire alphabétique de l'arabe. . Paris, ellipses édition marketing, 2001. Avant-propos.

للتصريف ملحق بمسرد بالكلمات الواردة بالعربية والفرنسية.⁽¹⁾ وأورد في الكتابين معا جدولا للألفبائية العربية، وما يقابلها بالحرف اللاتيني. وثالث كتاب هو الترجمة العربية (la traduction arabe).⁽²⁾ مما ورد فيه اللسانيات والترجمة الآلية وعلم الترجمة، اختيار المقابل المناسب وتعليم الترجمة، وغيرها من الموضوعات. بالإضافة إلى كتاب بعنوان (Manuel de traduction) الذي صدر سنة 2018م، وهو كتاب موجّه بالدرجة الأولى -حسب المؤلف- للطلبة المستعربين المسجلين في تخصص اللغات، وكذلك لغير المختصين من الراغبين في التدرب على الترجمة من الفرنسية إلى العربية، قُسم إلى ثلاثة أقسام: قسم للكلمات، وثان للجمل وثالث للنصوص، وقد أشار في مقدمته⁽³⁾ إلى أنها مقتبسة من مصادر عربية فصحى حديثة، وهي نصوص أدبية، وعلمية، وتقنية وقانونية.

وما لفت الانتباه أنه أورد أشعارا جاهلية، مثل قصيدة امرؤ القيس قفا نبكي...⁽⁴⁾ كما أورد نصين للأديب أحمد أمين، الأول: بعنوان (وجهات الإسلام)، والثاني: بعنوان (بداية التشريع)، المقتطف من كتاب (فجر الإسلام).⁽⁵⁾ وهذا يعكس اهتمامه باللغة العربية الفصحى، وقد تكون له أهداف أخرى.

أشرف على (معجم كلمات KALIMAT le vocabulaire arabe)⁽⁶⁾ الذي شارك فيه مجموعة من الفرنسيين والعرب، وهم: (ماري هلين أفريل من جامعة بوردو3 فرنسا Marie-Hélène AVRIL) (Xavier Université de Bordeaux III, France)، وكزافيي ليلوبر من جامعة ليون2 فرنسا (Lyon2, France Université de Lyon2, France)، وسلام بازي حمزي من جامعة ليون 2، فرنسا (Salam Bazzi-HAMZE Université de lyon2, France) وريتا موكاناس مازن من جامعة جرينوبل 3، فرنسا (Rita MOUCANNAS-MAZEN Université de GRENOBLE III, France). وأمال الصبان، من جامعة عين شمس مصر (Amal EL SABBANE)، هدى موكاناس مهيو، الجامعة اللبنانية، (Hoda MOUCANNAS-MEHIO) لين فرانجي، من جامعة جرينوبل 3، فرنسا (Lynne Université de GRENOBLE III, France) ومانار رشدي، من جامعة عين شمس مصر (Manar ROUCHDY) وماتيو جيدر من جامعة ليون2 فرنسا (Mathieu GUIDERE).

¹- voir : ibid.

²- voir : Guidère, Mathieu. la traduction arabe méthode et applications. ellipses édition marketing. 2005.

³- voir : Guidère, Mathieu. manuel de traduction, Paris, ellipses édition marketing, 2018, p3.

⁴- ibid. p201.

⁵- ibid. p192, 196.

⁶-voir : Guidère, Mathieu et autres, كلمات le vocabulaire arabe, Ellipses édition marketing, 2003.

(Camilia SOUBHI) Université de Lyon2, France)، وكميليا صبحي من جامعة عين شمس (Camilia SOUBHI). يبدو أنّ هذا العمل المعجمي، هو نتيجة مشروع بحث جامعي. افتتح المعجم بتقديم (PREFACE) باللغة الفرنسية، "انبثق معجم كلمات العربي انطلاقا من فرز منظم ومستمر للمنشورات العامة والمتخصصة، للمنظمات الوطنية، والهيئات الدولية، يظهر هذا المعجم في شكل بنك للمعلومات أو قاعدة معطيات لمواضيع أو عناوين رئيسة للغة العربية. ما يميّز به معجم كلمات، هو رصده لمجموعة من المفردات، والتعابير المعتمدة في الواقع، كلّ الاستعمالات الموجودة مصدرها من نصوص أصلية، متوفرة على مستوى الشبكة، باللغتين الفرنسية والعربية، هي كلمات تمّ تحضيرها والموافقة عليها، انطلاقا من مدونة كبيرة من النصوص العامة والمتخصصة، والتي تمثل تنوّع الاستعمالات في البلدان العربية. وهو ثمرة تعاون وجهود فرنسية عربية، ما بين باحثين وجامعيين من فرنسا ومصر ولبنان، في الفترة الممتدة ما بين (2001-2002).

قبل أن يكون قائمة من الكلمات المنتمية إلى مجال معيّن، يسعى معجم كلمات، لأن يكون معجما عربيا معاصرا. يتوجّه إلى جميع الطّلبة الجامعيين، وإلى تلاميذ أقسام التّحضير للمسابقات في المدارس العلمية والتّجارية العليا، بالإضافة إلى طلبة العلوم السياسية، وهو مفيد لكل المتخصّصين العربيين الذين لديهم فضول، للاطلاع على أحداث العالم المحيط بهم، والذين يرغبون في اكتساب لغة ومفردات خاصة بزمنا هذا. ويتوجّه أيضا إلى الأستاذ المهتمّ، ويسمح له بمعالجة مواضيع الساعة بطريقة متنوعة ومنهجية في قسمه.

كما يمكن استعمال هذا المعجم العربي في العمل الكتابي، وكذلك في عملية التّواصل الشّفوي. ثراء هذا المعجم من حيث المواضيع المعالجة (أكثر من ألف)، يسمح له بتلبية معظم مواضيع الساعة التي تفرزها الوقائع والأحداث. وعليه يجب أن يمكّن الطالب من تناول أيّ مشكلة أو إشكالية في المجتمع بمفرده، كتابة، ويسمح له بإجراء حوار حول أحد المواضيع أو الوثائق، والقيام بخطاب عام أو متخصّص. ومن جهة أخرى يفيد المترجم سواء أكان طالبا أم متخصّصا، وذلك من النّاحية العملية واللّغوية. الطريقة المعتمدة ببناء وتعليمية، يعتبر كل باب قائما بذاته، ويتناول بطريقة مستقلة قدر الإمكان المشاكل المثارة وفق خطة متنامية (متفرعة). كما ركّزنا على الكلمات المقترحة، حيث تكون طريقة توظيفها منسجمة في السياق، وحفظ الكلمات بطريقة منظمة، رأينا من الضروري إدراج الكلمة ضمن عبارة، لتوضيح أشكال

استعمالها وحدوده، وكتابة هذه البنية في الإطار الأكبر للمفهوم. هناك مسرد للمواضيع المعالجة باللغة العربية واللغة الفرنسية، ويوفر للقارئ ما يبحث عنه حسب المجال المرغوب. نرجو بهذا تزويد القارئ العربي بوسيلة معرفية وظيفية، ويمثل بحثا جامعيا في المجال المعجمي الوثائقي، بطريقة ميسرة، وفي متناول الجميع. إنَّ المتأمل في سيرة المستشرق، أو كما يقال الآن المستعرب، (ماثيو جيدر) يدرك أنَّ اهتمامه باللغة العربية، كان بشكل كبير في مجال السياسية، وهو ما يتبين للقارئ عند الاطلاع على مؤلفاته التي تصبَّ في دراسة الإسلام، كما يسميه (المتطرّف، والإرهاب، والبلدان العربية، والرّبيع العربي). بالإضافة إلى المهام التي أداها في وزارة الدفاع وغيرها، كل هذا يجعله سياسيا أكثر منه باحثا لغويا أو أستاذا، ويبدو أنَّ اهتمامه منصب على الترجمة من العربية إلى الفرنسية، ومن الفرنسية إلى العربية.

1- التعريف بمعجم جيدر:

1-1- المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1- عنوان المعجم: (لغة اليوم Lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui)

يُفهم من هذا العنوان أنَّ هذه المدونة عبارة عن مفردات العربية المعاصرة، وقد وسمه بـ (لغة اليوم).

1-1-2- دار النشر: الوقت، بباريس سنة 2001م. (édition du temps, Paris, 2001).

2-1- المعلومات الواردة في بداية المعجم:

1-2-1- مقدّمة المعجم: يأتي هذا العمل في الإطار العام للسانيات المدونة (linguistique

de corpus)، يهدف إلى استقصاء أهمّ المفردات، وذلك بواسطة مناهج إحصائية حيث يأخذ اليوم تعليم اللّغات الحيّة بعين الاعتبار، نتائج التّحريات الإحصائية في المعجم الأساسي. إنَّ تحديد قائمة الكلمات المتكرّرة بكثرة في خطابات محدّدة، يحقّق فائدة كبيرة في حقل التّعليمية، ويسمح بمعرفة الكلمات التي يجب التّركيز عليها في التّعليم. إنَّ معرفة هذه الكلمات والتحكّم في هذه الأنظمة، إضافة قيّمة في إطار تعلّم منظّم وعقلاني للغة. إنَّ التّحقيقات المنشورة إلى حدّ الآن انطلقت من خطابات لمواقف تواصلية متنوّعة، لكنّها دائما مقتطعة من وثائق مكتوبة للأدب المعاصر والصحافة، وتحرياتنا استندت إلى المنشورات اليومية للصحافة العربية التي توفّر قائمة كلمات سهلة للفهم منتظمة ومتنوعة، بفضل تعدّد أعمدتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأدبية، والرياضية الوطنية والدولية.

يقول: (انطلقنا في تأليف هذا المرجع، من المدونة الصحافية المتوفرة في الشبكة، وقمنا بتحقيقات دقيقة منتظمة، مركزين على خطابات منتشرة في العالم العربي، وتستمدّ المدونة الصحافية أهميتها من انتشارها الواسع، وتنوعها ومسايرة كلماتها للواقع المعاصر).⁽¹⁾ أشار إلى أنّ المعجم الثنائي لـ (عربية اليوم) تضمّن أكثر من ثلاث آلاف (3000) كلمة وعبارة، من لغة الإعلام الأكثر استعمالاً، ووضّح طريقة اختيار هذه الكلمات، وذلك من مدونة صحفية تضمّ حوالي مائتي ألف كلمة (200.000). وربّبت يدويا انطلاقاً من معالجة حاسوبية أولية، لوثائق نصية على أساس تحليل إحصائي آلي، ولم يؤخذ بعين الاعتبار كل من أسماء الأعلام، والعلامات، والمواد المبيعة. قامت الدراسة أساساً على عينة، تتمثّل في أربع صحف يومية من الشرق الأوسط والمغرب: النهار، الأهرام، الصباح، الشرق الأوسط. صدرت نصوص المدونة ما بين (2000-2001)، وهي ممثلة لمختلف الأعمدة، يتعلّق الأمر هنا إذن بـ نقصي أو استطلاع إعلامي لكلمات معاصرة (médiascopie). يتعلّق الأمر بمرجع نهائي يحمل رسالة عملية تربوية.

يتألّف الكتاب من قسمين، تضمّن الأوّل الكلمات الأكثر تكراراً في سبعة (7) موضوعات مستمدة من أعمدة الصحافة اليومية، الصفحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية والثقافية والأدبية تتماشى العناوين الفرعية مع الموضوعات. يعكس الترتيب الذي جاءت وفقه الكلمات، درجة أهميتها في المدونة، حيث شغلت مفردات السياسة والاقتصاد الرتبة الأولى من حيث العدد أكثر منه من حيث التكرار. وقد ذكر في الهامش بعض الكلمات الأكثر تكراراً، وهي: إسلام، عولمة، اقتصادي، رئيس، وزير سيادة استقبل، قال، عربي، فلسطيني، إسرائيلي، أمريكي، كروي.⁽²⁾

صنّفت الكلمات في القسم الأوّل حسب الموضوعات التي تنتمي إليها، ربّبت ترتيباً ألفبائياً فرنسياً لتسهيل استعماله للقراء الفرنسيين، وهذه المداخل موجودة في الملحق، مع تحديد عدد مرات تكرارها. ووضّح أنّ المعاني الواردة للكلمات جاءت حسب سياقها في المدونة، ولا يمكن الاستغناء عن المعاجم العامة للغة العربية للوصول إلى معانيها بدقة أكبر. أمّا القسم الثاني فالكلمات مصنّفة فيه إلى ثلاثة

¹- voir : Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. Paris, édition du temps, 2001.p11.

²- ibid. p17.

أصناف رئيسية: الأسماء، الأفعال، الصفات. وهنا أيضا يعكس ترتيبها أهميتها الجزئية في المدونة الأسماء المشتركة غالبية بدرجة كبيرة، ووجودها في العمود الواحد يمثل أهميتها الوظيفية والتعليمية. أُرْفَقَ كلّ مدخل بجملة مترجمة توضّح المعنى، وهي كما وردت في المدونة لا تقدّم إلا معنى واحدا من المعاني المتعدّدة للكلمة، حسب استعمالاتها المختلفة، ترجمة الجمل أيضا توضيحية ليست حرفية؛ بل هي مساعدة لفهم الجمل العربية. وهذه الجمل لها ثلاث فوائد، حيث تقدّم الكلمة المطلوبة وتوضح المعنى، وطريقة توظيفها في لغة الإعلام.⁽¹⁾ كما تعطي فكرة عن التراكيب المستعملة في اللغة العربية المعاصرة، وهو ما يعود القارئ على لغة الصحافة المعاصرة. وأخيرا تقدّم مقارنة الترجمة بالمثل حيث إنّ الترجمة الفرنسية تقدّم معنى الجملة العربية إلا أنّه لا يوجد أحيانا مقابلات مناسبة متطابقة بين الجملتين. تضمنت الملاحق عددا من الكلمات المكررة والعبارات المستعملة في لغة الإعلام، التي لم ترد في القسمين الأوّل والثاني، لئلا تنتشّت فتضيع فائدتها، لأنّهما يشكلان مجموعات متجانسة ومنظمة يتعلّق الأمر بكلمات وظيفية، وأعداد، وأيام الأسبوع، وشهور السنة، وأسماء بلدان ومدن، كل هذه الكلمات يجب أن تُعرف بسبب تكرارها الكبير في اللغة العربية المعاصرة المستعملة.

وأخيرا يأتي المسرد الألفبائي بـ (الفرنسية والعربية)، لكل الكلمات الواردة في هذا المعجم لتسهيل الاستعمال، ولاستخدامه بوصفه قاموسا صغيرا للغة الإعلام (glossaire)، وتمّ وضع مؤشر التكرار بين قوسين وفق ثلاثة مستويات. [(1-1000)، (1001-2000)، (2001-3000)]. وقد قسّمه إلى أبواب أو حقول مختلفة، وحقل الأسماء والأفعال والنوع، بلغ عددها تسعة وخمسين (59).

1-2-2- طريقة الاستعمال: يقدّم المستشرق جيدر، هذا المرجع على أنّه لتعليم العربية الفصحى المعاصرة، لكنّه لا يتضمّن دراسة نحوية للذين يريدون الحصول على مستوى مبدئي في لغة الصحافة بل يقدّم صورة ممثّلة للغة العربية المستعملة في الجرائد اليومية، ثمّ نصح القارئ بقراءة الكلمة بالعربية دون النّظر إلى ترجمتها، وبعدها قراءة الجملة المثل (النّموذج) دون العودة إلى الترجمة الفرنسية لفهم المعنى، في حالة عدم فهم الكلمة ضمن سياقها، ومن الأحسن عدم حفظ التّرجمات المقدّمة؛ بل التّركيز على معنى الجمل العربية.⁽²⁾ وهي نصائح تيسّر الاستفادة من هذا الكتاب.

¹- Guidère, Mathieu, lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p13.

²- voir : ibid. p14, 15.

1-2-3- خطة عمل لاستثمار تربويّ فعال: يقدّم هذا المرجع تمارينات مختلفة حول لغة الإعلام ومفرداتها، إذ لا يقتصر هذا العمل على تقديم كلمات وعبارات بالعربية؛ بل يضيف بعض الاقتراحات للعمل الفردي في المنزل أو تحت إدارة أستاذ أثناء الدّروس، وهي تمارينات متنوعة، منها:

- **تمارينات الصّرف:** وتتمثّل في ملء الفراغات بما يناسبها من معلومات، وذلك انطلاقاً من قسم الموضوعات، (المفرد، الجمع)، مع العودة إلى المعاجم.

- **وضع مخطط للكلمات الواردة، الأفعال المشتقة، المصادر (nom d'action).**

- **إيجاد جذر الكلمات:** تحديد جذر الكلمات مع ذكر الكلمات المتفرّعة عن الجذر الواحد مجتمعة.

- **تمارينات صوتية:** إضافة الصّوائت (الحركات) الناقصة بالعودة إلى المعجم.

- **تمارينات المقارنة:** تجميع الجمل المنتمية إلى عمود واحد، حسب بنيتها أو نوعها: (اسمية، فعلية أو شرطية، أو ظرفية).

- **تمارينات التّحرير:** تشكيل جمل بمحاكاة الجمل (الأمثلة) المقدّمة في القسم الثّاني من الكتاب.

- **تمارينات التّحويل:** القيام بتعديلات حول تركيب الجمل الواردة القلب (inversion) الإضمار والشرط.

- **تمارينات التّرجمة:** مقارنة الجمل العربية مع ترجمتها الفرنسية، وتحرير قائمة الكلمات العربية وما يعادلها في الفرنسية لكل مثال.⁽¹⁾ ما يفهم من هذه التطبيقات أنّ المستشرق، يهدف بهذا العمل إلى تعليم لغة الصحافة للراغبين في ذلك، فيكون بهذا كتاباً تعليمياً.

1-2-4- ملاحظات حول التّقديم:

قدّم كلّ مدخل على سطر واحد، وهي الطريقة الأكثر استعمالاً في المدونة، عند ورود مدخل في مقطع الكلمة التي ترافقه، تقدّم بإدخالها في القائمة مع مطّة (~)، مبيّنة أنّ الكلمة المعنية موظفة مع هذا المدخل. القوس يسجل تكرار الكلمة، الكلمة الأقل تكراراً وضعت بين قوسين. المدخل الأساس خارج المسرد، يمكن أن يكون اسماً أو فعلاً أو صفة. يأتي الفعل في شكله الأصلي (accompli)، (الماضي والمضارع) مع ضمير الغائب المذكور (هو). الحركات ليست موجودة، عند وجود حروف ممدودة. الكتابة

¹- voir : Guidère, Mathieu, lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p15, 16.

والحركات في الأمثلة خضعت لشكلها الأصلي في المدونة، غياب الهمزة، الوصلة الشدة، الحركات القصيرة إلخ.⁽¹⁾ نوع الخط وحجمه التزم بالمعمول به في المدونة. وجمع الأسماء، والمضارع مثبتة بعدها بخط مائل. والمعاني المختلفة الواردة بالفرنسية مفصولة بفاصلة. يقول المؤلف ماثيو جيدر إنه لم يحرص على إكمال الكلمات، مثل الجمع ولا توحيد طريقة التقديم وهذا للبقاء أوفياء للمعطيات الأصلية للمدونة، وهذه النقيصة تعتبر نقطة إيجابية، لأنها ستسمح بتقديم سلسلة تمارين مناسبة لتعليم عملي للعربية المعاصرة.⁽²⁾ يفهم من هذا الكلام أن تحليل هذه المدونة في الحقيقة، إنما هو تحليل للغة الصحافة، أكثر منه تحليل للغة المستشرق، وإن كانت خياراته قد تعكس توجهها معينا لديه.

1-2-5- تصنيف المعجم: يتوجه المستشرق ماثيو جيدر إلى الفرنسيين والمفرنسين بالدرجة الأولى وكانت لغة المتن هي الفرنسية. كما يسعى إلى مساعدة القارئ على التعبير باللغة العربية، وهذا من خصائص المعاجم الثنائية التي تبدأ باللغة الأجنبية، فالقارئ لديه أفكار بلغته، ويلجأ إلى مثل هذه المعاجم، ليتمكن من التعبير عن أفكاره باللغة العربية، وقد وظف اللغة العربية الفصحى المعاصرة، وكتب بالحرف العربي. أما من حيث الترتيب فقد اعتمد الترتيب الموضوعي، حيث تناول معظم مجالات الحياة، وهو ما يجعله من المعاجم العامة. ويسعى إلى تعليم اللغة، وبذلك يصب هذا العمل في مجال التعليمية.

1-5-2-1- معجم للناطقين بلغة المتن: مما ورد في مقدمة المستشرق ماثيو جيدر، « في هذا القسم الموضوعاتي، رتبت الكلمات وفق أبواب، باعتماد الألفبائية الفرنسية، وذلك تسهيلا للقارئ الفرنسي للولوج في هذا العمل». ⁽³⁾ وهو ما يؤكد أن الفئة المستهدفة هي الفرنسيين أو المفرنسين.

1-2-5-2- معجم للتعبير: المفتاح للحكم على معجم ما، أنه للفهم أو للتعبير هو لغة المتن، فإذا كانت لغة المتن هي لغة الناطق باللغة، فإن هذا قد يعني بأنه معجم للتعبير، والعكس إذا كانت لغة المتن ليست لغته فالفكرة أو الكلمة موجودة لدى القارئ بالفرنسية، لكنه يريد مقابلاها في اللغة العربية، وإن كان الأمر فيه نظر. وجاءت المداخل لدى المؤلف ماثيو جيدر كذلك بالفرنسية.

1-5-2-3- معجم باللغة الفصحى: يتضمن المعجم لغة عربية فصحى، سماها المستشرق ماثيو جيدر (لغة اليوم) أو (عربية اليوم). يقصد بها عربية الصحافة.

1-5-2-4- الكتابة بالحرف العربي: وظف صاحب المعجم الحرف العربي، لكتابة كلمات اللغة العربية

¹- Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p16.

²- ibid. p17.

³- ibid. p13.

الواردة بالمتن، باستثناء بعض المواضع التي جاءت بالخطّ اللاتيني، مثل: الهمزة والوصلة والشدة (hamza, wasla, shadda)،⁽¹⁾ لكن هذا في الشرح، وليس في الكلمات والعبارات.

1-2-5-5-معجم عام: استمدّ المستشرق ماثيو جيدر، مادة معجمه من مختلف أعمدة الصحافة العربية السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والرياضية، والثقافية، والأدبية، وهو ما يجعله شاملا لمعظم مجالات الحياة.⁽²⁾ لكنه لم يتناول المجالات العلمية في هذا العمل، باستثناء بعض المصطلحات في مجال المعلوماتية.

1-2-5-6-معجم دلالي: اعتمد التصنيف حسب الموضوعات، أو ما يسمى بالحقول الدلالية.

جدول يمثل تصنيف المعجم

	للناطقين بلغة المتن	+	للناطقين بلغة الشرح
	اللغة الفصحى	+	للغة العامية
	للتعبير	+	لفهم
+	تأريخي		وصفي
+	عام	+	بالخطّ العربي
	الخط العربي	+	النقحر

يظهر هذا الجدول أنّ المعجم موجّه للفرنسيين بالدرجة الأولى، وقد زوّد المهتمين بما يمكّنهم من التعبير عن مجالات متنوّعة بالفصحى وبالخطّ العربي، وعادة هذا النوع من المعاجم، يساعد الأجانب أكثر، إذ تتجمّع كلمات المجال الواحد في مواضع محدّدة، وما على القارئ إلاّ التوجّه إلى المجال الذي يهّمه، والبحث عن الكلمات المطلوبة.

¹ - Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p16.

²- ibid. p12.

2- قضايا الجمع في المعجم:

سيقف البحث عند أهم المصادر التي اعتمدها المؤلف، سواء باللغة العربية أو باللغات الأجنبية لينتقل بعدها إلى ذكر مجالات المعجم وإحصاء كلماته، وبعدها سيحدد المستويات اللغوية الواردة فيه.

2-1- مصادر المعجم: اعتمد المؤلف عينة متكوّنة من أربع جرائد يومية؛ من الشرق الأوسط

والمغرب، وهي: (النّهار، الأهرام، الصّباح، الشرق الأوسط ما بين 2000-2001).⁽¹⁾ وذكر في الهامش بعض الأعمال والدراسات السابقة، وهي:⁽²⁾

- Brill, Moshe, in coll. With Neustadt, D and Schusser, P ; the basic word list of the arabic Daily newspaper, Qamus al-sahafa al-^carabiya al-yawmiya, jerusalem, the hebrew university press Association, 1940.
- Landau, Jacob M, A Word Count of Moderne Arabic prose, New-York, American Council of Larned societies, 1959.
- Middel-East centre for Arab Studies (shemlan, Lebanon), A selected Word-List of Modern Literary Arabic, Beyrouth, khayat's, 1969 (3^{eme} éd).
- ALECSO, Al-rasid al- lughawi al-^carabi li-talamîd al sufûf al-sitta al-'ula min marhalat al-ta'lim al -'asâsî, Tunis, 1989.
- Pellat (ch), L'arabe vivant, Paris, Maisonneuve, 1980.
- Kouloughli, (D. E), Lexique fondamental de l'arabe standard moderne, Paris, l'Harmattan, 1991.

يبدو أنّ المؤلف جدير اطلع على معاجم إنجليزية للعربية الحديثة، المستخدمة كذلك في الصحافة والعربية الفصحى الحديثة لمركز الشرق الأوسط للدراسات العربية، وهي قديمة نسبياً ترجع إلى منتصف القرن العشرين، والرصيد اللغوي العربي لتلاميذ الصفوف الستة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، بتونس سنة 1989. ومن مراجعه معجم شارل بيلا (العربية الحية)، وهو ما قد يعكس تأثره بالأعمال السابقة التي جاءت على هذا المنوال.

¹- Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p12.

²- ibid. p17.

2-2- موضوعات معجم جيدر*:

جدول يمثل موضوعات المعجم

المحور	عنوانه	المحور	عنوانه	المحور	عنوانه	المحور	عنوانه
01	السياسة	17	الخدمات	33	القانون	50	الأدوات والروابط
02	الدولة	18	الزراعة	34	الرياضة	51	البلدان وفروعها
03	الحكومة	19	المياه	35	كرة القدم	52	الهيئات الدولية
04	الأحزاب	20	البيئة	36	العلوم والتقنية	53	الأعداد
05	الانتخابات	21	الطقس	37	الطب	54	الموسيقى
06	العلاقات الدولية	22	المالية	38	الأمراض	55	الرسم
07	المنظمات الدولية	23	المصارف	39	الجسم	56	الحضارة
08	النزاع في الشرق الأوسط	24	البورصة	40	وسائل الإعلام	57	الأعياد
09	الأمن	25	السياحة	41	التلفزيون	58	الأخلاق
10	الجيش	26	المجتمع	42	الصحافة	59	الأديان
11	الشرطة	27	التربية	43	الهاتف	60	الأحاسيس
12	الاقتصاد	28	العائلة	44	المعلوماتية	61	الأسماء
13	التجارة	29	الزواج	45	معالج النصوص	62	الأفعال
14	الصناعة	30	المشاكل الاجتماعية	46	الثقافة	63	النوع
15	الطاقة	31	الفقر	47	الأدب	64	الأعداد
16	النفط	32	الهجرة	48	السينما	65	الشهور
-	-	-	-	49	العبارات الشائعة	66	كلمات متنوعة

يلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ الموضوعات متنوعة، وقد مسّت معظم مجالات الحياة بأنواعها اليومية العلمية والفنية وغيرها. وقد قسّم معجمه إلى موضوعات، ختمها بباب الأحاسيس، ثم افتتح بابا آخر جعله للأسماء متنوعة بقائمة الأفعال، فالنوع، فالعبارات الشائعة، فالأدوات والروابط، فقائمة البلدان، وبعدها قائمة أهمّ الهيئات الدولية، فالأعداد والشهور، ليختتم هذه الملاحق بقائمة من الكلمات الشائعة في المغرب والشرق بصيغتين مختلفتين، مثل: (الراهن في الشرق الأوسط، والحالي في المغرب).⁽¹⁾ وبهذا يكون جيدر قد أحاط تقريبا بأهمّ الكلمات والعبارات الشائعة، والمستعملة في الصحافة العربية في المغرب والشرق الأوسط حسب الجرد الذي قام به.

* ذكرت عناوين المجالات أو الأبواب بالفرنسية والعربية، اكتفى البحث بالعناوين العربية.

¹⁻ Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p242.

وخصّص جدولاً للأعداد الترتيبية والرئيسية، تلتها الشهور القمرية، والتي يلاحظ عدولها عن الترتيب الصحيح حيث وردت بالشكل الآتي: (ربيع الثاني، رمضان، ربيع الأول، شعبان، صفر، رجب، محرم، ذو الحجة، جمادى الآخرة، ذو القعدة، جمادى الأولى، شوال). والصواب هو: (محرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة). أتبعها بالشهور الشمسية في المغرب والسودان وليبيا، وكذا البلدان العربية الآسيوية.* ليختم بقائمة من الكلمات الشائعة في المغرب والشرق الأوسط. وفي نهاية العمل أورد ملاحق ذكرت فيها الكلمات مع درجة شيوعها.

جعل القسم الأول في أبواب حسب الموضوعات، ذكر في مقدّمته أنّه اعتمد نسبة شيوعها في الترتيب بمعنى أنّه بدأ بالموضوعات الأكثر تكراراً. والملاحظ أنّ الأهمية حسب هذا المعيار كانت للسياسة والدولة والأحزاب والانتخابات، والعلاقات الدولية والمنظمات الدولية، والنزاع في الشرق الأوسط، والأمن والجيش، وغيرها. أمّا السؤال المطروح، فهو هل يتطابق هذا المعيار (التكرار) مع محتويات كل حقل؟

2-2-1- عدد الكلمات والعبارات في المعجم: أحصى البحث عدد الكلمات والعبارات ضمن كل مجال على حدة، سيّتم الجدول على إحصاء لمضامين بعض الحقول الواردة في هذا العمل، لتكوين صورة تقريبية حول طريقة توزيع المستشرق لما تضمنه عمله.

جدول يمثل عدد كلمات وعبارات المجالات الخمسة الأولى في المعجم*

مجال	ك	ع	مجال	ك	ع	مجال	ك	ع	مجال	ك	ع
1	47	04	17	69	13	33	90	04	49	16	00
2	55	11	18	82	04	34	96	10	50	14	02
3	83	02	19	28	03	35	71	09	51	11	00
4	57	04	20	62	05	36	88	00	52	12	00
5	46	03	21	42	05	37	52	05	53	16	00

يوضّح الجدول عدد كلمات وعبارات كل مجال على حدة، وهو يعكس التفاوت بين كلمات وعبارات أقسام المعجم، إذ يُلاحظ أنّ هناك مجالات تخلو من العبارات، وقد يكون هذا مرتبطاً بمصادر المستشرق

* بلدان المغرب: جانفي، فيفري، مارس، أفريل، ماي، جوان، جويلية، أوت، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر.
مصر، السودان، ليبيا: يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر.
البلدان العربية الآسيوية: كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول.

* الخانة الأولى تحيل إلى رقم المجال، ويشير حرف الكاف إلى الكلمات الواردة في محاور المعجم، وحرف العين إلى العبارات.

وكيفية ورود الكلمة فيها، وبما أنّ الاهتمام ينصبّ عادة في المعجم على المفردات، فسينصب الاهتمام فيما يأتي على إحصاء أهم الكلمات الواردة ضمن حقول المعجم.

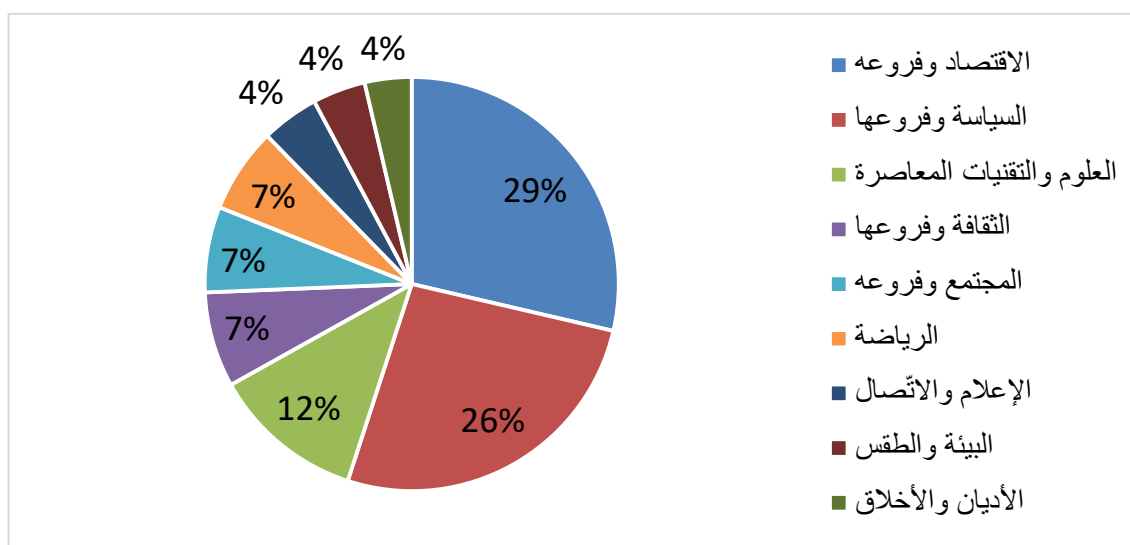
2-2-2- الكلمات في المعجم: يهدف هذا الإحصاء لعدد الكلمات إلى معرفة نوع الكلمات الأكثر

تكرارا في المعجم، وهو ما يحمل دلالات يمكن أن تعكس اهتمامات المستشرق من جهة وواقع استعمالها في لغة الإعلام من جهة أخرى.

جدول يمثل عدد الكلمات ضمن مجالات المعجم

المجال	الكلمات	نسبته
الاقتصاد وفروعه	719	28.63%
السياسة وفروعها	662	26.36%
العلوم والتقنيات المعاصرة	299	11.90%
الثقافة وفروعها	187	7.44%
المجتمع وفروعه	168	6.69%
الرياضة	167	6.65%
الإعلام والاتصال	113	4.50%
البيئة والطّقس	104	4.14%
الأديان والأخلاق	92	3.66%
المجموع	2511	99.97%

دائرة نسبية تمثّل الكلمات ضمن الحقول الدلالية في معجم ماتيوي جيدر



تضمّن معجم جيدر ستة وخمسين محورا تضمّنت إحدى عشر وخمسمائة وألفي (2511) كلمة بالإضافة إلى قائمة من الأسماء، تضمّنت حوالي خمسمائة كلمة (500)، وقائمة أخرى من الأفعال

اشتملت على ثلاثمائة (300) فعل، وحوالي مائتي نعت (200)، كما أورد أربعاً وثلاثين وستين ومائتي عبارة شائعة (234). وتكونت قائمة الروابط من ثمان وستين ومائة (168). أما أسماء البلدان والمدن وما تفرّع عنها فقد بلغت ثلاثاً وأربعين ومائتين (243)، وكان عدد الهيئات المذكورة ثمان وعشرين (28) ثم ذكر الأعداد الأساسية والترتيبية في المذكر والمؤنث، وعددها اثنان وثلاثون ومائة (132) يليها الشهور القمرية، وقد وردت بترتيب خاطئ، ثم الأشهر الشمسية في بلدان المغرب، وفي مصر والسودان وليبيا والبلدان العربية الآسيوية، حيث وردت ست وثلاثون (36) كلمة.

سيقف البحث عند المجالات حسب عدد كلماتها، حيث تمّ تقسيم المجالات إلى أربع مجموعات الأولى: من (1-25)، الثانية: (26-51)، الثالثة: (52-77)، الرابعة: (78-103).

جدول يمثل مجالات المعجم من حيث عدد الكلمات

المجموعة	عدد كلماتها	عدد المجالات	النسبة
الأولى	[103-78]	12	%21.42
الثانية	[77-52]	11	%19.64
الثالثة	[51-26]	14	%25.00
الرابعة	[25-01]	19	%33.92
المجموع	2511	56	%99.98

تضمّنت حقول المجموعة الأولى أكبر قدر من الكلمات، تمثّلت في اثني عشر (12) حقلاً وعلى رأسها (الرياضة) بست وتسعين (96) كلمة، يليها (القانون) بتسعين (90) كلمة، ف (السياحة) بتسع وثمانين (89)، ف(العلوم والتقنية)، بثمان وثمانين (88) كلمة، و(الجيش) بسبع وثمانين (87)، ثم (الحكومة) بثلاث وثمانين (83)، ف(الزراعة) و(الصناعة)، و(العلاقات الدولية) باثني وثمانين (82) كلمة، لكل منها يليها حقل (الاقتصاد) و(المصارف) بثمان وسبعين (78) كلمة.

أما المجموعة الثانية، والتي مثّلها أحد عشر (11) حقلاً، نفتتحها بحقل (التجارة)، اشتمل على أربع وسبعين (74) كلمة، ثم (كرة القدم) و(المعلوماتية) بواحد وسبعين (71) كلمة لكل منهما، يليهما حقل (الطاقة) بسبعين (70) كلمة، ثم (الخدمات) بتسع وستين (69) كلمة، وب اثنين وستين (62) للمنظمات الدولية)، ليأتي حقل (الأديان) بواحد وستين (61) كلمة، ف (الأحزاب) ب (57) كلمة و(الدولة) ب خمس وخمسين (55) كلمة، و(الطب) ب اثنين وخمسين (52) كلمة.

اشتملت المجموعة الثالثة على أحد عشر (14) حقلاً، على رأسها (السياسة) و(الصحافة) بسبع وأربعين (47) كلمة، ف(الانتخابات) بست وأربعين (46)، ثم (التلفزيون) بـ خمس وأربعين (45) كلمة و(الطقس) و(معالج النصوص) بـ اثنين وأربعين (42) كلمة لكل منهما، و(الأحاسيس) بست وثلاثين (36) و(الأخلاق) بإحدى وثلاثين (31) كلمة، و(التربية) بست وعشرين (26).

أما الحقول الأقل عدداً، فهي المجموعة الرابعة، يترأسها (النقط) و(المالية) بخمس وعشرين (25) كلمة لكل منهما، و(البورصة) بتسع عشرة (19) كلمة، و(المسرح)، و(الأمراض)، و(الأعياد) بست عشرة (16) كلمة لكل منها، و(السينما) و(الموسيقى) بأربع عشرة (14) كلمة، و(الحضارة) باثنتي عشرة (12) كلمة، و(الهاتف) و(الأمن) بعشر (10) كلمات.

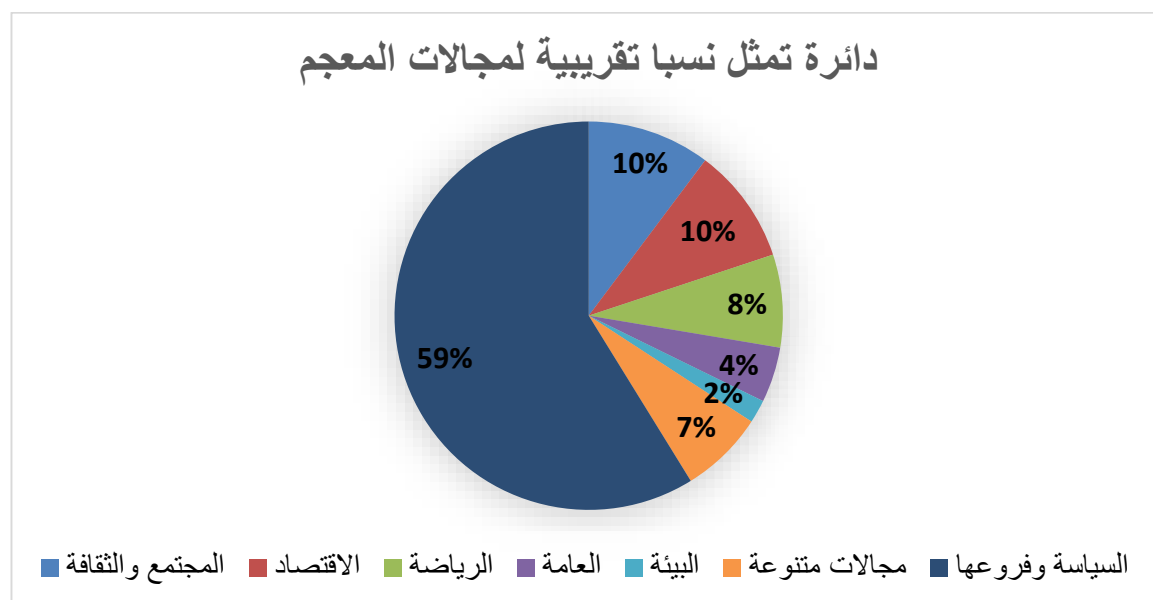
يتبين بعد الاطلاع على عدد كلمات الحقول المختلفة أنّ الأهمية كانت لمجالات متنوعة حسب معيار العدد، على رأسها الرياضة، والقانون، والسياحة، والعلوم والتقنية، والحكومة، والجيش والزراعة والصناعة، والعلاقات الدولية، والاقتصاد، والمصارف، والتجارة، وكرة القدم، والمعلوماتية والطاقة والخدمات، والمنظمات الدولية، والأديان، والأحزاب، والدولة، والطب، فالسياسة... أما المحاور الأقل عدداً فهي البورصة، والهاتف، والأمن، وسائل الإعلام، والمسرح والأمراض، والأعياد والسينما والموسيقى والحضارة. وما يمكن تسجيله هو أنّ هذه الأعداد تتماشى مع المحاور الأكثر أهمية في الحياة المعاصرة.

اختار البحث قائمة الأسماء، وحاول تقسيمها إلى مجالات، وذلك لمعرفة نوع الكلمات الغالبة وقد خضعت لترتيب ألفبائي، وحسب المستشرق جيدر، فإنّ هذا لفائدة القارئ الفرنسي أو المفرنس وللاقترب من الدقة تمّ حساب النسب، حيث اتّضح أنّ نسبة الكلمات التي تنتمي إلى مجال السياسة وفروعها قارب (58.81%)، لتبقى نسبة (41.19%)، تتوزّع على مجالات مختلفة سجّلت كالآتي:

جدول يمثل نسب الحقول الدلالية في قائمة الأسماء

النسبة	المجال	النسبة	المجال
01.54%	التعليم	09.67%	الاقتصاد
01.52%	الأدب	07.73%	الرياضة
01.35%	الصناعة	10.24%	المجتمع والثقافة
01.81%	الصحافة	04.60%	العامية
00.58%	الدين	01.93%	البيئة
00.21%	المعلوماتية	58.81%	السياسة وفروعها
07.01%	المجموع	92.99%	المجموع
100 %			المجموع الكلي

دائرة تمثل نسباً تقريبية لمجالات المعجم



تبرز هذه الدائرة النسبية بوضوح، تفوق مجال السياسة وفروعها، وهو ما يعكس الاهتمام الذي أولاه المستشرق لهذا النوع من الكلمات، بالإضافة إلى كثرة توظيفها في الصحافة، وبعدها كلمات الاقتصاد والمجتمع والثقافة، التي تعكس شيوع كلماتها بنسب متقاربة، وتتنوع النسب المتبقية على المجالات المذكورة سابقاً.

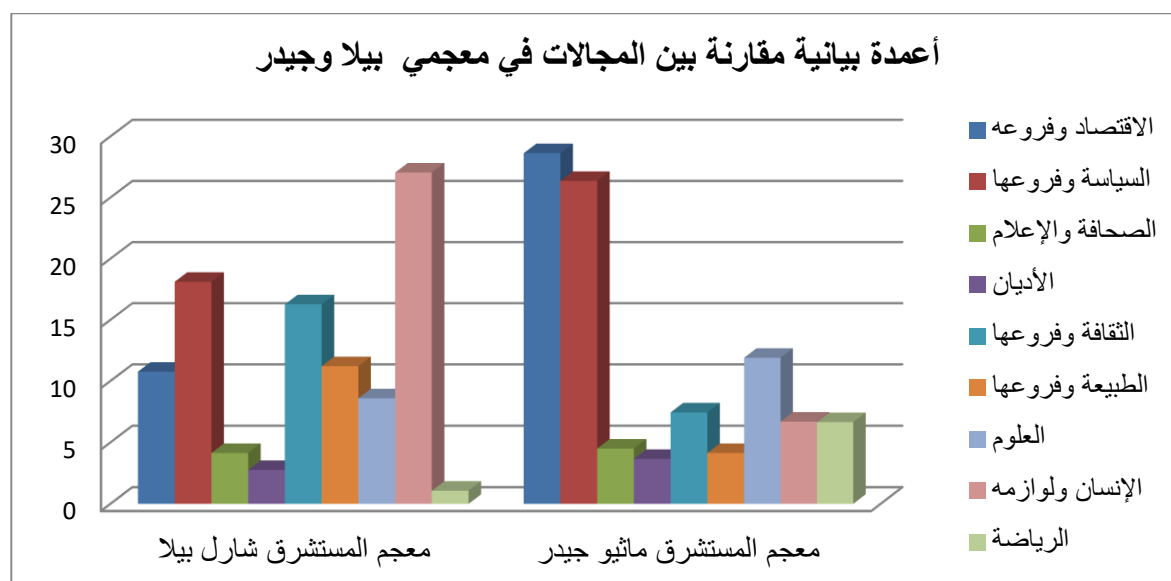
2-2-3- مقارنة بين موضوعات المعجمين (بيلا وجيدر):

نظرا لكثرة الحقول وصعوبة إحصائها بذلك الشكل، تمّ تجميع المجالات المتفرقة في مجالات أكبر، للتمكّن من تحديد نوع الكلمات الأكثر ورودا في المعجمين، وذلك بمقارنة المجالات الواردة في معجمي المستشرق بيلا وجيدر، وهو ما سيكشف عن مدى وجود اختلاف بين المعجمين، من حيث المجالات الأكثر أهمية، ولأسيما أنّهما من فترتين زمنيّتين مختلفتين نسبيا، فالأول نشر في الثمانينات والثاني في بداية الألفية الثالثة.

جدول يمثّل مقارنة الموضوعات بين معجمي المستشرقين (بيلا وجيدر)

معجم المستشرق شارل بيلا			معجم المستشرق ماثيو جيدر		
المجال	الكلمات	نسبته	المجال	الكلمات	نسبته
الاقتصاد وفروعه	900	10.76%	الاقتصاد وفروعه	719	28.63%
السياسة وفروعه	1515	18.11%	السياسة وفروعه	662	26.36%
الصحافة والإعلام	347	4.14%	الإعلام والاتصال	113	4.50%
الأديان	231	2.76%	الأديان والأخلاق	92	3.66%
التعليم والثقافة	1361	16.27%	الثقافة وفروعه	187	7.44%
الطبيعة وفروعه	938	11.21%	البيئة والطّقس	104	4.14%
الإنسان ولوازمه	2263	27.05%	المجتمع وفروعه	168	6.69%
العلوم	719	8.59%	العلوم والتقنيات المعاصرة	299	11.90%
الرياضة	90	1.07%	الرياضة	167	6.65%
المجموع	8364	99.96%	المجموع	2511	99.97%

بما أنّ الأشكال تقدّم صورة أوضح، وتدعم لغة الأرقام، فقد تمّ تحويلها إلى أعمدة بيانية تعكس الفروق الموجودة بين معجمي المستشرق شارل بيلا والمستشرق ماثيو جيدر.



لم يحظ الإنسان بوصفه موضوعاً؛ إلا بالقليل في معجم جيدر، وذلك حين أشار إلى المجتمع والتربية والعائلة، والزواج، والمشاكل الاجتماعية، والفقر، والهجرة، والأعياد، والأحاسيس وعدد كلماته ثمان وستون ومائة (168)، ورتبته هي الخامسة، وهذا ما قد يحيل إلى تراجع الاهتمام ببعض المقومات الإنسانية، فقد جاءت هذه الموضوعات لدى (جيدر) بدءاً من الحقل السادس والعشرين (26)، وجاءت موزعة ضمن الحقول اللاحقة، حيث كان موضوع (الأحاسيس) آخر حقل ضمن حقول المعجم، وهذا عكس (معجم بيلا)، الذي كانت فيه الأولوية للإنسان والعلاقات سواء من حيث الترتيب أو من حيث العدد.

احتلّ مجال (السياسة) المرتبة الثانية في معجم جيدر، وذلك باثنين وستين وستمائة (662) وتضمن السياسة، والدولة، والحكومة، والأحزاب، والانتخابات، والعلاقات الدولية، والمنظمات الدولية والنزاع في الشرق الأوسط، والأمن، والجيش، والشرطة، والقانون. وما لا بدّ من الوقوف عنده هو افتتاح المعجم بهذه الموضوعات، وقد أشار إلى أنّه أخذ بعين الاعتبار تكرارها، وأنّ ترتيب المجالات، قد جاء وفق هذا العامل، وهو الترتيب نفسه في معجم بيلا، وهو ما يمكن تفسيره، بالأولوية التي يشهدها هذا المجال عبر التاريخ.

احتلّ مجال التعليم في المعجم المرتبة الرابعة بسبع وثمانين ومائة (187) واحتوى على الأدب والثقافة، والسينما، والمسرح، والموسيقى، والرسم، والحضارة.

أما مجال الطبيعة وفروعها، فاكتفى صاحب المعجم بذكر (البيئة والطّقس)، وعدد كلماته أربع

ومائة (104) ومرتبته هي الثامنة، وهنا يتّضح غياب شبه تام للطبيعة، وقد تكون أهداف المعجم أيضا موجّها آخر، فحاجة المتعلم قد تتعد مؤخرا عن الطبيعة، لاسيّما أنّ هدفه حسب ما تقدّم به تعليمي بحث ويمكن أن يرتبط الأمر بالتطوّر الحاصل في المجتمع العربي، إلّا أنّ عملا آخر للمستشرق جيدر، وهو عمل معجمي مشترك بين باحثين فرنسيين وأجانب وباحثين عرب بعنوان (كلمات) تضمّن مجالات كثيرة ومفصلة* تناولت مجال (الأرض والعالم) بالتفصيل، وقد بلغت كلماته حوالي أربع وسبعين وألف (1074) كلمة.⁽¹⁾

يشغل مجال الاقتصاد وفروعه المرتبة الأولى، بتسع عشرة وسبعمئة (719) كلمة، واشتمل على الاقتصاد، والتجارة، والصناعة، والطاقة، والنفط، والخدمات، والزراعة، والمياه، والمالية والمصارف والبورصة، والسياحة، فيما جاء في المرتبة الخامسة في معجم بيلا، وهذه النتيجة تقدّم معلومات مهمة وتعبّر عن الأهمية التي يحظى بها الاقتصاد في العالم.

يلاحظ القارئ الكريم أنّ المستشرق جيدر، قد أعطى الأولوية للاقتصاد أو أنّ الصحافة بالأحرى تضمّنت كلمات كثيرة من هذا المجال، وسواء أكان الأمر مرتبطا باختيار صاحب المعجم أم بالواقع يبقى أنّ هناك فرقا بين الأهمية التي أعطيت له في كلا المعجمين، إذا اعتُبر العدد معيارا يعكس أهمية المجال. واحتلّ مجال العلوم والتقنيات المعاصرة المرتبة الثالثة لدى جيدر بتسع وتسعين ومائتي (299) كلمة، وأكثر من ذلك، فهذا المجال يعكس بوضوح التطوّر الذي طرأ على المجتمع العربي، إذ تضمّن بعض الموضوعات الغائبة عن معجم بيلا، وهي العلوم والتقنية، والمعلوماتية، ومعالج النصوص. أمّا

* المجال الأول الأرض والعالم مقسّم إلى الأرض والبيئة الطبيعية، والمجال الثاني البيئة والمجتمع: المدينة، القرية، الثالث القانون: القانون والمحاكم فروع القانون، السجن، الملكية الفكرية، المجال الرابع الترفيه والثقافة: السياحة، القطاع الفندقي، الرياضة، الفن، المسرح الموسيقي السينما، الفيلم والصورة. المجال الخامس: الإعلام والاتصالات، الصحافة، الاتصالات السلكية واللاسلكية، الراديو والتلفزيون المجال السادس الصحة: التشريح وعلم وظائف الأعضاء، والحالة الصحية، والمتاعب الصحية، والجراحة، والخدمات الصحية، والصحة العامة، وتقدّم الطبّ والسرطان، والإيدز، والبدانة والإدمان على الكحول، والتبغ، والموت الرحيم، التغذية. وسابعا مجال العلاقات الدولية: الدبلوماسية، التجسّس الإرهاب، الجيش، الحرب، الحرب النووية، نزع السلاح، التوحيد، أوروبا. المجال السابع الاقتصاد: الزراعة، الطاقة الصناعة النفطية منتجات النفط، الطاقة النووية. المجال الثامن الصناعة والتكنولوجيا: الصناعة، المجال التاسع الفيزياء، المجال العاشر عالم العمل: نقابات العمال، الإضراب، البطالة، المجال الحادي عشر عالم الشركات: الشركة، التأمين. مجال المالية: العملة، المصارف الاستثمار والتمويل والبورصة، والميزانية، والضرائب. المجال الثاني عشر التجارة: العمليات التجارية، التسويق، والتجارة الدولية. وكل مجال من هذه المجالات يترأسه صاحب العمل، وهو إمّا عربي أو أجنبي.

¹- voir : Guidère, Mathieu et autres. le vocabulaire arabe. p13 à p 28.

المشتركة فهي الطب، والأمراض، والجسم. وردت موضوعات متنوعة في مجال العلوم لدى بيلا، والذي احتل الرتبة السادسة بـ بتسع عشرة وسبعمئة (719) كلمة، توزعت على الجغرافيا الرياضيات الفيزياء والكيمياء، والكهرباء والطب، والآثار والتاريخ. والملاحظة نفسها تسجل مع مجال الاقتصاد.

أما المجال السادس في معجم جيدر، فهو الرياضة بسبع وستين ومائة (167) كلمة، وهذه النتيجة قد تعكس ازدياد الاهتمام بالرياضة في المجتمعات العربية. وقد كان آخر مجال في معجم بيلا بتسعين (90) كلمة. وشغل مجال الإعلام والصحافة والتواصل الرتبة السابعة بثلاث عشرة ومائة (113) توزعت على وسائل الإعلام والتلفزيون، والصحافة، والهاتف، وهنا يسجل اتفاق صاحبي المعجمين في الأهمية المعطاة لهذا المجال، رغم أنه من المجالات الأكثر أهمية في المجتمعات، نظرا لدوره الكبير في توجيه الرأي العام، بسبع وأربعين وثلاثمئة (347) كلمة، وتكون حقلين، هما الصحافة والدعاية، والفنون والسينما والراديو بالنسبة لمعجم بيلا.

وآخر مجال هو (الدين) الذي كان أقل تكرارا مقارنة بالمجالات السابقة، وقد اشتمل على اثنتين وتسعين (92) كلمة، تضمن الأديان والأخلاق في المرتبة التاسعة والأخيرة. سجل في هذا المجال أيضا توافق من حيث الأهمية التي أعطيت له، وإن كان المستشرق بيلا، قد أورد عددا أكبر مقارنة بالمستشرق جيدر الذي اكتفى بواحد وستين (61) للدين، وواحد وثلاثين (31) للأخلاق، حيث شغل المرتبة الثامنة لدى بيلا بواحد وثلاثين ومائتي كلمة (231).

وإذا قُيِّم المجال كميًا، فإنه سيحكم بقلة الاهتمام بهذا المجال في كلا المعجمين، وفي المعجم الثاني بدرجة أكبر، وهي نتيجة غريبة، ولأسيما أن الأمر يتعلق بالبلدان العربية والإسلامية، ويمكن ربطها (النتيجة) بنوع الجرائد التي رجع إليها كلا المستشرقين، وبما أن البحث استفاد من معجم جماعي آخر للمستشرق جيدر، فقد تتبّع موضوعاته، والملاحظ أنه لا وجود لمجال للدين، وهذا ما قد يعكس تأثيرا بالتوجه العلماني، الذي يقصي الدين من الحياة العلمية؛ تمهيدا لاستبعاده من الحياة اليومية للناس.

2-3-المستويات اللغوية في المعجم:

2-3-1-المستوى الفصيح: وظف المستشرق جيدر اللغة الواردة في الصحافة العربية المعاصرة

كما أشار إلى ذلك في مقدّمته، يعكس ذلك العنوان الذي وضعه لمعجمه، وهو (لغة اليوم) أو(عربية اليوم)، وفعلا بعد الاطلاع على هذا العمل، اتضح أنّه يشتمل على مفردات معاصرة، ويمثّل لغة الصحافة بامتياز، وهذا ما يجعل القارئ يكوّن تصوّرا مسبقا حول اللغة الواردة فيه.

يخلو العمل من المفردات القديمة؛ بل تميّز ببعض الكلمات التقنية والمعاصرة التي لم ترد في المعاجم الأخرى المدروسة، مثل: (موزع، هاتف نقال، تطبيق، لوحة المفاتيح، بريد الكتروني طابعة برمجيات، متصفح، الفأرة، تخزين، الشبكة العالمية، تدقيق نحوي، لصق، نسخ).⁽¹⁾ وهي كلمات تنتمي إلى المجال التقني، الاتصالات والإعلام الآلي.

2-3-2-المستوى العامي: لم يرد المستوى العامي إلّا ما ندر، مثل كلمة (الخارج)

(l'étranger)،⁽²⁾ التي يوظّفها العامّة، بالإضافة إلى ما قابل به المستشرق كلمات: (عيد الأضحى وعيد الفطر) بالفرنسية، وهو (Aid el-kebir , Aid el- séghir)،⁽³⁾ وكان بإمكانه الاحتفاظ بما أورده بالفصحى. إلّا أنّه مقارنة بالمعاجم الأخرى، التي تناولها البحث، يكاد يخلو من العامي، وهذا شيء إيجابي، رغم أنّه استمدّ مادته من الصحافة، وعادة ما تزخر هذه المصادر بالعاميّة، وقد يعكس هذا حرصه على اختيار الكلمات الفصيحة.

2-3-3-المستوى الدّخيل: تضمّن المعجم المستوى الدّخيل، وهو مرتبط في معظم الأحيان

ببعض الكلمات السّياسية والتقنية، والطبيّة، والثّقافية، ومعظمها لا مقابل عربي لها، وبعضها الآخر لديه مقابلات، مثل الكلمات التي سيتضمّننها الجدول الآتي:

¹- voir Guidère, Mathieu. et autres. كلمات le vocabulaire arabe. p74, 75.

²- ibid. p 55.

³-Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p 81.

جدول يمثل الكلمات الدخيلة في المعجم

الكلمة (1)	المقابل الفرنسي	الكلمة الفصيحة	الكلمة (2)	المقابل الفرنسي	الكلمة الفصيحة
ليبرالية	libéralisme	تحررية	كروموزوم	chromosome	مورث
راديكالي	radical	أصولي	السيدا	sida	الإيدز
شيكات	carnet (de chèque)	صكوك	راديو	radio	مذياع
كوادر	cadres	إطارات	تلفزيون	télévision	تلفاز
سكرتيرة	secrétaire	أمنية مكتب	كابل	câble	سلك
بلاستيكية	plastiques	مطاطية	كاريكاتور	caricature	رسوم ساخرة
كوميديا	comédie	ملهاة	موضة	mode	صيحة
كابتن	capitane	قائد	درامي	dramatique	مأساوي

فصل المؤلف جيدر مقابلات عربية لبعض الكلمات الدخيلة، مثل: (مصرف، تربوي).⁽³⁾ التي يوظفها البعض، بمقابلات دخيلة، هي: (بنك، بيداغوجي). أما الكلمات التي وردت، وليس لها مقابلات عربية، فهي أكثر، مثل: (ديمقراطي، ديكتاتورية إيديولوجيا برلماني، لوبي استراتيجية، أوتوبي، سيناريو قنصل، دبلوماسي، سيمفونية، بورجوازية أرسنقراطية فيروس...).

ومن الجمل التي أوردها، وقد تضمنت دخيلا لغويا: (... عند محطة الأوتوبيس...⁽⁴⁾ مواد مهمة للمونتاج... ضربة جزاء "بنالتي" ... ملعب "استاد دو فرانس"...، ... تدل... على ليبرالية الخيارات، تسلّم كابتن الفريق).⁽⁵⁾ كما يلاحظ القارئ، فهذه الكلمات كلّها لديها مقابلات عربية: (الحافلات، التركيب، ضربة جزاء وهي مكتوبة، ملعب، وهي كذلك مكتوبة، حرية الخيارات، وأخيرا قائد الفريق).

إنّ كون هذه الجمل واردة في الصحافة العربية، لا يعفي صاحب المعجم من المسؤولية، بما أنّ هذا العمل يدخل في إطار تعليم اللغة العربية الحديثة أو المعاصرة، لا بدّ من اختيار الكلمات والجمل الأقرب من هذه اللغة، وإن وجدت هذه الاستعمالات اللغوية في الصحافة، فهذا لا يعني نشرها وتعليمها؛ بل لا بدّ من تخليصها من هذه الكلمات الدخيلة. أمّا النسب المئوية للمستويات اللغوية الواردة في المعجم فتعرض في

¹ -Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p21, 26, 38, 52, 44, 45, 49, , 65, 77.

² - ibid. p67, 70, 71, 72, 77.

³ -ibid. p52, 58.

⁴ -ibid. p114.

⁵ - voir : Guidère Mathieu et autres . كلمات le vocabulaire arabe, p114, 124, 125, 128, 178.

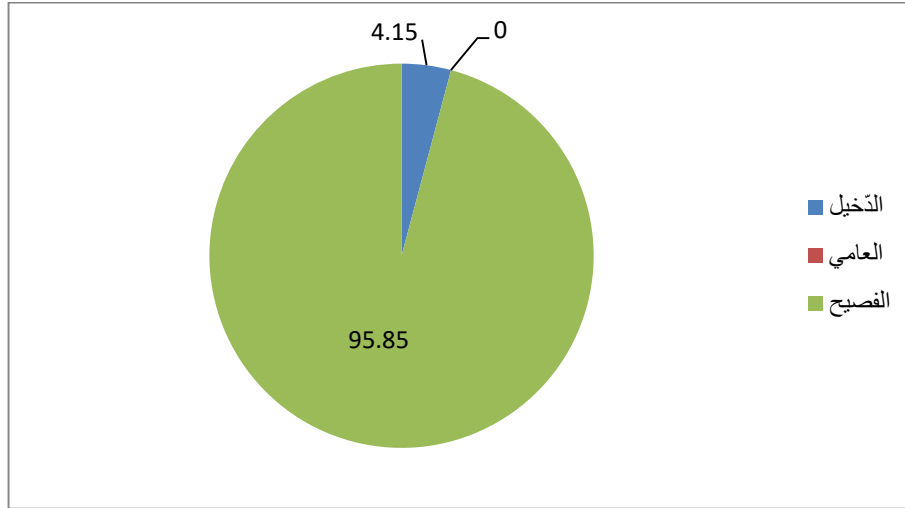
الجدول، وقد تمّ حساب النسب ضمن الحقل الأول وبعدها في مداخل المعجم كلّها.

جدول يمثل المستويات اللغوية في معجم لغة اليوم

المستوى اللغوي	النسبة ضمن المجموعة الأولى	النسبة في أبواب المعجم كلها
الفصح	%89.37	%95.85
العامي	%00.00	%00.00
الدخيل	%10.63	%04.15
المجموع	%100	%100

تعكس هذه الأرقام التزام المستشرق جيدر بالعربية الفصحى، وهي كما وضّح في مقدّمته لغة الصحافة، مثل: (عدوان، سفير، مظاهر، مفاهيم، نزاعات، صراع، مراسل، تصريح، تورط، مباحثات إجراءات، مفاوضات، إرهاب، تطرّق، راهن، مبدئي، عصري، صحافي، قومي، حزبي، جذري، أسلحة الدمار الشامل، على غرار...).⁽¹⁾ سيمثل لهذه الأرقام بدائرتها النسبية.

الدائرة النسبية للمستويات اللغوية في معجم جيدر



توضّح هذه الدائرة النسبية أنّ النسبة الكبرى كانت للعربية الفصحى، والنسبة الدنيا للدخيل، وما يُسجّل لهذا العمل خلّوه من العاميّة، وهذا أمر إيجابي، لاسيّما أنّه استقى مادّته من الصحافة التي اشتهرت بالّلجوء إلى العاميّة.

¹- Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p114

3-قضايا الوضع في المعجم:

3-1-الترتيب في معجم جيدر:

3-1-1- الترتيب الخارجي للمعجم: وظف المستشرق جيدر طريقة الترتيب نفسها مع المستشرق

بيلا، حيث قسم كل منهما معجمه إلى أبواب أو حقول، ضمّنهما كلمات أو عبارات تصبّ في موضوع واحد، رغم وجود بعض الفروق البسيطة بين العاملين. أمّا مدى الالتزام بالمنهج فهناك تقارب كبير، مع تسجيل تكرار بعض الكلمات ضمن الباب الواحد، وأحيانا بين الحقول المختلفة.

3-1-2- الترتيب الداخلي للمعجم: لم يلتزم المؤلف جيدر بترتيب معيّن ضمن الحقل الواحد

حيث نحا نحو سابقه المستشرق بيلا، وردت الكلمات عموما بطريقة عشوائية، لأن كانت مصنّفة وفق مجالات، إلّا أنّ الملاحظ أنّه لم يُبذل جهد لترتيبها، وهو ما تسبّب في بعثرة بعض الكلمات والعبارات المتقاربة. كما أنّه يحيد في بعض الأحيان عن طريقة ترتيب الكلمات، ففي باب الأفعال، مثلا سجّل الفعل الماضي في اليسار، وعلى يمينه وضع المضارع، إلّا أنّه في بعض الأحيان يفعل العكس وهو ما قد يضلّل القارئ الأجنبي، مثل: (خلف -خلف، غيّر-يغيّر، ردّ - يردّ).⁽¹⁾ كما أورد الفعل الماضي مرتين، حين ذكر الفعل (واجه)، وعوض أن يذكر المضارع (يواجه) كرّر الفعل الماضي (واجه)، بالإضافة إلى عدم الالتزام بترتيب الكلمات، فمثلا يبدأ بالمزيد ثمّ المجرد، مثل: اكتشف - كشف، ارتبط-ربط، كما تضمّنت قائمة الأسماء فعلا، وهو الفعل (حرص).⁽²⁾ كما أنّه يذكر أحيانا الكلمة وجمعها وأحيانا يكتفي بالمفرد، وهذا في الصفحة الواحدة، مثل: (موافقة، نشاط، قضية- قضايا، وكالة-وكالات)،⁽³⁾ (مورد-موارد، بقية، اجتماع-اجتماعات رواية -روايات، طريق، موسم- مواسم)،⁽⁴⁾ (توقيع، علامة-علامات، وضع-أوضاع)،⁽⁵⁾ (نجاح، رياضة-رياضات، موضوع - مواضيع، إزالة)⁽⁶⁾ وقد أشار في التقديم إلى أنّه امتنع عن ذكر الجمع في بعض الحالات، ليجتهد المتعلّم ويبحث بنفسه، إلّا أنّ هذا لا يبدو عمليا في مثل هذا العمل. ومما لوحظ كذلك في هذا العمل تكرار

¹ - Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p154.,155 ,180

² - ibid. p160.,171 ,145

³ - ibid. p89.

⁴ - ibid. p138.

⁵ - ibid.. p140.

⁶ - ibid. p142.

بعض الكلمات، وتباعد الكلمات المترابطة المعنى، وهو ما يعيق الاستفادة المثلى، وهو ما سيتضح من خلال بعض الأمثلة المختارة:

جدول يمثل نماذج لتباعد الكلمات المتقاربة والمكررة

الكلمات وصفحاتها
فاشية (ص21) ... فاشي (ص 21) خمس وعشرون (25) كلمة مختلفة بينهما.
ديمقراطية (21) ... ديمقراطي (21) سبع وعشرون (27) كلمة مختلفة بينهما.
علمانية (21)...علماني(22) عشرون (20) كلمة تفصل بينهما.
حرية(21)...حرية (36)
سياسي (22)...سياسة (24)...سياسة (37).
إضراب (25)...إضراب (36)
خلف (26)...خلف (27) بعد حوالي سبع وأربعين (47) كلمة.
قطب (26)...قطب(29) استقطاب، قطب...استقطب (29) بعد سبع عشرة كلمة.
زيارة (29)...زار(29)...زار (56)
دبلوماسي (28)...دبلوماسي (30)
محاولة (34)...حاول (35)
أسلحة (33)... سلاح، أسلحة (35)
لجنة، لجان (30)...لجنة(36)...لجنة (52)
تصدير (39)...صدر (39) بينهما حوالي ثلاثين (30) كلمة
استيراد (39)...استورد (39) بينهما حوالي ثلاث وعشرين (23) كلمة مستورد (40)

يمثل هذا الجدول عينة للكلمات الموزعة في ثانيا الحقل الواحد، وتلك المكررة في حقول مختلفة وهو ما يضح عدد الصفحات، ويضيق الفائدة التي يتميز بها هذا النوع من التصنيف الذي يعمل على جمع كلمات الموضوع الواحد في مكان واحد.

كما أن الترتيب المنطقي، كان غائبا في باب يفترض أنه ضروري جدا، وهو الحقل الذي خصصه للبلدان، إذ يذكر الجزائر (العاصمة بعدها، الجزائر، جزائري، ثم انتقل إلى عمان ثم رجع مجددا إلى عناية، فالعربية السعودية، فأسوان، وبغداد، والبحرين، وبحراني، بصرة، بنغازي، بيروت بنزرت، الدار البيضاء، ثم يذكر قسنطينة، وتأتي جدة بعد حوالي اثني عشر (12) بلدا، ومكة بعد أكثر من ثلاثين

(30) بلدا، ويفصل المدينة عن السعودية أكثر من أربعين (40) بلدا.⁽¹⁾ وتكرّر الأمر نفسه عند ذكر الأشهر القمرية، الواردة بطريقة عشوائية، عكس الأشهر الشمسية، التي رتب حسب تتابعها، حيث وردت بهذا الشكل: (ربيع الثاني، رمضان، ربيع الأول، شعبان صفر، رجب محرم، ذو الحجة، جمادى الآخرة ذو القعدة، جمادى الأولى، شوال).⁽²⁾ والأصل أن ترد بالشكل الآتي: (محرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة).

مما ذكر، حوالي ثلاث وستين (63) معنى يعبر عنه بكلمتين أو عبارتين مختلفتين، ما بين بلدان المغرب العربي، والشرق الأوسط، مثل: (حريف في المغرب، وزبون في الشرق الأوسط، من طرف، ومن قبل، مهاجر، مغترب، تدريب، تكوين، هام مهم... وغيرها).⁽³⁾ والسؤال المطروح على أي أساس صُنّفت هذه الاستعمالات، فكلمة (حريف) مثلا، لا تستعمل في المغرب، والمستعمل هو الزبون، وكلمتا: (تكوين وتدريب)، هما كلمتان مختلفتان، وعبرة (من طرف) تعدّ من الأخطاء الشائعة التي ينصح بتجنبها. فإذا أشير إلى الكلمتين: (مهاجر، مغترب)، فهما معروفتان في البلاد العربية كلها.

3-2- قضايا التعريف في المعجم:

3-2-1- طريقة تعريف الكلمات: وظّف المستشرق ماتيوي جيدر طريقتين لشرح المفردات الواردة في كتابه، حيث اكتفى في القسم الأول بذكر الكلمة الفرنسية وما يقابلها باللغة العربية، ويشير أحيانا إلى كلمة ترافقها في السياق، مثل: كلمة (تغيير) يضع تحتها كلمة (الدستور) وأمامها مطّة، بمعنى (تغيير الدستور)،⁽⁴⁾ إلّا أنّ هذا قليل، إذ اكتفى مع معظم الكلمات، بذكر المقابل. أمّا القسم المخصّص للأسماء والأفعال والنعوت، فقد أتبع كل كلمة بجملته، وظفّ فيها لتوضيح معناها، مثل: (موافقة)، بعدها جملة: «تمت الموافقة المبدئية على مشروع القانون الذي قدمه الوزير».⁽⁵⁾ أما في قسم الأفعال، مثلا: الفعل (تطرق) والجملة هي: «فلا ريب هنا في أن الفيلم يتطرق إلى انعكاس ما يجري عموما على كل شخص».⁽⁶⁾ أمّا في قسم النعوت، فمثلا الكلمة (حاليّ) وجملتها: «هدف الاستفتاء هو إعطاء الناخبين

¹ -Guidère, Mathieu . lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p 230, 231.

² -voir: ibid. p 241.

³-ibid. p 242, 243.

⁴ - ibid. p21.

⁵.- ibid. p89.

⁶- ibid. p1

الأوغنديين حق الاختيار بين نظام التعددية الحزبية والنظام الحالي».⁽¹⁾ وهي طريقة مفيدة لشرح المعنى وقد يعاب عليها اختيار جمل تحمل توجهات إيديولوجية قد تؤثر على القارئ.

3-3-3 مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

3-3-3-1 المستوى الصوتي: لم يحفل بالمستوى الصوتي، باستثناء التعليمات في البداية العمل.

3-3-3-2 المستوى الإملائي: يلاحظ أن الجانب الإملائي لم يحظ باهتمام كبير، مع التأكيد على

أنه احتفظ بالمادة، كما وردت في الصحافة، ومع ذلك سيقف البحث على بعض الهفوات الواردة.

3-3-3-1-2 هفوات في كتابة بعض الكلمات: رغم أن صاحب المعجم قد أعلم القارئ بإسقاط

الهمزات، إلا أنها ترد أحيانا في غير موضعها، فيورد همزة الوصل في موضع همزة القطع والعكس مثل: (التقط، إكتشف، إستنتج، إختبر، إعتباطي إصطناعي، إنضمام، الإستفزازية...).⁽²⁾ والعكس حدث

في: (اجراء، اجرامي، اجل، اشعاع اعلامي، ان، اليه، اسفه، اصدرت، استأنف فلان...).⁽³⁾ وهي:

(إجراء إجرامي، إشعاع، إعلامي، إن، إليه، أسفه، أصدرت استأنف، فلان). كما أسقطت الألف الممدودة

في كلمة (الآراء)، وأثبتت في كلمة (الآلب)،⁽⁴⁾ والأصل هو (الآراء) و(الآلب). كتبت بعض الكلمات

بطريقة مجانية للصواب، مثل: (بدلة، سريالية، حكما المحيط الهادي، يجهد، رضا، تهنئة).⁽⁵⁾ ويحسن

أن تكتب: (بدلة، سريانية، حتما، المحيط الهادي يجتهد، رضا، تهنئة). قد تكون بعض الهفوات أخطاء

مطبعة، أو كما ذكر، مرد ذلك أنها وردت على هذا الشكل في المصادر المستقاة منها.

3-3-3-3 المستوى الصرفي:

3-3-3-1-3 التعامل مع الحروف والمدود والحركات: ذكر المستشرق جيدر في تقديمه لمعجمه

أنه لم يهتم بالحركات والشدات والهمزات، وغيرها من الأمور الشكلية، وقد أوضح أنه حافظ على الكلمات

كما وردت في المصادر.⁽⁶⁾ فعلا هذا ما لوحظ، وهو ما أدى إلى الغموض مع بعض الكلمات، فالحركات

والهمزات والشدات، قد لا يؤثر غيابها في بعض الحالات، إلا أنها في حالات أخرى قد تحرف معنى

¹ - voir: Guidère, Mathieu . lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p189.

² - ibid. p64, 68, 89, 103.

³ -ibid p61, 62, 69, 72, 89,90 ,181 , 194.

⁴ - ibid. p106, 161.

⁵ - ibid. p35, 77, 122, 107, 112, 131, 165.

⁶ -ibid. p16.

الكلمة. مثل: (قرر، أقر، ألف، تفقد، عين، ترأس، عزز...كون، سبب، مول، حول، علم، تعرف رخص نفذ، حضر، قدر، شخص، أثر...⁽¹⁾). وهي أفعال مشددة تغيّر معناها بإسقاط الشدة منها. كما وردت هنات قليلة ترتبط بالمدّ، مثل: (وفايات) التي تكتب دون مدّ، (وفايات)، فيما أسقط المدّ في: (رومنسية) و(النروج)⁽²⁾. والأصل أن تكتب: (رومنسية)، و(النروج). أمّا الحركات فنادر ما ترد في القسم الأول مثل: (توّجت)، (تُحِلّ).⁽³⁾ وهو ما يصعب على القارئ، ولاسيّما المبتدئ فهم بعض الكلمات، مثل: (راهن).⁽⁴⁾ التي يمكن أن تقرأ: (راهن، وراهن)، وغيرها من الكلمات. أمّا الأقسام الأخرى فوردت بشكل أكبر، مقارنة بالقسم السابق، والمطلوب هو تشكيل ما غمض منها.

3-3-2- الاشتقاق في المعجم:

جدول يمثل هفوات صرفية واردة بالمعجم

نوع الهفوة	الأمثلة	المقترح
الجمع ⁽⁵⁾	مدراء، المسبات، الحديثين، الصعد	مديرون، الحادثيين، الأصعدة.
النسبة ⁽⁶⁾	رئيسي، رئيسيا	رئيس، رئيسا
اللزوم والتعدية ⁽⁷⁾	أبلغ...إلى الصحافيين. مرخص (فيه) قدرة...في الكلام، تحوّل الجرائم تسلية، التزام النمسا لها كلفه...وضع، أسفر...على، أحرز...على، الطلب إلى، تخطر في بال، تدل إلى، أكد بملازمة.	أبلغ الوزير الصحافيين، مرخص له قدرة...على الكلام، تحول إلى، التزام بكلفه به، أسفر عن، أحرزه، الطلب من على بال، تدل على، أكد أو أكد على.
الصياغة ⁽⁸⁾	مفاجأتهما، يطالعنا، المؤتمرون، مطالع، الجد جميع، ميزة، تسجل، عدى. ذات الثدي	تفاجأهما، يطالعون، المجتمعون، مطلع الجدية، تجمع، امتياز، سجل، أعدى الثدييات.
التأنيث ⁽⁹⁾	هرمونة.	هرمون

سجلت هفوات كثيرة على مستوى صياغة بعض الكلمات، بالإضافة إلى وجود خلل في الجمع

¹ - Guidère, Mathieu . lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui . p25 .

² -ibid. p73 ,77 ,164 .

³ - ibid. p,114 , 135 .

⁴ -ibid. p 29.

⁵ - ibid. p45,163 ,126,212 .

⁶ -ibid. p30,209 .

⁷ - ibid. p195, 62, 156, 157, 179, 205, 94, 96, 102, 134, 139, 141, .

⁸ -ibid. p151,175 ,177,179 ,199,37 ,38,58 ,69 ,49 .

⁹ -ibid. p67.

والنسبة، والتّعدية واللّزوم، مثلما هو وارد في الجدول السّابق، ولئن كانت منقولة من الصّحافة، إلّا أنّ هذا لا يعفي صاحب العمل من المسؤولية، ولاسيّما أنّه خصّصه لتعليم اللّغة العربية.

3-3-4- المستوى النّحوي في المعجم: سُجّلت بعض الهنات القليلة في مجال النّحو، وإن كان

المستشرق قد نفى عن نفسه أيّ مسؤولية، بما أنّه نقل مادته من الصّحف كما هي، وهو ما يعني أنّ الهنات تدخل في أخطاء الصّحافة، والسؤال المطروح: هل يمكن تقديم مادة لغوية للمتعلّم ولاسيّما الأجنبي دون التّأكّد من سلامتها؟ وقد ذُكرت بعض الهنات الواردة في المعجم، ضمن هذا المعجم، لمعرفة نوعها.

جدول يمثّل بعض الهفوات النّحوية

إثبات الياء في المنقوص النّكرة ⁽¹⁾	إسقاط ال التعريف ⁽²⁾
(نامي) نام، راوي (راو)	استخدام... لضمان توازن بين... رفع مستوى... لفقراء لقارة. بداية تعاون بين البلدين...
إثبات النون مع الإضافة	خلل في العدد والمعدود
مراقبون الأمم المتحدة.	عدد الوزارات الجديدة ستة.
المطابقة بين التّابع والمتبوع	خلل في علامة الإعراب
ان الدّفاع... هي... التقرير التي اعدته الذي. تواصلت المعارك عنيفة.	بين طرفيه... الليبراليون والقوميون، للثورة الفلسطينية وحلفاؤها سلطة ما.

وردت الأسماء المنقوصة كلّها، بالشكل الآتي: (نامي) نام، راوي (راو)، والأصل أن ترد في صيغة التعريف بالياء، (النّامي)، وفي صيغة النكرة دون ياء (نام)، كما وردت في المتن. إلّا أنّ النّون لم يحذف من الاسم المضاف، والأصل هو أن يحذف حرف النّون من الجمع المذكّر السّالم، إذا اتّصل بمضاف إليه، فيقال: (مراقبو الأمم المتحدة). كما حدث خلل على مستوى الضّمير الذي أسند إلى كلمة (الدّفاع) المؤنّثة، والصواب هو الضّمير (هي)، وتكرّر الخطأ نفسه معكوساً، مع الاسم الموصول الموظّف مع كلمة (التّقرير)، وهو اسم مذكّر، فيناسبه الاسم (الذي) لا (التي). وفي السّياق ذاته وردت الصّفة لكلمة المعارك نكرة وما قبلها معرفة، والصّواب هو (العنيفة). وأسقطت ال التعريف من الكلمات الواردة في الجدول، والأصل أن ترد، كآلاتي: (التّوازن، والقارة، والتّعاون). ولم تُطبّق قاعدة العدد والمعدود في

¹- Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p36, 78, 31, 130, 176, 198 .

² -ibid. p105, 108, 124, 130, 143.

الجملة، والصواب (عدد الوزارات الجديدة ست). كما جاءت الكلمات مرفوعة في الجمل، والأصل أن تُجرّ، فتأتي: (بين طرفيه... اللّبيراليين والقوميين)، والجملة الثّانية: (للثورة الفلسطينية وحلفائها سلطة ما).

جدول يمثل الخلل في تركيب بعض الجمل

المقترح	الجمل كما وردت ⁽¹⁾
سيقدّم الانفتاح الاقتصادي بسوري...	سيقدم الانفتاح الاقتصادي سوريا خطوات واسعة.
أما ما نسمع عن محاولات التّسوية.	اما ما نسمع عن محاولات التّسوية.
سيكون الطّقس غدا حارا.	يكون الطقس غدا حارا.
السّماح ببيع بعض المطبوعات الأجنبية	السماح لبعض المطبوعات الأجنبية بالبيع.
مع ما يؤدي إليه هذا الأمر من نتائج ...	مع ما يؤدي هذا الامر إلى نتائج تكون لها...
لفت الانتباه إلى العلاقات.	لفت إلى العلاقات.

ما يمكن قوله حول ما ورد في الجدول، هو أنّ الجمل صيغت بطريقة غريبة، وهذا ما يحدث عادة عند ترجمة الجمل من لغة أجنبية إلى اللّغة العربيّة، وعند قراءة الجمل العربية يتبادر إلى الذّهن أنّها ترجمات لجمل أجنبية. ومن الأساليب الأجنبية: (قد تلعب ولاية... دورا مهما)، (لعب دورا).⁽²⁾ والأحسن هو (أدى). ذُكر المقابل الصّحيح في الملحق، الذي خصّصه للعبارات الشائعة الاستعمال حيث جاء (jouer un rôle) بالمقابل (قام بدور)،⁽³⁾ وهي الصياغة العربية الصّحيحة. بالإضافة إلى جملة (...ان هذه الأخيرة مازالت...). والصواب⁽⁴⁾ (إنّها مازالت...).

3-3-5- المستوى المعجمي والدّلالي:

وظّف المستشرق ماتيو جيدر طريقتين لشرح المفردات الواردة في كتابه، حيث اكتفى في القسم الأوّل، بذكر الكلمة الفرنسية وما يقابلها باللّغة العربية، ويشير أحيانا إلى كلمة ترافقها في السّياق، مثل: كلمة (تغيير) يضع تحتها كلمة (الدستور) وأمامها مطّّة، بمعنى (تغيير الدستور).⁽⁵⁾ إلّا أنّ هذا قليل، إذ اكتفى مع معظم الكلمات، بذكر المقابل. أمّا القسم المخصّص للأسماء والأفعال والنّعوت، فقد أتبع كل

¹ -Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p130, 136, 143, 160, 205, 214.

² - ibid. p170, 222.

³ - ibid. p222.

⁴ -ibid.p213.

⁵ -ibid. p21.

كلمة بجملة، وظّفت فيها لتوضيح معناها، مثل: (موافقة)، بعدها جملة: (تمت الموافقة المبدئية على مشروع القانون الذي قدمه الوزير).⁽¹⁾ أما في قسم الأفعال مثلاً: الفعل (تطرق) والجملة هي: (فلا ريب هنا في ان الفيلم يتطرق الى انعكاس ما يجري عموماً على كل شخص).⁽²⁾ أمّا في قسم النعوت، فمثلاً الكلمة (حاليّ)، وجملتها: (هدف الاستفتاء هو إعطاء الناخبين الاوغنديين حق الاختيار بين نظام التعددية الحزبية والنظام الحالي).⁽³⁾ وهي طريقة مفيدة لشرح المعنى.

جدول يمثل عدم الدقة في المقابل

اللغة العربية ⁽⁴⁾	المقابل الفرنسي	اللغة العربية ⁽⁵⁾	المقابل الفرنسي
جدل	débat	سلطة/سلطة	autorité /pouvoir
اضطلع	assumer	قائم بـ	charger (de)
أمن/ أمن	sureté/sécurité, ordre	قاعدة	base (militaire)
توقيف/ توقيف	détention/arrestation	مرابطة	stationnement
عاطل(عن العمل)	chômeur	مشاورات	consultation
ميزة	avantage	استقصاء	enquête
تعرفة	tarif	وفر	fournir
تربة	sol	كتلة نقدية	masse monétaire
ترصيد	allocation	صفي	liquider
سعر	cours	موعد	horaire
جواز	passeport	ارتياذ المدرسة	scolarisation
توكيل	procuration	غش/ خداع	tromper/tromperie
جريدة/ صحيفة	journal/journal (quotidien)	عاطفة/ محبة	affection/ affection

يمثل هذا الجدول الكلمات التي اختيرت لها مقابلات غير دقيقة، سيكتفى ببعضها، فمثلاً كلمة (Débat) يستحسن أن يقابلها (المناظرة)، وبالنسبة إلى الفعل (اضطلع)، وإن كان يستعمل في لغة الصحافة بالمعنى المذكور إلا أن الفعل الفرنسي يناسبه أكثر (تولى) أو (قام بـ)، (تحمل المسؤولية) وهذا حسب السياق الذي ترد فيه الكلمة. وبالنسبة إلى كلمة (توكيل)، فالأنسب هو (وكالة). كما فرق المستشرق

¹- Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui, p89.

²- ibid. p1

³- ibid. p189.

⁴- ibid. p21, 26, 23, 32, 34, 35, 36, 38, 39, 45, 48, 52, 54, 56, 61, 73.

⁵- ibid. p22, 28, 33, 34, 36, 39, 43, 46, 52, 53, 55, 58, 61, 62, 84 .

بين كلمة جريدة وصحيفة، حيث قابل الأولى بـ (journal)، والثانية بـ (journal (quotidien))، والفرق بينهما في حدود العلم هو أنّ الجريدة من الكلمات المستحدثة للدلالة على هذا المعنى، في حين أنّ كلمة الصحيفة من الكلمات الفصحى الموجودة منذ القدم وهي أشمل، فالصحيفة تشمل كل ما هو مكتوب. وكلمة (charger (de)، مثلاً يقابلها (مكلف بـ)، كما قابل كلمة (scolarisation) (بارتياد المدرسة، في حين تستعمل صيغة (التّمدّس)، وغيرها من المواضع التي يمكن تحقيق دقة أكبر معها.

جدول يمثل المقابل غير المناسب

اللغة العربية ⁽¹⁾	المقابل الفرنسي	اللغة العربية ⁽²⁾	المقابل الفرنسي
صلاحيات	compétence	مرجعية	autorité
بلدية	municipalité	فوج	régiment
شرد	déplacer, disperser	متدرب/ تدريب	stagiaire
خبرة	compétence	تجميع	montage
إعادة (تدريب)/ إعادة تدوير	recyclage, recyclage	ظرفي	passager
مفعول (دفيئة)	effet (de serre)	تثقيفي	éducatif
دراسي	scolaire	كهل	adulte
هاجر	fuir	فقه	doctrine
جرب/ اختبر	tester/expérimenter	حوار	entretien
تعليمي	éducatif	إطار	fenêtre
زمني	temporel	تراث	patrimoine

من بين الكلمات التي جاءت في الجدول ولوحظ عدم التّوافق بين الكلمة العربية والفرنسية، كلمة (صلاحيات) التي قابلها بـ (compétence)، في حين الكلمة العربية الأنسب هي (الكفاءة)، وكلمة (خبرة) التي قوبلت بـ (compétence)، التي وردت سابقاً، كذلك كلمة (scolaire)، الكلمة التي تتناسبها هي (مدرسي)، وليس (دراسي)، ومن الواضح أنّ كلمة (هاجر)، تعني الانتقال من بلد إلى آخر أمّا كلمة (Fuir)، فتعني الهروب والفرق بينهما واضح، ولا تعني (المرجعية)، ما تعنيه كلمة (autorité) وغيرها من الكلمات.

¹- Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p23, 27, 35, 40, 41, 50, 49, 58, 60, 68, 76, 80

²- ibid. p25, 34, 39, 41, 45, 58, 61, 73, 76, 81 .

جدول يمثل عدم الدقة في ترجمة الجمل

اللغة العربية ⁽¹⁾	المقابل الفرنسي
القانون الجديد يجيز قيام الأحزاب...	la nouvelle loi autorise la création de partis...
يتركز على جو معين من الشبان	concerne un milieu particulier de jeunes
...لا رومانسية	...ni romantisme
الالتحاق بالجامعة	s'inscrire à l'université
بعدئذ	après quoi

سُجِّل في بعض الجمل عدم التّطابق على مستوى دلالة الكلمات الواردة في الجمل العربية، وتلك الواردة في الجمل الفرنسية، وهذا ما يجعل القارئ يتعلّم اللغة وتركيب الجمل بطريقة خاطئة، والجمل التي تضمّنها الجدول عيّنة بسيطة لهذه الظاهرة، فالنسبة إلى الجملة الأولى، مثلاً يستحسن قول: (تشكيل الأحزاب)، أمّا الثّانية: فقد وُظِّفت كلمة (جو) في غير محلّها، والصّواب هو (وسط معين من الشّبان) أو (فئة معينة...)، كما أنّ الكلمة الفرنسية (romantisme) يقابلها كلمة رومانسية، ويقال: (التّسجيل بالجامعة) مقابل الصيغة الفرنسية أو (joindre l'université) وهو المقابل الصحيح للجملة العربيّة. كما ورد الظرف (بعدئذ) مقابل (après quoi)، وهذه الصيغة فيها من الغموض، ما يجعل القارئ يحترق في معناها، إذ قد ترتبط بسؤال، وقد تكون في جملة إخبارية، عكس الصيغة العربية التي تدلّ على الظرفية الزمانية.

4- اللغة العربيّة في أعمال المستشرق ماثيو جيدر:

4-1- رؤية المستشرق إلى اللغة العربيّة من حيث مستويات تحليلها واستعمالها: اتّضح بعد الاطلاع على بعض أعمال المستشرق ماثيو جيدر أنّه يتعامل مع اللغة العربية الفصحى، حيث أسهم في تأليف معاجم ثنائية للغة العربية المعاصرة، وهي تخلو من العاميّة، كما ألّف في مجال تعليم العربية الفصحى المستعملة في المصادر المختلفة، والترجمة منها وإليها، وهو من المستشرقين المعاصرين. وستكون البداية بمعجمه (لغة اليوم)، الذي يعكس توجّهه نحو العربية المعاصرة على حدّ تعبيره. (يقصد العربية التي أثّرت بمفردات معاصرة).

4-1-1- رؤيته من خلال المعجم: بما أنّ المعجم اشتمل على كلمات فصيحة، وخلا من العاميّة فهذا يعكس حرص المستشرق على اختيار الكلمات الفصيحة دون العاميّة، وذلك رغم تعامله مع لغة الصحافة ومعلوم أنّه لا تخلو عادة صحيفة من كلمة أو كلمات عاميّة، وبالمثل كانت الكلمات الدخيلة الواردة قليلة

¹⁻ Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p 206, 207, 209, 224, 226.

جدا، وهي مقتصرة على بعض المصطلحات التي لا مقابل لها في الفصحى، باستثناء بعضها الآخر، التي أُشير إليها سابقا.

لم يرد الكثير حول اللغة العربية في مقدّمة العمل؛ بل كان همّ المستشرق توضيح المنهج والإجراءات التي مكّنته من تحديد مادة المدوّنة. ومما ورد في بدايتها الإشارة إلى أهميّة المناهج الإحصائية في تعلّم أو تحصيل الرّصيد المعجمي، وأنّ تعليم اللّغات الحيّة اليوم يعتمد بدرجة كبيرة على نتائج التحريات الإحصائية (enquêtes statistiques)، وهو الأمر نفسه الذي ورد لدى المستشرق شارل بيللا، فهو كذلك تعامل مع اللغة العربية، بوصفها لغة حيّة يجب تطبيق المنهج الإحصائي عليها، ومثله يرى أنّ هذا المنهج يسمح بعدم تبديد الجهود، وإغراق المتعلّم في عدد كبير من المفردات التي قد لا يحتاجها، فهو ذو فائدة تعليمية كبيرة، « إنّ معرفة هذه الألفاظ (vocables) والتحكّم في بنيتها، هي فعلا خدمة ثمينة في إطار تعلّم منهج ومنظّم للّغات»⁽¹⁾ ويشتركان كذلك في توجيه عمليهما إلى فئة الفرنسيين أو المفرنسين الراغبين في تعلّم اللغة العربيّة. أمّا اعتماده على لغة الصحافة، فيعكس رؤية معيّة، ترتكز على العامل النفعي (pragmatique)، وفيها مسايرة لما يحتاجه المتعلّم الفرنسي أو الأجنبي عموما، وهي تلك المفردات المستعملة بكثرة في الوسط الإعلامي.

4-1-2- رؤيته من خلال أعماله الأخرى: رجع البحث إلى بعض الكتب الأخرى للمستشرق جيدر

وذلك للتأكّد من تعامل المستشرق مع اللغة العربية ومستوياتها، ومنها كتابه (grammaticalement correct!) (2) أي: (نحويا صحيح). وهو كتاب يتضمّن أهمّ قواعد اللغة العربية الفصحى، ذكر فيه أنّه موجّه لطلبة الثانوي والمرحلة الجامعية الأولى، مهما كان مستواهم، وقد وضّح أنّ الترتيب المعتمد هو الألفبائية الفرنسية والمداخل أو عناوين الدّروس بالفرنسية والعربية، وتقدّم الدّروس بالفرنسية والأمثلة بالعربية والفرنسية. أمّا الملاحظة التي تشدّ الانتباه، فهي وضع الألفبائية الفرنسية أسفل صفحات هذا الكتاب،* وهو أمر غريب، فالأصل أنّ الكتاب موجّه لتعليم العربية للأجانب، والألفبائية التي يجب أن تثبت أسفل صفحات الكتاب، هي الألفبائية العربية لا الفرنسية بما أنّ اللغة الفرنسية معروفة واللغة المجهولة هي العربية، وهذا ما يجعل القارئ يتساءل: هل الهدف من هذا العمل هو تعليم اللغة العربية أو اللغة الفرنسية؟ أو بصيغة أخرى ما الدّاعي إلى إثبات الألفبائية الفرنسية أسفل

¹ - Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. Preface, p11.

² -voir Guidère, Mathieu. grammaticalement correct.

* وردت أسفل الصفحات الألفبائية الفرنسية كاملة وتكررت في الكتاب كلّ.

صفحات كتاب تعليمي موجّه لتعليم اللغة العربية؟

ومما أورده بشأن اللغة العربيّة، "لغة سامية من الأسرة نفسها مع السريانية، والأرمينية، والعبرية. وهي لغة العرب القدامى، مجموعة من القبائل الأصليين في شبه الجزيرة العربية، معظمهم يعيشون في الصحراء، يتكلمها اليوم أكثر من خمسين ومائتي مليون (250)، في حوالي عشرين (20) بلدا. هي أيضا لغة القرآن الذي يوصف هو نفسه بـ (الكتاب العربي المبين)، الذي تمّت كتابته في بداية القرن السابع (7). تتميز اللغة العربية اليوم بتنوّع ملحوظ، يوجد العربية الفصحى، أو الكلاسيكية التي تحيلنا إلى النصوص والاستعمالات اللغوية للقرون الوسطى والعربية الدارجة، تستعمل في الحوارات اليومية، وهي مختلفة من بلد إلى آخر؛ بل من منطقة إلى أخرى. والعربية الحديثة أو الوسطى ثرية مبسطة، وفصحى تستعمل في وسائل الإعلام في كل البلدان العربية.⁽¹⁾ اختصر المستشرق رؤيته للغة العربية، حيث فرّق بين ثلاثة أنواع قديمة، وعاميّة، وقد تبنى الثالثة، وهي العربية الحديثة. أمّا السؤال المطروح، فهو: ما الفرق بين العربية الفصحى والحديثة علما أنّه وصفها بكونها فصحي.

يأتي كتاب آخر، وهو (je parle arabe)، وتناول فيه موضوعات مختلفة يحتاجها المتعلّم، واعتمد تمرينات متنوّعة، واللغة التي يعلّمها كذلك في هذا الكتاب هي العربية الفصحى، وقد كرّرت المعلومات المذكورة في الكتاب السابق، إلّا أنّه أضاف كون العربية، صارت في القرن العشرين (20) لغة رسمية لعدد معتبر من المنظمات المحليّة والدّولية، وهي إحدى لغات العمل الست في هيئة الأمم المتّحدة.⁽²⁾ سجّل البحث الموضوعية التي تعامل بها المستشرق مع اللغة العربية، هناك أسلوب علمي موضوعي يستشعر فيه القارئ أنّ العربية، في هذه الكتب، عبارة عن أداة لتحقيق أهداف. وما يُستغرب له أنّ المسترق جدير، قد ضمّن كتابه هذا أشعارا جاهلية؛⁽³⁾ بل افتتح بها الدّروس الأولى، حيث أورد أبياتا لشعراء جاهليين، وطلب إحاطة الكلمات التي تتضمن الحروف الموجودة في إطار أعلى هذه الأبيات الشعرية.*

¹ -voir : Guidère, Mathieu. grammaticalement correct. p20,21.

² -voir : Guidère, Mathieu. je parle arabe, niveau 1, ellipses édition marketing, 2004.p5.

³ - ibid. p9,10,11,12,13,14,15,16,17,18,19.

وتلك التي تستك منها المسامع	* النابغة الذبياني، 604م: أتاني-أبيت اللعن-أنك لمتني
لعمرك لم أحفل متى قام عُودي	طرفة بن العبد، 564م: ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى
كُميت متى ما نُعل بالماء تزبد	فمنهنّ سقي العاذلات بشرية
وقرّت به العينان بدلت آخرا	امرؤ القيس، 545م: إذا قلت هذا صاحب قد رضىته

بالإضافة إلى كتاب (manuel de traduction, français-arabe.arabe-français)⁽¹⁾ وهو عبارة عن نصوص تترجم من العربية إلى الفرنسية، ومن الفرنسية إلى العربية، والملاحظة نفسها سُجِّلَتْ هنا، حيث وردت -على سبيل المثال- نصوص لجاهليين ومحدثين، منها: نص للأديب (أحمد أمين)⁽²⁾ ونص شعري (لأمرئ القيس)⁽³⁾. والأمر نفسه لوحظ في معجمه الثنائي (كلمات)، وهو عمل جماعي سبقت الإشارة إليه، كان ثمرة تعاون باحثين من بلدان عربية وفرنسية وهو عمل منظم وخاضع لشروط علمية، وجرّد آلي للكلمات المستعملة في الصحافة الإلكترونية، وذلك ما بين (2001-2002م)،⁽⁴⁾ الأمر الذي قد يعكس الرغبة في تقديم لغة عربية علمية فصيحة، لاشتماله على كل المجالات، بما فيها التقنية والعلمية. إنّ تتبّع مؤلفات المستشرق الفرنسي ماثيو جيدر ذي الأصول المغربية (تونس)، يقدّم صورة تكاد تكون ثابتة في أعماله حول اللغة العربية، وهي تعامله مع اللغة العربية الفصيحة، وإن كان قد فرّق بين الفصحى والوسطى في تعريفه للعربية نظرياً، إلّا أنّه عملياً تعامل مع اللغة العربية الفصحى، وأورد نصوصاً جاهلية، في كتب قدمها لتعليم العربية الوسطى، وهذا قد يعني أنّه لا يفرّق عملياً بينهما؛ بل هو يميل إلى الفصحى، ويتجنّب العامية في أعماله.

كذلك جدّي لا أصحاب واحداً من الناس إلّا خانني وتغيّرا
زهير بن أبي سلمى: ومن يجعل المعروف في غير أهله
يعدّ حمده ذمّاً عليه ويندم
الأعشى 629م: ألم تغتمض عيناك أرمداً
عنترة بن شداد العبسي 615م: بكرت تخوفني الحتوف كأنني
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
عمر بن كلثوم 584م: ملأنا البرّ حتّى ضاق عنّا
وماء البحر نملأه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا صبيّ
تخرّ له الجبابر ساجدينا
حاتم الطائي 578م: وأجعل مالي دون عرضي جنة
لنفسى وأستغني بما كان من فضلي
الحارث بن حلزة 570م: أجمعوا أمرهم عشاء فلما
أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

¹ -voir Guidère, Mathieu. manuel de traduction, français-arabe.arabe-français. p9.

² - ibid. p192,196.

³ -ibid. p201.

⁴ -voir : Guidère, Mathieu et autres. KALIMAT. préface.

4-2- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث نظام الكتابة:

4-2-1- نظام الكتابة لدى ماثيو جيدر: (1)

جدول الحروف العربية ومقابلاتها اللاتينية

الحروف	النقحرة	أشكال الحرف	الحروف	النقحرة	أشكال الحرف
همزة	'	ء / إ / أ / ؤ / ئ / و /	ضاد	d	ض / ضد / ضد / ض
ألف	â	ا / ل / ي	طاء	t	ط / ط / ط / ط
باء	b	ب / ب / ب / ب	ظاء	ẓ	ظ / ظ / ظ / ظ
تاء	t	ت / ت / ت / ت	عين	‘	ع / ع / ع / ع
ثاء	th / t̤	ت / ت / ت / ت	غين	gh / ġ	غ / غ / غ / غ
جيم	j / d̥j	ج / ج / ج / ج	فاء	f	ف / ف / ف / ف
حاء	h	ح / ح / ح / ح	قاف	q / K	ق / ق / ق / ق
خاء	h / kh	خ / خ / خ / خ	كاف	k	ك / ك / ك / ك
دال	d	د / د	لا	l	ل / ل / ل / ل
ذال	d / dh	ذ / ذ	ميم	m	م / م / م / م
راء	r	ر / ر	نون	n	ن / ن / ن / ن
زاي	z	ز / ز	هاء	h	ه / ه / ه / ه
سين	s	س / س / س / س	واو	w / û	و / و
شين	š / Sh	ش / ش / ش / ش	ياء	y / î	ي / ي / ي / ي
صاد	s̥	ص / ص / ص / ص			

4-2-2- الحرف المستعمل: قابل المستشرق ماثيو جيدر بعض الحروف العربية بأكثر من حرف

لاتيني، ليس في عملين مختلفين فحسب؛ بل في العمل الواحد، كما يلاحظ القارئ الكريم، أشار بعد الجدول إلى إضافة ثلاثة حروف، ليست موجودة في اللغة العربية، وهي الحروف: (چ بثلاث نقاط مقابل "g"، پ بثلاث نقاط مقابل (p)، (ڤ بثلاث نقاط مقابل (v)). (2) وقد ورد الجدول نفسه تقريباً في عمل آخر له، تمت المقارنة بينهما، وسجل ما يأتي:

1- Guidère, Mathieu. grammaticalement correcte, grammaire alphabétique de l'arabe p 17, 18.

2- ibid. p 18.

جدول يمثل اختلاف الحروف بين العاملين

الحرف	العمل الأول ⁽¹⁾	العمل الثاني ⁽²⁾
الألف	â	ā
الجيم	j / dj	j / ğ / dj
الشين	š/ sh	sh /š/ ch
الواو	w / û	w / ū
الياء	y / î	y / ī

وردت خمسة (05) حروف بشكليين مختلفين لدى المستشرق ماثيو جيدر، وإن كانت اختلافات طفيفة بالنسبة للحروف (أ)، و(و)، و(ي)، إلا أنه مع حرفي (الجيم والشين) وظّف أشكالاً مختلفة، وهذا ما يمكن أن يشوّش على المتعلّم، ويصعب مهمة تعلّم الحروف. ما لوحظ في أعمال المستشرق ماثيو جيدر أنه يلتزم بكتابة العربية بالحرف العربي، في معاجمه الثنائية المطلع عليها، أمّا في الكتب التعليمية، فيلجأ أحياناً إلى الحرف اللاتيني، لكتابة بعض الكلمات العربية، وهو ما يمكن تفسيره بأنه ليس من دعاة كتابة العربية بالحرف اللاتيني، ولا يفعل ذلك إلا للضرورة.

¹- Guidère, Mathieu. grammaticalement correcte, grammaire alphabétique de l'arabe. p 17, 18.

²- Guidère Mathieu. je parle arabe. p 6, 7.

المبحث الثالث: تحليل قاموس اللسان للمستشرق ميشيل قيطوط

التعريف بالمستشرق ميشيل قيطوط (Michel Quitout): « باحث فرنسي من أصل مغربي عاش في فرنسا أكثر من عشرين سنة، وكذا في سويسرا وليبيا، وهو لساني التوجه مستعرب، ومهتم بالبربرية. ترأس الجمعية الفرنسية للدراسات المتوسطية الغربية، ويدير مجلة أوربا والمغرب (La revue des deux Rives/Europe-Maghreb aux Editions de l' Harmattan) وهو خبير لساني دولي للمغرب (سويسرا)». ⁽¹⁾ ومما ورد على الغلاف الخارجي لكتاب مدخل إلى العربية المغربية: « ميشال قيطوط (Michel Quitout) دكتور في الآداب متخصص في علوم اللسان نشر عدة أعمال حول الأمثال في المغرب الأقصى، وهو أستاذ باحث في جامعة تولوز حاليا». ⁽²⁾ أمّا مؤلفاته فلا تخرج عن هذا المجال، ومن أهمّها:

أهم أعماله:

- Paysage linguistique et enseignement des langues au Maghreb des origines à nos jours (l'Harmattan 2007)
- bouquet de proverbes libyens, (l'Harmattan 2007)
- Parlons l'arabe dialectal marocain (l'Harmattan 2001)
- Al-l'assin (français/arabe, arabe-français), (l'Harmattan, 2007)
- initiation à l'arabe maghrébine, vocabulaire classé par thème.
- grammaire berbère (rifain, chleuh, tamazight, kabyle), (l'Harmattan, 1997).
- dictionnaire bilingue des proverbes marocains arabe-français avec Mohamed Bennouna, (l'Harmattan, 1997).³
- Proverbes du Maroc: étude parémiologique, Toulouse, Éditions Universitaires du Sud, 1996.
- Dictionnaire bilingue des proverbes marocains, Tome I, 1997.
- Grammaire berbère: rifain, tamazight, chleuh, kabyle, Paris, L'Harmattan, 1997.
- Initiation à l'arabe dialectal maghrébin, Paris, L'Harmattan, 1999.
- L'arabe marocain de poche, Paris, Assimil, 2000.
- AI-Lassin. Glossaire bilingue des termes des sciences du langage, Paris, L'Harmattan, 2000.
- Recherches sur le monde arabe en France (éd.). Actes du 1er Colloque des Jeunes

¹ - www.bibliomonde.com/auteur/michel-quitout-152.htm. 2017 /8/ 9 .

² - voir Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN vocabulaire bilingue. Paris, le Harmattan, 2004.

³ - www.bibliomonde.com/auteur/michel-quitout-152.htm.

Arabissants, Toulouse, AMAM, 2000.

-L'arabe tunisien de poche, Paris, Assimil, 2001.

-Parlons l'arabe dialectal marocain, Paris, l'Harmattan, 2001.

-L'arabe algérien de poche, Paris, Assimil, 2002.

ومن بين مؤلفاته، سيهتمّ البحث بقاموسه (اللّسن) لاستكشاف طريقته في التعامل مع اللّغة العربية ومصطلحاته، ورؤيته إلى اللّغة العربية.

1- تعريف القاموس الصّغير لمصطلحات علوم اللّغة (قاموس اللّسن):*

1-1- المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1- عنوان المعجم: يتبيّن من خلال العنوان الذي اختاره الأستاذ ميشيل قيطوط لقاموسه

أنّه سيتضمّن مصطلحات خاصة بمجال اللّغة، وهو من المجالات التي استُحدث فيها الكثير من المصطلحات على المستوى العالمي، يتحدّث الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي عن التّأخّر الذي شهده المعجم اللّغوي المختصّ عند العرب، ولاسيّما أنّ أوّل معجم للمصطلحات اللّغوية قد صدر بلندن سنة 1911. تجسّد اهتمام العرب بهذا المجال، بوضع معاجم عربية مكتملة لمصطلحات اللّغة، وكذا وضع قوائم في آخر المعاجم اللّسانية. حيث بادر مجمع اللّغة العربية منذ 1962 بوضع المصطلحات اللّغوية العصرية وقد ضمّنها الباحث الحمزاوي معجمه للمصطلحات اللّغوية العربية الحديثة، وهو يحوي مائتين وألف (1200) مصطلح، ممّا وضعه المجمع وغيره من اللّغويين، أمّا أوّل من وضع قائمة للمصطلحات العربية بمقابلاتها الإنكليزية مبتعدا عن المصطلحات القديمة، فهو المرحوم محمود السعران، كان ذلك منذ 1958م. وبعدها الباحث رشاد الحمزاوي، والباحث عبد المجيد عطية اللّذان شاركا في ترجمة مصطلحات كتاب الفرنسي مارتينييه (Martinet)، وكذا في ترجمة صالح القرماضي لكتاب اللّغوي الفرنسي جان كانتينو (Quantineau Jean). وما كتبه الباحث حمادي صمود، واللّساني عبد السلام المسدي، بالإضافة إلى ما ألفه اللّغوي حسّان تّمّام، الذي يعدّ من الأوائل الذين اهتمّوا بقضية المصطلح اللّغوي.⁽¹⁾ رأى صاحب اللّسن أن يضمّ عمله هذا إلى أعمال اللّغويين العرب. وقد قُسم هذا القاموس إلى قسمين: (فرنسي-عربي/

* قد يعكس العنوان تأثر الباحث بالمعجم القديم، حيث ورد في لسان العرب: لسن: "اللسان جراحة الكلام"، ويقال رجل لسنّ بيّن اللّسن إذا كان ذا بيان وفصاحة، واللّسن جودة اللسان وسلطته. مادة (لسن). وكذا و "اللّغة اللّسن وحدها أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم...". مادة (لغا). وكذا ورد في الوسيط: "اللّسن الكلام... اللّغة). مادة (لشّش).

¹ - ينظر: الحمزاوي، محمد رشاد. العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات. بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1986م. ط2. ص 91.

495

(fa^{ca}la) أن نبني أشكالا جديدة، مشتقة من الفعل بتغيير الحركات، وتضعيف الجذر الثاني، أو بإضافة زوائد، وهو ما يوفّر إمكانيات معتبرة، لوضع مصطلحات جديدة.⁽¹⁾ إلا أنّ المؤلف يستدرك بعدها بأنّ هذه الطريقة لا تفي بالغرض، ولا تكفي لتلبية حاجات هذا الميدان الكبير. يقول: « ما جعل العلماء يبنون صيغا جديدة لم يألّفها العرب، كصنيع الأستاذ صالح القرمادي، بترجمة كتاب جان كانتينو (Jean Quantineau) (cours de phonétique arabe) سنة 1966م، نشر في باريس سنة 1960م، حيث ترجم مصطلح (phonème) بـ صوتم، وهو على وزن (فَعْلَمَ)، وهي صيغة غير مألوفة في اللغة العربية إلا أنّها لاقت ترحيبا، لأنّها انسجمت مع الوزن الأصلي (مَفْعَل، maf'al)، كما أنّها منسجمة مع الذوق العربي، ولا ينفر منها المتكلم والسامع، وهي الطريقة التي سار وفقها بعده الكثيرون». ⁽²⁾ بين الباحث بعدها أنّ وضع المصطلح لا يعني بالضرورة نجاحه، إذ هناك عوامل أخرى تتحكّم في نجاحه، ومن أهمّها معيار الاستعمال، وهو الذي يقرّر مصير المصطلح، هل سيأخذ طريقه من البحوث والكتب إلى الألسن والأقلام، أو أنّه سيبقى سجين الورق. وقد ذكر احتمالات منها خفوت المصطلح، بمجرد ظهوره وقبل أن يُعرف، كما يمكنه التّعايش إلى جانب مصطلحات أخرى إلى أن يُكتب له الانتشار على حساب المصطلحات الأخرى.⁽³⁾ ثمّ مثّل بمصطلح (اللّسانيّات)، الذي وصل إليه العلماء بعد مراحل كثيرة، ومما ذكره: "قبل اعتماد مصطلح اللّسانيّات (al-lissāniyyat) نهائيا، بعد الملتقى المنعقد بجامعة تونس سنة 1978م، الذي أسهم فيه كلّ المختصين في اللغة العربية، وقد استعملوا حوالي عشرين (20) مصطلحا. ومن الوسائل المعتمدة في البداية الاقتراض (al-langwīstīque) اللانغويستك، ليخلفه مصطلح (philologie) (فقه اللّغة)، وهو المصطلح الذي يحيل إلى التّراث التّاريخي الخاص بالأعمال التي أنجزها العرب، حول لغتهم منذ الأزمنة الماضية، ولم يحقّق نجاحا كبيرا كسابقه، ولاسيّما في الحالة التي يلتبس فيها مع دلالة مصطلح (philologie) في أوروبا. وقد وُجد مصطلح غريب، هو علم (فقه اللّغة) (la science de la philologie)، و(علم اللّغة)، ثمّ (علم اللّسان) (ilm al-lisān)، وهناك مراجع تتحدّث أيضا عن (al-lugawīyyāt)، اللّغويات. وأبدع آخرون مصطلح (al-alsiniyya) الألسنية، وهي الأكثر نضجا نسبيا، وتتقاطع بعدها مع اللّسنيات (al-lisniyyāt)، وجاءت تسميات أخرى بعدها، لنصل أخيرا

¹ -Quitout, Michel. AL-LASSIN. petit dictionnaire des termes des sciences du langage. p11, 12.

² - ibid. p12.

³ -ibid. p12.

إلى (al-lisāniyyāt) اللسانيات.

ثم يذكر القارئ بأن هذا الأمر، يحدث أيضا مع المصطلحات المقترضة، مهما كان مجالها. هناك مصطلحات مثل: (ديموقراطية، démocratie)، أو (جغرافية، géographie)، تبقى على حالها في اللغة الهدف، في حين توجد مصطلحات أخرى تأخذ مسارا آخر، إذ تُهمل لتقسط المجال أمام غيرها، وهو ما رأيناه في العالم العربي، هناك مصطلحات مقترضة من اللسانيات الأوروبية، تتحول إلى اثنين ثم إلى واحد (al-stilistik) الستيلستيك، ثم علم الأسلوب (ilm al-uslūb) ¹ (la science du style). وتكون محطة النهاية مع مصطلح الأسلوبية (uslūbiyya). والأمر نفسه بالنسبة إلى مصطلح (الفنولوجيا) • (funūlūgyā) ثم ظهر (علم وظائف الأصوات)، (ilm wazā'if al-aṣwāt)، ثم الوصول إلى (مصطلح الصوتية) (al-ṣawṭamiyya). ⁽¹⁾ يصرّح المؤلف، بأنه لا ينوي بهذا العمل إثقال حقل المصطلح اللساني كما أنه ليس المرجع الوحيد في هذا المجال، ولا يدّعي إيجاد المقابل الوحيد والدقيق والنّهائي... وما هو إلا أداة متواضعة، لكنها فعّالة. ⁽²⁾ وهذا ما يعكس تواضعه العلمي.

انتقل بعدها إلى تقديم القاموس وشرح منهجية عمله. كما بين أنه لم يتبن مصطلحات مدرسة أو اتجاها لسانيا بعينه؛ بل كان لزاما عليه استيعاب معظم التيارات الكبرى، وهذا لا يعني انعدام مصطلحات لسانية خاصة بمدرسة معينة، مثل: (البنوية، والتوزيعية، والنحو التوليدي... كما نجد مصطلحات عامة لا تنتمي إلى أي مدرسة، مثل: (الصوتيات والصوتية والتركيب)، إلا أنه في الآن ذاته لا يمكن الإلمام بمصطلحات كل مدرسة على حدة. ⁽³⁾ ما يمكن قوله حول مقدّمة المؤلف أنها ذكرت معطيات كثيرة حول القاموس، إلا أنها لم تتضمن معلومات دقيقة حول الطريقة التي اعتمدها المؤلف، لاختيار المصطلحات العربية، المناسبة للمصطلح الفرنسي، وأي المراجع استفاد منها أكثر، رغم أنه ذكر مجموعة كبيرة من العناوين في نهاية القسمين العربي والفرنسي.

¹ هناك شكل آخر لحرف العين في هذه الكلمة، ففي المواضع الأخرى نجد حرف (c-°) الفرنسي مصغرا، وفي هذه الكلمة ورد على شكل مطّة عمودية مصغرة؟

• يكتب عادة فونولوجيا.

¹- voir: Quitout, Michel. AL-LASSIN, petit dictionnaire des termes des sciences du langage. Français-Arabe-Arabe-Français. p13.

²- ibid. p13.

³- voir ibid. p14,15

أشاد في نهاية مقدمته بفضل المصادر والمراجع المطلع عليها، واستفاد منها باختلاف أنواعها من مقالات وكتب مترجمة، وكتب نحوية، ومعاجم، وهو ما يعكس الجهد المبذول في البحث، فالمعاجم - كما يعلم المؤرخون المعجميون - تصنع انطلاقًا من معاجم أخرى.

ختم مقدمته بتوجيه شكر خاص لأستاذه السيد جوزيف كورتيه (Joseph Courtés)، الذي تفضل بتقديم هذا العمل، وكل من أسهم في قراءته، وتقدم بالشكر إلى كل الذين سيطّلعون على هذا العمل ويقدمون ملاحظاتهم أو نقدهم، لتحسينه، وعبر عن رغبته في أن يكون مفيدًا لكل الذين وُجّه إليهم.⁽¹⁾ بهذا قدّم أهمّ التّوضيحات حول عمله؛ ولمحة تاريخية حول اللّسانيات وأهم الجهود عند العرب.

1-2-2-1- تصنيف المعجم:

1-2-2-1- قاموس للناطقين بالّلغة الفرنسية والمستعربين: المعجم قبل وضعه يحدّد صاحبه الفئة المستهدفة منه، وقد تحقّق هذا في هذه المدوّنة، حيث صرّح المؤلف في مقدّمة قاموسه، بأنّ عمله موجّه للطلّبة والأساتذة، وكذا المترجمين باللّغتين العربية والفرنسية من المستعربين (arabisants). ومما ورد في مقدّمته: «همّنا الأساس هو أن نضع بين أيدي اللّسانيين والطلّبة المستعربين والأساتذة، والمعنيين بالترجمة (عربي-فرنسي)، و(فرنسي-عربي) هذا العمل، وهو أداة متواضعة، إلّا أنّها فعّالة، وقادرة على إشباع فضولهم وتلبية حاجاتهم». ⁽²⁾ إنّ وجود قسمين في هذا القاموس يؤكّد إمكانية استفادة الفرنسيين المستعربين والعرب على حدّ السّواء منه. أما وضع مقدّمة واحدة للقسم الفرنسي-العربي، وخلو القسم العربي-الفرنسي من مقدّمة، والأمر ذاته بالنّسبة للفهرس، حيث اكتفى المؤلف بذكر محتويات قاموسه باللّغة الفرنسية في القسم الفرنسي، وكرّر ذكر المجالات نفسها باللّغة الفرنسية بالنّسبة إلى القسمين والأصل أن يرد فهرس القسم العربي باللّغة العربية، وهو أمر غريب قد يفسّر بأنّ العمل موجّه للناطقين باللّغة الفرنسية فحسب. أو أنّه قدّر أنّ المتعاملين مع هذا العمل من الباحثين سواء أكانوا من الطّلبة أو من الأساتذة، وهذه الفئة تتحكّم في اللّغة الفرنسية، فلا حاجة إلى تخصيص مقدّمة باللّغة العربية، وإن لوحظ العكس في بعض معاجم المستشرقين الفرنسيين، مثل معجم السبيل لدانيال ريغ.⁽³⁾ يبقى أنّها

¹- Quitout, Michel. AL-LASSIN. petit dictionnaire des termes des sciences du langage. p15.

²- ibid. p13.

³ - ينظر: ريغ، دانيال. معجم عربي-فرنسي. ص 9 وما بعدها.

خيارات نابعة من توجهات المستشرقين تختلف باختلاف رؤيتهم وأهدافهم.

1-2-2-2-قاموس للفهم: هذا العمل موجّه للفهم، لأنه يساعد الباحث على فهم مصطلح ما

في اللّغة الهدف، فالمستعرب الذي يقرأ بحثاً لسانيا باللّغة العربية -على سبيل المثال - قد يقف عند أحد المصطلحات عاجزاً، وسيعمل هذا القاموس على إزالة هذه العقبة. وقد يجد الباحث العربي نفسه عاجزاً أمام مصطلح من المصطلحات الفرنسية، فيلجأ إلى هذا القاموس ليفهم معناه باللّغة العربية.

1-2-2-3-قاموس للّغة الفصيحة: جاء هذا العمل باللّغة العربية الفصيحة مقابل اللّغة

الفرنسية وهو العمل الوحيد الذي تمّ التّوصّل إليه -في حدود العلم- الذي وظّف فيه المؤلّف ميشيل قيطوط هذه اللّغة، وهو ما قد يعني أنّ المجال الذي ألّف فيه، هو الذي فرض عليه هذه اللّغة، إذ لا يمكن توظيف اللّهجات في مجال البحث العلمي. وهو ما يبدو جلياً من واجهة القاموس، الذي جعل فيه عنواناً للقسم العربي، وهو (اللّسن، القاموس الصغير لمصطلحات علوم اللّغة، من تأليف الدكتور ميشيل قيطوط) كما أنّ عناوين المحاور، واردة باللّغة العربية الفصحى، وكذا مداخل المحاور.⁽¹⁾ وهذا يؤكّد أنّ الفصحى لا يمكن تعويضها بأيّ لهجة أخرى.

1-2-2-4-كتابة اللّغة العربية بالحرفين العربي واللاتيني: كتبت اللّغة العربية في هذا القاموس

بالحرفين العربي واللاتيني معاً، خلافاً لأعمال المؤلّف الأخرى، التي اقتصر فيها على الحرف اللاتيني ولا يجد القارئ ذكراً لهذا الأمر في أيّ موضع، وكأنّ كتابة اللّغة العربية بالحرف اللاتيني من البديهيّات التي لا تحتاج إلى شرح، قد يكون من باب التّسهيل على غير النّاطقين باللّغة العربية، والله أعلم.

1-2-2-5-قاموس مختص: يُصنّف هذا القاموس ضمن المعاجم المختصّة، إذ اقتصر على

جمع مصطلحات بعض علوم اللّغة، يدلّ على ذلك العنوان الذي اختاره، (القاموس الصغير لمصطلحات علوم اللّغة)، ومن خلال المحاور التي تضمّنها عمله، وهي: مصطلحات اللّسانيات العامة، ومصطلحات الصّوتية، ومصطلحات التّراكيب والصّرف، والعروض والبلاغة.⁽²⁾ وهذا النّوع من المعاجم، ليس جديداً كما قد يعتقد الكثيرون؛ بل عرفه العرب منذ عصر الاحتجاج، وإن كان قليلاً مقارنة بالمعاجم اللّغوية

¹ - voir Quitout, Michel. AL-LASSIN, petit dictionnaire des termes des sciences du langage...

²- ibid. sommaire.

العامّة، « وأما المعاجم المختصّة، فقد اشتملت على مصطلحات علميّة وفنيّة، قد ظهر جلّها في العربية بعد العصر الذي جمعت فيه اللّغة الفصحى، ويسمى (عصر الاحتجاج). وقد ارتبط ظهور جلّ تلك المصطلحات بعلوم وفنون مستحدثة في الثقافة العربية. فهي علوم أعجمية دخيلة قد انتقلت إلى العربية بواسطة الترجمة. ولذلك عدّت المصطلحات التي استعملت للدلالة عليها من المولّد الذي لا يسمو سُمُو العربيّ الصّريح الفصيح من الألفاظ».⁽¹⁾ ومن المعاجم المشهورة التي عنيت بشرح المصطلحات القريبة من مجال اللّسانيات (التّعريفات للجرجاني) (ت 471). وهو معجم يهتمّ بالمصطلحات.

1-2-2-6-قاموس دلالي ألفبائي: قسّم المؤلّف قاموسه إلى حقول تصبّ في أحد مجالات علوم اللّغة الأنفة الذكر، اعتمد فيها على التّرتيب الألفبائي، فإذا اعتُبرت كلّ هذه الحقول بمثابة قاموس صغير فيمكن القول ها هنا إنّه اعتمد التّرتيب الألفبائي، « يتكوّن هذا الكتاب من قسمين، يتمثّل الأوّل في القسم الفرنسي-العربي، وقد رتّب فيه المصطلحات ترتيباً ألفبائياً كأيّ معجم عام للّغة. ويتعلّق القسم الثّاني بالقاموس العربي-الفرنسي، الخاضع للتّرتيب الألفبائي، وذلك بالعودة إلى جذر المصطلح، وهو ما سيكلّف القارئ بعض الجهد، لإيجاد المصطلح، مثلاً: المصطلحين (بنية وبُعد) وردا ضمن حرف الباء، وهذا دون النّظر إلى التّرتيب الدّخلي لحروف المصطلح، وسيجد القارئ تحت حرف الصاد كل من: (تصويت وصوت، ومصوّت، وأصواتي. وهناك بعض المداخل المركّبة، مثل: (غير مسبب، اسم صوت، المسوّدّة السّردية، والمركّب الحرفي)، تمّ اختيار العنصر الذي يتضمّن حمولة دلالية أقوى في التّركيب، بمعنى: (مركّب، سردية، صوت، مسبب). وهذا الترتيب الاعتباري لديه إيجابيات، حيث جعلنا نتذكّر هذه المداخل المستقلة، التي أعطيت لها دلالات أخرى، ومترجمة بطريقة مختلفة».⁽²⁾ برّر المستشرق الطريقة المعتمدة، بالفائدة التي يجنيها الباحث، وذلك بتوظيف المصطلح نفسه بدلالات أخرى.

¹ - بن مراد، إبراهيم. المعجم العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري. ص 6.

² - voir Quitout, Michel. AL-LASSIN, petit dictionnaire des termes des sciences du langage. Français-Arabe-Arabe-Français. p13, 14.

جدول يمثل تصنيف معجم اللّسن

+	للسان	+	للسان
+	للسان	+	للسان
+	للسان	+	للسان
+	للسان	+	للسان
+	للسان	+	للسان
+	للسان	+	للسان
+	للسان	+	للسان
+	للسان	+	للسان

يلخص هذا الجدول تصنيف القاموس، الذي قابل بين المصطلح العربي الفصحى والفرنسي والفرنسي والعربي، إذ يتوجه به إلى المستعربين الفرنسيين مع إمكانية استقادة العرب منه، حيث يساعد على فهم المصطلحات الواردة باللغة الأجنبية، وهو علمي وصفي نظرا لكونه ينقل مصطلحات مستعملة في الحاضر بين الباحثين اللسانيين، وهو ما يجعله معجما مختصا، كتب بالخطين العربي واللاتيني في الآن ذاته.

2-قضايا الجمع في المعجم:

سيقف البحث على ذكر أهم المصادر التي اعتمدها المؤلف، سواء باللغة العربية أم باللغات الأجنبية، لينتقل بعدها إلى ذكر مجالات المدونة وإحصاء مصطلحاتها، وبعدها سيحدد المستويات اللغوية الواردة في القاموس، ومن الأسئلة التي يمكن طرحها في هذا المقام، هل تحيز المستشرق للمصطلح الأجنبي أو أنه حرص على إيجاد المصطلح العربي؟

2-1-مصادر قاموسه: ذكر المؤلف في نهاية قسمي قاموسه مجموعة من المراجع التي استند

إليها، وما يشد الانتباه فيها هو كثرتها، ولاسيما بالنسبة إلى القسم العربي، حيث بلغت اثنين وستين (62) مرجعا، تتكون من اثنين وثلاثين (32) مقالا صادرا في مجالات عربية معروفة، منها: المعجمية، واللسان العربي، وحوالي تسعة عشر (19) معجما موزعا على مجالات علوم اللغة، والبقية كتب في اللغة وقضاياها.⁽¹⁾ وهذا ما يدل على اطلاعه الواسع، وعودته إلى أهم ما كتب حول المصطلح في الوطن العربي، ويمكن تسجيل ملاحظة في هذا الإطار، تتمثل في ميله إلى ما كتب في المغرب العربي أكثر

¹ - قيطوط، ميشيل. اللسان القاموس الصغير لمصطلحات علوم اللغة. ص 135، 136، 137، 138، 139.

من غيره، وقد يفسّر ذلك برغبته في اختيار المصطلحات المتداولة ضمن هذه الرقعة الجغرافية، ولاسيما مع الاختلافات الموجودة حول المصطلح في وطننا العربي. ومن المراجع المذكورة: (قاموس التحليل السيميائي) للباحث رشيد بن مالك، و(معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) للأستاذ (سعيد الأفغاني) وكتاب (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس، ومقال (منهجية تعريب الأصوات الأعجمية)، مجلة المعجمية و(معجم الأدوات النحوية) لمحمد التونجي، و(المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، عربي- أعجمي/أعجمي- عربي)، ومقال (وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة) في مجلة اللسان العربي وغيرها من المراجع. كما تميّزت قائمة المراجع في القسم الفرنسي بالثراء، إلا أنّها أقلّ من سابقتها، وعددها خمسة وثلاثون (35)، منها ثمانية عشر (18) معجما، وسبعة عشر (19) كتابا، وهي تصبّ في مجال اللغة والمصطلح، باللغتين الفرنسية والانجليزية، منها:

« Béjoint, H. et Thoirion p., Les dictionnaires bilingues.
Blachère, R., grammaire de l'arabe classique. Belot, J-B, dictionnaire français-arabe.
Dubois, J. et Dubois, C, introduction à la lexicographie. Ducros O. qu'est que le structuralisme, le structuralisme en linguistique. Fleisch, H., Traité de philologie arabe, Monteil V., L'arabe moderne...ex ».⁽¹⁾

يلمس من خلال هذا الكمّ من المراجع، أنّ صاحبه قد بذل جهدا كبيرا، لإنجاز هذا القاموس.

2-2- المجالات المفهومية في المعجم:⁽²⁾ تضمّن القاموس أربعة مجالات مختلفة، إلا أنّها

يفترض أن تصبّ كلّها في مجال علوم اللغة، وقد ذُكرت في فهرس الموضوعات باللغة الفرنسية فحسب ولم يذكرها باللغة العربية، وهذا ما يفسّره تخصيص فهرس للقسم الفرنسي دون القسم العربي، باعتباره تابعا للأول، في حين آثر المؤلف إيرادها باللغة العربية في بداية كلّ مجال، ستذكر في الجدول الآتي:

جدول يمثّل المجالات المفهومية في القاموس

المجالات باللغة الفرنسية	المجالات باللغة العربية
-TERMES GENERIQUES DE LINGUISTIQUE	-المصطلحات العامة للسانيات
- TERME DE PHONETIQUE ET DE PHONOLOGIE	-مصطلحات الصوتيات والصوتية
- TERME DE SYNTAXE ET DE MORPHOLOGIE	-مصطلحات التركيب والصرف
-TERME DE METRIQUE ET DE RHETORIQUE	-مصطلحات العروض والبلاغة

¹-voir Quitout, Michel. AL-LASSIN. p 149, 150.

²- voir : ibid.

سيتمّ التعريف بهذه المجالات، من حيث عدد المصطلحات المتضمنة.

2-2-1- عدد المصطلحات العامة للسانيات في قاموس اللّسن: تبين أنّ القاموس يتكوّن من

أربعة مجالات، افتتحها بمجال المصطلحات العامة للسانيات، الذي اشتمل على حوالي ثلاث وعشرين وأربعمائة وألف (1423) مصطلح، وبعدها مصطلحات الصوتيات والصوتية، واشتمل على خمسة عشر وثلاثمائة (315) مصطلح. تلاه مجال مصطلحات التركيب والصّرف، الذي بلغ عدد مصطلحاته خمسة وسبعين وخمسمائة (575). ليختم القسم العربي بمصطلحات العروض والبلاغة بثمان وتسعين ومائتي (298) مصطلح. كما يلاحظ القارئ الكريم، فإنّ الأولوية قد أعطيت لمصطلحات اللسانيات، بدليل أنّها تجاوزت عدد مصطلحات المجالات المتبقية مجتمعةً، وهو ثمان وثمانون ومائة وألف (1188).

سيكتفى بدراسة مجال واحد، ألا وهو مجال (المصطلحات العامة للسانيات)، وذلك للتعرف على الطريقة التي اعتمدها المؤلف في عمله، والوقوف على أهمّ الظواهر اللغوية فيه. إلّا أنّه لن يقصي المجالات الأخرى، التي من شأنها أن تكشف عن مدى تقيّد المؤلف بمصطلحات المجال الواحد، أو بعبارة أخرى، هل هناك فصل بين المجالات المختلفة؟ والسؤال الأهمّ هو كيفية التعامل مع المصطلح اللساني العربي؟

جدول يمثل عدد المصطلحات العامة للسانيات في اللّسن

الحرف	عدد مصطلحاته	الحرف	عدد مصطلحاته	الحرف	عدد مصطلحاته	الحرف	عدد مصطلحاته
الهمزة	64	الذال	56	الضاد	13	الكاف	60
الباء	82	الذال	12	الطاء	27	اللام	53
النّاء	14	الراء	73	الظاء	08	الميم	34
النّاء	12	الزاي	11	العين	129	النون	120
الجيم	52	السين	62	الغين	14	الهاء	09
الحاء	69	الشين	40	الفاء	79	الواو	89
الخاء	88	الضاد	45	القاف	106	الياء	02
المجموع	381	المجموع	299	المجموع	376	المجموع	367

يختلف عدد المصطلحات من حرف إلى آخر، حيث سجّل أكبر عدد مع حرف (العين)، وبعده حرف (النون)، يليه حروف: (القاف فالواو، فالباء، فالفاء، فالراء، فالألف، فالسين، فالكاف فالذال فاللام

فالجيم). أمّا أقلّ عدد فسجّل في حروف: (الياء، فالطاء، فالهاء، فالزّاي، فالثّاء والذّال، يليها الضّاد فالنّاء والغين، فالطاء، فالميم، فالشين، فالضّاد). عموماً هناك تفاوت بين عدد المصطلحات التي تضمّنها كل حرف، وقد يرتبط ذلك بما توصل إليه المستشرق من مصطلحات.

2-2-2 عدد مصطلحات أبواب قاموس اللّسانيات للمسدي: يعدّ قاموس اللّسانيات للغوي عبد السّلام المسدي،⁽¹⁾ من المراجع المذكورة ضمن مصادر المستشرق ميشيل قيطوط، وعليه فقد تمّ إحصاء مصطلحاته، وبيان ذلك في الجدول الآتي:

جدول للمقارنة بين قاموس اللّسن لميشيل قيطوط وقاموس اللّسانيات للمسدي

الحرف	مصطلحاته	الحرف	مصطلحاته	الحرف	مصطلحاته	الحرف	مصطلحاته
الهمزة	107	الذّال	128	الضّاد	80	الكاف	126
الباء	172	الذّال	33	الطاء	61	اللام	226
الثّاء	46	الراء	184	الطاء	31	الميم	115
النّاء	47	الزّاي	40	العين	300	النّون	370
الجيم	174	السين	133	الغين	76	الهاء	49
الحاء	304	الشين	136	الفاء	240	الواو	65
الخاء	114	الضّاد	178	القاف	265	الياء	11
المجموع	964	المجموع	832	المجموع	1053	المجموع	962

يتّضح من خلال الجدول أنّ عدد مصطلحات اللّسانيات للمسدي، هو اثنان وثمانون وثمانمائة وثلاثة آلاف (3811) مقابل سبع وأربعين وخمسمائة وألفين (2541) في قاموس المستشرق قيطوط، وهو ما يجعل معجم اللّسانيات أكثر ثراءً، بخمس وثلاثين وثلاثمائة وألف مصطلح (1270).

¹ - ينظر: المسدي، عبد السلام. قاموس اللّسانيات. عربي - فرنسي، فرنسي - عربي. مع مقدمة في علم المصطلح. تونس، الدار العربية للكتاب، د. ط.

2-2-3- عدد مصطلحات مجالات قاموس اللّسن، والمصطلحات المشتركة مع قاموس المسدي:

جدول يمثل عدد المصطلحات المشتركة بين قاموسي الباحثين قيطوط والمسدي

المجال	العدد	عدد مصطلحات حرف "الهمزة"	عدد المصطلحات المشتركة
مصطلحات اللّسانيات	1423	64	38
الصّوتيات	315	06	2 (الأداء مكرّر)
التّركيب والصرف	575	11	5 (الأداء وأدائي مكرران)
البلاغة والعروض	285	13	1
المجموع	2547	94	46

تمّت مقارنة عدد المصطلحات الواردة ضمن حرف (الهمزة) في القاموسين لحصر المصطلحات المشتركة في هذا الباب، وعددها هو ثمان وثلاثون (38) مصطلحا،* وهو عدد مقبول، إذ إنّ عدد مصطلحات الباب نفسه، لدى المستشرق هو أربعة وستون (64)، ولأنّه فصل بين مجالات علوم اللّغة عكس المسدي الذي أورد المصطلحات اللّسانية في باب واحد، كان ينبغي الرجوع إلى المجالات الأخرى وإحصاء مصطلحات (حرف الهمزة)، التي قدّرت بستّة (6) في مجال الصوتيات،⁽¹⁾ وأحد عشر (11) في مجال الصّرف والتّركيب،⁽²⁾ وثلاثة عشر (13) في مجال البلاغة والعروض.⁽³⁾ أمّا المشتركة بين القاموسين، فعددها هو ثمانية مصطلحات (8)، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ المصطلحين: (الأداء وأدائي) قد تكرّرا في أكثر من مجال، ليتراجع العدد إلى خمسة (5). فيكون عدد مصطلحات حرف الهمزة الإجمالي أربعة وتسعين (94)،* بمعنى أنّه ليس بعيدا عمّا ورد عند المسدي، وهو سبعة ومائة (107) مصطلح. فيكون مجموع المصطلحات المشتركة، الواردة ضمن باب الهمزة ثلاثة وأربعين (43) مصطلحا، وهو عدد بعيد إلى حدّ ما، مقارنة بما ورد في قاموس اللّسانيات.

* إذا أخذ بعين الاعتبار مصطلحا: (الأنثى، والتّأنيث اللّذين يقابلهما لدى المسدي مؤنث وتأنيثي).

1 - ينظر: قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 75.

2 - ينظر: المصدر نفسه. ص 93.

3 - ينظر: المصدر نفسه. ص 121.

* إذا احتُظّ بالمصطلحات المكرّرة، وهي: (الأداء في الصوتيات، وأدائي والأداء في الصّرف والتّركيب). وإذا حذفت فسيكون العدد هو 91.

ذُكر عدد المصطلحات المتضمنة ضمن أبواب القاموس، لمعرفة توزّع المصطلحات على حروف الهجاء، حيث أظهر الجدول أنّ أكثر المصطلحات تبدأ بـ: (العين، والنون، والقاف، والواو، والباء، والفاء والراء)، لتتوزّع البقية على الحروف الأخرى، وسجّل أقلّ عدد ضمن الحروف الآتية: (الياء، والظاء والهاء والزّاي، والثّاء والثّاء والغين). ولا يتعلّق الأمر بتفضيل حرف على آخر؛ بل يرتبط بما جادت به المعاجم التي اعترف منها المؤلف مادّة قاموسه. ومنها ما ورد مختصاً بمجال واحد وهو ما يسهّل مهمّة مؤلّفيها وستجيب هذه الدّراسة على سؤال مهمّ، وهو إلى أيّ مدى تمكّن الباحث ميشيل قيطوط من مهمّته المعجميّة المصطلحيّة، إذ هو مطالب بإيجاد المقابلات العربيّة المناسبة للمصطلحات الفرنسيّة، واضح أنّ المؤلف استفاد كثيراً من أعمال الباحثين العرب، ولاسيّما المغاربة منهم.

2-3-مدى تلاؤم المصطلحات مع مجالاتها: اهتمّت هذه الدّراسة بالمجالات الأربعة، بالنّسبة إلى هذا العنصر، وهو ما سيُعرض من خلال هذه النّقطة، وذلك بتتبّع المصطلحات الواردة فيها، تضمّن المجال الأوّل مصطلحات لسانية في معظمه، إلّا أنّه اشتمل على بعض الكلمات العامّة التي لا تختصّ بمجال اللّسانيات، وبعضها يدخل في مجال آخر، وهو ما أوقعه في التّكرار أحياناً، وفي إقحام مصطلح نحوي أو صرفي أو بلاغي أو أدبي ضمن المصطلحات اللّسانية. وسيعرض الجدول الآتي نماذج لها.⁽¹⁾ وإن كانت اللّسانيات الحديثة تتناول بالدراسة، كل من الصرف والنحو وكل ما هو لغة.

2-3-1- في مجال اللّسانيات: تسعى هذه المحطّة إلى تتبّع المصطلحات الواردة في هذا الباب ليقف على مدى توافق مصطلحاته مع اللّسانيات العامّة.

¹ - ينظر: قيطوط، ميشيل. القاموس المصغّر لمصطلحات علوم اللّغة، قسم المصطلحات العامّة للسانيات.

جدول يمثل بعض مصطلحات مجال اللسانيات

المصطلح بالعربية (1)	المصطلح بالفرنسية	المصطلح بالعربية (2)	المصطلح باللغة الفرنسية
المؤلف	auteur	الشهيق	inspiration
المؤلف	ouvrage	التصوير الجاف	photocopie
أفقي	horizontal	ظهر الورقة	verso
مجازي (معنى)	Figuré (sens)	القصاص	conteur
الجريدة	journal	التقليب	combinaison
حكاية الجنّ	conte de fée	الملاحظ	observateur
الخائن	traître	النشيد	hymne
الراوي، الراوية، السارد	narrateur	الانتقام	vengeance
الشريط المرسوم	bande dessinée	الوزن	mètre
الإعراب	flexion	اليوميّات	journal

وردت مصطلحات كثيرة، لا تنتمي إلى مجال اللسانيات، وقد ذكر بعضها في الجدول السابق، إلا أنّ هناك كلمات، يصعب إدراجها ضمن أيّ مجال من المجالات المذكورة، لكونها تنتمي إلى الاستعمال اللغوي العام، مثل: (المؤلف، المؤلف، يوميات، انتقام، النشيد، الخائن، ظهر الورقة). فإذا مثل بمصطلح (الأفقي) فهو كلمة يمكن توظيفها في الاستعمالات اليومية العادية، فيقال: (خط أفقي)، أمّا إذا أُريد له الدلالة على مفهوم دقيق يختصّ بمجال معيّن، فلا بدّ من إضافته إلى كلمة أخرى، وهو ما ورد بعده مباشرة، وهو المصطلح المناسب لهذا المجال، وهو (محور أفقي). وهذه الظاهرة مسجلة على مستوى قواميس كثيرة، حيث يذكر أصحابها الكلمة العامة، وبعدها يسجلون المصطلحات المتصلة بها، ولا يمكن تجاهل الفائدة من هذا الصنيع إلاّ أنّه يثقل كاهل المعاجم المختصة.

إنّ مهمّة تصنيف المصطلحات إلى مجالات مختلفة صعبة على المؤسسات والجماعات، وعلى الأفراد أشقّ وأصعب، لأنّها تتطلب إلمامًا واسعًا بالمصطلحات، ودراسة عميقة باستعمالاتها المختلفة. وعند العودة إلى بعض المعاجم اللسانية، لم يعثر على بعض المصطلحات الواردة في الجدول. فمثلا كلمة (مؤلف) وردت بدلالة

¹ - قيطوط، ميشيل. القاموس المصغّر لمصطلحات علوم اللغة، قسم المصطلحات العامة للسانيات. ص 9، 10، 11، 17، 18، 20، 25، 31، 35، 42.

² - المصدر نفسه. ص 36، 38، 41، 51، 53، 59، 64، 67، 69، 71.

أخرى في قاموس المسدي، وهي (synthétiseur)، ولم ترد بالدلالة المذكورة في قاموس اللّسن، وهي (auteur).⁽¹⁾ ومن الصّعوبات التي يواجهها واضعو القواميس المختصّة، التّداخل بين بعض المجالات، ولاسيّما إذا فُصل بين المجالات التي يجمعها حقل دلالي عام، كما حدث في قاموس اللّسن، سيّتضح الأمر بالعودة إلى المجالات الأخرى الواردة في القاموس.

2-3-2- في مجال الصوتيات: يعتبر هذا المجال من أكثر المجالات دقة وحاجة إلى التّخصّص، فترى هل كان اختيار المصطلحات الصّوتية دقيقاً؟

جدول يمثّل بعض مصطلحات مجال الصّوتيات والصّوتية⁽²⁾

المصطلح بالعربية ⁽³⁾	المصطلح بالفرنسية	المصطلح بالعربية ⁽⁴⁾	المصطلح بالّلغة الفرنسية
بانّ	emetteur	الرطانة الأعجمية	accent étranger
الحركة المقدّرة	voyelle virtuelle	الأصمّ والأبكم	sourd-muet
نظام الحركات	vocalisme	(اللغات) الإعرابية	langue à cas
اللّهجة البدوية	accent bédouin	عسر القراءة	dyslexie

وردت معظم المصطلحات مناسبة لمجال الصّوتيات. وهو ما يدلّ على تحكّم في مصطلحاته إلّا ما كان متداخلاً مع غيره، مثل المصطلحات الواردة في الجدول السّابق، فمنها ما يدخل في اللّسانيات مثل: (بانّ، واللّهجة البدوية، واللّغات الإعرابية، والرطانة الأعجمية)، وما يندرج ضمن مجال النّحو، مثل: (الحركة المقدّرة)، واللّسانيات التّطبيقية والنّفسية، مثل: (عسر القراءة)، ومنها العام، مثل: (الصم والبكم).

2-3-3- مجال الصّرف والتركيب:⁽⁵⁾ هناك مصطلحات متنوّعة، يدخل معظمها ضمن الصّرف والتّراكيب، في حين حدث تكرار لمصطلحات، وردت في المجال الأوّل (اللّسانيات)، مثل: (أدائي، الأداء البنية العميقة، المربّع السيميائي، الملفوظ، اللافظ). كما يُلاحظ وجود مصطلحات تنتمي إلى مجالات أخرى منها: (البلاغة، والأدب، والدّلالة، والصّوتيات). يقدّم هذا الجدول أمثلة لبعض المصطلحات.

1 - ينظر: المسدي، عبد السلام. قاموس اللّسانيات. عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. مع مقدمة في علم المصطلح. ص 100.

2 - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 74.

3 - المصدر نفسه. ص 75، 77، 78، 84.

4 - المصدر نفسه. ص 79، 83، 87، 88.

* ورد في الصفحة 75 مصطلح (تاء مبسوطة) (longue (tā') والأصل أن يقال: ممدودة والله أعلم.

5 - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن: مجال التركيب والصّرف. ص 93.

جدول يمثل المصطلحات البعيدة عن الصّرف والتّركيب⁽¹⁾

المصطلح بالعربية	المصطلح بالفرنسية	المصطلح بالعربية	المصطلح بالفرنسية
أدائي/الأداء	enonciatif/ enonciation	التشكّل الخطابي	formation discursive
البنية السطحية	structure de surface	الصّنف الدّلالي	catégorie sémantique
البنية العميقة	structure profonde	المضمون	contenu
المجاز اللّغوي	figure de mots	الغاية	but
تحليل الخطاب	analyse de discours	الانفكاك	déglutination
الحدث اللّغوي	acte linguistique	مفترض	présupposé
الحقل الدّلالي	champ linguistique	المقبولية	acceptabilité
الحقل السيميائي	champ sémiotique	التقابلية (اللسانيات)	contrastive (linguistique)
التحوّلات الحكائية	morphologie (du conte)	القسم/ القسمة	fraction
الحظر	défense	الكفاية اللّغوية	compétence
لا دلالي	a sémantique	الملفوظ	énoncé
المربّع السيميائي	carré sémiotique	اللافظ	énonciateur
التركيب السردى	syntaxe du récit	ممکن	possible
ترديدي	paraphrastique	الإنجاز	performance
السطح (بنية)	surface (structure de)	التهجين	dépréciation
بين الشّدّة والرخاوة	affrication	الهوّ	délocuteur
الشّحنة الدلالية	charge sémantique	التوليدي (المنهج)	générative
التشبيه-المشبه به	comparaison/comparatif-comparent	الوظائف اللغوية	fonctions* linguistiques

يمثل هذا الجدول المصطلحات التي وردت في مجال (اللسانيات)، وتكرّر ذكرها في مجال (الصّرف والتّراكيب)، وهي مصطلحات متنوعة تنتمي إلى علوم لغوية وأدبية مختلفة، وهي: (أدائي الأداء)⁽²⁾ البنية العميقة⁽³⁾ المربّع السيميائي⁽⁴⁾ مستتر⁽⁵⁾ مستتر (ضمير). الضمير المستتر

¹ - ينظر: قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 93 وما بعدها.

* يبدو أنه خطأ مطبعي، والصواب هو linguistiques

² - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 11، 93.

³ - المصدر نفسه. ص 14، 94.

⁴ - المصدر نفسه. ص 34، 99.

⁵ - المصدر نفسه. ص 35، 103، 106.

المضمون⁽¹⁾ الغاية⁽²⁾ الملفوظ، (اللافظ).⁽³⁾ بالعودة إلى تلك الواردة في الجدول، يتأكد القارئ الكريم أنّ هذه المصطلحات، بعيدة عن مجال الصّرف والتراكيب، ومعظمها يدخل في اللسانيات العامة والأدب.

2-3-4- مجال العروض والبلاغة:

2-3-4-1- نماذج من مصطلحات لا علاقة لها بالمجال أو مشتركة:

ورد أكثر من مائة (100) مصطلح، لا ينتمي إلى العروض والبلاغة، وسيورد البحث نماذج لمصطلحات من المجالات الأخرى، وبما أنّ معظمها أدبية، فسُتفتح بها القائمة: (الأدب، أدبي، أثر أدبي، المأثورات الشعبية، المآثر، الأدب الملحق، الآداب الجميلة، الأدب المقارن، أدب الرحلات الأدب الشعبي، الأدبية، المأساة-التراجيدية، مأساوي-تراجيدي، الباطنية، البطل، البطل المزيّف الابتهاال التجريدية، الأجناس الأدبية، الإجازة، النزعة الجمالية، الحوار، حوار، المظهر الحكائي حكاوي، ما فوق الحكائي، الحكاية في الحكاية، الحكاية الرمزية، المحاكاة، حر (أسلوب)، الحكاية أوج الحكاية الخلفية (الأدبية)، الخمریات، فن الخطابة، الاستدراك، الدلالة الذاتية، الدراما، الدعابة الديوان، الاندماجية السردية، المذكرات الشخصية، الترويح الفكاهي، الرثاء، الرواية، رواية الخيال العلمي، الروائي، روائية الرومنسية، الترأسلية الروائية، الفاصل الترفيهي، السخرية، المسرح، المشهد الشعر-القريض، الشعر اللاذع، الشعر المنثور، الشعر التعليمي، الشعر الملحمي، الشعر المرسل الشعر الحر، شعر الحكمة أركان الشعر، شعري، نظم-قرض الشعر، الفعل الشعري، التشكّل الخطابي، التعبير التحليلي، التشويق الشخصية، غنائي، الغنائية، الغزل الإباحي، الغزل الغنائي الغزل العفيف، الفخر، الاقتصاد النصي التقريظ، تقريظي، القصيدة الشعرية، القصّ الصغير الأقصوصة، كلمة الختام، تكرار النهاية، الملحمة اللّغز، الملهاة، المدح، المدّاح، المقال-الرسالة تماثل البداية والنهاية، الناثر، النثر الأدبي، نكوصي المناجاة-المنولوج، مناجاة النفس، النص، ما فوق النص، النصية، نصّي، التناص، متناص، النسيب هزلي، الهزلية، الكلمة الاستهلاكية، هجا الهجاء الهجاء في معرض المدح، تهكمي، الوعيد، الواقعية التوقّع السردية). كما وردت مصطلحات تنتمي إلى مجالات أخرى، مثل: (الاختبار، التريديد، المرادف الترادف الأسلوب، الأسلوب العامي الأسلوبية أسلوب، دراسة الأسلوب الصوتية، الشناعة التصنيفية تصنيفي التصويب، مصطلح مكرّس لامعقول-عبي، اللامعقولة-العبيّة، التعليل العتيق-التزام القديم التعجب-الهتاف، تعدد المعاني متعدّد المعاني، أثر المعنى، العقاب، تفسير الكتاب المقدّس المفسّر

1 - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص39، 106.

2 - المصدر نفسه. ص 47، 109.

3 - المصدر نفسه. ص60، 114.

تفسيرى الفخامة، المفارقة الزمنية، تفرّد المعنى، فريد المعنى، النقيشة التتصيص، وارد (الاستعمال) التوكيد اللفظي، أثر الواقع التوليدية(المسافة).⁽¹⁾ توزّع حوالي أربعين (40) مصطلحا على مجالات متنوّعة لا تدخل ضمن مجال البلاغة والعروض. ووردت مصطلحات مكرّرة، سبق ذكرها:*

جدول يمثل مصطلحات لا تنتمي إلى المجال ومصطلحات مكررة

المصطلح بالعربية	المقابل بالفرنسية	المصطلح بالعربية	المقابل بالفرنسية
الباطنية 12/ 121	نفسه	الانعكاسية 46/ 128	نفسه
التبادلية 13/ 75	مختلف	القرين 51/ 113	مختلف
مجازي(معنى) 17/ 122	نفسه	التقديم والتأخير 54/ 131	مختلف
مجزّد 17/ 96	مختلف	المقبولية 55/ 113	نفسه
الجمع 18/ 96	مختلف	القياس 55/ 131	نفسه
المجرى 17/ 75	مختلف	تقابلي/تقابلية 55/ 113	نفسه
النزعة الجمالية 17/ 122	نفسه	الإنجاز، الأداء 65/ 116	نفسه
الحدث 19/ 98	نفسه	المنادى 67/ 116	مختلف
التحويل 19/ 98	نفسه	التناص 62 / 133	نفسه
الحكاية الرمزية 20/ 123	نفسه	التكرار 58/ 131	مختلف
المحاكاة 21/ 123	مختلف	اللغز 58/ 131	نفسه
المركب 29/ 99	نفسه	الكلمة الاستهلاكية 58/ 133	نفسه
مستتر 35/ 103	مختلف	اللازمة 59/ 131	مختلف
تصنيفي 38/ 127	نفسه	النسيب 62/ 133	مختلف
الصورة البلاغية 38/ 121	نفسه	الوزن 69/ 133	مختلف
المضمون 39/ 106	مختلف	التشكّل الخطابي 104 / 127	نفسه

يوضّح هذا الجدول أنّ هناك مصطلحات مذكورة في مجال (اللّسانيات)، وتكرّرت في مجالات أخرى مثل: (الصوتيات، والصرف والتّركيب، والبلاغة). وهي حوالي عشرين (20) مصطلحا، وردت بالمعنى نفسه في بعض المواضع، وبمعان مختلفة في مواضع أخرى، مثل: (مصطلح الباطنية الذي قابله بالمصطلح الفرنسي (ésotérisme)، وذلك في مجال اللّسانيات، وكذا في مجال العروض والبلاغة). وهو مصطلح غائب في قاموس اللّسانيات للباحث المسدي. في حين وردت المصطلحات المتبقية بمعان

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللسن، مجال مصطلحات العروض والبلاغة. من ص 121 إلى 134.

* تشير الأرقام الواردة أمام المصطلحات إلى الصفحات التي تكررت فيها؛ إما في مجال اللّسانيات أو في مجال العروض والبلاغة.

مختلفة، مثل: (مصطلح التبادلية الذي قابله المصطلح الفرنسي (réciprocité)⁽¹⁾ في المجال الأول ومصطلح (commutativité)⁽²⁾ في مجال الصّوتيات). في حين ورد المصطلحان الفرنسيان معا، مقابل المصطلح العربي (تبادلية) لدى الباحث عبد السلام المسدي.⁽³⁾ وهو ما قد يعكس قلة ضبط المصطلحات ضمن المجالات الواردة في القاموس.

2-4- المستويات اللغوية في المعجم: يهتم هذا المعجم بمصطلحات علوم اللغة، وهو علم متأثر بالغرب إلى حد بعيد، حيث ظهرت نظريات غربية كثيرة، جاءت كل منها بمفاهيم جديدة، وهو ما فرض على العلماء العرب إيجاد مقابلات لها باللغة العربية، يقول الباحث الفهري: « والظروف المرحلية التي تجتازها اللغة العربية تضطرّها... إلى الاقتباس ممّا يفدّ عن طريق اللغات ذات الصّدارة في المجالات التكنولوجية -العلمية والفكرية- الفلسفية، علما بأنّ العطاءات العربية النوعية المتميّزة، لا تمكّن من الاستقلال الفكري والعلمي داخل حدود اللغة العربية، (إضافة إلى أنّ الزّمن زمن تداخل الثقافات)».⁽⁴⁾ وهنا لابدّ من اللّجوء إلى الطّرائق التي وضعها العلماء، وستكون النتيجة مصطلحات فصيحة، ومعرّبة ودخيلة. أما السّؤال المطروح فهو: هل يمكن الحديث عن العامية في مثل هذا النّوع من القواميس؟ سيتمّ التعرّف على المستويات اللّغوية، وذلك من خلال المجال الأوّل في القسم العربي-الفرنسي.

2-4-1- المستوى الفصيح: أحصيت المصطلحات الفصيحة في باب المصطلحات العامة للسانيات، واتّضح أنّ المستوى الفصيح، هو الغالب في هذا الباب، بنسبة كبيرة تتجاوز (99%)، وهذا ما يعكس حرص المؤلّف على تحرّي المصطلحات الفصيحة، منها: (الأسرة اللّغوية، اللسانيات البنيوية ثنائية اللغة، احتكاك اللّغات، علم الدّلالة، الزمنية، التّعاقب...). سجّل البحث مصطلحا بمستويين الفصيح والدّخيل، وهما المصطلحان: (المحاكاتية والميمية)، فيما اكتفى المؤلّف بالمصطلح الفصيح في موضع آخر.⁽⁵⁾ ولا غرابة في هذه النتيجة، ولاسيّما أنّ المستشرق قد رجع إلى معاجم عربية، وهو ما قد يعكس حرصه على ضبط المصطلح اللّساني العربي.

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 13.

² - المصدر نفسه. ص 75.

³ - المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات. ص 102.

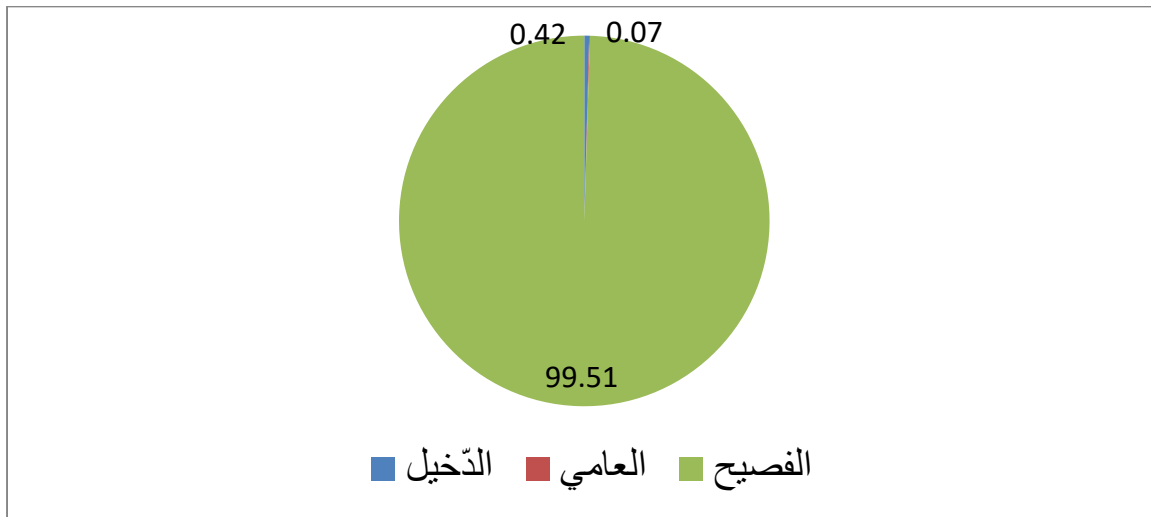
⁴ - الفهري، عبد القادر الفاسي. اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية. ص 223.

⁵ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. مجال البلاغة والعروض. ص 123.

2-4-2- المستوى العامي: ورد مصطلح عامي واحد، وهو مصطلح القبيلية،⁽¹⁾ ويكتب بالعربية الفصيحة (القبائلية)، لكن يبدو أنّ المؤلف أثر توظيف اللفظ العامي.

2-4-3- المستوى المعرب والدخيل: ورد المستوى الدخيل، بنسبة قليلة في مجال اللسانيات العامة، ومما أحصي خمسة (5) مصطلحات مركبة، تتكوّن من جزء فصيح، وآخر دخيل أحيانا الجزء الأول: هو الفصيح، والثاني: هو الدخيل، مثل: (المربع السيميائي)، وأخرى الأول هو الدخيل، والثاني: هو الفصيح، مثل: (الأطلس اللغوي، السوسيو نقدية)، وفيما يأتي أمثلة لأهم المستويات الواردة.

دائرة نسبية للمستويات اللغوية في قاموس اللسن



تعكس هذه الدائرة توجّه المستشرق قيطوط إلى المصطلح العربي، إذ لم يرد في المجال الأول إلا ستة (6) مصطلحات دخيلة، وكلمة عامية واحدة، هي (القبيلية)، ليأتي هذا العمل ملتزما بالفصحى، وما يفسّر ذلك هو كون القاموس، كما سمّاه صاحبه مختصا، إذ لا يمكن الحديث عن عامية، في مجال اللسانيات، وكذا الأمر بالنسبة للدخيل الذي ورد بدرجة قليلة خلافا للمتوقّع.

¹ - ينظر: قيطوط، ميشيل. قاموس اللسن. ص55.

جدول يمثل بعض المصطلحات اللسانية في القاموس

المصطلح بالعربية (1)	المصطلح بالفرنسية	المصطلح بالعربية (2)	المصطلح بالفرنسية
الأطلس اللغوي	atlas linguistique	السيميويزيس	sémiosis
الإيديولوجية	idéologie	ما فوق السيميائية	métasémiotique
الاستراتيجية	stratégie	السنسكريتية	sanskrit
الأكسية	(occitan) oc	السوسيو نقدية	socio-critique
البنية	structure	عبري	hébreu
الترجمة	traduction	القبيلية	kabyle
الجغرافية اللغوية	géographie linguistique	اللغوص	logos
اللسانيات الاجتماعية	sociolinguistique	اللسانيات النفسية	psycholinguistique
الحامية- السامية	chamito-sémitique	الميمية، لمحاكاةية	mimésis
ذرائعي	pragmatique	النقد السيكلوجي	psychocritique

يبين هذا الجدول أنّ المستشرق لم ينحز للمصطلح الفرنسي في بعض المواضع، حيث أورد بعض المصطلحات اللسانية العربية، في حين يوردها البعض من الدّخيل، مثل مصطلح (ذرائعي) وهو المصطلح نفسه الذي ورد لدى المسدي.⁽³⁾ وقد ورد لدى بعض الباحثين العرب مصطلح (البراغماتية)، في حين وردت مصطلحات أخرى، تحيّر فيها إلى الدّخيل في جزء من المصطلح، مثل: (السوسيو نقدية)، و(النقد السيكلوجي)، وقد ورد لدى المسدي المصطلح العربي (النقد النفساني) بالمقابل الفرنسي نفسه.⁽⁴⁾ وتضمّن المصطلح الدّخيل، مثل: (اللغوص)، وأحيانا يوردهما معا، بمعنى المصطلح الدخيل والعربي، مثل: (الميمية، المحاكاتية). لكن عموما الالتزام بالمصطلح العربي هو الغالب.

كما يعكس الجدول الطّرائق المذكورة في المقدّمة، حيث يرد المصطلح العربي الفصيح الخاضع لقواعد اللغة العربية في معظم المواضع، وتارة يرد المصطلح مركبا من كلمة عربية وأخرى أجنبية، وأحيانا يكون المصطلح باللغة الأجنبية فحسب، وقد يبقى على هيئته، ولا يكيّف وفق النّطق العربي، وهو ما

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. مجال البلاغة والعروض. ص 9، 10، 11، 15، 17، 18، 19، 28.

² - المصدر نفسه. ص 34، 35، 43، 55، 59، 61، 63.

³ - المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات، ص 119.

⁴ - المرجع نفسه. ص 164.

يدخل في الدّخيل، وينحصر عادة في الكلمات الدّالة على اللّغات والفصائل وبعض العلوم، وهو ما ينطبق على اللّغات الأجنبية، التي تترجم أسماء اللّغات العربية أو بعض الكلمات الخاصة بالشعوب العربية بالحفاظ على هذه الكلمات، وتدخل قاموسها كما هي بصفتها كلمات دخيلة.

3- قضايا الوضع في المعجم:

أشار المؤلّف إلى أنّ القسم الفرنسي خاضع للتّرتيب الأبجائي التّقليدي، والأمر نفسه بالنّسبة إلى القسم العربي، الذي سيتطلّب البحث فيه بعض الجهد، وذلك بالعودة إلى جذر المصطلحات في التّرتيب إلّا أنّه سيأخذ الحرف الأوّل فحسب، بعين الاعتبار، وقد مثّل لذلك بمصطلحين، هما: (بنية وُبعد) موضّحا أنّهما سيُدرجان ضمن حرف الباء، ولن يولي أهمية للتّرتيب الدّاخل للّحروف، (بمعنى أسبقية العين على النّون في المصطلحين)، وهذا كلّهُ وفق التّرتيب الأبجائي العربي، وهو ما سيُطبّق على هذه المصطلحات: (تصويت، وصوت، وأصواتي، ومُصوت) التي ستأتي ضمن حرف (الصاد). ثمّ تحدّث عن بعض المداخل المركّبة، مثل: (غير مسبب، إسم ↓ صوت، المسودة السردية، المركّب الحرفي) المرتّبة حسب الجزء ذي الحمولة الدّلالية الأقوى ضمن هذا التّركيب، أي أنّه سيعتمد: (سردية، صوت مسبب)، وهذا التّرتيب الاعتباري إذا صحّ القول لديه إيجابيات، حيث يذكّرنا بهذه المداخل مستقلة، وقد أُسندت إليها مفاهيم أخرى، ومترجمة بطريقة مختلفة.⁽¹⁾ ترد أحيانا مصطلحات مترادفة تصل إلى ثلاثة جُعِلت على السّطر نفسه، وقد وضعت بينها فواصل، وتعتبر بمثابة مدخل واحد، رتّب وفق الكلمة الأولى مثل: (التمهيد، الدباجة، التوطئة). • أما المداخل المتطابقة لفظا والمختلفة معنى، فوردت في سطرين مثل: (الفصل: chapitre et débrayage). فالأوّل بمعنى فصل الشيء عن الشيء، وإبعاد أحدهما عن الآخر، والثاني هو الفصل، بمعنى ذلك الجزء الموجود ضمن بحث علمي أو كتاب.

3-1- التّرتيب الخارجي للقاموس: ألزم الباحث ميشيل قيطوط نفسه بطريقة عمل شاقّة ومعقّدة

حين اختار تقسيم قاموسه إلى أربعة مجالات، لأنّ هذا الأمر يتطلّب جهدا كبيرا، ودقّة متناهية في توزيع المصطلحات على مجالات القاموس، لئلا يحدث تداخل بين هذه الأقسام المختلفة، والمعمول به في

↓ تكتب هذه الكلمة بهمزة وصل لا همزة قطع. " اسم".

¹ -voir Quitout, Michel. AL-LASSIN, petit dictionnaire des termes des sciences du langage, Français-Arabe-Arabe-Français. p14.

• (التمهيد، الدباجة، التوطئة).

القواميس اللسانية المشهورة، -بما فيها التي رجع إليها المؤلف نفسه -هو تجنب تقسيمها إلى مجالات مختلفة، من: (نحو وصرف وبلاغة وغيرها)، والاكتفاء بإدراج المصطلحات اللسانية في قسم واحد باعتماد الترتيب الأببائي. فالترتيب الخارجي المعتمد هو المجالات أو الحقول المفهومية، وعددها أربعة (4) واتخذ الترتيب الأببائي منها داخلها. حيث رتب المؤلف مصطلحات قاموسه ترتيباً أببائياً عربياً وفق الحرف الأول لجذر المصطلح، متبعا في ذلك منهج بعض العرب، مخالفا طريقة المعاجم الأوروبية التي لا تراعي الجذور؛ بل تتعامل مع الكلمات دون تجريدتها من الزوائد. يورد الأستاذ بن مراد في هذا المقام معلومة أخرى، حيث أشار إلى أنّ هذا دأب المعاجم المختصة سواء العربية منها أم الأجنبية، « وأما الغالب في المعاجم العلمية المختصة، فترتيب المداخل غير معرّة من زوائدها دون مراعاة الأصلي والزائد من الحروف... وقد أصبحت هذه الطريقة في الترتيب في السنوات الثلاثين الأخيرة طريقة مبتغاة... والغالب على ظن الكثيرين، أنّها طريقة أوروبية حديثة... وليس الأمر كذلك كما قد رأينا⁽¹⁾. وهو المعمول به في المجالات الأربعة، سيكتفى بدراسة هذا العنصر ضمن المجال الأول.

3-2- الترتيب الداخلي للمعجم: يتقيد المعجميون عادة في ترتيبهم الداخلي لمداخل معاجمهم بترتيب داخلي يختلف من عمل إلى آخر، وهذا حسب توجهاتهم. أمّا الباحث مشيل قيطوط، فقد تقيد بما ذكره في مقدّمته، حيث ألزم نفسه بمراعاة الحرف الأول من جذر المصطلح، وهو ما تسبّب في بعثرة بعض المصطلحات المبدوءة بالحرفين نفسيهما في أماكن مختلفة؛ بل ومتابعة أحيانا، مثل المصطلحات: (تأصيلي، الأثل، المأصل، الأصولية، أصلي، الأمزيغ، تاريخي، مألوف، أفقي... وحيد الأصل... نموذج الأصل، أصلي، الأصالة).⁽²⁾ وإذا أُريدَ تسهيل مهمّة الباحث، فالأفضل هو تتابع الكلمات المبدوءة بالألف والصاد، والأولوية للمجرد والمفرد لا للمركّب، فتكون البداية بكلمة (الأصل) الأولى، وما قبل الأخيرة متتابعتين، وتصنّف على الشكل الآتي: أصلي (radical)، أصلي (original)، الأصالة (originalité)، مأصل، (lexème) الأصولية (epistémologie)، تأصيلي (etymologie)، نموذج

¹ - بن مراد، إبراهيم. المعجم العلمي العربي المختص. ص 153.

² - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 9، 10، 11.

* ورد مصطلح (تأصيلي) وبعده مصطلح (الأثل)، ف (المأصل)، و(الأصولية)، و(أصلي)، ويرد مصطلح (وحيد الأصل)، بعد ستة وعشرين (26) مصطلحا، ويأتي مصطلح (نموذج الأصل) بعد تسعة (9) مصطلحات، ليظهر مصطلح (أصلي) مجدداً بعد أربعة (4) مصطلحات يتبعه مصطلح (الأصالة).

الأصل (prototype)، وحيد الأصل (monogenèse). وهذا هو المعمول به في أبواب القاموس كلّها وما هذه إلا أمثلة بسيطة، وللقارئ أن يتصور صعوبة إيجاد المصطلحات المتقاربة، والجهد الكبير الذي يتطلبه البحث عنها. إلا أنّ هذه الملاحظة لا تنقص من أهميّة العمل، فقد أورد المؤلف معظم المصطلحات في مكانها المناسب، وهو ما يدلّ على تحكّمه في اللغة العربية وطريقة الاشتقاق فيها، بتجريد الكلمة من الحروف الزائدة، والعودة بها إلى الأصل. وكل عمل بشري قد يتعرّض لبعض الهنات، وذلك مهما بذل من جهود وسخر من إمكانيات، فيقترب من الكمال ولا يصل إليه، فالكمال من شأن الخالق سبحانه وتعالى عزّ وجل، حيث سُجّلت هفوات في تصنيف بعض الكلمات، التي جاءت في غير مواضعها مثل: كلمة الإيهام (illusion) ⁽¹⁾ الواردة في حرف الباء، علماً أنّ جذرها الثلاثي، هو (وَهَم)، فيكون بذلك مكانها المناسب ضمن حرف الواو. وورد مصطلح (التتافر) ⁽²⁾ في حرف الفاء، ولابدّ أن الأمر مجرد سهو، حيث تكرر هذا المصطلح في حرف النون، وهو موضعه الأصلي. تكرر الأمر نفسه مع مصطلحي: (المعغم) و(المعانيم) ⁽³⁾ اللّذين سجّلا ضمن حرف (السين)، ولا يخفى أنّها من الجذر (عنى). ومن الواضح أنّ هذا الأمر معلوم لدى المؤلف بدليل أنّه أورد الكلمات الأخرى، ذات العلاقة بالمعنى في حرف (العين)، كما وردت كلمة (غريزة) ضمن حرف (العين) ⁽⁴⁾ وتكرّرت في باب (الغين) على رأس القائمة. ⁽⁵⁾ وردت مجموعة من المصطلحات ضمن حرف (الميم) ⁽⁶⁾ وهي: (الميمية، المحاكاتية، متظافر المعارف، تظافر المعارف، المسمارية)، لا مجال لتجريد الكلمة الأولى لأنها مقترضة من اللغة الفرنسية. ولا تسري عليها قواعد اللغة العربية. وعند تجريد المصطلحات المتبقية من الحروف الزائدة، ستحوّل إلى (حكى، ظفر-عرف، سمر). وبهذا ربما يحسن وضع المصطلحين المركّبين: (متظافر المعارف، تظافر المعارف)، إمّا تحت (الظاء) أو تحت حرف (العين)، والأرجح أن ترد ضمن (العين)، لأنّها الكلمة التي تحمل الحمولة الدلالية المهمة، وهو ما ذكره المؤلف في مقدّمته.

1 - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 13.

2 - المصدر نفسه. ص 48.

3 - المصدر نفسه. ص 34.

4 - المصدر نفسه. ص 44.

5 - المصدر نفسه. ص 47.

6 - المصدر نفسه. ص 61.

بما أنّ المصطلح المركّب يطرح إشكالا في طريقة ترتيبه، فتري ما هي الطريقة المعتمدة في ترتيب المصطلحات المركّبة؟ وهذا ما سيقف عنده البحث.

3-3- ترتيب المصطلحات المركّبة: إنّ المنهجية المعتمدة في تسجيل المصطلحات المركّبة

تصعب مهمة الباحث، فإذا أراد الباحث إيجاد المصطلحات المركّبة، يلزمه التنقّل بين صفحات الباب كلّ، ليتأكّد بأنّه لم يُقص أيّ مصطلح. الملاحظ هو أنّ المصطلحات المركّبة من كلمة (اللغة) مثلا ترد بطريقة مختلفة، حيث جاء مصطلح (اللغة الأم) في حرف الهمزة، و(اللغة الحية) في الحاء، ومصطلح (اللغة الخليط) في حرف الخاء و(لغة المصدر)، و(لغة المصّب) في حرف الصاد، و(اللغة الإعرابية) في حرف العين، و(اللغة الالتصاقية)، و(اللغة الإنعكاسية) في اللام، و(اللغة المزيجية) و(اللغة الميّتة) في الميم، و(اللغة المنمّقة)، في النون و(اللغة الوضعية) في حرف الواو. وهذه الطريقة تلزم الباحث بأن يتتبع المداخل كلّها إلى أن يستوفي صفحات مجال اللسانيات. والأفضل لو أنّ هذه المصطلحات وردت كلّها ضمن حرف (اللام)، حيث وردت كلمة اللغة. وحدث الأمر نفسه بالنسبة إلى مصطلحات اللسانيات حيث يجد الباحث مصطلح (اللسانيات البنيوية)، في حرف (الباء)، ومصطلح (اللسانيات الأجناسية) و(اللسانيات الاجتماعية) في (الجيم)، و(اللسانيات التطبيقية) في حرف (الطاء)، و(اللسانيات العامة)، و(اللسانيات النفسية) و(اللسانيات التحويلية) في اللام، و(اللسانيات النوعية) في النون و(اللسانيات التوليدية) في الواو.

والأمر نفسه بالنسبة إلى مصطلح العربية، فنجد مصطلح (العربية الدارجة)⁽¹⁾ ضمن حرف الدال في حين أورد صيغا أخرى، مثل: (العربية الفصيحة)، و(العربية الفصحى)، و(العربية المعاصرة)⁽²⁾ و(العربية القديمة) تحت حرف (العين)، وهي متتابعة كما هي مسجلة هاهنا وهذا أحسن وأكثر فائدة. ومنهجيا من باب الترتيب الزمني كان يفترض أن يثبت العربية الفصحى في البداية، والعربية المعاصرة في الأخير. ويستحسن إدراج المصطلح الأوّل (العربية الدارجة) مع المصطلحات الأخرى، في موضع واحد. أمّا المصطلحات: (الترجمة)، و(الترجمة الآلية)، و(الترجمة الحرّة)، و(الترجمة الحرفية)، و(الترجمة الفورية)، فقد أدرجها ضمن حرف (التاء) متتابعة، وهذا هو الأفضل منهجيا.

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 25.

² - المصدر نفسه. ص 41.

لم يتبع المؤلف منهجية واحدة مع المصطلحات المركبة كلها، حيث اعتمد الكلمة الأولى في مواضع، والكلمة الثانية في مواضع أخرى، ويوردها أحيانا تباعا وفق الكلمة الأولى، كما هو الحال مع مصطلح (الترجمة). ولهذا لا يمكن التنبؤ بمواضع المصطلحات، لأنه لم يوحّد طريقة ترتيبها. فلا مناص من قراءة المجال كاملا، لإيجاد المصطلحات المركبة. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المصطلحات واردة في قاموس المسدي بطريقة منظمة، حيث وردت المصطلحات متتابعة حسب الكلمة الأولى، تتابعت المصطلحات المبووعة بكلمة لغة، وكذا المفتوحة بكلمة لسانيات، ولقب، وهو ما يسهّل على مستعملي القاموس إيجادها.⁽¹⁾ كما وردت مرتبة في القسم الفرنسي.

3-4- إيراد المصطلحات المكررة لفظا أو معنى:

ذكر صاحب القاموس، أنّه إذا ورد مصطلح بداليتين مختلفين أو أكثر، فإنّه سيورده ضمن أسطر مستقلة، أمّا إذا اشتمل أكثر من مصطلح على دلالة واحدة، ففي هذه الحالة ستُسجّل هذه المصطلحات على السطر نفسه، يفصل بينها بفاصلة. التزم المؤلف بما ذكره في مقدّمته، حيث وردت معظم المترادفات على سطر واحد، يقابلها مصطلح واحد في اللغة الهدف، مثل: (تأصيلي، تأثيلي / étymologique) (الراوي، الراوية، السارد / narrateur). ما يسجّل على طريقة الترتيب، هو عدم تتابع بعض المصطلحات المكررة، مثل: المصطلح العربي (أصلي) الذي قابله المصطلح الفرنسي (radical)،⁽²⁾ وتكرّر في موضع آخر حيث قابله بالمصطلح الفرنسي (originale)،⁽³⁾ يفصل بين المصطلح الأول والثاني واحد وأربعون (41) مصطلحا. كما ورد مصطلح (التبويب)⁽⁴⁾ الأول قابله بـ (classification). أمّا الثاني فقابله بـ (catégorisation)،⁽⁵⁾ فرّق بينهما مصطلح آخر هو (تبويبي). والأمر نفسه مع مصطلحي (الترتيب) حيث فصل بين الأول⁽⁶⁾ والثاني⁽⁷⁾ ستة وثلاثون (36) مصطلحا، وتكرّر مصطلح (الحدث)⁽⁸⁾ بعد واحد

¹ - ينظر: المسدي، عبد السلام. باب اللام على سبيل المثال.

² - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 9.

³ - المصدر نفسه. ص 11.

⁴ - المصدر نفسه. ص 12.

⁵ - المصدر نفسه. ص 12.

⁶ - المصدر نفسه. ص 29.

⁷ - المصدر نفسه. ص 30.

⁸ - المصدر نفسه. ص 19.

وثلاثين (31) مصطلحا،⁽¹⁾. وينطبق الأمر على كلمة (العضو)⁽²⁾ بمعنى (membre) التي تكررت بعد ثلاثة (3) مصطلحات، وهي: (عجائبي، العبارة، عضوي)، وذلك بمعنى آخر هو (organe)، قد يكون الأمر ناتجا عن تقيده بالحرف الأول، دون النظر إلى ما يتبعه، ويمكن قبول ذلك، بما أنه تبني هذه الطريقة ولكن هذا إذا كانت المصطلحات مختلفة، أما إذا كانت المصطلحات نفسها لفظا ومختلفة معنى، فالمنطق يقتضي تتابعها ليتحقق الهدف من إيرادها. كما تقيّد بما ذكره في مقدّمته في بعض المواضع، مثل مصطلح: (البديل) الذي تكرر مباشرة بعد الأول، وكذا مصطلح (البنية السفلى)، و(الرسالة) التي وردت ثلاث مرات.

وتكرر ذكر مصطلح (غريزة) إلا أنّ المؤلف أورد الأول في حرف (العين)، والثاني على رأس قائمة حرف (الغين)، وهو تكرر لم يدع إليه داع، لأنّه كرّر المقابل نفسه، وهو (instinct). لم يلتزم المؤلف بطريقة واحدة، حيث أورد المصطلحات المكررة لفظا، والمختلفة معنى تارة متتابعة، وتارة أخرى متباعدة، ولاشك أنّ إيرادها متتابعة، ممّا يسهّل الاستفادة من القاموس بسهولة. ومن الظواهر التي تكررت، أنّ المؤلف كثيرا ما يلجأ إلى ذكر مشتقات كثيرة لبعض المصطلحات، مثل: (ابهامي، الإبهامية، الإبهام)، و(الثابت، الثبوت، الإثبات، التثبيت، ثابت، الثابتة)، و(جدلي، الجدلية، الجدال، المجادلة)، (جمالي، الجمالية، النزعة الجمالية)، (متحقّق تحقيقي، التحقيق، التحقّق، التحقق حقيقة حقيقي). (الخطاط، فن الخط، الخط، المخطوط الأصيل، المخطّط) (السرد، سردي، السردية المسردية السردية (المسار)، المدار السردية، المسودة السردية)، (الصيغة، صيغة غير قياسية، الصيغة المجردة الصوغ الصوغ، الصياغة، المصوغ) (المصطلح، الإصطلاح، الإصطلاح المشترك، الجرد الإصطلاحي اصطلاح، الإصطلاحية المصطلحية، مصطلحي)، (الطبيعية (اللغات) الطبيعية، طبيعي الخارق للطبيعة اللغة الطبيعية)، (المعجم، معجمي، التعجيم، المعجمية، الإعجام، الرصيد المعجمي). وإن كانت هذه الملاحظة مسجلة على مستوى المعاجم الأخرى، ويرى المختصون ضرورة إيرادها لأنّها مختلفة المعنى، ويبقى أنّ هناك صيغا، تعتبر حشوا، كالجمع مثلا: فالأصل هو كتابة المصطلح في صيغة المفرد، وبعدها مباشرة، ترد صيغة الجمع على السطر نفسه، والأحسن عدم الفصل بينهما.

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللسن. ص 20.

² - المصدر نفسه. ص 45.

وقابل كلمة (المثل) بمصطلحين مختلفين هما: (exemple, proverbe)، في حين يفترض أن يكتب كلمة (المثل) على سطرين مستقلين، ويقابل كل مصطلح بما يناسبه.⁽¹⁾ وهذا لئلا يتناقض مع ما ذكره في مقدمة قاموسه، وقد يُفسّر ذلك، بتأثره بما ورد في قاموس المسدي، حيث ورد المصطلح بالشكل نفسه.⁽²⁾ حاول المؤلف التزام منهجية واضحة في عمله، والجهد المبذول واضح، ولاسيما إذا عدنا إلى أعمال أخرى من النوع ذاته، قام بها مؤلفون عرب، باستثناء بعض الملاحظات المسجلة.

3-5- قضايا التعريف في المعجم: يتضح من خلال الطريقة المعتمدة في هذا القاموس ثنائي

اللغة، أنّ نوع التعريف هو التعريف التقابلي، أو التعريف بالترجمة، يقوم فيه المعجمي بوضع قائمة من المصطلحات المتوفرة في لغة ما تسمى اللغة المصدر ثم يبحث لها عن مقابلات في اللغة الهدف ومعلوم أنّ الواقع في مجال المصطلح اللساني يجعل اللغة الأجنبية الفرنسية أو الإنجليزية هي اللغة المصدر ومن اللغة العربية لغة هدفاً. وهو المعمول به في سائر المعاجم اللسانية المختصة؛ بما فيها (المعجم الموحد للسانيات) الذي يجعل لغة المتن هي الإنجليزية، وذلك لاعتبارات معيّنة.

سار هذا القاموس على هدي الأعمال المعجمية العربية، التي تكتفي في أغلب الأحيان بوضع المصطلح العربي أمام المصطلح الأجنبي، كما عبّر عن ذلك الأستاذ إبراهيم بن مراد في قوله: « فإنّ جلّ معاجمنا المختصة الحديثة، متضمنة لقوائم من المصطلحات المرتبة بحسب حروف الهجاء الفرنسية أو الانجليزية، وقد نزلت العربية فيها منزلة دنيا، ثمّ إنّ اكتفاء مؤلفيها -في الغالب- بإيراد قوائم من المصطلحات الأعجمية المقابلة بمصطلحات عربيّة، قد أفقدها أهمّ أركان المعجم، وهو التعريف، فهي إذن ليست معاجم بالمعنى التام». ⁽³⁾ لا يمكن تفنيد ما قيل، لأنّ الواقع يؤيّد، باستثناء بعض المعاجم التي تورد شروحا في مواضع قليلة جداً، -إن لم يقل نادرة -مثل: (المعجم الموحد في طبعته الثانية) ومعجم مبارك مبارك، إذ ترد أحيانا بعض الشّروح البسيطة والمختصرة، وقد تكون غامضة. ⁽⁴⁾ أمّا المعاجم

1 - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 61.

2 - ينظر: المسدي، عبد السلام. قاموس اللّسانيات. ص 158، باب الميم. (مثل -exemple, proverbe).

3 - بن مراد، إبراهيم. المعجم العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري. ص 7.

4 - ينظر: مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات (انكليزي-فرنسي-عربي). الدار البيضاء، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مطبعة النّجاح، سلسلة المعاجم الموحّدة رقم 1. دط. ص 62.

(يشرح مصطلح لسانيات جغرافية أنها جزء من علم اللّهجات، وهي دراسة التّوَع في استعمال اللّغة عند الأشخاص أو المجموعات من أصول جغرافية مختلفة). ومبارك، مبارك. معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي-إنكليزي-عربي. بيروت، دار الفكر اللبناني، 1995. ط 1. ص 70. تعبير اصطلاح (idiome): تعبير يختلف معناه عن المعنى الكلّي لأجزائه.

الأخرى، مثل: معجم اللغوي عبد السلام المسدي، والباحث عبد القادر الفاسي الفهري، وغيرها؛ فتكتفي بذكر المصطلح بلغتين أو ثلاث، دون إيراد أيّ شرح لها.⁽¹⁾ وهنا لابدّ من التذكير، بما أورده الأستاذ المسدي نفسه في بداية قاموسه، حيث قال: "إنّ قاموساً مختصاً، يرد مزدوج اللّغة ثنائي المدخل، ويكتفي بكشف المصطلحات في ذاتها دون شرح لها، ولا ضرب أمثلة لدلالاتها، لهو محدود الفائدة، إذا ما ارتجى منه النّاس أن يعينهم على اقتحام حقول العلم، ولاسيّما في اللّسانيات... ففائدته الطّبيعية تبدأ ساعة يدرك مستعمله المفهوم الاصطلاحي، كما صيغ في اللّغة الأجنبية".⁽²⁾ أن يكون المعجم ثنائياً أو متعدّد اللّغات لا يعفيه من إيراد التعريفات، فكل ما يضطلع به هذا النوع من المعاجم، هو تقديم قائمة من المصطلحات بلغتين أو أكثر. ولا يمكن نقد صاحب قاموس اللّسن، لعدم إيراده شرحاً للمصطلحات، بما أنّ هذا هو حال معاجم العرب، إلّا أنّ هذا الأمر أوقعه في التكرار والغموض، حيث اتّسمت بعض المصطلحات بالغموض.

3-6-6- مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

3-6-1- المستوى الصوتي: لوحظ أنّ المستشرق متمكن في مجال الصوتيات، وهو ما يعكسه قاموس اللّسن، وغيره من المعاجم، وسيتمّ التطرّق إليه.

3-6-2- المستوى الإملائي: تحكم المستشرق عموماً في الكتابة بالعربية، باستثناء بعض الزلات.

جدول يمثل عدم التطابق في الكتابة

المصطلح العربي	المصطلح العربي بالخط اللاتيني	المصطلح الفرنسي
التأمل	al-ta ^c ammul	contemplation
المأشّر	al-mu'aššir	indicateur
المئانسة	al-mu'ānasa	sociabilité
المجموع، المثنى، المدوّنة	al-maḡmu ^c , al-matn, al-mudawwana	corpus
المعنع/المعانيم	al-ma ^c nam/ al-ma ^c anim	sème/ sèmes
المفهم/المفاهيم	al-mafham /al-mafahim	sémème/ sémèmes
النحل	al-nahl	plagia
المغالات	al-mugālāt	hyperbole

سُجّل عدم التّطابق بين الكلمة العربية المكتوبة بالحرف العربي، وتلك المكتوبة بالحرف اللّاتيني قد تكون هذه الهفوة ناتجة عن خطأ مطبعي، حيث أثبت الحرف اللّاتيني (°) الذي يقابل حرف (العين)

¹ - ينظر: المسدي، عبد السلام. قاموس اللّسانيات. والفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللّسانية إنجليزية-فرنسي-عربي.

² - ينظر: المرجع نفسه. ص 96.

بدل الحرف (') الذي يقابل الحرف العربي (ء)، وهو ما يجعل القارئ غير العربي ينطق الكلمة بالعين. وهي (التعمّل)، وهذا من سلبيات الحروف التي ينادي بعض الباحثين الغربيين والعرب إلى استعمالها وهو ما يثبت أنّ الحرف العربي هو الأصلح، والأفضل على الإطلاق للغة العربية.

3-6-3- المستوى الصرفي: ينطبق ما قيل عن المستويات السابقة على هذا المستوى، وردت

المصطلحات الصرفية بطريقة دقيقة، تعكس تمكن المستشرق.

3-6-3-1- التعامل مع الحركات والمدود والهمزة وأداة التعريف (ال) والشدة:

وظّف المؤلف الحركات في مواضع قليلة، مثل تلك الواردة في قسم المصطلحات اللسانية العامة والتي لم يتجاوز عددها اثنين وعشرين حركة، وردت في المصطلحات الآتية: (الحتية مركّب، المركّب المرسل إليه، المرسل، التراكب، السلتية، المصوّغ، عُرفي، العُرف، مفهَم، الفكّك، القسم، القوام، المناظر المزاجي، المكتسب، المكّم، المنسق، منسق، المستسخ، منهجي). أما السبب، فقد يرجع إلى اعتماده الكتابة بالحروف اللاتينية، وهو ما جعله يحجم عن وضع الحركات في بعض المواضع، التي لا يمكن الاستغناء فيها عنها، ولاسيما بالنسبة إلى غير العرب. تحكّم صاحب القاموس في المدود، إذ أثبتتها في أغلب المصطلحات، وهناك بعض الهفوات النادرة، مثل: (الأمزيغ، والإيديولوجية، الفنيقية، القذورة) والأصل هو أن تكتب كآلاتي: (الأمزيغ الإيديولوجية، الفينيقية، القاذورة).

أما تعامل المؤلف مع همزتي القطع والوصل، فإنّه يوظّفهما تارة بشكل صحيح، وتارة أخرى لا (قد تكون أخطاء مطبعية). إذ يوظّف أحيانا همزة القطع عوض همزة الوصل، أو العكس، مثل: (الإستيطان، ابهامي، الإبتدال، الإنبناء ابتدائي، لساني إجتماعي، الإختزالات، الإندماج، إنزلاق المعنى الإسم المستعار، الإستشهاد الإصطلاح، الإفتتاحية الإعتباطية، الإستقصاء، الإنتقام...). كما نجده يكتب همزتي الوصل والقطع في موضعهما المناسب، مثل: (الإيهام، الإبهام، استبدالي، الإبدال، الإجماع اتجاهي، الإحالة الإخفاق، الإدراك، إدماجي ارتسامي، ارتدادي، إرادي، الإرداف، الإسقاط، اصطلاحى إضافي افتراضي، اعتباطي، استقصائي استقرائي).⁽¹⁾ أثبت الأستاذ ميشيل قيطوط الشدة في بعض المواضع، في حين أسقطها في البعض الآخر. أما المثبته، فأكثر ورودها في وسط الكلمة أو آخرها

¹ - ينظر: قيطوط، ميشيل. قاموس مصطلحات علوم اللغة، قسم المصطلحات العامة للسانيات.

وأسقطها في بداية الكلمات المعرّفة والمبدوءة بحروف شمسية، مثل: (المؤلف، المؤسسة، اللامبالاة، بدّل مجرد، المدونة، اللسانيات الاجتماعية، التعذّر، الجنّ، التحقق، متدرّج، دلّ، الحجة، متعدّد، المذكرات توحد المرجع، سيّال، المسمّيات، معقّد المتعلّم، تفهّمي، التعصّب... اللغة الأم، اللقب الأمومي، التأجيل التبئير، التتابع التعليق، الترجمة الحرّة، اللغة الحية، اللغة الدراجة التدوين، الذكاء، الذات، المسودة السمة، الطبيعة التقديم...).⁽¹⁾ قد يفهم من خلال كتابة المصطلحات بالخطّ اللاتيني، بأنّ الخل على مستوى توظيف أل التعريف مع الحروف الشمسية، حيث سجّلت معظم الكلمات المعرّفة والمبدوءة بحروف شمسية دون إدغام الحرف الأول، والأصل فيها إسقاط اللام وتكرير الحرف الشمسي، وهو ما يؤكد بأنّ الخطّ ليس مطبعياً، لأنّ الكتابة بالحروف اللاتينية عكست إسقاط الشدّة، ولم يحدث العكس إلّا في مواضع نادرة. وقد يكون هذا تأثراً بالمنهجية التي اختارها المستشرق، بمعنى أنّ الأمر مقصود.

عتبة لمصطلحات معرفة مبدوءة بحروف شمسية

بالخطّ العربي	بالخطّ اللاتيني	بالخطّ العربي	بالخطّ اللاتيني	بالخطّ العربي	بالخطّ اللاتيني
التتابع	al-tatabu ^c	الرقابة	al-raqāba	الضرورة	al-darūra
الثابت	al-tābit	الزبدّة	al-zubda	الطابع	al-tāba ^c
التجلية / التجليّ	at-taḡliyya/ al-taḡalli	السليقة	al-saliqa	الظاهرة	al-zāhira
الدور	al-dawr	الشاهد	al-šāhid	اللغز	al-lugz
الذكر	al-dakar	الصيغة	al-ṣiga	النجم	al-naḡm

سجّل موضع وحيد، احترمت فيه قاعدة دخول (أل) التعريف على الحروف الشمسية، وهو حرف اللام، حيث لم يظهر الإدغام في المصطلح بالحروف العربية، إلّا أنّه وارد في المصطلحات المكتوبة بالحروف اللاتينية، أمّا الحروف الأخرى، فقد سقط منها الإدغام سواء على مستوى المصطلح المكتوب بالخط العربي أم ذاك المكتوب بالخطّ اللاتيني، باستثناء مصطلح واحد ورد ضمن حرف الجيم، وهو مصطلح (التجلية)، الذي أثبت فيه صاحب القاموس الإدغام بالحروف اللاتينية وأسقطه بالحروف العربية. وما يستغرب له هو ورود مصطلح آخر مشابه له أسقط فيه الإدغام، وهو مصطلح (التجليّ)، وكذا مع باقي المصطلحات المتبقية كلّها. أمّا بالنسبة إلى الكلمتين (المأشّر)، و(المئانسة) اللّتين وردتا تحت حرف

¹ - ينظر: قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. يُبحث عن المصطلحات حسب الحروف المبدوءة بها، وهي مجرّدة: ص 9، 10، 13، 17...

الهمزة، فالمسجل هو كتابة الهمزة على الألف تارة، وعلى النبرة تارة أخرى، في حين يجب أن تكتب على الواو، علماً أنّ كلمة (المؤشر) وردت ضمن حرف الشين بكتابة صحيحة.⁽¹⁾ وهو موضعها المناسب. وتكرّر هذا النوع من الهفوات مع كلمة (المقروء)، وكلمة (الملائمة)، والأصل أن تكتب كآلاتي: (المقروء الملائمة). كما وردت كلمة (المتن) بحرف الثاء، ويُقصد بها (المتن) بالثاء، وقد تكرّرت بالطريقة نفسها في مقدّمة القاموس، لا يُستبعد أن يكون خطأ مطبعياً. وكذا كتابة كلمة (المغلاة) بقاء مفتوحة بدلاً من الثاء المربوطة. ويُسجل عدم التزام الطريقة نفسها في جمع المصطلحات المستحدثة، مثل جمع مصطلح (المعجم) بصيغة (المعاني) ومصطلح (المفهم) بمصطلح (المفاهيم).

3-3-4- المستوى الدلالي: وردت معظم المصطلحات بدقة كبيرة، إلّا أن هذا لا يمنع من ورود بعض الغموض.

جدول يمثل عدم التوافق بين بعض المصطلحات الواردة على السطر نفسه

بالخط العربي	بالخط اللاتيني	بالفرنسية
الإعجام والتدوين (44)	al-iʿḡam, al-tadwīn	notation
علامات التنصيص، المزدوجان (45)	ʿalamat al-tansis, al-muzdawīḡān	guillemets
الضابطة اللغوية (39)	al-ḡābiṭa l-luḡawīyya	identificateur

مما سُجل؛ ذلك التقاوت بين المصطلحين العربي والفرنسي، وهو ما قد يؤثر سلباً، نظراً لوجود مصطلحات متطابقة، لا بدّ من التفريق بينها، مثلاً: كلا المصطلحين: (سامي والسامية)، يقابلهما المصطلح الفرنسي (sémitique).⁽²⁾ وكذا بالنسبة إلى مصطلح (مفهم)⁽³⁾ الذي قابله بالمصطلح الفرنسي (conceptualiser)، وهو في هذه الحالة فعل، وليس كذلك في العربيّة، وهو ما يشكّل غموضاً للقارئ ولاسيّما للأجانب.*

¹ - ينظر: قبطوط، ميشيل. قاموس مصطلحات علوم اللغة. قسم المصطلحات اللسانية العامة. ص 36.

² - المصدر نفسه. ص 35.

³ - المصدر نفسه. ص 48.

* إلّا أن يكون الخل على مستوى فهمي.

3-6-4-1- مقارنة المصطلح العربي ومقابله الفرنسي في المدونة وبعض المعاجم العربية:

سيقف البحث في هذه المحطة عند بعض المصطلحات اللسانية الواردة في قاموس اللسان، لمعرفة توجهه في اختيار المصطلح العربي، وذلك بالعودة إلى دراسة أجرتها الباحثة رادية مرجان التي قابلت بين بعض المصطلحات اللسانية في معجم علي الخولي، وعبد السلام المسدي، والمعجم الموحد الطبعة الأولى، حيث أختيرت بعض المصطلحات منها، وقوبلت مع مصطلحات المدونة.

جدول يمثل مقارنة بعض المصطلحات بين المعاجم اللسانية العربية واللسان⁽¹⁾

المصطلح الفرنسي	معجم علم اللغة النظري	قاموس المسدي	المعجم الموحد 2002	قاموس اللسان ⁽²⁾
lexème	وحدة معجمي	مأصل	معجمية	مأصل
lexicographie	صناعة المعاجم	قاموسية	معجماتية - صناعة المعاجم	القاموسية
lexicologie	علم المفردات	معجمية	معجمية - علم المعجم	المعجمية
lexique	المعجم	رصيد	مجموعة المفردات متن اللغة	الرصيد المعجمي
linéarité	تسلسل الكلام	خطية	ترتيب تسلسلي للأصوات	السطرية
linguistique	لسانيات	لسانيات	لسانيات	اللسانيات
métalinguistique	علم اللغة الواصفة	لساني انعكاسي	فوق لغوي	لساني انعكاسي

يتضح مما سبق، أنّ معظم المصطلحات الواردة في قاموس اللسان، توافق ما جاء في قاموس اللسانيات للمسدي، إلا أنّ هذا لا ينفي وجود بعض الاختلافات، مثل مصطلح (Linéarité) الذي خالف فيه المسدي واللسانيين العرب، حيث قابله بمصطلح (السطرية)، وهو ما لم يرد ذكره في أيّ من المعاجم اللسانية المتداولة. ويمكن القول إنّّه يميل في اختياره للمصطلح إلى الاختصار، والأخف على اللسان، وهو ممّا يُحسب له في هذا العمل، إذ ذكر ضمن مصادره معجم علم اللغة النظري للخولي وقاموس اللسانيات للمسدي، والذي يبدو أنّه يميل إلى مصطلحاته. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه لم يذكر المعجم الموحد ضمن مصادره، وقد يكون ذلك بسبب طول المصطلحات التي يتبناها، وهو ما يخالف منهجه.

¹ - ينظر: مرجان، رادية. المعاجم اللسانية المعاصرة: دراسة مقارنة. الجزائر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، دت. حرف (L) ص 156، وحرف (M) ص 163.

² - Quitot, Michel. Al'lassin. p51,52, 54.

سينتقل البحث إلى الكشف عن مدى توافق المصطلح العربي مع المصطلح الفرنسي في قاموس اللسان ومما قاله الأستاذ المسدي، في هذا السياق: " فلو أخذنا لفظ (la classification) على سبيل المثال لجاز أن نختلف في شأن المقابل العربي الأكثر ملاءمة وتناسبا، ولجاز أن تتعدد بيننا ترجماته بين التصنيف أو التنسيق أو التّوبيب، أو التّرتيب، أو التّنظيم، وقد لا يوجد مقياس نحتكم إليه لحسم الخلاف، بما أننا أخذنا اللفظ معزولا عن حقله الدلالي أولا، وعن سياقه المصطلحي ثانيا...⁽¹⁾ ". يمكن تقبل هذا الكلام لو أنّ الحديث يتعلّق بالمعجم اللّغوي العام، فالكلمة تحتمل أكثر من معنى في اللّغة الواحدة، وبديهي أن تُقابل بكلمات مختلفة في لغة أخرى. أمّا في معجم للمصطلحات اللّسانية أو أيّ مصطلح كان، فإنّ هذا ينقص من مصداقية العمل، فالمصطلح ما سمي كذلك إلا لاقتضائه الدّقة والضّبط لدى أهل التخصص الواحد.

3-4-2-المصطلح اللّساني العربي والفرنسي بين اللّسن واللّسانيات: سيتمّ التّطرّق إلى

بعض المصطلحات، التي لُمس فيها غرابة أو مخالفة للمعارف عليه، مقارنة باللّغوي المسدي،* لمعرفة مدى التزام المؤلف، بما ورد في قاموس اللّسانيات، وقد يتجاوزه إلى غيره عند الضّرورة.

تضمّنت القائمة خمسة وخمسين (55) مصطلحا، وقد رجع البحث إلى قاموس المسدي لمقابلة هذه المصطلحات، واتّضح أنّ هناك اختلافات كثيرة، إذ ينفرد المؤلّف أحيانا، بإيراد المصطلح. وأحيانا أخرى يرد المصطلح، ولكن بمقابلات مختلفة، كما تتطابق بعض المصطلحات بين القاموسين، وهو النّوع الغالب في الأمثلة المختارة.

3-4-2-1-المصطلحات المتطابقة أو شبه المتطابقة: وقفت الدّراسة على بعض

المصطلحات المتطابقة، بين قاموسي: (اللسن) و(اللّسانيات)، وحاولت النّظر في بعضها، من حيث التّلاؤم بين المصطلح الفرنسي والمصطلح العربي. أمّا المصطلحات المختارة، فهي: (أصلي، وحيد الأصل، وحيد اللّسان، الإصلاحي الذاتي، المعالجة، الإعلامية، المثل).

¹ - المسدي، عبد السلام. قاموس اللّسانيات. ص 93.

* تمّت المقارنة مع هذا المؤلّف نظرا لتأثير قاموس اللّسن به.

جدول يمثل لمصطلحات متطابقة بين القاموسين

عند اللغوي عبد السلام المسدي		عند المستشرق ميشال قيطوط	
بالمصطلح بالفرنسية	المصطلح بالغة العربية	المصطلح بالغة الفرنسية	المصطلح بالغة العربية
radical	أصلي (أ)	radical	أصلي (9) (أ)
monogenèse	وحدة الأصل (و)	monogenèse	وحيد الأصل (10) (أ)
néologisme	مبتكر (ب)	néologisme	مبتكر (13)
constance	الثبوت (ث)	constance, stabilité	الثبوت (16)
annulation	الحذف (ح)	annulation	الحذف (19)
cycle	الدور (د)	cycle	الدور (26)
mode	الرائجة (ر)	mode	الرائجة (31)
sème	المعجم (ع)	sème	المعجم (34)
autocorrection	الإصلاح الذاتي (ص)	autocorrection	الإصلاح الذاتي (37)
thème	المضمون (ض)	thème	المضمون (39)
approche	المعالجة (ع)	approche	المعالجة (41)
crochets	معقّان (ع)	crochets	المعقّان (42)
informatique	الإعلامية (ع)	informatique	الإعلامية (43)
force de cohésion, appui	الإعتماد (ع)	appui	الإعتماد (44)
aptitude	الاستعداد (ع)	aptitude	الاستعداد (44)
usage courant	الإستعمال السائر (ع)	usage courant	الإستعمال السائر (46)
sémème	المفهم (ف)	sémème	المفهم (48)
inversion	التقديم والتأخير (ق)	inversion	التقديم والتأخير (54)
unilingue	وحيد اللسان (و)	monolingue, unilingue	وحيد اللسان (59)
proverbe, exemple	المثل (م)	proverbe, exemple	المثل (61)
créole	لغة مزيج (ل)	créole	اللغة المزيجية (61)
point d'exclamation	نقطة التعجب (ن)	point d'exclamation	نقطة التعجب (63)

قابل مؤلفا القاموسين بين المصطلح العربي (أصلي)، والمصطلح الفرنسي (Radical) في حين تتفق معظم المعاجم على المقابل العربي، (جذري)، إذ عند العودة إلى المعاجم الفرنسية والتدقيق في معنى كلمة (Radical)، فإنها تحيل القارئ إلى تضمّن هذه الكلمة معنى الجذر (racine)،⁽¹⁾ وهو ما ورد في معجم المستشرق دانيال ريغ (Daniel reig)، إذ لم يشر إلى كلمة (أصل، أو أصلي)، وكل المشتقات الواردة مرتبطة بكلمة (جذر).⁽²⁾ يلاحظ وجود اختلاف بين بعض المعاجم اللسانية المطّلع عليها، إذ سجّل مصطلح (جذع، أصل) بالمقابل الفرنسي (Radical).⁽³⁾ أمّا الباحث الفهري، فقد قابل بين المصطلح العربي (أصلي) والمصطلح الفرنسي (cardinale).⁽⁴⁾ في حين يقابله الباحث مبارك بالمصطلح الفرنسي (originaire).⁽⁵⁾ يبدو أنّ الإشكال مرتبط بطبيعة المجال الذي يوظّف فيه المصطلح، وإن كان الأصل أنّ المجال متفق عليه، وهو اللسانيات، إلّا أنّ القارئ يلاحظ أنّ كلمة (cardinale) مثلا تناسب الأعداد وكلمة (originaire) أصلح للدلالة على معنى الأصالة، والله أعلم.

ورد مصطلح (وحيد الأصل) في قاموس (اللّسن)، كما ورد مصطلح (أحادية الأصل) لدى الباحث الفهري، حيث قابل مصطلح (mono) بـ (أحادي).⁽⁶⁾ فيما يظهر مصطلح (وحدة الأصل) عند اللغوي المسدي.⁽⁷⁾ وينطبق الأمر على مصطلح (وحيد اللسان) الذي ورد عند الباحث المسدي بالصيغة نفسها.⁽⁸⁾ في حين قابل الباحث المسدي المصطلح الفرنسي (dictionnaire homoglosse) بالمصطلح العربي (قاموس أحادي). وورد مصطلح (أحادي اللّسن) عند اللغوي الفهري للمصطلح الفرنسي (homoglosse).⁽⁹⁾ أمّا المعجم الموحد، فيقدّم مصطلحا آخر للمصطلح الفرنسي (homoglosse) وهو (أحادي اللّغة). ويظهر مصطلح عربي

¹ - dictionnaire hachette. p1344 (raconter)

² - Reig, Daniel. dictionnaire arabe- français. entré 934.

³ - مكتب تنسيق التعريب. سلسلة المعاجم الموحدة، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، (انجليزي، فرنسي، عربي). ص 125.

⁴ - الفهري، عبد القادر الفاسي، العمري، نادية. معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي، فرنسي، عربي). الرباط، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2007. دط. ص 355.

⁵ - مبارك، مبارك. معجم المصطلحات فرنسي إنكليزي، عربي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ص 195.

⁶ - الفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللسانية. ص 208.

⁷ - المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات.... حرف الواو، ص 167.

⁸ - المرجع نفسه. ص 167.

⁹ - الفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللسانية. ص 133.

آخر مقابل المصطلح الفرنسي (Monogenèse) عند اللغوي مبارك مبارك، وهو (نظرية الأصل الواحد). وهذا يعكس اختلاف اللسانيين في ضبط المصطلح اللساني. وبالنظر إلى مختلف المصطلحات، يبدو أن الأنسب للمصطلح اللساني (Monogenèse) هو (أحادي الأصل)، وكذا (أحادي اللسان) للمصطلح (وحيد اللسان) ذلك أن كلمة (وحيد) قد تحيل إلى معان أخرى غير المعنى المقصود من المصطلح.

مما سجّل من عدم التّطابق بين المصطلح الفرنسي (Autocorrection) ومقابله العربي (الإصلاح الذاتي)، والمقابل الأنسب هو (التّصحيح الذاتي)، وهو المصطلح الوارد في المعجم الموحد.⁽¹⁾ أما كلمة (إصلاح) فتقابلها الكلمة الفرنسية (réforme). ويستحسن مقابلة المصطلح الفرنسي (Approche) بالمصطلح العربي (المقاربة)، وهو المصطلح الوارد في معجم الفهري.⁽²⁾ أما (معالجة) فيقابلها (traitement)⁽³⁾ كما أنّه المصطلح المتداول في اللسانيات التطبيقية. وكذا بالنسبة إلى مصطلح (informatique) الذي يناسبه مصطلح (معلوماتيات)⁽⁴⁾ الوارد في المعجم نفسه (الفهري)، كما أنّه المصطلح المتداول بين الباحثين. أمّا مصطلح (مثّل) فيفضّل مقابلته بـ (proverbe)، ومصطلح (مثال)⁽⁵⁾ للمصطلح الفرنسي (exemple)، إذ لا يمكن إطلاق الكلمة العربية (مثّل) على الكلمة الفرنسية (exemple). وقد فُرق بينهما في معجم الفهري.⁽⁶⁾ يسجّل البحث في هذا المقام عدم مراعاة المصطلح المشهور في اختيار المصطلح العربي المناسب للمصطلح الفرنسي، في بعض المواضع.

1 - مكتب تنسيق التعريب. المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، (انجليزي، فرنسي، عربي). ص 19.

2 - الفهري، عبد القادر. القاسي معجم المصطلحات اللسانية. ص 23.

3 - المرجع نفسه. ص 265.

4 - المرجع نفسه. ص 53.

5 - المرجع نفسه. ص 64.

6 - المرجع نفسه. ص 293.

3-6-4-2-2-المصطلحات غير المتطابقة: وردت بعض المصطلحات بطريقة غير متطابقة بين العاملين، وهو ما سيوضحه الجدول الآتي:

جدول يمثل عدم التطابق بين مصطلحات القاموسين

عند اللساني عبد السلام المسدي ⁽²⁾		عند المستشرق ميشل قيطوط ⁽¹⁾	
باللغة العربية	باللغة الفرنسية	باللغة العربية	باللغة الفرنسية
الأبجدية	alphabet	الأبجدية، الألفباء	alphabet
لغة الأمومة	langue maternelle	اللغة الأم	langue maternelle
لغة أم	langue mère	اللغة الأم	langue mère
المدونة	corpus	المجموع، المثن، المدونة	corpus
تخطيط	calligraphie	فن الخط	calligraphie
الرسالة	message	الرسالة	message/mémoire/ traité
الخطية	linéarité	السطرية	linéarité
ضبط لغوي	identificateur	الضابطة اللغوية	identificateur
الاستعمال	usage	الاستعمال	manipulation
تعلّة	prétexte	العلّة، الحجة	argument
حجة	argument		
إعجام	notation	الإعجام، التدوين	notation
تدوين	inscription		
الغاية	but	الغاية	fin
التفسير	exégèse	التفسير	explication
ملاءمة	adéquation	الملائمة، المطابقة	adéquation
الإنجاز	performance	الإنجاز، الأداء	performance
الأداء	enonciation, diction		
وضع	etat	الوضع، الموقع	position
موقع	position		
الموقع	position	الموقع	situation

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 9، 11، 17، 24، 29، 34، 39، 42، 44، 47، 49، 58، 65، 70، 71.

² - المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات. ص 99، 155، 118، 115، 121، 116، 133، 140، 110، 137، 118، 143، 145، 154، 160، 99، 169، 170.

انفرد المستشرق ميشيل قيطوط في بعض الأحيان بآراء خاصة، حيث ذكر مصطلح (المجموع) مقابلًا للمصطلح الفرنسي (Corpus)، وهو ما لم يرد في أيٍّ من المعاجم اللسانية المطّلع عليها، كما أنّه لا يناسب المصطلح الفرنسي. كما جعل ثلاثة مقابلات فرنسية لمصطلح (الرسالة)، وهو في مجال اللسانيات، والكلمات الأخرى المذكورة عبارة عن كلمات تدخل في اللغة العامة، ففي مجال اللسانيات يقابل الرسالة (Message) فحسب. كما انفرد بمصطلح (السطرية) الذي قابل به مصطلح (Linéarité). وسجّل البحث عدم الدقة في مصطلح (الضابطة اللغوية) الذي قابله اللساني ميشيل قيطوط بالمصطلح الفرنسي (Identificateur)، في حين الأنسب هو (Identificateur linguistique) الوارد لدى الباحث المسدي، ومصطلح (الاستعمال) يناسبه (usage)، إذ يستحسن أن يقابل مصطلح (Manipulation) بمصطلح (التحكّم). وخصّ مصطلح (argument) بمصطلحين مختلفين، فالعلة غير الحجة، وقد ورد لدى المسدي ما يقاربه، وهو مصطلح (تعلة) يقابله (Prétexte). والأمر نفسه يظهر مرة أخرى، حيث جعل مصطلحين مختلفين (الإعجام، التدوين) مقابلين لمصطلح فرنسي واحد، وهو (notation)، والصّحيح هو ما ورد لدى المسدي، وهو (inscription) لمصطلح "التدوين".

يختلف المقابل الذي جعل لمصطلحي (الغاية) و(التفسير)، فمعظم المعاجم مجمعة على مصطلح (but) مقابلًا لمصطلح (الغاية). أما مصطلح (التفسير)، فقد وافق المقابل الذي نكره الفهري، حيث قابله بمصطلح (Explication)، وإن كان المصطلح التقيق الذي يقابله هو الشرح. كما قابل مصطلح (Adéquation) بمصطلحين مختلفين: (الملاءمة، المطابقة)، ويعلم القارئ مدى الفروق الموجودة بين المصطلحين. مع العلم أنّ المصطلحين، قد وردا في معجم مبارك مبارك بالطريقة نفسها، حيث قابلهما في موضع بالمصطلح الفرنسي (déclat)،⁽¹⁾ وفي موضع آخر بالمصطلح الفرنسي (pertinence).⁽²⁾ أمّا الفهري فاكتفى بمصطلح (الملاءمة)، مثل المسدي، إلّا أنّه قابله بالمصطلح الفرنسي (compatibilité).⁽³⁾ جمع بين مصطلحي: (الإنجاز، والأداء)، لمقابل واحد هو (Performance)، وقد فرّق بينهما في معاجم أخرى، بالإضافة إلى قاموس المسدي، فالفهري يقابل (إنجاز) بمصطلح (accomplissement)⁽⁴⁾ ويقابل مصطلح (أداء) بـ (diction)، وهو ممّا ورد لدى المسدي. يلاحظ الفرق بين مصطلحي: (الوضع، الموقع)، وقد قابلهما بمصطلح فرنسي واحد وهو (position) في حين الصّواب، هو ما ورد في معجم اللسانيات. ونكر المستشرق نوعي الترتيب الهجائي معاً، في حين اكتفى المسدي بمصطلح (الأبجدية)، علماً أنّ الأكثر شيوعاً واستعمالاً هو مصطلح (الألفبائية)، وهنا كان المستشرق قيطوط أكثر دقة.

¹ -مبارك، مبارك. معجم المصطلحات فرنسي - إنكليزي - عربي. ص. 70.

² -المرجع نفسه. ص. 195.

³ -المرجع نفسه. ص. 53.

⁴ -الفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللسانية. ص. 342.

ومما يسجل لصاحب اللّسن اختياره المقابل العربي الأفضل لمصطلح (Calligraphie)، وهو (فن الخطّ) الذي ورد في معجم الفهري.⁽¹⁾ في حين اختار المسدي مصطلحا غير دقيق، وهو (التّخطيط) الذي يحتمل معان أخرى، ولاسيّما في اللّسانيات، ومن المصطلحات المشهورة: (التّخطيط اللّغوي). ومن المصطلحات التي جانب فيها الصّواب مصطلح (وحدة الوزن)، الذي قابله بـ (mesure). في حين أنّ المصطلح ينتمي إلى مجال العروض، وهذا المقابل الفرنسي لا يحيل إلى معنى المصطلح العربي. وقابل مصطلح (الوزن) بـ (mesure métrique).⁽²⁾ عموما كانت مصطلحات الباحث قيطوط موفقة إلى حد كبير، مع وجود بعض الاختلافات مع بعض المعاجم اللسانية العربية.

3-6-4-2-1-المصطلحات غير الواردة في قاموس اللّسانيات: اتّضح أنّ هناك بعض المصطلحات وردت في اللّسن، ولا وجود لها في اللّسانيات للمسدي، وهو ما سيوضحه الجدول الآتي:

جدول يمثل المصطلحات غير الواردة في قاموس اللّسانيات

المصطلح العربي	المصطلح الفرنسي	المصطلح العربي	المصطلح الفرنسي
البربرية، الأمزيج (12)	berbère, l'amazigh	عجائبي (45)	merveilleux
الشيء المبتذل (13)	lieu commun	الاستعراض (47)	revue
دار المحفوظات (19)	archives	مفهم (48)	conceptualiser
التحشية، التهميش (20)	annotation	التقييم (52)	sanction
غير محتمل (20)	invraisemblable	القبيلية (55)	kabyle
اللا احتمالية (21)	invraisemblable	الكفاءة (56)	capacité
المخطوط الأصل (24)	manuscrit	اللقب، الكنية (60)	surnom
خلاصة (25)	résumé	التمكّن (61)	compétence
الدّخيل، المقتبس (26)	emprunt	الوثائق (67)	archives
مركز (29)	centralisé	الوجوب (70)	règle
رأس الحرف (32)	initiale	-	-
السلب (34)	négation	الصحة (37)	authenticité

تضمّنت قائمة المصطلحات الواردة في الجدول مصطلحات، لم ترد في معظم المعاجم اللّسانية باستثناء مصطلح (التحشية) الذي ورد بالمقابل نفسه في معجم الفهري.⁽³⁾ والمصطلح الذي يجب الوقوف عنده

¹ - الفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللّسانية. ص 342.

² - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 133.

³ - الفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللّسانية. ص 48.

هو مصطلح (التمكن)، مقابل المصطلح الفرنسي (Compétence)، حيث ورد مقابله المصطلح العربي (القدرة).⁽¹⁾ وهو المصطلح المتداول بين اللسانيين. أمّا (التمكن) فهي كلمة، وليست مصطلحاً.

قابل الأستاذ الباحث المصطلحين (البربرية، الأمازيغ) بـ (Berbère, l'amazigh)، ومن الواضح أنّ هناك خلافاً، ولاسيّما على مستوى الكلمة الأولى، إذ يقابل كلمة (البربرية) باللغة الفرنسية كلمة (barbarie). وتحيل كلمة (الأمازيغ) إلى القوم أو الأشخاص، في حين تدلّ الكلمة الفرنسية (l'amazigh) على اللغة المازيغية؛ وفعلاً عند العودة إلى قاموس المسدي ظهر مصطلح (البربرية) بالمقابل الفرنسي نفسه.⁽²⁾ في حين أورد الفهري مصطلحي (بربرية-مازيغية) أمام المصطلح الفرنسي نفسه.⁽³⁾ من الواضح أنّ هناك التباساً بين المصطلحين، فالأمازيغ غير المازيغية. تعرف اللغة العربية نوعين مختلفين من الترتيب الهجائي، وهما الترتيب الأبجدي والألفبائي* ولا بدّ من توضيح هذا الأمر، لأنّه قد يُعتقد أنّهما مصطلحان (دالّان) يحيلان إلى مدلول واحد.

3-7- عدم التّطابق بين القسم العربي والفرنسي: سجّلت بعض الاختلافات بين بعض المصطلحات الواردة في القسم العربي، وتلك المثبتة في القسم الفرنسي، وقد اختير بعض منها.

جدول يمثل اختلاف مقابلات بعض المصطلحات بين القسمين العربي والفرنسي

القسم العربي		القسم الفرنسي	
المصطلح العربي	المصطلح الفرنسي	المصطلح العربي	المصطلح الفرنسي
الأبجدية، الألفباء (9)	-alphabet	الأبجدية، الألفباء (20) -الألفباء	alphabet alphabet
- اللغة الأم (11) - اللغة الأم - أمومي (لغة)	maternelle (langue) - langue mère -maternel (langue)	اللغة الأم (50) - لغة الأمومة	- langue mère langue maternelle

سبقت الإشارة فيما سبق إلى وجود فرق بين مصطلحي: (الألفباء والأبجدية)، كلاهما يحيل إلى طريقة ترتيب حروف اللغة العربية، إلّا أنّها مختلفة. أما بالنسبة لمصطلحي: (langue mère) و (Langue maternelle)، فلا بدّ من الوقوف على الاختلاف الكبير بين اللسانيين العرب حولهما، فقد قابل المعجم الموحد

1 - الفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللسانية. ص 171

2 - المسدي، عبد السلام. الباء، ص 103.

3 - الفهري، عبد القادر الفاسي. معجم المصطلحات اللسانية.

* الأبجدية: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، ص، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ. الألفبائية: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي.

على سبيل المثال مصطلح (Langue maternelle) بالمصطلح العربي (لغة أم)،⁽¹⁾ وهو المصطلح الذي قابله المسدي بالمصطلح الفرنسي (langue mère)، في حين قابل المصطلح الفرنسي (langue mère) بالمصطلح العربي (لغة أصلية)،⁽²⁾ وتظهر مقابلات أخرى عند مبارك مبارك، وهو (اللغة الأولى) - (اللغة الأساسية) لمصطلح (Langue maternelle)، و(اللغة الأم) لمصطلح (langue mère)،⁽³⁾ وقد يكون هذا هو سبب الاختلاف.

4- اللغة العربية في قاموس المستشرق ميشيل قيطوط:

4-1- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث مستويات التحليل والاستعمال: يظهر للمستشرق ميشيل قيطوط وجه آخر مغاير لما عرف به، إذ تنصبّ معظم أعماله على العاميات وبالخط اللاتيني، وهذا العمل يكشف عن تمكّن كبير في اللغة العربية، وهو ما يؤكد أنّ العلم لا يمكن أن يرتبط بالعامية، فاللغة العربية الفصحى هي لغة العلم عبر الأزمنة المختلفة وعلى مرّ العصور. ويمكن الوقوف على المصطلحات، التي ذكرها للغة العربية، وما جاء في فلکها، وهي:

جدول يمثل ما جاء في جذر (عرب)

المصطلح بالعربية ⁽⁴⁾	المصطلح بالفرنسية	المصطلح بالعربية ⁽⁵⁾	المصطلح بالفرنسية
العربية الفصيحة	arabe littéral	التعريب	arabisation
العربية الفصحى	arabe classique	معرب	arabisé
العربية المعاصرة	arabe moderne	الإعراب	flexion
العربية القديمة	arabe ancien	اللغة الإعرابية	langue flexionnelle

لعلّ القارئ يتساءل ما الفرق بين الفصيحة والفصحى والمعاصرة والقديمة؟ وللعلم فإنّ الباحث المسدي أورد المصطلحين تماماً، وبالمقابلات الفرنسية نفسها.⁽⁶⁾ ولا بأس بالإشارة إلى أنه ذكر مصطلح "العربية الدارجة" في باب الدال الذي قابله بـ (Arabe dialectal).⁽⁷⁾ وورد لدى المسدي كذلك، كل من: (العربية الدارجة والعربية العامية). كما يشير البحث إلى أنّ المسدي اقترح مصطلحا فرنسيا آخر لمصطلح (الإعراب)

1 - مكتب تنسيق التعريب. المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات. ص 95.

2 - المرجع نفسه. ص 13.

3 - مبارك، مبارك. معجم المصطلحات فرنسي إنكليزي، عربي. ص 133.

4 - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 41.

5 - المصدر نفسه. ص 41، 42.

6 - ينظر: المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات. ص 138.

7 - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 25.

وهو (analyse).⁽¹⁾ فالملاحظ هو تأثر المستشرق قبطوط بعمل الباحث المسدي.

4-2- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث نظام الكتابة:

4-2-1- الحروف المستعملة في المعجم: وردت المصطلحات في قاموس اللّسن وفق ثلاثة

أعمدة، الأول مكتوب بالخطّ العربي، والثاني بالخطّ اللاتيني، والثالث خصّص للمصطلح الفرنسي، وهي طريقة المستشرقين (هنري بيرس) و(بول مانيون) نفسها. وهذا خلافا لما ورد في معاجمه المخصصة للهجات المغاربية، التي كُتبت بالخطّ اللاتيني فحسب، كما أنّه وظّف الألفبائية العربية كلّها دون إسقاط أيّ حرف منها، حيث جعل لكلّ حرف مقابلا بالحرف اللاتيني، وهو ما لا يوجد في أعماله الأخرى وأكثر من ذلك، فقد ضمّن قاموسه هذا الحركات القصيرة والطويلة.

جدول يمثل نظام الكتابة المعتمد

مستقل	البداية	الوسط	الآخر	التسمية	النقرة	صفات الحروف وطريقة نطقها
ا	ا	ا	ا	alif	a	voyelle longue, support du hamza
ب	ب	ب	ب	ba'	b	bilabiale occlusive sonore
ت	ت	تة	ت	ta'	t	dentale occlusive sourde
ث	ث	ث	ث	ṭa'	ṭ	inter dentale spirante sourde
ج	ج	ج	ج	ǧīm	ǧ	prépalatale spirante sonore
ح	ح	ح	ح	ḥa'	ḥ	pharyngale spirante sourde
خ	خ	خ	خ	āḥ'	ḥ	uvulovélaire spirante sourde
د	د	د	د	dāl	d	dentale occlusive sourde
ذ	ذ	ذ	ذ	dāl	ḏ	inter dentale spirante sonore
ر	ر	ر	ر	rā'	r	apicale vibrante
ز	ز	ز	ز	za'	z	alvéolaire spirante sonore
س	س	س	س	sīn	s	alvéolaire spirante sourde
ش	ش	ش	ش	šīn	š	prépalatale spirante sourde
ص	ص	ص	ص	ṣād	ṣ	alvéolaire spirante sourde emphatique
ض	ض	ض	ض	ādd	ḏ	dentale occlusive sourde emphatique
ط	ط	ط	ط	āṭ'	ṭ	dentale occlusive sourde emphatique
ظ	ظ	ظ	ظ	zā'	ẓ	inter dentale spirante sonore emphatique
ع	ع	ع	ع	'ayn	'	pharyngale spirante sonore
غ	غ	غ	غ	gayn	g	uvulovélaire spirante sonore
ف	ف	ف	ف	fā'	f	labiodentale spirante sourde
ق	ق	ق	ق	qāf	q	uvulovélaire occlusive sourde
ك	ك	ك	ك	kāf	k	postpalatale occlusive sourde
ل	ل	ل	ل	lām	l	apicodentale latérale
م	م	م	م	mīm	m	bilabiale nasale
ن	ن	ن	ن	nūn	n	dental nasale
ه	ه	ه	ه	hā'	h	laryngale spirante sourde
و	و	و	و	wāw	w	semi-voyelle bilabiale
ي	ي	ي	ي	yā'	y	semi-voyelle palatale

¹ - المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات. ص 138.

يعكس هذا الجدول الطابع العلمي لهذا العمل، حيث حرص المستشرق على تحديد صفات الحروف ومخارجها، ليسهل عملية النطق لمستعملي المعجم، كما أنه اقتصر على حروف اللغة العربية الفصحى.

جدول يمثل الصوائت القصيرة والطويلة

الصوائت القصيرة	الصوائت الطويلة
a : َ (fatḥa ou naṣba)	ā : َ
u : ُ (ḍamma ou raf 'a)	ū : ُ
i : ِ (kasra ou ḡarra)	ī : ِ

لا شك أن القارئ الكريم لاحظ وجود خلل في تسمية الصوائت القصيرة، حيث جعل مصطلح فتحة يرادف مصطلح نصب، وباقي الحركات كذلك، والنصب قد يكون بالفتحة في المفرد أو بالألف في الأسماء الخمسة، وقد يكون بالياء في الجمع، وكذلك الرفع قد يكون بالضمة في المفرد، وبالواو في الأسماء الخمسة والألف في المثني، وهكذا. والصواب أن الفتحة علامة من علامات النصب، وكذلك الضمة علامة من علامات الرفع، وهذا ينطبق على الكسرة أيضا.

لا يسعى البحث إلى المقارنة بين الخطوط، من أجل المفاضلة بينها، فلكل لغة خطها الأنسب لها والذي يميزها عن غيرها من اللغات، ولكن لا بد من الوقوف عند هذه القضية باعتبارها من الإشكالات التي تناولتها الدراسة؛ ولأنها من القضايا الحديثة والمعاصرة التي تشغل بال بعض الباحثين، ويعدّ صاحب هذه المدونة من الداعين إلى كتابة اللغة العربية، بالحرف اللاتيني؛ بل ترجم رغبته تلك إلى أعمال جسدت توجهه وقد يكون قاموسه المختص (اللسن) خير دليل على ذلك، إذ رغم كونه عملا في مجال المصطلح، إلا أنه لجأ إلى الحرف اللاتيني. ولا يستبعد أن يكون ذلك، لتسهيل القراءة على الأجانب، ومعرفة كيفية نطق المصطلح باللغة العربية، ولأسيما أن هذا قد ورد في معاجم ثنائية قديمة، (إذ وجدت معاجم ثنائية اللغة: يونانية-عربية كتبت مداخلها الأعجمية بحروفها الأعجمية الأصلية. أما معاجمنا القديمة، فقد دوّنت المصطلحات اليونانية المداخل بحروف عربية).⁽¹⁾ وقد اختار البحث بعض المصطلحات ليناقشها.

4-2-2-أفضلية الخط العربي للغة العربية: سيتبين من خلال هذه المحطة أنه لا يمكن أن

تكتب العربية إلا بالحرف العربي، وعلى كل المستويات، وهو ما ستكشف عنه الجداول الآتية:

¹ - ينظر: بن مراد، إبراهيم. المعجم العلمي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري. ص 131.

جدول يمثل مقارنة بين كتابة المصطلح اللساني العربي بالخط العربي واللاتيني

العربية (1)	بالخط اللاتيني	الفرنسية	العربية (2)	الخط اللاتيني	الفرنسية
التأمل	al-ta ^c ammul	contemplation	مضموني	maḍmūni	thématique
البرمجة	al-barmaḡa	programmation	ذو طرفين	dū ṭarafayn	bilatéral
التبعية	al-taba ^c iyya	dépendance	الظن	al-zann	supposition
التثاقف	al-tatāquf	acculturation	العينة	al- ^c ayyina	echantillon
اجتماعية اللغة	iḡtimā ^c iyyat al-luḡa	sociologie du langage	الإعجام، التدوين	al-i ^c ḡam, al-tadwīn	notation
المجادلة	al-muḡādalaal	controverse	الغياب	al-ḡiyāb	absence
المحور	al-miḥwar	axe	الفرضية	al-faraḍiyya	hypothèse
المخطط	al-muḥaṭṭaṭ	organigramme	القناة	al-qanāt	canal
دلّ	dalla	signifier	الاكتساب	al-iktisāb	acquisition
المذهب	alal-maḡhab	doctrine	الإلهام	al-ilhām	inspiration
المراقبة	al-murāqaba	contrôle	الملكة	al-malaka	faculté
المزامنة	al-muzāmana	temporalisation	التناص	al-tanāṣṣ	intertexte
المسماتية	al-musammayātiya	onomasiologie	هوية	huwwiyya	identité
الشفافية	al-ṣafāfiyya	transparence	التواصل	al-tawāṣul	communication
المصاحبة	al-muṣāḡaba	accompagnement	اليقين	al-yaqīn	certitude

عرف القارئ الكريم في موضع سابق، أنّ من أسباب الدّعوة إلى توظيف الحرف اللاتيني، هو المساحة الكبيرة التي يشغلها الحرف العربي، بالإضافة إلى صعوبة التّمييز بين بعض الحروف وغيرها من المبررات. ولاشكّ أنّه يلاحظ -وللوهلة الأولى- عند الاطلاع على الأمثلة المثبتة في الجدول أنّ معظم المصطلحات الواردة باللّغة العربية، شغلت مساحة صغيرة مقارنة بالمصطلح المكتوب بالحرف اللاتيني وهذا ليس حكماً مطلقاً؛ بل قد يرد العكس، يختلف الأمر من مصطلح إلى آخر. ولا يمكن الحديث عن وجود تفاضل في هذا المجال بين لغة وأخرى في هذا المقام. وينطبق الأمر على المصطلح اللساني الفرنسي المكتوب بالحرف اللاتيني، الذي يشغل في معظم الأحيان، مساحة كبيرة مقارنة بالمصطلح

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص 9، 15، 16، 18، 19، 24، 27، 28، 29، 32، 34، 37.

² - المصدر نفسه. ص 39، 40، 41، 43، 44، 47، 49، 51، 56، 59، 60، 62، 67، 68، 71.

العربي، وهذه الملاحظة ليست انتقاصا من مكانة اللغة الفرنسية، فكل اللغات سواسية، من حيث التعبير عن أغراض أهلها، وضعت بالطريقة التي تناسبهم. ولكن جاءت هذه الإضافة ردا على الداعين إلى فرنسة التعليم، وتفضيل اللغة الفرنسية على العربية.

فإذا مُثِّل بمصطلح: (التأمل/Contemplation/al-ta^cammul)،⁽¹⁾ وقورن بين المصطلحات الثلاثة، فإنّ الملاحظ هو صغر المساحة التي شغلها المصطلح العربي بالحرف العربي، إذ يتكوّن من ستة (6) حروف، ويتكوّن المصطلح العربي بالحرف اللاتيني من عشرة (10) حروف. أمّا المصطلح الفرنسي، فمن ثلاثة عشر (13) حرفا، بمعنى أكثر من ضعف المصطلح العربي، ولاسيما إذا حذفت (ال) التعريف. يظهر العكس في المصطلح العربي (المحور/Axe / al-mihwar)،⁽²⁾ تشكّل المصطلح بالحرف العربي من ستة (6) حروف، ومن أربعة (4) إذا حذفت (ال) التعريف، في حين عدد حروف المصطلح بالحرف اللاتيني هو ثمانية (8) حروف، وستة (6) إذا حذفت (ال) التعريف. أمّا المصطلح الفرنسي فتكوّن من ثلاثة حروف.

ولابدّ من تسجيل ملاحظة مهمة في هذا السياق، وتتعلّق بالخطوط المتعدّدة التي يبدعها أصحابها والتي تتسبّب في الغموض، وقد توقع القارئ في أخطاء كثيرة، حيث كتب المصطلح بحرف العين والأصل أن يُكتب بالهمزة، (التأمل/al-ta^cammul). ممّا يُذكر لصالح اللغة العربية، أنّها تستغني عن الروابط التي تتطلبها اللغة الفرنسية للربط بين كلمتين، مثل: (اجتماعية اللغة - Sociologie du langage)، تكوّن المصطلح العربي من كلمتين، في حين أضيفت كلمة ثالثة للمصطلح الفرنسي للدلالة على النسبة بين الكلمتين، وهي كلمة (du). ولا يمكن القول إنّ هذا عيب في اللغة الفرنسية؛ بل يعدّ ميزة لها.

وتطرح الكتابة الفرنسية إشكالات كثيرة؛ بل أكثر من تلك المطروحة على مستوى الكتابة العربية إلا أنّ الباحثين الداعين إليها لا يشيرون إليها، إمّا تجاهلا وإمّا تأثرا. فمثلا: تحتل بعض الحروف الفرنسية أكثر من قراءة، وهذا يختلف من كلمة إلى أخرى، وهذا ما يتجلّى في المصطلحات الآتية: (Dépendance/ Acquisition/ Controverse / Supposition/Contemplation). يقرؤ حرف (C) تارة كافا وتارة أخرى سينا، ففي الكلمة الأولى والثالثة والرابعة ينطق كافا، وفي الأخيرة ينطق سينا. والأمر

¹ - قيطوط، ميشيل. قاموس اللسن. ص 9.

² - المصدر نفسه. ص 19.

نفسه بالنسبة إلى حرف (S) الذي ينطق في الكلمة نفسها سينا ثم زايا (Supposition). وتحول حرف (T) إلى صوت آخر، وهو (سيون)، مثل: (Contemplation)، حيث ينطق الحرف الأول تاء، وينطق الحرف الأخير بطريقة مختلفة لاتصاله بحروف أخرى. ويكتب (Th) وينطق تاء مثل: (Hypothèse / Thématique). وكذلك في الكلمة الأولى (Hypothèse) كتب حرف (H)، إلا أنه لا ينطق. كما نجد حروفاً أخرى تنطق في مواضع، ولا تنطق في مواضع أخرى، مثل: حرف (G) في (Sociologie du langage)، الذي ينطق في هذا المصطلح على سبيل المثال (جيم، قا)، ولا ينطق إطلاقاً في كلمات أخرى، مثل: (Signifier). وغيرها من الإشكالات المطروحة، التي يعاني منها متعلم هذه اللغة.

ككل لغة، بمجرد أن تنقاد اللغة لصاحبها، ويألفها تزول الغوامض، ويتقبل هذه الصعوبات -إن صحت هذه التسمية- إذ يجدر بالباحث الأكاديمي أن ينأى عن هذه القضايا، بما أن اللغة كيان حي وليست كائناً حياً، فإنها تمتلك سنناً وقوانين لا تقوم إلا بها، وإذا جنحنا لتغييرها، سنكون بذلك قد حكمنا عليها بالزوال، وحينها ستزول معها أمور أخرى يصعب استرجاعها.

جدول يمثل المقارنة بين المصطلح العربي بالحرف العربي واللاتيني

المصطلح	عدد الحروف	المصطلح	عدد الحروف
التأمل	06	ال/ محور	06
al-ta ^c ammul	10	al-miḥwar	08
contemplation	13	axe	03

لا تسعى هذه المقارنة إلا إلى إثبات حقيقة واحدة، وهي أن كل لغة لها خصائصها، فلا يصلح أن يقال الكتابة الفرنسية أفضل لكتابة العربية، قد تكون هي الأفضل لكتابة الفرنسية، أما للعربية فلا تصلح. وهذا الجدول دليل واضح، إذ هناك كلمات فرنسية بالحرف الفرنسي مختصرة وأخرى طويلة مقابل كلمات عربية بالحرف العربي مختصرة وأخرى طويلة.

الفصل الخامس:

المعاجم التَّنَائِيَّة العربية العاميَّة

المبحث الأول: تحليل معجم (المفردات الأساسية للعربية الجزائرية والصحراوية)

لهنري بيريس وبول مانغنيون

المبحث الثاني: تحليل معجم (العربية المغاربية) لميشيل قيطوط

المبحث الثالث: تحليل معجم (العربية الجزائرية) لدانيال كرزا

المبحث الأول: تحليل معجم المفردات الأساسية للعربية الجزائرية والصحراوية للمستشرقين هنري بيريس (Henri Pérès) وبول مانيون (Paul Mangion):⁽¹⁾

لم يرد ذكر المستشرق هنري بيريس في معاجم المستشرقين، ولد في الجزائر 17 مارس 1890م، في بني مراد بالبليدة، هو من بروفانس الفرنسية، من أصول إسبانية، هاجرت أسرته إلى الجزائر حوالي 1880م والده فلاح، وهو الرابع بين إخوته الستة. درس في متوسطة بليدة، وتلقى تكويناً جيداً في العربية ببوزريعة، مع صوالا (soualah)، وفالت (valat) ما بين (1907-1910م)، وبعدها عمل معلماً ببئر خادم والشراقة، وانخرط سنة 1914م في التكوين الصحي، حيث أدى خدمته العسكرية في مدرسة الخدمات الصحية بفانسان (Vincennes)، وبعدها انتقل إلى وحدة المحاربين وتسيير المستشفيات العسكرية، وفي 1920م نال الأستاذية (التبريز) في التعليم (EPS) بعد حصوله على شهادة الكفاءة في تعليم العربية سنة 1919م، شهادة الجزائر (le diplôme d'Alger) والبالوريا. حصل سنة 1921 على ليسانس وشهادة كفاءة للتعليم الثانوي والمتوسط، وفي 1923م.

ومن أعماله (كثير عزة) شاعر أموي الذي نشر ديوانه سنة (1928-1929م)، وهو كاثوليكي قليل التدنّ، وبعدها انتقل إلى ثانوية بوجو (Bugeaud) بالجزائر، ما بين (1928-1938). وكُلف بتحضير مذكرة في العربية، ودروس في النحو في كلية الآداب بالجزائر، منذ 1926م. ومكّنه الموت المبكر للأستاذ ابن شنب سنة 1929م من تعليم الأدب من دون أن يكون له لقب أستاذ محاضر، اهتم بالدراسات الفيلولوجية الأدبية أكثر من النقد التاريخي أو اللسانيات.

وبالمقابل لم يندمج مع الحاضرة، وكان الشخصية الرئيسة والمحورية، في مدرسة الجزائر التي اتجهت إلى دراسة الغرب الإسلامي، دون الإعراض عن الشرق وأدبه الحديث. ثم أمين المعهد الجديد للدراسات الشرقية للآداب في الجزائر (1933-1947م)، وانتقل إلى كرسي الأستاذية بعد مناقشة أطروحته، (la poésie andalouse en arabe classique, aux XI siècle). الشعر الأندلسي بالعربية الفصحى في القرن الحادي عشر، تناول أبعاده، وأهم موضوعاته، أهميته الوثائقية، سنة 1937. شملت أعماله

¹- voir www.books.openedition.org/enseditions/3730?lang=fr/7/4/2020.

Et Caplat Guy. 97. PÉRÈS (Henri, Antoine). In: L'Inspection générale de l'Instruction publique au XXe siècle. Dictionnaire biographique des inspecteurs généraux et des inspecteurs de l'Académie de Paris, 1914-1939. Paris : Institut national de recherche pédagogique, 1997. pp. 426-430. (Histoire biographique de l'enseignement, 13) www.persee.fr/doc/inrp_0298-5632_1997_ant_13_1_6722

أيضا الأدب الشرقي الحديث، حيث قدّم في الحوليات الجديدة بمعهد الدراسات الشرقية بالجزائر مقالات عن ناصف اليازجي، وأحمد فارس الشدياق، وأولى مظاهر النهضة الأدبية العربية في الشرق في القرن التاسع عشر (19). ما بين (1934-1935م)، وعن أحمد شوقي، سنوات الشباب والتكوين العلمي في مصر وفرنسا سنة 1936. أصدر سنة 1938 الأدب العربي والإسلام بواسطة النصوص. والقرن 19 و20 صدر سنة 1938م، صدر ست مرات، وأعيد طبعه سنة 1989م.

كُلف بمهام التفتيش منذ 1938م، حرص على تطوير تعليم العربية المكتوبة والمحكية، وضع جدولا للدراسات العربية التي تسهم في التنسيق بين الأساتذة، وفي 1942م، وفي إطار معهد الدراسات الشرقية أسس مكتبة عربية-فرنسية، تطبع نصوصا عربية فصحى، مع ترجمة فرنسية حوالي أحد عشر جزءا (11)، ما بين (1942-1953)، بعد 1944م بعدما قررت الهيئات السياسية تطوير الدراسات العربية في التعليم الابتدائي والمتوسط، يتأكد دوره الرئيس والمحوري في الجزائر. ويتولى اختبارات شهادات الكفاءة المهنية التعليم المتوسط للعربية (CAPES). وأسّس المدرسة التطبيقية للدراسات العربية، ومعهد الدراسات الإسلامية العليا (1946م)، وأدارها إلى الاستقلال، وواصل في تأليف كتب تشجع على تعليم العربية. غادر الجزائر سنة 1963م، عاش متألما متحسرا لفراقه مكتبته، وتم تعيينه في بيرنيز (Pyrénées orientale)، وكذلك أحد أبنائه كلود (Claude)، وهو عسكري علم العربية للتلاميذ الضباط في سان كير (saine-Cyr coëtquidan)، ما بين (1962-1966). ومما ورد حوله أنه قضى مسيرته العلمية والمهنية في الجزائر العاصمة، ولم يكن من المهتمين بالسياسة.

بعض أعمال المستشرق هنري بيريس: ⁽¹⁾

ورد في معجم السير والتراجم للمفتشين، أن له إنتاجا معتبرا ووفيرا، حيث حرّر بنفسه قائمة كاملة لمنشوراته (كتب، مقالات، ترجمات..)، سنة 1960م، تضمنت أكثر من مائتي (200) عنوان مكتوب منذ 1928م، تقتصر في معظمها على دراسة اللغة العربية وآدابها، والكتب التعليمية. ⁽²⁾

-La littérature arabe et l'Islam par les textes, 1938, 1944, 1947, 1949, 1952, 1955.

-coutumes, institution, croyances des indigènes de l'Algérie, 1939, Joseph Desparmet

¹ - Peres, Henri. Mangion. Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien ou mille et un mots d'usage courant chez les arabophones de l'Algérie et du Sahara, mots-outils, glossaire français -arabe et glossaire arabe- français, en caractères arabes et en transcription, la maison des livres, collection de l'école Alger, 1380h /1961, p 4.

² - voir www.books.openedition.org/enseditions/3730?lang=fr/7/4/2020.

Et Caplat Guy. 97. PÈRÈS (Henri, Antoine). In: L'Inspection générale de l'Instruction publique au XXe siècle.

avec Henri Pérès.

-contes extrait de mille et une nuits, 1944 avec Paul Mangion, les mille et une nuits textes choisis, 1954.

-Poèmes arabe célèbre, Alger, 1952, 16 pages.

-Trois contes de Charles Perrault, la barbe –bleue Riquet a la houppe, le petit poucet, texte français et traduction arabe entièrement vocalisée suivis d'un répertoire des -- principales difficultés du thème français-arabe, Alger, 1952, 76 pages.

-Dictionnaire arabe : en arabe et en français, Alger, 1960, 19page.

يبدو من أعماله الأخرى اهتمامه بالعربية، حيث أصدر أشعارا عربية، وترجمات لقصص بالفرنسية إلى العربية، ومعجما صغيرا للعربية والفرنسية، وهي كما يلاحظ مختصرة. واتضح من هذه المسيرة أنّ صاحبها، كان من أكبر المستشرقين الذين اهتموا بتعليم العربية سواء الفصحى أو العامية، وقد وظّف لذلك نصوصا أدبية، وما يميّزه عن المستشرق شربونو وبيرشيه، أنّه اهتم بالأدب الحديث، عكس السابقين اللذين اهتمّا بالأدب القديم، وقد يفسّر تعليمه للعربية بمدرسة التكوين الحربي الفرنسية بعد مغادرته الجزائر بتعاونه مع الهيئات الحربية، وكذلك فعل ابنه، ولئن وجدت ميول نحو العربية فإنّ تسخيرها لمصلحة فرنسا ليس مستبعدا.

أمّا المستشرق بول ماننيون (Paul Mangion)، فلم ترد معلومات عنه، إلاّ أنّه رافق المستشرق هنري بيريس وقام معه بأعمال مشتركة.

1- التعريف بمعجم المفردات الأساسية للعربية الجزائرية والصحراوية:

1-1- المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1- عنوان المعجم: ⁽¹⁾ اشترك في تأليف هذا الكتاب كل من هنري بيريس (Henri Peres)

وبول ماننيون (Mangion Paul). يتناول هذا العمل العامية الجزائرية.

Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien ou mille et un mots d'usage courant chez les arabophones de l'Algérie et du Sahara, mots-outils, glossaire français -arabe et glossaire arabe-français, en caractères arabes et en transcription.

هو باللغة العربية (المفردات الأساسية للعربية الجزائرية والصحراوية الدارجة) (العامية)، أو ألف وكلمة، شائعة لدى عرب الجزائر والصحراء، كلمات وظيفية معجم فرنسي-عربي، ومعجم عربي-فرنسي

¹-Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien.

بالحرف العربي وبالحرف اللاتيني).

1-1-2- دار النشر: ينتمي المعجم إلى سلسلة المدرسة التطبيقية للدراسات العربية في الجزائر عدد 23. والجدير بالذكر هو إثبات السنة الهجرية إلى جانب السنة الميلادية. أمّا دار النشر فهي دار الكتب، 12 شارع دومونت دورفيل بالجزائر، 1380هـ/1961م. La Maison Des Livres, 12 rue (Dumont d'Urville, Alger, 1380h/1961).

1-2- المعلومات الواردة في بداية المعجم: وردت بعد العنوان مباشرة مجموعة من عناوين المؤلفات الصادرة عن المدرسة التطبيقية، تليها المختصرات، وبعدها حدّد نظام الكتابة باختصار شديد. افتتح المعجم بالمختصرات وتحديد نظام الكتابة. وبعدها، شُرع في معالجة أبواب الكتاب تحت عنوان كبير (كلمات وظيفية مرتبة دلاليا) (mots outils classés par rubriques)، لم يتضمّن المعجم مقدّمة توفّر المعلومات الضرورية، التي يحتاجها القارئ أو الباحث، وهذا ما يصعب عملية تصنيفه ومنهجيته، ولا يتيّسر ذلك إلا بالعودة إلى المحتوى.

1-3- تصنيف المعجم:

1-3-1- معجم للناطقين بلغة المتن: يبدو أنّ هذا المعجم المصنّف موجّه إلى الناطقين بلغة المتن وهي الفرنسية، التي صاغ بها العنوان، بالإضافة إلى المعلومات المدرجة في البداية التي تساعد القارئ الفرنسي على فهم العربية الجزائرية، حيث قابل الحروف الفرنسية بحروف اللهجة العربية، كما أنّه اعتمد على الحرفين العربي واللاتيني، ليتمكّن الفرنسيين من فهم الكلمات المدرجة، وجاءت المداخل وعناوينها باللغة الفرنسية.⁽¹⁾ وهذا يؤكّد أنّ هذا العمل لمصلحة الفرنسيين بالدرجة الأولى، ليطمئنّوا من التّواصل مع الجزائريين بسهولة.

1-3-2- معجم للغة العامية: خصّص المؤلفان المعجم للهجة الجزائرية والصحراوية، وهو ما يتوصّل إليه القارئ، من خلال عنوان المعجم، وهو: (المفردات الأساسية للهجة العربية الجزائرية والصحراوية أو ألف وكلمة واحدة،* المستعملة بكثرة لدى عرب الجزائر والصحراء، كلمات مستعملة قاموس فرنسي-عربي/عربي-فرنسي)، وهذا ما يحتويه المعجم كلمات عامية في مجملها.

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 6, 7.

* يبدو أنّ المستشرقين قد تأثروا عند صياغة هذا العنوان بعنوان قصة ألف ليلة وليلة.

1-3-3-معجم للتعبير: يتبين للقارئ أنّ هذا المعجم، يهدف إلى تمكين الفرنسيين من التعبير والتواصل مع الجزائريين، وهو عمل مهم جداً، ولاسيما بالنسبة للإدارة الفرنسية وموظفيها، وهو ما يستتبط من نوعية الكلمات المتضمنة، مثل: (قايّد، حُبوس، حُبس محكمة، خمّاس، مفتي...).⁽¹⁾ عموماً، هي كلمات ترتبط بمجالات الحياة المختلفة، فالفرنسي الذي يريد توظيف كلمة معيّنة بالعربية وهو يجهلها، ما عليه إلا أن يبحث عنها بالفرنسية، وقد يكون للفهم في شقّه الثاني، فقد تضمّن المعجم مسرداً بالكلمات (فرنسي -عربي)، و(عربي-فرنسي). وهنا يمكن للفرنسي أن يبحث عن معنى كلمة عامية سمعها ليفهم معناها بالاطّلاع على مقابلها الفرنسي.

1-3-4-معجم وصفي: يتضمّن اللهجة المستعملة لدى الجزائريين أثناء فترة الاستعمار الفرنسي في حياتهم اليومية، وهو ما يتناسب مع المنهج الوصفي الذي يدعو إلى التعامل مع الكلام الذي يتبادله الناس فيما بينهم، والابتعاد عن اللغة المكتوبة.

1-3-5-معجم عام: اشتمل على معظم المجالات التي يحتاج إليها المتعاملون مع الجزائريين ولم يقتصر على مجال معيّن، وهذا واضح، بداية من المداخل الأولى التي تناولت أدوات الاستفهام والإشارة والضمائر، والصفات والأعداد والزمن، وأسماء الأشخاص.⁽²⁾ وغيرها من المجالات.

1-3-6-معجم بالخطّ العربي واللاتيني: جمع المعجم بين الخطّين، إذ يذكر الكلمة بالفرنسية على يسار الورقة، وفي الوسط بالخطّ اللاتيني، وفي العمود الثالث تظهر الكلمة بالخطّ العربي.

جدول تصنيف معجم بيريس ومانغيون

	للساطقين بلغة المتن	+	للساطقين بلغة الشرح
	اللغة الفصحى		للغة العامية
	للتعبير	+	لفهم
	تاريخي		وصفي
	عام	+	متخصص
	ألفبائي	+	موضوعاتي
	الخط العربي	+	الخط اللاتيني (النقحر)

¹- Voir Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p34, 35.

²-ibid p7, 8, 9.

2- قضايا الجمع في المعجم:

قسّم المستشرقان معجمهما إلى قسمين، خُصّص الأول منهما لذكر الألفاظ الضرورية مصنفة إلى أبواب، حسب الموضوعات، (mots outils classés par rubriques)، تضمّنت بعض الأدوات النحوية والصيغ وأسماء الإشارة، والضمائر وبعض الأفعال، وأكثر ما يحتاج إليه المتكلّم في التّواصل اليومي. وكلمات عربية يستعملها الفرنسيون، وكلمات فرنسية مقترضة، وقائمة بأسماء عربية للذكور والإناث، ثم ذكر قائمة لبعض مناطق الجزائر، وأشهر الأسماء المنسوبة إلى بعض المناطق والدول، خُتم هذا القسم بملحق أثبت فيه أهم الكلمات الواردة في القسم الأول باللغة الفرنسية. أمّا القسم الثاني فيتكوّن من مسردين: (فرنسي-عربي ثم عربي-فرنسي)، اعتمد فيهما الترتيب الأبجائي، وفي آخره فهرس للموضوعات. اعتمد المستشرقان في القسم الأول على التّصنيف الدّلالي، حيث جعلوا عنوانا عاما لكل قسم وضمّنناه أهم ما يحتاجه القارئ حسبهما، سيقف البحث عند هذا القسم، وذلك بتتبّع هذه الأقسام. كما اشتمل الملحق على حوالي ثلاث وسبعمئة (703) كلمة، رتّبت ترتيبا ألفبائيا باللغة الفرنسية، حيث تذكر الكلمة ويقابلها برقم الصفحة أو الصّفحات التي وردت فيها.⁽¹⁾ لم يشر المستشرقان إلى أي مرجع أو مصدر لمادّتهما، قد تكون هذه الكلمات مستقاة من الواقع، فحسب. ومن تنقلهما كما ذكر في عنوان المعجم في الجزائر والصحراء. والملاحظ أنّهما، لم يحدّدا هذه المناطق، فكلمة الجزائر تطلق على كل مناطقها، وكذلك الصحراء.

2-1- موضوعات القسم الأول (mots-outils classés par rubriques): *

افتتح المستشرقان الكتاب بالعنوان الأول: (كلمات مفيدة مصنفة وفق أعمدة)، تضمّنت أهمّ الكلمات والتراكيب التي يحتاجها المستشرق في تواصله مع الجزائريين، وهو ما سيعرضه البحث فيما يأتي، وذلك لتحديد المحتوى اللغوي وغير اللغوي الذي يهتم به المستشرقان، وكيفية تناوله.

2-1-1- أدوات الاستفهام (Particules interrogatives): تضمّن البحث الأول اثنتي

عشرة (12) أداة، بالإضافة إلى جملتين استقهمايتين، منها:

¹ -Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p53, 54,55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62

* وردت عناوين الأبواب باللغة الفرنسية فحسب.

جدول يمثل نماذج لأسماء استفهام عامية⁽¹⁾

بالحرف العربي	العامي بالحرف اللاتيني	بالفرنسية	بالفصحى*
اشحال - قداش	chh'âl ou achh'âl- qeddâch	Combien	كم
وين، واين، اين	win, waïn, aïn	où ?	أين
وراك رايح	warâk râieh'	ou vas- tu ?	إلى أين

تضمّن هذا الجدول أمثلة لما اختاره المستشرقان، ضمن عمود أدوات الاستفهام، وهي أكثر الأدوات والعبارات استخداماً للتواصل، ومن المهمّ هنا الإشارة إلى المقابل الفصيح، الذي يقترب أحياناً من العامي فيما يبتعد عنه أحياناً أخرى، فالمثال الأول: (اشحال - قداش) يبدو أنّ الكلمتين لا علاقة لهما بالأداة الفصيحة (كم) من حيث الحروف المتضمّنة، لكن بشيء من التأمل، يحتمل أنّ الصيغة الثانية (قداش) تتكوّن من الكلمتين: (قدر - الشيء)، وبنحتهما نتجت صيغة الاستفهام العاميّة عن قدر الشيء، والله أعلم.

أمّا المثال الثاني: (وين، واين، اين)، فهو تحريف بسيط للأداة الفصيحة (أين)، وقد ذُكرت ضمن الأمثلة المقدّمة. أمّا المثال الثالث (وراك رايح). فيتكوّن من الكلمات: (إلى أين أنت ذاهب (رائح)؟ والمقابل الفصيح هو (إلى أين؟)، والأقرب منه الصيغة العاميّة (لوين). وكذلك الفعل (راح) موجود في الفصحى. فهي جملة قريبة جداً من الفصيح، وهو ما يمكن تسميته بالعامي الفصيح إذا صحّ القول.

2-1-2 أدوات الإيجاب والنفي (Particules d'affirmation et de négation): تضمّن العمود

الثاني عشر (10) صيغ منها. لا شك أنّ المتكلم والسامع، كلاهما لا يستغنيان عن أدوات الإثبات والنفي، لأنها أكثر ما يتردد في التواصل اليومي، ولعلها أولى الأدوات التي يحرص متعلم اللغة الأجنبية على تعلّمها. فترى ماهي الأدوات التي اختارها المؤلفان وما علاقتها بالفصحى؟

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien.p7.

* لم يذكر المقابل الفصيح في المعجم.

♦ ذكرت الكلمة في دراسة شربونو وقد سجّلها على أنّها فعل "شحل".

جدول يمثل نماذج لصيغ نفي وإثبات عامية حسب المستشرقين⁽¹⁾

بالعربية*	بالفرنسية	العامي بالحرف اللاتيني	بالحرف العربي
مهلا	aise (à ton)	fi-r'ard'ek	بي غرضك
نعم	oui	na 'am, ih	نعم - إيه
لا عليك	peu importe!	mâ-'alih-ch!	ما عليه ش
لست أنا	pas moi!	khât'inî!	خاطيني

يُلاحظ أنّ الكلمات الواردة تدخل في الاستعمالات اليومية للجزائريين، إذ تحتوي على كلمات بعيدة عن الاستعمال الفصيح، على ما يبدو، مثل: (في غرضك، على غرضك، خاطيني)، قد يكون لها أصل في الفصحى، مع تحريف على مستوى المعنى، إذ يمكن التفكير في الفعل (خطأ، يخطو، خطوات) واعتبار الكلمة العامية مشتقة منه، بمعنى البعد عن الأمر المنسوب للشخص، وقد تكون من (الخطأ) بمعنى نفي الخطأ عن الشخص. قد يتوصل أحد الباحثين إلى تأصيل لهذا الاستعمال في الفصحى. في حين يمكن اعتبار الصيغ: (ما عليه ش، نعم، إيه) من الفصحى المحرفة، وقد كانت قبائل عربية فصيحة قديمة، تنطق الكاف شيئا، وهو ما يسمى (الشنشنة)، بمعنى قلب الكاف آخر الكلمة إلى شين مذكرا كان أو مؤنثا، ورد في المزهري للسيوطي: « الشنشنة في لغة اليمن تجعل الكاف شيئا مطلقا كلبيش اللهم لبّيش، أي لبّيك»⁽²⁾ وهي لا تزال موجودة في لهجات بعض المناطق، مثل اليمن وجنوب السعودية وربما مناطق أخرى، وهي غير الشين الدالة على النفي.

2-1-3-أسماء الإشارة (Démonstratif): اشتمل العمود الثالث على سبعة عشر (17) اسما

قسّمت إلى ثلاثة للقريب، وثلاثة للبعيد، وثلاثة نعوت للقريب، وثلاثة للبعيد، وما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ اللغة العربية الفصحى لا تفرّق بين هذه الأسماء بالطريقة نفسها.

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p7, 8.

* لم يذكر المقابل الفصيح في المعجم.

² - السيوطي. المزهري في اللغة. ج.1. ص 222.

جدول يمثل نماذج لأسماء إشارة عامية⁽¹⁾

بالعربية	بالفرنسية	العامي بالحرف اللاتيني	بالحرف العربي
هؤلاء	ceux-ci, celles-ci	hâdhoû	هَذَا
ذاك	ce, cela, celui-là	hadhâk, dhâk	هَذَا-ذَاكَ
هذا/هذه الـ	- ce, cet, cette, ces	hâdh el	هَذَا
لهذا	voilà pourquoi	hâdhâ 'alâch	هَذَا عَلاش
-	voici	hâ	هَـا
ها هي	la voici	hâ-hiya	هَـا هَـي

يقدم الجدول نماذج لأسماء الإشارة المستعملة في العامية، حيث خصّ المذكر باسم الإشارة (هذا) والمؤنث باسم الإشارة (هذي)، ويوظّف في الجمع الاسم (هذوا) للمذكر والمؤنث، والتقارب الكبير بين العامية والفصحى واضح، ولاسيما في الصيغة الأخيرة، وهي ليست من أسماء الإشارة في الفصحى، بل ضمير غائب للمؤنث، إلا أنها مطابقة للاستعمال الفصيح.

2-1-4- ضمائر الرفع المنفصلة (Pronoms personnels indépendants sujets):

ذكرت في الموضوع الرابع الضمائر كلّها، وعددها عشرة (10).

جدول يمثل نماذج لضمائر الرفع العامية⁽²⁾

بالعربية	بالفرنسية	العامي بالحرف اللاتيني	بالحرف العربي
أنتم/ أنتما	Vous	antoum-	انْتُمْ- انتما
هما/ هم	ils,elles, eux	houm, houmâ	هُم-هُمَا
هي بنفسها	elle-même	hiya benefshâ	هَـي بِنَفْسِهَا
أنا وأنت	moi et toi (=toi et moi)	anâ oueyyâk	اَنَا وَإِيَّاكَ

أمّا بالنسبة للضمائر، فيختلف استعمال العامي لها عن الاستعمال الفصيح، ومما تجدر الإشارة إليه، هو أنّ العامية لا تفرّق بين المثنى والجمع، حيث يُوظّف الضمير (انتما، هما) في الحالتين معا فتخاطب الجماعة والمثنى بالضمير نفسه. باستثناء الضمير (هَنّ)، الذي لم يذكره المؤلفان، وهذا بديهي لأنّه لا يُستعمل في العامية. أما ضمير الغائب المؤنث (هي) فنفسه في العامية والفصحى، بالنسبة إلى الضمير الأخير في الجدول (انا، اياك)، أضيف الضمير المنفصل (إِيَّاكَ) إلى الضمير أنا، وهو بهذا

¹⁻ Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p8, 9.

²⁻ ibid. p9, 10.

تركيب عامي، فلا يستعمل في الفصحى بهذا الشكل، لأنّ (إياك) ضمير نصب، أمّا الضمير (أنت) فهو للرفع، فلا يستويان. بالإضافة إلى التركيب (هي بنفسها) الذي يعدّ تركيباً فصيحاً بامتياز، وليس ضميراً منفرداً، يقال عادة في مثل هذا الاستعمال: (هي بروحها) إلا أنّ هذا لا ينفي استعماله في بعض المناطق الجزائرية بهذا الشكل.

2-1-5 - (Se)des verbes pronominaux rouh' ou nefs': اشتمل الموضوع على

جمل، اقتصر فيها على ضمير المتكلم المفرد، والمخاطب المذكّر.

جدول يمثل صيغ عامية للتعبير عن القيام بفعل بنفسك⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	بالفرنسية	بالعربية
تغسل روحك	ter'sel rouh'ek	tu te laves (masc)	تغتسل
نغسل نفسي	ner'sel nefsi	لم يذكر	أغتسل

قد يعكس هذا الجدول تأثر المستشرقين بنظام اللغة الفرنسية، إلى درجة جعلتهم يسقطون نظام لغتهما على نظام اللغة العربية، وربما عدم الاحتكاك بالواقع اللغوي بما فيه كفاية، حيث يخلو نظام اللغة العربية من هذا النوع من التراكيب، إذ يكفي أن يقول الشخص: "اغتسلت" ليدلّ على أنّه هو من قام بالفعل بنفسه. • فلا تدخل هذه الصيغ ضمن نظام اللغة العربية.

2-1-6 - الضمائر المتصلة (Pronoms compléments suffixes):

ذكرت الضمائر المتصلة في الموضوع السادس، وهي: (ي، ي، ي، ك، ه، ها، نا، كم، هم) واكتفي بتوظيف الهاء في جمل، وليس واضحاً السبب الذي جعله يخصّ هذا الضمير بهامش، أما الضمائر الأخرى فأوردها مستقلة عن أيّ سياق.

جدول الضمائر العامية المتصلة خارج السياق⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	بالفرنسية	بالعربية
ي، ي، ي	i, ia, iya	[de] Moi=mon, ma	ي
ه	ou	[de] lui =son, sa, ses	ه، ه
ك	ek	[de]= ton, ta, tes	ك، ك

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 10.

• لا علم لي بهذا الاستعمال.

²- ibid. p10 .

يمثل هذا الجدول نماذج للضمائر المتصلة التي أوردها المستشرقان، منفصلة عن أي كلمة وهو ما يصعب استيعابها للأجانب، إذ لا تتضح طريقة استعمالها، إلا بإيرادها متصلة بما بعدها. وقد خصّا الضمير المتصل (الهاء)، بهامش ذكرنا فيه السياقات التي يرد فيها، إذا جاء الهاء (h) بعد (â)، و (ou) و (i)، كالآتي:

جدول نموذج الضمائر العامية المتصلة بأمثلتها⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	بالفرنسية	بالعربية
باباه	bâbâh	son père	أبوه
خوه	khoûh	son frère	أخوه
يديه	ieddih	ses deux mains	يديه

يلاحظ ممّا سبق، أنّ هناك تأثيراً كبيراً باللغة العربية الفصحى، عند ذكر ضمير (الهاء)، حيث ذكر (ه)، مقابل (son)، في حين لا يُنطق الهاء في بعض الاستعمالات الأخرى؛ بل يُقلب إلى واو ممدودة، مثل: (دارو والفصيح داره)، وعند حذف الهاء ومد الراء المضمومة ستصير الكلمة (دارو) وهي فصيحة. اقتصر على السياقات المتصلة بالهاء، علماً أنّ هناك لهجات توظّف (الهاء) في الحالات جميعها، فيقال: (دَارَه)، كما اكتفى المؤلفان في إسناد الملكية للآخر المفرد بالمدّكر، وأقصيا المؤنث، قد يكون ذلك، تأثيراً باللهجات التي سجّلاها، إلّا أنّهما لم يشيرا إلى هذه الاختلافات، التي قد تظهر من منطقة إلى أخرى.

أمّا الضمير الذي يستحق الشرح أكثر، فهو (ي) الذي يسند الملكية للمتكلّم، إذ أسند إليه ثلاثة أشكال، إلّا أنّه لم يورد أمثلة توضّحها. وهناك أشكال أخرى لم ترد، مثلاً: الكلمتين: (بابا، يما) ليست بحاجة إلى ضمير. وهذا يؤكّد أنّه لا يمكن للمستشرق أن يحيط بكلّ الاستعمالات، ولا يمكن وضع قواعد ثابتة للعاميّة. وعموماً سجّل تطابقاً إلى حد كبير بين ضمائر العاميّة والفصحى، وهو ما يعني أنّ العامية ما هي إلّا أداء جهوي للفصحى، مع بعض التغييرات على المستوى الصوتي أو الصرفي أو التركيبي وأحياناً الدلالي.

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 10.

2-1-7- صيغ نكرة (Adjectifs et pronoms indéfinis): ما يلاحظ، هو صعوبة إيجاد

مقابلات حرفية لهذه التسميات، في اللغة العربية، لاختلاف النظمين.

جدول يمثل نماذج للصيغ الضمائر الدالة على النكرة⁽¹⁾

بالعربية	بالفرنسية	بالحرف اللاتيني	بالحرف العربي
لا أحد	aucun	h'attâ wâh'ad	حتى واحد/ حتى حد
مع بعض	les uns...les	ba'd'... ba'd'	بعض... بعض...
كل شيء	toute chose	koull-h'âdja, koull-chi	كل حاجة، كل شيء
فلان	tel (un)	flân	فلان
كل، جميع	tout	koull ;kâmel ;gâ'	كل-كامل - فاع

أهم ما يمكن قوله في هذا العمود، هو التكرار الكبير للصيغ، كما يُلاحظ عدم مناسبة العنوان الموضوع لقائمة الصيغ الواردة ضمنه. وأحياناً عدم التطابق بين الكلمة العامية والفرنسية، مثل كلمة (فلان) التي قابلها بـ (tel أو un). أما علاقة الكلمات العامية بالفصحى فكبيرة، كما يتضح من الأمثلة الواردة باستثناء كلمة (فاع) التي لا تتصل بالفصحى في حدود العلم.

2-1-8- التأكيد والتعريف (indétermination et Détermination): تضمن العمود الثامن ثلاث

صيغ، وهي واردة في الجدول الآتي:

جدول يمثل التعريف والتأكيد في الكلمات العامية الجزائرية⁽²⁾

بالعربية	بالفرنسية	بالحرف اللاتيني	بالحرف العربي
-	un/ une	wah'd- el	واحد الـ
الـ	la/le /les	el	الـ
بعض/ شيء	des (= quelques)	chÎ	شيء

يعكس هذا العمود الفرق بين نظام اللغة العربية ونظام اللغة الفرنسية، فالتعريف على سبيل المثال في اللغة العربية نفسه مع الأسماء النكرة القابلة للتعريف، بمعنى الطريقة نفسها تطبق مع المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث على حدّ السواء، وليس هناك أداة أو طريقة خاصة بنوع دون غيره، والنكرة تكون بتجريد الكلمة من أداة التعريف. أما من حيث علاقة المداخل باللغة العربية الفصحى، فالملاحظ أنّ

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 11.

²— ibid. p .11

معظم كلمات هذا المبحث فصيحة، باستثناء طريقة نطق بعضها، أو تركيبها، إذ هناك تحريف أو حذف لبعض الأصوات، وهذا أمر وارد ومقبول في اللهجات. فمثلا يقال في الفصحى: (طفل واحد)، ولا يقال: (واحد الطفل)، كما حذفت الهمزة من كلمة (شي)، وهذا وارد. أما دلاليا فيلاحظ القارئ الكريم أنّ كلمة (شي) لا تتطابق مع كلا الكلمتين الفرنسييتين اللّتين اختارهما المستشرقان (des (= quelques)). وقد يقصد به (بعض) التي تستعمل في بعض المناطق بهذا المعنى؟ ثمّ يذكر ملاحظة تتعلّق بإدغام لام التّعريف مع الحروف الشّمسية، والتي حدّدها بـ أربعة عشر (14) حرفا، منها:

جدول يمثل اتّصال أل التعريف بالحروف الشمسية⁽¹⁾

الحرف العربي	بالحرف اللّاتيني	الحرف العربي	بالحرف اللّاتيني
الذّ	eth – th	الصّد	eç - ç
الذّ	edh-dh	الصدّ	ed' - d'
الطّ	et' - t'	الظّ	ed' - d'

أشار المستشرقان إلى ملاحظة مستمدة من قواعد اللّغة العربية الفصحى، وهذا يؤكّد مرّة أخرى على أنّ اللهجة الجزائرية قريبة من اللّغة العربية الفصحى، وهو ما أدركه المستشرقون أنفسهم. تجدر الإشارة إلى أنّ العاميّة تُسقط في أحيان كثيرة الألف من أداة التعريف وتبقى اللام، والعكس إذا تلتها حروف شمسية بمعنى تسقط اللام، وتثبت الألف مع إدغام ذلك الحرف الذي دخلت عليه، يقال: (الما للماء، العين، لكتاب ل الكتاب، أدار ل الدار)، وهو ما لم يوضّحه المؤلفان.

2-1-9- الأسماء الموصولة (Pronoms ou adjectifs relatifs): اقتصر العمود التّاسع على الاسم الموصول (الي)، كما هو موضّح في الجدول الآتي:

جدول يمثل الاسم الموصول في العامية⁽²⁾

الحرف العربي	بالحرف اللّاتيني	بالفرنسية	الفصحى
الّي	ellÎ	le quel (laquelle, les quels, les quelles)	الذي، التي..

أهمّ ما يمكن تسجيله، هو الاختلاف بين الفصحى والعامية، وقد يكون من الاسم (الذي) بحذف الذال، ليصير (الّي)، وقد أورده المؤلفان ثلاث مرات، بنفس الكتابة العامية، بالحروف العربية وبالحرف

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 12.

²— ibid. p 12.

اللاتيني، إلا أنّ المقابلات الفرنسية مختلفة، لكن تميّز اللغة العربية الفصحى بين الأسماء الموصولة حسب اختلاف الجنس والعدد، ويوجد تسع أدوات، وهي: (الذي، اللذان، الذين، التي، اللتان اللواتي اللائي، من، ما). أمّا العامية فتكتفي بأداة واحدة في جميع هذه الحالات.

2-1-10-الظرف (عند) Verbe avoir: يظهر من جديد الاختلاف بين النظام اللغوي للفرنسية والعربية ففي العامية يعبر عادة عن معنى الملكية بالظرف (عنده).

جدول يمثل نماذج للظروف المذكورة⁽¹⁾

الحرف العربي	بالحرف اللاتيني	بالفرنسية	الفصحى
عندي	'andi	j'ai	عندي، لديّ، أملك
عندك	'andek	tu as	عندك
عنده	'andou	il a	عنده

أورد المستشرقان الظرف (عند) متّصلا بالضمائر المختلفة للدلالة على الفعل (avoir) في اللغة الفرنسية تعبيراً عن الزمن الحاضر، وليدلّ على زمن الماضي البعيد (imparfait)، قرناه بالفعل الناقص (كان)، مثال: (كان عندنا - nous avions - kân'andnâ). قد تدخل هذه الطريقة ضمن المنهج التقابلي الذي يعمل على الاستفادة من خصائص لغة المتعلّم الأصلية، لتعليمه اللغة الثانية. إلا أنّ الظرف (عنده) يستعمل لدى العامة بالواو وليس بالهاء كما هو مذكور في المعجم (عندو) ربما لاستئصال الهاء، وهو ما قد يعني تأثرهما بالفصحى في بعض الأحيان عند تسجيل مادة مدونتها.

2-1-11-الفعل كان (Verbe être): تناول العمود الحادي عشر تصريف الفعل (كان) في الأزمنة الثلاثة: (الحاضر، والماضي، والمستقبل/المضارع)، وقد تضمّن الجدول، مثالا لكل منها.

جدول يمثل استعمال الفعل المساعد كان في العامية؟⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
راني-نكون	râni ;nkoûn	je suis	أكون
كُنْتُ	kounti	tu étais (f)	كُنْتُ
تكون	tekoûn	tu seras (fém)	يكون

¹⁻ Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 13.

²⁻ibid. p13, 14.

قابل المستشرقان الزّمن الحاضر للفعل (être) بكلمتين، هما (راني...-...نكون... رانا... راكم... راهم...)، والملاحظة المسجّلة هاهنا، أنّ الصيغة الأولى (راني) كافية للدلالة على الحاضر. ففي العامية يكفي القول: (أنا هنا)، بمعنى (راني هنا)، والقول (راني نكون) يدلّ على المستقبل، وليس على الحاضر. وهذا مخالف للمذكور في الكتاب. ثمّ أشار إلى صيغة الماضي التي قابلها بـ (l'imparfait) موظفا الفعل الناقص (كان) في الماضي مع الضمائر المذكورة سابقا، واكتفى في المضارع (le futur) بذكر ثلاثة ضمائر (أنا، أنت، أنتِ)، (نكون nkoûn-je serai). وقد حدث التباس، عندما قابل (تكوني) في الفرنسية بالفعل (tu seras (masc.) v. Présent)، في حين هو مذكّر. بالنسبة إلى العلاقة بين تصريف الفعل في العامية والفصحى، فهناك تشابه في حالات، وهناك اختلاف في حالات أخرى، فمثلا: بالنسبة إلى الضمير المخاطب المفرد المؤنث (أنتِ) هناك تطابق. كما يتّضح أنّ هناك تحكّما في تصريف الفعل في العامية لدى المؤلّفين.

2-1-12- أسماء الأعداد والكسور (Nom de nombres et fractions): تضمّن هذا العمود الأعداد مصنّفة من صفر إلى عشرة، ثمّ من أحد عشر إلى تسعة عشر، ثمّ انتقل إلى العشرات فالمئات فالآلاف، وختمه بمليار. ثمّ تناول الكسور، وممّا ذكره ما يأتي:

جدول يمثل نماذج للأعداد والكسور العامية⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
زوج، ثنين	zoûdj ; thenin	deux	اثنان
ثلاثاش	thleththâch	treize	ثلاثة عشر
أربعين	arba 'în ou rab 'în	quarante	أربعون
نُصّ ج انصاف	noçç, pl ançâç - -noçf -pl ançaf	moitié, demi	نصف
ثُمن ج اثمان	thomn pl athmân	huitième	ثمن

يعكس هذا العمود الحرص الشديد على الإحاطة، بالأعداد الموظّفة لدى الجزائريين، وهذا لحاجة الفرنسيين إلى هذا النوع من الكلمات أكثر من غيرها، إذ كان الجزائريون يعملون لدى الفرنسيين، فكان عليهم معرفة الحساب بلغتهم. أمّا ما سجّل على مستوى الكلمات وعلاقتها بالفصحى، فيمكن الوقوف عند

¹⁻ Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p16.

بعض الملاحظات، ولعلّ أهمّها هو التشابه الكبير؛ بل التّطابق أحيانا بين المستويين اللّغويين باستثناء بعض الفروق البسيطة جدا، كالّتسهيل والحذف، يكفي الاطّلاع على خانة الأعداد العامية بالحرف العربي وبالفصحى، لتبيّن ذلك، وقد يرجع هذا إلى عدم تصرّف العامة في الأعداد بشكل يغيّر من جوهرها. إلّا أنّ هناك تحريفا لبعض الكلمات، كما هو وارد في الجدول السّابق، مثل العدد (ثلاثاش)، فالعامة في حدود العلم تنطقه (ثلاثاش)، أو دون مدّ (ثلاثاش)، وهو تحريف لثلاثة عشر (13)، في حين ذكر بالنسبة للعدد (أربعين) الاستعمال الفصيح والعامي، حيث يسقط العامة (الهمزة) تسهila للنطق، وكذلك حدث مع الكسر نصف. وكتبت الأعداد التي تنطق بالطّاء بحرف التّاء تأثرا بالفرنسية التي لا تحتوي على حرف الطّاء، مثل: (أربعتاش، ستاش، ثمنتاش...).

2-1-13-الأعداد التّرتيبية (Nombres ordinaux): احتوى على الأعداد التّرتيبية، من

المرتبة الأولى إلى العاشرة، وختم بالأخير. وهذه نماذج لها.

جدول يمثّل نماذج للأعداد التّرتيبية⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللّاتيني	الفرنسية	الفصحى
أول م أولى	awwel-ouwwel fém. oulâ	premier	أول، أولى
عاشر م عاشرة	‘âcher, fém‘âchra	dixième.	عاشر، عاشرة
آخر - اخراني	âkher et akhrânî	dernier	آخر

أهمّ ما يمكن تسجيله هو التّطابق بين الاستعمال العامي والفصيح، باستثناء الكلمة الأخيرة التي أضاف إليها (اخراني)، حيث دخلت حروف زائدة على الكلمة، والملاحظ أنّه التّزم بإيراد المذكر والمؤنث مع جميع الأعداد المذكورة باستثناء هذه الكلمة التي اكتفي فيها بالمذكر، قد يكون ذلك جهلا بالمؤنث أو تقضيا لإيراد الكلمة العامية الأخرى.

2-1-14-الوقت والسّاعة (L’heure et la montre): يمثّل هذا العمود أهمّ الكلمات

والعبارات الموظّفة في مجال الوقت أو الزّمن، وهذه أمثلتها.

¹⁻ Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l’arabe dialectal algérien et saharien. p 16, 17.

جدول يمثل نماذج صيغ معبرة عن الزمن⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
ساعة	- sâ'a -	montre, horloge, pendule	ساعة اليد، منبه
ساعة	- sâ'a -	-heure	ساعة
دقيقة ج دقايف	dqîqa pl dqâiq-	minute-s	دقيقة ج دقائق
ثنية	thniya-	seconde	ثانية
على اشحال من ساعة	'ala achh'âl mèn sâ'a ?	à quelle heure	على كم الساعة؟
خب	kheff	avancer (montre)	تقدم
عمر	'ammer	remonter (remplir)	-
ورى	(i) ouerrâ-	(indiquer) marquer	أرى

يؤكد ما ورد في هذا الجدول رغبة المؤلفين في تقديم أهمّ الكلمات، التي يحتاجها المتعامل مع الجزائريين والملاحظ على الكلمات الواردة، أنّها في معظمها فصيحة أو تقترب منها بدرجة كبيرة. أمّا العبارات، فهناك كلمات عاميّة، وهي: (اشحال، فداش، فد فد...)، كما وردت كلمات عامة لا تختص بالباب المذكور، مثل: (خب، عمر، ضرب)، وهي كلمات فصيحة، إلّا أنّ توظيفها عامي، ويبدو من خلال مقابلاتها الفرنسية أنّ معناها لم يكن واضحاً لدى المستشرقين.

2-1-15-أوقات اليوم (Moment de la journée): تضمّن هذا المبحث تسع كلمات وما

يشدّ الانتباه، هو أنّه لم يرتّبها، فقد ذكرت على الشكل الآتي: (نهار، فجر، صباح، ظهر، عشية عصر عشية، مغرب، عشا)، هذه أمثلتها.

جدول يمثل نماذج لأوقات اليوم⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
نهار	nhâr	journée, jour	نهار
عشية	'achiya	soir/après-midi	عشية
عصر	âçer	milieu de l'après- midi	عصر
عشا	'ichâ	heure du souper	عشاء

يُذكر بسهولة التّطابق بين الكلمات العاميّة والفصيحة، وعموماً وفق المؤلفان في إيجاد المقابل، ولو بالتّقريب، باستثناء كلمة (عشا) التي التبتت على المستشرقين، فاعتقدها بنفس معنى (عشاء)، فالفتح للطعام

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p17, 18.

²— ibid.p 18.

وبالكسر للوقت، وهو وقت صلاة العشاء. ويُحتمل أنهما يجهلان وجود كلمتين متشابهتين بمعنيين مختلفين.

2-1-16- أيام الأسبوع (Les cinq jours la semaine et les jours de la semaine): إنَّ

الشَّطر الأوَّل من العنوان، الذي وضع لهذا العمود غامض نوعاً ما، إذ لا يتَّضح المقصود به، حتى تطلَّع على الكلمات، وقصد بها ظروف الزَّمان الدَّالة على أيام الأسبوع، وهي: (اليوم البارح، أول بارح، لول بارح غدوة، غير غدوة، الغدوة من ذاك)، وبعدها ذكرت أيام الأسبوع: (جمعة الحدّ، الثَّنين، الثَّلاثا، الاربعاء، الخميس الجمعة، السبت)، وفيما يلي بعضها بمقابلاتها الفرنسية.

جدول يمثِّل نماذج لأيَّام الأسبوع بالعامية ⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
البارح - امس - يامس	el-bârah' ;ames ;iames	hier ; la veille	البارحة
غدوة	r'edoua	demain	غدا، في الغدّ
جمعة	djem 'a	semaine	أسبوع
الحدّ (الاحد pour)	el-h'add (pour el-ah'ad)	dimanche	الأحد

يلمس القارئ الكريم تشابهاً كبيراً، بل وأحياناً تطابقاً بين الكلمات العاميّة والفصحى، مثل: (الخميس)، باستثناء كلمة (جمعة) التي يقصد بها أسبوعاً، أمّا الأيّام الأخرى، فالاختلاف إمّا بالزيادة مثل: (يامس)، أو بالنقصان مثل: (الاربعاء). كما يذكر أحياناً أكثر من ظرف واحد.

2-1-17- الفصول والشهور (Les saisons et les mois):

تضمّن هذا العمود فصول السّنة والشّهور القمرية (العاميّة) والشمسية، وقد سماها بالفرنسية: (mois juliens, mois arabes dialectaux)، وهي: (عاشورا، شايح عاشورا، المولود، شايح المولود جاد، جماد، رجب، شعبان، رمضان، العيد الصغير، بين الأعياد، العيد الكبير)،* أمّا الشمسية فهي: (جانفي- ينار، بيفري، مارس- مغرس، ابريل- نيسان، ماي- مايو، جوان- يونيو، جوليت- يوليو، اوط غشط، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر- ديصمبر)، وهذه بعضها.

¹⁻ Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 18, 19.

*يقابل هذه الأشهر بالترتيب في اللغة العربية الفصحى: محرّم، صفر، ربيع الأوّل، ربيع الثّاني، جمادى الأوّل، جمادى الثّاني، رجب شعبان رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة.

جدول يمثل نماذج للشهور والفصول العامية⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
فصل ج فصول	façl ou fçel pl fçoûl -	Saison	فصل ج فصول
شتا	Chtâ	hiver	شتاء
شايع عاشورا	chyâ ' el-moûloûd	-	صفر
العيد الكبير	el-'aïd el-kebîr	-	ذو الحجة
جانفي- يمار	djânfi-yennâr	-	جانفي/ جانفيه
ابريل - نيسان	abril- nîsân	-	أبريل
جوليت - يوليو	djûlyet-yûlyû	-	جولية

قسّمت الشهور إلى عربية عامية، وسنة يوليوسية (juliens)، والملاحظ أنّه لم يسجل المقابل الفرنسي؛ بل اكتفى بذكر الشهور بالحرف العربي، متبوعاً بالحرف اللاتيني، وهناك شهور شمسية ذكر لها مقابلين، أمّا الأشهر القمرية فالملاحظ أنّها مختلفة، عن الأشهر المستعملة في الفصحى لينوب عنها، أهمّ حدث فيه الشهر، مثلاً: عاشوراء مناسبة تأتي في العاشر من شهر محرّم، فأطلقت على الشهر، وكذلك المولد النبوي الشريف، وهكذا، باستثناء أربعة أشهر، هي: (جمادى، رجب، شعبان رمضان). أمّا بالنسبة إلى الأشهر الشمسية، فالشهر الذي فيه نظر هو (جوليت)، ففي حدود العلم، هذا الشهر لا يستعمل بهذا الشكل لدى العامة، إلّا أن يكون في لهجة أو منطقة مجهولة.

2-1-18- النقود (Monnaies): ذكرت سبع كلمات في هذا العمود: (صانتي، صوري ربيع

برانك، ريال دورو، لويّة).

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 19 , 20.

* هو تقويم فرضه يوليوس قيصر في سنة 46 ق م ودخل حيّز التنفيذ سنة 45 ق م يحاول التقويم اليولياني محاكاة السنة الشمسية ويتكون من 365,25 يوماً مقسمة على 12 شهراً. استمر استخدام التقويم اليولياني في الكنائس الأرثوذكسية حتى القرن العشرين إذ قامت هذه الكنائس باعتماد التقويم اليولياني المعدّل سنة 1923، ولا يزال هذا التقويم مستخدماً في أديرة جبل آثوس. منذ القرن السادس عشر استعاض عن التقويم اليولياني (لعدم دقته) بالتقويم الغريغوري. الفرق بين التقويمين أن التقويم اليولياني يعد السنة 365,25 يوماً أما التقويم الغريغوري فهو أدق ويعد السنة 365,2425 يوماً، وهذا الفرق يشكل مقدار 0.002%. منذ عام 1900 وحتى عام 2099 ينشأ بين التقويمين فارق قدره 13 يوماً، يتأخر بها التقويم اليولياني عن التقويم الغريغوري. أي عندما يكون 7 يناير طبقاً للتقويم الغريغوري (التقويم الميلادي الساري حالياً) يكون بالنسبة إلى التقويم اليولياني 25 ديسمبر.

جدول يمثل نماذج لتسميات النقود بالعامية⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
فرانك	frânk	franc	فرنك
دورو	doro	cinq francs	سنتيم
ريال	riyâl	deux francs	ريال

يقدم هذا الجدول أمثلة، للنقود المستعملة في فترة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وما يلاحظ هو أنّ هذه الكلمات عامية، باستثناء كلمة (ريال)، وهي عملة مازالت مستعملة، أمّا العامية أو بالأحرى الدخيلة فمنها، ما هو مستعمل إلى يومنا هذا، مثل: (دورو، فرانك)، ومنها ما لم يعد مستعملاً، مثل: ربيع.

2-1-19 - صيغ الإثبات والنفي (Adverbes d'affirmation et de négation): سبق

أن أشار المستشرقان إلى صيغ الإثبات والنفي في عمود تحت عنوان (les particules)، ويبدو أنّ الصيغ نفسها تقريباً تكررت في هذا الموضع، (ما...شي، ما...غير، لا...لا، لا، نعم-ايه، بالصّح ما عليه، مازا دشي - ما يزيد شي، ما يزيد شي يكتب).

جدول يمثل نماذج صيغ الإثبات والنفي العامية⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
ما...شي	mâ...chî	ne-pas	-
ما عليه	mâ-'lih	volontiers	طبعاً
ما يزيد شي يكتب	mâ izid chi iekdeb	il n'écrit plus	لن يكتب

يلاحظ أنّ القائمة في هذا المبحث تتنوع ما بين كلمة مفردة، وكلمتين، وتركيب، وهو ما يفهم منه أنّ ما يهمّ المؤلفين، هو تقديم الصيغ المناسبة التي يحتاجها الفرنسي للتعبير عن مواقف تتطلب النفي أو الإثبات، فالبعبارة الأخيرة مثلاً: صرفاً فيها الجملة في الماضي ثم المضارع، وبعدها وُظفت صيغة النفي مع الفعل يكتب. وهي في عمومها كلمات فصيحة، إلّا أنّها وُظفت في سياقات عامية بتحريف دلالاتها من معنى إلى آخر، وتقرب أحياناً من الفصحى. وقد تتطابق مثل: (نعم وايه).

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 20.

²- ibid. p 21.

2-1-20 - ظروف الحال والظن (Adverbes de manière et de doute et locutions)

(adverbiales): تكرر الكثير من الصيغ المذكورة سابقا، مثل: (سواسوا، بالعفل، بالسياسة، فد فد) وهناك صيغ، قد يستغرب القارئ لورودها في هذا الموضع، تضمّن تسعا وعشرين (29) صيغة.

ظروف تعبر عن الأحوال والظن في العامية⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
رخيص	rekhiç	bon marché	رخيص
بالسياسة - بالعفل	bes-siâsa- bel-'aqel	doucement	بروية، بتؤدة
بالعني - بالعمد	bel-'anî -bel-'amd	exprés, à déssein	عمدا

تضمّن هذا العمود كلمات متنوعة، منها الفصيح، ومنها العامي، مثل: (هكذا، رخيص، على كل حال، بالتحفيف، غالي، بلا شك، بالعمد، بالسيف، لا بأس، خير من، يمكن، بالخصوص...)، و(سواسوا بالسياسة، بالعفل، قد قد، بالعني، بالزور، باطل، بلاش كيف كيف، شوية بشوية، به فيه بالخف...) . هناك كلمات فصيحة، حرّفت دلاليا، مثل: (بالسياسة) التي تدلّ في الفصحى على طريقة معتمدة لتدبير شؤون البلاد، وهناك كلمات عامية، مثل: (بالعاني) التي أتبعها بكلمة فصيحة وأكثر استعمالها (عمدا) كذلك تنطق العامة كلمة (رخيص) بالسين لا بالصّاد، في حين وردت بالصاد تأثرا بالفصحى، والملاحظة المسجلة، هي أنّ معظم الكلمات فصحية.

2-1-21 - الظروف المعبرة عن الكمّ (Adverbes de quantité): ذكر المستشرقان ستة وعشرين (26) اسما، وقد ورد بعضها في الجدول الآتي:

جدول يمثل الظروف المعبرة عن الكمّ⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
برك - بركة	bark-barka	assez	يكفي
بالزّاب - ياسر	bez-zâf ;iâser	beaucoup	كثير
اشحال - فداش	achh'âl- ou chh'âl - qeddâch	Combien	كم
لا اكثر لا نافص لا زيادة لا نقصان	lâ akthar lâ naqç lâ ziâda lâ noqçân	ni plus ni moins	لا زيادة ولا نقصان

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 21.

²— ibid. p 22, 23.

يتبين معظم الكلمات فصيحة، ومنها: (أكثر، مازال، مع بعض بالتقريب اقل من، الكثرة...) أما العامية: (برك، فانا، فد، شوية...) وهناك تكرار للكلمات، مثل: (برك) التي قابلها بـ (seulement) وفي موضع آخر بـ (assez)، وتكررت صيغة (بالزاف-ياسر) وقابلها بـ (très) ومرة أخرى بـ (trop). وقد يكون (شوية) تصغير لكلمة (شيء).

2-1-22- ظروف المكان والاتجاهات الستة (Adverbes de lieu Les six coté): تضمّن هذا المبحث سبعة ظروف للمكان، وهي في الحقيقة ستة، لأنّ هناك ظرفا تكرر، ذكر نكرة فمعرفا، وهي: (فدام، ورا، الورا، تحت، فوق- من فوق).

جدول يمثل ظروف المكان والاتجاهات⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
ورا	ourâ	derrière	وراء
الورا	lorâ	(sans complément)	الوراء
على اليمينى	‘ala-l-imna	à droite	على اليمين

بالنسبة لظروف المكان، هناك تطابق بين العامية والفصحى، باستثناء حذف الهمزة. الملاحظ في الطرفين: (ورا، والورا)، وحذف الهمزة أو تسهيلها من أكثر الظواهر شيوعا في العامية.

2-1-23- ظروف مكان غير الجهات الست (adverbe de lieu autres que les six)

(cotes): أشير إلى أكثر من ظرف، وأحيانا هي عبارات مشكّلة من كلمتين أو أكثر.

جدول يمثل ظروفًا إضافية في العامية⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
في مضرب آخر	fī mad’rab akhor	ailleurs	في مكان آخر
وين، واين، اين	ouin ;ouaïn ; aïn	ou	أين
على اليمين	‘ala-l-imnâ -	droite (à)	على اليمين
داير ساير بـ - داير ساير بـ	dâir-sâir be	alentour-autour de	حول

ذكرت صيغ كثيرة يستعملها العامة، مثل: (في مضرب آخر، داير ساير، برا، منا، الهية، وينما هذا)

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l’arabe dialectal algérien et saharien. p 24.

²— ibid. p 24, 25.

والملاحظ أنّ كلمة برا تحريف لكلمة (البرّ)، وكلمة (منا) تحريف للكلمتين (من هنا)، أو هو إدغام لهما، حيث حذف الهاء وأدغمت النونان. كما ذكرت ظروف فصيحة تماما، مثل: (داخل يمين، يمينى على اليمين يسرى يسار، على اليسرى، هنا، ثمة، هناك، بعيد، اين، من-من اين في كل مكان).

2-1-24- ظروف الزمن (Adverbes de temps): حاول المستشرقان الإحاطة بالصيغ الدالة

على الأزمنة المختلفة، إلا أنّ هناك بعض الكلمات أو الصيغ، تعتبر أفعالا أو كلمات لا علاقة لها بالزمن.

جدول يمثل ظروف الزمن في العامية (1)

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
زمان بكري	zmân bekrî	"jadis" /autrefois	في الماضي
مرات عديدة	merrât 'adida	Souvent	مرات عديدة
ابدًا - عُمُرُه	abadane -'omrou	Jamais	أبدا
الحاصل، الحاصن	el-haçol ; el-haçon	enfin	في النهاية
دايم - دايمًا - ديمًا	dàim; dàïman ;dimà	Toujours	دائما

ذُكرت صيغة (زمان بكري) مرتين، وفي موضعين متباعدين بمقابلين مختلفين، تكررت صيغ كثيرة، وأحيانا فهم خاص للكلمة، ومعظم الكلمات ذات صلة وثيقة بالفصحى، حوالي ثلاث وعشرين (23) صيغة، من جملة سبع وعشرين (27) صيغة، منها: (ذاك الوقت- ذيك الساعة، بعد، بعدما، من قبل زمان بكري، قبل قبل ما، قريب، بكري، من، ما زال الحاصل، الحاصن، من بعد، مرة مرة، به فيه- في الوقت زمان بكري، ابدًا، عُمُرُه، ذَرُوك، ساعة على ساعة...).

2-1-25- أدوات الربط (Conjonctions de coordination): ذكرت حوالي خمس عشرة

(15) صيغة، ويبدو واضحا أنّ المستشرقين وجدا صعوبة في إيجاد التسمية المناسبة للكلمات أو الصيغ المختارة، إذ تضمنت القائمة كلمات مكررة، سبق ذكرها في قائمة ظروف الزمان والمكان، ومنها:

جدول يمثل أدوات الربط في العامية الجزائرية (2)

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
في ذاك الوقت	fi dhâk el-oueqt	alors	عندها
هكذا	hâkdhâ	ainsi	هكذا
الحاصل - الحاصن	el-h'âçol ou -el-h'âçon	enfin	في النهاية

ومما ذُكر: (وثاني، على خاطر، امالا، من بعد، و، انا وإياك، لآكن، لا...لا، والّا، من بعد إذا

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 25, 26.

²— ibid.p 26, 27.

لو كان، مرة...مرة). فعلا، هناك صيغ يربط بها المتكلم كلامه، إلا أن هناك صيغا لا تمت بصلة للعنوان الذي اختير لهذه القائمة، مثل: (انا واياك). ولا يختلف الأمر عما سبق فمعظمها فصيحة.

2-1-26- صيغ متنوعة للتفسير للاستفهام والربط والتشبيه (Conjonction de subordination):

وردت ثماني عشرة (18) كلمة وعبارة، ورد بعضها في الجدول الآتي:

جدول يمثل صيغ الربط بين الكلمات والجمل⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
يعني	ia'ni	c'est-à-dire	يعني
منين - حيث	mnîn-h'ith	étant donné que	بما أن
كيف - كي - كما	kîf-kî-ki-kimâ	Comme	ك، مثل
بينما - مادام	bînma-mâ-dâm	tandis que	بينما

سجل في هذا كثرة التكرار، مثل: (كيف - كي - ك) التي تكررت ثلاث مرات بمعان مختلفة وفي مواضع متفرقة، حيث وردت بمعنى: (مثل، متى، عندما). وفيه الفصحى والعامي منه: (باش، هذا علاش-على هذ الشيء، منين-كيف-غيرك، وبت الي، على خاطر باش، منين-حيث بالي، اذا-لو كان-لو...). وما يلاحظ هنا، هو كتابة كلمة (بالي) التي لا تتطابق مع نطقها الصحيح في حين جاءت كتابتها باللاتينية صحيحة (belli)، والأصل أن تكتب (بلي).

2-1-27- حروف الجرّ (prépositions): تضمّن هذا المبحث إحدى وثلاثين (31) كلمة وعبارة

وقد تكررت فيها عدّة كلمات وردت في القوائم السابقة، إذ يورد الكلمات المتشابهة في موضع واحد أحيانا وفي مواضع مختلفة أحيانا أخرى، رغم كون المقابلات باللغة الفرنسية نفسها.

جدول يمثل حروف الجو وما شابهها في العامية⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
ل	l	à- vers	ل
من	men	de provenance, origine	من
في خاطر - في سبة	fi khât'er-fi sebbet	cause (à) de/	بسبب
متاع- نتاع- ديال- ذيال- د- ذ	mtâ'; ntâ'; diâl dhiâl;d- ;dh-	de(appartenance)	له
حتّى	hattâ	jusque, jusqu'à	حتى

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 27.

²- ibid. p28, 29 .

الملاحظ أنّ أغلب موادّه فصيحة أو قريبة منها بدرجة كبيرة، إذا ما استثنينا كلمات: (باش متاع - نتاع - ديال-ذيال، بيناتنا-علاش). مع التكرار الوارد بكثرة.⁽¹⁾ كما يؤكّد لنا هذا الجدول أنّ هذه الكلمات، إمّا عربية فصيحة، وإمّا تقترب منها بدرجة كبيرة، وهذا يكشف عن سلامة لغة الجزائريين آنذاك على الأقلّ إذا تعلّق الأمر بالأدوات النحوية، وأكثر ما يشدّ الانتباه، هو المقابل الذي وُضع لكلمة (حتّى) وهو المعنى الفرنسي (même) الذي يعبر عنه المتكلّم العربي.

2-1-28- صيغ الملكية (prépositions d' appartenance)⁽²⁾: يمكن أن نعدّ هذا العمود

زائداً، لأنّه تضمّن صيغا، قد ذكرت في المبحث السابق، وهي: (متاع- نتاع/ ديال- ذيال/ د- ذ/ ل-). وهنا يُلاحظ اختلاف الحرف الأول، بين كلمة (متاع) و(نتاع)، قد يرتبط ذلك، باختلاف المناطق.

2-1-29- صيغ وعبارات المجاملة (Interjections et formules de politesse): تضمّن هذا

العمود صيغا يحتاجها المتكلّم، ومعظمها توظّف في التّعاملات اليومية، عددها حوالي ست وأربعين (46) صيغة، إلّا أنّ هناك إقحاما لبعض الصّيغ التي لا علاقة لها بالمجال.

جدول يمثّل صيغ المجاملات⁽³⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
مبروك	mebroûk !	accord (d')	مبارك
مبروك	mebroûk !	béni ! (heureux)	مبارك
مليح	mlîh'	bon !	طيّب
تربح	terbah'	chance (bonne)	حظ سعيد

يُردّ أحيانا في المدخل الواحد أكثر من كلمة، وتكرّر ذلك في خمسة مواضع، وهي:

(الله يشبعك-يقنعك/خلاص-بركات/صحّيت-يعطيك صحّة/في الأمان-بالسلامة/ما أجمل-ما احسن/بركة-يكفي-يّرّي). وتصبّ في حقل دلالي واحد. كما تكرّرت بعض الصّيغ، منها: (ابق على خير/ صحّيت/ ما عليه). يبدو أنّ المستشرقين قد كرّرا العبارة الأولى في موضع آخر، للإشارة إلى هذه العبارة مع المذكر، ومع المؤنث وكذا مع الجمع: (ابق على خير/ ابقي على خير/ ابقو على خير). أمّا بالنسبة إلى الكلمة الثّانية (صحّيت)، فالملاحظ أنّهما فرقا بين معنييهما، إذ قابلا الكلمة الأولى بالكلمة الفرنسية

¹⁻ Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien..p28, 29.

²⁻ ibid. p 29 .

³⁻ ibid. p29, 30, 31.

(bravo!)، في حين قابلا الثانية بـ (merci!). وألحق هذا المفهوم بعبارة (يكثّر خيرك). وشرح صيغة (ما عليه) في الموضع الأول بكلمة (soit!)، في حين شرحها في الموضع الثاني بالمقابل الفرنسي (volontiers!).

قوبلت بعض الكلمات بمعان غريبة عن الاستعمال المألوف، إلا أن تكون لمناطق غابت عن البحث، مثل: (مبروك) التي قابلها بـ (d'accord)، وقد تحيل الكلمة إلى اتفاق بين شخصين حول شيء معيّن، فيعبّر بها عن الموافقة، كما وظّف كلمة (بركة) وقابلها بكلمة (assez)، وقابلها في موضع آخر بـ (suffit!) و(بركات) أيضا بجملة (c'est fini!). كما وردت كلمة: (بالنية) التي قابلها بالكلمة الفرنسية (naturellement)، في حين أنّ هذه الكلمة لها دلالة محدّدة تعبّر عن صفة النقاء وصفاء السريرة والعفوية، وهي ضدّ الاحتيال والتّحايل. قد تكون كلمة (Spontanément) أقرب منها. أما الكلمات والعبارات الفصيحة، فهي كثيرة منها: (أهلا وسهلا، مرحبا، صباح الخير، يا لطيف، يا حسرة الحمد لله، بسم الله، ليلة سعيدة، من فضلك، بالسلامة، ما احسن، السّلام عليكم، يكفي). وردت أداة النّداء (يا-îâ)، والتي قابلها بالصّوت الفرنسي (ô).

يسجّل في كلمة (لا باس).⁽¹⁾ أنّه قابلها في العربية بنطقين مختلفتين (lâ-bâs! ou lâ-bès!) إمّا أن يرجع الأمر إلى الاختلاف، في نطق العبارة بين المناطق المختلفة أو أنّ الإشكال في كيفية كتابتها؟ كما سجّل عدم الالتزام بعنوان العمود، إذ وردت بعض الكلمات الدّخيلة، مثل: (للّقّدام، مُحال ياخي راجل...).⁽²⁾ وهناك عبارات مرتبطة بعقيدة الجزائريين، منها: (يا لطيف، بسم الله، الحمد لله السّلام عليكم، ان شا الله).⁽³⁾ وهي صيغ تختصّ بأهل اللّغة، لكن كثيرا ما يستعملها الفرنسيون.

2-1-30- صيغ أمر مستعملة (Impératifs usuels): اشتمل هذا العمود على سبع عشرة (17)

صيغة، وتتكّرر الملاحظات نفسها تقريبا، من حيث التّكرار وإيراد كلمات لا تتوافق مع العنوان مثل: (رد بالك، سامحني، من فضلك، روح بالعافية)، وهي صيغ تتضوي ضمن آداب التّعامل والأصل أن ترد في العمود السّابق.

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 30.

²- ibid. p 31

³- ibid. p30, 31.

جدول يمثل نماذج لبعض صيغ الأمر المستعملة في العامية ⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
ارّى ترى نشوف	arâ trâ nchoûf !	fais voir !	أرني
ورّ - ارّى	ouerrî	--	أرني
رُحْ	roûh' !	va-t'en !	رُحْ
اروح - احي	arouah'	viens	تعال

إنّ أغلب الكلمات الدّالة على الأمر أفعال فصيحة، مثل: (زِدْ، هات، اسمع، اسكت، هاك رح) كما وردت مصادر، مثل: (حرام، ممنوع). وهناك تعابير عامية، مثل: (رَدّ بالك، رَدّوا بالكم، ارّى ترى نشوف، ارّى، احي). وهناك إشارة إلى الجمع في قوله: (رَدّ بالك، رَدّوا بالكم). أما عبارة (علّى كيفك) التي قابلها بـ: (faites)، ففيها غموض. ويلاحظ في طريقة كتابة بعض الكلمات خلل، ولاسيما ما تعلّق بالمدود، مثل: (وَرّ)، الذي قابله بـ (ouerrî)، إذ تتضمّن الكلمة بالحرف اللاتيني مدا، في حين سقط المدّ من الكلمة بالحرف العربي. والأمر نفسه مع عبارة (رُحْ بالعافية)، التي تقابل بالحرف اللاتيني بـ (roûh'...).

قد يُفسّر هذا، بتأثير المؤلفين بقواعد اللّغة العربية الفصيحة، التي تحذف حروف العلة في صيغة الأمر، كما حذف المدّ من الكلمة بالحرف العربي، وكذا بالحرف اللاتيني على حدّ السّواء، وذلك في عبارة (ارّوح) - (arouah') ⁽²⁾ فلا وجود للمدّ في الكلمتين معا.

2-1-31- أسماء القرابة (Noms de parenté): التزم المؤلفان في هذا العمود، بذكر صيغة الجمع لمعظم الأسماء الواردة فيه، باستثناء الكلمات: (بو- بابا، ولد عمّ، ولد خال، بنت عمّ، بنت خال). حاولا الإلمام بأهمّ الأسماء الدّالة على القرابة، التي يُحتاج إليها عند التّعامل مع أفراد الأسرة ويتضمّن ثمانية عشر اسما مع الإشارة إلى جمعها. ومعظم الكلمات فصيحة، والقلّة منها، عامية قريبة من الفصيحة ويبدو واضحا أنّ المستشرقين متأثران، ببعض قواعد اللّغة العربية، ومنها الجمع (أمهات) كما أوردا جموعا غير مستعملة، مثل: (نسبان) على وزن فعلان، يقال: غربان، وغزلان... فيما وردت الجموع الأخرى ممّا يجري على ألسنة النّاس.

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 31, 32.

²- ibid.p, 31, 32.

جدول يمثل نماذج لأسماء القرابة⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
بو- بابا	boû ; bâbâ	père	أَب
أُم ج أمّهات-يما	oumm, pl.oummahât ; iemmâ	mère	أُم -أمّهات
خو ج خاوة	khoû, pl.khâoua	frère	أَخ، إخوة
نسيب ج انساب- نسيان	nsîb, pl.ansâb et nesbân	beau-frère	نسيب، نسياء

يلاحظ أنّ المؤلفين، لم يهتموا بذكر صيغة الجمع باللغة الفرنسية، فيما عدا هذا، فالصّيح المذكورة في معظمها فصيحة أو قريبة منها، مثل: (جد-جدود، عم -أعمام، خالة-خالات)، وغيرها.

2-2- قائمة الكلمات العامية - الفرنسية:

اشتملت هذه القائمة على أهمّ الكلمات المتداولة بين سكان الجزائر والصحراء (حسب العنوان) سينصبّ الاهتمام على العلاقة بين العامية الجزائرية آنذاك والفصحى. أُحصي عدد الكلمات في هذه القائمة، وحدّد بحوالي أربعين ومائتين وألف (1240) كلمة، وذلك بإقصاء الكلمات المكرّرة، وقد تمّ حساب عدد الكلمات الفصيحة والعامية والدّخيلة.

2-2-1- المستوى الفصيح في العامية الجزائرية: يبدو أنّ المستشرقين متأثران باللغة العربية

الفصيحة، حيث بلغت نسبة الكلمات الفصيحة، أو ذات العلاقة الكبيرة بالفصحى، حوالي (79,99%). عدد كلماته حوالي اثنين وتسعين وتسع مائة كلمة (992). وما يمكن تسجيله هو أنّ من هذه الكلمات؛ ما يستعمل كما ذكره، مثل: (اجراح، ابليس، اجناس، احباب، احباس، احترم، احمر، احوّل، اخبار اخوال، ارزاق، ارواح استعمل، اسرار، اسم، اسواق، أعصاب، امر، امراض انحلّ انسان ج ناس، انصاص-انصاف، انفتح انواع، اهل، اوقات، اولاد، ايّام، امام ايمّة..). وهناك ما يحتمل أن يكون من اجتهداهما، مثل: (ابرة ج ات اثاث، اجساد، حُمر، اخذ، ياخذ ارانب ج ارنب، ارتعد ازداد، اسامي اسباب، استحم، اشتكى، اشغال، اصدفا اصوات، اطراف، اعداد عُمي اعناف، اعوام، اعياد افراد، افعى ج افاعي افمار، الواح، الوان، اكل (ياكل)، أمّ ج ات، اموال انثى ج اناثي). وهناك احتمال أنّهما، نقلا هذه الكلمات كما سمعاها.

سيتمّ التطرّق إلى المستوى الفصيح والدّخيل، بالإضافة إلى العامي الذي يوظّفه العامّة، بعيدا عن الاستعمال الفصيح، وستكون البداية مع الفصيح.

¹- Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p, 32, 33.

سجل البحث نسبة كبيرة في المستوى الفصيح، وذلك خلافاً للمتوقع، حيث تجاوزت النصف وتسهيلاً للدراسة، تم تقسيمها إلى كلمات فصيحة طراً عليها تغييرات طفيفة، مثل: تسكين الأول، وتغيير حركات الكلمة، إبدال حرف بآخر، حذف حرف أو أكثر، أو الزيادة. كما يجب الإشارة إلى بعض الكلمات الفصيحة، التي قد يُعتقد أنها عامية، وهي: (جبانة، السانية، سلوقي، شكاره، طاح، عريش، عيط، قتل فنار، لوبيا، محرمة، مزود)،⁽¹⁾ وكلمة (نعال) التي جمعها على (نعالات) وقابها بـ (semelle -s)، ويقال في الفصحى: (النعل وجمعه نعال)، وهو الحذاء.

جدول يمثل كلمات عامية لها أصول في الفصحى⁽²⁾

العامي	الفصحى	العامي	الفصحى	العامي	الفصحى	العامي	الفصحى	العامي	الفصحى
استحق	احتاج	بطل	توقف	بغى	أراد	تلف	أضاع	جاب	أحضر
جاز	مر	حاجة	شيء	خون	سرق	زيادة	ميلاد	صحة	شكرا
طاب	نضج	قباح	أشرار	قرا	درس	مال	ماشية	ولّى	عاد

تعتبر هذه الكلمات من الفصحى المحرّف، حيث كانت تدلّ على معانٍ معيّنة في الفصحى ووظفها العامة للدلالة على معانٍ أخرى قريبة أو بعيدة، ومثال ذلك: كلمة (استحق)، وتعريفها في الوسيط « استحقّ الشيء والأمر: استوجبه، استحقّ الإثم، وجبت عليه عقوبته ». وكذا الفعل (بغى)، يقال: «...تجاوز الحدّ واعتدى، تسلّط وظلم». ⁽³⁾ يتبين من التعريفين السابقين أنّ المعنى الذي أفاده الفعلان في المعجم العربي مختلف عن المعنى المعبر عنه في العامية، وهذا ينطبق على سائر الكلمات الأخرى. كما أورد تراكيب قليلة، منها: (قلب الصدر)، التي تعني (فحص)، و(وجه البارود) بمعنى طلقة رصاص.⁽⁴⁾ بالنسبة للجملة الأولى، يمكن القول إنّها فصيحة إذا وردت في سياق، قلب الطبيب صدر المريض، بمعنى فحصه، أمّا الجملة الثانية فبعيدة نوعاً ما عن الفصحى.

¹ - Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p119, 125, 141, 143, 146, 150, 153, 155, 157, 158, 165, 166, 167.

² - ibid. p 116, 121, 124, 127, 128, 133, 140, 142, 147, 150, 159, 167, 171, 173, 174.

³ - ينظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (حقّق)، ومادة (بغى).

⁴ - Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p161, 173.

جدول يمثل نماذج لكلمات حرّفت حركاتها

بالخط العربي ⁽¹⁾	بالخط الفرنسي	بالخط العربي ⁽²⁾	بالخط الفرنسي
ارنب، ارانب	arneb pl.arâneb	بيضة ج بيض	bîd'â coll.bîd'
(بيع) يبيع	ibî'	تاجر ج تُجَار	tâdjêr, pl. todjdjâr
تكلّم	tkellem	ذيل ج ذيول	dhîl, pl.dhioûl
سُكّر	sokkor	مسجد ج مساجد	mesdjed, pl.msâjed

تمثّل هذه الكلمات نموذجا للتّغييرات الطارئة على هذه الكلمات، وهي كما يلاحظ القارئ الكريم لا تؤثر على بنية الكلمة، بشكل يخلّ بمعناها أو يبعدها عن الأصل، فهي من باب تسهيل نطق الكلمة فمثلا: كلمة (بيضة هي تسهيل لـ بيضة)، وكذلك كسر الذال في كلمة (ذيل) وأصلها (ذيل) وضمّ الكاف في كلمة (سُكّر)، والأصل هو الفتح (سُكّر)، وكذلك مع الفعل (تكلّم)، هناك عدول من الفتح إلى الضمّ وإن كان الفتح أسهل نطقا، والبدء بالسّاكن مع الفعل (يبيع)، الذي أصله (يبيع). ومعظم كلمات هذه القائمة، جاءت على هذا المنوال، بمعنى تغيير حركة حرف أو أكثر من حروف الكلمة.

كما تمّ تسجيل بعض الكلمات الفصيحة تماما، منها: (أثاث، أجساد، زبدة، أخبار، جيران، حوت دجاجة، رمانة، روح ج أرواح، ريشة، طين، قاضي ج قضاة، نظّارات...).⁽³⁾ هناك كلمات يمكن أن تكون من اجتهاد المستشرقين، لأنّها كلمات فصيحة لا يستعملها العامة عادة، مثل: (أنثى ج أناثي تلّ، جدي دجاجة، ساق ج سيقان...).⁽⁴⁾ إلّا أنّ ورودها على ألسنة العامة وارد، إذ يختلف تأثر الفصحى بالعامية من منطقة إلى أخرى، والملاحظة المسجّلة في هذا المقام هي أنّ المؤلّفين، قد أثبتا همزة وصل عوض همزة القطع، ويظهر ذلك عند الاطلاع على مقابله بالحرف اللاتيني، فمثلا: كلمة (اثاث) كتبت بهمزة وصل بالحرف العربي، وبدأت بحرف (athâth) بالحرف اللاتيني، وهذا ينطبق على سائر الكلمات.

2-2-2-المستوى العامي: يعدّ العامي الذي لا أصل له في الفصحى-في حدود العلم-قليلًا مقارنة بالكلمات الفصيحة، وإن كانت معظم هذه الكلمات الفصيحة محرّفة، إمّا صوتيا أو صرفيا أو دلاليا، ويبلغ حوالي أربعين ومائتي كلمة (240)، وسيضمّن الجدول الآتي نماذج لها.

¹- voir Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p116, 122, 124, 143.

²- ibid. p122, 123, 136, 167.

³- ibid. p 115,127, 131, 138, 139, 151, 159,171.

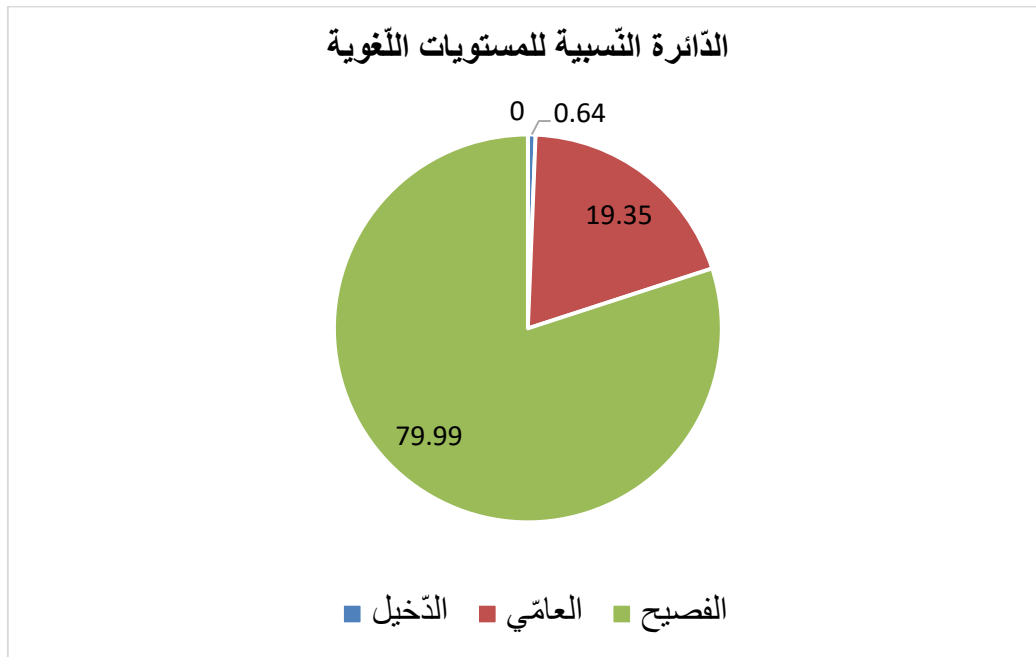
⁴- ibid. p118, 124, 125, 134, 140.

جدول يمثل كلمات لا أصل لها في الفصحى: * (1)

العامي	الفصحى	العامي	الفصحى	العامي	الفصحى	العامي	الفصحى	العامي	الفصحى
بَرَاب	كثير	تبسي	صحن	حباب	حلاق	خدمي	سكين	دار	فعل
زير	ضغط	ستف	رتب	شطب	حطب	صباط	حذاء	طُرْبَة	مضخة
عفون	أصم	غليلة	معطف	برطاس	أصلع	قلمونة	قبة	كاغط	ورق
مسيد	مدرسة	نو	مطر	هود	نزل	ولو	لا شيء	يشير	طفل

تضمن الجدول بعض النماذج للكلمات العامية، وهي كما يلاحظ القارئ الكريم، كلمات لا صلة لها باللغة العربية الفصيحة -في حدود العلم -.

2-2-3- المستوى الدّخيل: وردت حوالي تسع (09) كلمات من الدّخيل، وهي قليلة، مقارنة بما يُسجل في العامية المعاصرة، وهذا بديهي، لأنّ الجزائريين لم يحتكوا بعد بالمحتلّ الفرنسي آنذاك، بالشكل الذي يؤدي إلى تأثر لغتهم باللغة الفرنسية بشكل كبير، وهذه الكلمات، هي: (بلاصة، بشطولة، توموبيل زالاميت، طابلة، طربنطي، فرانك، قارو، كارطة)،⁽²⁾ مقابل بشطولة بالفرنسية هو (pistolet) وطربنطي بالفرنسية هو (turban)، أمّا الكلمات الأخرى فواضحة.



* في حدود العلم، تمّ الرجوع إلى معاجم عربية، ولم يعثر عليها.

¹ - voir : Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 120, 123, 132, 134, 140, 141, 145, 147, 154, 158, 161, 162, 168, 172, 174.

² -voir. ibid. p98, 120, 124, 139, 150, 157, 159, 162.

يعكس هذا الشكل، تفوق المستوى الفصيح بنسبة (79,99%). أما المستوى العامي الذي يغلب على الظن أنه بعيد نسبيا عن الفصحى، فنسبته أقل بكثير، وهي (19.35%). أما الدّخيل فنسبته تكاد لا تذكر. وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ هناك كلمات، يُحتمل أن يكون المستشرقان قد تأثّرا فيها باللّغة الفصحى، ولم تؤخذ من أفواه العامة. كما وردت بعض الكلمات بشكل مخالف لواقع الاستعمال، إمّا من حيث الدّلالة أو من حيث الحركات والحروف، وهو ما سيأتي لاحقا.

3- قضايا الوضع في المعجم:

3-1- الترتيب في المعجم: اعتمد المستشرقان في هذا القسم على التّرتيب الأبجائي، حيث افتتحاه بالكلمات التي تنطق بالهمزة، فالباء، وبعدها الهمزة والتّاء، فالثّاء، فالجيم فالحاء فالخاء، وهكذا إلى أن أتيا إلى حرف الياء. دُرِس باب الهمزة، وعدد كلماته هو خمس وتسعون (95) كلمة. ولكن المؤلفين يوردان الأسماء نفسها، تارة بصيغة المفرد، وتارة أخرى بصيغة الجمع، ولعلّ هذا ما أدى إلى التكرار في بعض المواضع، مثل الكلمات: (ارنب/ ارنب ج ارانب/ اسامي/ اسم ج اسامي/ امام ج ايمّة/ ايمّة)، حيث ذُكرت كلمة (أرنب) في الألف والراء والنون، وهذا ما حدث مع البقية، وقد يرجع هذا الخلل إلى عدم الالتزام بمنهج واحد مع الكلمات كلّها، ممّا أدى إلى ذكر هذه الأسماء في مواضع مختلفة.

وردت في الصفحة الأولى والثانية من المعجم العربي -الفرنسي، الكلمات الآتية: (ابرة ج ات/ ابليس/ ابيار/ ابيض م بيضا ج بيض/ اتي/ اثاث/ اجراح/ اجساد/ اجناس/ احباب/ احباس/ احبال/ احترم/ احجار/ اخمر م حمرا ج حُمُر/ احناش / اخُول م حَوَلا ج حُول/ اخبار/ أُخْت ج خواتات/ (اخذ) ياخذ/ اخضر م خَضُرا ج خُضِر/ اخوال/ ادّي/ أذن أذنين/ ارانب/ ارتعد/ ارزاق/ ارطال/ ارنب ج ارانب/ أرواح/ ازار ج ازور/ ازداد/ ازرق م زُرقا ج زُرُق/ اسامي/ اسباب/ استحقّ/ استحمّ/ استعمل/ استثنى/. اسرار/ اسفار/ اسم ج اسامي/ اسنان). ⁽¹⁾ رتّب المستشرقان الكلمات حسب الترتيب الأبجائي، وهو ما يعكس تأثرهما بالمعجم العربي.

¹ - voir : Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 115, 116.

جدول يمثل ظاهرة التكرار في المعجم

الكلمات	تكرارها	الكلمات	تكرارها
اوقات (ص 119)	وقت ج أوقات (ص 173)	احناش (115)	حنش ج احناش (ص 130)
ارنب (116)	ارنب ج ارانب (بعد 3 كلمات)	اسامي ص (116)	اسم ج اسامي (بعد 7 كلمات)

تعكس هذه الكلمات التكرار الذي جاء في المعجم، حيث ذكرت بعض الكلمات أكثر من مرة.

3-2- التّعرّيف في المعجم:

3-2-1- طريقة تعريف الكلمات: يلاحظ أنّ طريقة تعاملهما مع اللّغة العربية، تلزم منهاجا

موحدًا مع الكلمات كلّها؛ إذ لم يعتمد المؤلّفان المفرد إلاّ بنسبة ضئيلة، في حين أنّ معظم اللّغات -على الأقل بالنسبة للّغة الفرنسية- تذكر المفرد أولاً وتضع حرف (s) أمام الكلمة، أو أيّ رمز أو ملاحظة تناسب هذه الصّيغة، قد يرتبط الأمر بعدم إيجاد كلمات مفردة تبدأ بالهمزة، وهذا ما ألجأهما إلى صيغة الجمع. يبدو أنّ المعجم يسعى إلى تقديم الكلمات دون الاهتمام بشرحها، أو وضعها ضمن سياق يساعد المتعلم وهذه النماذج تبيّن ذلك.

جدول يوضّح طريقة إيراد الكلمات في المعجم ⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	الفرنسية	الفصحى
ابرة ج ات	ibra, pl.ibrât	aiguille	إبرة ج إبرات
ابيار	abiâr (pl. de bîr)	puits (pluriel)	آبار
ابيض م بيضا ج بيض	abiad', fém.bîd'â, pl.biod'	blanc- s	أبيض، بيضاء، بيض
اخذ (ياخذ)	iakhodh'	il prend	أخذ، يأخذ
أذن ج أذنين	audhen, pl.oudhnîn	oreille -s	أذن ج أذان
ارانب	arâneb (pl. de arneb)	lièvres	أرانب
اهل	ahl	famille	أهل

يعكس هذا الجدول طريقة المستشرقين في تقديم الكلمات، وقد ظلّا أكثر من طريقة من حيث المعلومات الواردة، فالكلمة الأولى، مثلاً ذكرت في صيغة المفرد، ثم وضع الحرف (ج)، علامة للجمع وبعدها وضع علامة الجمع المؤنث السالم. أمّا الكلمة الثانية فاكتفى بالجمع، وفي الكلمة الثالثة ذكر

¹ - voir Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p 115, 1116, 119.

المفرد ثم المؤنث برمز (م) ثم حرف (ج) للدلالة على الجمع، وهكذا.

3-3- مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

3-3-1- المستوى الإملائي:

3-3-1-1- مدى احترام نظام الكتابة المذكور: تقيّد المؤلفان بالحروف اللاتينية المقابلة

للحروف العربية التي افتتحت بها المعجم، رغم ما سجّل على بعضها. وردت بعض الهفوات المتعلقة بطريقة كتابة بعض الكلمات، إلّا أنّها قليلة، مثل كتابة الأفعال في صيغة الجمع بواو دون ألف التفرقة وبالمقابل ترد هذه الألف مع بعض الأسماء، ومنها: (هذوا)،⁽¹⁾ (ابفو على خير).⁽²⁾

جدول يمثل كلمات فيها خلل على مستوى الحروف⁽³⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	المقابل الفرنسي
بردعة ج برادع	barda ' , pl.brâda '	bât- s
ثُبسي ج تباسي	tobsî, pl.tbâsâ	assiette-s
جنحة	djenh'a (pl. de djenâh')	ailes
دليل ج دلايل	dalîl, pl.dlâîl	guide (masc)
روس	roûs(pl.de râs)	têtes
سميد، سميذ	semîd ou semîdh	semoule
تشينة، / شينة	tchîna	orange (fruit)
فنية ج فنين	genîna, coll.genîn	lapin-s

وردت بعض الكلمات بالحرف العربي أحيانا غير متطابقة مع تلك المكتوبة بالحرف اللاتيني فالكلمة الأولى، مثلا (بردعة) لا تتطابق مع (barda ')، ووردت كلمة (تشينة) في حرف التاء وتكررت في حرف الشين، إلّا أنّ مقابلها بالحرف اللاتيني بقي ثابتا. كما تنطق كلمة (تبسي) بالطاء، وكلمة (جنحة) أيضا ليست هي الجمع العامي المستعمل لكلمة (جناح)، وهذه الكلمة فصيحة حذفت همزتها (أجنحة)، والأمر نفسه مع (دلايل). أما كلمة (روس)، فيبدو أنّها اختصار لكلمة (رؤوس) الفصيحة التي ذكر عاميتها (ريسان) في موضع آخر. كذلك هناك خلل في كلمة (فنية) التي جمعها على (فنين)، وهو مخالف تماما لواقع الاستعمال، فكلمة (فنية) مؤنثة مفردة، وكلمة (فنين) مذكّر مفرد وليس كما ذكر

¹ - Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p8 .

² - ibid. p 31.

³ - ibid.p 120, 123, 126, 135, 138, 143,146, 161.

المستشرقان. وذكر كلمة (سميد) بالبدال فبالذال، والاستعمال الثاني موجود لدى الأمازيغ في حدود العلم ولا ينطقها العرب إلا بالذال.

جدول يمثل أمثلة للهفوات المطبعية⁽¹⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	المقابل الفرنسي
تشينة	tsemmâ (a)	appeler
تسمى	Tchîna	orange (fruit)
فد et رقد	rqed ou rged	coucher (se)
نافع	nâfa ‘	utile

وردت أخطاء مطبعية قليلة، ومما سجّل الخطأ في مقابلة الكلمات، إذ قوبلت كلمة (تشينة) بمقابل كلمة (تسمى)، ومقابل كلمة (تشينة) وضع بمحاذاة (تسمى). كما سقطت الراء من الفعل (رقد) إلا أنها أثبتت في المقابل بالخط اللاتيني، وكتبت كلمة (نافع) كلها مقلوبة، بُدئت الكلمة بحرف العين مقلوبا فالنون الممدودة مقلوبة، ختاماً بالفاء المقلوبة.

3-3-2- المستوى الصرفي:

3-2-1- تعاملهما مع الحركات والمدود والإدغام: وردت الحركات في بعض المواضع التي تستدعي ذلك في اعتقاد المستشرقين، ولم تظهر الحركات في مواضع أخرى كثيرة، وقد يُفسر هذا بظهورها في الكتابة بالحرف اللاتيني، مثل: (نجمة، نُقُرت، تيزي وَرُو، وَهْران، متيجة، تُركي، خُذْ).⁽²⁾ تبين هذه الكلمات الطريقة المعتمدة، إذ يُستغنى عنه تماما، وهذا مع معظم الكلمات، في حين يُكتفى بحركة واحدة أو اثنتين أو ثلاث، ونادرا ما تُشكّل الكلمة كلياً. لكن مجرد توظيفهما للحركات في بعض المواضع يدلّ على الاهتمام الذي يوليه المستشرقان للحركات، رغم صعوبة ذلك، ولاسيما في ذلك الوقت. تضمّن المعجم بعض الهفوات على مستوى الحركات، منها: (بوعلم)،⁽³⁾ التي تنطق عادة (بوعلام). و(مسعودة)،⁽⁴⁾ التي وردت الحركة فيها بطريقة مختلفة عن الاستعمال العامي، الذي يسكن حرف السين.

كما أورد بعض الحركات المخالفة للاستعمال العامي، والتي يُعتقد أنها تأثرت بالنطق الفرنسي

¹-voir: Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien.. p123, 137, 170.

² - ibid. p44, 50, 52, 132 .

³ - voir : ibid. p 39.

⁴ - ibid. p43 .

لهذه الكلمات، أو لغير ذلك من الأسباب، مثل: (قَصَب - qçab، قَطَّ - gat't'، لعب - la 'b). ومنها (مَخْدَة - mekhdda، واعر - ouâ'r، وقت اوقات - ouaqt-aouqât).⁽¹⁾ يلاحظ أنّ هناك مواضع التزم فيها المستشرقان بالنطق العامي، وأخرى تأثراً فيها بالنطق الفرنسي، وجاءت الحركات في مواضع أخرى مطابقة للفصحى.

جدول يمثل كلمات فيها خلل على مستوى الحركات⁽²⁾

بالحرف العربي	بالحرف اللاتيني	المقابل الفرنسي
جُرَّة	djorra, pl. djorrât	trace- s ; piste- s
طبَّال	t'fol, pl. at'fâl	garçon- s
عرض	'ared'	inviter
عسل	'asel	miel
غني ج غنيا	r'nî, pl.r'onia	riche- s
فُضَّة	fod' d'a	argent (métal)

يسجّل على مستوى الكلمات الواردة في الجدول، أنّ معظمها شكّلت بحركات لا تتطابق مع واقع الاستعمال -في حدود العلم- فالشائع هو (جُرَّة)، وليس بالضمّ، وكذلك الأمر مع الكلمات (طبَّال) و(عَرْض)، و(عَسَل)، (فُضَّة)، إلّا أن يكون استعمالاً خاصاً بمنطقة معينة في الجزائر، وهو ما ينطبق على كلمة (غُنيا) التي قد يُفهم منها أغنية، وهما يقصدان بها (أغنياء).

أمّا الإدغام فقد التزم به، مع معظم الكلمات إلّا ما ندر، مثل: (بطل) الذي قابله بالحرف اللاتيني ب (bet't'el)، مع العلم أنّ الكلمة دون حركات غامضة، إذ يمكن أن تقرأ (بَطَل) من البطولة، أو من الباطل، وغيرها من الاحتمالات. وسجّل عدم التّطابق بين الكلمة المكتوبة بالحرف العربي، وتلك المكتوبة بالحرف اللاتيني، في: (كَيْل - kiyel)، فالأولى ورد فيها حرف الياء بالتّضعيف، والثّانية دون تّضعيف والأصل أن تكتب الكلمة بياءين. وكذلك المدود وردت بطريقة صحيحة، مثل: (صيام - çîâm، سور - çoûr يصير - içîr).⁽³⁾ تعكس هذه الأمثلة وغيرها، تمكّن المستشرقين من طريقة توظيف المدود. تميّزت كلمات هذه المجموعة، بكونها مطابقة للكلمات الفصيحة على مستوى البنية من حيث عدد حروف الكلمة

¹ -Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien ibid. p160, 165, 166 , 173.

² - ibid. p, 125, 151, 153, 156, 158.

³ - voir ibid. p149 .

وترتيبها، ويكمن الاختلاف في البدء بالسّاكن أو تغيير في حركة حروف الكلمة منها، ما يأتي.

3-2-2- تحريف الحروف: تعكس هذه الكلمات تصرّف العامة في بنية الكلمة إمّا بإبدال

حرف بآخر، أو بالزيادة والنقصان أو بالحذف.

جدول يمثل نماذج لكلمات حرّفت بإبدال حرف بآخر⁽¹⁾

الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل
بقر	بقر	بنّاي	بنّاء	تاي	شاي
جيعان	جوعان	ذبّانة ج ذبّان	ذبابة ج ذباب	ساعاجي	ساعاتي
سجرة	شجرة	سال	سأل	سنسلة	سلسلة
صمّر	سمّر	فاكية	فاكهة	أفوام	أفواه
فنجال	فنجان	لفعى	أفعى	لقى	لقي
موسّخ	متّسخ	ناض	نهض	انصاص	أنصاف

يمثّل هذا الجدول نماذج لكلمات حلّت فيها حروف محلّ أخرى، وهذا بفعل مقتضيات العامية التي توظّف حرفاً معيّناً دون الآخر، وأكثر الحروف هي حرف القاف الذي يقابله في العامية حرف (الفا) بالإضافة إلى الحروف الأخرى الواردة، حيث اختير مثال لكل نوع، ويمكن التّوصّل إليها بالعودة إلى الكلمة المسجّلة أمامها، فمثلاً كلمة (بنّاي) حلّ فيها الياء محلّ الهمزة، فالأصل هو (بنّاء) وهكذا.

جدول يمثل تغيير بنية الكلمة بقلب الحروف والزيادة والنقص⁽²⁾

الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل
ازور	إزارات	جوايه	جهات	حيلي	محتال
خاوة	إخوة	دواوات	أدوية	ريسان	رؤوس
سبولة	سنبله	سمش	شمس	سوايع	ساعات
عوايد	عادات	قلومة	أقلام	ويدان	وديان

طراً على الكلمات الواردة في الجدول تغييرات تتعلّق بترتيب حروفها، وبالزيادة والنقصان أحيانا أخرى، فمثلاً: كلمة (ويدان) حدث فيها قلب مكاني، فالأصل هو (وديان)، وكذا كلمة (قلومة) حدث تغيير في بنية الجمع من (أقلام) إلى (قلومة)، حيث حذفت الهمزة من أوّل الكلمة، وزيد حرف الواو بعد

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p121, 123, 127, 136, 140, 141, 142, 144, 148, 157, 158, 165, 170, 171.

² —voir ibid. p1 16, 126, 131, 135, 138, 141, 143, 144, 155, 161, 173.

اللام والتاء بعد الميم، وكلمة (حيلي) أيضا تعرضت للحذف والزيادة، إذ بمقارنة الكلمة بالأصل (محتال) يتّضح أنّها حرّفت بأكثر من ظاهرة، وقد تكون نسبة إلى (حيلة)، بحذف تاء التأنيث وإضافة ياء النسبة.

جدول يمثل تغيير بنية الكلمة بالزيادة (1)

الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل
اجراح	جراح	خواتات	أخوات	اذنين	آذان	اكباش	كباش	انجاصة	إجاصة
ببيان	أبواب	بعاير	بعير	خروبة	خروب	خشين	خشن	خضرة	خضر
راجل	رجل	رعيان	رعاة	زريعة	زرع	ساهر	سهل	قبورات	قبور

يتّضح من خلال الجدول أنّ الكلمات رغم الحروف الداخلة عليها، إلّا أنّها لم تفقد دلالتها، وهي زيادات متنوعة، بعضها بزيادة الهمزة في بداية الكلمة مثل: (جراح) التي صارت (اجراح) و(زرع) تحوّلت إلى (زريعة)، وهنا دخل حرفا (الياء والتاء) على الكلمة، كذلك الأمر بالنسبة إلى كلمة (قبورات)، التي دخلت عليها (الألف والتاء)، وبالنظر إلى الأصل، تظهر الحروف الزائدة في الكلمات الأخرى.

جدول يمثل تغيير بنية الكلمة بالحذف (2)

الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل	الكلمة	الأصل
جاجة	دجاجة	شتا	شتاء	طاع	أطاع
طُبا	أطباء	غيب	غابات	فواكي	فواكه
مسامر	مسامير	ميد	موائد	نص	نصف

يُلاحظ أنّ الحذف عادة ما يحدث على مستوى بداية الكلمات وآخرها، وأكثر ما يحذف هي الهمزة أو أيّ حرف آخر مثل كلمة (جاجة) التي حذفت منها حرف الدال، وكلمة (شتا)، التي حذفت منها الهمزة في آخر الكلمة، وكذلك (طبا) التي حذفت منها الهمزة في الأوّل والآخر، وأصلها (أطباء) كما قد يحدث الحذف في وسط الكلمة، مثل: (ميد).

¹— Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p115,116, 118,121, 122, 132,133,136,139,141,159.

² — voir: ibid. p125, 145, 150, 156, 158, 167, 170, 171.

3-3- المستوى الدلالي:

جدول يمثل كلمات عامية غامضة (1)

المقابل الفرنسي	بالحرف اللاتيني	بالحرف العربي
tente-s	bît-cha 'r, pl.bioût cha 'r	بيت شعر / ج بيوت شعر
porte-monnaie	tezââm, pl.tzâdem	تزدام
plaindre (qqn)	h'enn 'lâ	حنّ على
secret (adj)	Khâfî	خافي
bête de somme-s	Zâila, pl .zouâil	زايلة
il naît	zdâd	يزداد
Fontaine	sebbâla, pl .sebbâlât	سبالة
gras (adj.)	smîn, fém.smîna, pl.smân	سمين مة ج سمان
éperon-s	châbîr, pl.chouâber	شابير
lèvre-s	châreb, pl.chouâreb	شوارب
clair, pur	çâh'î	صاحي
musette-s, sacoches	'mâra, pl. 'mârat	عمارة ج ات
Famille	'aïâl	عيال
voyage-s	msâfra, pl.msâfrât	مسافرة ج ات

تضمّن الجدول كلمات غامضة أو ليست معروفة، وهي: (بيت الشعر، تزدام، شابير، عمارة) أمّا كلمة (زايلة)، فهي كلمة قبائلية، وليست عربية، -في حدود العلم- كما قابل الكلمات: (خافي، يزداد سبالة، عيال، مسافرة) بمقابلات غير دقيقة، كما ذكرت معان بعيدة لـ: (حنّ على، سمين، شوارب صاحي). فمثلا عبارة (حنّ على) مقابلها هو (être tendre) أو (doux) أي عكس ما ورد تماما. تبين بعد الاطلاع على العمل، وتتبع صفحاته، أنّ المؤلفين قد ذكروا معظم الكلمات التي قد يحتاجها المتكلم في تعاملاته المختلفة، بدءا بالأدوات وصولا إلى الكلمات، وقد أشير في بعض المواضع القليلة إلى بعض التراكيب المختصرة.

¹ - Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien .p122, 123, 125, 130, 131, 139, 141, 146, 147, 152, 155, 167.

4- اللغة العربية في معجم المستشرقين:

4-1- رؤية المستشرقين إلى اللغة العربية من حيث مستويات التحليل والاستعمال: لم يُعثر

على مراجع أخرى غير المعجم تساعد في تحديد رؤية المستشرقين: (بيريس ومانيون) حول اللغة العربية ولهذا تمّ استنتاج هذه المدونة، بتتبع طريقة تعاملهما مع هذه اللغة، حيث سُجِّل ميلهما إلى استعمال الفصحى في مواضع كثيرة، فمثلاً: ذُكر الضميران: (أنتم-أنتما).⁽¹⁾ علماً أنّهما اكتفيا بـ(أنتم)، في الضمير المكتوب بالحرف اللاتيني، والعامّة يوظّفون عادة ضميراً واحداً هو (انتما) للمثنى والجمع على حدّ السواء وعند كتابة بعض الأسماء، وردت بالكتابة العربية فصيحة، وبالكتابة اللاتينية عاميّة، مثل: (وخذّه)، التي كتبت بالخطّ اللاتيني (wah'dou)، و(رُح) قابلها بـ(roûh)، والأسماء: (الحسن، الأخضر، الاكحل) ورد مقابلها: (Lah'san, L'akhd'ar, L'akh'al).⁽²⁾ كما وردت تعابير كثيرة فصيحة، مثل: (هو بنفسه هي بنفسها)، مع أنّهما ذكرا العبارة المستعملة بالعامية: (هي بروحها، ما اجمل، ما احسن)،⁽³⁾ ووردت بالخط اللاتيني بالفصحى، وأحياناً، يشيران إلى الفصحى بين قوسين، مثل: (mah'akma pour mah'kama)، و(mdersa (pour madrasa)).⁽⁴⁾ وهذا التّخصيص يمكن تفسيره، بميل المستشرقين إلى الفصحى، وإلاّ ما أوردوا الكلمة الفصيحة، وقد ألفا عملهما في إطار العاميّة الجزائرية.

كذلك كلمة (رخيص)⁽⁵⁾ الواردة بالصّاد رغم أنّ العامّة ينطقونها عادة (بالسين)، وكلمة (حرام-h'arâm)، التي يفتتحها العامّة بالسّكون (حرام).⁽⁶⁾ كما أشارا إلى قواعد موجودة في الفصحى، مثل: (الإدغام)، حيث ذكر الحروف الشّمسية التي تدغم عند دخول ال التعريف عليها، وكذلك الأعداد وردت بلغة فصيحة، باستثناء بعض المداخل التي حدث فيها حذف أو إبدال حرف.⁽⁷⁾ وسبقت الإشارة إليها.

لكن سُجِّل بالمقابل تأثر المستشرقين ببعض القواعد الفرنسية، التي أُسقطت على اللغة العربية مثل الأفعال الدّالة على قيام الشّخص بالفعل بنفسه، والذي تخصّص له الفرنسية صيغة خاصة تسمى (verbes pronominaux)، مثل: (تغسل روحك) بالعاميّة، وبالفرنسية (tu te laves).⁽⁸⁾ من الواضح أنّ

¹ - voir: Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p8.

² - ibid. p23, 32, 49.

³ - ibid. p11, 31.

⁴ - voir: ibid. p35.

⁵ - ibid. p21.

⁶ - ibid. p85.

⁷ - ibid. p16, 17.

⁸ - ibid. p10.

هذه الصيغة دخيلة. بالإضافة إلى محاولة المقابلة بين نظام التعريف والتكثير،⁽¹⁾ في اللغة الفرنسية واللغة العربية، وهما نظامان مختلفان تماما، وهو ما أوقع المستشرقين في خلط كبير، فالفرنسيون يوظفون أدوات ترافق الأسماء تجعل منها نكرة أو معرفة، مثل: (la, le) للتعريف، (un, une) للتكثير. أمّا اللغة العربية فلا يوجد فيها هذا النظام، فالكلمة تعرّف بالألف واللام أو بالإضافة، وإذا سقطت هذه العلامات تكون الكلمة نكرة، وهذا ما نتج عنه تأثر المؤلّفين بالفرنسية. وتكرّر هذا الأمر في مواضع أخرى، مثل: مقابلته للفعل المساعد الفرنسي (avoir) بالظرف (عنده مع الضمائر) و(être) بالفعل الناقص (كان)،⁽²⁾ وقد حدث أيضا خلط كبير على مستوى هذا النظام. ومن خصائص اللغة الفرنسية التي نقلها المستشرقان إلى العامية، هي كتابة الحرف الأول من أسم العلم بحرف كبير (majuscule)، مثل: (Mekka, Al-Madina,) (Mzabî, Meslem).⁽³⁾ مع الإشارة إلى أنّ كلمة (Meslem) وردت في موضع آخر بطريقة عادية (meslem). كما سجّل البحث سقوط كلمة (مسلم) من القسم عربي-فرنسي، في حين وردت في القسم فرنسي-عربي.⁽⁴⁾ قد يكون الأمر سهواً.

تتفرد العاميّة أحيانا ببعض الخصائص التي لا توجد لا في العربية الفصحى، ولا في الفرنسية مثل: (الأسماء الموصولة)، إذ تكتفي العاميّة باسم واحد في جميع الحالات، وهو (اللي) عكس الفصحى التي تتضمن اسما للمفرد والمنتى والجمع وللمؤنث وللمذكر، وهي: (الذي، التي اللذان، اللتان، الذين اللواتي...). كما سجّل في بعض المواضع عدم التّحكّم في العاميّة، مثل كلمة (خب)، التي قابلها بـ (avancer)، والخلط بين كلمتي (عشاء)، و(عشاء)، حيث قابل (عشا) بـ (heure de souper)⁽⁵⁾ وفي اللغة العربية هناك فرق بين الكلمتين. يقال: (العيشا بالكسر لصلاة العشاء، ولعشا بالفتح للأكل ليلا). ومن العبارات، (ما كان حاجة) التي قابلها بـ (ça m'est égal)، و(ما عليه ش) قابلها بـ (peu importe!).⁽⁶⁾ أمّا العبارة المقترحة، فهي (ما عندي حاجة) للأولى، والثانية بعيدة تماما عن المقابل الفرنسي، وهو ما قد يعكس عدم فهم المستشرقين للعبارتين فهما دقيقا. وهذا يعني أنّ المستشرقين يضمنان أحيانا كلمات أو عبارات لا يعرفانها، أو أنّهم لم يستوعبوا معناها بشكل دقيق.

¹ - Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p11 .

² - ibid.p13 ,14.

³ - ibid. p 35.

⁴ - voir :ibid. p93 .

⁵ - ibid.p18 .

⁶ -ibid. p 18.

ما يستخلص من تتبّع عمل المستشرقين، هو ميلهما إلى اللّغة العربية الفصحى في مواضع كثيرة وهذا الأمر قد يرجع إلى أسباب، قد يرتبط بعضها بالمصادر التي تعاملها معها. فالكتب العربية (التّراث العربي)، كما هو معلوم مكتوبة بالفصحى، والكتابة بالعاميّة ظهرت لحاجات دينية وسياسية، وبعدها هناك من برّرها بتقدّم اللّسانيات، وظهور المنهج الوصفي الذي يدعو إلى الاهتمام باللّهجات على حساب اللّغات المكتوبة.

جدول يمثّل التّأثير بالفصحى لدى المستشرقين (1)

بالحرف العربي	بالحرف اللّاتيني	المقابل الفرنسي
أحناش	ah'nâch pl. de h'nch	serpents
ارتعد	erta 'ad	trembler
أفعى ج افاعي	af 'â, pl.afâ'î	vipère-s
جذب	djebedh	tirer
حرّك	h'arrak	remuer
حرير	h'arîr	soie
حيلة	h'îla	ruse
(ذوق) يذوق	idhoûq	il goûte
طرّد	t'erred	chasser (renvoyer)
عرجون ج عراجين	'ardjoûn, pl. 'arâdjîn	régime (grappe)-s

قدّم هذا الجدول نماذج للكلمات الفصيحة التي وردت في المعجم، وللقارئ أن يتأمّل هذه الكلمات: (أحناش، ارتعد، أفعى، حرّك، حرير، عرجون ج عراجين، طرّد، جذب حيلة (ذوق) يذوق)، ما يلاحظ هو تطابقها مع النطق الفصيح، وعادة ما ينطقها العامّة بشكل مختلف عمّا هو وارد في المتن، مثل: الفعل (طرّد) الذي يستعمل العامّة عادة أفعالا أخرى للدلالة على معناه، كذلك الفعل (جذب) موجود في الفصحى لكن العامّة ينطقون الذال دالا، (جبد)، كما سجّل المستشرقان تاء التأنيث المربوطة في آخر كلمة (حيلة) مع أنّها لا تنطق في العاميّة، ولم تكتب في المقابل المكتوب بالخطّ اللاتيني، حيث انتهت كلمة (h'îla) ب (a). كما تكرّرت ظاهرة وضع الجذر بين قوسين قبل الفعل المصرّف، أحيانا يصيبان وأحيانا لا، مثل: (ذوق، يذوق)، كذلك مع الفعل (رتعد، يرتعد) إذا كان المستشرقان يقصدان الماضي، فالأصل هو كتابة (ارتعد). أمّا إذا كانا يقصدان الجذر، فالصواب هو (رعد)، فالكلمة على وزن (افتعل). كما قوبلت

¹—voir Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien. p115, 116, 117, 125, 128, 131, 136, 150, 153.

الكلمات: (حبل ج حبال، احبال) بمقابلين اثنين بالحرف اللاتيني، للأول والثاني. أما الكلمة الثالثة فلم يورداها، وهذا أيضا قد يكون تأثرا بالفصحى. وهذا أمر قد يعكس إمّا إعجاب المؤلفين بالفصحى أو أنّ السبب يتمثل في المصادر المعتمدة.

4-2- رؤية المستشرقين إلى اللغة العربية من حيث نظام الكتابة: يبدو من اللغة التي كتب بها المعجم أنّ المستشرقين قد تأثروا بالمنهج الوصفي، إذ حاولوا نقل اللهجة الجزائرية، كما هي في الواقع، وركزوا كثيرا على ألفاظ وعبارات التواصل، وإن كانت بعض الكلمات الواردة، تعكس تأثرهما باللغة الفصحى بدرجة كبيرة مثل: (ها هي، ها هم، أنا بنجسي، هو بنجسه...الجميع).⁽¹⁾ كما أنّهما تأثروا بالمنهج التاريخي الفيلولوجي عندما أشارا إلى أصل بعض الكلمات المقترضة من اللغة الفرنسية والرومانية.

4-2-1- نظام الكتابة في معجم بيريس ومانيون: كتب هذا المعجم بالخط العربي واللاتيني، قد يرتبط الأمر بتيسير الاستفادة منه للفرنسيين.⁽²⁾ افتتح المؤلفان العمل بقائمة الصوامت والصوائت الطويلة (les consonnes et les voyelles longues)، ثمّ انتقل إلى الصوائت القصيرة (الحركات)، (les voyelles brèves)، ستعرض فيما يأتي:

جدول يمثل (النقحة) (prononciation et translittération)

بالعربية	اللاتينية	بالعربية	اللاتينية	بالعربية	اللاتينية	بالعربية	اللاتينية
ا	â	ر	r	غ	r'	و	ou ou w
ب	b	ز	z	ف	f	و	ouw
ت	t	س	s	ف	q	ي	i,y,i,(précédé de a).
ث	th	ش	ch	ف	g (dans tous les cas, même suivi d'une voyelle e ou i).	ي	iy
ج	dj	ص	ç	ك	k	ى	â
ح	h'	ض ظ	d'	ل	l	ة	a, at ou et (à l'état construit).
خ	kh	ط	t'	م	m	ال	el-(avec assimilation)
د	d	ظ ض	d'	ن	n	ه	h
ذ	dh	ع	'				

يلاحظ أنّ المستشرقين، حاولوا الإحاطة بالحروف العربية، إلا أنّ هناك حروفا عربية تقابل بحرف

¹⁻ Peres, Henri. Mangion, Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien... p 9,12 .

²⁻ ibid. p6.

واحد بالكتابة اللاتينية، وحروفا تقابل بحرفين مختلفين بالكتابة اللاتينية، مثل: حرف (ض) و(ظ) الذي يقابله الشكل (d')، والواو الذي يقابله (w) تارة و(ou) تارة أخرى. وحرف (ي) قد يقابله (i)، (ï)، (y). وهذه الحروف مسبوقة بحرف (a). هذه الحروف الكثيرة، قد تعكس الصعوبة التي وجدها المستشرقان عند قيامهما بالنقحرة، ومحاولة إيجاد حرف لاتيني لكل حرف عربي. كما يلاحظ القارئ أنّ حرفي (الضاد والطاء) شكلا عائقا لهما، واكتفيا بمقابل واحد. وهذا من شأنه أن يشوّش على اللغة العربية وكلماتها، إذ يختلف المعنى تماما، ولاسيما في بعض الكلمات، فمثلا الكلمتان (ضلّ، ظلّ) معناهما مختلف، فالأولى من الضلال ضد الهداية، والثانية معناها البقاء في مكان واحد.

جدول يمثل الصّوائت القصيرة (الحركات) (les voyelles brèves): ⁽¹⁾

i, e	—	o, ou	ُ
		e, a	َ

ما يُلاحظ أنّ المستشرقين أوردوا الحركات الثلاث: (الضمة، الفتحة، الكسرة)، ولا أثر لعلامة السكون رغم أنّهما وظفاها في كلمات كثيرة، وقد يكون هذا لكون السكون، لا تعبّر عن حركة، عكس الحركات الأخرى التي تعبّر عن حالات متحركة للحرف، إلاّ أنّه لا بدّ من الإشارة إلى السكون بوصفها من العلامات التي تعيننا على نطق الحرف وتؤثر في المعنى. خصّص المستشرقان ثلاثة أعمدة في معجمهما، حيث كُتبت الكلمة من اليسار إلى اليمين بالفرنسية فبالعربية بخطّ لاتيني، والعمود الثالث كُتبت فيه الكلمة بالخطّ العربي. لم يُعثر على مراجع أخرى للمستشرقين، ولهذا اكتفي بعملهما المدروس، وهو ما وضح توضيفهما للخطّ العربي إلى جانب الخطّ الفرنسي لكتابة الكلمات العربية، وما فهم من هذا، أنّهما لا يدعوان إلى الكتابة بالخطّ اللاتيني، وإنّما وظّف للضرورة، لتسهيل استعمال هذا المعجم المصغّر على الفرنسيين، فقد سبق العلم أنّ العمل له أهداف كثيرة، ومن أهمها التّواصل مع الجزائريين، وبما أنّ الفرنسيين؛ بل معظمهم يجهلون الحروف العربية، فإنّ السبيل إلى فهمه هو توظيف الخطّ اللاتيني.

¹- Henri Peres et Paul Mangion. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien.... p6.

المبحث الثاني: تحليل معجم مدخل إلى العربية المغاربية لميشيل قيطوط

1-التعريف بالمعجم:

1-1-1- المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1-1-عنوان المعجم: (INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN

(vocabulaire bilingue)⁽¹⁾: لصاحبه المستشرق ميشيل قيطوط، ورد هذا العنوان باللغة الفرنسية، وهو يشمل من خلال تسميته العاميات المستعملة في بلدان المغرب العربي. ولعلّ أهم ملاحظة مسجلة، هي اكتفاء المؤلف بالعنوان باللغة الفرنسية، رغم أنّه كما هو واضح، ثنائي اللغة وترجمته، هي: (مدخل إلى العربية المغاربية معجم ثنائي).

1-1-2- النشر: أصدرته دار هرمانتان (Harmattan) بفرنسا، سنة 2004م.

1-2-1- المعلومات الواردة في بداية المعجم:

1-2-1-1-مقدمة المعجم: افتتح المعجم بقائمة المختصرات والرموز، إلا أنّه اكتفى بكتابتها كاملة

دون إيراد الرموز التي تقابلها؛ قد يكون الأمر سهواً، أو أنّها سقطت عند الطباعة. مثل: (élément facultatifs ou explicatifs)، وعددها تسعة عشر (19) مصطلحاً، شرع بعدها بالتقديم (présentation).⁽²⁾ وهو ما سيأتي.

1-2-2-1-الاتفاق حول نظام الكتابة:⁽³⁾ وضح للقارئ أنّه، لتسهيل فهم الكلمات ستستعمل

المطاط، للفصل بين الاسم وأداة التعريف، مثل: (السّماء, es-sma)، وبين الفعل والضمير المتّصل به: (أكله-h kla). وبين الفعل وأدوات النفي لم (أذهب-ma-ruht-š). والأفعال مصرّفة مع الضمير المفرد الثالث في الفرنسية. (ضمير الغائب "هـ" في الماضي)، مثل: (بدأ، bda)، ويجب التنبيه إلى نقطة أخرى تتعلق بالضمير (هو/ il) الذي سيكتب بحرف (i) أمام كلمة تبدأ بصامت (ilāgi / يلتقي). (ilāgi / ينادي) أو (ye) إذا بدأ بصامت طويل أو صامتين. (yeddi يأخذ. يجري / yejri). كذلك لن يسجل حرف (e) في مواضع، مثل: (بدأ الحياة yebda el-hayat yebda l-hayat)، ويبدو أنّ هذه القاعدة

¹-voir : Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN vocabulaire bilingue. Paris, l'Harmattan, 2004.

²-voir : ibid. p5.

³-ibid. p9.

لها علاقة بقواعد الفرنسية التي لا يلتقي فيها صائت أداة التعريف والصائت الأول للكلمة بعده.

1-2-3- منهج إيراد الكلمات: بالنسبة لطريقة إيراد الترجمة، فوضّح الأستاذ ميشيل قيطوط أنه

سيحاول في كل مرة تقديم الكلمات المستعملة في البلدان الثلاثة المعنية: (المغرب، الجزائر، تونس) والتي يرى أنها لا تتغير في معظم الأحيان، فالمعطيات اللسانية الاجتماعية متداخلة بسبب النّزوح الريفي ووسائل الإعلام: (الإذاعة، التلفاز، الجرائد)، والتّمدّس، والاحتكاك مع لغات أخرى: (العربية الفصحى والبربرية والفرنسية، والإسبانية والإنجليزية). رغم وجود لغة عامة تضمّ مجموعات لسانية، إلا أنّ الخصائص الصوتية والمعجمية، سواء أكان بين البلدان الثلاثة أم في البلد الواحد تكشف مباشرة الانتماء الجهوي أو الوطني للمتكلم، وهذه الميزات مفهومة عادة لدى الجميع، ولكن في الاستعمال، هناك اختيارات مختلفة في النطق والكلمات.

ثمّ ينبّه القارئ إلى اعتماده ثلاثة حروف: (M) (A) (T)، حيث يرمز الحرف الأول إلى المغرب والثاني إلى الجزائر، والثالث إلى تونس. تختلف هذه اللهجات (Dialectalisation) حسب درجة الاقتراض من اللغات الأخرى، وكذا حسب عمق صلتها بالعربية الفصحى، ويقدم المؤلف نماذج لبعض الكلمات وكيفية نطقها في البلدان الثلاثة مثلاً: (الكلمة الفرنسية automobile) اقتضت في الجزائر تحت اسم (luto)، وفي المغرب الأقصى (tunubil)، أما في تونس فيفضلون (kherba، électricité...) ويصرّح بأنّ الترجمة قد تبدو في بعض الأحيان ركيكة، وهذا للمحافظة على التوافق بين اللغتين، وبالنسبة للموضوعات، فهي مستقلة، يجمعها نوع من الوحدة في المعنى، وجاءت على شكل أعمدة (rubriques). يُسبق كل عمود بحرف لاتيني كبير (majuscule)، تتدرج ضمنه قائمة من الكلمات، وبعدها تتبع بفقرة تبدأ بذلك الحرف، حيث يوظّف بعض الكلمات الواردة ضمن سياق يساعد على فهم معناها ولتمييزها كتبت بخط سميك. ثمّ يسجّل أنّه لم يوظّف منهجية لسانية، بالمعنى التقليدي للكلمة؛ بل هو مجرد أداة للتعلّم الذاتي موجّه إلى طبقة متوسطة من المتعلّمين، (طلبة أو متخصصين)، كما يهدف إلى مراجعة واكتساب المفردات اللازمة والضرورية في التّواصل والتّعبير، ويمكن الاستفادة من هذا الكتاب بطريقة عسامية، باعتماد وتيرة معينة دون صعوبة.*

*« c'est toute cette richesse que tente d'aborder ce lexique de l'arabe dialectal maghrébin qui n'est point, notons- le, une méthode de langue au sens classique du terme, mais un outil d'auto-apprentissage destiné à un public d'apprenants moyens étudiants et professionnels».

المراجع المذكورة:

- Beaussier, m. dictionnaire pratique arabe-français, la maison des livres. Alger. 1958.
- Caubet, d. l'arabe marocain syntaxe et catégorie grammaticale tome 1 + l'arabe marocain phonologie et syntaxe. 1993.
- Marçais, 1957, les parles arabes initiation à l'Algérie + esquisse grammaticale de l'arabe maghrébin 1977.
- Harrell richard slade, a dictionary of moroccan Arabic.

قدّم المؤلف قائمة بالمفردات الفرنسية في ملحق، وهي مرتّبة ترتيباً ألفبائياً. حيث قابل الكلمة بصّفحتها في المتن، والتي تجاوزت ثمانين وسبعة آلاف (7080) كلمة، وختم كتابه بفهرس الموضوعات.

1-3-3- تصنيف المعجم:

1-3-3-1- معجم للناطقين بلغة الشرح: بيّن صاحب المعجم أنّه يتوجّه بهذا العمل إلى الفرنسيين وإن عبّر عن إمكانية استفادة العرب منه لتعلّم الفرنسية. تتمثّل لغة المتن في العاميّة، ولغة الشرح هي الفرنسية، «يتوجّه هذا الكتاب بالدرجة الأولى إلى القارئ الفرنسي (francophone)، ويمكن أن يستفيد منه القارئ العربي (Arabophone) الذي يريد تعلّم الفرنسية، ولاسيّما المغاربة والشّباب من أبناء المهاجرين».⁽¹⁾ وهذا واضح في العمل، فالتّقديم والإرشادات باللّغة الفرنسية، وقد طُغت الفرنسية عليه. بالإضافة إلى تفضيل الخط اللّاتيني، وإقصاء الخطّ العربي. يشير إلى الاحتكاك الدائم بين اللّغة العربية والفرنسية عبر هذا المعجم الثنائي، وكذلك عبر التّعابير اليومية والأمثال التي جمعها بنفسه، والتي تسمح للمتعلم بأن يتحقّن بطريقة عصامية، كما أنّه لم يغفل الجانب الثقافي المغربي في هذا العمل.⁽²⁾ وهو ما يهمّ بعض الفرنسيين.

1-3-3-2- معجم للفهم: يعتبر هذا العمل معجماً للفهم، حيث يقف الأجنبي على الكلمة العامية ليفهم معناها من خلال هذا المعجم، ولكن المستشرق أشار أيضاً إلى هدف آخر، هو التّعبير، يقول: «سيحقّق للفنّين تحكّماً عملياً للتواصل الشفوي اليومي»⁽³⁾، حيث عمل على توظيف بعض الكلمات في سياقات حقيقية وعفوية، ومن خلال أمثال وحكم، ليسهل على المتعلّم عملية استعمال هذه الكلمات في التّعابير التي يحتاجونها، وسترد نماذج لذلك في موضع لاحق.

¹ – voir Quitout, Michel INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN vocabulaire bilingue. p6.

² - ibid. p5.

³ - ibid. p6.

1-3-3-معجم للغة المنطوقة: ينصبّ اهتمام البحث بالدرجة الأولى على اللغة الموظفة في

المعجم، والمؤلف لم يأل جهداً لتذكير القارئ، في كل مرة، أنه سيهتم باللهجة المغربية، التي أهملها أهلها (في نظره). وسيتتبع البحث تعامل المؤلف مع اللهجات الثلاث في هذا الكتاب، وقد أعلم القارئ أنّ الأمثلة أو الجمل التي ستوظف فيها بعض الكلمات ستنتهي إلى اللهجة المغربية: «تجنباً لاختلاط اللهجات المغربية، قررنا الانطلاق بالنسبة لهذه لجمل، من اللهجة المغربية».⁽¹⁾ يعكس هذا الكلام الاختلاف بين اللهجات الثلاث.

1-3-4-معجم دلالي: اعتمد الأستاذ قيطوط طريقة الحقول الدلالية، لإيراد المادة التي اختارها، وذلك

على شكل أبواب أو حقول بعناوين مختلفة، تقترب طريقته من طريقة المستشرق شارل بيللا، من حيث المنهجية مع وجود اختلافات جوهرية بينهما.

1-3-5-معجم عام: تناول هذا المعجم معظم مجالات الحياة التي يحتاج إليها المتعلم، ولم

يقتصر على فئة معينة، أو على مجال ما، وهذا ما يجعله مصنفًا ضمن المعاجم العامية العامة، وقد أثبت في نهاية كل فصل مجموعة من التعابير اليومية والأمثال والحكم، قال: « وذلك لوضع القارئ في الجو الثقافي للمنطقة المعنية. (الأدب الشعبي)، كونه وسيلة جيّدة لولوج العالم الرمزي والثقافي للشعوب الذي نرجو استشارة زيادة الاهتمام به».⁽²⁾ وهو ما يؤكد رغبة المستشرق في الإحاطة باحتياجات المتعلم.

1-3-6-معجم بالنقحرة (كتابة العربية بالحرف اللاتيني): لم يرد هذا التصنيف لدى اللغوي علي

القاسمي، وهو اعتماد الحرف اللاتيني لكتابة اللهجة العربية. أو بتعبير آخر اقتراض الحرف من لغة لكتابة لغة أخرى بذلك الحرف، مثلما هو الحال في هذا المعجم. وعكس المستشرق دانيال كرزا، فإنّ ميشيل قيطوط، لم يشر هنا إلى هذا الأمر، وكأنّه بديهي وهو الأصل. وهو ما يجعل البحث يطرح تساؤلاً: هل يعتبر هذا الأمر موقفاً وقناعة أو أنّه من باب التسهيل على الفرنسيين؟

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN : vocabulaire bilingue. p6.

²- ibid. p6.

جدول يمثل تصنيف معجم العربية المغاربية

+	للسائطين بلغة الشرح		للسائطين بلغة المتن
+	للغة العامية		اللغة الفصحى
+	لفهم	+	للتعبير
+	وصفي		تأريخي
	متخصص	+	عام
+	دلالي		ألفبائي
+	نقحرة		الخط الأصلي للغة

ما يميّز هذا العمل مقارنة بالأعمال الأخرى السابقة، هو أنّ المستشرق من أصول مغاربية، وهو ما يجعله أكثر تحكما في اللّغتين، أو بالأحرى في العامية العربية واللّغة الفرنسية.

2-قضايا الجمع في المعجم:

2-1-مصادر مادة المعجم: هي قائمة ثريّة بلغت حوالي اثنين وسبعين (72) مرجعا معظمها باللّغة الفرنسية، والقلّة منها بالإنجليزية حوالي ستة (6) مراجع. أما نوعها فمعظمها يتناول موضوعات لسانية تتعلّق بالمغرب، ولاسيّما المغرب الأقصى والواقع اللّغوي هناك، وبعضها تاريخية وثقافية، وحول الأمازيغية، رجع إلى باحثين غربيين وعرب. فمن الغربيين الذين اعتمدتهم بكثرة في الدّراسات اللّسانية (Calvet.l.j)، ومن العرب (Boukous .H)، وهو باحث لساني مغربي يهتم بالأمازيغية.⁽¹⁾ وهذا ما يعكس سعة الاطلاع لدى المستشرق.

2-2- موضوعات معجم ميشيل قيطوط: ⁽²⁾ تناول الأستاذ قيطوط كما ذكر في تقديمه مجموعة موضوعات، قدّر حاجة المتكلّم الفرنسي إليها، سيأتي التعريف بها فيما يأتي.

¹⁻ Quitout, Michel INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN vocabulaire bilingue. p 1661.

²⁻ voir : ibid. p 175.

جدول يمثل موضوعات المعجم

الموضوعات	الموضوعات
السوق: الخضر، الفواكه، التوابل، الأعشاب المعطرة.	العائلة البيت، الحفلات.
المهن والحرف: الأحجار والمعادن، الفلاحة، التجارة.	الغذاء: أطباق بربرية، سمك، الحليب ومشتقاته، حلويات تقليدية وعصرية... التبغ
العلاقات الإنسانية: الأحاسيس عبارات الترحيب، المحاسن والعيوب.	التعليم والتربية: اللّوازم المدرسية... الجامعة
الصحة والمرض: الحياة والموت	جسم الإنسان: الوجه، اليدين، الرجلين.
الأعداد: الأساسية، الترتيبية، الكسور المضاعفات...	الديانات والمعتقدات
الحواس الخمس: الرؤية، السمع، اللمس، الشمّ الذوق.	الكلام والأصوات.
الوقت: الفصول، الساعة، الأسبوع، الشهر التقويم...	الألوان
الحيوانات والزواحف الحيوانات الأليفة، والمفترسة	الفضاء: الاتجاهات الأساسية.
الطيور والحشرات: الدّواجن والحشرات	الأسفار ووسائل النقل: الدراجة، السيارة...
المغرب: اللّغات، الدّول، الثقافات، الديانات	القياسات: وحدات قياس عامة، للطاقة...
اللباس والحليّ: ألبسة وأشياء نسوية، ألبسة للجنسين الحلي، ألبسة وحلي بربرية	البلدان، الشعوب، والجنسيات
الريف: الأشجار، النباتات، والحبوب، العمل في الحقول	المدينة: البريد، السلطة.
الفن: السينما، المسرح، الموسيقى، الرسم، النّحت	الرياضة واللّعب: الرياضات الجماعية، الفردية، الصيد البري والبحري، وألعاب متنوعة.

يقدم الجدول صورة واضحة عن طبيعة الموضوعات التي تناولها المؤلف، وهي شاملة لمعظم مجالات الحياة، بلغت ستة وعشرين (26) حقلاً، افتتحت بموضوع العائلة، وللتعاملات، ثم يأتي التعليم في المرتبة الخامسة، أما الدين والمعتقدات، فقد جاء في الترتيب التاسع.

2-2-1- عدد الكلمات في المعجم: توزعت كلمات الدليل على ستة وعشرين (26) حقلاً دلالية مختلفاً، تشمل معظم المجالات التي يمكن أن يحتاجها الأجانب، ممّا يستعمله المغاربة في حياتهم اليومية (المغرب، الجزائر، تونس). وبالعودة إلى إحصاء عدد كلمات قوائم كل مجال على حدة، تبين أنه اشتمل على حوالي اثنين وستين وستمائة وثلاثة آلاف كلمة (3662) كلمة وعبرة*. لم يقتصر على الكلمات إذ توظف أحيانا الكلمات في جمل، مثل: (tawzī ‘ el-aḍwār / !yā ḥeṣra /seyyed el-hūt)،⁽¹⁾

* أخذت الكلمة العامية والدخيلة والفصحى إن وجدت بعين الاعتبار.

¹ – Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN.p 30, 50, 152

وستُعرض هذه الموضوعات ضمن مجالات مقسّمة، حسب العدد الذي تضمّنته، وهذا لتحديد الكلمات التي اهتمّ بها أكثر، أو ربّما الموضوعات التي تمّ التّركيز عليها.

جدول يمثل مجالات المعجم من حيث عدد الكلمات*

المجال	الموضوع وعدد كلماته
100-60	الألوان(66)، الكلام (75)، البلدان (81)، القياس(85)، الطيور (88) الأديان (90) الحواس(90)، المكان (98).
141-101	المدينة (108)، الحيوانات(124)، الرياضة (132)، العروبية(133) الصحة (135) الأعداد (138)، اللباس (139).
182-142	التّعليم (142)، الفن (145)، المهن (152)، السوق (164)، العلاقات (164)، المغرب (165) جسم الإنسان (173).
250-183	العائلة (189)، السّفر (196)، الزّمن (227)، التّغذية (248).

يلاحظ أنّ المجالات التي اشتملت على عدد أكبر من الكلمات؛ هي: (التّغذية، الزمن، السّفر والعائلة). بعدها يأتي: (التّعليم، الفن، المهن، السوق، العلاقات، والمغرب، وجسم الإنسان). وهي متقاربة مع المجال الثّاني، الذي تضمّن اللّباس والأعداد والصّحة والعروبية والرياضة والحيوانات والمدينة. أمّا المجال الذي تضمّن أقل عدد فهو الأوّل، وفيه ورد موضوع (الأديان) بتسعين (90) كلمة. ولا تعكس هذه الأرقام بالضرورة الأهمية الممنوحة لهذه الموضوعات، لكنّها قد تعبّر عن نوع الكلمات التي يحتاجها المتكلّم الأجنبي، في المحيط المغاربي أكثر من غيرها. وقد تُفسّر هذه الأرقام أيضا بتوجّه بهذا العمل إلى الأجانب، إذ سيسمح لهم بامتلاك أهمّ الكلمات التي سيحتاجون إليها في حالة تنقلهم إلى المغرب أو في حالة التّعامل مع مغربيين بفرنسا.

2-3- المستويات اللّغوية للهجات المغربية (المغربية، الجزائرية، التّونسية): تتكوّن اللّهجة

المغربية التي تضمّنها الكتاب من مزيج، (هجين لغوي)، تتداخل فيه ثلاثة مستويات، إلّا أنّ المستوى الفصيح كان المسيطر، بنسبة (66.35%). أمّا المستويان المتبقيان، فسجّلا نسبة متقاربة، حيث بلغ المستوى العامي، حوالي (16.98%)، والدّخيل حوالي (16.65%). وبعد الجرد والتّصنيف، تبيّن أنّ المداخل، إمّا كلمات أو عبارات فصيحة، وعددها حوالي ثلاثين وأربعمائة وألفين (2430)، وهي (فصيحة

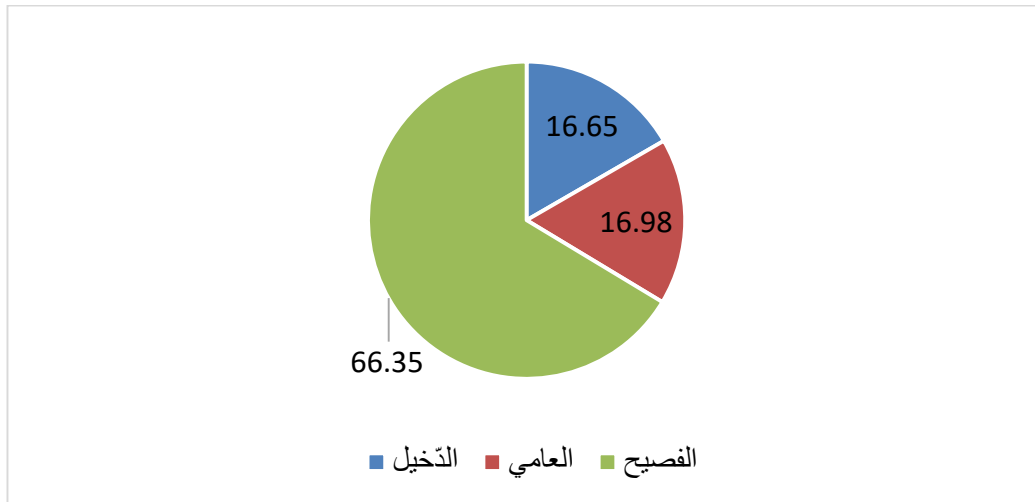
* أخذ البحث كلمة واحدة، فقط من كل مدخل.

محرفة)، وتجسد هذا التحريف في ظواهر لغوية، منها: (تغير الحركات، إسقاط الهمزة)، ولا سيما في بداية الكلمة أو نهايتها، وهي النسبة الغالبة. كما نجد كلمات حذف منها حرف أو أكثر أو إبدال حرف إلى حرف آخر، أو دخلت زيادة على الكلمة. وسجلت كلمات عامية بعيدة عن الفصحى وعددها حوالي اثنتين وعشرين وستمائة (622). أما الكلمات الدخيلة فبلغت حوالي عشر وستمائة (610) كلمة.

جدول يمثل المستويات اللغوية للعربية المغربية

النسبة	المستوى
66.35%	المستوى الفصيح
16.98%	المستوى العامي
16.67%	المستوى الدخيل
99.98	المجموع

الدائرة النسبية للمستويات اللغوية في معجم العربية المغربية



تؤكد هذه النسب، أصالة الفصحى وتفوقها، مع الإشارة إلى أن المستويات اللغوية تتوزع أحيانا حسب المجالات، إذ تتفوق الفصحى في بعض المجالات، وتقل في أخرى.

2-3-1 المستويات اللغوية وفق محاور المعجم:

2-3-1-1- الكلمات الفصيحة في المعجم:

جدول يمثل نسب توزيع الفصحى على محاور المعجم

المحور	الفصحى	المحور	الفصحى	المحور	الفصحى
الأديان	%100	الزّمن	%74.00	القياس	%58.82
الأعداد	%87.68	العائلة	%72.22	المدينة	%58.33
المكان	%86.58	الحيوانات	%71.77	الرياضة	%57.57
التّعليم	%85.91	الحواس	%70.00	العروبية	%56.39
العلاقات	%85.36	الصّحة	%67.40	الكلام	%48.00
البلدان	%85.18	السّوق	%66.46	التّغذية	%47.17
المغرب	%84.24	المهن	%65.78	اللّباس	%46.76
جسم الإنسان	%79.19	الطيّور	%63.63	السّفر	%41.83
الفن	%77.93	الألوان	%61.53	-	-

تفوّقت الفصحى، لاسيما المجال الديني، والعدد والمكان، والتّعليم، والعلاقات، والبلدان.

جدول يمثل نماذج لكلمات فصيحة

محور الأديان ⁽¹⁾				
el-islām	el-yamīn	el-mulḥid	el-imām	ed-dīn
et-tawrāt	el-injīl	er-rāhib	el-wuḍū'	el-qur'ān
الأعداد ⁽²⁾				
es-sudus	el-ḥums	alf	el-alāf	ṣifr
el-‘āṣer	el-‘uṣur	‘eṣra	tes'a	es-subu
المكان ⁽³⁾				
el-‘ālam	el-ḥusūf	el-aṛḍ	qeddām	teḥt
el-wāḥa	el-gāba	šamālī	el-janūb	el-jazīra
التّعليم ⁽⁴⁾				
eṭ-ṭibb	isti ‘māl ez-mān	en-natā ‘ij	el-mudīr	el-qism
et-takwīn	el-luḡāt al-ajnabiyya	el-mabāi'	el-ma ‘āhid	el-‘ulūma
العلاقات ⁽⁵⁾				
el-qā ‘ida	eṭ-ṭab ‘	el- ‘alāqa	eṣ-ṣarāḥa	eṣ-ṣeḥba
el-anāniyya	šukran	ila l-liqā'	el-mašākil	eḍ-ḍamīr

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN.p 43, 44, 45, 46.

² - ibid. p 71, 72, 73, 74.

³ - ibid.p 97, 98.

⁴ - ibid. p 43, 44, 45, 46.

⁵ - ibid. p 67, 68.

هناك مجالات لا يصلح لها إلا الفصحى، وعلى رأسها المجال الديني، والتعليمي.

2-3-1-2- الكلمات العامية في المعجم:

جدول يمثل نسب توزيع العامي على محاور المعجم

المحور	العامي	المحور	العامي	المحور	العامي
الكلام	%52.00	القياس	%24.70	العلاقات	%12.80
الطيور	%35.22	الزمن	%22.02	السفر	%12.75
التغذية	%34.27	جسم الإنسان	%19.65	المغرب	%11.51
اللباس	%31.65	الصحة	%17.77	الأعداد	%10.86
الألوان	%30.76	الرياضة	%17.42	الفن	%10.34
العروبة	%30.07	المكان	%12.19	البلدان	%03.70
الحواس	%27.77	العائلة	%16.66	التعليم	%02.81
السوق	%26.82	المدينة	%16.66	الأديان	%00
الحيوانات	%26.61	المهن	%13.15	-	-

حيث يكثر العامي، في مجال الكلمات المستعملة في الحياة اليومية، والعلاقات الاجتماعية، وما

له علاقة بالطيور والتغذية، واللباس وغيرها.

جدول يمثل نماذج لكلمات عامية

محور الكلام ⁽¹⁾				
bejget	zher	be 'be '	bejbej	zgā
meššeš	tešteš	beqbeq	jeğjeğ	hetref
الطيور والحشرات ⁽²⁾				
bellārej	mendāf	el-‘eḍma	el-qemqūm	el-beṭāl
er-rīla	serrāq ez-zīt	zūzri	el-ferṭūt	el-ferrūj
التغذية ⁽³⁾				
buṣeyyār	buḡezzāl	el-ḥlī '	el-biṣār	bouzellūf
ej-jenwi	'eḍma mešmūta	er-rḡāyef	ed-debbūza	buheyyūf
اللباس ⁽⁴⁾ / mengūš / eš-šerka/el-ḥendira				
el-keḃbūt	es-sūriyya	en-nettāf	tebbeq	ḥemmel
el-msāyes	et-tešbīḥ	eš-šāšiyya	el-belḡa	eš-ṣebbāt
الألوان ⁽⁵⁾				
qehwī	meḡlūq	ḥertānī	eš-šīta	ed-dbāḡ
āhyel	jiyyer	dehmānī	burgdānī	tšīnī

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN, p 81.

² - ibid. p 107, 108.

³ - ibid. p 81.

⁴ - ibid. p 131, 132, 133, 134.

⁵ - ibid. p 85, 86.

تقترب هذه العامية من الفصحى، حيث تضمّن مداخل فصيحة تماما، وأخرى فصيحة محرّفة.

جدول يمثّل نسب توزيع الدّخيل على محاور المعجم

المحور	الدّخيل	المحور	الدّخيل	المحور	الدّخيل
السّفر	%45.40	التّعليم	%11.26	الحيوانات	%01.61
المدينة	%25.00	العائلة	%11.11	الصّحة	%01.48
الرّياضة	%25.00	البلدان	%11.11	الأعداد	%01.44
اللبّاس	%21.58	الألوان	%07.69	المكان	%01.21
المهن	%21.05	السّوق	%06.70	جسم الإنسان	%01.15
التّغذية	%18.54	المغرب	%04.24	الطيور	%01.13
القياس	%16.47	الرّمن	%03.96	الكلام	00
العروبية	%13.53	الحواس	%02.22	الأديان	00
الفن	%11.72	العلاقات	%01.82	-	-

أكثر المجالات تأثرا بالدّخيل هي: (مجال السّفر، المدينة، الرياضة، اللباس، المهن، التغذية، القياس).

جدول يمثّل نماذج لكلمات دخيلة

محور السّفر ⁽¹⁾				
eš-šembra	ladriša	el-baliza	luṭīl	bermesyūn
el-mutūr	el-bagāj	el-kār	meblisi	eṛ-riṣṭura
محور الرّياضة ⁽²⁾				
el-kūfru	et-tūš	merki	el-bīt	laṛbit
el-luṭu	lapisīn	el-būks	tīri	el-gāzūn
المدينة ⁽³⁾				
eṭ-tāj	el-villa	el-mubel	el-ḥaṭima	el-filāj
lānkīt	er-rasalima	es-silūn	el-ḥuṣṭa	ej-jarḍa
محور اللّباس ⁽⁴⁾				
eḍ-ḍenṭīl	el-blūza	el-funara	tīrgāl	en-nīlu
el-bijama	eṭ-ṭābliyya	ej-jakīta	el-kustīm	el-fista
محور المهن ⁽⁵⁾				
el-ḥulānji	lajenyūr	el-māṣṣu	fenyān	el-kunkūr
senyi	lantrīt	eš-šāf	ed-diplum	el-fermasyān

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN.p 111, 112.

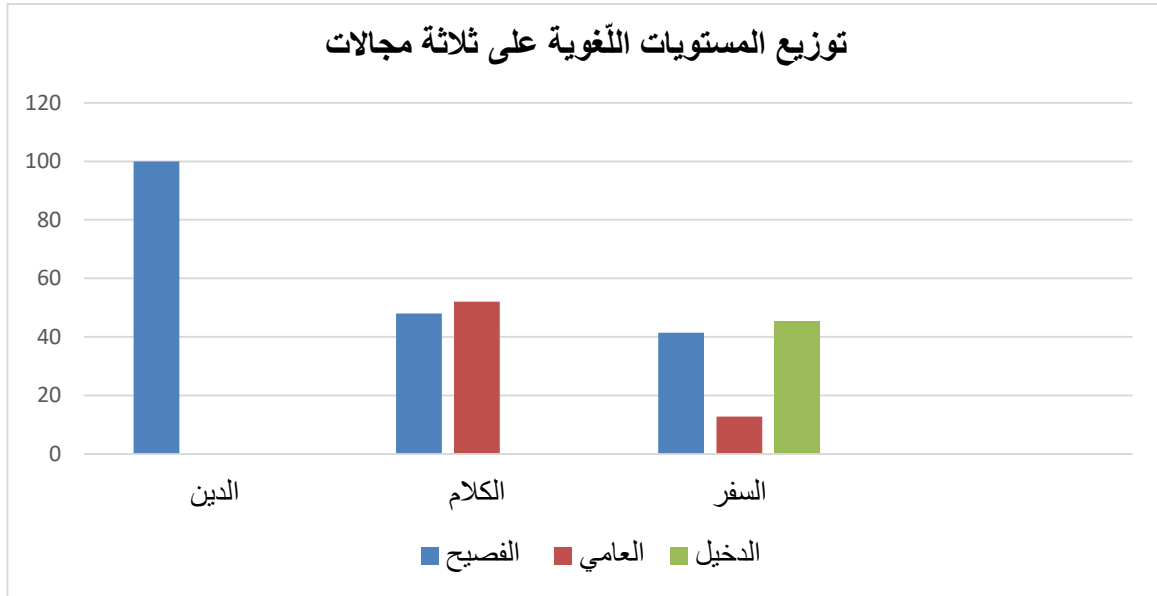
² - ibid. p 145, 146, 147.

³ - ibid. p137, 138, 139.

⁴ - ibid. p 131, 132.

⁵ - ibid. p 37, 38.

يُلاحظ أنّ الكلمات الواردة في الجدول، تستعمل بكثرة في الحياة اليومية، رغم أنّ لها مقابلات عربية، مثل: (العنوان، المطعم، مجروح)، وغيرها. وكذلك في مجال (الرياضة)، هناك من يستعمل كلمة: (حكم، وسجل، المسبح، العشب الطبيعي. المدينة)، يقابل الكلمات الدخيلة كلمات عربية كذلك، مثل: (المدينة، العمارة، الأثاث، الحديقة). وفي مجال (اللباس)؛ هناك كلمات، فعلا يصعب إيجاد مقابلات دقيقة لها مثل: (النيلون، التيرقال)، لكن بالمقابل، هناك كلمات يمكن توظيفها، مثل: (منزر، وبدلة)، وغيرها. أما في مجال (المهن)؛ فالأصل أن لا يُطرح فيه إشكال، إذ لكل كلمة، مما ورد في الجدول ما يقابلها، مثل: (مسابقة بطل أو كسول، البناء، المهندس، الخباز، الصّيدلي، الشّهادة الرّئيس، النّقاعد، التّوقيع).



وقد ذكر في نهاية الكتاب قائمة الكلمات التي اقترضتها العاميات العربية، من اللّغة الفرنسية ومن المازيغية، ومن لغات أخرى، وتبلغ واحدا وسبعين وثلاثمائة (371) كلمة.

جدول يمثل اللغات التي اقترضت منها العربية المغربية (1)

اللغة المقترض منها	العدد	اللغة المقترض منها	العدد
الفرنسية	318	ألمانيا عبر الفرنسية	1
الإسبانية عبر الفرنسية	1	البربرية	29
الإيطالية عبر الفرنسية	1	الإسبانية	6
النرويج عبر الفرنسية	1	التركية	2
الإنجليزية عبر الفرنسية	12	الإنجليزية	1
أمريكا عبر الفرنسية	12	-	-
المجموع	345	المجموع	39
المجموع الكلي	384		

تجاوز عدد الكلمات المقترضة ثمانين وثلاثمائة (384)، وهذا الجدول يوضح اللغات التي تأثرت بها اللهجة (المغربية)، وعلى رأسها اللغة الفرنسية، وهذا بديهي، فقد قضت فرنسا أكثر من قرن ونصف قرن بالجزائر، وأقل بقليل في البلدان المغربية المجاورة، وعليه فإنه ليس بالأمر الغريب.

3- قضايا الوضع في المعجم:

تضمن الكتاب بعض القواعد المستعملة في العربية العامية، وهي تقريبا نفسها في معظمها مع قواعد اللغة العربية الفصحى، سيشير البحث إلى بعضها:

3-1- طريقة تسجيل الكلمات والعبارات: لوحظت عدة ظواهر لغوية، تتعلق بطريقة كتابة بعض

الحروف، كما ستقف هذه الدراسة على بعض الظواهر العامية، وسيأتي بيان ذلك.

3-1-1- الإدغام (assimilation): (2) تقدم أنّ أداة التعريف (ال) (al) في الفصحى

تتحول في اللهجة العربية إلى (el)، ويأتي قبل الاسم المعرف، وعندما يبدأ هذا الاسم ببعض الصوامت فإن حرف اللام (ل) يتم إدغامه مع الصامت، وهو ما يتسبب في تضعيف الصامت الأول. وذكرت قائمة

الحروف التي تحدث معها هذه الظاهرة: (n, r, r, d, d, z, z, t, t, l, l, s, s et š)، مثل:

el-nsa, devient en-nsa (les femme), el-zit devient ez-zit (l'huile)

¹- voir :Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN.p 157.

² - ibid. p9.

ويلفت انتباه القارئ إلى أنَّ الحرف الصامت جيم (j) يشكّل استثناء، بحيث يمكن أن يضعف في كلمات، ولا يحدث ذلك في كلمات أخرى، مثل: (ej-jehš الجحش)، (el-jafāf الجفاف)، ويعدّ هذا من القواعد الكبرى في النظام الصوتي العام، حيث تتأثر بعض الحروف داخل الكلمات، مثل: (ma - š) (šebtū) (لم أجده)،* الذي يتحوّل إلى (ma šettu- š) بإدغام الباء في التاء. وفي (šeft-u)، (رأيت) الذي يتحوّل إلى (šett-u). حيث أدغم حرف الفاء في حرف التاء. وهنا لابدّ من التنبيه بأنّ هذا مخالف لقواعد اللغة العربية الفصحى، ولا يسمى إدغاما، وإنّما هو حذف للحرف، فالإدغام لا يشمل إلاّ الحرفين المتماثلين أو المتقاربين، مثل: الباء والباء، والتاء والتاء، والميم والميم، والنون والميم، وغيرها.

3-1-1-2- التّضعيف أو الإدغام (la gémation):⁽¹⁾ و كما يحدث الإدغام في بداية

الكلمات بعد ال التعريف، نجده أيضا في وسطها، مثل: šettər سطر و kellem (كلم) إلخ.

3-1-1-3- التّفخيم (l'emphase):⁽²⁾ شرح المؤلّف كيفية حدوث عملية التّفخيم، مذكّرا أنّ

الظاهرة مسجلة بنقطة تحت الحرف المفخّم، باستثناء حرف الحاء، إذ لا تعبّر النقطة فيه على صفة التّفخيم. أمّا الصّواتم المفخّمة الحقيقية، فهي: (b, m, l, z, t, s, d, r). والحرفان (i, e) يفخّمان عندما يوضعان في سياق مفخّم، كما أنّ التّفخيم، قد يشمل الكلمة كلّها. وهي مثل التّضعيف يمكن أن تغيّر معنى المفردة، وذكرت أمثلة: (reyyeb) بمعنى هدم، و (reyyeb) بمعنى صيّر الحليب لبنا.

3-1-2- إبدال حرف بحرف آخر: اشتمل العمل على كلمات كثيرة نسبيا، أبدلت فيها حروف

بحروف أخرى، وهو ما سيعرض، فيما يأتي:

* الأمثلة التي قدّمها المؤلّف ذكرت بالعامية بالخط اللاتيني وأتبعها بمقابلها الفرنسي، وقد ذكرها البحث باللغة العربية.

* قد ينطق هذا الفعل بهذا الشكل "ma šettu-š" أمّا الشائع فهو "ma šebtū -š".

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p9.

²- ibid. p9.

جدول يمثل لكلمات محرّفة بإبدال بحرف بحرف

الكلمة بالهرف اللآتيني	أصل الكلمة	الكلمة بالهرف اللآتيني	أصل الكلمة
هرف اللآء عوض اللآء ⁽¹⁾			
et-taman	الآمن	el-ħert	الهرآ
-هرف اللآء عوض الطآء - اللآء عوض الدآل أو الشين - هرف الطآء عوض الضاد ⁽²⁾			
et-tajīn	الطآجين	tnehhēt	تنهّد
Atay	الشآي	qbeṭ	قبض
هرف الدآل محل الدآل -هرف الضاد محل الدآل ⁽³⁾			
ed-dbbān	الدّبآب	eṣ-ṣiḍq	الصّدق
هرف الزاي أو الصاد عوض السين أو الجيم أو القاف ⁽⁴⁾			
le-‘gūz / el-‘zūz	العجوز	el-muhendiz	المهندس
tjewweġ	تزوّج	ṣemmeṭ	قمّط
هرف السين عوض الصاد ⁽⁵⁾			
selleħ	صلّح	es-sder	الصّدر
هرف القفا عوض هرف القاف ⁽⁶⁾			
‘ āger	عآقر	neggi	نّقي
اللام عوض النون أو العكس ⁽⁷⁾			
el-ġelmi	عَلمِي	es-sensla	السّلسلة
الميم عوض الباء أو القاف ⁽⁸⁾			
ed-dellāħ	الدّلاع	el-meqrāj	البقرآج
el-mjeṛ	لقجر	el-mqadaf	المجدآف
الواو أو الياء عوض الهمزة ⁽⁹⁾			
el-bennāy	البنآء	es-ṣhāwa	السّخآء
werra	أرى	yāmes	أمس

وردت كلمات كثيرة بالهرف (d)، والصّواب أن تكتب بالدّال(d).⁽¹⁰⁾ كما سجّل البحث بعض

الحالات التي عوّض فيها هرف بآخر، مثل: اللآء التي حلّت محلّ اللآء في كلمات كثيرة، مثل: (الآمن

¹ - voir Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN.p 25,39.

² - ibid. p29, 85, 32, 138.

³ - ibid. p103,.51

⁴ - ibid. p17,18 ,19 ,.43

⁵ - ibid. p45,.55

⁶ - ibid. p18,24

⁷ - ibid. p29,.115

⁸ - ibid. p29, 85, 32, 138.

⁹ - ibid. p18,51 ,58,.92

¹⁰ - ibid. p 8.

والتَّوَم). وكذا محلّ الطَّاء، مثل: (تاجين)، وهذا غريب نوعاً ما، إذ يُفترض أنّ حرف الطَّاء موجود بكثرة في العامية، ومحلّ الدَّال مثل: (تنهت). وقد ورد كذلك لدى المؤلف كرزا. أما بالنسبة إلى الفعل (قبط) وكلمة (الصّضق)، فقد يكون خطأ مطبعياً، فالأصل أنّ الفعل ينطق بالصاد (قبض)، وقد يُنطق بالدَّال لتقارب مخرجي الحرفين، وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة (الصّضق) وأصلها (الصّديق). تعكس الكلمات الواردة في الجدول، بعض الظواهر الصوتية الموجودة في العامية، وقد اهتم بعض المستشرقين بهذا الموضوع، ومنهم المستشرق شربونو، الذي تتبّع أهم الانحرافات المسجلة في العامية. فمثلاً كلمة (الدَّبان) أصلها (الدَّباب)، وكلمة (العزوز)، أصلها (العجوز)، وقد وردت بالنطقين، وهذا قد يدلّ على أنّه استعمال عامي ينطق فيه الجيم زايًا، كما كُتبت كلمة (مهندس) بالزَّاي في آخرها، وإن كانت السين أخف و(السبورة) بالصاد، والعكس في كلمة (صدر) و(صلّح)، التي كتبت بالسين والأصل أن تكتب بالصاد. وكُتبت الفعل (قَمَط) بالصاد (صمّط)، الذي يُحتمل أن يكون خطأ مطبعياً. وكتبت كلمة (شمس) بالشين (newwār eš-šems⁽¹⁾) في آخرها (شمش)، والمعروف لدى العامة أنّهم يقلّبون حروف الكلمة (شمش)، أمّا هذا الاستعمال فمجهول.

وردت ظاهرة نطق (القاف) في بعض الكلمات (لثا)، وهي منتشرة في مناطق كثيرة، بالإضافة إلى إبدال اللام بالنون، مثل: (السلسلة)، التي تنطق لدى العامة (السّلسلة) لخفة النّون مقارنة باللام ووردت كلمة (الدّلاع) بالحاء في آخرها، والأصل هو العين. وهذه الظاهرة موجودة في الكلمات الفصيحة والعامية والدخيلة على حدّ سواء، ففي كلمة (القجر) و(البقراج) أبدل القاف بالميم، وقد يكون هذا لهجة لم يشر إليها المستشرق. ومن الظواهر البارزة في العامية، إسقاط الهمزة وإبدالها بالياء أو الواو، مثل: (البنّاي، يامس، السّخاوة، ورّى)، فمعظم الكلمات العامية التي تتضمّن حرف الهمزة تحذف أو تعوّض بحرف آخر، مثلما هو وارد في هذه النّماذج، فالأصل فيها: (البنّاء، وأمّس، والسّخاء، وأرى).

3-2- التّرتيب في معجم العربية المغربية: اعتمد المعجم في إيراد كلماته، منهج الحقول الدّلالية

وقد سبقَت الإشارة إليه، أمّا داخليا فيبدو أنّه لم تُتّبِع طريقة محدّدة، وسيأتي بيان ذلك في موضعه. كما يختلف عدد الأعمدة من باب إلى آخر، وكذا عدد الكلمات ضمن العمود الواحد مختلف. ويلاحظ أنّ

¹– Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p.25

الكلمات لم تخضع لترتيب معيّن، فهي مدرجة وفق ترتيب عشوائي سواء أكان باللغة الفرنسية أم باللّهجات المغاربية. وهو ما سيتبيّن من الموضوعات الثلاثة التي سترد.

3-2-1- ذكره للمذكر والمؤنث: (1)

المدخل	المدخل	المدخل	المدخل
‘ezba	‘ezri, a’zeb, řewwāši, zufri	el-umm, el-wlida	el-ab, el-bu, el-walīd
	el-hendi (yya) (f)	en-ndāder (f) el-mrayāt(f)	en-ndāder (m) el-mrayāt(m)

لوحظ أنّ المؤلّف لم يلتزم بطريقة واحدة في ذكر المؤنث والمذكر؛ بل تجده يذكر المذكر، ثم في مدخل آخر يورد المؤنث، وأحيانا يورد المؤنث مباشرة، أمّا بالنسبة إلى كلمة (الهندي)، فيبدو أنّ هناك التباسا، إذ قصد به الفاكهة، وتسميتها مذكّرة، ولا تكون مؤنثة إلاّ أنّه ذكر المؤنث بين قوسين.

3-2-2- ذكره للمفرد والجمع: (2)

العامية	العامية	العامية	العامية
metšerf (in), netšerf (u)	el-byūt	el-bīt	et-terbiyya, et-trābi
el-‘wām, es-snīn	el-‘ām (m) es-sna (f)	el-‘īnīn (f)	el-‘īn(f)
el-qanawāt	el-muwaddaf	el-bnāt(f), et-teflāt, ed-derriyyat(f)	12s/ ‘amāyen, sanatīn

لم يلتزم المستشرق بمنهجية واحدة مع الكلمات جميعها، إذ يذكر المفرد ويضيف رمزا أمامه ليشير إلى الجمع، مثل: (metšerf (in) وهذا قليل، ويذكر المفرد باعتباره مدخلا مستقلا، ثم ينتقل إلى السطر، ليذكر الجمع، وهذا كثير، مثل: (el-‘īn(f)، و(el-‘īnīn (f)، وأحيانا يكتفي بذكر المفرد وحسب أو الجمع، أو المثنى، كما يذكر في بعض المواضع المفرد، ثم يذكر جمعه بعد عدد كبير من المداخل الأخرى؛ مثل: (عام) ذكر بعده الجمع (أعوام)، وبعد اثني عشر (12) مدخلا، يذكر المثنى؛ بل أحيانا في مجموعتين مختلفتين، مثل: (el-ħelħāl)، الذي ذكر في مجموعة (الحليّ والزينة)، أمّا الجمع فقد ذكر في مجموعة (الألبسة والحليّ الأمازيغية) (el-ħlāħel).⁽³⁾ وهذا ما يؤثر سلبا على منهجية تقديم الكلمات في عمل المستشرق.

¹– Quitout, Michel. INITIATION A L’ARABE MAGHREBIN. p17, 18, 57, 77, 142.

²- ibid.p 17, 19, 51, 74,94 ,123 ,139 .

³-ibid. p 132, 133.

3-2-3- التكرار: تكرر بعض المداخل في مواضع كثيرة، بلغت حوالي واحد وستين ومائة (161)، وهذا التكرار يحدث أحيانا في المجموعة الواحدة، وأحيانا ضمن مجموعات مختلفة، وأحيانا في مجالات مختلفة، وقد يصل عدد تكرار المداخل إلى أربعة، مثل المدخل: (hāfed, stehfed)،⁽¹⁾ كما تكرر المدخل: (el-‘rubīyya, er-rīf, el-bādiyya)،⁽²⁾ وفي المجموعة نفسها، مثل: (et-timtāl)،⁽³⁾ وهو المدخل الرابع. وكرر في المدخل العشرين، وغيرها من المداخل المكررة. ووردت كلمة (دقيقة) النكرة وبعدها مباشرة كلمة الدّقيقة (dqīqa)، و (ed- dqīqa)، وهو تكرار للكلمة نفسها، الفرق الوحيد هو أنّ الأولى نكرة والثانية معرفة.⁽⁴⁾ وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ بعض المداخل تتكرر بسبب التداخل بين الموضوعات المختلفة، فقد ترد كلمة معيّنة في أكثر من حقل دلالي، وهذا وارد، إلا أنّ هناك حالات تكررت فيها المداخل في الموضوع الواحد؛ بل في العمود الواحد، وقد يكون الأمر مقصودا.

3-3-3- قضايا التعريف في المعجم:

3-3-3-1- طريقة تعريف الكلمات: اكتفى المؤلف بذكر الكلمة العربية أو الكلمات وأحيانا العبارات، إذ يذكر الكلمة أحيانا بالعامية والفصحى والدّخيل، فيما يكتفي أحيانا بمستوى واحد، ويضع أمامها المقابل الفرنسي، وهو في معظم الأحيان كلمة مفردة، إلا أنّه يلجأ أحيانا إلى الشرح.

جدول يمثل نماذج لمداخل شرحت بجمل⁽⁵⁾

العامية	الفرنسية
hāḇṣel-ḥīr	bonjour (le matin) litt. heureuse matinée
līla maḇrūka	bonne nuit. lit (bénie soit ta nuit)
er-rek ‘a (f)	la partie de la prière composée de huit positions du corps
el-fqīh (m)	le théologien le maitre d’école coranique
et-tayemmum	les ablutions sèches faites, faute d’eau avec du sable, de la poussière un galet etc.
ez-zāwya	la zaouïa établissement religieux sous l’autorité d’une confrérie musulmane.
el-gamīla, ez-zlāfa	la mesure de céréales valant un kilogramme
Faqīr	pauvre, membre d’un ordre religieux
lafīrāy	la ferraille (endroit où l’on vend des pièces détachées d’occasion)

تختلف المعلومات المذكورة في لغة الشرح باختلاف الكلمات، وهي قليلة إذا قيست بالعدد الإجمالي للمداخل، قد تكثر المعلومات نسبيا، مع المداخل التي يقدر أنّها غامضة أو مجهولة لدى القارئ،

¹- Quitout, Michel. INITIATION A L’ARABE MAGHREBIN. p49 -51- 123 -139

²- ibid.p 97 -102-121-141

³- ibid.154.

⁴- ibid. p91.

⁵- ibid. p50, 67, 68, 118, 124, 137.

ومعظمها في مجال الدين، وبعض الكلمات الخاصة بمنطقة معينة، كالأطعمة والألبسة والأماكن والمحلات. بالإضافة إلى ما سبق، يورد المستشرق أمام بعض الكلمات ملاحظات تحدّد أصل الكلمات كأن يشير إلى أنها فرنسية، أو بربرية، أو تركية. مما لوحظ كذلك، عدم الدقة في ذكر المناطق، إذ لم يلتزم المستشرق قيوط، بما ذكره في بداية عمله، حيث ذكر الكلمات المستعملة في المناطق الثلاث (المغرب، الجزائر، تونس)، إلا أنّ هذا الأمر لم يتحقّق في مواضع كثيرة؛ بل في أغلب المداخل، إذ يكتفي أحيانا بذكر كلمة لمنطقة واحدة، وأحيانا تُذكر كلمة واحدة دون الإشارة إلى أيّ منطقة، وأحيانا يذكر كلمتين مع تحديد المنطقة، وأحيانا يشير إلى مجموعة من الكلمات المختلفة، دون أن ينسبها إلى أي بلد، وهو ما يجعل القارئ، ولاسيما الأجنبي لا يدرك إلى أي منطقة تنتمي هذه الكلمات؛ وأحيانا لا يفهم معناها إلا بالعودة إلى المقابل الفرنسي، مثل:

(eṣ-šīhr, le-‘gūz, eš-šīḥ, el-lḥmu) و (qetṭe ‘el biyyi)، التي تعني اشترى بطاقة السفر؟⁽¹⁾ و (eṭ-

(en-nsa, el-‘yalāt) و (ṭfel, ed-derri, el-weld).⁽²⁾ و (gewwet, zegga, ṣāḥ).⁽³⁾

وأحيانا يذكر بلدا واحدا: (T) (geddāt-i/ mammāti). و (eṭ-ṭāqa (A), eš-šebbīk)⁽⁴⁾

(M) (eṭ-ṭlāmeṭ)، وأحيانا يذكر رمز بلد واحد في حين توظف تلك الكلمة في بلد آخر، مثل كلمة:

(M) (el-ḥānūt)، التي وضع أمامها، رمز بلد المغرب الأقصى، في حين أنّ هذه الكلمة يوظفها الجزائريون

أيضا. وهناك كلمات غامضة، مثل: كلمة (tsāra) ومعناها تجوّل. وكلمة (šeyyeš, ḥeyyeh) التي قبلها

ب (faire une battue).⁽⁵⁾ والمدخل (būs eḍ-ḍār)⁽⁶⁾ بمعنى فناء الدار أو الساحة. أما المواضع التي ذكر

فيها المناطق الثلاث، فنادرة، مثل: (T) tāy, (A) latāy, (M) atay⁽⁷⁾

سيستتبع البحث كيفية عرض المادة من خلال محورين، سيكتشفها القارئ، فيما يأتي. وضح

المؤلف أنّه اعتمد طريقة خاصة، لمساعدة المتعلّم على تحقيق هدفه بأيسر الطرائق، ولمعرفة مدى

¹- Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p115.

² -ibid. p17.

³ -ibid. p62.

⁴ -ibid. p17,18.

⁵-ibid. p23,137,147 .

⁶- ibid. p19.

⁷ -ibid. p31.

تجسيد هذا الهدف، سيقوم البحث بتناول محورين، الأول العائلة ثم الدين والمعتقدات.*

3-3-2-محور العائلة:

3-3-2-1- أعمدة الكلمات: افتتحت بالعنوان: (LA FAMILLE= EL - 'Ā , ILA)

نجد تحت هذا العنوان، عمودين افتتح الأول، بحرف كبير (A)، ويتضمن ثمان وعشرين (28) كلمة تدور كلها حول أسماء أفراد العائلة الصغيرة والكبيرة، وكما سبق لم تخضع لترتيب محدد، قد تكون خاضعة للعرف. ويقابله العمود الثاني المفتوح بالحرف (B)، ويشمل ثماني عشرة (18) كلمة، تتوزع مفرداته على تسميات الأفراد والعلاقات، والوضعيات، ويتضمن حرف الـ (C) اثنتي عشرة (12) كلمة وحرف الـ (D) الذي عنونه بـ (الدار - la maison)، تسعا وثلاثين (39)، وثمان وعشرين (28) لحرف الـ (E)، وبالنسبة إلى حرف (F) المعنون بـ (الحفلات - les fêtes) تسع عشرة (19) كلمة، وحرف الـ (G) أربعاً وعشرين (24)، ويختم بحرف الـ (H) باثنتي عشرة (12) كلمة. والملاحظ أنه لا يوجد توازن بين الأبواب، إذ هناك موضوعات تحتوي على ثمانية (08) أعمدة مثل: (العائلة). وهناك موضوعات فيها اثنا عشر (12) حرفاً (عموداً)، وهو موضوع (الأكل). ونجد أربعة (04) أعمدة فحسب، بالنسبة لموضوع (الكلام والأصوات). وهذا يوضح أن التوزيع لم يخضع لمعايير ثابتة؛ بل تبعاً لما يتوفر لدى المؤلف، وربما تبعاً لما رآه ضرورياً للمتعلّم أو لمعايير أخرى مجهولة. وعليه سينصبّ التركيز على نوع الكلمات الواردة وكذا طبيعة المعلومات المرفقة بها.

أورد المؤلف بعد العمودين فقرتين صغيرتين، الأولى بدأها بالحرف (A)، حيث وظّف خمس (05) كلمات، وردت في العمود ضمن سياق يوضح معانيها للقارئ. وتحمل الفقرة الثانية أيضاً حرف العمود الذي سيمثل له، وهو (B) ويشتمل على ثماني (08) كلمات ضمن السياق.

* هذا الترتيب مخالف لما ورد في المدونة، كما هو موضح فيما سبق.

جدول يمثل قائمة كلمات حرف الـ (A):⁽¹⁾

الكلمة بالعامية	الكلمة الفرنسية	الكلمة بالعامية	الكلمة الفرنسية
le père	el-ab (m), el-bu(m), el-walīd (m)	la famille	el- 'ā'ila(f), el-famila(f).(empr. au fr.)
le frère	el-aḥ (m), el-ḥu(m)	la mère	el-umm(f), el-walida (f)
l'oncle maternel	el-ḥal (m)	la sœur	el-uḥt(f)
la tante maternelle	el-ḥāla(f)	l'oncle paternel	el- 'emm(m)
le cousin paternel	weld el- 'emm	la tante paternelle	el- 'emma(f)
le cousin maternel	weld el-ḥal	la cousine paternelle	bent el- 'emm
le neveu	weld el-aḥ/el-uḥt	la cousine maternelle	bent el-ḥal
le grand- père	el-ḡedd (m)	la niece	bent el-aḥ/el-uḥt
la belle-mère	el-ḥmāt(f), el- 'gūza(f)	ma grand- mère	ḡeddāt-i, mamātī (T)
le-beau-frère	el-lūs (m)	le beau-père	le- 'gūz(m), eṣ-ṣīḥ(m), el-ḥmu(m), eṣ-ṣīhr(m).
la belle sœur	es-selfa (f)	la belle sœur	el-lūsa (f), lūza(f).(T)
la nourrice	er-rđi 'a (f)	le-beau-frère	es-self (m)
mon demi frère	ḥū-ya men əḃḃ a/umm-i	frère/sœur de lait	aḥ/uḥt men er-rđā 'a
		ma demi sœur	uḥt-i men əḃḃ a/umm-i

المدخل الذي يثير الانتباه من بين سائر المداخل هو (الأخ/ الأخت من الرضاعة)، وهو ما قابله بـ (frère/sœur de lait)، وهي عبارة غامضة، ولاسيما للأجنبي الذي يجهل هذه الوضعية، لأنها تدخل في خصائص الشعوب واللغات، فلا اعتبار لهذه الظاهرة إلا في البلدان المسلمة، لأنه يترتب عنها نشوء علاقة أخوة بين أبناء المرأة المرضع والرضيع الذي أرضعته الأم، وهو ما تترتب عنه أحكام شرعية إذ يعتبر هذا الطفل من محارم المرأة المرضع، فهي أمه من الرضاعة، وأبنائها هم إخوته.

بالإضافة إلى عدم الدقة بين بعض المداخل ومقابلاتها الفرنسية مثل: (weld el- 'emm) و (le cousin paternel)، فالمقابل الفرنسي أشمل من المدخل العربي، إذ يدلّ مطلقاً على القريب من جهة الأب في حين يدلّ بالعربية على ابن العم، وهو ما يعكس وجود فروق بين الثقافات واللغات، تؤدي في بعض الأحيان إلى صعوبة إيجاد المقابل بدقة.

يلاحظ أنّ المستشرق، حاول الإحاطة، بأهمّ الكلمات التي، قد يحتاجها المتعلم في مجال (العائلة)

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p17.

فبالنسبة إلى المدخل الأول، وهو (العائلة)، ذكر كلمتين الأولى فصيحة تماما، وهي: (العائلة)، والثانية فرنسية دخيلة، وهي: (la famille)، أشار إلى أنها مقترضة، بملاحظة (empr au.fr). أما المدخل الثاني فذكر فيه ثلاث كلمات، وهي: (الأب، البو، الوليد)، إلا أنه لم ينسبها إلى المناطق التي تستعمل فيها، وهي كلمات فصيحة محرّفة نوعا ما، دون أن يؤثر ذلك في فصاحتها كثيرا، وهي متبوعة بالرمز (m)، للدلالة على تذكرها. أتبع العمودان بفقرتين، تضمّنتا بعض المداخل التي أراد المؤلف توضيحها، وذكرت بعدها باللّغة الفرنسية، وهو ما سيأتي.

3-2-2-3 الفقرات: (1)

A- F-el beldān tā ‘ šamāl Ifrīqyā, el-‘ā’ilāt kbār: šī merṛāt, w b el ḥuṣuṣ f el bādiyya, nelqāw f dār weḥda **el-ab w-el-umm** w m ‘ahum wlād-hum, **el- ḡ edda w- el-ḡedd**.
B- **El- ‘ā’ilāt** el-kb ār elli fi-hum **el-wlād w el-bnāt**, **er-rbīb w en-nsīb w eš-šraykāt** I ‘erfu bezzāf tā ‘ el-mašaākil. **Et-terbiyya** teṣ ‘āb w-el-ḥayāt tā ‘ mūl eḍ-dār m ‘a **le-mṛa** ta ‘-u w m ‘a l-ūhrīn twelli mwetṛa.

تضمّنت هاتان الفقرتان، بعض المداخل الواردة، ضمن العمودين الأول والثاني، وهي مكتوبة -كما يلاحظ القارئ الكريم- بالبنط العريض، تمييزا لها عن الكلمات الأخرى، وهي تتحدّث عن الحياة العائلية في بلدان شمال إفريقيا، وكثرة عدد أفراد هذه العائلات أحيانا، وبخاصة في البادية، المتكوّنة من الأب والأم والأبناء والجدّة والجدّ. وفي الفقرة الثانية أيضا يواصل الحديث عن العائلات الكبيرة التي تتكوّن من الأولاد والبنات، ومن الرّبائب والأصهار والضرائر، تعرف مشاكل كثيرة وأنّ التّربية تزداد صعوبة، وحياة ربّ البيت مع زوجته، ومع الآخرين تصير متوتّرة. وبعد عرض الأعمدة وتوضيح بعض المداخل بواسطة فقرات تتضمّنها، مع إيراد ترجمة فرنسية للفقرتين، ليتمكّن الفرنسيون من فهم هذه الكلمات في سياق استعمالها، إذ وردت في الأعمدة خارج السّياق. ينتقل إلى ذكر بعض العبارات الاصطلاحية والحكم والعبارات التي يحتاجها المتكلّم بكثرة في تواصله مع الآخرين، وهي المحطّة التي ستأتي.

3-2-3-3 تعابير وصيغ اصطلاحية (Expressions Et locutions Idiomatiques):

وردت سبع (7) عبارات بالعاميّة، قابلها باللّغة الفرنسية، وتحقيقا للفائدة تمّ إيراد المقابل باللّغة العربية.

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p17.

جدول يمثل تعابير وصيغ اصطلاحية⁽¹⁾

باللغة الفرنسية	باللغة الفصحى	بالعامية
couper la faim.	سدّ الجوع.	herres ej-jū ‘
avoir plusieurs cordes à son arc.	لا تضيقّ واسعا/ رحمة الله واسعة/ اعمل بما عندك. لا تحقرن من المعروف شيئا.	elli ‘end-u gīr bāb weḥda el- lāh ised-ha ‘lī-h

يُلاحظ أنّ هذه العبارات، تعكس الواقع الاجتماعي للمغاربة، وهي كثيرة الاستعمال، ولكنها تبرز الوضع المزري، وتدني الأوضاع الاجتماعية لأهلها.

-حكم مغربية (Proverbes Maghrébins) :

دُكرت تسع (9) حكم عامية بالطريقة السابقة نفسها، بمعنى ذكر الحكمة بالعامية ثم يقابلها بترجمتها في اللغة الفرنسية.

جدول يمثل حكم مغربية⁽²⁾

الفرنسية	الفصحى	العامية
qui se protège de toi par un fille, protège toi de lui par un mur.	-إذا كنت ريجا فقد لاقيت إعصار. - الكيل بمكيالين.	elli ḍerq-ek b hīt ḍerq-u b hīt
le riche quand il vole, on prétend qu’il a oublié ; le pauvre quand il oublie on affirme qu’il a volé.	- يجوز له ما لا يجوز لغيره.	et-tājer ila sreq iqūlu nsa, el- meskīn il a nsa iqūlu sreq.
l’année où je pense pouvoir acheter un tapis, je me vois obligé de vendre la natte.	-تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.	el-‘ām fāš nebgi nešri l-qṭifa nbī ‘ el-ḥṣīr

لاشك أنّ هذه الحكم تعكس الواقع المعيش للعربي والمغربي عموما، في حياته اليومية وتعالج بعض الظواهر الاجتماعية التي يواجهها، وهي منسجمة مع حقل العائلة إلى حد ما، ومع الواقع الثقافي للمغاربة. يبدو أنّ المؤلّف، حاول اختيار عبارات وصيغ اصطلاحية، وحكما من واقع المغاربة، وتعبّر عن اهتماماتهم حسب، وهي في مجملها تدور حول العلاقات، والصراع مع الآخر، وسدّ الجوع، والشعور بالاحتقار والتهميش، وعسر العيش.

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L’ARABE MAGHREBIN. p20,21.

²- ibid. p21

- صيغ للترحيب والتهنئة (Expressions d'accueil et de félicitation)

أول ما يلفت نظر القارئ في هذه العبارات، هو مطابقتها للغة العربية الفصحى، باستثناء بعض التغيرات البسيطة في حركة بعض الحروف، أو حذف بعضها، وعددها اثنتا عشر (12).

جدول يمثل صيغ للترحيب والتهنئة⁽¹⁾

العامية	الفصحى	الفرنسية
es-salāmu ‘alīk/kum(la paix sur vous)	السلام عليكم.	bonjour
ahlan, mṛehḇa	أهلاً، مرحباً.	sois/soyez le(s) bienvenu(s)
tfeḍḍel (-u)	تفضل	je t’/vous en prie.
hniyya, meḇrūk	مبروك، هنيئاً.	félicitation !
šukran	شكراً.	merci.
b el-faraḥ, b kull faraḥ	بالفرح، بكل سرور.	avec plaisir, très volontiers.

أما صيغ الترحيب والتهنئة، فيلاحظ أنه اكتفى بأهم ما يحتاجه الأجنبي من عبارات، وهي بسيطة.

3-3-3- محور الدين والمعتقدات: (2)

3-3-3-1- قوائم الكلمات: افتتحت بالعنوان: (LES RELIGIONS ET LES

(ED-DIYYĀNĀT=WEL-‘TIQĀDĀT) CROYANCES). يتضمن هذا الموضوع أربعة (4) أعمدة (A,B,C,D)، احتوى الأول على أربع وعشرين (24) كلمة، والثاني والثالث على ثلاث وعشرين (23) لكل منها، والرابع على واحد وعشرين (21). وتُتبع هذه الأعمدة بفقرات عامية تُوظف فيها أبرز الكلمات الواردة في العمود الواحد، إذ اختار من حرف الـ (B) إحدى عشرة (11) كلمة.

تضمن هذا المجال مداخل متنوعة، تشمل الديانات، إذ ذكرت كلمات تنتمي إلى الإسلام، مثل: (الرسول-النبي الصلاة، التسبيح، القرآن، المصحف، الحديث، السنة، الشهادة، الله، الصيام، الإمام الفاتحة الركعة الفقه مكة، الحج، الزكاة، المؤذن، الخطبة، الوضوء، التيمم...). كما وردت كلمات للديانة المسيحية واليهودية والبوذية، ولم يكتف بهذا؛ بل وردت كلمات تشير إلى بعض الممارسات، التي لا تعدّ من الدين وليس من اللائق أن تُنسب إليه، وهذه نماذج لما سبق ذكره: (الدين، الإيمان، الملحد، المسيحية المسيحيين-النصارى، الكنيسية، الراهب، عيسى، الدجال، موسى، الإنجيل، الزبور، البابا، اليهودية اليهود، يهودي إسرائيلي، عبراني، الخاخام، التوراة، البوذية، بودا، السيد الزاوية، الشريف، الولي الشواف، الشعوذة الحرز

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p.22

² - ibid. p67.

السحور السحر الخيال، الفال، الطيرة، البخور العين، الصفيحة الخميسة...). * هذه بعض الكلمات التي وردت ضمن هذا المجال. سيُعرض العمود الأخير من هذا المجال وهو الحرف (D).

(D): العمود (1)

جدول يمثل كلمات العمود (د)

العامية	الفصحى	الفرنسية
el-'tiqādāt(f)	الاعتقادات	les croyances
el-'ādāt(f)	العادات	les traditions
eš-šīṭan(m), īblīs(m)	الشيطان، إبليس	le démon
el-'efrīt(m), ej-jenn(m)	العفريت، الجنّ	le diable, le génie
es-seyyed(m), el-wali	الوليّ	le marabout
ez-zāwya(f)	الزّاوية	la zaoui établissement religieux d'une confrérie musulmane
eš-šrīf (m)	الشّريف	desendant du prophète
el-wli(m), el-wālī(m)	الوليّ، الوالي	le saint
rāz	زار	visiter
eš-šewwāf(m), el-gezzān(m) (empr au ber), el-'erṛāf(m). (t)	العزّاف	le voyant
eš-še'wada(f), et-tmerḃit(m), (a).	الشّعوذة	la superstition
el-herz (m), el-ḥjāb(m), el-ktāb(m)	النّميمة	l'amulette
es-shūr(m), es-sihr(m)	السّحر	la magie
eš-šbāḥ, el-ḥyāl(m), el-'ebbīta(f)(t), eṛ-ṛehḃān(m), (a)	الأشباح	les fantômes
el-fāl(m),	الفأل، الفال	le bon augure
eṭ-ṭīra(f)	الطّيرة	le mauvais augure
el-ḃḥūr(m)	البخور	l'encens
el-'īn(f)	العين	l'œil, le mauvais œil, la source
eṣ-ṣfīḥa(f)	صفيحة حصان	le fer à cheval
el-ḥmīsa(f)	يدّ	la main de fatma

* يذكر البحث أنّ الكلمات وردت بالخط اللاتيني.

¹ – Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p68 .

تضمّن هذا العمود كلمات متنوّعة، يجهل القارئ الأسس التي اعتمدت لترتيبها، ووضعها ضمن عمود واحد، وهي في معظمها عبارة عن طقوس لا علاقة لها بالدين، والغريب هو وجود بعض الكلمات المنتمية إلى ديانة بعينها، مثل: (الزّاوية، الشّريف)، وحسب شرحه لهذه الكلمات، فهي منسوبة للمسلمين.

3-3-2- الفقرات:

أمّا الفقرة التّابعة للعمود (D) فسيأتي ذكرها، للوقوف على مضمونها، والكلمات التي أبرزها.

D- Bezzāf tā ‘ el-‘adāt w el-‘tiqādāt yetmāšāw m ‘a d-diyyānāt kul-ha. Hād el-‘tiqādāt ‘end-ha ‘alāqa m ‘a š-še ‘wada. F el-islām Matalan be ‘ḍ en-nās yemšīw izūr-u l –wālī aw idīru l-hjāb aw el-ḥmīsa f el-‘enq.

‘End el-massīhiyyā nelqāw ‘āwd bezzāf tā ‘ en-nās ye ‘elq-u š-šfīha ‘end bāb dār-hum bāš yetteḥmāw men el-‘īn āw yemšīw ‘end eš-šewwāf aw ‘end es-seḥḥār.

الفقرة تقول: إنّ الكثير من العادات والاعتقادات، تتماشى مع الديانات كلّها، وهذه الاعتقادات لديها علاقة مع الشّعوزة، في الإسلام مثلاً بعض النّاس يزورون الولي، ويضعون الحجاب أو الخميسة في العنق.*

في المسيحية يعلّق الكثير من النّاس صفيحة، عند باب دارهم، ليحموا أنفسهم من العين، أو يذهبون إلى المشعوذ أو السّاحر.

ما يمكن قوله حول مضمون هذه الفقرة، أنّ فيها خلافاً في التعبير عن الفكرة، حيث ربط المؤلّف بين طقوس وممارسات لا دينية؛ بل أكثر من ذلك هي ضدّ الدين، إذ تحرّم الديانات السماوية كلّها هذه الممارسات فكيف تنسب إلى الدّين مهما كان؟ لو قيل عوض ذلك المغاربة والفرنسيين لكان مقبولا، فالمسلم الحقّ لا يفعل هذه الأمور، ولا المسيحي الحق ولا حتى اليهودي الحقّ. كما تتضمن إشارة واضحة إلى ما يدعو إليه العلمانيون من حوار الأديان وإلغاء الفوارق بينها؛ بل إلغاء تأثيرها في المجتمعات.

كما يحقّ للقارئ الكريم أن يتساءل عن سرّ اختيار هذه الكلمات دون غيرها، فقد وردت واحد وعشرون (21) كلمة في العمود، ووقع الاختيار على الكلمات المرتبطة بالسّحر والشّعوزة؟ هل هناك رسالة معيّنة يريد إيصالها للقارئ؟ ورغم أنّ العمود (C) لم يذكر، إلّا أنّه وقف عند الفقرة المختارة له لوجود ملاحظة لا بدّ من ذكرها، وقد يكون الأمر خاصا بمنطقة المغرب الأقصى، أو هو سهو، ولا يمنع

* من الطّقوس يد تعلق لردّ العين، وهو محرّم ولا يجوز شرعا.

هذا أو ذاك من إيراد الملاحظة.

- Ed-diyānāt meḥtālfa. Kull mu'min 'end-u imān f ed-dīn tā '-u, f er-rasul tā -u w f el-ktāb tā ' ed-dīn tā '-u. El-mumen elli ma yebgi yemši l ej-jenna iṣṣlī bezzāf.

تقول الفقرة: الديانات مختلفة، وكلّ مؤمن يؤمن بدينه وفي رسوله، وفي الكتاب الذي جاء به دينه المؤمن الذي يريد دخول الجنة، يجب أن يصلي كثيرا. وقد وردت الجملة في الفقرة السابقة بالنفي وقد تكون لهجة أو هفوة، «elli ma yebgi yemši l ej-jenna iṣṣlī bezzāf»، وهنا الأصل هو حذف أداة النفي (ma)، لتصبح: «elli yebgi yemši l ej-jenna iṣṣlī bezzāf».

3-3-3-3- تعابير اصطلاحية (Expressions Et locutions Idiomatiques): (1)

وردت خمس عشرة (15) عبارة، بالعامية ثم قابلها باللغة الفرنسية، وتحقيقا للفائدة أضيف المقابل باللغة العربية الفصحى.

جدول يمثل بعض التعابير الاصطلاحية

بالعامية	باللغة الفصحى	باللغة الفرنسية
meskūn	ممسوس	il est hanté (par le diable)
fṛeq eṣ-ṣyām	صيام متقطع	rompre le jeune
kṭeb 'el el- 'īn	كتابة حجاب للعين	écrire contre le mauvais œil
eddī l-farīḍa	أدى الفريضة	accomplir le devoir
werri-ni ṣṣāyeh rejli-k	طرد شخص	envoyer balader

أهم ما يمكن تسجيله، أنّ معظم هذه العبارات تدور حول بعض المعتقدات الشعبية والطقوس. أمّا العبارة الأخيرة، فلا علاقة لها بالدين، وتدخل في التعاملات اليومية بين الأشخاص.

-حكم مغربية (Proverbes Maghrébins): (2) ذُكرت تسع (9) حكم عامية بالطريقة السابقة نفسها، بمعنى ذكر الحكمة بالعامية ثم يقابلها بترجمتها في اللغة الفرنسية.

¹ -Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p6 .

² - ibid. p69,70.

جدول يمثل بعض الحكم ضمن حقل الدين

العامية	الفصحى	الفرنسية
hūt f eṭ-ṭīn w ‘ edyān f ed-dīn	إخوة في الطّين أعداء في الدّين	frères nous sommes par le limon et ennemis par la religion. (allusion à l’origine biblique et coranique de l’homme)
<u>ed-dīn iheddem ed-dīn</u>	الدّين يهدم الدّين	la dette impayée démolit la religion. (aussi bon croyant soit-il, un débiteur qui mène la vie dure a très peu de chance d’honorer ses dettes).
<u>elli bga yeslem ma ihālet meslem</u>	الحذر من المسلم المغشوش	celui qui veut être en paix se doit de ne fréquenter aucun musulman. (se dit de celui qui a été échaudé par un faux musulman).
‘ hellā bīt –u mša ištṭeb ej-jām	أثر غيره بالنّفع ترك شؤونه وانشغل بالمسجد.	il a laissé sa maison sans soin et il est allé balayer la mosquée du coin. (se dit de celui qui).

قد تعبّر الحكم الواردة عن تصوّر سلبي اتّجاه الجانب الدّيني، والمسلمين، رغم أنّ المستشرق وضّح بين قوسين أنّ المقصود بالقول هو المسلم المغشوش. أمّا الملاحظة العامّة، فهي أنّ الدلالات السّلبية هي الطّاغية على العبارات المختارة. وآخر مثل تضمّنه الجدول يشير إلى ظاهرة يُؤثّر فيها الشخص الآخرين، وينشغل عن أعماله بأعمالهم، إلّا أنّ صياغة هذا المثل ارتبطت بالمسجد، وفي هذا إساءة إلى رمز ديني، فالمسلم الذي ينشغل بدينه لا يُنقد على ذلك؛ بل هو شيء إيجابي، مع تسجيل أنّه فعلا من الأقوال التي يتناقلها بعض النّاس.

ضمّن الأستاذ ميشيل قيطوط كتابه، كلمات كثيرة على شكل حقول دلالية، وذلك لتسهيل مهمّة المتعلّمين، منها الفصيح على المستوى الصّوتي والصّرفي والمعجمي والدّلالي، ومنها ما خالف أحد هذه المستويات، ومنها العامي البعيد عن الفصيح، وكذلك مستوى الدّخيل.

3-4- مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

يذكر المؤلف المدخل العربي بالحرف اللاتيني، ويقابله بالكلمة الفرنسية، وما سجّل هو غياب الجانب الصوتي، والصرفي، والنحوي، باستثناء بعض المواضع التي يُذكر فيها الجمع أو المؤنث بين قوسين، والغالب هو المذكر فالمؤنث في بعض المواضع أو المفرد فالجمع أو المثني، وهما منفصلان وكأنّهما مستقلان، وأحيانا يكتفي بالمفرد.

3-4-1- المستوى الصوتي: وردت معلومات صوتية كثيرة في متن الكتاب، ولاسيما في بدايته ومما

ذُكر: المدة الزمنية للأصوات (La durée vocalique): ⁽¹⁾ ينبّه المؤلف في البداية إلى عدم اتّفاق اللسانيين إلى حد الساعة حول المدة الزمنية للأصوات، واستشهد بقولين، أحدهما: لريشارد سلا د هرال (Richard Slad Herrell)، الذي لا يرى ضرورة لتحديد المدة الزمنية للحرف أو الصوت. ويفرق بين صوائت مستقرة (ثابتة) وهي غالبا طويلة، إلّا في آخر الكلمات إذ ترد قصيرة، والصّوامت المتغيرة دائما قصيرة. أما المؤلف، فيرى ضرورة الاستعانة ببعض الرموز احتياطا، وذلك في انتظار اختراع أجهزة تقيس أصغر وحدة سمعية، وللتعبير عن طول الصوتم ستوضع فوق الصّوائت مطّات: (ā, ū, ī).

قائمة الصّوامت: هذه قائمة الحروف الواردة في كتاب العاميات المغاربية المعتمدة. أحوال المستشرق القارئ إلى الهامش، حيث نبّه إلى استثناء يخص الحرف [g]، (dj) الذي يستعمل بطريقة خاصة، ولاسيما في الجزائر، وقدّم مثال الجمعة (gem 'a) ووضّح أنّه لن يؤخذ بعين الاعتبار، كذلك بالنسبة لـ [d] [t] الموجودين في شمال المغرب الأقصى، وخاصة بتونس في الكلمات: (tlata, trois)، (ida, si). ⁽²⁾ تُسجّل ملاحظة بشأن هذه الحروف، وهي أنّها مستعملة وبكثرة في الجزائر. كما أشار إلى وجود صامت حنجري يكتب ['] لم يرق لرتبة فونيم بأنّ معنى الكلمة ونادرا ما يظهر، ويوجد في كلمات مقترضة من العربية الفصحى مثل: (la famille, 'a'ila)، كما نجد أداءً محليا آخر لهذا الصّامت إذ يحلّ محلّ حرف القاف /q/. مثل: (s 'ef: toit). ⁽³⁾ أمّا ما يثير الانتباه؛ بل والاستغراب في قول المستشرق، فهو توظيفه عبارة (كلمات مقترضة)، وكأنّ اللّغة العربية الفصحى لغة، واللّهجة العربية لغة أخرى، في حين أنّ اللّهجات العربية تفرّعت من الفصحى أو هي تحريف لها بدرجات متفاوتة.

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p8.

²- ibid. p7.

³- ibid. p7.

أشباه الصّوائت (les semi-voyelles): ⁽¹⁾

جدول يمثل أشباه الصّوائت

semi- voyelle bilabiale	w	wālu, rien
semi- voyelle palatale	y	yedd, main

-الصّوائت (les voyelles): ⁽²⁾ يقول الأستاذ قيطوط يمكن تقليص نظام الحركات في اللهجة العربية إلى: (/a/، /u/ (ou =français) /i / وبالنسبة إلى /a/ المسجل هنا للتسهيل على القارئ. (/ə/، والذي سيلقى معاملة خاصة.

بالنسبة إلى الفونيمات (الحركات) الثلاثة الأولى، تظهر على شكل ألفونات مختلفة، حيث يفرض السياق (نوع الكلمة) الجرس المناسب، فمثلا [a]، في (pays=) beldān أقل انفتاحا من الموجود في grāb (=corbeau)، وهذا بتأثير الحرف اللّهوي /g/ والمفخّم /d/. ربما يقصد /b/، لأنّ /d/ غير موجود ضمن حروف الكلمة. و[u] في grūb (=coucher) ينطق [o] لوجود الحرف اللّهوي /g/ في الكلمة والحرف المفخّم /r/. و[i] في qīb ينطق [ε] بسبب تفخيم الحرف /t/. ويعتبر /ə/ فونيميا مستقلا، عندما يسمح حسب موقعه بتمييز الفعل عن الاسم الظاهر، مثلا: (berd, froid / bred, il a froid). ويمكن أن يكون مجرد مزلق صوتي (وسيط صوتي) (un simple lubrifiant phonétique)، عندما يأتي داعما، يُتَكَوَّر عليه عند نطق مجموعة صوامت، مثل: (se taire /sket).

3-4-2- المستوى الإملائي: سجّلت بعض الهفوات على مستوى كتابة بعض الكلمات.

3-4-2-1- خلل في كتابة بعض الكلمات والعبارات: كُتبت بعض المداخل بطريقة مجانية للصّواب فمثلا العبارة: (mammāti) لم ترد وفق المعايير التي قدّمها المؤلّف في بداية عمله، فالأصل أن يفصل بين الكلمة والضّمير بمطّة، كما كتبت الكلمة المحاذية لها، (ḡeddāt-i)، ⁽³⁾ كذلك بالنسبة لكلمة (es-) بين الكلمة والضّمير بمطّة، وهو ما جعل الكلمة لا تُفهم، وهي (الصّومعة)، وكلمة (el-ḡāḡām). ⁽⁵⁾ (الخابخام)، تكتب بجاء فحاء، (الخابخام). وكلمة (el-qniyya, el-qnīna)، والغريب أنّه وُضع أمام الكلمة

¹- Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p8.

²- ibid . p8.

³- ibid. p17.

⁴- ibid, p 67.

⁵- ibid. p 68

رمز يبين أنها مقترضة من البربرية، وفي حدود العلم، ففي القبائلية -إذا كان هذا ما يُقصد بالبربرية- يقال للأرنب (أُوْتُول) وليس (قنينة) أو (قنينة)⁽¹⁾ علما أنّ هناك كلمات كثيرة وردت بـ (الفا)، قد يكون خطأ مطبعيا، فالعامّة ينطقون الكلمة (قنينة)، وقد يكون ذلك تأثرا بالفصحى.

يبدو من خلال دراسة بعض أعمال المستشرق ميشيل قيطوط أنّه من دعاة كتابة العربية بالخطّ اللاتيني وهو ما ظهر في أعماله المطّلع عليها، بما فيها قاموسه الثنائي المختص (اللسن).

3-4-3-المستوى الصرفي:

3-4-3-1-التعامل مع الحروف والمدود الحركات:

- الخلل في التعامل مع ال التعريف: راعى المؤلف كتابة ال التعريف إلى جانب الحروف القمرية وإسقاط اللام مع الحروف الشمسية، إلّا أنّ هناك خللا في بعض المواضع.

جدول يمثل الخلل في التعامل مع ال التعريف

العامية (2)	الفصحى	العامية (3)	الفصحى
el-ḥmāt	الحماة	el-‘gūza	العجوزة
el-ṛḥām	الرّخام	ej-jnīna	الجنينة
b ej-jemla	بالجملة	ed-dqīqa	الدقيقة

يلاحظ أنّ المؤلف يوظف (ال) التعريف، بطريقة قريبة من الفصحى، وذلك في حالات يسقطها فيها العامّة، والجدول السابق ذكر بعض المواضع، مثل: (العجوزة)، التي تُنطق (لعجوزة)، كما أسقط اللام وأدغم الحرف الأوّل من الكلمة، في حين أنّ الحرف قمرى، والأصل فيه الظهور، مثل: (بالجملة) أو (الجنينة) والعكس أثبت اللام مع الراء، وهو حرف شمسي في كلمة (الرّخام)، والأصل أن تسقط اللام.

-الإدغام والمدود: تحكّم المؤلف في ظاهرة الإدغام وموضعها إلى حدّ كبير، إلّا أنّ هذا لم يمنع من وجود بعض الحالات التي وظّف فيها الإدغام في غير موضعه وأسقطه في مواضع أخرى تستوجبها.

¹- Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. 101

² - ibid p17,19 , 38.

³ - ibid. p17,19 ,91 .

جدول لبعض الكلمات تساهل فيها مع الإدغام

العامية (1)	الفصحى	العامية (2)	الفصحى
el-anāniya	الأنانية	ej-jār	الجار
ej-jemjma	الجمجمة	ādḍker	ذاكر

تمثل هذه الكلمات أمثلة، حدث فيها خلل على مستوى الإدغام، حيث أسقطت الشدة أحيانا في مواضع تستوجب الإدغام، ووردت الشدة حيث لا ضرورة لذلك، فمثلا كلمة (الأنانية) تكتب بتضعيف الياء، أما الكلمات المتبقية، فهي كلمات أدغمت، والأصل فيها عدم الإدغام، معظم الكلمات التي تبدأ بالجيم، وردت بهذا الشكل، رغم أن المؤلف قد أشار إلى أنه لا يخضع للإدغام، لكونه حرفا قمرى، كما بدأ الفعل (ذاكر) بتضعيف فائه، وهذا ما لا يكون أبدا في اللغة العربية. أما المدود فوردت في معظم الكلمات بطريقة صحيحة، إلا أن هناك بعض الهفوات، حيث مدّ حروفا دون الحاجة إلى ذلك، ولم يمدّ بعض الحروف التي تستدعي المدّ.

جدول يمثل نماذج لهفوات على مستوى المدود

العامية (3)	الفصحى	العامية (4)	الفصحى
المدّ في غير موضعه أو مدّ غير ملائم			
el-walīd	الوالد	eṣ-ṣābi	الصّبي
en-nfīsa	النفساء	el-wālī	الوليّ
jī ‘ān	جوعان	metfāhem	متفهم
eṣ-ṣalāl	الشلل	hlāq	خلق
المواضع التي سقط فيها المدّ			
‘ašūra	عاشوراء	et-tajin	الطّاجين
eṭ-ṭin	الطين	šarek	شارك

تضمّن الجدول كلمات بالمدّ؛ والأصل ألا يرد أو أنه في غير موضعه مثل: (الصّابي، والوليّ) وورد في غير موضعه، مثل: (الواليد، النّفيسة)، وهو زائد في كلمات مثل: (الشلل، وخلاق، متفاهم) وفي نوع المدّ، مثل: (جيّعان والأصل جوعان). كما وردت كلمات أسقط فيها المدّ.

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p 52,55 .

² - ibid. p,118 .

³ - ibid. p17, 20, 33, 62 , 23, 39.

⁴ - ibid. p19,49 ,63 ,29,45

جدول يمثل تحريفا على الحركات

إسقاط حركة أو وضع حركة عوض حركة أخرى			
العامية ⁽¹⁾	الفصحى	العامية ⁽²⁾	الفصحى
bent el- 'emm	ابنة العم	el- 'emm	= العم
el-ħjer	الحجر	el-hwa	الهوى
hāl̥t	خالط	eš-šjā 'a	الشجاعة
el-ktaba	الكتابة	el-meħħ	المخ
ntšerf	أنتشرف	el-ħbūb	الخبوب

تعتبر هذه الظاهرة الأكثر تكرارا، إذ معظم التغييرات الطارئة على الكلمات الفصيحة، هي تغييرات على مستوى الحركات؛ ولاسيما التّسكين أو وضع حركة مكان حركة أخرى.

جدول يمثل زيادة حرف غير موجود

الكلمة بالعربية ⁽³⁾	أصل الكلمة	الكلمة بالعربية ⁽⁴⁾	أصل الكلمة
ensūbiyya	النسب	ed-dymand	diamant
stehfed	حافظ	el-klawi	الكلى
el-beryān	البرء	el-knisiyya	الكنيسة
tes'ud	تسعة	eš-šemmān	الشّم
ed-dūqān	الدّوق	mestezreq	أزرق
zūj šhura	شهران	ed-ḍrārj	الأدراج
et-tšwīra	الصّورة	el-meḡta	الغطاء
eš-šbelyūniyya	الإسبانية	el-khūl	الكحل
el-ḥḍuriya	الاخضرار	m̥la'bi	لاعب

هناك أنواع كثيرة من الزّیادات، منها اللاواحق كزيادة الياء أو الواو في آخر الكلمة، مثل: (النسوبيّة الكنيسيّة، السبنيوليّة، الخضوريّة، الكلاوي). وأضيفت اللاحقة (ان)، و(الدال)، مثل: (البريان الشّمان الذوقان، دياموند، تسعود). كما أضيفت سوابق في بداية الكلمة، مثل: (مستزرق، مغطى، ملاعبي التّصويرة). وسُبقت كلمة (شهران) بكلمة أخرى هي (زوج)، والأصل في العربيّة، هو استعمال الاسم

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p17,18, 44, 49, 52.

² - ibid. p17,19 , 51, 57, 142 .

³ - ibid. p17, 49, 61, 72, 79, 93, 111, 123, 142.

⁴ - ibid. p39, 58 ,68,79,86, ,111, 118, 131, 145.

المثنى دون إسناده إلى الأعداد، أي: (شهران لا زوج شهورة). ومما لوحظ المدّ الذي أدخله على كلمات مثل: (تصويرة، شهورا، وكحول)، والأصل في هذه الكلمات هو: (صورة، شهران، وكحل).

جدول يمثل حذف حرف من الكلمة

الكلمة بالعربية ⁽¹⁾	أصل الكلمة	الكلمة بالعربية ⁽²⁾	أصل الكلمة
el-ḥīt	الحائط	er-rḍi 'a	المرضعة
et-wām	التوأم	es-sās	الأساس
el-ḥellār, ez-zāj	البلور، الزجاج	geyyeb	تغيّب
el-'za	العزاء	tnāš	اثنا عشر
ez-zka	الزكاة	er-rīḥa	الرائحة
en-nīf	الأنف	eḍ-ḍdu, eḍ-ḍaww	الضوء
nuṣṣ kilu	نصف كيلو	el-'utman	العثمانيون

يتّضح أنّ ظاهرة الحذف تكرّرت في حالات معيّنة، أهمّها: الهمزة في حالاتها الثلاث، سواء أكان في بداية الكلمة، أو في الوسط أو في آخرها، وهي ظاهرة شائعة لدى العامّة. بالإضافة إلى حذف آخر بعض الكلمات، مثل: (نص) وأصلها (نصف)، و(العثمان) التي تنطق (العثمانيون)، وفي أولها وآخرها مثل: (تناش)، أصلها (اثنا عشر). أمّا بالنسبة إلى التاء المربوطة في آخر بعض الكلمات، فيغلب أنّها أسقطت، مثل: (الزكاة)، فالعامّة ينطقون التاء، في حين لم ترد في المتن، كذلك الأمر بالنسبة إلى للفعل (غيب)، والأصل فيه هو (تغيّب).

جدول يمثل قلب حروف الكلمة: (3)

الكلمة بالعربية	أصل الكلمة	الكلمة بالعربية	أصل الكلمة
kseksu	كسكس	el-m 'ilqa	الملقّة
et-tebsima	ابتسامّة		

تضمّن الجدول نماذج لظاهرة القلب المكاني في العامية، وهي قليلة مقارنة بالظواهر الأخرى. فمثلا كلمة (ملقّة) أصلها (ملقّة)، وكلمة (El-kenwa)، تنطق عند بعض العامّة عادة (الكُنْية النّكوة)، هناك قلب لحروف الكلمة، وإعلال الياء الذي قلب واو.

3-4-4- المستوى الدلالي: وردت بعض الكلمات المختلفة في العربية، بمقابل فرنسي واحد

وهو ما قد يؤثّر سلبا في المعنى، وهذا مثله لها.

¹ - Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p 17, 18, 39, 63, 68, 79, 97, 111, 118.

² - ibid. p 18,17, 19,45, 63,71, 79,111,121.

³ - ibid. p 29, 32, 56.

• القلب المكاني ظاهرة صرفية تحدث في الكلمة فتقدّم وتؤخّر مكان حروفها، ويحدث هذا عادة لتخفيف الكلمة.

3-4-4-1- كلمات مختلفة بمقابل واحد:

جدول يمثل نماذج لكلمات عامية مختلفة مقابل كلمة فرنسية واحدة

العامية (1)	الفرنسية	العامية (2)	الفرنسية
-el-blūg, eṛ-rušd	la majorité	bāleg, rāšed	adulte
et-trrika, ad-durriyya	la postérité-	‘reḍ, ḍāyef, sted ‘a	inviter-
senyi, weqqe ‘, mḍi, bṣem, seḥeḥ	signer –	eṛ-rbī ‘, el-ḥšīš	l’herbe-
-ḥḍer, tqeddem	se présenter	ḡra, ‘jeb	séduire-
-el-qa ‘īda, el-‘āda	habitude	‘afā-k/kum/el-lāh iḥellī-k	s’il te/vous plait
el-jism, el-badan, ed-dāt	le corps	ed-denb, el-me ‘šiyya, el-yamīn, el-itm	le péché
‘wer, ‘ma, ḍrīr	aveugle	ḥernet, nheq, šheq	braire (âne...)
qreṣ, ldeḡ, ‘eḍḍ	piquer	el-m’ānda, el-mnāfsa	la concurrence-
el-luḡa, el-klām, el-hedra, el-lsān	la langue	dāq, qās	gouter

ليس هناك تطابق مع الكلمات العربية كلّها، مثل كلمتي: (البلوغ، الرشد)، اللّتين قابلهما بالكلمة الفرنسية (adulte, majorité)، في حين أنّ معنى الكلمتين مختلف، فقد يكون الشّخص بالغا، لكنّه ليس راشدا. والكلمتان (الذرية، التريكة)، مختلفتان في حدود العلم، إلّا أنّ تكون مستعملة بمعنى ذرية في منطقة معينة لم يُشر إليها، وقد قابلهما بـ (la postérité). كذلك الأمر بالنسبة إلى الأفعال: (عرض، ضايف استدعى) قابلها بـ (inviter). والاستدعاء كلمة توظّف في إطار رسمي عكس كلمة (دعا) التي تستعمل في المواقف الاجتماعية.

3-4-4-2- عدم دقة المقابل:

جدول يمثل نماذج لعدم دقة المقابل

العامية (3)	الفرنسية	العامية (4)	الفرنسية
eṣ-ṣihr	le beau père	eṛ-rdī ‘a	la nourrice
eṣ-ṣteḥ	la terrasse, le toit	es- sbū ‘	le baptême
sebba ‘	baptiser	el-muḇāra	le concours
b-el-qerd	en détail	eš-šrīf	descendant du prophète
el-wli, el-wāli	le saint	el-ḥmīsa *	la main de fatma
eṭ-ṭāga, (a)	la force	rzeg	brun
qette ‘ el biyyi	prendre un billet	ed-dalāl	la coquetterie

¹- Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p 17, 38, 45, 50, 55, 77, 108.

²-ibid. p 18, 19, 39, 49, 50, 67,81, 145.

³- ibid. p 17, 18, 20, 38, 68, 103, ,131.

⁴- ibid. p 17, 20, 37, 68,94 , 115.

* وردت كلمة خمسة بكتابات مختلفة: (khems), و (khemssa)، وفي ترقيم الصفحات كتبت بالشكل التّالي: (khamsa)، وردت في قاموس المستشرق قيطوط (el-ḥmīsa).

سُجِّلَت بعض الكلمات العربية، التي قابلها بكلمات فرنسية لا تناسبها، وقد تختلف الأسباب المؤدية إلى ذلك، من كلمة إلى أخرى، فكلمة (الصَّهر)، مثلا ليس لديها مقابل دقيق في الفرنسية، لأنَّه مرتبط بالاختلاف بين الثقافات، وكلمة (baptizer) تعني (عمد ونصر)، وتعني كلمة (سبع) مجرد الاحتفال باليوم السابع لميلاد الطفل؟ وتقام فيه عادة سنَّة العقيقة، وهي نحر كبش، والإطعام شكرا وحمدا لله عزَّ وجلَّ، وفي الكلمة التي وُظِّفَت تحريف لمعنى الكلمة، فالأصل هو مراعاة اختلاف المعتقدات عند الترجمة والمحافظة على دلالة الكلمة، ولاسيما إذا تعلَّق الأمر بالدين والمعتقد.⁽¹⁾ وهناك كلمات أخرى شُرِحت بطريقة جانبية الصَّواب، قياسا على ما هو معلوم، إذ يبقى احتمال استعمال هذه الكلمة بالمعنى المذكور في منطقة معيَّنة واردا، مثل:

es-swāk⁽²⁾ قابله بـ. l'écorce de noyer pour teindre les gencives et les lièvres. وهو شرح لا ينطبق تماما على هذه الكلمة، فالسَّواك ليس ملونا، والمعروف أنَّه عود أو غصن صغير يتكوَّن من شعيرات، يحتوي على مادة مطهِّرة، وهو مستعمل لتنظيف الأسنان، وفي الحديث النَّبوي الشَّريف يقول الرَّسول ﷺ: "لَوْلَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ"، [رواه الشيخان].

أما بالنسبة إلى الكلمات: (الرَّضيعة، والمباراة، وبالقرض، والشريف، والوالي، السطح، وازرق وقطع البطاقة)، فيحتمل أن تكون استعمالات خاصة بمنطقة معيَّنة، ولا يمكن الجزم بذلك، لأنَّ المؤلِّف لم يشر إلى المناطق التي توظَّف هذه الكلمات.

4- اللغة العربية في أعمال المستشرق ميشيل قيطوط:

4-1- رؤية المستشرق إلى اللغة العربيَّة من حيث مستويات التحليل والاستعمال:

4-1-1- رؤيته من خلال المعجم: كتب المستشرق قيطوط مقالات كثيرة حول العربية، وألَّف كذلك معاجم ثنائية ومتعددة اللغات، لأنَّها تساعد الأجانب على التحدُّث بالعاميات، وتعلِّم عاميات الوطن العربي، أكثر منه لأغراض علمية. ستكون البداية مع كتابه (INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN)، افْتُتِح بالحديث عن الفضاء اللُّغوي المغربي⁽³⁾ حيث قال: (من بين القضايا التي

¹ - Bureau des études et recherches, F.L.ALWAN et G.L.SIMON, M.SAID, dictionnaire Français-Arabe, قاموس dictionnaire général linguistique, technique et scientifique.(banquet).p78. فرنسي-عربي

² -Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p 131

³- ibid. p11.

تعدّ من المحظورات، ويصعب تناولها، دون أن تثير عند البعض تساؤلات في أحسن الحالات، ومعارضة في أسوأها، هي وضعيّة المغرب متعدّد اللّغات، ومتعدّد (الثقافات)، وهناك من يضيف متعدّد (الديانات).^{*} ويشير إلى مغالطة حول المغرب الذي، "كان يُقدّم دائماً، وفي كل مكان على أنّه يمثل رقعة جغرافية لسانية متجانسة منذ زمن طويل، وهذا لا يحيل بأيّ حال إلى الواقع، الذي يعيشه كل فرد من أفراده، في هذا الجزء من العالم".⁽¹⁾ ليعترف بعدها بأنّ التّعدّد اللّغوي ظاهرة إنسانية مشتركة بين معظم البلدان مبيّناً أنّ هناك خمسة آلاف (5000) لغة في العالم، وذلك في أقل من مائتي (200) بلد. كما أنّ (25%) فقط من هذه البلدان، تتخذ أكثر من لغة رسمية، وهذا يعني أنّ قضية التّعدّد اللّغوي، فعلاً قضية متشابكة تحيلنا على تمثّلات مختلفة ومعقّدة. وقد أشار في الهامش إلى سويسرا التي تعتمد ثلاث لغات رسمية منذ 1848م، وأضافت الرابعة سنة 1938م. (الألمانية، الفرنسية، الإيطالية، الرومانشية (romanche)). دون أن يشكّل هذا الأمر أيّ إشكال.

أمّا المغرب العربي (المغرب الأقصى، الجزائر، تونس)، فما يميّزه عن سائر بلدان الشّرق هو الممارسات اللّغوية، وتزوّدنا-شئنا أم أبينا-المعطيات (الإثنولسانية اللّسانيات الأجنبية*) بوجود ثلاث لغات هي العربية والفرنسية، والبربرية. والتي لا يمكن الحديث عن توزيعها بمعزل عن استعمالها في الأوساط المهنية، وبين السّكان، والمواقع الجغرافية.⁽²⁾ ركّز المؤلّف على إبراز الفرق بين المشرق والمغرب الذي حصّره في الاستعمالات اللّغوية الموجودة في المغرب، كما ربط نوع اللّغة المستعملة بالعوامل الثلاثة المذكورة، وهو يقصد بذلك أنّ كل مجال تسيطر عليه لغة معيّنة دون سواها، ففي المجال القانوني مثلاً اللّغة العربية، هي المستعملة بكثرة، وفي مجال الطب الفرنسية دون منازع، وفي الحوارات اليومية العاميّة، وهذه العامية تختلف تركيبها من منطقة إلى

* يحيل القارئ إلى الهامش، حيث يشرح المقصود من الديانات، «إشارة إلى مختلف المعتقدات التي تظهر على أنّها إسلامية معتقدات وعملية سحرية لها علاقة بالأساطير القديمة، وهو ما نجده في المرابطية (fétichisme)، التّمائم، (puniques) وممارسات وثنية بربرية (paganique) (animisme) (africain)، هذه الظاهرة نجدها في ديانات أخرى مثل الاحتفال برأس السنة (noël) في المسيحية، وهذا مثال من بين أمثلة أخرى؟ ولا بدّ من توضيح بهذا الشأن؛ إنّ الحديث حول الديانات لا يحيلنا بأيّ شكل من الأشكال إلى هذه الممارسات، بل هذه انحرافات تحاربها الديانات كلّها ولا علاقة لها بالدين لا من قريب ولا من بعيد، وهذا ما يُستغرب له، وهو نفسه يعترف بهذا عندما قال أساطير قديمة ومتى كانت الأساطير ديانات أو الديانات أساطير؟ وعندما يأتي التّمثيل للديانة المسيحية فإنّه يكتفي باحتفال رأس السّنة، وشئان بين هذا وذاك.

¹— Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p11.

* اللّسانيات الأجنبية هو المقابل لـ (ethnolinguistique)، وهذا حسب المعجم اللّساني للمؤلّف، ص 37.

²— Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p11.

أخرى، وتظهر الأمازيغية في مناطق معينة، وهو واقع تعيشه معظم بلدان العالم العربي. بعد التعريف بالتنوع اللغوي الذي يعيشه المغرب العربي، والتعقيدات التي جرّتها هذه الظاهرة على المنطقة، يصرّح بأنّه لم يذكر كل شيء، حيث وضح أنّ اللغة العربية تظهر في ثلاثة أشكال مختلفة، ووقف عندها بالتفصيل فتري كيف قدّم اللغة العربيّة؟

4-1-1-1- العربية الكلاسيكية (l'arabe classique):⁽¹⁾ هي اللغة الراقية والمقدّسة للقرآن

الكريم، وُضعت لها قواعد صارمة منذ قرون، وعبر عنها بعبارة (cette variété) هذا النوع أو الصنف يضمن انتشار تعاليم الإسلام، وقيم الثقافة والحضارة الإسلامية. هي لغة الكتابة، ولغة فئة المتعلمين* في المجتمع بامتياز، والتي لا تشكّل إلاّ أقلية في المغرب العربي. رغم أنّ المغاربة مع قلة تعلّمه يحملون للعربية الكلاسيكية إعجابا لا حدود له، وتوقيرا، وعندما يتخيّل عالما مثاليا، فإنّه يحلم بمغرب يتحدث فيه الجميع بالعربية الكلاسيكية، ويكتب بها، إلاّ أنّه عندما يعبر حقيقة عن أفكاره ينسى العربية الكلاسيكية التي اكتسبها في المدرسة، ليستعمل العربية المغاربة أو الأمازيغية، وهي لغات الأم بالنسبة إليه.♦العربية الكلاسيكية إذن، ليست أداة تواصل عفوي في أيّ مكان، وليست لغة الأم لأحد، لا في المغرب ولا في أيّ بلد عربي آخر.

4-2-1-1- اللهجة العربية (L'arabe dialectal):⁽²⁾ العربية العاميّة هي التي تضمن

التواصل الشفوي اليومي، في البيت والشارع، وفي المواقف غير الرسمية إلخ، وبها تكون الممارسات اللغوية اليومية للمتقنين، والمتعلمين وكل طبقات الشعب. كما تحدّث عن استحالة الانتقال إلى العربية الكلاسيكية انطلاقا من اللهجة العربية، وكذا من البربرية، وعليه ما دامت هذه اللغة (العربية الكلاسيكية) -حسب المؤلف- لا تعدّ لغة الأم للمغاربة، فاللهجة العربية هي لغته الأم. اللهجات المغاربة تتضمن عدّة تنوعات، يمكن أن تشكّل تقابلات متعارضة، بين اللهجات الحضرية واللهجات الريفية أو البدوية

¹- Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p11, 12.

* "لغة فئة المتعلمين"، هذا الكلام نسبي، ويمكن القول إنّه قد يتعارض مع واقع بعض البلدان المغاربة K على الأقل في الجزائر إن لم يكن فيها جميعا، فاللغة المسيطرة لدى الطبقة المثقفة، هي الفرنسية وليست العربية.

♦ أحال المؤلف القارئ في هذه النقطة إلى لويس برونو (Luis Brunot) introduction à l'arabe marocain، مدخل إلى العربية المغربية. وهو المسجل في الهامش. الصادر 1950م.

²- voir Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p 12, 13.

مثل: (تونس، وكذا في المغرب الأقصى، ما بين الشرق والغرب، وكذلك في الجزائر هناك اختلاف بين لهجة قسنطينة، وتلمسان والجزائر ووهران)، فاللهجات تختلف من منطقة إلى أخرى، ونجد أيضا تنوعات في الأداء، هذه الاختلافات، ولاسيما الصوتية منها، يمكن أن تصعب عملية التواصل، لكنها أبدا لا تمنع التواصل بين هؤلاء الأشخاص، وقد وقع الاختيار على لهجة عاصمة البلد من باب التسهيل.

يعترف المستشرق قيطوط بنفسه، أن اللهجات مدعاة إلى التفرقة، لأنها مختلفة في البلد الواحد فما بالك بين البلدان المختلفة. أما في المغرب فرغم أنها لهجة يتحدث بها معظم المغاربة، إلا أنها لا تحظى بأي اعتبار أو اعتراف رسمي. وهذا ما جعل بعض المغاربة يحتقرونها، ويعود ليزكر القارئ أن العربية الفصحى، تحظى بالتقدير عكس اللهجة العربية، وهي الشكل الشفوي، وتعتبر شكلا حقيرا من أشكال الكلاسيكية، وللكتابة تأثيرها في هذه الوضعية هنا، كما في مكان آخر، وفي الوقت ذاته تعتبر لغة الحياة اليومية العفوية. يدعو هنا المستشرق قيطوط بطريقة مباشرة إلى جعل اللهجات رسمية. مع تسجيل اللوم على عدم إعطاء العاميات المكانة التي تستحقها.

4-1-1-3- العربية الوسطى (l'arabe médian): ⁽¹⁾ يتحدث عن الازدواجية اللغوية

(diglossie)، وهي وجود نظامين لغويين متقاربين من أسرة واحدة يستعملهما المتكلمون، وقد نتجت عن الاحتكاك بين اللهجة العربية والعربية الفصحى، التي لا يمكنها الصمود طويلا أمام التطور الذي يستوجب مرونة الأنظمة النحوية، وتكييفها لمعجم اللغة العربية مع مقتضيات العصر. وفعلا مع مطلع القرن العشرين، قامت جماعة معاصرة من النخبة في المشرق، بإعطاء نفس جديد لهذه اللغة، وجعلها قادرة على أداء مقتضيات التواصل التقني والثقافي، ومسايرة مقتضيات العالم المعاصر بطريقة شاملة وفعالة. وبما أن المغرب كان تحت وطأة الاحتلال، فقد بقي على حافة الأحداث، ولم يستفد من هذه التغيرات، ولكن غداة الاستقلال قام بوضع سياسة لغوية جديدة، حيث أصبحت العربية لغة رسمية وتبدأ إجراءات إعادة التعريب مع المغاربة الوطنيين، الذين سعوا إلى تفعيل اللغة العربية التي كانت تغط في سبات منذ قرون. وكانت الحاجة إلى مخاطبة أكبر قدر ممكن من الناس والتعبير عن المصطلحات والأفكار، سببا في ظهور ما نسميه العربية الحديثة أو العربية الوسطى، وهي المستعملة اليوم في المغرب،

¹⁻ voir: Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p 13.

ليس في المغرب فحسب؛ بل في العالم العربي، في الصحافة المكتوبة، الإذاعة والتلفاز، وفي الملتقيات والحوارات الرسمية، والإدارة، وهنا يستشهد بقول لجاك بيرك (J.Berque): «العربية الوسطى ليس فيها لمسة اللهجة ولا عمق الكلاسيكية»⁽¹⁾ وهذا الوصف يعبر عن كون العربية الوسطى لا يستشعر فيها السامع أثر العامية، وفي الوقت ذاته لا يجد فيها العمق الذي تتسم به الفصحى. فرق المستشرق بين العربية الفصحى والوسطى، وفي الحقيقة الفرق الوحيد بينهما من حيث المفردات، حيث دخلت كلمات جديدة ومعظمها علمية وتقنية، وهو أمر حاصل وبديهي في اللغات جميعها.

ذكر المستشرق بالنسبة إلى مصطلح العربية الوسطى مصطلحا آخر، وهو العربية الحديثة في كتاب (لنتكلم العربية العامية المغربية)، ويبدو من خلال شرحه، أنهما مصطلحان لمفهوم واحد، وهو المصطلح الوارد عند أغلب المستشرقين، إلا أنه في حديثه عن اللغة العربية الحديثة، يشير إلى تخفيف النظام النحوي وتكيف لمفردات الفصحى لمسايرة الزمن، في حين الفصحى هي لغة الدين والمناسبات الدينية، أما العامية فهي لغة التواصل في الحياة اليومية، والمواقف غير الرسمية.⁽²⁾ اللافت للنظر فيما سبق أن المستشرق يتحدث عن تغيير للنظام النحوي، ولكن لم يكشف عن هذا التغيير، فالمعروف أن نظام العربية نفسه لم يتغير صحيح أن اللغة العربية أثريت بمفردات ومصطلحات جديدة، لكن هذا لا يعني بأي حال تغيير نحوها، وهذا حال اللغات في العالم بأسره، فهل المعجم الفرنسي في القرن التاسع عشر، نفسه مع المعجم في القرن الواحد والعشرين؟ فهل هذا يعني أن الفرنسية صارت فرنسية حديثة، بمجرد إثرائها بالمفردات والمصطلحات الحديثة؟ وقد أشار إلى الطريقة التي حددها العرب لتوليد الكلمات والمصطلحات الجديدة، وهذا يعني أنه مدرك لهذه الحقيقة.⁽³⁾ فهو لساني متمكن في الفصحى، وقد عكس قاموسه اللسان ذلك بجلاء.

يعكس هذا المعجم نزوع المستشرق ميشيل قيطوط نحو العاميات؛ بل هو يدعو لإقصاء الفصحى ذلك أنه يؤكد للقارئ أن الفصحى ليست لغة الأم لأي فرد في البلاد العربية، وبهذا يدعو إلى اتخاذ البلدان العربية العاميات المستعملة في حياتهم اليومية لغات رسمية.

¹— Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p 13.

²—voir ibid. p14.

³— voir Michel Quitout, Al-Lassin petit dictionnaire des termes des sciences des langages, français-arabe, p11, 12.

4-1-2- رؤيته من خلال مؤلفات أخرى: لابدّ من التذكير بأنّ المستشرق نفسه، قد وضع قاموسا

لسانيا، تمّ تحليله في الفصول السابقة، وقد وردت المصطلحات بالفصحى، وتميّز هذا البحث بدقّة كبيرة كما أنّه أورد مراجع عربية كثيرة، وهو ما يعكس تحكّمه الكبير في الفصحى. إلّا أنّ معظم مؤلفاته الأخرى اهتمت بالعاميات.

عموما، فإنّ المستشرق ميشيل قيطوط من أكبر المدافعين عن العاميات، وممّا ورد في ذلك، "هناك باحثون مغاربة، يتمنون أن يُعترف باللّهجات بوصفها رسميّة، وإدخالها إلى المدارس الابتدائية، وذلك لتسهيل الانتقال إلى اللّغة المسمّاة (فصحى) (أو كما سماها كلاسيكيّة)، وسيكون ذلك الأفضل حقيقة لتخفيف صدمة التّلاميذ، وليُسمح لهم باستعمال لغتهم الأمّ ومواصلة تعلّمها، وسيتمّ إدخال الفصحى شيئا فشيئا في المتوسّط والثانوي".⁽¹⁾ هذا الكلام دعوة صارخة وصريحة لتعليم العاميّة، ويتحدّث عن لغة فصحى في المتوسّط والثانوي بمعنى أنّها ستحوّل إلى لغة أجنبية ثالثة طالما أن الفرنسية والإنجليزية يشرع التلاميذ في دراستها في مستوى أقل بكثير من المستوى المذكور، فهل يعقل هذا الكلام؟

¹-voir :Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN.p9.

4-2- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث نظام الكتابة:

4-2-1- نظام الكتابة المستعمل بالنسبة للعربية المغاربية: (1)

جدول يمثل الحروف المستعملة في المعجم

أمثلة	النقحرة	point et mode d'articulation	مخارج الحروف وطريقة النطق *
bāb, porte	b	bilabiale occlusive sonore	شفوي مزدوج مطبق مجهور
baḥūr, bateau	ḥ	bilabiale occlusive sonore emphatique	شفوي مزدوج مطبق مجهور مفخم
pupuya, poupée	p	bilabiale occlusive sourde	شفوي مزدوج مطبق مهموس
fās, fès	f	labiodentale spirante sourde	شفوي أسناني انسيابي مهموس
mnirvi, énervé	v	labiodentale spirante sonore	شفوي أسناني انسيابي مجهور
māt, il est mort	m	bilabiale nasale sonore	شفوي مزدوج خيشومي مجهور
maṣṣa, masse	ṁ	bilabiale nasale sonore emphatique	شفوي مزدوج خيشومي مجهور مفخم
tata, caméléon	t	dentale occlusive sourde	أسناني مطبق مهموس
ṭir, oiseau	ṭ	dentale occlusive sourde emphatique	أسناني مطبق مهموس مفخم
dūd, vers	d	dentale occlusive sourde	أسناني مطبق مهموس
qāḍi, juge	ḍ	dentale occlusive sourde emphatique	أسناني مطبق مهموس مفخم
nsa, il a oublié	n	dentale nasale sonore	أسناني خيشومي مجهور
zūj, deux	z	alvéolaire spirante sonore	لثوي انسيابي مجهور
zar, il a visité	ẓ	alvéolaire spirante sonore emphatique	لثوي انسيابي مجهور مفخم
sedd, il a fermé	s	alvéolaire spirante sourde	لثوي انسيابي مهموس
sāfi, clair, assez	ṣ	alvéolaire spirante sourde emphatique	لثوي انسيابي مهموس مفخم
jār -i, mon voisin	j	palatal spirante sonore	حنكي انسيابي مجهور
šems, soleil	š	palatal spirante sourde	حنكي انسيابي مهموس
gemra, lune	g	palatal occlusive sonore	حنكي مطبق مجهور
kās, verre	k	palatal occlusive sourde	حنكي مطبق مهموس
ḡīra, jalousie	ḡ	vélaire spirante sonore	لهوي انسيابي مجهور
hū-k, ton frère	ḥ	vélaire spirante sourde	لهوي انسيابي مهموس
qetṭ, chat	q	uvulaire occlusive sourde	لهوي مطبق مهموس
hūt, poisson	ḥ	pharyngale spirante sourde	حلقى انسيابي مهموس
‘id, fête	‘	pharyngale spirante sonore	حلقى انسيابي مجهور
hdiyya, cadeau	h	laryngale spirante sourde	حنجري انسيابي مهموس
līl, nuit	l	apico-dentale latérale	ذولقي أسناني جانبي
beḷbeḷ, marmonner	ḷ	apico-dentale latérale emphatique	ذولقي أسناني جانبي مجهور
rāb, il a écroulé	r	apico-alvéolaire vibrante	ذولقي لثوي تكريري
rāb, cailler (lait)	ṛ	apico-alvéolaire vibrante emphatique	ذولقي لثوي تكريري مجهور

يفترض مقارنة هذا الجدول بالجدول السابق الذي أورده في قاموس (اللسن)، لمعرفة مدى

¹ -Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p7.

* لم ترد المصطلحات العربية في المعجم.

التطابق بينهما، ولعلّه يعكس تمكّن المؤلف الباحث، وقدرته في مجال اللسانيات، والصوتيات بخاصة.

4-2-1- الحرف المستعمل في المعجم:

تبين من خلال معجم العربية المغاربية، أنّ المستشرق قيطوط من أنصار الخط اللاتيني، إذ لم يورد الخطّ العربي مطلقاً. ينحاز المستشرق ميشيل قيطوط إلى الحرف اللاتيني بشكل لافت للنظر، وهو ما يرافق أعماله جميعها، بما فيها الأعمال العلمية، مثل قاموس (اللسن) الذي كتب فيه المصطلح بالحرف العربي. لم يذكر المستشرق ميشيل قيطوط السبب الذي دعاه إلى الكتابة بالحرف اللاتيني في الكتب التي درسها البحث، وأثناء تصفّح أحد أعماله الأخرى، إذا بملاحظة موضوعة في إطار قبل مقدّمة العمل وهو تنبيه للقارئ، يقول فيه: "لتفادي أيّ تحريف للعربية العامية بالخطّ العربي، فضلنا اللجوء إلى النّقحرة بالحرف اللاتيني، إذ لا يوجد حروف عربيّة خاصة باللّهجات، وعلى عكس الشائع، فالخطّ العربي ليس هو الخطّ الأمثل لكتابة اللّهجات العربيّة، وقراءتها أصعب، فاللهجة تتميز بأصوات خاصة، كما تتضمن حروفاً لا تشتمل عليها الفصحى، مثل: (b, m, l, z)، و (p, g, v).⁽¹⁾ وهناك من ردّ على هذا الرأي، وذلك بوجود حروف عربية قابلة للتكييف للتلاؤم مع هذه الأصوات، مثل: "ف" وغيرها.

4-2-2- كتابة الحرف بطريقتين مختلفتين: هنا سجل وجود حروف عربية قابلها المستشرق

بأكثر من حرف لاتيني، وردت بعض الأمثلة في الجدول الآتي:

الحرف	الكلمة بالعربية	أصل الكلمة
"الجيم" (2)	el-ğedd	الجدّ
	en-ngās	الإجاص
	el-gnāza/ el-jnāza	الجنّازة
	ej-jenna	الجنّة
السين (3)	ladriṣṣa/el-msāfirīn	المسافرون / l'adresse

كُتب صوت الجيم بأكثر من حرف، وأحياناً في الموضع نفسه يرد الشكلان، هناك الشّكل (ğ) والشّكل (g)، والشّكل (j). أمّا السين فكتب في موضعين متقاربين تارة بالشّكل (s) وأخرى بالشّكل (ss). أمّا بالنسبة إلى السين فيحتمل أن يكون سهواً أو تأثراً بالكتابة الفرنسية لأنّها لم تتكرّر، عكس الجيم الذي

¹ - voir Quitout, Michel. parlons l'arabe dialectal Marocain, paris, le Harmattan, 2001. avertissement.

² - voir : Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN. p17, 24, 63, 64

³ -ibid. p111.

حدث فيه خلط كبير، حيث استعملت الأشكال الثلاثة بطريقة عشوائية وبالتناوب.

4-2-3- أفضلية الخطّ العربي للعربية: ذكر ما يكفي من أدلة تثبت أنّ الحرف الوحيد الذي

يناسب العربية، هو الخطّ العربي، وهذه الأصوات التي يتحدث عنها المستشرق ميشيل قيطوط، تمّ وضع حروف مقابلة لها، بإجراء تعديل على أحد الحروف العربية القريبة من ذلك الصّوت، وهي العملية نفسها التي يفعلها المستشرقون مع الحروف الفرنسية، إنهم يدخلون تعديلات على الحرف الفرنسي، ليتلاءم مع الصوت العربي، والفرق أنّ العرب متفوقون عموماً على الحروف نفسها، عكس المستشرقين الذين يضعون أكثر من حرف واحد للصوت الواحد.

المبحث الثالث: تحليل معجم الجيب للعربية الجزائرية لدانيال كرز

التعريف بالمستشرق دانيال كرز (Daniel Krasa): ولد دانيال كرز في فيينا النمسا سنة 1976م كان منذ طفولته يهتم باللغات الشرقية، بدأ بتعلم العربية، وهو في الخامسة عشر، بفضل طريقة أسيميل (السلسلة التي أصدر عبرها هذا الكتيب). وبعد نجاحه في البكالوريا رحل إلى الأردن ليدرس العربية الفصحى، في جامعة عمان، وقضى عطلة مطولة في الإمارات العربية المتحدة، وفي البرازيل، وتايلندا وماليزيا، وأيضاً في الهند، حيث قضى عدة سنوات، وتعلم عدة لغات، مثل: (الهندية والأوردو). وهو لسانيّ ومؤلف مستقلّ، له أكثر من ثلاثين (30) إصداراً بالفرنسية، والألمانية والإنجليزية، نشر القسم الأكبر منها في دار أسميل، ويواصل دانيال كرز في استكشاف كوكبنا وقناعاته الدائمة، هي أنّ المفتاح لمعرفة بلد أو شعب أو ثقافة ما، هي دون شك اللغة.⁽¹⁾ تعكس هذه السيرة المقتضبة، سرّ اهتمام المستشرق بالعربية، وهو مرتبط بفضوله اللغوي بالدرجة الأولى.

1- التعريف بالمعجم:

1-1- المعلومات الواردة على الغلاف الخارجي:

1-1-1- عنوان المعجم: هو (L'Arabe algérien de poche)، بمعنى العربية التي يستعملها الجزائريون على شكل كتيب مصغّر، سواء من حيث الحجم أم المحتوى، وهو ما يسهّل استعماله، بحيث يمكن حمله في كل مكان. يمكن إدراج هذا الكتيب ضمن الكتب السياحية، وهو أمر جليّ، تعكسه الصفحات الإشهارية المبنوثة في المتن، وتتضمّن تشجيع القارئ للإقبال على هذه السلسلة، بالإضافة إلى وجود بطاقات إشهارية لوكالات سفر، وللغات أخرى متوفرة ضمن هذه السلسلة.

1-1-2- المسهمون في العمل: تمّ عمل المستشرق دانيال كرزاً تحت إشراف المستشرق ميشيل

قيطوط، وقام السيّد جوسي (Goussé Jean-Louis) بالرّسومات التي تضمّنها.

1-1-3- النّشر: صدر ضمن سلسلة (أسميل لغات الجيب)، (ASSIMIL langues)، التي تهتمّ

حسب ما ورد على الواجهة الخارجية بتعليم اللّغات، ويبدو أنّه يغلب عليها الطّابع التجاري، وهذا سيساعد في التّعرف على أهداف هذا الدّليل اللّغوي. حيث يحوي دعوة إلى الإقبال على هذا العمل والاستفادة منه

بتاريخ 9 أوت 2017. www.bibliomonde.com/auteur/michel-quitout-152.html - 1

ليصبح القارئ واثقاً في تواصله ومستمتعاً، وليكون أكثر من مجرد سائح. صدر سنة 2011م، بفرنسا. أرفق الدليل بقرص مضغوط، سجّلت فيه قائمة الكلمات، ومدّته حوالي ساعة من الزمن. (X- 1 vol. 181 p.) - 1 disque compact (1 h) : ill., couv. ill. en coul. ; 15 cm

1-2-1- مقدمة المعجم:

1-2-1- المعلومات الواردة في بداية المعجم: افتتح المستشرق دليله بذكر فهرس المحتويات وانتقل مباشرة إلى التعريف بالجزائر، وبعدها شرح للقارئ كيفية استعمال هذا الكتيب، ثم حدّد أهم الرموز والمختصرات المعتمدة في المدوّنة، ليشرع في تقديم طريقة كتابة الحروف العربية بما يقابلها من الحروف اللاتينية، والإشارة إلى كيفية نطقها، والوقوف على بعض خصائص اللهجة الجزائرية، ويمكن تسمية هذا الجزء بقسم كتابة اللهجة الجزائرية ونطقها. ليلج إلى القسم النحوي، الذي ذكر فيه أهم الموضوعات، التي رأى أنّها ستفيد القارئ، ليستثمر هذه القواعد في قسم ثالث، هو قسم المحادثات، وهي عبارة عن حوارات في مواقف مختلفة، أرفق بعضها برسومات للتسلية، كما أشير إلى ذلك في بداية الكتيب.

1-2-2- طريقة استعمال الدليل:

- اعتماده نظام النّقرة، وضرورة العودة إلى العمود المخصّص لكيفية النطق.
- ضرورة الاستفادة من الجمل المقدّمة، كأمثلة وتكييفها مع الاحتياجات، وذلك بالمحافظة على نظام الجملة المناسبة، واستبدال مفردات الأمثلة بما يلزم.
- أنّ قسم المحادثات جاء على شكل أعمدة، وفي حالة عدم إيجاد كلمة ضمنه، فلا بدّ من البحث عنها في القاموس المثبت في نهاية الدليل.
- هناك كلمات جزائرية تقابلها أكثر من كلمة فرنسية، وهنا سيتمّ الربط بينها بمطّات.
- أرقام الصفحات مسجّلة باللهجة الجزائرية، وهذا عمليّ، سيساعد في الكلام ومعرفة الأسعار.
- هذه جملة من النّصائح والتّوجيهات التي قدّمها المستشرق لمستعمل هذا الكتيب.

1-2-3- قائمة المختصرات والرموز: ذكر المؤلف المختصرات الواردة، حيث أشار إلى بعض

الرموز المتضمّنة في الكتيب، منها: (المذكر، والمؤنّث، والمفرد، والجمع، والشخص)، وثلاث علامات هي: (/، ()، -)، تستعمل الأولى عند ذكر المرادف أو الجمع أو النّوع. أمّا القوس لذكر معلومة ثانوية

أو للشرح. وتفيد المطّعة في كتابة بعض الكلمات المركّبة. مثل الفصل بين الاسم وأداة التعريف.⁽¹⁾ بعدما تتاول المؤلف الجانب الصوتي للهجة الجزائرية وقواعد كتابتها،* ينتقل إلى النحو، ويقدم مجموعة من القواعد التي تخضع لها اللهجة الجزائرية، وليس هذا مجالا لمعالجة هذا الموضوع. أما ما يهمّ بالدرجة الأولى، فهما قسمان: الأول هو قسم الحوار، والثاني هو قائمة الكلمات الجزائريّة، وذلك لمعرفة كيفية تعامل المستشرق مع العربية، سيفتح البحث بالحوار مراعاة للترتيب الوارد في الكتيب. ومما أشار إليه إقصاء بعض الأصوات.

صوامت أقصيت من الدليل:

الصّوامت	الشرح ⁽²⁾
th	يشبه "th" المهموس بالإنجليزية، في "thing" أو "z" الإسباني الذي يعوّض تقريبا على الدوام بـ "t"
dh	يشبه "th" المجهور بالإنجليزية في "weather" وهو معوّض غالبا بـ "d"
ḏ	صوت خاص باللغة المكتوبة، نادر في اللهجة الجزائرية، عكس اللهجة التونسية التي يكثر فيها. (يقصد الضاد)

تعليمات المستشرق حول كيفية التعامل مع بعض الحروف: ينبّه المؤلف القارئ إلى أنّ الصّوامت كلّها، يجب أن تنطق سواء أكانت في بداية الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، بالنسبة إلى حرف (السين) فضّل المؤلف تكريره في وسط الكلمة، وفي آخرها دفعا لأيّ التباس (moussiq) عوض (mousiq)، (rāss) عوض (rās).[←] كما تحتوي العربية بصفة عامة والعربية الجزائرية بصفة خاصة على حروف مكرّرة مشدّدة، مثلها مثل اللغة الفرنسية، وننطقها جميعها بالتشديد، مثل: (khebbāz) - خبّاز (boulanger - hemmām - حمام- hammam). حرف (l) لا ينطق أبدا إذا جاء مضاعفا بعد حرف (i)، مثل: (bille)، لكنّه ينطق دائما، إذا جاء على الشكل: (i+ll)، مثل: (bil-Lah villa. بالله)، par (dieu)، حرف الهاء (h)، في مثل: (lui... هو) huwwa (يجب أن ينطق جيّدا.

¹ - voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. France, Assimil, 2011. p5,6.

* ستأتي الإشارة إلى النظام الكتابي في عنصر بين اللغة وما وراء اللغة.

² - voir : ibid. p9.

[←] لم يلتزم المؤلف بهذه القاعدة التي وضعها، إذ تجده يكتب الكلمة تارة بحرف واحد وتارة أخرى بحرفين، وهذا سواء أكان في وسط الكلمة أم في نهايتها. وهو ما سيظهر في موضعه.

1-3-1- تصنيف المعجم:

1-3-1-1- معجم للناطقين بلغة الشرح: يتوجّه هذا المعجم أو دليل اللّغات إلى القارئ (المتعلّم)

الفرنسي، «بالنسبة إلى المفردات سيد القارئ كلّ ما يحتاجه المسافر من عبارات مستعملة في المحادثات اليومية، ومعلومات ثقافية ستفيدكم...»⁽¹⁾ ويحدّثنا عن قائمة مفردات في نهاية الكتاب، تتضمّن أكثر من ألفي (2000) كلمة. يُفترض أن تكون كافية، لتسيير أموركم في مختلف المواقف أثناء عطلتكم بالجزائر.⁽²⁾ إنّ الفئة المعنية بهذا العمل هم السيّاح، الذين لا يهتمّهم تعلّم اللّغة العربية، واكتشاف أسرارها، وتحقيق المتعة بفكّ رموزها، في حين هناك أجنب أكثر شيء يسحرهم، هو شكل الحرف العربي، وقد عرف القارئ الكريم أهمية الخطّ العربي وشهرته عبر التّاريخ، وهو ما قد يترتّب عليه إقبال فئة محدودة لا يتجاوز هدفها التّواصل مع الجزائريين، وإحجام فئة عريضة عن هذا العمل.

1-3-2- معجم للتعبير والفهم: إنّ المطّلع على هذا الدليل الصّغير، يستنتج أنّ هدفه هو

مساعدة المتعلّم على التّعبير بالدرّجة الأولى، يعكس هذا الأمر اهتمام المؤلّف بالكلام في بداية دليّله، إلّا أنّ هذا لا يمنع - حسب المستشرق - من أن يكون موجها للفهم أيضا، يقول النّاشر: «هذا الكتيّب لا يعوّض درسا في اللّغة، لكن إذا استثمرتم القليل من الوقت لقراءته، وحفظتم بعض الجمل ستتمكّنون سريعا من التّواصل، كل شيء سيكون مختلفا، وستعيشون تجربة مختلفة. كما يقدّم نصيحة للقارئ لا تبحثوا عن المثالية، فإنّ المستمعين سيتقبلون أخطاءكم البسيطة، والتي قد ترتكبونها في البداية برحابة صدر، الأهم هو التّخلّص من عقدكم والجرأة على الكلام». ومما قاله المؤلّف: «... كما ستكونون على استعداد لفهم الجزائريين».⁽³⁾ وهذا يؤكّد الهدف المزدوج، والمتمثّل في التّعبير والفهم.

1-3-3- معجم للغة المنطوقة: يهدف هذا الكتيّب إلى مساعدة المتعلّم الفرنسي، على التّواصل

مع الجزائريين، وذلك بتمكينه من تعلّم اللّهجة التي يستعملها المتكلّمون في حياتهم اليومية بشكل عفوي.

1-3-4- معجم بالنقحرة: *تضمّنت هذه الدّراسة معيارا آخر للتّصنيف، لم يرد ذكره فيما سبق، وهو

¹ - voir Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p4.

² - ibid. p5

³ - ibid. p4

* اعتمد البحث على تصنيف الأستاذ الدكتور علي القاسمي، إلّا أنّ معيار النقحرة لم يرد في دراسته. والنقحرة (translittération) هو نظام كتابة لغة بحروف لغة أخرى. وكثيرا ما تكون عالمية.

وجود معاجم، تعتمد في كتابة كلمات المتن، وكلمات الشرح على حرف واحد، وهو في هذه المدونة الحرف اللاتيني، الذي استعمل لكتابة اللهجة العربية الجزائرية. يقول المؤلف: « ولنجنبكم تعلّم الكتابة العربية، سنقدّم لكم اللهجة بالحرف اللاتيني، وهو ما يسهّل عليكم القيام بمحادثة دون انتظار، أقبّلوا ولا تخافوا من ارتكاب أخطاء. الجزائريون سيقدرّون جهدكم». ⁽¹⁾ يتّضح من هذا القول أنّ السبب الذي جعل المستشرق يوظّف الحرف اللاتيني، هو تحقيق هدفه المتمثّل في مساعدة القارئ على اكتساب هذه اللهجة في أقصى سرعة ممكنة، والفعالية في نظره تقتضي البحث عن أقصر السبيل للوصول إلى الهدف، وذلك بأن يجنب القارئ عناء تعلّم الحروف العربية. يقول: «ونظام النقحرة هذا مبسّط هنا، سيساعدكم على اكتساب نطق جيّد وصحيح إلى حد ما وبسرعة، ولتحقيق نتائج جيّدة فإنّ عطلة بالجزائر ستكون أفضل حلّ». ⁽²⁾ يعترف المؤلف أنّ الثّمك من اللهجة، لا يمكن أن يتحقّق بشكل كامل، إلّا إذا انتقل المتعلّم إلى المنطقة التي تستعمل فيها.

1-3-5- معجم عام: يتميّز هذا الدليل بطابع عام، إذ يحتوي على كلمات متنوّعة، تشمل كل ما يمكن أن يحتاج إليه الإنسان في تواصله مع الآخر، وقد تضمّن فهرس المحتويات أهم هذه المجالات التي ستذكر في موضعه. « بالنسبة إلى المفردات سيدد القارئ كل ما يحتاجه المسافر عبارات مستعملة في المحادثات اليومية، وبعض المعلومات الثّقافية التي ستفيدكم...». ⁽³⁾ صُنّف الدليل على أنّه عام لكون صاحبه حرص على تضمينه أهم الصّيغ التي يحتاجها المتكلم الذي يزور الجزائر.

جدول تصنيف المعجم

+	للسّاطقين بلغة الشرح		للسّاطقين بلغة المتن
+	للغة العامية		اللغة الفصحى
+	للفهم	+	للتعبير
+	وصفي		تأريخي
	متخصص	+	عام
+	دلالي	+	ألفبائي
+	نقحرة		الخطّ العربي

يلخّص هذا الجدول أهمّ المعلومات حول دليل المستشرق (دانيال كرازا)، الموجّه للسّاطقين بلغة

¹ - voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche².

² - ibid. p6.

³ - voir: ibid. p4.

الشرح، وهي اللغة الفرنسية. أما اللغة المقدّمة، فهي العامية الجزائرية، ويهدف إلى تمكين المتعلّم من التحدّث بهذه اللهجة في أسرع وقت، وكذا القدرة على فهم المتكلّم الجزائري، إذ تحتاج عملية التّواصل إلى الفهم والتّعبير على حدّ سواء. ومن الواضح أنّ المعجم ذو طابع وصفي، إذ اكتفى صاحبه بنقل اللهجة كما تلقاها من مصادره، وهو وإن كان موجّها إلى فئة خاصة، إلّا أنّه جاء عاما شاملا، لأنهم مجالات الحياة. أما نوع التّرتيب الذي اعتمده المستشرق، فهو دلالي في القسم الأول والثاني والثالث، إذ لم يهتمّ صاحبه بترتيب محتوياته، بقدر ما حرص على إدراج المعلومات الصّوتية والنّحوية والحوارات التي رآها ضرورية للقارئ. أما القسم الرّابع فهو قائمة الكلمات المدرجة في نهاية الكتّيب، واعتمد فيه على التّرتيب الأبجائي الفرنسي.

2-قضايا الجمع في المعجم:

2-1-مصادر الدّليل: اعتمدت ثمانية (08) مراجع باللغة الفرنسية أوردها في نهاية القسم الثاني (قسم الحوار)، فُيّل قائمة الكلمات، والغريب في هذه القائمة أنّها لم تشتمل على أيّ معجم مختص في اللهجة الجزائرية؛ بل اكتفى بمعاجم المستشرق الفرنسي ذي الأصول المغربية (ميشيل قيطوط)، الأوّل: (Initiation à L'Arabe maghrébin)، و(L'arabe marocain de poche)، بالإضافة إلى معجم (tunisien de poche) (L'arabe Femme du). أما الكتب المتبقية فهي كتب أدبية للمؤلف بسيس. س وبلحسان. س بعنوان: (Maghreb (A la Rencontre du Maghreb, La Découverte)، للمؤلفين أكرم ب وإلياس. أ، و (La Répudiation)، للمؤلف رشيد بوجدر و (Tombeza) للمؤلف ميموني و (Sommeil du mimosa suivi de sonate des loups)، لصاحبه أمين الرّاوي.

2-2- موضوعات قسم الحوار: افتتح هذا القسم؛ بتقديم بعض خصائص المجتمع الجزائري ولاسيّما ما تعلّق بالعادات، وطريقة التّعامل مع الجزائريين، وبعدها انتقل إلى التّفصيل في محاور هذا الجزء، الذي اكتفى البحث بتحليل ثلاثة محاور منه؛ العائلة والدين وحالات الطّوارئ. أمّا الطّريقة التي يتّبعها في تقديمها، فتتمثّل في التّعريف بواقع الموضوع ضمن المجتمع الجزائري، وإعطاء نصائح للقارئ الأجنبي، حول كيفية توظيف هذا المحور في أرض الواقع، ثمّ يستعرض أهمّ العبارات التي يمكنه استعمالها، ويختتم بقائمة الكلمات المتضمّنة فيها باللهجة الجزائرية وما يقابلها بالفرنسية، وهذا كلّ بالخطّ اللاتيني، إلّا أنّه يستغني في بعض الأحيان عن قائمة الكلمات. كما أنّه استعان ببعض الرّسومات للتّعبير عن موقف ما، أو كلمة، وذلك في بعض المحاور. وما يمكن تسجيله في هذا المقام، هو وجود استثناء يختص بالمحور الأخير، الذي خالف فيه المنهج المتّبع في سائر المحاور السابقة، حيث أورد عبارات

مكتوبة بالخطّ العربي، وهو الموضع الوحيد الذي يظهر فيه الخط العربي، ولهذا استحقّ الوقوف عنده.

جدول يمثل موضوعات المعجم*

الأكل والشرب	الآداب
في المطعم فطور الصباح المشروبات الخضر الفواكه	تبادل التحيّة وطلب عطة توجيه الكلام لشخص ما أسماء الأشخاص الحوار الأوّل المهن
العائلة	عبارات مستعملة
الدين	الطلب/ الشكر
الشراء والتفاوض	الاعتذار
التصوير	الموافقة والتأييد
الإدارة	الحلف والقسم
البريد والبنك	الرفض التعبير عن المفاجأة الصيغ الدّينية
الهاتف	بلدان وجنسيات
الصّحراء	التنقّل في الجزائر مشياً
المرض	بسيارة الأجرة
دار الخلاء	بالحافلة
الاحتجاج واللّوم	بالقطار
عند الطّوارئ	بالسيارة
الحفلات	السّكن

يلاحظ القارئ الكريم من خلال هذا الجدول، أنّ المستشرق دانيال كرازا، تناول أهمّ المجالات التي يحتاج إليها السّائح في الجزائر، وقد أرفق هذه الموضوعات بتعليمات مستمدّة من واقع هذا البلد سواء على مستوى العادات اليومية من تعامل بين النّاس أم على المستوى الدّيني، حيث بذل جهده للإحاطة

* استُمدّت هذه المحاور من فهرس الدّليل، في بداية الكتيّب قبل التّقديم.

بأهمّ ما رآه مناسباً لتحقيق هذا الهدف.* أمّا الطّريقة التي جاءت عليها هذه المحاور، فمختفة، إذ يكتفي المستشرق بعد تقديم المجال بقائمة من الكلمات الضّرورية حسبها في بعض المواضع، في حين يحدث العكس في محاور أخرى، بمعنى أنّه يكتفي بالعبارات، ويجمع بينهما في مواضع أخرى وسيتعرّف القارئ الكريم على نموذج لكلّ طريقة. بعد أن زوّد المستشرق القارئ ببعض التّوجيهات والنّصائح المفيدة حول طريقة التّعامل مع الجزائريين، يشرع في تقديم الحوارات، وسيكون البدء بمحور العائلة.

2-2-1-محور العائلة: افتتح هذا الموضوع بلمحة مختصرة حول طبيعة العائلة الجزائرية ومما

قاله: « العائلات الجزائرية عدد أفرادها كبير، وحسب إحصائيات 1998م، فإنّ نسبة المواليد تبلغ 6,9 طفلاً لكل امرأة، ومعدّل النّمو هو 6,58 شخصاً، وحوالي نصف المجتمع الجزائري يبلغ أقل من تسع عشرة (19) سنة...». ثمّ اختار ثمانية عشر (18) اسماً من مجال العائلة، والتي قدّر أنّ المسافر سيحتاج إليها في تعامله مع الجزائريين، ولم تخضع هذه الكلمات لأيّ ترتيب؛ بل جاءت بطريقة عشوائية، كما يلاحظ القارئ في الجدول الآتي:

جدول يمثل كلمات محور العائلة⁽¹⁾

الكلمات العامية ومقابلاتها بالعربية الفصحى					
الكلمة بالجزائرية	الكلمة الفصحى*	الكلمة الفرنسية	الكلمة الجزائرية	الكلمة الفصحى	الكلمة الفرنسية
familya, 'ayla	عائلة	famille	'amma/'ammāt	عمّة/ عمّات	tante/s paternelle/s
bou-ya /baba	أبي	mon père	khāl/ khwāl	خال/ أخوال	oncle/s maternel/s
djedd/ djddoūd	جدّ/ أجداد	grand- père/s	khāla/ khalāt	خالة/ خالات	tante/s maternelle/s
djedda/djed dāt	جدّة/ جدّات	grand- mère/s	weld el 'emm	ولد العمّ	cousin
tfel	طفل	enfant	bent el-'emm	بنت العمّ	cousine
tefla	طفلة	filie	nsīb	الصّهر	beau-père
khoul/khout	أخ/ إخوة	frère/s	nsība	حماة	belle-mère
oukht/khwatāt	أخت/ أخوات	sœur/s	'rousa	كنّة	belle-fille
'emm/'moūm	عمّ/ أعمام	oncle/s paternel/s	ḍerra	ضرة	co-épouse

* تذكر: لم يزر المستشرق الجزائر، وإنّما استمدّ معلوماته عن الجزائر من المراجع التي قرأها، ويحتمل أنّه تحدّث مع بعض المهاجرين ولهذا سيلاحظ بأنّ هناك معلومات لا تطابق الواقع، وإن كانت صحيحة في فترة معيّنة.

¹ - voir Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 98, 99.

* تذكر: لم ترد الكلمات باللغة العربية الفصحى في المدونة.

أهم ما يسجل بالنسبة إلى هذا المحور، هو الاختصار الشديد، حيث اكتفى المستشرق بالكلمات الواردة في الجدول، ولم يقدم عبارات تساعد المتعلم في المواقف الحية، وإذا قيم القارئ هذه القائمة التي لا تتجاوز ثماني عشرة كلمة، فإنه سيلاحظ خلوها من كلمات ضرورية وأساسية كثيرة، وعلى رأسها كلمة (أم)، وهي الكلمة التي لا يمكن أن تسقط ولو سهوا. في حين وردت كلمات عامة، وهي: (tɛfla، و tɛfɛl) وهذا ما قد يعكس عدم الاهتمام بهذا الموضوع، أو أن المسافر - ربما - لن يحتاج إلى هذا المحور بكثرة لكن الكلمة موجودة في قائمة الكلمات أي القسم الأخير في هذا الدليل. ويذكر البحث بأن عدد الكلمات الواردة في معجم المستشرق قيطوط في هذا المحور، قد تجاوزت أربعين (40) كلمة، وهو من الكتب التي ذكرها صاحب هذه المدونة ضمن مراجعه.⁽¹⁾ أما بالنسبة للمقابلات الفرنسية التي جعلها المستشرق للكلمات الجزائرية فمعظمها متطابقة، باستثناء الكلمتين: (weld el ɛemm، و bent el-ɛemm) اللتين قابلهما بـ (cousin) و (cousine)* وهذا الأمر ليس تقصيرا منه؛ بل يعكس الفروق الموجودة بين الثقافات والشعوب، وما اللغة إلا وعاء يتسع ويضيق، إذ قد يحتوي المعجم اللغوي للغة معينة على كلمات تعجز لغة أخرى عن أدائها، أو على الأقل بالدقة نفسها.

2-2-2-محور الدين: يسجل استرسال المستشرق في ذكر تفاصيل لن تفيد السائح كثيرا، وهو أكثر المحاور إطالة مطلقا. وبعدما زود القارئ بأهم المعلومات حول الدين الإسلامي، وكيفية التعامل في هذا المجال، ينتقل إلى ذكر قائمة الكلمات الضرورية للسائح.⁽²⁾ وهذا يؤكد أن العمل قائم أساسا على احتياجات السياح.

¹— voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p17,18, 19,20.

* يقابل الكلمتين في اللغة العربية الكلمتين: (قريب، وقريبة). والقريب قد يكون ابن عم، أو ابن خال، أو أي قرابة.

²— Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 99, 100, 101,102.

جدول يمثل كلمات مجال الدين⁽¹⁾

الكلمات العامية ومقابلاتها بالعربية الفصحى							
الله	el-lāh	القرآن	el-qour'āne	التّصاري	en-nṣāra	الأمة	el-oumma
الرّسول النّبي	er-rasoul en-nbi	الأذان	lavāne	اليهود	el-yhoūd	الوضوء	el-wouḍou'
الدين	ed-dīne	الحاجّ	el-ḥādj	المسلمون	el-mselmīne	الصّدقة	eṣ-ṣadaqa
الإيمان	el-imāne	الحجّ	el-ḥedj	حلال	ḥlāl	الذّنْب	ed-ḍenb
مؤمن	el-moūmene	الحجّاج	el-ḥedjāj	حرام	ḥrām	الحسنة	el-ḥassana
المسجد الجامع	el-mesjid/ el-djame ^c	المقبرة	el-mqebra	مكّة	makka	الروح	er-roḥ

إنّ المتأمّل في هذه الكلمات، سيلفت انتباهه أنّها تطابق اللّغة العربية الفصيحة، أو قريبة منها بدرجة كبيرة، والفرق يكمن في تغيير حركات أوّل الكلمات فحسب. أمّا فيما يخصّ طبيعة الكلمات المختارة لهذا المجال، فالملاحظة السّابقة نفسها تتكرّر، إذا ما قورنت بالكلمات المرتبطة بهذا الحقل الدّلالي، فإنّ المستشرق قد أقصى كلمات كثيرة، تدخل في صميم الدّين، ويستعملها المسلمون بكثرة في أحاديثهم اليومية. فقد ذكر على سبيل المثال: (الوضوء، المسجد، الأذان)، ولم يورد كلمة الصّلاة؟ وللتذكير، فإنّ عدد الكلمات التي وردت في هذا المجال لدى المستشرق قيطوط، قد بلغت أكثر من تسعين (90) كلمة إلّا أنّ مجاله كان أشمل، لأنّه تناول المعتقدات الشّعبية مع الدّين في محور واحد.⁽²⁾ ويختم المستشرق هذا المحور برسم، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الأمر في التّقديم، وحسب ما ورد، فإنّ الهدف منه يقتصر على إضفاء نوع من المرح على الموضوع.⁽³⁾ لكنّ عموماً يُلْمَس فيه موضوعية إلى حد ما.

2-2-3- محور حالة الطّوارئ: يفتتح هذا الموضوع بفقرة قصيرة جداً يقول فيها: «هذه قائمة من

الجميل التي قد تفيدكم في حالة تعرّضكم لمشاكل، ويمكنكم أيضاً إظهار الجملة التي تهّمكم، بما أنّها مكتوبة بالجزائرية».⁽⁴⁾ وهنا يُفهم أنّ المستعمل، سيحمل معه هذا الدّليل في أيّ مكان يذهب إليه، وفي

¹- Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 102.

²- ibid. p67, 68.

³- ibid. p 103.

⁴- ibid. p 120.

حالة عجزه عن التعبير، يقترح عليه إظهار الجملة المكتوبة للشخص المخاطب، وهذا يقتصر على هذا المحور، فالمحاور الأخرى مكتوبة بالخط اللاتيني.

جدول يمثل أهم العبارات الضرورية في الطوارئ⁽¹⁾

أسمي. i- asm- mon nom est	وضرت كواعطي. i- t- kwā waedǧert
أنا فرنساوي/ كندي/ بلجيكي/ سويسري ana Frānšawi/Kanavi/ Beljiki/ Swisri Je suis Français/ canadien/ belge/ suisse	عطو الطبيب/ البوليس! 'eytəu l eṭ-ṭbīb/ el-boūlīss appelez le médecin/ la police !
أنا مريض ana mrīḍ./ je suis malade.	عطيني نشرب/ ناكل، من فضلك! 'ṭini nechreb/nākoul men feḍl-k. S'il vous plait, donnez-moi à boire/à manger.
كرصتني اللعة/ كرصتني العكرب qeršetni l-lef'a/qeršt-ni el-'egreb. la vipère/ le scorpion m'a piqué.	كفاش نجم نروح ل...? ...? kifāch nejjem nroūh l....? Comment puis-je faire pour aller à...?
سرقو لي كواعطي. i- t- kwā serqou l-i on m'a volé mes papiers	ما كاين ش تليفون مئا؟ ma kayen ch tilifoūne menna ? y a -t-il un téléphone par-là ?

أهم نقطة يسجلها البحث في هذا الموضوع؛ هي توظيف المستشرق للخط العربي، وهو الموضع الوحيد الذي وظف فيه هذا الخط، حيث أورد الجمل العامية بالخط العربي، ثم أتبعه بالخط اللاتيني وبعدها، وردت الجملة باللغة الفرنسية. يلاحظ القارئ الجملة الأولى، وهي (اسمي)، فإنها فصيحة باستثناء الحرف الأول، الذي ورد همزة قطع مفتوحة، والأصل أن ترد همزة وصل. وينطبق الأمر نفسه على الجملة الثانية، إلا أن الكلمة خضعت للزيادة، إذ نقول باللغة الفصحى (أنا فرنسي)، أما بالنسبة للجنسيات الأخرى، فهي فصيحة تماما. والحكم ذاته ينطبق على الجملة الثالثة (أنا مريض)، إذ تعتبر فصيحة، والتغيير الوحيد، حدث على مستوى كلمة (مريض)، التي سكنت عوض تحريكها بالفتح. أما بالنسبة إلى الجملة الرابعة (لدغنتي الأفعى، لدغني العقرب)، فيلاحظ القارئ الكريم أنها ابتعدت نوعا ما عن العربية الفصحى، فالفعل الذي وظفه (كرصتني)[←] عامي، وحذفت الهمزة من كلمة (اللعة)، وعوضا عنها أضيفت الألف واللام، وحذفت الألف المقصورة، في آخرها وجعل محلها تاء مربوطة.

وجاءت كلمة (العكرب) مطابقة للفصحى، باستثناء حرف القاف الذي أبدل كافا، وقد يكون هذا

¹ - Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 120, 121.

[←] وقد ورد الفعل لدغ في قائمة الكلمات الجزائرية المثبتة في آخر الدليل. على هذا الشكل: "ldegh" في حرف "L".

الأمر، مجرّد التباس وقع فيه المستشرق، لتقارب مخرجي الحرفين. وبالنسبة إلى الجملتين الخامسة والسادسة، الأولى منهما، وهي: (سرقو لي كواعطي)، تتضمن كلمتين فصيحيتين، والكلمة الأخيرة عامية والجمله الفصيحة هي: (سرقوا منّي وثائقي)، والثانية جملة عامية، وهي (وضرت كواعطي)، والفصح هو (ضيّعت وثائقي). أمّا السابعة والثامنة والتاسعة، فهي مزيج من العامي والفصح. واحتوت الجملة الأخيرة على كلمات عامية وأجنبية وفصيحة: (ما كاين ش تليفون منّا). ما نافية، وهي فصيحة، (كاين ش) صيغة عامية، من الفعل الناقص (كان)، و(تليفون) كلمة فرنسية دخيلة، و(منّا)، كلمة فصيحة محرّفة بالحذف والإدغام، أصلها هو (من هنا). فحذف الهاء، وأدغمت النون في النون، ويقال بالفصحى: (ألا يوجد هاتف من هنا؟). أمّا بالنسبة إلى التركيب أو ترتيب عناصر الجملة، فهو مطابق في معظمه مع تركيب الجمل الفصيحة، وهذا يعكس حقيقة واضحة، وهي الصلة الوثيقة بين العامية والفصحى فالعامية هي أداء العوام للغة العربية، وهذا عكس ما يدّعيه القائلون بأنّ العامية لغة مستقلة. كما أنّ الجمل الفصيحة أكثر اختصاراً من العبارات العامية والفرنسية، وهذا يؤكّد ما توصّل إليه في الأمثلة السابقة، فالحرف الوحيد المناسب لكتابة اللغة العربية هو الحرف العربي، ولا يمكن أن يقوم مقامه أيّ حرف آخر.

2-3- قائمة الكلمات الجزائرية: يقدّم المستشرق "دانيال كرسا" هذه القائمة على أنّها تضمّ الكلمات الأساسية المستعملة في الحياة اليومية، وينصح القارئ الذي يرغب في الاستزادة، بالتوجّه إلى مراجع أخرى. وهي موزّعة على الحروف المذكورة في بداية العمل، وهي متنوّعة، منها الفصحى على المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي والدلالي، ومنها الفصحى الذي خالف أحد هذه المستويات، ومنها العامي والدّخيل.⁽¹⁾ وهو أكثر ما يهمّ البحث.

2-3-1 عدد الكلمات: تضمّن هذا الدليل قائمة تضمّ حوالي ست مائة وألف (1600) كلمة موزّعة على ثلاثين (30) حرفاً، وهي: (a, b, c, d, d, f, g, gh, h, h, i, j, k, kh, l, m, n, o, p, q, r, s, s, t, t, v, w, y, z, °). أمّا التوزيع فيختلف من حرف إلى آخر، إذ يلاحظ أنّ الحروف الأكثر عدداً هي: الميم (m) بـ (171) كلمة. والباء (b) بـ (120) كلمة، والحاء (h) بـ (98) كلمة والسين (s)

¹⁻ voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p56 .

ب (83) كلمة. و(الصّاد والقاف)، (63) كلمة لكل من (s) و(q). أما أقلّ عدد من الكلمات، فيتوزّع على الحروف: (p, a, i, y, o, v)، على التّتابع: (3)، (6)، (8)، (9)، (9)، (14)، وتتقاسم الحروف الأخرى بقية الكلمات.

2-3-2-المستويات اللّغوية في العامية الجزائرية: تتكوّن اللّهجة الجزائرية التي تضمّنها هذا الكتيّب من مزيج، (هجين لغوي)، إلّا أنّ اللّغة العربية الفصيحة، وإن كانت محرّفة أحيانا على مستوى الحركات أو بعض الحروف نالت الحصّة الكبرى، وتأتي بعدها اللّغة الفرنسية، وبعدها الكلمات العامية وذلك بعد إحصاء الكلمات وتصنيفها تبين أنّها إمّا كلمات فصيحة على المستويات اللّغوية المذكورة جميعها، وعددها حوالي مائتين وخمس وسبعين (275)، وإما أن تكون فصيحة تغيّر فيها مستوى لغوي أو أكثر أو ما أطلق عليه (فصيحة محرّفة)، وتجسّد هذا التّحريف في ظواهر لغوية منها: تغيّر الحركات ولاسيّما في بداية الكلمة، فالمعروف أنّ العامية عادة ما تبدأ بالسّاكن عكس اللّغة العربية الفصيحة وهي النّسبة الغالبة، وعددها حوالي سبع وعشرين وستمائة (627) كلمة. كما نجد كلمات حذف منها حرف أو أكثر، أو قلب حرف إلى حرف آخر، أو دخلت زيادة على الكلمة، وعددها حوالي مائتين وسبع وعشرين (227) كلمة، بالإضافة إلى بعض الكلمات العاميّة التي صيغت من كلمات فصيحة، للدّلالة على معان أخرى، وقدّر عددها بحوالي مائة وثمانين (108) كلمات. فيما سجّلت كلمات عامية بعيدة عن الفصحى وعددها حوالي مائة وأربعين (140) كلمة. أمّا الكلمات الأجنبية فبلغت حوالي مائتين وثمانين (208) كلمة.

جدول يمثل نماذج لكلمات فصيحة

الألفاظ الدينية (1)				
-dīne دين	-injīl إنجيل	-qour'ane قرآن	-tāb تاب	-wouḍou' وضوء
عواطف وعلاقات إنسانية وأخلاق (2)				
-amal أمل	-charaf شرف	-ḍamīr ضمير	-ḥoubb حُبّ	-mabadi' مبادئ
أعضاء الإنسان وحالاته ومعتقداته (3)				
-joū' جوع	-moulḥid ملحد	-qouwwa قُوّة	-siḥr سحر	-aḍalāte عضلات
حيوانات وظواهر طبيعية وأمراض (4)				
-ḥassāssiyya حساسية	-khoussoūf خسوف	-rīḥ ريح	-saraṭāne سرطان	-timsāḥ تمساح
ألفاظ الثقافة والترفيه (5)				
-founoūne فنون	-iqā' إيقاع	-jarīda جريدة	-rasm رسم	-riyyāḍa رياضة
ألفاظ الصّراع والعنف (6)				
-difā' دفاع	-houjoūm هجوم	-i'dām إعدام	-isti'mār استعمار	-maqtoūl مقتول
ألفاظ العلم والتّعليم (7)				
-afkār أفكار	-charḥ شرح	-mouḥāḍara محاضرة	-naṣṣ نصّ	-oustād أستاذ

تتنمي الكلمات الواردة في هذا الجدول إلى المعجم العربي الفصيح، سواء من حيث الجانب الصوتي أو الصرفي، وهذا أمر إيجابي، يعكس قرب العامية الواردة في هذا العمل من الفصيحة بنسبة مقبولة، مقارنة بما تشهده العامية من تحريف حالياً.

¹ - Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. P 130, 135, 143, 147.

² - voir :ibid. p127, 129 , 131, 134, 139.

³ - ibid. p 136, 141 , 143, 145, 150.

⁴ - ibid. p 133, 138 , 144, 146, 147.

⁵ - ibid. p 132, 135 , 144.

⁶ - ibid. p 130, 135 , 139.

⁷ - ibid. p 127, 129 , 141, 142.

جدول يمثل نماذج لكلمات فصيحة محرّفة بالحركات

الكلمات (1)	الكلمات (2)	الكلمات (3)	الكلمات (4)	الكلمات (5)
beḥt	ḥechra	leḥja	qettāl	t'edda
bermīl	ḥekma	kheṭṭ	qelb	ṭme'
chem'a	ḥsāb	meṭba'a	qerd	wje'
fdjar	ḥellāq	me'ḥed	rbī'	zyāra
ḍbāb	kfen	moūt	ṣebboūra	'dāwa
drāḥem	khebbāz	nbi	tejriba	'lām

يُلاحظ أنّ المستشرق ذكر كلمات فصيحة محرّفة بالحركات أو المدود، وما ينبغي تسجيله هنا هو هذه الكلمات الفصيحة التي لا يستعملها العامة عادة في كلامهم اليومي، مثلاً: كلمة (برميل) و(حشرة)، و(حلاق) تستعمل بهذا الشكل بالتتابع: (بتية، بعوشة، حفاف)، هذا في حدود العلم، إذ لا يمكن الجزم بأي حكم عندما يتعلّق الأمر باللهجات.

نماذج لكلمات عامية بعيدة عن الفصحى

الكلمات (6)	الكلمات (7)	الكلمات (8)
-babor قارب	-ḥejjāla أرملة	-sfenj فطائر
-beḥloul سفينة	-kaboūs مسدّس	-ṣaba المحصول
-bou'wida إجازة	-kwārt أوراق	-tebrouri برّد
-chāf رأى	-khetra مرّة	-ṭebsi صحن
-fṭes أقرع	-maḥboūl مجنون	-wedḍer ضيّع
-guerjoūma حلق	-rtīla عنكبوت	-zebra السندان

تنتمي هذه الكلمات إلى المستوى العامي، الذي لا تربطه صلة بالفصحى -في حدود العلم- وهي كلمات يُجهل مصدرها، قد تكون من لغات أخرى، وقد تكون من وضع العامة، ويُلاحظ أنّ بعضها لا يخضع للميزان الصرفي للعربية، وبعضها تدخل ضمن الأوزان العربية. وقد تكون تعرّضت لتغيّرات كثيرة أفقدتها صلتها بالعربية الفصحى، أو أنّها كلمات أوجدتها الحاجة، وذلك جراء تحريف كلمات معيّنة.

¹- voir Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p128, 129, 131.

²- ibid. p 133, 134, 136, 137.

³- ibid.p 138, 140, 141, 142.

⁴- ibid. p143, 144, 146, 147.

⁵- ibid. p148, 149, 150, 151.

⁶- ibid. p127, 128, 129, 132.

⁷- ibid. p135, 136, 137, 138, 139, 145.

⁸- ibid. p 145, 146, 147, 148, 19, 150.

جدول يمثل كلمات عامية أصلها فصيح

الكلمات (1)	الكلمات (2)	الكلمات (3)
anesthésie -benj	malheur- ghbīna	trembler- setfeg
baratte- chekwa	malodorant- khanez	prix- soūma
roussi -chyāt	coloré- mzewweq	langer- guemmet
barque- floūka	indigo- nīla	fermer- sekker

رجع البحث لمعرفة أصل هذه الكلمات التي قد يُظن أنها عامية في العربية إلى معجم الوسيط واتضح أنها فصيحة، حيث عُرِفَت كلمة (البُنْج): "نبات طبي مخدر (هندية باذنجانية)، (الشكوة): (وعاء صغير للماء واللبن، يتخذ من جلد)، و(فلوكة): (السفينة الصغيرة) و(قمط... القمط: خرقه عريضة يلف بها المولود. ج. أقمطة وقُطط). و(غبينة) الخديعة يقال: (لحقته في تجارته الغبينة). و(شياط: شاط الطعام احترق بعضه). ويقال: (خنز اللحم وغيره-خنز-فسد وبتن، فهو خنز). (مزوق زوقه...زينة وحسنه... نقشه وزخرفه). (نيلة النيلج...صباغ أزرق يستخرج من ورق النيل وهو المعروف في مصر بالنيلة. سكر سكر... النهر سدّه وحبسه).⁽⁴⁾ ويقال: (اصطفق الشيء اضطرب...سومة السمة والعلامة- والقيمة يقال إنه لغالي السومة، عيان أعيا الرجل أو البعير في سيره تعب تعباً شديداً. ويقال أعياه السير عيط: عيط صاح مرة).⁽⁵⁾ وهذا ما يؤكد العلاقة الكبيرة بين الفصحى والعامية المذكورة في هذا العمل مع وجود كلمات كثيرة نظنها عامية في أنها فصيحة.

جدول يمثل نماذج لكلمات فصيحة باستعمال عامي

الكلمات (6)	الكلمات (7)	الكلمات (8)
chehriyya- مرتّب	khwen- سرق	-tāb نضج
feṭna- منبه	nām- حلم	zmāne- قديما
heḍra- كلام	qefla- زرّ	-ā 'fya الصّحة

هي كلمات قريبة من الفصحى، إلا أنها تستعمل للدلالة على معان مغايرة لمعنى الكلمة الفصيحة.

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 128, 129 , 130.

²- ibid. p 133, 137, 141, 142.

³- ibid. p 145, 146, 132,145.

⁴ - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مادة (بلاه)، (شَاكْهَة)، (فَلّ)، (قمش)، (غبي)، (أشاصت)، (خنز)، (ناه)، (السكرة).

⁵ -المرجع نفسه، مادة (صفا)، (السومة)، (عي)، (العيص).

⁶- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p129 , 132, 135.

⁷- ibid. p138, 141 , 143.

⁸- ibid. p148,150.

جدول يمثل نماذج لكلمات دخيلة

الدّخيل (1)	الفصح	الدّخيل (2)	الفصح	الدّخيل (3)	الفصح	الدّخيل (4)	الفصح
-boumba	مضخة	-familya	عائلة	-karṭabl	محفظة	paralizi	مشلول
- dimari	انطلق	-fermasyane	صيدلي	kouzīna	مطبخ	-pijāma	منامة
-diploūm	شهادة	Jidou	مصارعة	krouvit	جمبري	rijim	حمية
-dissīr	تحلية	-kamyyoune	شاحنة	-mnervi	عصبي	-riṣtora	مطعم

لابدّ أنّ تأمل هذه الكلمات الدّخيلة في اللهجة الجزائرية يثبت تأثرها الكبير بالفرنسية، وهو ما تعكسه هذه النماذج، رغم أنّ لهذه الكلمات تسميات عربية فصيحة، كما هو وارد في الجدول. تتجاوز عدد الكلمات الدّخيلة الواردة في المدونة المائتين (200)، وتوزّع معظمها حول مجالات الأكل والشرب واللباس، والأماكن، والمهن، ووسائل النقل، والرياضات، وبعض الأفعال. وقد وردت أربعة (04) ألفاظ مختلفة للمشروبات الكحولية.

تمّ إحصاء حوالي خمس وثمانين وخمسمائة وألف (1585) مدخلا، وبعد تحديد عدد الفصح المحرّف وغير المحرّف تبين أنّها حوالي تسع وعشرين ومائة وألف (1129) كلمة. أمّا العامي فسُجل ثمان وأربعون ومائتان (248)، وبلغ عدد الكلمات الدّخيلة ثمان ومائتين (208). وقد كانت نسبة (71.23%) من الفصح، بمعنى أنّها كلمات فصيحة أو تمّ تحريفها، إمّا من حيث الحركات أو الحروف زيادة وحذفًا وتقديمًا وأخيرًا، وقد أورد البحث نماذج لها.

أمّا العامي والدّخيل فقد وردا بنسب متقاربة، حيث سجّل العامي نسبة (15.64%)، وبلغت نسبة الدّخيل (13.12%)، وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ هذه النسب متقاربة جدا مع النسب المسجلة في معجم المستشرق ميشيل قيطوط، حيث كانت النسبة الكبرى للفصحى (66.35%)، والعامية بنسبة (16.98%). أمّا الدّخيل فقريب جدا من العامي وبلغ (16.67%).

¹- Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p129 , 130, 131.

²- ibid. p131, 132, 136.

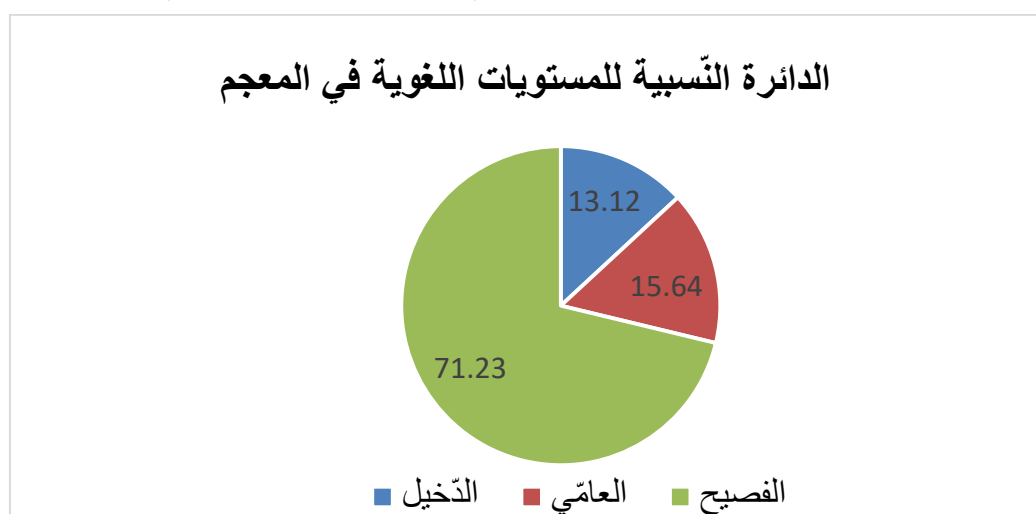
³- ibid. p 136, 137, 141.

⁴- ibid. p142, 144.

جدول يمثل نسبة المستويات اللغوية في الدليل

النسبة	المستوى اللغوي
71.23%	الفصح
15.64%	العامي
13.12%	الدخيل
99.99%	المجموع

تعكس هذه النسب المتقاربة بين الدليلين ثباتا في المستويات اللغوية، التي تتكوّن منها العامية.



ما يُلاحظ أنّ هناك تقاربا نسبيا، مع النسب الواردة في عمل المستشرق قيطوط، حيث سُجّلت نسبة (66.35%) للفصح، وهي أقل مقارنة بهذا العمل، كذلك الأمر بالنسبة إلى العامي الذي بلغ (16.98%) مقابل (15.64%) في دليل كرز، معناه المستوى العامي تماما أقل نسبيا، مقارنة بعمل المستشرق قيطوط، وكذلك الدخيل جاء بنسبة أقل، وهو ما قد يعكس صفاء العامية الواردة في عمل المستشرق كرز، مقارنة بتلك الواردة في عمل المستشرق قيطوط.

2-3-1-الكلمات العربية التي دخلت إلى اللغة الفرنسية: تصنف الكلمات العربية التي دخلت

المعجم الفرنسي ضمن مجال المأكولات، وألفاظ الأماكن واللباس، والدين.

جدول يمثل كلمات عربية دخلت المعجم الفرنسي

الكلمة بالعامية والفرنسية والفصحى ⁽¹⁾	الكلمة بالعامية والفرنسية والفصحى ⁽²⁾
-hammam -ḥemmām حمام	-méchwi -mechwi مشوي
-harissa -ḥrisa هريسة	-caftan -qeftāne قفطان
-imam -imām إمام	-quintal -qentār قنطار
-makrout -mekrouḍ مقروط	-sahara -ṣeḥra صحراء
-muezzin-moūwaddine مؤذن	-tajine -ṭajīne طاجين

يتّضح من هذا الجدول أنّ الكلمات العربية التي انتقلت إلى اللغة الفرنسية، تشمل مجالات: (التغذية والدين، والألبسة، والأماكن، وبعض وسائل الطبخ)، وهذا يؤكّد أنّ الاقتراض اللّغوي ظاهرة لغوية تمتد إلى اللّغات جميعها، وكلّما كثر التّعامل مع لغة معيّنة، فإنّ هذا سيؤدي بالضرورة إلى انتقال كلمات لغة إلى لغة أخرى، وهذا حال الجزائر وفرنسا، فمعلوم أنّها قضت أكثر من قرن ونصف في الجزائر فمن البديهي أن تتأثّر لغة الجزائريين باللّغة الفرنسية، ولاسيّما أنّها لغة الغالب، وكما يقول العلامة ابن خلدون المغلوب مولع بتقليد الغالب، وبالمثل حدث لفرنسا، بدرجة أقلّ إذ دخل المعجم الفرنسي عدد كبير من الكلمات العربية، وهذه عيّنة مصغّرة.

3- قضايا الوضع في المعجم:

3-1-منهجه في تسجيل الكلمات: التزم المستشرق بمعظم القواعد التي ذكرها، إلّا أنّه لوحظ

خلل في طريقة تسجيل بعض الكلمات، ويختلف الأمر كثرة وقلة، من كلمة إلى أخرى.

3-1-1-استبدال حرف بحرف آخر: ستقدّم بعض الأمثلة فيما يأتي.

¹— voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p134 , 135, 140, 141.

²— ibid. p139 , 143, 146, 148.

جدول لنماذج من كلمات استبدل فيها حرف بآخر

الكلمة بالحرف اللاتيني	أصل الكلمة	الكلمة بالحرف اللاتيني	أصل الكلمة
حرف التاء عوض الثاء ⁽¹⁾			
bhet	بحث	mehrāt	حرث
-حرف التاء عوض الطاء - التاء عوض الدال -حرف الطاء عوض التاء ⁽²⁾			
ftōūr	فطور	māt	mathématiques
tmer	تمر	tnehet	تنهد
حرف الصاد محل الدال أو الذال ⁽³⁾			
denb	ذنب	sedq	صدق
tdakker	تذكر	wdene	أذن
حرف السين أو الزاي عوض الصاد حرف الصاد عوض السين ⁽⁴⁾			
medraša	مدرسة	seffi	صَفِّ
sebboūra	سبورة	zeffer	صَفَّر
حرف الفاء أو الكاف عوض حرف القاف ⁽⁵⁾			
gāres	قارص	gtār	هكتار
helga	حلقة	mekrouḍ	مقروط
حرف الياء عوض اللام أو الهمزة ⁽⁶⁾			
yeṭra(iṭrāt)	لتر	yāmes	أمس

وردت كلمات كثيرة بالحرف (d) والأصل أن تكتب بالذال (d)، وهي ظاهرة مشتركة بين المستشرقين قيطوط وكرزا. تكتب هذه الكلمات بالذال، ويقابلها بالفرنسية الدال، وهو الحرف الذي لم يؤخذ بعين الاعتبار في هذا الدليل. وما لا يُلاحظ في اللهجات، هو استعمال (الطاء) عوض (التاء)، يحتمل أن يكون هذا الاستعمال اللغوي موجودا فعلا في إحدى مناطق الجزائر. أما العاصميون فينطقون عادة كلمة (tmer) بالتاء لا بالطاء. وتكررت هذه الظاهرة كثيرا مع الأعداد. أورد كلمة (ders) بالسين في موضع آخر، وإذا كان هذا الاسم ينطق بالسين، فما الذي يمنع من نطق كلمة مدرسة بالسين، والأمر نفسه بالنسبة إلى كلمة (جبس)، وينطبق هذا الكلام على كلمة (السبورة). وكذلك كلمة (mekrouḍ)، وقد يكون هذا الإبدال مرتبطا بالنطق الفرنسي لهذه الكلمة. فالقاف ينطق عند الفرنسيين كافا، ووردت كلمة (yeṭra)

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 128, 140, 141, 151.

²- ibid. p 132, 139, 148.

³- ibid. p 131, 146, 147, 149.

⁴- ibid. p 139, 145, 146, 150.

⁵- ibid. p 132, 134, 140.

⁶- ibid. p 149.

بالياء عوض اللام، وقد تكون لهجة، وهذه ظاهرة تعرف في إحدى مناطق القبائل، حيث تنطق اللام ياء. هذه أمثلة من الكلمات الواردة في الجدول، تعكس خلا في كتابة الكلمات العامية.

3-1-2- كتابة حرف بطريقتين مختلفتين:

الحرف	الكلمة بالحرف اللاتيني	أصل الكلمة	بالفرنسية
"الجيم" (1)	bārnamej	برنامج	programme
	fdjar	فجر	etoile
	hedj	حجّ	l'aube
	nejma	نجمة	pèlerinage
"السين" (2)	mselmīne messelmāt	مسلمون، مسلمات	musulmans musulmane
	mousābaqa	مسابقة	concours
	oustad /assatida	أستاذ، أستاذة	professeur(s)
	nāss	ناس	gens
	nefs	نفس	souffle
"القاف" (3)	brouque		broder
	chqīqa	شقيقة	migraine
"الفا" (4)	geşser	مزح	bavarder
	guenṭra(gnāṭer)	جسر	pont(s)
	gueṣṣa	قصعة	ecuelle

يعتبر حرف (الجيم) من أكثر الحروف التي حدث اضطراب في كتابتها، إذ لم يستقر على شكل واحد، كما ذكر في تعليماته، ولا يوجد أيّ مسوّغ، لاعتماد شكل دون آخر في الكلمات، التي فرّق فيها بين الشكّلين. وتعتبر الكلمتان (sedjel) و(sejjel)⁽⁵⁾ دليلا واضحا على هذا الاضطراب. ويقابل المستشرق حرف السين تارة بحرف (s)، وتارة أخرى بحرفين (ss)، إذا أخذنا المثال الأول، فإنّ الكلمتين نفسيهما (mselmīne) و(messelmāt)، ومع ذلك كتبت إحداهما بحرف واحد، والثانية بحرفين، وقد تكرّر هذا الأمر كثيرا في المتن. وبالعودة إلى المعلومات الواردة في البداية، فإنّه قابل السين ب(s)، وهو ما لم يُحترم في كتابة بعض الكلمات. يقابل المؤلف حرف (الفا) ب (g) أحيانا، وب (gu) أحيانا أخرى، مثل: (gueṣṣa)، و(geşser).

¹- Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 128, 131, 133, 142.

²- ibid. p 141, 142.

³- ibid, p 129, 130.

⁴- ibid, p 132.

⁵- ibid. p 145.

3-1-3 - حرف واحد لصوتين مختلفين: (1)

العربية العامية	بالفصحى	الفرنسية
bra	حقنة	pique (med.)
bra	برى- برؤ	se rétablir
raya	راية	drapeau
rāya	سكة الحديد	raie

هناك خلل، بالنسبة إلى هذه الكلمات في كيفية نطقها، إذ هناك معنيان مختلفان لحرف الراء فبالترقيق يعني إبرة، وبالتفخيم الشفاء، والأمر نفسه بالنسبة إلى الكلمتين الأخيرتين، فبالترقيق تدلّ على السكة الحديدية، أما بالتفخيم فتدلّ على العلم.

3-2- الترتيب في معجم: لم يحاول المستشرق دانيال كرازا تقليد مناهج العرب، بل اعتمد ترتيباً ألفبائياً على أساس الحروف الفرنسية، وقد يكون لطبيعة عمله التأثير الأكبر في ذلك، بما أنّه موجّه بالدرجة الأولى إلى الفرنسيين والأجانب عموماً، ولهذا كان عليه مراعاة، الطرائق المستعملة لدى الغربيين. وقد وضح أنّه ألحق كل حرف فرنسي بما يشبهه من حروف عربية جزائرية، إذ يبدأ بكتابة الكلمات المبدوءة بحرف الدال، مثل (dālya)، وبعد الانتهاء من هذه القائمة، ينتقل إلى حرف الضاد المفتوح بـ (dala). وهكذا إلى أن يأتي إلى نهاية قائمته. وما يمكن قوله في هذه النقطة، أنّه يكرر أحياناً كتابة بعض المداخل، فمثلاً كلمة (ghār)، يوردها في بداية قائمة الحرف (gh)، ويكررها في نهايتها. أثر تطبيقه الترتيب وفق الحرف الفرنسي على تباعد الكلمات المتشابهة، إذ فصل بين كلمة (houzne) وكلمة (hzene)، وغيرها من الكلمات.

3-3- قضايا التعريف في المعجم:

3-3-1- طريقة تعريف الكلمات: إنّ السمة البارزة في طريقة شرح المستشرق الكلمات العربية هي عدم توخي الدقة، إلّا ما ورد عفويا من معلومات إضافية، إذ يكتفي في معظم الكلمات بذكر كلمة واحدة، قد تطابق الكلمة المشروحة، وقد لا تطابقها، كما يذكر أكثر من كلمة في بعض المواضع، تبعا لتنوّع استعمالات الكلمة. أمّا المعلومات التي يذكرها في لغة الشرح، فتختلف باختلاف الكلمات، وهي نادرة إذا قيسَت بالعدد الإجمالي للمداخل. سيقف هذا الجدول على أمثلة من هذه الكلمات.

¹- Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 129, 144.

جدول يمثل اختلاف الكلمات الفرنسية المقابلة للكلمة العامية

العامية (1)	الفرنسية	العامية (2)	الفرنسية
adab	politesse	b, bi	avec (au moyen de)
bent (bnāt)	filie	ferqa1	équipe, troupe, orchestre
ferḥāne	heureux, content	ḥechma	honte, pudeur
ḥna	bonheur, paix, ici	mra	épouse, femme
m ^c a	avec(en compagnie de)	ṣber	patience, patienter
tāb	repentir	ṣāqel	poli, sage

تعكس هذه الكلمات الطريقة المعتمدة في إيراد المداخل، حيث يكتفي في شرحه بذكر كلمة واحدة فحسب. وتسجل ملاحظة حول المقابل الذي ورد في صيغة المفرد في كلمة (bnat-bent)، دون إضافة علامة الجمع، وقد يكون الأمر سهواً. يذكر الكلمة ويقابلها بكلمتين مترادفتين،* وهو الأمر الذي يتكرر بدرجة أقل مقارنة مع الطريقة السابقة.

يقابل الكلمة بكلمتين مختلفتين، وهنا السياق هو الذي يحدد المعنى المقصود. يلجأ المؤلف في شرحه إلى ثلاث كلمات، تكون مترادفة، كما هو الحال مع الكلمات الأولى (فرقة) إذ تشترك الكلمات المقابلة لها في المعنى العام، وقد تكون مختلفة، كما هو وارد في الكلمتين الأخيرتين، فكلمة (هنا)، مثلاً يقابلها بالهناء أو السعادة والسلام، وباسم الإشارة (هنا)، وهي معان مختلفة. وإن كانت الكلمة الصحيحة هي (لهنا) ولا ترد نكرة في الاستعمال. قابل المؤلف المدخل (b, bi) بعبارتين مختلفتين، وذلك خوفاً من اللبس الذي قد يقع فيه القارئ في حالة الاكتفاء بكلمة (avec)، إذ سياق استعمالهما مختلف تماماً. يلاحظ القارئ الكريم أنّ المستشرق اعتمد أكثر من طريقة في شرح الكلمات، وقد يكون ذلك مرتبطاً بعدة عوامل، منها المعلومات التي يمتلكها عن الكلمة الواحدة، ودرجة وضوح الكلمة وغموضها، فتجده يقابل الكلمة بكلمة واحدة، وهو المعمول به مع معظم الكلمات، وأحياناً يذكر كلمتين مترادفتين أو مختلفتين، وهذا أقل تكراراً مقارنة بما سبق، ونادراً ما يورد ثلاث كلمات مقابل كلمة واحدة. كما أنه يغفل أحياناً بعض المعاني للكلمة الواحدة، مثل كلمة (أدب) التي اكتفى فيها بمعنى واحد، في حين قد تدلّ كلمة (الأدب) على الموروث الكتابي والشفهي للشعوب، ويقابله في اللغة الفرنسية (littérature). وهي كلمة مستعملة في مجتمعنا الجزائري؛ بل في المجتمعات العربية كلّها

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 127, 128, 132, 135, 141, 147.

²- ibid. p 127, 132, 133, 141, 146, 150.

* المقصود بالتّرادف هو تقارب المعنى بين الكلمتين، وليس تطابقه.

فالأدب من التّخصّصات التي تُدرس، وكل ما هو موجود في المجتمع فإنّه يعبر عنه، ولا تُعرف كلمة عاميّة بهذا المعنى. بالإضافة إلى ما سبق، يورد المستشرق أمام بعض الكلمات ملاحظات، وهذا يحدث عادة تجنّبا لالتباس كلمة بأخرى في اللّغة الفرنسية، قد ترتبط بنوع الكلمة، أو مجالها، سيأتي ذكر بعضها.

جدول يمثل نماذج لنوع الملاحظات الواردة أمام الكلمات

العامية ⁽¹⁾	الفرنسية	العامية ⁽²⁾	الفرنسية
ḥṣīra	natte (pièce de tissu)	qder	pouvoir (verbe)
kleb	rage (maladie)	qadyou	radio (med.)
khetwa	pas (nom)	tchīna	orange (fruit)
maktab	bureau (lieu de travail)	la khater	car (conjonction)

تعتبر هذه الكلمات نماذج توضّح نوع الملاحظات المذكورة في لغة الشّرح، إلّا أنّها قليلة، وكما يلاحظ القارئ الكريم، فهي كلمات تحتمل أكثر من معنى، فمثلا كلمة (orange) بمعنى فاكهة، قد تدلّ أيضا في اللّغة الفرنسية على اللون البرتقالي. إلّا أنّ المؤلّف لم يلتزم بهذه الطريقة، إذ نجد كلمات لم تخصّص رغم حاجتها إلى ذلك، مثل: (erbiyya) التي قابلها بـ (arabe)، تحتمل هذه الكلمة معنيين وهما اللّغة العربية، أو الأنثى العربية.

3-4- مستويات التحليل اللغوي في المعجم:

3-4-1- المستوى الصّوتي: كثرت المعلومات الصّوتية في بداية عمل المستشرق، رغم أنّها

لم تظهر في قوائم الكلمات. حيث أشار إلى عدم انتظام النّبر التّغيمي (l'accent tonique) في اللهجة الجزائرية، مثل الفرنسية، إذ يتعلّق الأمر بتنغيم الجملة أكثر منه نبر تنغيمي، ولهذا توضع العلامة على الصّائت الممدود...⁽³⁾ ما يمكن استخلاصه من هذه الملاحظات، هو التّأثر بقواعد اللّغة الفرنسية، ومع ذلك حاول مراعاة خصوصية اللهجة العربية، إلّا أنّه يُلاحظ وجود صعوبة في التّمييز بين قواعد اللّغة العربية الفصحى، وقواعد اللهجة العربية إن كان هناك مجال للحديث عن قواعد لها. كما ذكر مجموعة من المعلومات الصّوتية حول العامية الجزائرية.

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p134, 137, 138, 139.

²- ibid. p 143, 144, 147, 151.

³- ibid. p 12.

3-4-1-1-صوامت معدّلة: صنّفت هذه الحروف ضمن الصّوائت الموجودة في الفرنسية. لكن

بتكييفها مع النّطق العربي، وهي: (s, d, t)، حيث أُدخلت عليها نقاط، وضعت أسفلها لتتوافق مع النّطق العامي، وهي (الطاء، الضاد، والصاد).

الصّامت ⁽¹⁾	الشرح وأمثلة النّطق
t	(t) بنقطة تحته، يجب أن ينطق مثل التاء الفرنسي، لكن بصفة التّفخيم، باستعمال التّجوييف الفموي كأنّه مخزن للصّدى، أو كأنّ الفم ممتلئ. مثل: tri(طريّ)، t̄ab ، frais, tendre (نضج) il est cuit. الكلمة (Tati) تمثّل عند العرب صوتين مختلفين، الحرف الأول منهما مفخّم والثاني عادي.
d	هو كذلك مثل التّاء حرف مفخّم يجب نطقه بانتفاخ في الحلق: maison (دار) dar, jeu de dame dama (الترّد) fayda (فائدة) fayva débordante ≠ intérêt (فائضة)
š	هذا صامت مفخّم، ينطق من أقصى الحلق: fusée (صاروخ) monnaie, šaroukh (النقود المتبقية بعد الشراء) clair, šerf (صاف) šāfi

يلاحظ أنّ بعض هذه المعلومات الصّوتية ليست دقيقة، ولاسيّما بالنّسبة إلى حرف (الصاد). حيث يعطي المستشرق تعليمية للقارئ، وهي نطق الحرف من أقصى الحلق، في حين أنّ هذا الحرف لثوي مفخّم، وهو ما ورد في معجم المستشرق ميشيل قيطوط⁽²⁾ أيضا، قد يرتبط الأمر بحدوث سهو، فالسين والصاد، بعيدان عن مخرج الحلق. ثمّ نبّه إلى أنّ ظاهرة التّفخيم أساسية في العربية، ويمكنها أن تغيّر معنى الكلمة.⁽³⁾ مثل ب (tāb ≠ تَاب tāb).

¹ - Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p8.

• حدث التباس للمستشرق عند التمثيل لحرف "الضاد"، بالنسبة لبعض الكلمات، حيث أورد كلمة "دار"، وكلمة "داما" بالصاد في حين أنّهما تكتبان بالذال، فهذا الاستشهاد ليس في محله.

²- voir: ibid. p7

³- voir :ibid. p8,9.

3-4-1-2-صوامت غير موجودة في الفرنسية: يؤكد المؤلف أن هذه الصوامت لا يمكن

النطق بها، إلا إذا سُمعت من ناطقي العربية الأصليين.

الصامت	الشرح وأمثلة النطق
Kh	يوظف الإسبانية لشرح كيفية نطق هذا الحرف، هو الحرف (j) الإسباني في (juan) أو (ch) الألماني في (nacht)... لنطقه يجب إحداث حكة في أقصى الحلق، وكأننا نستعد لإلقاء شيء ابتلعناه. cinq (خمسة) vide, khemsa (فارغ) pain, khāwi (خبز) khoubz
h	pèlerin, hāj (حاج) يصدر من الحنجرة بصوت مهموس، ينطق بطريقة وكأننا نتناولنا أكلة فيها توابل حارة. dou (حلو) hlou, poisson, hoūt (حوت)
c	هذا الصوت يصدر من أعماق الحلق، مثل: "h" أقصى الحلق مع اهتزاز الحبال الصوتية: (عيد) fête, īd, c ennemi (عدو) dou, c, j'ai, chez-moi (عندي، لدي) and-i, c, honte (عار) ar, c
,	الحرف عبارة عن انفجار صوتي نادر ينطق مثل الصائت الفرنسي "a": circonscription (دائرة), dā'ira, responsable (مسؤول) mas'oul
Q	هو صوت حلقي بامتياز، يحدث بانفجار مهموس على مستوى أقصى الحلق، يشبه "k" لكن ينطلق بقوة من الحنك: qīma (قيمة) valeur, moussiqua (موسيقى) musique . هذا الصامت ينطق بسهولة مع الصائت "a" qerd, singe (قرد) qāl (قال), il a dit, (bāqi) باقي يمكن استعمال حرف "g" مكانه، بالتالي يمكن نطق: guelb ← qelb (قلب) cœur ينبّه القارئ* إلى أن هذا لا ينطبق على qern (قرن) siècle ≠ guerne (قرن). corne
h	يأتي الهواء مباشرة من الصدر دون الاصطدام بعائق في الحنجرة، هو "h" في الكلمة الإنجليزية holding hdiyya, cadeau, hada celui-ci, ceci, hna ici (هدية) هذا الصوت غير موجود في الفرنسية، باستثناء بعض صيغ التعجب، مثل: hum!

وضّح المستشرق في هذا الجدول، كيفية نطق الحروف الصامتة التي تنطق في اللغة الفرنسية بالطريقة نفسها، موظفا أمثلة من اللغة الفرنسية أو الإنجليزية وغيرهما.

3-4-1-3-الصوائت (les voyelles): يُعلم المؤلف القارئ أنه سيعتمد خمسة صوائت في كتابه وهي:

(a, i, o, ou, e)، وبالنسبة إلى حرف الـ (e) تتطابق وظيفته أحيانا مع (e) غير المنطوق في الفرنسية مثل: (qu'est-ce que)، وسيساعد في بعض المواضع على التمكن من النطق بمجموعة حروف يصعب النطق بها. أما في المواضع الأخرى فسينطق (è)، مثل الكلمات المقترضة من العربية: (djellaba bled, djebel). كما سيوظف في آخر بعض الكلمات المنتهية بـ (n) لنقويته، مثل: (beldāne- beldān).⁽¹⁾

* تسمى هذه الظاهرة في اللغة العربية المشترك اللفظي. وهو أن يطلق اسم واحد على شيئين مختلفين، أو هو إطلاق دال واحد على مدلولين مختلفين.

¹- voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p10 , 11.

3-4-1-4- الصّوائت القصيرة:

الصّوائت	الأمثلة
a	klā (أكل) il a mangé, briyya (رسالة) lettre.
i	sifr (صفر) zéro, dissir (تحلية)
ou	Sirou (شراب) sirop, bīrou (مكتب) bureau
o	boṭ (حذاء شتوي) botte, el-koura (الكرة) ballon
e	ṭfel (طفل) arcon, keswa (كساء / لباس) costume. ḥelwa (حلويات) patisserie, kebda (كبد) foie, zebda (زبدة) beurre.

3-4-1-5- الصّوائت الطويلة:

A	klāt (أكلت) elle a mangé, brāwa* (رسائل) lettres
I	srīr (سرير) lis, sīr (سر) va في الإنجليزية !
Oū	مثل كلمة "cool" في الإنجليزية: zoudj (اثان) mange, deux كل koūl
O	dor, (در) tourne. •

ما يُلاحظ عند تأمل الجدولين أنّ هناك تداخلا بين الصّوائت القصيرة والطويلة، بالنسبة للصّامات (o) الذي ورد في الجدولين معا، وهو ما يؤثر سلبا على كيفية نطق الكلمة. رمز المستشرق للمدود بخطوط توضع فوق الصّوائت الأربعة (a, i, o, ou)، ويشير إلى أنّ هذه الظاهرة موجودة في اللغة الفرنسية، إلّا أنّها تناقصت، وفي طريق الزوال. ثمّ أشار المؤلّف إلى أنّ العربية بصفة عامة لا تملك صوائت خيشومية، مثل الفرنسية: (an, on, ...in)، وعليه ونظرا للإطار التاريخي الخاص بالبلد فإنّ العربية الجزائرية، قد اقترضت مفردات كثيرة من اللغة الفرنسية، وهناك كلمات بقيت كما هي، دون تكييفها مع قواعد اللغة العربية، مثل: (le train et-trin) (القطار) (...).⁽¹⁾ والملاحظ أنّ الحرف الرابع (o) لم يوضع فوقه خط، كالحروف الأخرى، وهو الأمر الذي تكرر في الدليل كلّهُ. وأكّد على أنّ اللهجة الجزائرية مثل كل اللغات المنطوقة (الشفوية)، تتميز بالتنوّع، وتشتمل على استعمالات مركزية وأخرى جهوية.⁽²⁾ والفرق بين لهجة العاصمة، ولهجات المناطق المجاورة لها، واضح على جميع المستويات، ولاسيّما المستوى الصوتي. كما لجأ إلى لغات أخرى لشرح الأصوات غير الموجودة في الفرنسية.

* يحتمل أن تكون هذه التسمية "إبريّة" في اللهجة الجزائرية من الكلمة العربية الفصيحة (بريد).

• كتبت كلمة "دور" بطريقة مجانية للصواب، فالأصل أن تسجّل بالذال ولا بالضاد، (dor).

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 11.

²- ibid. p 12.

جدول للصوامت الموجودة في اللغة الفرنسية: (consonnes existant en français)

الصامت	الشرح وأمثلة النطق
b	police.(شرطة), bouliss / (أبي) mon père, bou-ya, / (باب) porte bāb
p	parking.(مجمع السيارات), parkine/ (دمية) Poupiya, poupée
f	film.(فيلم) film / bouche, foumm, (فم) / enfant, garçon, (طفل) t̥fel
v	villa / vase (مزهية) vāz, (بيت فخم) villa
m	rouge, h̥mer/ (من أين) d'où, mn̄ine/ (امرأة) femme mra
t	ma tante.(خالتي) khāl-ti / (ثلث) touloūt / thé, (شاي) latāy
d	dinar. Dinar(دينار) / farine, (دقيق) dguīg
n	tout droit, nichane.(إلى الأمام مباشرة) / (نسي) il a oublié nsa / femme(نساء)
z	olives.(زيتون), zitoūne / beurre(زبدة) zebda
s	echelle.(سُلَّم), selloum / (سروال) serwāl, pantalon
j	grand-père.(جَدِّي), jedd-i / neuf, (جديد) j̥d̥id / montagne, (جَبَل) j̥bel هذا الصامت المجهور يمكن أن يكون مضاعفا مع تأدية الوظيفة نفسها: d+j: Djamal, dj̥bel
Ch	regarde!(انظر), choūf!(شواء) chwa grillades (شمس) semch, soleil,
K	cumin.(كمون), kemmoūne, kilogramme, (كيلوغرام) kilou, verre.(كأس) Kāss
g	guemra, (قمر) begra, lune, (بقرة) vache. هذا الصامت غالبا ما يحل محله صامت آخر هو "q". يمكن نطق: guelb ← qelb (قلب) / cœur!... / dis!(قل) goūl ← qoūl
l	amande.(لوز), loūz, nuit (ليل) l̄il
r	mon Dieu.(ربي) reb̄b-i, sable, remla, (رمل) malade, (مريض) mr̄īd .
gh	هذا الحرف مثل "r" الباريصي، يحدث باهتزاز أقصى الحلق، ومثل "r" في الغرغرة، "gargarisme"، مثل: "ghība" (غيبه)، "absence"، "moughref"، (ملعقة)، "ghourba" "louche"، (غربة)، "exil" يذكر المؤلف أنّ الحرفين "r" و"gh" مختلفان في اللغة العربية.
w	يستعين المؤلف بلغات أخرى للشرح منها الفرنسية والإنجليزية، هذا الصامت، هو الحرف "w" في كلمة "watt" أو في "oui"، أو في كلمة "water" الإنجليزية. وليس بأي حال كما في الكلمة الفرنسية "wagon". (لا شيء, rien) (واحد) roses (ورد) wer̄d, un wāhed .
y	deux jours, (يومين) youmayene *, (يَد) main, "yed̄d", مثل: "yoyo" أو "yacht" في "Y هو

قسم المستشرق حروف العامية إلى أربعة أصناف، افتتحها بالصوامت المتطابقة مع اللغة الفرنسية من حيث النطق، مثل: (p, v, g)⁽¹⁾ وهي حروف غير موجودة في الألفبائية الفصحى. أما الملاحظة المسجلة،

* الكلمات الواردة باللغة العربية ليست للمؤلف، وهذا ينطبق على الكلمات الواردة في البحث كله، فقد اعتمد المستشرق الحروف اللاتينية في هذه المدونة كما هو موضح، باستثناء آخر محور في الدليل، فقد كتبت الجمل بالحرف العربي أيضا.

¹-voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p6,7.

فتخصّ صوت الرّاء (r)، وهو غير موجود في اللّغة الفرنسية المكتوبة بالنّطق نفسه. قد يكون إدراجه ضمن هذه القائمة سهواً، أو لكون بعض اللّهجات الفرنسية، تعتمد هذا الحرف كما ذكر.

3-5-المستوى الصرفي: يذكر المؤلف الكلمة العربية بالحرف اللّاتيني، ويقابلها بالكلمة الفرنسية، وما سجّل هو غياب الجانب الصّوتي، والصرفي، والأمر نفسه بالنّسبة للجانب النّحوي باستثناء بعض المواضع التي يذكر فيها الجمع أو المؤنث بين قوسين، وذلك بعد المفرد.

3-5-1-التعامل مع الحروف والمدود الحركات:

3-5-1-1-الشدّة والمدود: هناك تحكّم في ظاهرة الإدغام، في هذه المدونة إلى حدّ كبير، إلّا أنّه وردت بعض المواضع، حيث وُظّف الإدغام في غير موضعه وأسقط في مواضع أخرى.

جدول يمثل مواضع تمّ فيها التشديد الحرف ونتج عنه تحريف المعنى

الجزائرية ⁽¹⁾	أصلها	الجزائرية ⁽²⁾	أصل الكلمة
bayyā ^c (-ine)	بائع، بائعون	henche	حزن
houwwa	هو	metfāhem	متفهم

يلاحظ القارئ الكريم أنّ حرف الياء في كلمة (bayyā^c-ine)، ورد مشدّداً، وفي العاميّة قد تحمل هذه الكلمة معنى آخر، وهو معنى (الواشي)، إذ الأصل هو مدّ الباء، عوض تضعيف الياء ومدّها. كذلك بالنّسبة إلى الإدغام في كلمات منها: (Houwwa) في حين لا وجود لهذه الظاهرة فيها، وعلى عكس ذلك أسقط الإدغام في مواضع يجب إثباته فيها، مثل: (metfāhem). ولابدّ أنّ معنى الكلمة غامض، دون الرجوع إلى المقابل الفرنسي، فهذه الكلمة (henche) كما هي مكتوبة، قد تدلّ على الثعبان والأصل أن تكتب بالإدغام (henneche) بمعنى (حزن أو احتزن).

3-5-1-2-الحركات: حدّد المؤلف الحركات القصيرة، وهي: (a, i, ou, o, e)، وقد سجّل ملاحظة بالنّسبة إلى الحرف الأخير، وهي أنّه قد يكون مجرد حركة تأتي دون تأثير على نطق الكلمة كما في اللّغة الفرنسية، أما الحركات الطويلة فهي: (ā, ī, oū, o) فوقها خط، وهو ما يجعل منها حركات طويلة، باستثناء (o)، فقد يكون خطأ مطبعياً، لكن تبيّن بعد الاطّلاع على الكلمات المسجّلة أنّها كُتبت بهذا الشّكل دون خطّ فوقها، وهو ما يجعل القارئ عاجزاً عن التّفريق بين الحركتين القصيرة والطويلة.

¹- Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 128, 135

²- ibid. p134,140

جدول يمثل هفوات على مستوى بعض الحركات

العامية	الفصحى	العامية	الفصحى
حذف الفتحة أو الضمة (1)			
jām ^c	جامع	messelmāt-mselmīne	مسلمين – مسلمات
ṭāyb	mūr	ṭālb	musulmans musulmanes
وضع حركة عوض حركة أخرى (2)			
mkhadda	مخدة	mouwaḍḍif	موظف
وضع الحركة في غير موضعها (3)			
ketba	كتابة	kerrāss	كراس
التأثر بالحركات الفرنسية (4)			
chofeur	chauffeur	mtihāne	امتحان
murr	مُرّ	nervez	enerver

يلاحظ القارئ الكريم، أنّ هناك كلمات سقطت منها بعض الحركات، وهذه نماذج منها، فالكلمتان (messelmāt وmselmīne) كُتبتا بحركتين مختلفتين. كما أنّ الكلمة قد وردت في موضع آخر في صيغة المفرد بإثبات الحركة (meselm). الحركة المناسبة هي الضمة أو ما بين الضم والفتح، وهذا في النطق العامي. كذلك كلمة (موظّف)، التي كُتبت بكسر ما قبل الآخر، وهذه الكلمة اسم مفعول، والأصل فيها هو فتح ما قبل آخرها ف(الموظّف) هو الذي يُوظّف، أما الموظّف فهو الذي يوظّف. بمعنى آخر صاحب العمل والعامل. وردت كلمة (Ketba) بشكل مخالف للنطق العامي - في حدود العلم - تنطق هذه الكلمة (كُتِبَبة) أي إمّا بـ (e)، أو بـ (i) بعد النّاء، وليس بعد الكاف، ويحتمل أن تكون لهجة لإحدى المناطق الجزائرية.

ومما سجّل تأثر الكتابة بقواعد اللغة الفرنسية في بعض الأحيان، حيث أسندت نهاية الفعل الفرنسي (ez) للفعل (nervez) الدخيل. كما وردت حركة غريبة عن تلك التي ذكرها في بداية دليله، في كلمة (murr) وقد أورد الكلمة نفسها في موضع آخر بصيغة: (mour). وهذا أقرب للنطق الصحيح حسب ما ذكره. وينطبق الأمر على كلمة (chofeur) التي وظّفت فيها الحركات الفرنسية، بدلا من الصّوائت العامية التي وُضعت في بداية العمل. وردت المدود في معظم الكلمات بطريقة صحيحة، إلّا أنّه مُدّت حروف دون الحاجة إلى ذلك ولم تُمدّ بعض الحروف التي تستدعي المدّ.

¹- voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche.p135, 141,148.

²- ibid. p141.

³- ibid. p 136.

⁴- voir: ibid. p 130, 141, 150.

جدول يمثل للخلل على مستوى المدود

العامية	الفصحى	العامية	الفصحى
المدّ في غير موضعه ⁽¹⁾ و الخطأ في نوع المدّ ⁽²⁾			
bāṭ	aisselle	choūkrane	merci
meṣḥāf	livre (saint)	koūra	ballon
ḥloūf	serment	ṭhōūr	circoncision
المواضع التي سقط فيها المدّ ⁽³⁾			
ḍbab	ضباب	ḥram	حرام
sa ^c a	ساعة، ساعة يدّ	amel	عامل
غموض حركة المدّ " o " و "ou" و "oū" ⁽⁴⁾			
ḍor	دُرّ	fertettou	فراشة
foul	فول	ḥoūm	هُمّ

مُدّت الحروف: (باء، وشين، وحاء، وكاف)، دون الحاجة إلى ذلك، في الكلمات: (بطّ، شكرا مصحف، وكرة)؛ بل تنطق هذه الكلمات دون مدّ. وتنطق كلمة (حلوّف) بمد آخر، وهو (الياء)، إذ يقال لدى العامّة: (حليف) وليس (حلوّف)، وقد وردت الكلمة نفسها لدى ميشيل قيطوط. كما أنّ الكلمة المستعملة في الجزائر هي (اطهارة) أو (لختانة)، وليس (طهور)، وقد تكون هذه الكلمة متداولة في منطقة من مناطقنا. الإشكال المطروح هو صعوبة التفريق بين الحركة القصيرة (o)، والطويلة (ou) وكذا الحركة القصيرة (ou)، والطويلة (oū). كما أنّ كثرة الحركات عَقْد الأمر على مستعمل هذا الدليل، ولاسيما بالنسبة إلى الناطقين بغير اللغة العربية.

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 128, 130,137, 140.

²- ibid. p 134, 148.

³- ibid. p 131, 134,145, 150.

⁴- ibid. p 131, 132,135.

جدول لكلمات محرفة بالحذف والزيادة والإبدال

(1) التّحريف بالحذف					
-chra اشترى	-hsene - أحسن	-ma - ماء	-sboūla - سنبله	-teffi - أطفئ	-wehdou - وحده
(2) التّحريف بالإبدال					
-gett - قطّ	-jbed - جبذ	-liṭra - لتر	-te'bya - تعبئة	-te'leb - ثعلب	-tnehhet - تنهّد
(3) التّحريف بالزيادة					
-kīfah - كيف	-klāwi - كلي	-larnēb - أرنب	-lisra - اليسرى	-nsoubiyya - نسب	-remla - رمل
(4) الزيادة والحذف معا والقلب المكاني والإدغام					
-delila - مظلة	-fakya - فاكهة	-fertettou - فراشة	-sfenjer - سفرجل	kseksou - كسكس	

يعكس الجدول بعض التّغييرات التي تدخل على الكلمات الفصيحة، لدى استعمالها من قبل العامة، مثل الحذف الذي يتكرّر بكثرة، إذ قد يسقط من الكلمة حرف أو أكثر في بداية الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، وهذه الكلمات عيّنة مصغّرة إذ تجاوز العدد ثمانين (80) كلمة، بالنسبة للكلمات الثلاث الأولى (أحسن، ماء، أطفأ)، يلاحظ القارئ الكريم سقوط الهمزة في بداية الكلمة ثمّ في وسطها وفي آخرها، ثمّ في أولها وآخرها. كما تسقط بعض الحروف مثل: حرف الجيم في كلمة (الجزائر)، التي تنطق (الزّاير)، والنّون، مثل: كلمة: (سنبله) التي وردت (سبولة)،¹ حيث عوّض حرف النون بمدّ الباء وكذا حرف الواو في كلمة (صومعة) التي وردت (صمعة)، وكذا حذف الهاء في نهاية الكلمات، مثل: (وحده)، ومن الظواهر المسجّلة حذف الياء في بداية بعض الكلمات، مثل: (اليسرى). وحذف أكثر من حرف في كلمات أخرى، مثل: حذف الألف والتّاء في كلمة (اشترى)، والسّين والتّاء في (يستضيف) وسقطت الهمزة في وسط كلمة (فأل)، كما حذفت الهمزة من معظم الكلمات التي تبدأ بها، ولاسيّما صيغ

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p130, 134 , 139, 145,148 .

²- ibid. p132, 135 , 139, 147,148 .

³- ibid. p136, 137 , 138, 142,144 .

⁴- ibid. p131, 132 , 137, 146.

[←] ورد في المعجم الوسيط السّبلّة سَبَلَة الزّرع- سُبْلَه. (مادة سبك).

التّفضيل، وكذا في نهاية الكلمات، مثل: (ماء)، وفي البداية والنّهاية، مثل: (teffi)، وقد يُفسّر هذا الأمر بثقل الهمزة، وصعوبة نطقها، مقارنة بالحروف الأخرى، والأمر نفسه بالنسبة إلى الكلمات التي تبدأ بحرف الياء. أمّا الإبدال فقد تكرّرت هذه الظاهرة حوالي ستين (60) مرّة، حيث يميل المتكلّم بالعامية إلى توظيف حروف على حساب حروف أخرى، وممّا ورد في مدوّنة البحث، إبدال الهمزة لامّا وواوًا وياءً. ويبدل حرف (الذال، تاء) في بعض المواضع، ومنها (zghārīt)، فالأصل فيه هو (زغاريد) بالذال. وينطق التّاء (طاءً)، في بعض الاستعمالات، فيما ينطق حرف (التّاء) أحياناً (تاءً)، و(الذال) (ذالاً) و(الذال) (دالاً) وحسب ما ورد في المدوّنة فإنّ هناك ممارسات لغوية تبدل (الصّاد) (زايا)، و(الصّاد) (شينا)، كما يحلّ حرف (الفا) محلّ (الكاف)، أمّا الحرف الأكثر تغيّراً، فهو حرف (القاف) الذي يرد في معظم استعمالاته العاميّة (قا).

ومن التّغييرات التي تطرأ على الكلمات العاميّة، زيادة حرف على الأصل الفصحى، عددها حوالي ثلاثين (30) كلمة، قد يكون مدّاً لبعض الحروف، أو زيادة (ياء) في بداية بعض الكلمات وأحياناً في آخرها. كما يُضاف حرف (الواو) أو حرف (الهاء) في نهاية الكلمة، وترتبط معظم الزّيادات بتأنيث الكلمة، فكلّمة (رملة) أصلها (رمل)، وهي في صيغة المذكر، وجعلها الاستعمال العامّي في صيغة المؤنّث. ومن الزّيادات التي تدخل في التراكيب إضافة كلمة عامية دخيلة، وهي (تاع)، ففي اللّغة العربية الفصحى، يقال: (طبيب العيون)، أما في العامية فتُضاف تلك الصّيغة. وقد جمعت كلمات قليلة جداً تقدّر بحوالي أربع (4) كلمات للزّيادة والحذف، وظاهرة القلب المكاني في كلمتين، والإدغام في كلمة واحدة. ورد إبدال في كلمة (فاكهة) التي وردت (fakya)، وفي كلمة (sfenjer)، أصلها (سفرجل).

3-1-5-3- قلب حروف الكلمة: هناك قلب مكاني⁽¹⁾ في كلمة (شمس)، التي تنطق في بعض مناطق الجزائر بهذا الشكل، إلّا أنّ هناك مناطق تنطقها دون قلب، أيّ (شمس). يسجّل البحث ملاحظة بشأن طريقة كتابة لفظ الجلالة (الله) بالحرف اللاتيني، على الشكل (el-Lāh)، في حين كُتبت كلمة (مكة) بالطريقة التّالية (Makka)، سبقت الإشارة إلى وجود فروق بين اللّغات، من حيث الخصائص التي تميّزها عن غيرها وتشتمل اللّغة الفرنسية على خاصية، لا نجدها في اللّغة العربية، وهي كتابة الحرف الأوّل من أسماء العلم

* القلب المكاني ظاهرة صرفية تحدث في الكلمة فتقدّم وتؤخّر مكان حروفها، ويحدث هذا عادة لتخفيف الكلمة.

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 145.

بحرف كبير، (La majuscule)، وقد طُبِّقَت على العربية، بكتابة الحرف الأول من مَكَّة بحرف كبير، أمَّا اللَّبْس الذي حدث، فيتعلَّق بالحرف الكبير الذي وضعه في لفظ الجلالة (الله)، (el-Lāh) وهذا تبعاً لما جاء في معظم المعاجم العربية، في حين أنَّ هذا اللَّفْظ لا نكرة له، هناك من يقول النكرة هي (إله)، وهذه الكلمة تعرّف بـ (الإله) وليست هذه كتلك، فالألف واللام في هذا اللَّفْظ المقدّس أصل في الكلمة، ولهذا فالكثابة تكون (Allah)، إذ يُطلَق لفظ (إله) على كل ما يعبد ولا يقتصر على الإله الواحد المعبود، وليس هذا مع لفظ الجلالة (الله)، فهذه الكلمة لا يسمى بها إلاّ الله الواحد الأحد. وهو ما ذهب إليه العالم الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي.⁽¹⁾ مع وجود آراء أخرى تحتل الصواب.

3-5-1-4- ذكره للمفرد والجمع:

العامية ⁽²⁾	الفرنسية	العامية ⁽³⁾	الفرنسية
bāb(bibāne)	porte/s	fenne	art
kāss	coup, verre	kissāne	verre
lougha (loughāt)	langue (s)	majellāt	revues
meftah(mfateh)	clé (s)	mou ^c ellim(ine)	instituteur(s)
serr	secret	tchīna (āt)	orange(s)

يذكر المستشرق كرزا أحيانا الكلمة في صيغة المفرد، ويورد بعدها مباشرة الكلمة في صيغة الجمع بين قوسين، مثل: (loughāt -lougha)، وأحيانا أخرى يذكر الكلمة المفردة، ويضيف علامة الجمع بين قوسين مثل: (mou^cellim(ine))، ويحدث هذا عادة مع الكلمات التي تجمع جمعا سالما. ويورد الكلمة في صيغة المفرد، ويذكر جمعها في موضع آخر، مثل: (kissāne, kāss)، حيث يفصل بين الكلمتين حوالي خمس وعشرين (25) مدخلا، كما يكفي أحيانا بذكر الكلمة في صيغة المفرد، مثل: (serr). ودُكرت بعض المداخل في صيغة الجمع دون المفرد، مثل: (majellāt). لم يلتزم المستشرق بطريقة واحدة في إيراد الكلمات من حيث المفرد والجمع، إذ يذكر الكلمة المفردة، وبعدها مباشرة يردفها بصيغة الجمع بين قوسين، وقد يورد

¹ - ورد في لسان العرب، مادة (أله) «...وقال الخليل: الله لا تُطرح الألف من الاسم، إنّما هو الله عزّ ذكره على التّمَام، قال: وليس هو من الأسماء التي يجوز عنها اشتقاق فعل، كما يجوز في الرحمن والرحيم...وروى المنذري عن أبي الهيثم أنّه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللّغة، فقال كان حقّه "إلاه" أدخلت الألف واللام تعريفا... » . وفي الوسيط، مادة (الألماس): «الله علم على الإله المعبود بحق أصله إله، دخلت عليه آل، ثمّ حذفت همزته وأدغم اللّامان.»

² - voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 127, 136, 139 , 140,143.

³ - ibid. p 131, 137, 139 , 141,147.

المفرد في موضع وجمعه في موضع آخر، وذلك حسب الترتيب الألفبائي، وهذا الاضطراب في المنهجية المتبعة، قد أثر سلبا على المعجم. وأوقعه في التكرار والحشو، إلا أن الكلمات التي أتت بجموعها مباشرة أكثر من غيرها. كما أنه كثيرا ما يكتفي بذكر المفرد دون ذكر الجمع، وقد يرتبط الأمر بذكره للمعلومات، التي تسمح للقارئ ببناء صيغة الجمع بنوعيه. وقد ورد خلل في الجمع، مثل: (mouṭ(a) (mort(s)⁽¹⁾، حيث يقال في العربية العامية: (ميت، موتى)، فالجمع المذكور لكلمة أخرى هي (ميت) وليس لكلمة (موت).

3-5-1-5- ذكره للمذكر والمؤنث:

العامية ⁽²⁾	الفرنسية	العامية ⁽³⁾	الفرنسية
akhour	autre (m.)	oukhra	autre (f.)
guemra	lune	jedd	grand-père
jedda	grand-mère	mesrāra	charmant/e
moudir/a	directeur/directrice	moumettil	acteur
sāhel/sāhla	(m.f.) facile	ṣaḥāfi	journaliste

ذكرت بعض الكلمات في صيغة المذكر ولم يورد المؤنث منها؛ رغم أنها قابلة للتأنيث. واكتفي بصيغة المؤنث، وغابت صيغة المذكر في بعض المداخل. ذكر المستشرق الكلمة في صيغة المذكر فصيغة المؤنث، والملاحظ أنه اعتمد طريقتين، إذ يعيد كتابة الكلمة المؤنثة في بعض المواضع في حين يكتفي بإضافة علامة التأنيث، كما هو واضح في الأمثلة المذكورة، يذكر المؤلف الكلمة في صيغة المذكر في موضع، ثم تذكر الكلمة في صيغة المؤنث في موضع آخر، وذلك حسب الترتيب الألفبائي. فكلمة (ākhour) وردت في حرف الـ (a)، وكلمة (oukhra) في حرف (o)، وهكذا.

تمثل هذه الكلمات أمثلة للطريقة المعتمدة في الدليل، حيث يلاحظ القارئ أن تعامل المؤلف مع الكلمات، مختلف من حيث ذكر المؤنث وعدمه، إذ يكتفي بالمذكر تارة ويتبعه بالمؤنث تارة أخرى، وفي حالة ذكره، قد يذكر الكلمة في المذكر فيتبعها مباشرة بالمؤنث، وأحيانا أخرى يذكر المذكر، ولا نجد المؤنث، إلا في موضع آخر قد يفصل بينهما أكثر من سبعمئة (700) كلمة، كما هو الحال مع الكلمة

¹- voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 141.

²- ibid.p 127, 132, 135 , 141,145.

³- ibid. p 142, 135, 140 , 141,146.

الأولى، فالذي يبتغي معرفة مقابل الكلمة في المؤنث، عليه أن يبحث في الدليل كلّ، كما أنّ هذه الطريقة تشتت ذهن المستعمل. إلا أنّ القارئ الأجنبي قد يستجد بالقاموس الفرنسي-العربي في آخر العمل. أما عدم ذكره للمؤنث في الحالات كلّها، فيمكن تفسيره بأنّه قد سبق وأن ذكر معلومات في القسم الذي تكفل بتوضيح قواعد نحو العربية الجزائرية، حيث قدّم كيفية صياغة المؤنث، وهو إضافة حرف (a)، باستثناء كلمات قليلة لا تخضع لهذه القاعدة.⁽¹⁾ أما اكتفاؤه بالمؤنث، فلا تفسير له، وقد يكون سهواً. يمكن تسجيل اللبس الذي وقع فيه المؤلف، بين المؤنث والمذكر.

3-6- المستوى الدلالي: فرق المستشرق بين معاني بعض الكلمات التي تصبّ في مفهوم واحد وهذه أمثلة منها.

جدول يمثل كلمات متشابهة أو نفسها بمقابلات مختلفة

العامية (2)	الفرنسية	العامية (3)	الفرنسية	العامية (4)	الفرنسية
ghenya-	chanson	ghounya-	chant	houzne-	tristesse
hzen-	deuil	jeld-	cuir	jelda-	peau
ker ^c īne-	patte	kour ^c -	jambe	kre ^c -	Pied
larneb-	lapin	rneb-	lièvre	sejjel-	enregistrer
sedjel-	inscrire	tesjīl-	inscription	taṣwīra-	dessin
taṣwīra-	photo-image	zreg	brun	zreq	bleu
ghār	trou/ /	ghār	tunnel		

سيحاول البحث الوقوف عند بعض الكلمات الواردة في الجدول، فمثلاً، لا يوجد فرق بين الكلمتين (ghenya) و (ghounya) في الممارسة اللغوية. في حين قوبلت الكلمة الأولى بمعنى (أغنية) والثانية بـ (غناء). الأمر نفسه بالنسبة إلى الكلمتين (houzne) و (hzen)، فكلاهما تعني الحزن، وجُعِلت الكلمة الثانية للدلالة على الحداد. وتستعمل كلمتي (جلد، جلدة) للمعنى نفسه، والذي يفرّق بينهما هو السياق فيقال: تُصنع أغلفة المصاحف القديمة بالجلد، ويقال: "جلد الإنسان يتغيّر مثل المخلوقات الأخرى". وقوبلت كلمة (taṣwīra) بثلاث كلمات فرنسية مختلفة، وهي: (image)، (photo)، (dessin)، قد تُوظّف كلمة صورة للدلالة على الصورة والشكل معاً، أما كلمة (dessin)، فيقابلها الرسم. إنّ معنى الكلمتين

¹-voir Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p15, 16.

²- voir ibid. p 133, 134,136, 138, 145, 147.

³- ibid. p 133, 135,137, 144.

⁴- ibid. p 134, 135,137, 144, 147,150.

(zreq، zreg)، هو اللون الأزرق، والاختلاف الوحيد بينهما يكمن في النطق، إذ هناك مناطق تنطقها بالقاف وأخرى بالفاء، وقد وردا بمقابلين مختلفين. شرح المستشرق بعض الكلمات بطريقة مخالفة لواقع الاستعمال،* وذلك في مجالات متنوعة تشمل جلّ مظاهر الحياة.

جدول يمثل عدم الدقة في الكلمات

العامية ⁽¹⁾	الفرنسية	العامية ⁽²⁾	الفرنسية
berrād	théière	broūda	rhume
bzar	poivre	chābb(a)	beau/belle
gdem	talon	chouka	piqûre/ (med)
jem ^c a	semaine	gheryāne	bébé
keswa	uniforme	herqa	brûlure
limouni	orange	hroūf	letters, traits
mħirma	mouchoir	khchīne	dur
rbī ^c	herbe, printemps	meṭboukh	cuit à la vapeur
sādji	réfléchi/intelligent	mkhiyyer	menuisier
skhāna	fièvre, chaleur	riyyech	faire signe
ṣwāb	courtoisie	ṣteḥ	terrasse, toit
-	-	ṭbī ^c a	nature

سُجِّل عدم التطابق بين بعض الكلمات العربية والفرنسية، سيُعرض بعضها لاكتشاف الانزياح الدلالي الذي تضمّنه الدليل، لا يوجد توافق بين الكلمتين، فكلمة (برّاد، théière) تحملان دلالتين مختلفتين، في حدود العلم. وقوبلت الكلمة الفرنسية (poivre) بـ (بزار)، ويبدو أنّ المستشرق قد وقع في لبس، بين حرف (الهاء) وحرف (الزاي)، يحتمل أن يكون المقصود هو (بهار). يبدو أنّ الأمر قد اختلط على المستشرق إذ تعني كلمة (شابة) في العامية جميلة، إلّا أنّ كلمة (شاب) تدلّ على ظهور الشيب ويقال لمذكر شابة (شباب). والمعروف هو أنّ كلمة (شوكة)، تدلّ على الشوك مهما كان نوعه ويقال للحقنة بالعامية (تَشْكَة) وليس (شوكَة). وقد وردت الكلمة بالمدّ في موضع آخر للدلالة على الشوك. ويقال: كعب عال، ولا يقال: قدم عالية. كما قابل كلمة (غار) بـ (trou) بمعنى (ثقب)، وكزّر كلمة (غار) بعد حوالي ثمانية عشر (18) مدخلا بمقابل آخر، وهو (tunnel)، وكلا المقابلين لا يتطابق مع

* يُقصد بالاستعمال في هذا المقام الممارسات اللغوية التي تعرفها الباحثة، واحتمال وجود هذه الاستعمالات كما هي واردة ضمن ممارسات لغوية مجهولة.

¹— voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 128, 129,132, 135, 136, 138, 140, 144,145, 147.

²— ibid. p 129, 130,133, 134, 137, 140, 141, 144, 147, 148.

المعنى الحقيقي للكلمة، يقال: "كان محمد رسول الله ﷺ يتعبد في غار حراء"، فالغار هو مكان موجود في الجبال، وهناك أمم اتخذتها بيوتا لها. إن المشهور لدى المتكلم الجزائري، في حدود العلم هو أن (جمعة) تعني نهاية الأسبوع، وهو عيد المسلمين؟ أمّا كلمة (حرقة)، فتستعمل عادة للدلالة على الألم المعنوي الشديد. كما أن كلمة (حروف) لا تدلّ إلا على حروف الهجاء التي نعرفها، لا بدّ أن القارئ العربي يدرك للوهلة الأولى أن دلالة الكلمة العربية، غير دلالة الكلمة الفرنسية. و(الكسوة) كلمة عامة تدلّ على ما يرتديه الإنسان، دون تحديد لنوعه. اللون المقصود هنا هو البرتقالي أو (التشيني) بالعامية ولا مجال لاستعمال كلمة (ليموني) مقابلا لها، وإن استعملت الكلمة، فستدلّ على اللون الأصفر وليس البرتقالي، ولا بأس بالإشارة إلى أن هذا اللون، ورد بالصيغة نفسها لدى المستشرق ميشيل قيطوط والملاحظة نفسها تتكرر فقد تكون لهجة لمنطقة ما.

كما يستغرب القارئ ممّا جعل كلمة (مطبوخ) تختص بما يطبخ بالبخار دون غيره؟ كذلك تعني كلمة (محيرمة) بالعامية، في حدود العلم قطعة قماش، توضع على الرأس (خمار). وقابل المستشرق كلمة (مخير) بـ (النّجار)، وهذه من أغرب الكلمات التي تضمّنها دليله. وتدلّ كلمة (ربيع) على الفصل المعروف، ولم تُسمع له استعمالات أخرى، إلا على سبيل المجاز، وهو ما لم يُشر إليه. والصواب هو (رؤش) مقابل (faire signe) بمعنى استعمال اليد للإشارة، وليس (ريش)، الذي قد يعني عملية إزالة الريش. وتستعمل كلمة (ساجي) في العرف الجزائري للدلالة على الإنسان المتخلق، ترتبط الكلمة بالأخلاق لا بالذكاء. شرح المؤلف الكلمة العربية (ساخنة) بكلمتين، الأولى خاطئة، والثانية صحيحة. لأن الحمى قد تكون باردة وقد تكون ساخنة، وهو المقابل الصحيح للكلمة الفرنسية الأولى تستعمل كلمة (سطح) للدلالة على القسم العلوي من السقف، والذي يستفيد منه الناس عادة لبعض حوائجهم كتجفيف الثياب والجلوس والسّم. وتعني الكلمة الفرنسية (courtoisie)، الرقة واللطف والمجاملة... وقد يطلق على الحكمة في العامية.⁽¹⁾ تدلّ كلمة (وحدانية) على صفة مؤنثة، تصف الأنثى في حالة الوحدة. تدلّ كلمة (عافية) على الصّحة في بعض الاستعمالات العامية وعلى النار في بعضها الآخر.

¹— Bureau des études et recherches, F.L.ALWAN et G.L.SIMON, M.SAID, dictionnaire Français-Arabe, قاموس فرنسي-عربي (coût). p217.

جدول يمثل عدم الدقة في مقابل أفعال وضمائر

الكلمة العامية ⁽¹⁾	المقابل	الكلمة العامية ⁽²⁾	المقابل
chra	achat, acheter	ghreq	sombrer
hoūm/a	eux/ells	kra	location, louer
khala	chuchoter	kwārt	papiers (d'identité)
neh̄hi	enlever	nti	feminine

يلمس القارئ عدم الدقة في شرح كلمة (شري)، حيث قابلها بفعل واسم، فهل هذا يعني أن الكلمة نفسها؟ تعني كلمة (sombrer) الأفول، أو الاختفاء وسط الظلام، في حين تعني كلمة (غرق) الوقوع في وسط مائي والغرق فيه. وهذا يدل على عدم الدقة في بعض المقابلات.⁽³⁾ جعل المستشرق مرة أخرى الفعل والمصدر مقابلين لكلمة (kra)، في حين المقابل الصحيح هو الفعل فحسب، أما الاسم فنقول: (lekra). وكذلك كلمة (كواغط) عامة لا تدل على المعنى المذكور إلا في سياق معين حيث حصرها في وثائق التعريف. ويلاحظ القارئ أن الفعل "نحي" باللغة العربية في صيغة الأمر. أما المقابل فلم يصرف (enlever)، وهذا يدل على عدم تحري الدقة في ذكر المقابل. فرق المستشرق بين الضمير الموجّه للمؤنث والموجه للمذكر، في حين لا يفرق المتكلمون في استعمالهم بينهما، إذ يقال: (هما) للجنسين. أوقع المؤلف القارئ الأجنبي في غموض، حيث جعل نوع الكلمة هو المقابل، وليس معناها أو مقابلها بالفرنسية، حين قابل كلمة (ننت) بـ (Feminine)، والأصل أن يكتب (toi)، وله بعد ذلك أن يضيف النوع، لأن الفرنسية لا تخصص للمؤنث ضميرا؛ بل يستعمل الضمير للجنسين معا.

¹- voir : Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 130, 135, 137 , 142,143.

²- ibid. p 133, 137, 142.

³ - Bureau des études et recherches, F .L.ALWAN et G.L.SIMON, M.SAID, dictionnaire Français-Arabe, قاموس فرنسي-عربي (soliloquer).p731.

4- اللغة العربية في معجم المستشرق دانيال كرز:

4-1- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث مستويات التحليل والاستعمال: عرف القارئ

سابقا أنّ المستشرق دانيال كرز من متعددي اللغات، وبعد البحث حول مؤلفاته اتّضح أنّه ألف أعمالا في العاميات، وكذلك في العربية الفصيحة، إلّا أنّه لم يُعثر عليها، ولهذا اكتُفي بعمله حول العامية الجزائرية. يبدو أنّ المستشرق دانيال كرز متأثر بالمستشرق ميشيل قيطوط، وهناك تعاون بينهما في هذا العمل، كما أنّه أشار إلى معطيات حول الجزائر وواقعها اللغوي، مثلما فعل الأستاذ قيطوط، وإن كان المستشرق كرز قد أورد بعض الكلمات الجزائرية أو العامية بطريقة مغايرة، إذ وردت بعض الكلمات خاطئة في دليل قيطوط، في حين جاءت صحيحة لدى كرز. يقول كرز: « سيسمح لكم هذا الكتاب بتعلّم العناصر الأساسية أو القاعدية للّهجة الجزائرية (la variante algérienne) المتفرّعة من هذه اللغة العالمية، وهي العربية».⁽¹⁾ يفهم من هذا الكلام أنّ المستشرق يعي أنّ العامية الجزائرية، قد تفرّعت من اللغة العربية الفصحى العالمية، ولهذا الأمر تأثيره الواضح في بعض القواعد التي ذكرها المستشرق: يقول: « سنقدّم لكم في العربية الجزائرية للجيب القواعد الأساسية للنحو وسنشرحها بطريقة بسيطة، وكذا بالنسبة للمفردات وبعض التعبيرات والصيغ النموذجية المستعملة في الحياة اليومية».⁽²⁾ يطغى على أعمال المستشرق دانيال كرز الطابع التعليمي.

¹ - voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p1.

² - ibid. p2.

4-2- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث نظام الكتابة:

4-2-1- نظام الكتابة في المعجم:

جدول للحروف في المعجم النّقحة (prononciation et translittération)

المثال	الترجمة	التسمية	الكتابة
porte	باب	bāb	ب b
là	هناك	temma	ت t
côté	جهة	jiḥa	ج j
ane	حمار	ḥmār	ح ḥ
vide	فارغ	khāwī	خ kh
toujours	دائما	dīma	د d
tête	رأس	rāss	ر r
olive	زيتون	zitoūne	ز z
ciel	سما	sma	س s
soleil	شمس	semch	ش ch
savon	صابون	sāboūne	ص ṣ
table	طاولة	ṭābla	ط ṭ
coup	ضربة	ḍerba	ض ḍ
œil	عين	ʿīne	ع ʿ
cher	غال	ghāli	غ gh
fèves	فول	foul	ف f
café	قهوة	qehwa	ق q
chien	كلب	kelb	ك k
nuīt	ليل	lil	ل l
ville	مدينة	mdīna	م m
fourmi	نملة	nemla	ن n
ici	هنا	ḥna	ه ḥ
arriver	وصل	wṣel	و w
hier	أمس	yames	ي y
responsable	مسؤول	mas'oul	ألف / ,

تضمّن هذا الجدول خمسة وعشرين حرفاً، ويلاحظ أنّ المستشرق اقتصر فيه على حروف اللغة

العربية الفصحى، فيما سُجّل غياب حرف النّاء، والدّال، والظّاء. وقام بتوضيح طريقة كتابة حروف اللغة

العربية بالحروف اللاتينية، وكيفية نطقها مع ذكر مثال لكل حرف من اللهجة الجزائرية، وإيراد مقابله في اللغة الفرنسية. ونَبّه المستشرق بعد الجدول مباشرة إلى أنّ اللغة العربية الفصحى، لا تحتوي على ثلاثة حروف هي: (p, v, g)، ولهذا فليس لديها مقابل بالعربية، ويقترح تسميتها باللهجة العربية، كما يقول: (pa, va, ga).⁽¹⁾ وهنا لا بدّ من التذكير أنّ هناك حروفاً عربيّة عدّلت لتتاسب هذه الأصوات.

4-2-2- أفصلية الخطّ العربي للعربية: اختار البحث بعض الكلمات والتراكيب الواردة ليعالج بعض الأفكار التي انتشرت، حول كتابة اللغة العربية بالخط اللاتيني؛ وكذا الذين يدعون إلى هجر اللغة العربية الفصحى إلى العاميّة، وهذه المقارنة ردّ صامت يتكلّم بكل موضوعية وواقعية، فليتأمّل القارئ الكريم ما ورد، وليُجب بنفسه أيّ الحروف أنسب لكتابة اللغة العربية، وأيّها أصحّ للتعبير عن حاجات المتكلّم؟ سيحاول البحث استثمار بعض الكلمات الواردة في المتن للقيام بمقارنة بين كتابة الكلمة بالعربية وكتابتها بالفرنسية، وباللهجة الجزائرية، سيتضمّن الجدول نماذج منها لمعرفة أيّ الاستعمالات أكثر فعالية، سواء من حيث السهولة والاختصار أو من حيث البعد الشكلي والجمالي.

جدول يمثل كتابة الكلمة العامية بالخطّ اللاتيني وبالخطّ العربي والكلمة الفرنسية

الكلمة بالجزائرية	الكلمة الفصحى*	الكلمة الفرنسية
bou-ya /baba	أبي	mon père
djedd/ djddoūd	جدّ / أجداد	grand- père/s
tfel	طفل	enfant

ستصنّف الكلمات حسب عدد الحروف التي كتبت بها، وهذا سواء بالنسبة إلى الكلمة العامية المكتوبة بالخطّ اللاتيني أو للكلمة الفرنسية أو للكلمة العربية الفصيحة. يلاحظ القارئ الكريم أنّ المفهوم الأول له مقابلان، وهما: (bou-ya /baba)، كتبت الكلمة الأولى بأربعة (4) حروف، والثانية بخمسة (5) حروف، أما الكلمة الفرنسية (mon père) فعدد حروفها هو سبعة (7)، وهي مكوّنة من الضمير (mon) والاسم (père). سنأتي إلى الكلمة العربية الفصيحة والتي تتكوّن من الاسم (أب) والضمير (ي) وعدد حروفها هو ثلاثة (3) (أبي). وتأتي الكلمتان التاليتان (djedd/ djddoūd)، وعدد حروفها في صيغة

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p10.

* لم ترد الكلمات باللغة العربية الفصحى في المدونة.

المفرد هو خمسة (5) حروف وسبعة (7) حروف في صيغة الجمع، أما الكلمة الفرنسية (grand-père/s)، فهي مركبة من كلمتين عدد حروف الأولى هو تسعة (9) أما الثانية فهو عشر (10) كلمات. وتتكوّن الكلمة العربية الفصيحة الأولى (جدّ/ أجداد) من حرفين، (2) والحرف الثالث مدغم في الحرف الثاني، أيّ ثلث الكلمة الفرنسية أما في الجمع فالعدد هو خمسة (5). بمعنى نصف عدد الكلمة الفرنسية. أما كلمة (tfe) فعدد حروفها هو أربعة (4) وتتكوّن كلمة (enfant) من ستة (6) حروف. وعدد حروف الكلمة العربية الفصحى (طفل) هو ثلاثة (3). بعدما تمت المقارنة بين الكلمات، سيتناول البحث فيما يأتي بين التراكيب، قياساً على جملة واحدة، ليتوصّل إلى تحليل العبارة ومقارنتها بالعبارة العربية الفصيحة وسيبقى المجال مفتوحاً أمام القارئ ليحكم بنفسه، أيّ التراكيب أفضل؟⁽¹⁾

- من فضلك كيف يُسمّى هذا الجامع؟* (المسجد)

men fedl-k ki isemm-ou-h hād el-djame'?

de bonté-ta comment ils-appellent-lui cette la- mosquée

S'il vous plaît, comment s'appelle cette mosquée ?

يبدأ المستشرق بكتابة الجملة باللهجة الجزائرية، وبعدها يعيد كتابتها باللغة الفرنسية مطابقة للصيغة العامية من حيث التركيب، وكما يلاحظ القارئ الكريم لا تعبّر هذه العبارة عن أيّ معنى، إن هي إلاّ ترجمة حرفية، ربّما تساعد السائح على معرفة عناصر الجملة، ثمّ يتبعها بالجملة الفرنسية التي تنقل المعنى المراد. تتقارب عناصر الجملة العامية والفصيحة إلى درجة كبيرة، وتحليل عناصرها يتّضح ذلك إذ افتتحت بعبارة المجاملة (من فضلك)، والاختلاف الوحيد المسجّل هو حركة الكلمات، وهذا من خصائص اللّغات العامية، التي تميل إلى الخفّة والتخلّص من بعض الحركات، فالكلمة الأولى تنطق في الفصحى بالكسرة، التي تتحوّل في العامية إلى شبه ضمة، وبعد حرف الضاد تسقط الكسرة تماماً، والوقوف على الساكن معمول به في الفصحى، وبالنسبة إلى اسم الاستفهام (كيف) فقد اختصر إلى حرف واحد،* هو (كـ)، أمّا الفعل (إسموه)، عوّضت الياء بـ (i) وسقطت نون الوقاية، إذ يقال في الفصحى (يسمّونه) واحتفظ اسم الإشارة ببنيته (هاذ) مع الوقوف على الساكن وكلمة (الجامع)، متطابقة مع الفصحى. يتبيّن

¹- voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. p 103

* لم ترد هذه العبارة في الدليل.

* هذا استعمال لغوي لمناطق محدّدة في الجزائر، ولاسيما الغربية منها. وهناك استعمالات أخرى مثل: "كيف"، "كيفاه" أو "كيفاش".

للقارئ الكريم أنّ تركيب الجملة العامية يطابق تركيب الجملة الفصحى، والأمر نفسه بالنسبة إلى الكلمات فهي كلمات فصیحة، انحرفت بدرجة بسيطة على المستوى الصّوتي. والجملة الفرنسية في هذا المثال متطابقة مع التركيب الفصیح. أمّا فيما يتعلّق بالاختصار، فمن الواضح أنّ التركيب العربي الفصیح شغل مساحة صغيرة جداً مقارنة بالتركيبين العامي والفرنسي، وبدقة أكبر فإنّ عدد حروف الجملة الفصیحة هو اثنان وعشرون (22) حرفاً، في حين أنّ عدد حروف الجملة العامية هو تسعة وعشرون (29)، والعدد هو تسعة وثلاثون (39) بالنسبة إلى الجملة الفرنسية.

وهنا لا بأس بالإشارة إلى أنّ اللغة العربية تتمتّع بخصائص كثيرة، لا تملكها أيّ لغة أخرى ومنها على سبيل المثال الإدغام، أو كتابة حرفين في حرف واحد، في حين يكون المرء ملزماً بكتابة الحرفين معاً بالحرف اللاتيني، كما هو واضح في كلمة (djedd)، ويوجد حروف عربية كثيرة تكتب بحرف واحد، إلّا أنّها حين تكتب بالحرف اللاتيني تحتاج إلى حرفين، مثل حرف الجيم الوارد في المثال السابق، والذي عبّر عنه بحرفين هما (dj). يتأكّد مما سبق أنّ الحرف الوحيد المناسب للغة العربية هو الحرف العربي، وهذا من عدّة وجوه، سواء أكان الأمر من حيث الاختصار الذي ينادي به الجميع، أو من حيث الجانب الذوقي والجمالي. فما وُضع في أوّل أمره بحرف معيّن لن يناسبه أيّ حرف آخر، وهذا ينطبق على اللغات جميعها، فهل يتصوّر الفرنسيون على سبيل المثال أنّ تكتب اللغة الفرنسية بالحرف العربي، مهما كانت الأسباب والدواعي وإن كان على سبيل تعليم لغتهم للعرب؟ للقارئ الكريم أن يناقش هذه المعطيات بكلّ موضوعية، وله أن يتساءل أيّ هذه التراكيب الثلاثة عمليّ أكثر؟

المعطيات اللغوية وغير اللغوية في المدونة:

1- اللغة العربية في معاجم المدونة:

1-1- مستويات اللغة العربية: تبين أنّ أصحاب المدونة وظفوا الفصحى في أعمالهم بطرائق مختلفة، ف(المعاجم ذات الترتيب الأبجائي الفصحى)، ممثلة بالمستشرقين: (شربونو ودانيال ريغ) حظيت فيها الفصحى بمكانة متميزة، والمرجّح أنّ أصحابها رجعوا إلى معاجم قديمة، لتحديد معاني بعض الكلمات، إما لمستشرقين أو للعرب. وكانت نسبة العامية فيها قليلة، أو شبه منعدمة.

أمّا معاجم الموضوعات؛ على رأسها معجم (العربية الحية) للمستشرق (شارل بيلا)، ومعجم (لغة اليوم) لـ (ماتيو جيدر)، ومعجم (اللسن) لـ (ميشيل قيطوط)، فقد تعاملوا جميعهم مع اللغة الفصحى، إلا أنّ معجم المؤلف شارل بيلا، كانت عربيته أكثر قربا من المعجم العربي القديم، وأكثر دقة، من حيث تعامله مع اللغة، من حيث الاهتمام بتشكيل الكلمات؛ بل أكثر من ذلك تضمّن معجمه مصطلحات عربية، كثيرا ما يوظف الباحثون العرب أنفسهم مصطلحات دخيلة مكانها، وهو ما يحسب له.

أما المستشرق (ماتيو جيدر)؛ فيلاحظ أنّه تعامل مع العربية تعاملًا مختلفًا، إذ اكتفى باقتباس كلمات وجمل من الصحافة العربية، وهي لا تمثل حقيقة العربية الفصحى، أفرادا وتركيبا، وهذا أمر متوقع، بما أنّ التعامل كان مع لغة الصحافة.

بالنسبة إلى المستشرق (ميشيل قيطوط)، فكان الأمر مختلفًا، إذ تعامل مع المصطلح اللساني بشكل عام، وهو ما جعله يتقيد بنوع معيّن من السجلات اللغوية، المنتمية إلى مجال خاص، وقد أبدع أيّما إبداع، محاولا اختيار المصطلح العربي على حساب المصطلح الدّخيل في معظم الأحيان مع وجود بعض المواضع التي عدل فيها عن ذلك.

أما الأعمال العامية، فكذلك سجّل فيها تفوّق المستوى الفصيح، وإن كان محرّفا، إمّا بزيادة حروف أو حذفها، أو بإبدال حرف بحرف آخر، أو بقلب مكاني للحروف، وغيرها، ولاسيّما في معجم المستشرقين (هنري بيريس، وبول مانيون)، فمن الواضح أنّهما متأثران كثيرا بالفصحى. أما عمل (ميشيل قيطوط، ودانيال كرز)، فهناك تقارب بينهما، بوصفهما ينتميان إلى الفترة نفسها، كما أنّ العمل الثاني في حد ذاته، كان متأثرا بالمستشرق (ميشيل قيطوط)، مع تسجيل هفوات على مستوى

بعض كلماته. ولاسيما بالنسبة إلى عمل الأستاذ (قيطوط)، الذي حاول الجمع بين أكثر من عامية: (عامية المغرب وتونس، والجزائر)، وهو ما لم يتحقق بالكامل، لصعوبة الإحاطة بالاستعمالات اللغوية لثلاثة بلدان مغربية، علماً أنّ العاميات تختلف في البلد الواحد.

معظم أصحاب المعاجم يميلون إلى الفصحى، ولاسيما في المجالات العلمية، سجّلت ملاحظة مهمة، بالنسبة إلى المستويات اللغوية في المعاجم كلّها، وهي تفوق المستوى الفصيح، بما فيها المعاجم العامية، التي كانت معظم كلماتها فصيحة محرّفة على مستوى الحركات أو الحروف. أما الكلمات البعيدة عن الفصحى، فهي قليلة كما ورد في موضعه، هناك ميل واضح في أحيان كثيرة إلى العربية الفصحى، ورغم وجود كلمات دخيلة، وكلمات عامية، إلّا أنّها قليلة نسبياً مقارنة بالعدد الإجمالي للكلمات.

ما يجب التنبيه إليه، هو تلك الكلمات العامية، التي لا يشير أصحابها إلى عاميتها، فالخطر يتناقص عند وجود ملاحظة تبين بأنّ الكلمة عامية. والخطر في تلك الكلمات العامية المسجلة على أنّها فصيحة، مع تسجيل نسبة أقلّ من الدّخيل كذلك، ومعظمها من الكلمات التي لا مقابل لها في العربية، أو غير معروف.

ما يمكن استخلاصه أنّ المستشرق الوحيد الذي يدعو صراحة إلى العامية، هو المستشرق ذو الأصول المغربية (ميشيل قيطوط)، أمّا ما عداه فيبدو أنّهم؛ وإنّ كتبوا شيئاً بالعامية أو عنها فلاغراض تعليمية وبهدف التّواصل، مهما كانت خلفياتهم.

يتفق معظم المستشرقين على أنّ العربية الفصحى والعربية الحديثة أو كما يسميها بعضهم العربية الوسطى لغتان مختلفتان، وهذا وارد في بحوثهم ومؤلفاتهم جميعها، وبكل طبقاتهم وتوجّهاتهم. أمّا العامية فمختلف فيها، إذ منهم من يرى أنّها الاستعمال اللّغوي الوحيد الذي يجب أن يُعلّم ويهتمّ به، ينطلق بعضهم من منطلق علمي لساني، قائم على المنهج الوصفي الذي يدعّم العاميات، وهناك من ينطلق من معطيات تاريخية أو خلفيات خفيّة. ومنهم من يرى أنّ الفصحى أو الحديثة بتعبيرهم هي اللّغة التي يفهمها العرب جميعهم، ولهذا يجب تعليمها والاهتمام بها، وليس من المستشرقين من ينادي بإقصاء العامية. ولابدّ من التّذكير، بأنّ هناك من يعترض على تسمية اللهجة، ويعتبر كلّ استعمال لغوي يتبادلّه النّاس فيما بينهم لغة قائمة بذاتها؛ بل هي الوحيدة التي يجب الاعتراف بها.

وهنا يحضر قول ابن جني اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم... هذا التعريف يتطابق إلى حدّ ما مع ما ينادي به هؤلاء العلماء، إلّا أنّ الظروف التاريخية أسهمت إلى حدّ كبير في تغيير مفاهيم كثيرة، والسؤال المطروح، إذا كانت اللهجة تعني اللغة بالمفهوم الاصطلاحي، فلماذا وجدت كل هذه المصطلحات التي تعجّ بها معاجم اللسانيات واللّسانيات الاجتماعية؟

1-2- الخط العربي واللاتيني:

المقارنة بين الحروف الواردة لدى المستشرقين:

اختلف أصحاب المدونة في نوع الخطّ المستعمل لكتابة اللغة العربية، حيث استعمل كل من المستشرقين: (شربونو، ودانيال ريغ، وشارل بيلا، وماثيو جيدر) الخطّ العربي في المدونة، ولجؤوا إلى الخطّ اللاتيني في أعمال أخرى لأغراض تعليمية. أما المستشرق (ميشيل قيطوط)؛ فواضح أنّه يميل إلى الخطّ اللاتيني، وهذا مسجّل في أعماله العامية جميعها -المطلّع عليها- وظهر ذلك أيضا في معجم (اللّسن) الذي كتبت فيه المصطلحات باللغة العربية والخط العربي، ثمّ في العمود الوسط كتبت بالعربية بخطّ لاتيني، وفي العمود الثالث كتبت المقابل باللغة الفرنسية.

أما المستشرقان (هنري بيريس، وبول مانيون) فقد وظّفا الخطّ اللاتيني والعربي، العمود الأوّل كان للكلمة الفرنسية، والعمود الثّاني للكلمة العامية الجزائرية بالخطّ اللاتيني، أما العمود الثالث فكتبت الكلمة باللغة العربية والخطّ العربي. وهذا يبيّن أنّهما استعملا الخطّ اللاتيني لأغراض تعليمية تمكّن الفرنسيين من فهم المكتوب، ولم يقصوا الكتابة العربية. مع تسجيل ملاحظة أنّهما تعاملتا مع الحروف المغربية، بالنسبة إلى الحرفين (ف، ق). أما المستشرق (دانيال كرزا) فوظف الخطّ اللاتيني لكنه وضح أنّ السبب هو تسهيل مهمة السائح الأجنبي.

جدول الحروف اللاتينية المقابلة للحرف العربي لدى المستشرقين الفرنسيين

الحرف	بيريس	شربونو	ريغ	بيلا	جيدر	قيطوط	كرازا
أ	â-ي/â	a	a	ā	همزة ألف/â	a, ’	ء , ا
ب	b	b	b	b	b	b, b, p,	b
ت	a,at,et – ة /t	t	t	t	t	t	t
ث	th	t	θ	ṯ	t, th	t	th
ج	dj	- tch-ج/ dj	j	ǧ	j, dj	j	j
ح	h’	h, ḥ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ
خ	kh	dh	x	ḫ	ḫ, kh	ḫ	kh
د	d	d	d	d	d	d	d
ذ	dh	d	ḏ	ḏ	ḏ, dh	-	dh
ر	r	r	r	r	r	r	r
ز	z	z	z	z	z	z	z
س	s	s	s	s	s	s	s
ش	ch	ch	š	š	š, sh	š	ch
ص	ç	s,ç	Ṣ	Ṣ	Ṣ	Ṣ	Ṣ
ض	d’	ḏ	ḏ	ḏ	ḏ	ḏ	ḏ
ط	t’	t,ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ
ظ	d’	-	ẓ	ẓ-ḏ	ẓ	-	-
ع	‘	a, ’	‘	‘	‘	‘	c
غ	r’	r, ṛ	ḡ	ḡ	ḡ, gh	ḡ	gh
ف	f	f	f	f	f	f	f
ق	/ف- q / ف- g /	g-- ف /k,k gu	Q	q	q, k	q	q
ك	k	k	k	k	k	k	k
ل	el لا /l	l	l	l	l	l	l
م	m	m	m	m	m	m	m
ن	n	n	n	n	n	n	n
هـ	h	h	h	h	h	h	ḥ
و	ou,oû, ouw,ow,	ou-w	w	w-ū	w, û	w	w
ي	iy ي/iy,â/i,y,î	-ï-ia-i-eï- ai-ie	y	y-ī	y, î	y	y

ما يلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ المستشرقين متفقون على كتابة بعض الحروف العربية بما يقابلها بالحرف اللاتيني، وهي: (الباء، التاء، الدال، الراء، الزاي، السين، الفاء، الكاف، اللام الميم النون). في حين يبدو الاختلاف جليا في حروف أخرى، سيقف عندها الجدول الآتي:

جدول للحروف العربية المختلف فيها

الحرف	بيرييس	شربونو	بيرشه	ريغ	بيلا	جيدر	قيطوط	كرازا
أ	â	a	'	a	ā	â	a, 'a	,
ث	th	t	th	θ	th	th	t	th
ج	dj	dj	j	j	ǧ	j, dj	j	j
ح	h'	ḥ	h'	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ
خ	kh	kh	kh	x	ḫ	ḫ, kh	ḫ	kh
ذ	dh	dh	dh	ḏ	ḏ	ḏ, dh	-	dh
ش	ch	ch	ch	š	š	š, sh	š	ch
ص	ç	Ṣ	ç	Ṣ	Ṣ	Ṣ	Ṣ	Ṣ
ض	d'	ḍ	d'	ḍ	ḍ	ḍ	ḍ	ḍ
ط	t'	ṭ	t'	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ
ظ	d'	-	dh'	ẓ	ẓ-d	ẓ	-	ḍ
ع	'	a, 'a	'	ʿ	'	'	'	c
غ	r'	ṛ	gh	ğ	ğ	ğ, gh	ğ	gh
ق	q	q	q	Q	q	q, k	q	q
و	ou, oû, w	ou-w	w	w	w-ū	w, û	w	w
ي	iy, â, i, y, î	-ï-ia-i-eï- ai- ie	y	y	y-ī	y, î	y	y

بالنسبة للذين يكتبون بالخط اللاتيني، لوحظ أنّهم يختلفون في الحروف اللاتينية التي وضعوها مقابل الحروف العربية؛ بل أحيانا مختلفة لدى المستشرق الواحد، فتجده يوظف أكثر من حرف لاتيني للحرف العربي، وقد تبين أنّ نسبة أكثر من (50%) مختلف فيها، وهذا من شأنه الإساءة إلى اللغة العربية لا خدمتها، فالذي يريد تعلّم اللغة العربية بالحرف اللاتيني، يجب عليه الاطلاع على هذه الحروف كلّها، وفي كل مرة سيجد نفسه أمام رمز مختلف، فالحرف (ج) مثلا، تقابله الحروف

اللاتينية الآتية: (j, dj, g, ġ). وما يجب التأكيد عليه أن المستشرقين أنفسهم وقعوا في هذا الخلط إذ تجدهم يوظفون أكثر من مقابل للحرف الواحد، وقد أشير إلى بعض الأمثلة. أما أغرب الرموز التي وضعت للحرف العربي، فهما حرفا (الهمزة والعين)، حيث قوبل الأول بـ (')، والثاني بـ ('). ولم تسلم الحروف التي وضعت لتقابل الحركات، ولاسيما الطويلة، أي المدود من ذلك الخلط، إذ تختلف الرموز من عمل إلى آخر؛ بل وفي العمل الواحد، وقد وردت أمثلة لها.

الألفبائية في قاموس ألبو وشميد (Hal bout et Schmidt):⁽¹⁾

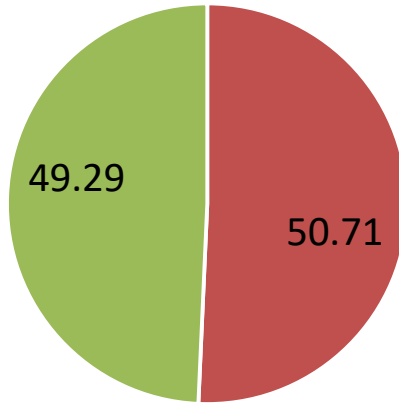
أ	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
a, à / 'ء	th	j	h	kh	d	dh	r	z	s	ch	s	d
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
t	z	c	gh	f	q	k	l	m	n	h	w, ou	y

يؤكد هذا الجدول ما قيل سابقا من اختلاف بين المستشرقين في توظيف المقابلات اللاتينية للحروف العربية، فمثلا حرف الحاء، ورد بهذا الشكل (h) لدى المؤلفين (ألبو وشميد)، في حين لا أحد من المستشرقين المذكورين في الجدول السابق وظفه بهذا الشكل. حيث استعمل (بيريس وبيرشه) الشكل (h'). أما البقية فاستعملوا (h). ويظهر الشكل (h) لدى كل من جيدر وقيطوط مقابلا لحرف الخاء.

وإذا حوّل هذا الكلام إلى لغة الأرقام، سيسجل الاختلاف في ستة عشر (16) حرفا، أي أكثر من نصف الألفبائية، ما يمثل (50,71%)، بمعنى المتفق عليه لا يتجاوز (29، 49%)، وهذا ما يتعارض مع العلمية والدقة، التي يتخذها بعض الباحثين مبررا لتغيير الحرف العربي وكتابته بالحرف اللاتيني، وقد بينت هذه العينة من المعاجم أو المؤلفات؛ بل وأكدت أن الخطّ الوحيد الذي يصلح لكتابة اللغة العربية هو الخطّ العربي، فهو الخطّ الوحيد الذي لا يختلف فيه أحد، إذ وضع لكل صوت حرف واحد يمثلّه، وسيمثل لها بدائرة نسبية.

¹- Hal bout, Dominique et Schmidt, Jean-Jacques. l'arabe. paris, collection sans peine, Assimil, 2006, p XV, XVI, XVII.

نسبة المتفق عليه والمختلف فيه في كتابة الحرف العربي باللاتينية



■ الحروف المتفق عليها ■ الحروف المختلف فيها

تمثل هذه الدائرة نسبة الحروف المتفق عليها، وتلك المختلف فيها، وهي نسب تقريبية تعكس اختلاف المستشرقين الفرنسيين في كتابة بعض الحروف العربية بالحرف اللاتيني، أو ما يسمى النقحرة.

كما أشير إلى كلمات عربية، تكتب بعدد قليل جدا من الحروف، مقارنة ببعض الكلمات الفرنسية، وبالمقابل كلمات فرنسية كتبت بعدد قليل من الحروف مقارنة بالعربية، وما لوحظ أنّ كتابة الكلمات العربية بالخط اللاتيني، يجعلها تحلّ مساحة أكبر بكثير من العربية والفرنسية، على حدّ السواء. وليس الهدف في هذا المقام تفضيل لغة على أخرى أو خطّ على آخر؛ بل الهدف هو التأكيد على أنّ كلّ لغة مرتبطة بخطّها الذي تكتب به، ولا يصلح لها غيره.

أمّا بشأن الصّعوبات، فقد عرضت صعوبات وإشكالات موجودة في اللّغة الفرنسية، ومع ذلك لم يناد أهلها ولا متعلّموها بإصلاحها، ولو تغيّرت الخطوط في كلّ مرّة يجد فيها المتعلم صعوبة لتغيّرت الخطوط كلّها، فماذا يقال عن الكتابة الصّينية، لماذا لم يقبلوا بإصلاح الخط الصيني؟

هناك من المستشرقين القدامى الذين وظّفوا الخط العربي والخط اللاتيني. ومنهم من وظّف الخط العربي، ومعظم القدامى تجدّهم يجمعون بين الخطّين. ومن المحدثين من يكتفي بالخطّ العربي في أعمال معيّنة، مثل المستشرقين: (دانيال ريبغ، وشارل بيل)، ولوحظ أنّهما يوظفان الخطّ اللاتيني في أعمال تعليمية، وهو ما يعني أنّهما يميلان إلى الخط العربي، ولا يلجآن إلى اللاتيني إلّا للضرورة.

أما من المعاصرين، فهناك من يقتصر في أعماله على الخطّ العربي، مثل (ماتيو جيدر) ويوظّف الخطّ اللاتيني في مواضع قليلة جدا في كتبه التعليمية، ومنهم من يتخيّر للخطّ اللاتيني في أعماله كلّها، مثل: المستشرق (ميشيل قيطوط)، وهو من أكبر الدعاة المعاصرين -من خلال الأعمال المطّلع عليها- للخطّ اللاتيني، إلّا أنّه وظّف في قاموسه (اللسن) الخطّ العربي واللاتيني. أما المستشرق دانيال كرزا فقد وظّف الخطّ اللاتيني، إلّا أنّه وضّح للقارئ أنّ هذا الأمر من باب التسهيل على الفرنسيين، إذ هدفه بالدرجة الأولى هو مساعدة القراء الفرنسيين على التّواصل مع الجزائريين.

عموما هناك اختلاف بين المستشرقين، بين مؤيّد للخطّ العربي ومناد للخطّ اللاتيني، وبين من جمع بينهما، موظّفا بذلك الخطّ العربي في مواضع معيّنة، والخطّ اللاتيني في مواضع أخرى. وعموما لم يُلمس لدى المستشرقين أصحاب المعاجم المدروسة تحيّر للخطّ اللاتيني باستثناء المستشرق المغربي الأصل (ميشيل قيطوط).

1-3- تحكّم المستشرقين في اللغة العربية ووضوح رؤيتهم حولها:

لوحظ لدى معظم المستشرقين تحكّم في اللغة العربية، من حيث المضمون سواء في جانب مستويات تحليل اللغة العربية أو المستويات اللغوية، وذلك بتفاوت، إلّا أنّ هذا لا يمنع وجود بعض الهفوات لدى أصحاب المعاجم الفصحى المدروسة، ولاسيّما في الجانب الدلالي، إذا ما تمّ تجاوز الأنواع الأخرى، مثل: (الصّوتي والصّرفي والنّحوي)، والكلمة التي شرحت لدى مستشرقين بطريقة غير دقيقة، هي كلمة (ألباب) التي قابلها كل من المستشرقين: (شارل بيلا ودانيال ريغ) بـ (قلب) (cœur) في حين معناها العقل (cerveau). وهي كلمة مكررة في القرآن الكريم ست عشرة (16) مرّة، وهي مقترنة بالذكر أو التّنكّر، وإن كان من دلالاتها قلب الشيء أي لبّه. قد يكون ذلك تأثرا بالمستشرق (كازيمرسكي) الذي عزّف كلمة لبّ، كالاتي: (1)

لبّ 1. cœur, milieu, noyau, graine (d'un fruit à coque, p.ex. de la noix) ;

cœur, esprit, intelligence... ألبّ، ألبّ، et poét. ألبّ، Chair, pulpe (d'un fruit). 2. Pl.

1- Kazimerski, A.De. Biberstein. Dictionnaire Arabe-Français... tome 2 (يـ ض) .p955.

ومن المستشرقين الذين تميّزوا بقدرة كبيرة، المستشرق (دانيال ريغ)، الذي شمل تأليفه أدقّ علوم اللّغة العربية، وهو الصّرف، ومعلوم ما يحتاجه هذا العلم من دراية باللّغة، وهو خير دليل على تمكنه؛ بل أكثر من ذلك، كثيرا ما يولّد كلمات عربية، انطلاقا من جذورها، قياسا على أوزان معينة مثل: (أَمْرَك - تَأْمَرَك) (ألماس مؤلمس)، على وزن تَقَعْل، وهو فعل اشتقّ من الاسم (ألماس) وغيرها من الكلمات، ولا يختلف عنه كثيرا المستشرق (شارل بيللا)، وإن كان بدرجة أقل، فهو الآخر كان يجتهد في مواضع كثيرة، ويضع كلمات قياسا على أوزان معروفة. كذلك الأمر بالنسبة إلى المستشرقين المغاربة، واضح أنّ كليهما يتمتّع بقدر كبير من العلم بالعربيّة، يظهر هذا من خلال أعمالهما، رغم وجود بعض الأخطاء في معجم (ماثيو جيدر)، إلّا أنّ هذا قد يفسر بكونه نقل-كما وضح ذلك - الكلمات والعبارات، كما هي من الصّحف، وكذلك المستشرق (ميشيل قيطوط) اتّضح من عمله (قاموس اللّسن) بخاصة، أنّه باحث ولساني متمكّن، وقد اطّلع على كتب ومعاجم عربية وبحوث راقية، وهو ما يعكس درايته العميقة باللّغة العربية.

أما (شربونو) فهو الآخر، يتحكّم في اللّغة العربية، لكن ليس في درجة المستشرقين السّابق ذكرهم، وبالنسبة إلى (هنري بيريس، وبول مانيون)، لم أتمكّن من إيجاد مؤلفات أخرى لهما، تعرّف بمدى تحكمهما في اللّغة العربية من عدمه، لكن من خلال عملهما، يبدو أنهما يتمتّعان بقدر لا بأس به، بالنّظر إلى دروس النّحو المقدمة في بداية عملهما، وإن كانت للعامة، إلّا أنّها تأثرت كثيرا بالنّحو العربي الفصيح. ليأتي المستشرق (دانيال كرزا)، وهو مستشرق من نوع آخر، هدفه هو مساعدة السّائحين للتّواصل بالعامة الجزائرية، ولا يمكن الحديث عن مدى تحكمه في العربية، إلّا أنّه قد يكون هو كذلك على قدر معيّن من المعرفة باللّغة العربية، فقد تبيّن أنّ له كتباً لتعليمها.

عموما يتميز المستشرقون القدامى والمخضرمون، بتدوق كبير للغة العربية، ومعرفة بدقائقها مع وجود بعض النقائص التي قد لا يسلم منها أهلها.

1-4- الاهتمام باللّغة العربية وصلته بمهام المستشرق خارج مجال الدّراسات اللّغوية:

تختلف لأسباب اهتمّ المستشرقون -وهذا باعترافهم- باللّغة العربية، من مرحلة إلى أخرى فقد كانت البدايات الأولى؛ كما عرف القارئ الكريم في القسم النّظري دينية، من زاويتين: للتّوصل إلى فهم كتبهم المقدّسة، وثانيا لفهم هذا الدّين الجديد، وهو الإسلام الذي برز للوجود، منافسا ديانتهم

ويهدّد سيطرتهم على العالم، وبعد الإشعاع الإسلامي، وفي العصر الذهبي للأمة الإسلامية صار للعربية شأن عظيم، وتمنّى العلماء في كل بقاع العالم إتقانها إعجاباً بها وبآدابها وتراثها، ولأنّها المفتاح الوحيد لولوج العلوم التي كُتبت بها آنذاك، حيث صار العرب قبلة للعلماء، يكفي الرجوع إلى كتب التاريخ والحضارة التي رصدت هذه الفترة لمعرفة ذلك.

وبعد أن شهدت الأمة الإسلامية تأمر المتآمرين عليها، الذين خطّطوا للقضاء عليها، وعلى حضارتها، ولأسيما فترة الحروب الصليبية، عرفت مرحلة أخرى مختلفة شدّتها إلى الخلف أو قل إلى الأسفل، وهي مرحلة عكست فيها الموازين، لينتقل العلم من الشرق إلى الغرب، وتغطّ الأمة الإسلامية العربية في سبات عميق، وهنا صارت معظم البلدان الإسلامية خاضعة للاحتلال، باختلاف موارده وجنسياته، ومع الاحتلال في سائر هذه البلاد، ظهرت حاجات أخرى للاهتمام بالعربية، والتعرّف على تراثها الشفوي الشعبي، لفهم الشعوب المحتلة، ومن هنا ظهر الاهتمام بالعاميات، فألّفوا معاجم للهجات الموجودة في تلك المناطق، مثل: الأمازيغية والتارقية والعاميات العربية بمختلف انتماءاتها ومن بين الأهداف غير المعلنة، محو اللغة العربية، وإبعاد أهلها عن دينهم الذي هو مصدر قوتهم بالإضافة إلى أنّ اللهجات من شأنها أن تفرّق أو على الأقلّ تباعد بين العرب والمسلمين عامة فاللغة التي تجمعهم هي اللغة العربية، ومن الحيل المستعملة اتّهام العربية، بأنّها أقصت اللهجات المحليّة، لأسيما الأمازيغية وغيرها، وهي أفكار مغروسة في أذهان الكثيرين إلى يومنا هذا، فتجدهم يفضّلون الفرنسية على العربية وعلى لغاتهم الأم، ولا يجدون في ذلك أدنى حرج، رغم كل الفساد الذي أحدثته فرنسا في الجزائر، ورغم نهبها لثرواتها وخيراتها واستباحتها أعراض الجزائريين وممتلكاتهم، ومحاولة طمس هويتهم وفرضها للفرنسية بالقوة، كل هذا ليس بشيء.

أمّا اللغة العربية؛ فتتّهم بأنّها فُرِضت، والعرب هم الذين عاثوا في الأرض فسادا، والتاريخ يشهد، ويتحدّث بأعلى صوت؛ بأنّ العرب ما دخلوا إلّا مصلحين، وقد رضي أهل المغرب جميعهم بهذا الدّين الجديد الذي أصلحهم ورفع شأنهم، وهذّب أخلاقهم. لكن الاستشراق أدّى مهامه ونجح فيها، إذ تمكّن من غرس أفكار كثيرة، لم يظهر أثرها أثناء الاحتلال الفرنسي، إلّا أنّ فرنسا بدأت تقطف ثمارها بمجرد خروجها من البلدان المحتلة.

بالنسبة إلى أصحاب المدونات، يمكن القول إن معظمهم تعامل مع الإدارة الفرنسية، بشكل أو بآخر، القدامى منهم والمحدثون، الفرنسيون والمتجنسون، ففي سيرة كل منهم هناك مهام عسكرية أو مهام سياسية، أو توجهات عرقية قومية، وهو ما يمكن أن ينعكس على نوع اللغة العربية، فبالنسبة إلى المستشرق (شربونو) عمل على إقناع الجزائريين بالنوايا الطيبة للحكومة الفرنسية. لكنه كان من المدافعين عن العربية الفصحى، وعمل على تعليمها.

بالنسبة إلى المستشرق (هنري بريس)، أدى مهاما عسكرية، حيث أدى خدمته العسكرية في مدرسة الخدمات الصحية بفانسان (Vincennes)، وبعدها انتقل إلى وحدة المحاربين وتسيير المستشفيات العسكرية، عمل على تطوير تعليم العربية المكتوبة والمحكية، وتم تعيينه في بيرنيز (Pyrénées orientale)، وكذلك أحد أبنائه كلود (Claude)، وهو عسكري علم العربية للتلاميذ الضباط في سان سير (saine-Cyr Coëtquidan)، ما بين (1962-1966). ومما ورد عن المستشرق، أنه قضى مسيرته العلمية والمهنية في الجزائر العاصمة، ولم يكن من المهتمين بالسياسة. أما المستشرق (شارل بيلا)، فعين أستاذا في معهد مراكش (1934-1935) وبعدها تولى منصبا وزاريا، وسلسلة من المناصب بباريس ومتبعا بوزارة الخارجية (1946-1947)، وأستاذا في ليسه لوي-لي-جران (1947-1951) وفي مدرسة اللغات الشرقية (1951-1956)، وفي السوربون (1956) ومديرا لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس السوربون (1972)، ومديرا لدائرة المعارف الإسلامية في نشرتها الفرنسية (1956)، وعضوا في مجمع ما وراء البحار (1973)، وعضوا في مجلة الإسلام والعصر الوسيط الصادرة في دلهي باللغة الإنجليزية (1970)، وقد انتدب لبعثات علمية وإلقاء دروس ومحاضرات (معظمها بالعربية) في: (السينغال وموريتانيا، والمغرب، وتونس وليبيا ولبنان والأردن وسوريا، والعراق والعربية السعودية، والهند، والباكستان). ثم لإلقاء دروس في جامعة برنستون. وبتأمل عمله تجده ملتزما بالفصحى إلى حد كبير، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة توجهاته العلمية والأكاديمية ومهامه الوزارية التي تتطلب الفصحى أكثر منه العامية، وقد يرتبط بقناعات المستشرق ذاتها.

يعدّ المستشرق (دانيال ريغ) من أكبر المستشرقين الفرنسيين المخضرمين، له أثر كبير في تاريخ الاستشراق الفرنسي الحديث، رغم قلة أو انعدام ذكره في الكتب والمعاجم المطّلع عليها، هو أستاذ اللغة والأدب العربي في السوربون ومعهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات السياسية، ودكتور في الدراسات الإسلامية والآداب، ألف الكثير من الكتب حول اللغة العربية. قيل إنّه أحبّ اللغة العربية، حين تعلّم أصولها في المغرب على شيخ جليل، ثمّ تخصص في قواعدها وآدابها، وانصرف إلى تعليمها في جامعات فرنسا البارزة، كالسوربون ودار المعلمين العليا. ومما ذكره أنّه يركّز على التعريف باللغة والثقافة والتاريخ العربي للجمهور الفرنسي الراغب في ذلك، واقتسم ولعه بالعربية مع طلابه. ومن مشاريعه الفكرية، تحدّث عن مشروع إدارة سلسلة (شرق-اتجاهات) بمثابة دائرة معارف عن الشرق، منها دراسة عن (الصحافة العربية) و(السينما العربية)، و(الأدب العربي المعاصر)، و(المشكلة الكردية) وغيرها. ولاشكّ أنّ التساؤل حول علاقة المستشرق بهذه المجالات والموضوعات مشروع. ولا يمكن الفصل بين اهتمامه باللغة العربية وهذه المهام، وهذا لا ينفي حبه للغة العربية.

لا يختلف المستشرق (ماثيو جيدر) عن السابقين رغم أنّه من أصول مغربية، (تونس)، كان أستاذا من حين إلى آخر في المدرسة العسكرية، الخاصة في سان كير (saint-Cyr)، من (2003-2007)، وبعدها أستاذا منتدبا، (professeur détaché) بجامعة جونيف من (2007-2011)، قبل أن ينصبّ بوصفه أستاذ الإسلاميات (islamologie) بتولوز (Toulouse 2) سنة (2011)م، وبعد (أحداث 11 سبتمبر 2011م)، وبفضل كفاءاته اللغوية، وفي الحضارة الإسلامية، استتجد به وزير الدفاع الفرنسي، حيث تخلّى عن مهامه بالمدرسة العسكرية، ليسيّر برنامج اليقظة حول التطرّف (programme de veille sur la radicalisation)، مخبر تحليل المعلومات الاستراتيجية والرقابة التكنولوجية، (laboratoire d'analyse de l'information stratégique et de veille technologique). كلّف ابتداء من (2004) بمهام في وزارة الدفاع، بوصفه ضابطا ومدرسا أكاديميا لابن أمير قطر، الذي كان تلميذا ضابطا من 2004 (إلى 2007م) في سان كير. ومن (2007 إلى 2011م)، فُصل من مهام أستاذ الرقابة الاستراتيجية متعدد اللغات والترجمة، بجامعة جونيف، ولكنه

واصل في تسيير برنامج الرقابة الاستراتيجية حول التطرف. يُترك المجال للقارئ الكريم لاستنتاج مدى وجود علاقة بين اهتمامه باللغة العربية ومهامه.

يأتي المستشرق ذو الأصول المغاربية (ميشيل قبطوط)، وهو دكتور باحث متخصص في علوم اللسان بجامعة تولوز، ترأس الجمعية الفرنسية للدراسات المتوسطية الغربية، ويدير مجلة أوربا والمغرب (Rives/Europe-Maghreb aux Editions de le Harmattan La revue des deux) وهو خبير لساني دولي للمغرب (سويسرا)، يلاحظ أنه يميل إلى عالم البحث العلمي من المدافعين عن الأمازيغية، ممّا ألفه (النحو البربري: الريفية، الأمازيغية، الشلحية، القبائلية *grammaire* (berbère: rifain, tamazight, chleuh. kabyle). وهو يهتمّ بالعاميات كثيرا، لعلّ ذلك مرتبط بتأثره بالمناهج الغربية المشجعة للهجات، فرؤيته هذه انعكست بوضوح على أعماله. ومع ذلك ألف قاموسا في المصطلحات اللغوية، وكان عملا متميّزا، وهو عمل لاشكّ يخدم اللغة العربية والمهتمين بها.

أما المستشرق (دانيال كرز) فيبدو أنّه متخصص في الكتابة في هذا المجال، أي تعليم اللهجات لأهداف سياحية، بغض النظر إن كانت هناك استعمالات أخرى أو لا.

1-5- تأثير العامل التاريخي في نوع العربية المتناولة:

إنّ نوع العربية التي اهتمّ بها المستشرقون خلال مراحل الاستشراق، تعكس بوضوح تأثير الأحداث التاريخية والعلمية على هذا الاختيار، إذ كان الاهتمام بالفصحى قديما، في البداية لاعتبارات دينية، إذ بها يفهم كتابهم المقدس، ومؤلفاتهم الدينية وغيرها، وبعد ذلك اهتموا بها لكونها لغة العلم والحضارة، واللغة التي بها تنتقل علوم المسلمين إلى الغرب، وكان حينها الاهتمام بالعاميات قليلا. لكن جاءت مرحلة أخرى جمع فيها المستشرقون بين الفصحى والعامية، ظهر ذلك بوضوح مع المنهج الوصفي، ثم تلتها مرحلة كثرت فيها الدّعوة إلى العامية، لكن المعاجم الفصيحة لم تتوقف، وهذا يعكس قوتها، وأنّ حاجة الغرب إليها لم تتوقف، رغم ما حلّ بأهلها من تخلف عن الركب. وإلى يومنا هذا لا يزال التّأليف متوصلا بالعربية الفصحى والعامية، ولكل منهما مجالاته. لكن تأمل المعاجم الفصيحة والعامية يبيّن أنّ العامية لا ترقى أبدا إلى رتبة المعاجم الفصيحة، لا من حيث المنهج، ولا من حيث المحتوى، ولا من حيث الحجم. يلاحظ أنّ المعاجم الحديثة والمعاصرة، مثل معجم (دانيال

ريغ)، و(شارل بيلا)، و(ماتيو جيدر) تميل إلى لغة الصحافة، التي جعلتها مصدرا لمادتها، إلا أن الأولى، حاولت الجمع بين ما ورد في المعاجم القديمة والكتب الحديثة والصحافة، في حين اقتصر المستشرق (جيدر) مثلاً على لغة الصحافة.

إذا انطلق من العامل التاريخي للمعاجم؛ يمكن تصنيف أصحاب المعاجم إلى ثلاث طبقات: الطبقة الأولى يمثلها المستشرقون: (هنري بريس، وبول مانيون، وشربونو). الطبقة الثانية ممثلة بـ: (شارل بيلا، ودانيال ريغ)، الطبقة الثالثة ينتمي إليها كل من: (ماتيو جيدر، ميشيل قيطوط، دانيال كرز).

الملاحظ أن المستشرقين الذين ألفوا معاجم في القرن التاسع عشر (19) انصب اهتمامهم على الفصحى في البداية، ثم انتقلوا إلى المعاجم العامية أو كتب تعليم اللهجات إن صح القول، فمثلاً المستشرق (شربونو) اهتم كثيراً بالفصحى، لكنه بالمقابل التفت إلى اختلاف العاميات عن الفصحى، وهو ما دعاه إلى القيام ببحوث ودراسات ميدانية، لاكتشاف تلك الظاهرة. ففي المجال الأكاديمي وللاطلاع على التراث العربي الديني والأدبي والتأليف فيهما، احتاج إلى الفصحى، ولتحقيق التواصل مع سكان الجزائر، وتمكين الفرنسيين من ذلك، احتاج إلى العامية. وكذلك الأمر بالنسبة إلى كل من (هنري بريس، وبول مانيون) اللذين مالا إلى العامية، ولعل الأمر مرتبط بحاجة فرنسا حينها إلى فئة تتحكم في العاميات من أجل تسهيل عملية التواصل مع الجزائريين. وهو الملاحظ لدى كل من (كازيمرسكي، وبيلو، ودوزي)، رغم تضمن معاجمهم للعامي، إلا أن اللغة الأكثر بروزاً هي الفصحى.

أما في القرن العشرين، ممثلاً بالمستشرقين (شارل بيلا، ودانيال ريغ)، فيلاحظ أن هناك توجهها نحو المفردات الحديثة (لئلاً يقال اللغة الحديثة)، بتفاوت، إذا جمع المستشرقان بين المفردات الواردة في المعجم القديم والواردة في الكتب والصحافة، وهما معجمان في غاية الأهمية.

يظهر توجه من نوع آخر في نهاية القرن العشرين (20) وبداية القرن الواحد والعشرين (21)، إذ هناك ميل إلى لغة الصحافة، ولغة التخصص، والعاميات: (ماتيو جيدر، ميشيل قيطوط، دانيال كرز).

أما على مستوى الخطّ المستعمل، فلو حظ أن تأثير العامل التاريخي عليه قليل، إذ تجد في الطبقة الأولى من يستعمل الخط العربي ومن يجمع بينهما، وفي الطبقة الثانية وظف المعجمان الخط العربي، أما الطبقة الثالثة فهناك من يقتصر على الخط العربي، وهناك من وظف الخط

اللاتيني، إلا أنّ الأسباب مختلفة، فيما يبدو. لكن عموماً معظم المستشرقين يميلون إلى الخط العربي أو الجمع بينهما، باستثناء المستشرق ميشيل قيطوط.

لكن العربية كانت تدرّس بنوعيتها أثناء الاحتلال الفرنسي، وهذا لتحقيق الأهداف على جميع المستويات، فعلى مستوى المستشرقين، كانت هناك مهام تقتضي منهم التحكّم في الفصحى، ولاسيما في بعض المجالات التي لا يمكن اختراقها إلاّ بها، مثل المجال الديني وكذلك الأدبي، ومن جهة أخرى كان المستشرقون مطالبين بإتقان العاميات لأهداف كثيرة، لعلّ من أهمها التّواصل، والتّمكّن من التأثير في السكّان، وغيرها من الأهداف.

أما بعد استقلال فيمكن القول إنّ الاهتمام بالعربية، وإن تراجع مقارنة بما كان عليه، إلاّ أنّه بقي ولا يزال إلى يومنا هذا، قد يرجع الأمر إلى أسباب تاريخية، فالمستشرق الذي قضى حياته، وهو يبحث ويدرس العربية، ويعلمها يصعب عليه التّخلي عنها، وهو ما قد يفسّر تمسّك بعض المستشرقين بها بعد خروج فرنسا من مناطق احتلالها، مثل: (دانيال ريبغ وشارل بيل)، مع وجود علاقات مستمرة بين معظم هذه البلدان وفرنسا.

أمّا في العصر الحالي، فهناك اهتمام بالعربية، مع اختلاف ذلك من مستشرق إلى آخر، وإن كانت الاهتمامات والأهداف والدوافع نفسها، إلاّ أنّ الطّرائق مختلفة. وهذه النّتيجة محقّقة بالكامل من خلال المعاجم التي تُرست، ومن خلال سيرة أصحابها، والنّتيجة الأخرى أنّ الاستشراق الفرنسي بعدما كان منغلّقا على نفسه يتّجه نحو الانفتاح على الآخر، وهي سياسة يتبناها العالم بأسره، في إطار ما يسمى بالعولمة، ويبقى نوع هذا الانفتاح وهدفه وخلفياته، شأنًا أكبر من أي باحث أو جهد فردي؛ إذ يحتاج إلى مخابر بحث، بأكملها تحيط إحاطة شاملة بكلّ الأعمال التي وضعها المستشرقون عبر التّاريخ إلى يومنا هذا.

يكفي أن تدخل إلى موقع على الشبكة العالمية، وتكتب العربية والاستشراق، أو تعليم العربية حتى تتدفّق الكتب التي تعلّم العربية بمستوياتها وعمائيتها، وإن كان هناك نزوع إلى تعليم العاميات أكثر في هذه الشبكة، إلاّ أن الفصحى أو كما يسمونها (الحديثة) موجودة، وهي لفرنسيين معاصرين.

2- المناهج الموظفة في معاجم المستشرقين:

2-1- تأثر المستشرقين بمناهج العرب والغرب:

تأثر المستشرقون الفرنسيون بالمنهج المعجمي للعرب، حيث يعتمد معظمهم الترتيب الأبجدي ثم الموضوعي، ولعل أكثر من تجسّد فيه هذا الأمر هو المستشرق (دانيال ريغ)، و(شربونو) من حيث الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وغيرها. وهو ما يثبت تأثرهم بالمعاجم العربية القديمة، وإن أعرضوا عن ذكر ذلك، كذلك الأمر بالنسبة إلى مفردات اللغة العربية، المشتل عليها التي تكشف تأثرا واضحا بالمعاجم القديمة. كما لا يمكن تجاهل التأثير الكبير للمستشرقين بالمناهج الغربية إلى درجة يصعب معها الفصل بينهما، ولعل أهم أثر هو تضمين العامية في معاجمهم بوصفها اللغة الحيّة التي تستحق الذكر والاستعمال، وهو ما دعا إليه المنهج الوصفي. وهناك تأثر واضح للمستشرقين المحدثين، مثل: (شربونو، ودانيال ريغ) بالمستشرقين القدامى، أمثال: (كازيمرسكي، وبيلو، ودوزي وغيرهم). وهناك اهتمام بأصول بعض الكلمات، وهذا بتأثير المنهج الفيلولوجي والمنهج التاريخي، وربما المستشرق (شربونو) أكثر اهتماما بهذا الجانب، ويقلّ ذلك مع المعاصرين، ويكاد ينعدم لاسيما مع المستشرقين (ميشيل قيطوط، وماثيو جيدر) المتأثرين بالمناهج الغربية إلى حد كبير، وقد انعكس ذلك بشكل كبير على أعمالهما، ولاسيما اعتماد التقنيات الإحصائية واعتماد المدونات، وتطبيقها على اللغة العربية. وليظهر هذا الأمر أكثر لدى كلّ من المستشرقين (شارل بيلو وماثيو جيدر).

2-2- الجانب الإيديولوجي والتأثر بلغاتهم وثقافتهم وعقائدهم:

إن ارتباط الأعمال بدوافع غير علميّة، ممّا لا يمكن نفيه مطلقا، كما لا يمكن تأكيده مطلقا في الآن ذاته، وذلك نظرا لبعض المعطيات التي ذكرت في المعاجم وبعض المراجع الأخرى، إذ معظم المستشرقين أصحاب المعاجم المدروسة، إن لم يُقلّ جميعهم، لديهم اهتمامات أو وظائف عسكرية أو سياسية، أو توجهات قومية، وهو ما قد يوحي بوجود مصالح معيّنة تدفعهم إلى مثل هذه الأعمال، مع احتمال أن يهتم بعضهم بالعربيّة لدواع شخصية، وهو ما يلمس في بعض الأعمال فلا يمكن أيضا نفي الميول الشخصية لبعض المستشرقين إلى جانب الرغبة في خدمة وطنهم (فرنسا).

لا يظهر هذا الجانب بوضوح لدى المستشرق شربونو، إلا في بعض المواضع القليلة التي قد تكون تأثراً بغيره من المستشرقين، وكانت كتبه الموجّهة للسكان قائمة على احترام الدين الإسلامي غلاً أنّه ذكر في معجمه، وهو يشرح مدخل أهل الكتاب: اليهود والنصارى، ولم يُشر إلى المسلمين (Ceux qui ont un code divin, les juifs et les chrétiens)

لم يصرّح المستشرق (هنري بيريس) بأي توجه، لكن ورود بعض الأسماء ذات الدلالات السلبية، وبعض الكلمات التي توظفها فرنسا أثناء تعاملها مع الجزائريين، سواء في الإدارة، أو في العمل اليومي في حقولها وسائر شؤونها، وذكره لبعض المناطق في الجزائر، حسب تقسيمات فرنسا هي إشارات قد تربط عمل المستشرقين (هنري بيريس، وبول مانيون) بطريقة أو بأخرى بإدارة الاحتلال الفرنسي، وتوحي بوجود طرف متسلط هو فرنسا وطرف خاضع هم الجزائريون.

يظهر هذا الجانب بوضوح في بعض المواضع، (شارل بيلا) الاهتمام بمصطلحات الشريعة الإسلامية ومصطلحات الحرب والسياسة والاقتصاد أكثر من غيرها، وهناك حقول دلالية مرتبطة بفرنسا وحب الوطن والحرب.

هناك ميل واضح لدى المستشرق (دانيال ريغ) إلى الثقافة الفرنسية، والترويج لها على حساب الثقافة الإسلامية، علماً أنّه أشير في تقديم المعجم أنّه سيلتزم بالثقافة العربية الإسلامية، وقد تمّ توظيف كلمات بطريقة مخالفة لما تقدّم. مثل: (تأييد الاستعمار، الحضارة والطرار الأوربي...).

اشتمل معجم (ماتيو جيدر) على الكثير من العبارات السياسية، والحاملة لإيديولوجيات معيّنة، وأكثر ما لوحظ ورود عبارات تشيد بفرنسا والفرنسية، ونوع من التّحامل على الحضارة الإسلامية، وقد سبقت الإشارة إلى كتابه المخصّص لتعليم اللغة العربية، إلّا أنّه أورد أسفل صفحاته كلّها الألفبائية الفرنسية في حين يقتضي المنطق بما أنّ الكتاب موجه لتعليم العربية أن تظهر الألفبائية العربية لا الفرنسية؟

ممّا يلفت الانتباه في القسم الذي خصّصه المستشرق (ماتيو جيدر) لذكر العبارات إلى جانب الكلمات هو العدد الكبير للجميل التي يرد فيها ذكر فرنسا أو اللغة الفرنسية وكل ما له علاقة بباريس

إلى جانب الكثير من العبارات السياسية،⁽¹⁾ الثقافية والفكرية...⁽²⁾ التي قد تحمل توجّهات معينة. بالنسبة إلى المستشرق (ميشيل قيطوط) يطغى الجانب الإيديولوجي، ولاسيما في عمله المخصّص للعامة، إلا أنّ قاموس (اللسن) لم يسلم من ذلك، حيث أورد مصطلحات بدلالات عرقية واجتماعية وسياسية وفكرية بعيدة كل البعد عن تخصص المعجم، مثل: (العلمانية، واللقب الأمومي...)⁽³⁾. أما في عمله العامي، فهناك إثارة لقضايا عرقية في المجتمعات المغربية (العرب الأمازيغ...)، واهتمام كبير بالأمازيغية رغم أن الكتاب مخصص للعامة العربية. مع وجود تحيز كبير للفرنسية، مما ورد: « الفرنسية هي اللغة الوحيدة في المغرب التي يمكنها التباهي بكونها تقرأ وتكتب ويتكلّم بها. هي لغة كلّ الطبقات الاجتماعية والاقتصادية». وهناك تقديم بعض العادات والتقاليد المغربية وفق الرؤية المسيحية مثل: (السبوع، الذي يعتبر عادة يُحتفل فيها بميلاد الطفل مرفقة بالعقيقة، وعند ترجمة الفقرة العامة ترجم السبوع بكلمة (baptême)، وهي عملية عقائدية محضة تجعل المولود مسيحيا.

- أما المستشرق (دانيال كرز)، فلا يظهر الجانب الإيديولوجي بوضوح عنده، ربما لكون العمل يحمل طابعا سياحيا تعليميا، باستثناء بعض الكلمات،⁽⁴⁾ ومما ورد لديه، « عبر أحداث أصيلة تجعلكم شخصيات هذه الروايات تكتشفون بأدقّ التفاصيل المتخيّل الثريّ والمتنوّع للمجتمع الجزائري من عقدة إلى أخرى ستلجّون فضاء ثقافيا تمتزج فيه العادات والتقاليد والدين واللادين، (اللائكية) المحبة والكراهية». ⁽⁵⁾ تقديم معلومات عن الأمازيغية والتّوارقية، قبل الولوج في الصّفحات المخصّصة للعربية. إشارات دينية مخالفة للحقيقة: يتنزّل عليه جبريل عليه السّلام في المنام ويخبره بأنّه رسول الله ﷺ ويشير إلى معلومة خاطئة، عندما يجعل القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يرجع إليه

¹ -Guidère, Mathieu. lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui. p104, 105, 110, 111, 112, 113, 118, 120, 127, 138, 169, 128, 129, 170, 210 .

² -ibid. p 105, 107, 130, 160, 185, 195, 199, 211.

³ -ينظر: قيطوط، ميشيل. قاموس اللّسن. ص11، 28، 41، 50.

⁴ - voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche.. p138, 140, 145.

⁵ - voir: ibid. P122.

المسلم في حين تعدّ السنّة النبوية الشريفة ممّا يستمدّ المسلم منه تشريعاته. كما ذكر بأنّ الصحابة هم الذين جمعوا الآيات وجعلوها في مائة وأربع عشرة (114) محورا. نبّه إلى وجود طائفتين هما السنّة وهي الأغلبية، والشّيعة ويرجع إلى الخلاف الذي حدث غداة وفاة الرسول ﷺ بين من يرى أنّ الخليفة يجب أن يكون من آل قريش، ومن يرى أنّه يجب أن يكون من ذرية ابنته فاطمة وعليّ رضي الله عنهما. ويشير إلى الخوارج. ويختتم هذا التّقديم المفصّل بتعليمات للسّائح في الجزائر بأنّه في حالة ما إذا سئل عن ديانته فما عليه إلّا أن يقول بأنّه مؤمن، إذ لا يهتمون بنوعه، أما الإلحاد فلا يتقبلونه، وأنّه لا بدّ من الاستفسار دائما عن مدى إمكانية دخول غير المسلمين إلى المسجد. ⁽¹⁾ وغيره، وبعضها معلومات خاطئة، لا يمكن الادّعاء أنّها مقصودة، ولكن يبقى أنّه لديها تأثيرات سلبية في النّفوس والعقول.

أمّا أهمّ الأعمال فهو معجم (دانيال ريغ)، الذي خضع لمعايير علمية دقيقة إلى حد ما ولاسيّما إذا قورن مع المعاجم الأخرى. ولوحظ عدم الاهتمام بالجانب الشكلي لهذه الأعمال عكس الأعمال المعجمية الفرنسية التي تزدان عادة بالألوان والصّور، وقد عرض البحث معجما كتب باليدّ هو (العربية الحيّة) لـ (شارل بيلا)، وهو ما قد يسيء إلى العمل ويقلل من الاستفادة منه رغم أنّه عمل قيّم. وعموما كل المعاجم اشتملت على بعض الإشارات والإحياءات الإيديولوجية، وهو ما يثبت أنّ العمل هو مرآة عاكسة لصاحبها، إذ لا يمكنه التّصلّ تماما من لغته ومعتقداته وثقافته.

لم يظهر البعد الديني بوضوح لدى المستشرق (شربونو) عكس بعض المستشرقين، إلّا أنّ توظيفه كلمات بعينها وتعريفه لها، يمكن أن يقوّم تصوّرا تقريبا، لهذا البعد في معجمه ففي المقدّمة على سبيل المثال عند شرح طريقة الاشتقاق في اللغة العربية، ذُكرت كلمة أمّ ومشتقاتها على هذا النّحو: (أمّ، أمّ تأمّ، إنتم، إستام، إمّة، أمام، إمام، إمامة). ⁽²⁾ ما يلاحظ أنّ الشرح المقدّم لهذه الكلمات عام وسطحي وهناك تجنب للمعاني الدّينية. كما ذكر في أهل الكتاب: اليهود والنّصارى، ولم يُشر إلى المسلمين

¹ - voir: Krasa, Daniel. l'Arabe algérien de poche. P99, 100, 101.

² - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص4 من المقدمة.

وهذا أمر غريب: (ceux qui ont un code divin, les juifs et les chrétiens).⁽¹⁾

سُجّلت موضوعية معظم المعاجم في المجال الديني، باستثناء بعض المواضع، مثلاً في معجم دانيال ريغ الذي فصل في كلمات مرتبطة بالمسيحية، فيما كان مقتضبا في بعض الكلمات الإسلامية. كما تضمن معجم شربونو ودانيال ريغ أقوالاً مأثورة أمثالاً وحكما تنتمي معظمها إلى الثقافة العربية، مع وجود عبارات فيها نوع من التحيز أحيانا كثيرة للحضارة الغربية. عموماً تلمس تأثر المستشرقين بلغاتهم حين يقارنون بينها وبين العربية، وكذلك إقحام واضح للثقافة الغربية في معاجمهم وذلك بتفاوت، وهناك حضور كذلك للدين المسيحي، مثل صيغة (أسبوع الآلام) التي وظفها دانيال ريغ و(التعميد) التي وظفها ميشيل قيطوط. تعني كلمة (baptizer) عمّد ونصر، وتعني كلمة (سبّح)، الاحتفال باليوم السابع لميلاد الطفل؟ وفي الكلمة التي وظفت تحريف، وقد سبقت الإشارة إلى الكلمة لدى المستشرق (ميشيل قيطوط). ولا تستعمل كلمة (صنم) للدلالة على كلمة (statue) بل تحمل دلالة أخرى، فالصنم إله كان يعبد وليس مجرد تمثال، وهي كلمة تدخل ضمن مجال عقيدة المشركين والكفار. والتّمثال أو النّصب هو الذي يقابل الكلمة الفرنسية؟

وهناك تأثر لدى المستشرق (دانيال ريغ) بالفكر الغربي، يدعم هذه الفكرة المثال الذي ذكره ضمن مدخل (أتى)، وهو (الإتيان بعبادات جديدة)، توحى بالدعوة إلى التّخلي عن النّقايد، ولأسيماً إذا رُبط بالمدخل (أسر: أسير الحرب والنّقايد)، وكأنّ النّقايد عبارة عن أسر يجب الانعتاق منها وقد يُفهم منها، دعوة إلى النّحرر، وتبني عادات الغرب. ثمّ تحدّث عن الحضارة الأوروبية في حين أنّ الأصل أن يذكر الحضارة الإسلامية، بما أنّ الهدف هو تعليم اللّغة العربية وثقافتها، (الحضارة الطّراز الأوروبي (ة))، لأسيماً أنّه أكّد على ذلك في تقديم المعجم، وهذا تأثر واضح.

وسُجّلت موضوعية المستشرق (شارل بيلا)، حين يتعلّق الأمر بالجانب الديني، حيث التزم باللفظ العربي عند ترجمة بعض الكلمات خوفاً من تحريفها، مثل الفعل (كَبَر) الذي قابله بالفرنسية بـ (الله أكبر dire) كذلك بالنّسبة للكلمات (مؤنّن) فقد قابلها بـ (muezzin).⁽²⁾ وممّا سُجّل في هذا المقام ترتيبه

¹ - شربونو، أوغست. قاموس عربي-إفرنسي (اللغة الكتابية). ص 19.

² - voir Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p 365.

للأفعال: (أسلم، تهوّد، تنصّر)⁽¹⁾ فقد بدأ بالإسلام ثم اليهودية لينهي إلى المسيحية أو النصرانية. في حين حذف المستشرق شربونو المسلمين حين شرح كلمة (أهل الكتاب) وأبقى على كلمتي اليهود والنصارى بالفرنسية. قد يكون المبدأ عنده هو التدرّج ممّا يجله المتعلّم إلى ما يعرفه، وقد يعكس قناعة لديه، تتمثل في احترام المسلمين بما أنّه تناول لغتهم، إذ كان بإمكانه تتبّع الترتيب التاريخي فيبدأ باليهودية فالنصرانية لينتهي بالإسلام.

2-3- أثر معاجم المستشرقين في المعجم العربي الثنائي:

لاشكّ أنّ العرب تأثروا كثيرا بالمستشرقين في مجال المعجم الثنائي، لأنّ تفوق العرب في المعجم الأحادي، إلّا أنهم أهملوا هذا النوع إهمالا واضحا، ربما لعدم إحساسهم قديما بالحاجة إليه واعتزازهم الكبير باللغة العربية، إذ معظم المعاجم الثنائية للعرب جاءت على منوال معاجم المستشرقين؛ بل أكثر من ذلك، ذكر المستشرق دانيال ريغ أنّه كان أول من جسد المشروع الذي دعا إليه مكتب تنسيق التعريب، حول صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، في أبحاث دورة الرباط من 31 مارس إلى 8 أبريل 1981.

2-4- أثر المعاجم في واقع العالم الإسلامي العربي:

سجّل البحث وجود تعاون بين الشرق والغرب، في معجم كلمات الذي أشرف عليه المستشرق ماتيوي جيدر، حيث اشترك باحثون غربيون مع باحثين مشاركة في معجم علمي قيّم، وهو من أكثر المعاجم التي اكتست طابعا علميا. وهنا يمكن تسجيل تأثر بعض المعجميين العرب بأعمال المستشرقين عموما والفرنسيين بخاصة.

أما أكثر المعاجم تأثيرا في العالم الإسلامي ولا سيما المغاربي منه، فهو معجم دانيال ريغ الذي لا تزال دار النشر لاروس تصدر طبعات جديدة، وهذا يدلّ على رواجه الكبير. كما لوحظ تأثر المعجميين العرب بمعاجم المستشرقين الثنائية، إذ معظم الباحثين في المعجم الثنائي يجعلون في قائمتهم معجم دانيال ريغ، مثل عمل الأستاذ الدكتور الفاضل طاهر ميلة، ومما ذكره " ولعلّ أهمّ ميزة يتّصف بها معجم السبيل، كونه انطلق من واقع استعمال اللغة العربية الفصحى في عصرنا

¹ - voir Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT. p 366,371 ,372 .

الحالي...كما يُفترض أن يكون السبيل أقرب إلى الواقع اللغوي المعاصر، وبالتالي إلى مدونتنا باعتبارها جزءاً من هذا الواقع⁽¹⁾. وغيره كثير.

3- مجالات اهتمام المستشرقين والفئات المتوجه إليها:

3-1- نوع المعاجم:

ينتمي معجم كل من (شربونو) و(دانيال ريغ) و(شارل بيللا) إلى المعاجم العامة الحريصة على اللغة العربية الفصيحة، أو كما سماها المستشرق شربونو (اللغة الكتابية)، وهي موجهة لمن يريد الكتابة باللغة العربية في المجالات العلمية، حاول أصحابها تزويد قارئها بجمل وعبارات سياقية وأمثلة وحكم، يمكن من خلالها تمثّل المعنى، وإنشاء جمل على منوالها، وإن كان يصعب تأليف معجم للفهم والتعبير في الآن ذاته، إلا أنه يمكن ذلك بنسب متفاوتة، وحسب مستوى القارئ وعلاقته باللغتين. فمعجم دانيال ريغ مثلاً يسمح بذلك إلى حد ما، بما أنه خصص قسماً فرنسياً-عربياً. بالإضافة إلى القسم العربي-الفرنسي. أما بالنسبة إلى معجم شارل بيللا فقد يكون معجماً للتعبير أكثر منه للفهم، هذا بالنسبة إلى الفرنسي، أما بالنسبة للعربي فسيكون معجماً للفهم، بوصف لغة المتن هي الفرنسية ولغة الشرح هي العربية. وقد قسم معجمه حسب الحقول الدلالية، وهو ما يسهل إيجاد الكلمات إلى حد ما. أما معجم شربونو فهو كذلك موجه للفهم، فالفرنسي الذي يقرأ بالعربية إذا صادف كلمة لا يعرف معناها، ما عليه إلا التوجّه نحو هذا النوع من المعاجم، ليتعرّف على معناها. وفي حالة ما إذا استعمله العرب فعندها سيتحوّل إلى معجم للتعبير، ولو بدرجة أقلّ، وهي كلها بالخط العربي.

أما معجم (ماثيو جيدر) إذا صحّت التسمية، فهو معجم ذو طابع خاص، يهدف إلى تمكين قرائه من استعمال اللغة العربية المستعملة في الصحف، وقد ركّز على مجالات الاقتصاد والسياسة والرياضة. وهو كتاب تعليمي أكثر منه معجم.

¹ - ميلة، طاهر. الألفاظ الحضارية الحديثة في العربية بين الوضع والاستعمال: (دراسة وصفية). ص 195.

بالنسبة إلى قاموس (ميشيل قيطوط: اللسان)، فهو معجم مختص، في المصطلحات اللسانية ولا يتصور طبعا أن تكون لغته غير اللغة العربية الفصحى. يتميز بدرجة كبيرة من الدقة والجدية استعمل فيه الخطين العربي واللاتيني.

لوحظ أنّ معظم المستشرقين القدامى كان اهتمامهم منصبا على الكلمات العامة التي يحتاجها المتكلم في التواصل في حاله ما إذا كان الدافع، مرتبطا بذلك ومنهم من اهتم بالكتابة الفصيحة مثل المستشرق شربونو، لكن المستشرق دانيال ريغ كان أكثر إحاطة من الآخرين، حيث تناول اثنين وتسعين وستة ألف (6092) مدخلا رئيسا، و(شارل بيلا) علما أنّ بيلا كان اهتمامه بحاجات الطلبة أكبر، فلم يجمع إلاّ المفردات التي يرى أنّ الطالب يحتاجها، ومع ذلك فقد تطرق إلى معظم المجالات اليومية والعلمية والعسكرية والمالية وغيرها، وذلك للكتابات الأكاديمية والعلمية، إذ لا يُعقل أن تكتب مقالا أو بحثا بالعامية، وهو ما أدركه معظم المستشرقين. مثلما هو الحال في (قاموس اللسان)، وهو عمل فوجئت به إذ هو معجم موضوعي وضعه المستشرق الداعي إلى العامية وإلى الخط اللاتيني (ميشيل قيطوط)، وهو عمل قيّم رجع فيه إلى مراجع عربية كثيرة، وقد كشف عن زاوية أخرى مجهولة لدى هذا المستشرق.

اعتمد بعضهم الترتيب الألفبائي سواء الفرنسي أو العربي، وبعضهم الآخر فضّل الترتيب الموضوعي، وهناك من جمع بين الطريقتين، إلاّ أنّ الملاحظ أنّه لم يكن هناك التزام لدى معظم المستشرقين بآليات الترتيب، فجاء الترتيب عشوائيا في معظم الأحيان، والعمل الوحيد الذي يمكن اعتباره سار على خطوات منهجية ثابتة إلى حد ما هو عمل المستشرق دانيال ريغ، والمستشرق شربونو بدرجة أقل.

3-2-الفئة المستهدفة:

يتوجه المستشرقون في معاجمهم عادة إلى القارئ الفرنسي أو الغربي عموما، ولاسيما القدامى مثل معجم شربونو الذي صُنّف في المكتبة الجامعية ضمن المعاجم الفرنسية، رغم كون لغة المتن هي العربية، في حين يشير بعضهم إلى إمكانية استفادة العرب منها، مثل دانيال ريغ، ويمكن القول إنّ المعجم الأكثر رواجاً من بين كل معاجم المدونة، حيث لا يزال يباع في المكتبات؛ بل يشهد إقبالا كبيرا، وينافس معاجم العرب. وهناك معاجم موجهة إلى فئة خاصة، مثل معجم دانيال كرزا

الذي ألفه من أجل السيّاحة، ومعجم ميشيل قيطوط، العامي الموجه لكل من يريد تعلّم العاميات المغاربية ووضح أنّ المعنيين بمعجم اللسن هم الطلبة والباحثون الفرنسيون والعرب، وكل من يهتم بالترجمة. عموماً معاجم الطبقة الأولى موجهة إلى الفرنسيين. أما معاجم الطبقة الثانية، فهي موجهة بالدرجة الأولى للفرنسيين والغربيين لكن مع إمكانية استفادة العرب منها، وقد أُشير إلى ذلك. أما معاجم الطبقة الثالثة فالعاميّ منها واضح أنّه موجه إلى غير الناطقين بالعربية، من فرنسيين وغيرهم. أما المعاجم المتخصصة، فهي موجهة للفرنسيين طبعاً بالدرجة الأولى، ولكل من يريد الاستفادة منها.

3-5-مدى إمكانية الاستفادة من معاجم المستشرقين:

يمكن الاستفادة من معاجم المستشرقين، ولاسيما منها الفصيحة، إذ رجعت معظمها إلى المعاجم العربية القديمة، رغم عدم إشارتها إلى ذلك، يتأكد ذلك لورود كلمات تنتمي إلى المعجم اللغوي الفصيح الذي لا يعرفه إلى المتضلعون والراسخة أقدامهم في العربية، مع ضرورة مراجعة بعض موادها، يمثل لهذا النوع معجم كل من شربونو ودانيال ريغ وشارل بيللا. وهناك معاجم يحسن التحفظ معها، ولاسيما منها العامية، وإن كانت الدراسات الحديثة تؤكد أهميتها في دراسة الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي للشعوب.

خاتمة:

أما وقد وصل البحث إلى نهايته، فلا بدّ من التأكيد على أنّ المعاجم المدروسة أجابت إلى حد ما عن الإشكالية المطروحة، ولو بشكل جزئي مع بقاء بعض التساؤلات العالقة، التي قد تجيب عنها دراسات أخرى مستقبلية. أمّا أهمّ النتائج المتوصّل إليها من خلال الفصول النظرية والتطبيقية فهي:

- أول من تحدّث اللّغة العربيّة كان آدم عليه السّلام، واللّغة العربيّة هي أمّ اللّغات جميعها، حسب أدلة دينية من القرآن العظيم والسّنة النبوية الشّريفة، وحسب دراسات غربية حديثة.
- تقسيم المستشرقين العربيّة إلى مراحل تاريخية، وظهور مصطلحات كثيرة للدّلالة عليها، مثل: اللّغة الكلاسيكية، واللّغة الحديثة، واللّغة الحيّة، والوسطى...
- عدم جواز قول اللّغة العربيّة المعاصرة أو الوسطى، هناك لغة عربية واحدة، وهي اللّغة العربيّة الفصحى، ويبقى غيرها مجرد مستويات وسجالات لغوية.
- كل العيوب التي تُرمى بها اللّغة العربيّة سواء على مستوى ألفاظها، خطّها، هي مميّزات، تزيد شرفا.
- تواصل اهتمام المستشرقين الفرنسيين باللّغة العربيّة إلى يومنا هذا.
- عدم وضوح رؤية المستشرقين الفرنسيين حول اللّغة العربيّة، فتارة يتحدثون عن عربية حديثة يقصدون بها العامية، وأخرى يوظفون المصطلح نفسه للدّلالة على الفصحى، وتارة يجعلون الفصحى ميّنة، والمستعملة في الصحافة هي الوسطى والحديثة.
- معظم المستشرقين أصحاب المدوّنة قاموا بأعمال فصيحة، ومنهم من اهتمّ بالعاميّة، إلّا أنّ المستشرق (ميشيل قيطوط) يمكن عدّه من الدّعاة إلى العامية.
- العامية الواردة في معاجم المدونة في معظمها قريبة من الفصحى، بدرجات متفاوتة. تجاوزت نسبة 50%.
- ورود المعاجم الفصحى كلّها بالخطّ العربي، ونادرا ما ترد كلمة بالخطّ اللاتيني، باستثناء قاموس ميشيل قيطوط: (اللسن)، الذي وظّف فيه الخطّين العربي واللاتيني.

- ارتباط الخطّ اللّاتيني عموماً لدى المستشرقين بالأعمال العاميّة، والخطّ العربي بالأعمال الفصيحة.
- الاختلاف في ضبط الحروف اللّاتينية المقابلة للحرف العربي، فتجد حرفاً عربياً يقابلونه بأكثر من حرف لاتيني؛ بل يظهر الاختلاف لدى المستشرق الواحد.
- ارتباط فكرة الدعوة إلى العامية والخطّ اللاتيني بالمستشرقين، وهي مستمرة إلى يومنا هذا.
- هناك تفاوت بين أصحاب المدوّنة في تمكّنها من اللغة العربية، لعلّ المستشرق (دانيال ريغ) و(شارل بيللا) أكثرهم تحكماً، وكلاهما ولد في الجزائر.
- مجالات المعاجم، كانت حول المفردات التي يحتاجها الفرنسي في معاملاته وتعاملاته مع العرب المسلمين، مع التركيز على المفردات السياسية والعسكرية، وهناك توجّه نحو لغة الصحافة والإعلام لدى المعاجم الحديثة والمعاصرة، وبرز اهتمام جديد لدى المستشرقين الجدد وهو المعجم المختص.
- مع الاهتمام بمعاجم أو كتب تعليم العاميات، لأغراض مختلفة، سياحية وتعليمية، وربما سياسية.
- تراجع كبير في الاهتمام بالمفردات الدينية في المعاجم الثنائيّة المعاصرة، يصل إلى حدّ الانعدام ولعلّ هذا مردّه إلى العلمانية التي يدعو إليها الفرنسيون.
- تأثر بعض المستشرقين أصحاب المعاجم الثنائية الفصيحة بالمنهج العربي في ترتيب مداخلهم.
- تأثر الدّراسات العربية بمناهج المستشرقين، وكثيراً ما تُسقط المناهج، كما هي على اللّغة العربية.
- الداعي إلى إقصاء الفصحى والتّعامل بالعامية، هو المنهج الوصفي حسب بعض المستشرقين.
- تحريف مصطلحات، مثل الأبجدية التي تُوظف بمعنى الألفبائية، في حين هما مصطلحان مختلفان.
- هناك خلط بين مصطلحات: اللّغة واللهجة والعامية نتيجة التّأثر بالمناهج الغربية.
- تسمية (السامية) ليست علميّة؛ بل هي يهودية، ولديها تسميات عربيّة، منها: العروبية، الجزيرية...
- تأثير العالم الإسلامي العربي في الغرب إيجابي، وتأثير الغرب في الشرق سلبي.
- ارتباط الاستشراق الفرنسي بالاحتلال، ومما يلمس أثره في معظم معاجم تلك الفترة، وهو مما ذكره المستشرق دانيال ريغ في كتابه (رجل الاستشراق).
- لاشكّ في وجود دوافع غير علمية لدى بعض المستشرقين الفرنسيين، بتفاوت.

- المجالات التي تناولوها شملت كل ما يتّصل بالعالم الإسلامي، يمكن القول إنهم لم يدعوا قضية من قضاياها إلا تناولوها بالدرس والتّحقيق.
- استغلال معظم دراسات المستشرقين القديمة والحديثة، للتعرف على الشعوب وخصائصهم.
- استغلال الأدب، ولاسيما الحكايات والقصص، لصناعة صورة سلبية للمسلمين، والعمل على نشرها في الغرب وبين العرب أنفسهم.
- تأثر العالم الإسلامي تأثراً كبيراً على مستوى المناهج، وقد برز ذلك من خلال مؤلفات بعض العرب وعلى مستوى مناهج التّعليم في مراحل التّعليم جميعها، ولاسيما في التّعليم العالي.
- اشتغال بعض المعاجم على كلمات وشروح تتضمن خطابات إيديولوجية، تمجّد الحضارة الفرنسية على حساب الشرق. بالإضافة إلى التّرويج لأفكار معيّنة من خلال بعض التراكمات الواردة المتعارضة مع أخلاق المسلمين وقيمهم.
- خطورة الخطاب الإيديولوجي الوارد في المعاجم مقارنة بالأعمال الأخرى، ذلك أنّ المعجم عادة يتوجه إلى عامة النّاس وخاصّتهم على حدّ السّواء.
- تبيّن وجود أعمال معجمية قيّمة؛ للمستشرقين يمكن الاستفادة منها، مثل قاموس (اللسن) للمستشرق قيطوط. ومعجم (دانيال ريغ) و(شارل بيلا)، إلا أنّ هذا لا يكون إلاّ بعد اطلاع المتخصصين عليها ممن لم يتأثروا بمناهجهم، وتمحيصها وتخليصها مما علق بها من شوائب.
- أهمّ معجم حديث، هو للمستشرق دانيال ريغ، لتوفّره على المعايير المعجمية، ولتوفّره وكثرة تداوله.
- وجود معاجم معاصرة بين المستشرقين والباحثين العرب، مثل معجم (كلمات) وهو عمل قيّم تناول أهمّ المجالات المحتاج إليها في هذا العصر، كان تحت إشراف الباحث ماثيو جيدر.
- هناك مجالات لا يصلح أن يؤخذ فيها بأعمال المستشرقين مطلقاً، ولاسيما في المجالات الدينية والفكرية.
- عدم إمكانية فصل البحث العلمي عن صاحبه وهويّته، قد يتحقّق ذلك في العلوم الدقيقة، أما في العلوم الإنسانية، فهو من المستحيلات، ولعلّ أكبر دليل هنا هو أعمال المستشرقين أنفسهم.
- التقدير كل التقدير لبعض المستشرقين، الذين تقاتلوا في أعمالهم ونذروا أنفسهم للبحث والدراسة وخدمة أوطانهم، بغض النّظر عن خلفياتهم.

ولا يسعني في النهاية؛ إلا أن أقرّ بالعجز والنقص، ولا شكّ في وجود أخطاء، ولاسيّما في الفصول التطبيقية، نظرا لكثرة المعلومات والتفاصيل التي حاولت الوقوف عندها، رغم أنني أعدت النّظر أكثر من مرّة، وعليه وجب عليّ الاعتذار مسبقا، على أيّ خطأ وارد لاسيّما في تحليل المعاجم.

المقترحات:

- وجوب الاهتمام باللّغة العربية وتعريف أبنائها بها، بدءا بتاريخها وأصواتها وخطها، وتحبيبهم فيها عبر الكتب التعليمية والبرامج الإعلامية والثقافية عموما، وتنظيم مسابقات ولاسيما للأطفال، وتحسيسهم أنّها جزء من هويتهم.
- تفعيل دور المجلس الأعلى للّغة العربيّة وتعاونه مع الوزارات الأخرى. والتنسيق مع الهيئات الرّسمية على مستوى العالم الإسلامي، لترقية اللّغة العربيّة وخدمتها في أوطانها وخارجها.
- تنظيم نشاطات وأعمال جماعية في فروع اللّغة العربية على مستوى المؤسسات التربوية التعليمية وتشجيع المبدعين.
- ضرورة إعادة النّظر في مناهج التّعليم في المراحل التّعليمية كلّها، والتأكد من توافقها مع مبادئنا وقيمتنا.
- إعادة الاعتبار للحرف العربي باستعماله في المجالات العلمية ولاسيما في الابتدائي والمتوسط والثانوي.
- فتح المجال للأساتذة والباحثين ولاسيّما المتخصصين في اللّغة العربية للاطلاع على مستجدات البحث العلمي في هذا المجال.
- إعادة النّظر في استعمال بعض التسميات المطلقة على اللّغة العربية، مثل اللّغة الكلاسيكية والوسطى، والحديثة...
- إعادة النظر في توظيف بعض المصطلحات اللّسانية في ساحة البحث اللّغوي، وضبطها مثل: اللسان، اللّغة، اللهجة، العاميّة...
- تكوين فرق بحث للنّظر في المناهج المسقطة على اللّغة العربية وآدابها، دون تكييف وتخليصها من تأثيراتها السّلبية على عقول الشعوب المسلمة.

■ تكوين فرق بحث، تنتمي إلى تخصصات مختلفة، تتعاون لجمع كل ما كتبه المستشرقون حول اللغة العربية والعالم الإسلامي عموماً باللغات جميعها، ودراسته. والرجاء كل الرجاء أن يجعل الله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام، هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يفتح الأبواب أمام الباحثين لتناول مثل هذه الموضوعات، بما يخدم الأمة الإسلامية واللغة العربية.

خير ما أختم به، بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿... سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (32)، [سورة البقرة]. وصلّى اللّهُمّ وسلّم وبارك وأنعم على سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

القرآن العظيم برواية ورش عن نافع

المدونة:

- شربونو، أوغست. قاموس عربي-فرنسي (اللغة الكتابية)، الجزء الأول -ص، طبعة جديدة، مكتبة لبنان بيروت، 1981.
- Guidère, Mathieu lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui, édition du temps, Paris, 2001.
- Krasa, Daniel. L'Arabe algérien de poche. France, Assimil, 2011.
- Pellat, Charles. L'ARABE VIVANT mots arabes groupés d'après le sens et vocabulaire fondamental de l'arabe moderne. Paris, librairie d'Amérique et d'Orient, 1984.
- Peres, Henri. Mangion. Paul. Vocabulaires de base de l'arabe dialectal algérien et saharien ou mille et un mots d'usage courant chez les arabophones de l'Algérie et du Sahara, mots-outils, glossaire français -arabe et glossaire arabe- français, en caractères arabes et en transcription, la maison des livres, collection de l'école Alger, 1380h/1961
- Reig, Daniel. Arabe, dictionnaire Arabe -français, français-arabe, 200 000 mots, expression et traduction. Paris, Larousse, 2008.
- Quitout, Michel. AI-Lassin. Glossaire bilingue des termes des sciences du langage, Paris, L'Harmattan, 2000.
- Quitout, Michel. INITIATION A L'ARABE MAGHREBIN : vocabulaire bilingue. Paris, l'Harmattan. 2004.

الكتب:

- إبراهيم، الطيب. الاستشراق الفرنسي وتعدّد مهامه خاصة في الجزائر. الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع 2004م. ط
- أحمد مختار، عمر. البحث اللغوي عند العرب. القاهرة، عالم الكتب، 1982. ط4.
- أحمد مختار، عمر. صناعة المعجم الحديث. القاهرة، عالم الكتب، 1996م.
- أحمد نظمي، محمد. موقف الاستشراق بين الفصحى والعامة. سلسلة كتب الثقافة المقارنة، 4، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- إدوارد، سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. تر محمد عناني. لندن، دار بنجوين العالمية رؤية للنشر والتوزيع، 2006م. طبعة مزيدة منقحة.
- أركون، محمد. القرآن من الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. تر: هاشم صالح. بيروت، دار الطليعة، 2005. ط2.
- إسماعيل عبد الفتاح، محمد حسام الدين. الخط العربي نشأته وتطوّره حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. القاهرة جامعة عين شمس، 2013م. ط.
- باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة فارس-

- الإغريق الرومان). بغداد، دار الوراق للنشر، 2011. ط1. ج2.
- باي، ماريو. أسس علم اللغة. تر: أحمد مختار عمر. القاهرة، دار عالم الكتب، 1419هـ-1998م. ط8.
- بدوي، السعيد محمد. مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة. القاهرة دار المعارف، 1973م. ط مصر.
- بدوي، عبد الرحمن. مناهج البحث العلمي. الكويت، وكالة المطبوعات، 1977م. ط3.
- بدوي، عبده محمد. أهمية تعلّم اللغة العربية. جامعة الكويت، حويلات كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها. الحولية السادسة عشرة. الرسالة السابعة بعد المائة 1416هـ-1417هـ، 1995م-1996م.
- بديع يعقوب، إميل. المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها. لبنان، دار العلم للملايين، 1985م. ط2.
- بركة، بسام وآخرون. "الترجمة إلى العربية دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية". اللغة والهوية في الوطن العربي. لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013م. ط1.
- بروكلمان، كارل. فقه اللغات السامية. تر: رمضان عبد التواب. المملكة العربية السعودية، جامعة الرياض 1397هـ-1977م. دط. كتاب إلكتروني، موقع: <http://kotob.has.it> بتاريخ: 16 أكتوبر 2014م.
- بشر، كمال. دراسات في علم اللغة. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 1998م.
- بشر، كمال. علم الأصوات. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 2000م. دط.
- ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة: تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. تح: الشيخ محمد عبد المنعم العريان. بيروت، دار إحياء العلوم، 1407هـ-1987م. ج1. ط1.
- أبو بكر، الأمين عبد الحفيظ. توجيه العلوم وفق المنهج الإسلامي. القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2002م. دط.
- بلعيد، صالح. المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م. دط.
- بلعيد، صالح. في قضايا فقه اللغة العربية. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م. دط.
- بلعيد، صالح. محاضرات في قضايا اللغة العربية. الجزائر، دار الهدى وجامعة منتوري، 1999. دط.
- بلعيد، صالح. اللغة الجامعة. منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، دت. دط.
- بلعيد، صالح. اللغة العربية العلمية. الجزائر. دار هومه. 2002م. دط.
- بلعيد، صالح. في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث. الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر، 2005م. دط.
- بلعيد، صالح. منافحات في اللغة العربية. الجزائر، تيزي وزو، دار الأمل، 2006م. دط.
- بلعيد، صالح. في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى.... الجزائر، دار هومه، 2008م. دط.

- بلعيد، صالح. في النهوض باللغة العربية. الجزائر، دار هوم، 2008م. دط.
- بلعيد، صالح. الاهتمام بلغة الأمة - العبرة من الفرنسيين -. الجزائر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر. 2016م.
- بليل، نور الدين. الارتقاء باللغة العربية في وسائل الإعلام، كتاب الأمة. وزارة الشؤون والأوقاف والشؤون الإسلامية. قطر. ع8. 2001م.
- البوريني، عبد الرحمن أحمد. اللغة العربية أصل اللغات كلها. عمان، دار الحسن للنشر والتوزيع 1419هـ-1998م.
- بوكاي، مريس. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. تر: الشيخ حسن خالد. بيروت، المكتب الإسلامي 1411هـ-1990م. ط3.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. منهاج الوصول إلى علم الأصول. دمشق، مؤسسة الرسالة ناشرون 2006. ط1.
- بيومي، سعيد أحمد. أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها. 1423هـ-2002م التنزيل بتاريخ: 25 جوان 2015م، ط1. من موقع www.kotobarabia.com.
- الترمذي، الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى متوفي سنة 279هـ رحمه الله. صحيح سنن الترمذي. الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1420هـ-2000م. دط. مج 1.
- تمام، حسان. مناهج البحث في اللغة. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، دط.
- تمام، حسان. اللغة العربية بين المعيارية والوصفية. القاهرة، عالم الكتب، 1421هـ-2001م. دط.
- التوحيدي، أبو حيان. الإمتاع والمؤانسة. تح: أحمد أمين وأحمد الزين. المملكة المتحدة، شركة هنداي 2017م. دط.
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان. مستقبل اللغة العربية. الرباط، المملكة المغربية، مطبعة الإيسيسكو 1425هـ-2004م. ط1.
- تيمور، محمود. ضبط الكتابة العربية، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1951م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تح: ناصر بن عبد الكريم. الرياض، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 1419هـ-1998م. ط2. ج1.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت430هـ. فقه اللغة وأسرار العربية. تح: ياسين الأيوبي. بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، 1420هـ-2000م. ط2.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تح: عبد السلام هارون. القاهرة، مكتبة الخانجي دت. ج1.
- جان كالفلي، لويس. حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: حسن حمزة. بيروت، المنظمة العربية للترجمة

- 2008م. ط1.
- جلوي المغربي، حمود. مشرف الهزاع، نايف. التجارب المعاصرة في الخط العربي. الكويت، 1418هـ-1997م. ط1.
- الجندي، أنور. شبّهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي. بيروت، المكتب الإسلامي، 1398هـ-1978م. دط.
- الجندي، أنور. مقدّمات العلوم والمناهج: التّشّير والاستشراق والدّعوات الهدامة، محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل. لبنان، دار الأنصار، 1983م. دط.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تح: محمد علي النجار. القاهرة، دار الكتب المصرية، دت. دط. ج1.
- جوردا، بدير. الرحلة إلى الشرق: رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: ميّ عبد الكريم علي بدرا. سوريا، الأهالي للتوزيع، 2000م. ط1.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. سلسلة علوم اللسان عند العرب 1. الجزائر، دار موفم للنشر، 2012م. دط.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة. الجزائر، موفم للنشر، 2012م. دط. ج2.
- حامد هلال، عبد الغفار. أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل. القاهرة، دار الفكر العربي 1417هـ-1996م. دط.
- حامد هلال، عبد الغفار. العربية خصائصها وسماتها. القاهرة، مكتبة وهبة، 1425هـ-2004م. ط5.
- حداد، حليم ميشال. قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم. تونس-الجزائر، 1999. دط.
- حسن جبل، محمد حسن. المعنى اللغوي دراسة: عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا. القاهرة، مكتبة الآداب. 1426هـ-2005م. ط1.
- حسني، عبد الجليل يوسف. اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها. القاهرة، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، 2007م. دط.
- حسنين، صلاح. دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن. القاهرة، مكتبة الآداب، 2010. ط2.
- حسين، محمد الخضر. دراسات في العربيّة وتاريخها. دمشق، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح 1380-1960م. ط2.
- حسيني، أبو بكر. الصوتيات التركيبية: الدراسة التركيبية لأصوات اللغة العربية. سلسلة الصوتيات العربية. الجزائر، مطبعة مزوار، دت. دط.

- حمادة، محمد ماهر. رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب: فكري ومادة، القسم الأول، دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبية. بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992. ط1.
- حمائر، حسن. التنظير المعجمي والتنمية المعجمية في اللسانيات المعاصرة، مفاهيم ونماذج تمثيلية. المغرب، عالم الكتب الحديث، 2012م. ط1.
- حمدان، عبد الحميد صالح. طبقات المستشرقين. القاهرة، مكتبة مدبولي، دت. دط.
- الحمزاوي، محمد رشاد. العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات. بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1986م. ط2.
- الحميد، عبد العزيز بن حميد. أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي. السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1433هـ-2012م. ج1، ج2.
- حنش، إدهام محمد. الخط العربي وحدود المصطلح الفني. الكويت، إدارة الثقافة الإسلامية، 2008 - 1429هـ. ط1. روافد.
- حنفي، حسن. مقدّمة في علم الاستغراب. القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1411هـ-1991م. دط.
- خضراوي الحسني، عاشور. أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق. مصر، مكتبة الرضوان، 2005م. دط.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون. بيروت. مؤسسة المعارف للطباعة والنشر 1428هـ-2007م. ط1.
- خورشيد، إبراهيم زكي وآخرون. موجز دائرة المعارف الإسلامية. الآثار العلوية أبو بكر، مركز الشارقة للإبداع الفكري. ج1. ط1.
- داود محمد، محمد. العربية وعلم اللغة الحديث. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م. دط.
- دحمون، عبد الرزاق. إسهامات المستشرقين بين السلب والإيجاب: دراسة نموذجية حول الاستشراق الفرنسي بالجزائر. الجزائر، دار لمسة، 2021م. ط1.
- درويش، أحمد. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. مصر، الهيئة المصرية للكتاب، 1997م. دط.
- دك الباب، جعفر. النظرية اللغوية العربية الحديثة. دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996. دط.
- دويتشر، غاي. عبر منظار اللغة: لم يبدو العالم مختلفا بلغات أخرى. تر: حنان عبد المحسن مظفر. الكويت، عالم المعرفة، 1436هـ-2015م. دط.
- الرفاعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب. بيروت، دار الكتب العلميّة، 1421هـ 2000م، ط1. مج1.
- روزنتال، فرانتر. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. تر: أنيس فريحة. بيروت-نيويورك، دار

- الثقافة، مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، 1961م. دط.
- ريغ، دانيال. ألف ألف فعل... وفعل، كتاب التصريف، دط، مكتبة ميزونوف لاروز، دت.
- ريغ، دانيال. مختارات عربية، جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب، دط، ميزونوف إي لاروز، باريس، دت.
- ريغ، دانيال. رجل الاستشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا. تر: إبراهيم صحراوي. الجزائر. دار التنوير للنشر والتوزيع. 2008. دط.
- زكريا سعيد، نفوسة. تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. القاهرة، دار الثقافة بالإسكندرية 1383هـ-1964م. ط1.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (467-538هـ). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. الرياض مكتبة العبيكان، 1418هـ-1998م. ط1. ج6.
- زيفريد، هونكه. شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوربة. تر: فاروق بيبزون كمال دسوقي. بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، 1413هـ-1993م. ط8.
- ساسي، سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية. بيروت. دار المدار الإسلامي، 2002. ط1. ج1.
- السايح، أحمد عبد الرحيم. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي. القاهرة، دار المصرية اللبنانية 1996. ط1.
- سعد الله، أبو القاسم. الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م. ج2. ط4.
- السفاضة، عبد الرحمان. طرائق تدريس اللغة العربية. الأردن، مركز يزيد للخدمات الطلابية، 2004م. ط3.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581هـ). نتائج الفكر في النحو. تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ أحمد علي محمد معوض. بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ-1992م. ط1.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. تح: محمد كاظم البگاء. بيروت-الإمارات، منشورات زين الحقوقية والأدبية-دار الكتاب الجامعي، 1435هـ-2015م. ط1. ج1.
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله. رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيّان، يحي مير علم. دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دت. دط.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. المزهري في اللغة وأنوعها. بيروت، منشورات المكتبة العصرية، دت. دط. ج1.

- الشافعي، المُطَلبي محمد بن إدريس، الرسالة. تح: أحمد محمد شاكر. القاهرة، منشورات مصطفى البابي الحلبي، 1358هـ-1940م. ط1.
- الشناوي، خالد نعيم، فقه اللغات العروبية وخصائصها. العراق -بيروت، العربية الجنوب للطباعة والنشر - دار البصائر، 2017م. ط2.
- صالح الزغبى، آمنة. في علم الأصوات المقارن التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية. الأردن، دار الكتاب الثقافي، 2008م. دط.
- الصوفي، عبد اللطيف. اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية. دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دت، دط.
- ضيف، شوقي. المدارس النحوية. القاهرة، دار المعارف، دت. ط7.
- طالب عبد الرحمن، عبد الجبار. نحو تقويم جديد للكتابة العربية. كتاب الأمة، قطر، دار الكتب القطرية 1999م. ط1.
- طعيمة، أحمد رشدي. الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. جامعة أم القرى مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، 1402هـ-1982م. دط. (سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية).
- ظاظا، حسن. اللسان والإنسان: مدخل إلى معرفة اللغة. دمشق-بيروت، دار القلم-الدار الشامية 1410هـ-1990م. ط2.
- عابنة، يحي. النظام السيميائي للخط العربي في ضوء النقوش السامية ولغاتها. دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
- عبادة، عبد الفتاح. انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والغربي. مصر، مطبعة هنية، 1915م. دط.
- عباس، حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها. دراسة. دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م. دط.
- عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة، دار الكتب المصرية، 1943-1364هـ. دط.
- عبد الله، إبراهيم. العلاقة مع الغرب: الموضوع الإشكالية المنهج. الدار البيضاء-المغرب، بيروت لبنان المركز الثقافي العربي، 2000. ط1.
- عمايرة، إسماعيل أحمد. المستشرقون وتاريخ صلتهم باللغة العربية: بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية. عمان، دار حنين، 1412هـ-1992م. ط2.
- عمايرة، إسماعيل أحمد. بحوث في الاستشراق واللغة. بيروت -عمان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار البشير، 1996م. ط1.
- عمايرة، إسماعيل أحمد. المستشرقون والمناهج اللغوية. الأردن. دار وائل للنشر. 2001م. ط3.

- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية. الأردن، دار وائل للنشر. 2002م. ط3.
- عوض، إبراهيم. دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل. القاهرة، مكتبة البلد الأمين 1419هـ-1998م. ط1.
- العيسوي، عبد الفتاح محمد، العيسوي، عبد الرحمن محمد. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث. بيروت، دار الراتب الجامعية، 1996-1997م. دط.
- الغدامي، عبد الله. النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي 2005م. ط3.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العربيّة في كلامها. بيروت، دار الكتب العلميّة 1418هـ-1997م. ط1.
- فروخ، عمر. تاريخ الأدب العربي. الأدب في المغرب والأندلس (7هـ-10هـ). بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، 1983م. ط1. ج6.
- فريحة، أنيس. نظريات في اللّغة. بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م. ط2.
- فريحة، أنيس. اللّهجات وأسلوب دراستها. دار الجيل، بيروت، 1409هـ-1989م. ط1.
- فريحة، أنيس. نحو عربية ميسرة. بيروت، دار الثقافة، دت. دط.
- فريستغ، كيس. اللغة العربيّة تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، تر: محمد الشرقاوي. القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م. ط1.
- فك، يوهان. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. تر: عبد الحليم النّجار. القاهرة، المركز القومي للترجمة، القاهرة. دط.
- الفهري، عبد القادر الفاسي. اللّسانيات واللّغة العربيّة نماذج تركيبية ودلالية. الكتاب الثاني. الدار البيضاء المغرب، دار طوبقال للنشر، 2000م. ط4.
- فوك، يوهان. تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربيّة والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم. بيروت، دار المدار الإسلامي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، 2000م. ط2.
- فيشر، أ. المعجم اللغوي التاريخي، القسم الأوّل من أوّل حرف الهمزة إلى أبد. القاهرة، مجمع اللغة العربيّة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1387هـ-1967م. ط1.
- القاسمي، علي. علم اللغة وصناعة المعجم. الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود 1411هـ-1991م. دط.
- قدوري، غانم الحمد. علم الكتابة العربية. عمان، دار عمار، 2000. دط.

- القطّان، مناع. مباحث في علوم القرآن. القاهرة، مكتبة وهبة، دت. ط7.
- القطّان، مناع. مباحث في علوم الحديث، ط5، مكتبة وهبة، القاهرة، 1428هـ-2007م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى. القاهرة، المطبعة الأميرية، 1322هـ-1914م. دط. ج3.
- ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700-774)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة. الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ-1999م. ط2. ج7.
- الكردي المكي الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر. تاريخ الخط العربي وآدابه. القاهرة، مكتبة الهلال المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1358-1939م. ط1.
- الكرمل، الأب أنستاس. نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها. القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت. دط.
- لونيسي، إبراهيم. بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي. الجزائر، دار هومه 2013م. دط.
- محمد شاکر، أبو فهر محمود. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. جدة دط، دار المدني، 1987. دط.
- بن مراد، إبراهيم. المعجم العلمي المختصّ حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري. بيروت-لبنان دار الغرب الإسلامي، 1993م. ط1.
- مراد، إبراهيم. دراسات في المعجم العربي. دار الغرب الإسلامي. بيروت-لبنان، 1987م. ط1.
- مرتاض. عبد الملك. العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، سلسلة الدراسات الكبرى. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م. دط.
- مرتاض، عبد الجليل. اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي. الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع 2003م. دط.
- مرتاض، عبد الجليل. التحولات الجديدة للسانيات التاريخية. الجزائر، دار هومه، 2005م. دط.
- مرتاض، عبد الجليل. العربية بين الطبع والتطبيع، (دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت. دط.
- مرجان، رادية. المعاجم اللسانية المعاصرة: دراسة مقارنة. الجزائر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري تيزي وزو، دت.
- المرصعي، سعد. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. الكويت دار القلم، 1408هـ-1988م. ط1.
- المطرودي، عبد الرحمن بن إبراهيم. الأحرف القرآنية السبعة. الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر 1411هـ-1991م. ط1.
- المقداد، محمود. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. الكويت، عالم المعرفة، 1992م. دط.
- منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، مناهج المستشرقين في الدراسات

- العربية الإسلامية، ج2، 1985، تونس، 1985م.
- الموسى، نهاد. اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحوّل. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1428هـ-2007م. ط1.
- النبهان، محمد فاروق. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1433هـ-2012م. دط.
- بن نبي، مالك. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. بيروت، مطابع دار الكتب 1388هـ-1969م. ط1.
- نذير، محمد. مستشرقون: سياسيون-جامعيون مجتمعيون. المملكة العربية السعودية، مكتبة الصديق 1408هـ-1988م. ط1.
- نصري، أحمد. آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية. المغرب، دار القلم للطباعة والنشر، 2000م. ط1.
- النملة، علي بن إبراهيم. مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف. الرياض مطبوعات الملك فهد الوطنية، 1993م. دط. السلسلة الثانية.
- النملة، علي بن إبراهيم. نقد العقل المعاصر: صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. دمشق، دار الفكر، 2008م. دط.
- الهاشمي بكوش، فاطمة. نشأة الدرس اللساني العربي الحديث: دراسة في النشاط اللساني العربي. القاهرة إيتراك للطباعة والنشر، 2004م. ط1.
- الهوريني، أبو الوفاء نصر بن نصر يونس الوفاي. المطالع النصيرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية. أصول الكتابة والإملاء. القاهرة، مكتبة السنة، 1426هـ-2005م. ط1.
- وافي، عبد الواحد. علم اللغة. القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، 2004م. ط9.
- الودغيري، عبد العلي. المعجم في المغرب العربي إلى بداية الرابع عشر الهجري. المغرب، مطبعة النّجاح الجديدة، 1429هـ-2008م. ط1.
- ياقوت، محمود سليمان. منهج البحث اللغوي. القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2000م. ط1.
- يحياتن، محمد. دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، 2005م. دط.
- الدوريات والمجلات:**
- ابن شنب، محمد. "الألفاظ التركية والفارسية الباقية في عامية الجزائر"، قسم من أطروحة دكتوراه، تر: عبيد عبد الرزاق. في مجلة اللغة والأدب، الجزائر، 1429هـ-2008م.
- احمامو، عبد العالي. "اللهجات العربية في الفكر الاستشراقي". في مجلة دراسات استشرافية. العراق

- المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2018م. ع15.
- أحمد خليل إسماعيل، عبد الله. "قراءة جديدة في قضية الدّعوة إلى العامية". مجلة الجامعة الإسلامية المجلّد الخامس، العدد الثاني، يونيه 1997م.
- بركات، عمار. "سؤال الإيديولوجيا والدراسات الاستشراقية الأنثروبولوجية في الجزائر: أنموذجان ألفرد بل وبيار بورديو". وزارة الثقافة، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المديّة من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المديّة، شيكو للطباعة والنّشر، 2015م.
- البقاعي، محمد خير محمود. "آراء المستشرقين في نسبة "كتاب العين" إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي غراف دولاسال أنموذجاً"، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج13، ع1، السعودية، 1428هـ.
- البقاعي، محمد خير محمود. "ثقافة النصّ المترجم، الترجمة وتحريف الكلم"، مجلة الدّريّة، السنة السادسة، ع23، رمضان 1424هـ-نوفمبر 2003م.
- بلعيد، صالح. "الفصحى المعاصرة: طعنة أم ضرورة؟". في الندوة الدولية حول الفصحى وعامياتها. " في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ندوة دولية بعنوان: الفصحى وعامياتها: لغة التّخاطب بين التقريب والتّهديب، ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية، يومي 4، 5 يوليو 2007م، 2008م.
- بوحجرة، عبد المالك. "الخطّ المعياري: أداة لتسهيل كتابة اللّغة العربيّة وتعلّمها، الأرشيف العربي العلمي 2018م، جامعة جيجل، 30/05/2020. [researchgate.net/publication/326142377](https://www.researchgate.net/publication/326142377).
- بوحجرة، عبد المالك. الأبجدية الموحدة، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، الجزائر، ع9، 1998م.
- بيلا، شارل. "مشاكل نقل الأصوات اللّغوية". في مجلّة اللّسان العربي. الرابط، المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، 1384هـ-1964م. ع1.
- التازي، عبد الهادي. "بين الفصحى والعامية بالمغرب". في مجلة مجمع اللّغة العربية. القاهرة، 1421هـ-2000م. ع89.
- الجميلي، كمال عبد جاسم الصالح. "أثر القرآن الكريم في الخطّ العربي". في مجلة البحوث والدراسات القرآنية. العراق، السنة الخامسة والسادسة، دت. ع9.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. "إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي" العربية الراهن والمأمول. الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 1430هـ-2009. ط1.
- الحماش، خليل إبراهيم. مشكلات الدّلالة في المعجم الثنائي اللّغة (من وجهة النظر العملية). الرابط مكتب تنسيق التعريب، صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية: أبحاث الدّورة التدريبية المنعقدة بالرّباط من: 31 مارس إلى 8 أبريل 1981.
- الحمد. علي توفيق، "نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية".

- في مجلة النجاح للأبحاث، اليرموك، الأردن، كلية الآداب، 2001م. مجلد 15.
- حيدر، محمود. لماذا "الاستغراب"؟. في مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية مكتب بيروت. السنة الأولى، 1436هـ-2015م. ع1.
- خسارة، ممدوح محمد. "نحو مصالحات لغوية ومصارحات". العربية الراهن والمأمول. الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 1430هـ-2009. ط1.
- سعدون، أيثار شوقي. "اللهجات في الدراسات اللغوية العربية". في مجلة كلية التربية الأساسية. العراق الجامعة المستنصرية، 2009م. ع57.
- السليمان، عبد الرحمن. اللغات والكتابات الجزيرية. في مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية مكة المكرمة، 1434هـ-- 2013م ... القسم الثالث: المقالات. ع2.
- الشوربجي، عبد الحليم. "الخلفيات المنهجية في دراسات المستشرقين حول العربية". في المجلة العربية الرياض، 1440هـ-2018م. 265.
- الصراف، علي محمود. "أثر العقيدة في الصناعة المعجمية". في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 2010م. ع28.
- ضيف، شوقي. "كلمة افتتاح المؤتمر: بحوث مؤتمر الدورة الخامسة والستين. في مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة، 1421هـ-2000م. القسم الأول. ع89.
- ضيفلوي، بن محمد. "أندري دي ريبير بين ترجمة القرآن وقرآن الترجمة" في مجلة الحوار المتوسطي مجلة محكمة، مخبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس، الجزائر، 2016. ع11-12.
- طليمات، غازي مختار. "العربية للمستشرق الألماني يوهان فيك عرض ونقد". في مجلة آفاق الثقافة والتراث. دبي الإمارات. 1414هـ-1993م. ع3.
- العادل، مصطفى. "أثر السياسة في اللغة: العربية نموذجا لمقبل بن علي الدّعي". في دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية. السعودية، شتاء وربيع 2020م، العددان 8، 9.
- عباس، حسن. "فطرية العربية على موائد علمائها". في مجلة المعرفة، دمشق، 1997م. السنة 36. ع407.
- عبد العالي، بشير. "إشكالية المعنى في النص المترجم". في التعريب. تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد 2008م. ع 34.
- عبيد، عبد الرزاق. "العربية الفصحى والعامية: متن اللغة لأحمد رضا (أنموذجا)". في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ندوة دولية بعنوان: الفصحى وعامياتها: لغة التّخاطب بين التقريب والتّهديب، ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية، يومي 4، 5 يوليو 2007م، 2008م.

- عبيد، عبد الرزاق. "ترجمة الأمثال والحكم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية: الصعوبات والحلول". عدد خاص، العربية الراهن والمأمول الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 1430هـ-2009م. ط1.
- علي لقم، أحمد علي. "استشراف العربية في ظل معطيات علم اللغة الكوني". في مجلة مداد الآداب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، السعودية، 1409هـ-1989م.
- غازي، زهير زاهد. "جهود العلماء في إصلاح الكتابة العربية". في مجلة الذخائر، مركز تحقيقات العلوم الإسلامي، شتاء 1422هـ-2002م. ع9.
- الغامدي، محمد سعيد صالح ربيع. "الرسم الكتابي طبيعته وإشكالاته واتجاهات إصلاحه". في مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، دت. ع57.
- القاسمي، علي. "لغة الإعلام العربي وعرقلة التنمية البشرية". في مجلة التعريب. دمشق، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، 1438هـ-2016. السنة 21. ع51.
- قدور، أحمد محمد. "مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه العربية". في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. الأردن، جمادى الأولى -شوال 1414هـ كانون الثاني حيران 1994م. ع 46.
- كحيل، سعيدة. "ترجمة الكتاب العربي بين العالمية والعولمة". في الآداب العالمية، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 2013م، السنة الثامنة والثلاثون. ع 154.
- كعوان، فارس. "بن شنب والمشروع الاستشراقي من خلال الإسهام في دائرة المعارف الإسلامية"، وزارة الثقافة، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، شيكو للطباعة والنشر، 2015م.
- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي. قرار تعيين أعضاء المجمع للملك فؤاد الأول. القاهرة، المطبعة الأميرية ببلاط، 1935م. ج 1.
- محفل، محمد. "العربية لغة وكتابة". مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ربع سنوية. السنة الثالثة، مارس 2010، ع7.
- محمد عيد، سعيد. "جهود المستشرقين في مجلة اللسان العربي: دراسة وصفية تحليلية". في مجلة كلية دار العلوم. مصر، 2019م. ع 122.
- المزيني، حمزة بن قبلان. "مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة"، في مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة، 1417هـ-1997م. ع 53.
- الموسى، نهاد. "الفصحى وعامياتها بين تجليات "الكائن" وتصورات "الممكن"، الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة، 4 و5 يونيو

- 2007م، فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة، 2008م.
- ميله، طاهر. "عوامل تقريب العامية من الفصحى (نظرة لغوية اجتماعية)". من وقائع حوار الأفكار العلاقة بين الفصحى والعامية. مجموعة أساتذة. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005م. (سلسلة منشورات الجيب).
- ميله، الطاهر. "الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة". في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ندوة دولية بعنوان: الفصحى وعامياتها: لغة التخاطب بين التقريب والتهديب، ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية، يومي 4، 5 يوليو 2007م، 2008م.
- النويوات، مختار. "بين الفصحى والعامية". من وقائع حوار الأفكار، العلاقة بين الفصحى والعامية. مجموعة أساتذة. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2005م. (سلسلة منشورات الجيب).
- بن هنية، سامية خضرة. "الاستشراق الفرنسي ودراسته للقرآن الكريم". في مجلة الحوار المتوسطي، مجلة محكمة، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس، الجزائر، 2016. ع11-12.
- هيصام، موسى. "محمد بن شنب والمحافل الاستشراقية مؤتمر الجزائر 1905 أنموذجا"، وزارة الثقافة الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، شيكو للطباعة والنشر 2015م.
- وزارة الثقافة والشباب. تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، "الملخص التنفيذي، اللغة العربية: نبض الواقع وحركية التأسيس لمستقبل جديد". الإمارات العربية المتحدة. دت. بتاريخ: 22-10-2021.
- ولد خليفة، محمد العربي. المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية: دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية. الجزائر، منشورات ثالة، 2007م.
- ولد خليفة، محمد العربي. "الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهديب". أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة. 4 و5 يونيو 2007م. فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة. 2008م.
- ولد لعروسي، الطيب. "محمد بن شنب ومسألة الاستشراق"، وزارة الثقافة، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المدية من 7 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، شيكو للطباعة والنشر، 2015م.
- الرسائل الجامعية:**
- بوشان، فتيحة. المعاجم ثنائية اللغة (فرنسي-عربي)، "معجم بيلو"، "المنهل"، "المنجد" نموذجا دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 1999-2000م.

- بولغيتي، مانت. جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللهجات العام، دراسة وصفية. رسالة ماجستير. إشراف: الدكتور قصاصي عبد القادر. الجزائر، جامعة أدرار، 1434هـ-1435هـ/2013-2014م.
- الصيادي، محمد المنجي. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، لبنان. ط5.
- عبيد، عبد الرزاق. الحقول الدلالية في المعاجم العربية: فقه اللغة للثعالبي (أنموذجا). إشراف الدكتور سالم علوي. رسالة دكتوراه دولة. جامعة الجزائر، 2005-2006م.
- عياش شماني، فاطمة. المستشرقون واللغة العربية فانسان مونتاي نموذجا ترجمة ودراسة، دراسة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبيد عبد الرزاق نيابة عن يحياتن محمد. جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2011-2012م.
- فضة، عبد الحميد. دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي معجم دوزي -أنموذجا-، رسالة ماجستير إشراف الدكتور مصطفى عمار. قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، 2014-2015م.
- قاسمي، عبد الناصر. الاستشراق عند إدوارد سعيد. إشراف الدكتور عمر مهيل. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008-2009م.
- قرفة، زينة. المعجم المختص دراسة في المنهج والمادة، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات لمكتب تنسيق التعريب نموذجا. قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف2، 2014-2015م.
- معريش، محمد العربي. الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية (1822-1872). إشراف أبو القاسم سعد الله. أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006-2007م.
- مودر، الجواهر. العلاقة بين المعاجم المدرسية والمفردات في كتب المرحلة الابتدائية السنوات الثلاث الأولى نموذجا. إشراف الدكتور عبد الرزاق عبيد. أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر. 2013-2014م.
- ميله، طاهر. الألفاظ الحضارية الحديثة في العربية بين الوضع والاستعمال (دراسة وصفية تحليلية) أطروحة دكتوراه، إشراف الأستاذين: مسعودي الحواس، وماسون ميشال. الجزائر، جامعة الجزائر. 2001-2002م. ج1.
- اليوبي، خالد محمد حسين. اللغة العربية في الفكر العربي من عصر النهضة إلى عصر العولمة أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور بن ناصر عبد القروي. جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية. 1429-1430هـ.

المعاجم:

- إدريس، سهيل. المنهل قاموس فرنسي-عربي. بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع، 2005م. ط34.

- إقبال، أحمد الشرقاوي. معجم المعاجم. تونس، دار الغرب الإسلامي، 1993م.
- بابتی، عزیزة فوال. المعجم المفصل في النحو العربي. بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية. 1413-1992م. ط1.
- بدوي، عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين. بيروت، دار العلم للملايين، 1993. ط3.
- بديع يعقوب، إميل. معجم الإعراب والإملاء. بيروت، دار العلم للملايين، 1983م. ط1.
- الجوهري، محمد. معجم لغة الحياة اليومية. القاهرة، مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي، مشروع توثيق التراث الشعبي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2007م.
- الحمد، علي توفيق، الزغبی، يوسف جميل. المعجم الوافي في أدوات النحو العربي. الأردن، دار الأمل 1414هـ-1993م. ط2.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت، دار صادر، دت. مج3.
- دوزي، رينهارت. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل. لبنان، الدار العربية للموسوعات، 1433-2012. ط1.
- ريغ، دانيال. السبيل الوسيط معجم عربي-فرنسي. باريس، لاروس، 1987م. دط.
- ابن فارس، الحسين أحمد بن زكريا (395هـ). معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون. سوريا، دار الفكر، 1399هـ-1979م. دط. ج5.
- الفهري، عبد القادر الفاسي والعمري، نادية. معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي، فرنسي، عربي). الرباط، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2007. دط.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط: مرتب ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف. القاهرة، دار الحديث، 1429هـ-2008م. دط.
- القريدي، عبد العالم محمد. معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، عربي-فرنسي مع مقدمة في علم المعجمات والمصطلح العلمي والتعريف. بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، 1433هـ-2012م. دط.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت مؤسسة الرسالة ناشرون، 1419هـ-1998م. ط2.
- مبارك، مبارك. معجم المصطلحات فرنسي-إنكليزي-عربي. بيروت، دار الفكر اللبناني، 1995. ط1.
- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مصر، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ-2004م. ط4.
- محمد داود، محمد. المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين: خلاصة مستفادة من هانس فير"، و"رينهارت دوزي"، و"إدوارد لين. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 2006م. ط1.

- المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات. عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. مع مقدمة في علم المصطلح. تونس، الدار العربية للكتاب، دت. دط.
- مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي-فرنسي-عربي). الدار البيضاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مطبعة النجاح، سلسلة المعاجم الموحدة رقم 1، 2002م. دط.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي. لسان العرب. القاهرة دار المعارف، دت. دط.
- يحي، مراد، معجم أسماء المستشرقين، دب، دت. دط: www.kotobarabia.com بتاريخ: 2015-01-05م.

المواقع الإلكترونية:

- إبراهيم صحراوي يحاور رجل الاستشراق دانيال ريغ، جريدة الفجر، بتاريخ: 2012-08-17م. <http://www.djazairress.com/alfadjr/222714/25/09/2014>
- الشربيني، سعيد. اللغة العربية أم اللغات بأدلة قاطعة. (أستاذ باحث في جامعة لندن). شوهو بتاريخ: 2021-11-27م. في: www.youtube.com/watch?v=01o0-nkyLCs&list=2
- الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج. الفرق بين اللهجة والعامية. مؤسس مجمع اللغة العربية الافتراضي. عميد كلية اللغة العربية. الجامعة الإسلامية. بتاريخ: 2020/08/18م.
- الصالح، محمد. أسرار الحروف وأسمائها. www.youtube.com/watch?v=djsJ1a3Lzz
- الصاوي، محمد سعيد إسماعيل. ملخص الكتابة العربية بالحروف اللاتينية: الأبعاد التربوية والسياسية. عضو الرابطة الأمريكية لأساتذة العربية. ketabonline.com/ar/books/24719. بتاريخ: 2019-12-17م.
- النجار، زغلول. الآيات الكونية في القرآن الكريم. رئيس لجنة الإعجاز العلمي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. www.youtube.com/watch?v=f2-GPV84Ydk
- النجار، زغلول. اللغة العربية أصل اللغات. بتاريخ 2021-11-27م. www.youtube.com/watch?v=qlxcamYqREM
- مازن المبارك، الفرق بين اللغة واللهجة، www.youtube.com/watch?v=GvJ3CjWwmCo

المراجع باللغة الفرنسية:

Livres:

- Association française des arabisants, Dix ans de recherche universitaire française sur le monde arabe et islamique de 1968-69 à 1979, publié avec le concours du ministère de l'éducation nationale et du ministère des relations extérieures, édition recherche sur les civilisations, paris, 1982.
- Blachère, Régis, le coran (al-qor'ân) traduction, G.P .Maisonneuve, Larose éditeurs, 1966.
- Cantineau, Jean. Cours de phonétique Arabe. Paris, librairie, klincksieck, 1960.
- Cherbonneau, Auguste. Anecdote musulmanes texte arabe, cours d'arabe élémentaire, suivi d'un dictionnaire analytique, paris, Alger, 1847. www.books.openedition.org/enseditions/3730?lang=fr/7/4/2020.
- Béjoint, Henri et autres. Les dictionnaires bilingues, Duclot, 1996.
- Bohas, Georges, Guillaume, Jean-Patrick. Etude des théories des grammairiens arabes : morphologie et phonologie. Damas, institut français de Damas, 1984.
- Fleisch, Henri. Traité de philologie Arabe, vol. II pronoms, morphologie verbale, particule. Beyrouth, Dar El-Macheq, 1979.
- Franjié, Lynne. La traduction dans les dictionnaires bilingues. France, collection parallèles, 2009. books. Google. dz copyright.moncoinlivresque.fr 10/04/2020
- Galisson, Robert. Lexicologie et enseignement des langues (essais méthodologiques). Paris. HACHETTE.
- Guidère, Mathieu. Grammaticalement correct ! Grammaire alphabétique de l'arabe. Paris, ellipses édition marketing, 2001.
- Guidère, Mathieu. Je parle arabe, niveau 1, Paris, ellipses édition marketing, 2004.
- Guidère, Mathieu. La traduction arabe méthode et applications, ellipses édition marketing, 2005.
- Guidère, Mathieu. Manuel de traduction, français-arabe. Arabe -français, Paris, ellipses édition marketing, 2018.
- Hamm, Roberto pour une typographie arabe, contribution technique à la démocratisation de la culture arabe. Paris, Sindbad, 1975.
- institut du monde arabe, Bibliothèque, catalogue des publications, Paris, septembre 2009.
- institut du monde arabe. Mille et un livres sur le monde arabe, catalogue d'ouvrages de recherche et de documentation édités en France, paris. 1989.
- Kazimir ski, Le Koran, traduction nouvelle, faite sur le texte Arabe, charpentier. Paris, libraire-éditeur.1844.
- L'abbé Leguest, M. y-a-il ou n'y-a-il pas un arabe vulgaire en Algérie? Paris , librairie de benjamin Duprat, librairie de l'institut de la bibliothèque impériale, 1858.

- Le Bon, Gustave. La Civilisation des Arabes, Casbah éditions, Alger, 2009.
- Le comte, Gérard. Grammaire de l'arabe, que sais je? paris, presse universitaire de France, 1976. 7^{ème} édition.
- Lucas, Philippe et Vatin, Jean-Claude. L'Algérie des anthropologues. paris, librairie François Maspero, 1982.
- Mardam, Farouk -bey, Roselyne du parc Locmaria. mille et un livres sur le monde arabe, catalogue d'ouvrages de recherche et de documentation. édités en France, institut du monde arabe, 1989.
- Matore, Georges. La méthode en lexicologie. Paris, librairie marcel Didier, 1953.
- Pellat, Charles. Introduction à l'arabe moderne. Paris, librairie d'Amérique et d'Orient, 1974.
- Pellat, Charles. Langue et littérature arabes. Paris, librairie Armand Colin, 1970.
- Perrot, Jean. La linguistique. Paris. Collection, que sais-je . 1953.
- Pruvost, Jean. Nos Ancêtres Les arabes : ce que notre langue leur doit.. Paris, JC Lattès, 2017. file:///C:/Users/mp/Downloads/Pruvost%20...pdf.
- Quitout, Michel. parlons l'arabe dialectal Marocain. le Harmattan, 2001.
- Quitout, Michel. parlons l'arabe dialectal tunisien. Le Harmattan, 2005.
- Reig, Daniel. أنعم العربية, Manuel d'arabe moderne, lehrbuch fur neu-arabisch hand book for modern arabic. Paris, Maisonneuve et Larose, 1981. 2^e édition.
- Reig, Daniel. Homo orientaliste. Paris, Maisonneuve et la rose, 1984.
- Renan, E. Histoire et système comparé des langues sémitiques, 1^{er} édition.
- Rey, Alain. De l'artisanat du dictionnaire à une science du mot. Paris Armand Colin, 2002.
- De Saussure, Ferdinand. Cours de linguistique générale. Alger, ENAG Edition, 1994. 2^{em} édition.
- Szende, Thomas Le Français dans les dictionnaires bilingues, Amr Helmy Ibrahim, de la synonymie à la traduction ou comment améliorer les dictionnaires bilingues Arabe. Paris, honor champion. 2006.
- Walter, Henriette et Baraké, Bassam. Arabesque l'aventure de la langue arabe en occident. Paris, Robert Laffont, Édition du temps, 2008.

Articles :

- Cherbonneau, Auguste. nouvelles observations, le dialecte arabe de l'Algérie, extrait n°8 de l'année 1861 du journal asiatique.
- Gaudin François et Mahtout Mahfoud. histoire culturelle et linguistique des dictionnaires bilingues en Algérie pendant la période coloniale : 1830-1930. synergies argentine, 2013. n2. <https://gerflint.fr/Base/Argentine2/gaudin.pdf> 07/05/2020.
- Hachemi, Afagh Hamed. « La lexicographie bilingue d'apprentissage : Le cas des dictionnaires français-persan », Appropriation et transmission des langues et des cultures du monde : Actes du Séminaire Doctoral International. 2012.
- Institut du monde arabe, L'institut Du Monde Arabe : Fete ses 30 ans en lumière,

une histoire exceptionnelle, 2017. <https://balises.bpi.fr/1987-2017-linstitut-du-monde-arabe-fete-ses-30-ans>.

-Institut National des Langues et des Civilisations Orientales–PARIS.<https://www.soas.ac.uk/clp/plidamdoctoralseminarproceedings2012/file116376.pdf>

- Larcher, Pierre « AL-Lugha al-fuḥṣā : archéologie d'un concept « idéolinguistique », revue des mondes musulman et de la méditerranée, 124, novembre 2008, Langues et religion et modernité dans l'espace musulman, université de Provence, Journal.openedition.org/remmm/6035. Le 29/05/2020.

- Mahtout, Mahfoud et Delavigne, Valérie. Sens et interprétation du mot justice dans un corpus de dictionnaire bilingues de la période coloniale en Algérie.

- Petrequin, Gilles et Swiggers Pierre. La métalexigraphie. Contours et perspectives d'une (sous)discipline. In: L'Information Grammaticale, N114, 2007. pp. 710. http://www.persee.fr/doc/igram_02229838_2007_num_114_1_4443 Document généré le 15/12/2015.

- société historique Algérienne. revue Africaine. Alger, faculté des lettres (institut de géographie), 1955. volume 99

- Lewino, Frédéric. Nous sommes tous des Arabes ! Modifié le 05/02/2012 à 10h28. www.lepoint.fr/sciences-nature/histoire-de-l-homme-nous-sommes-tous-des-arabes-27-01-2012-1424481_1924.php. (Parue dans American Journal of Human Genetic).

-www.bibliomonde.com/auteur/michelquitout152.htm .2017 /8/ 9.

-www.diploweb.com/MathieuGUIDERE.html45,8 2019/10/7 Biographie. www.persee.fr/doc/inrp_02985632_1997_ant_13_1_6722

Thèses :

-Bilane, Pétra. Manuscrits syriaques Contributions à l'indexation et à la reconnaissance des manuscrits syriaque. Thèse doctorat. Directeur de thèse : HUBERT EMPTOZ. Paris, institut national des sciences Appliquées de Lyon. 2010.

- Corbier, François. les écoles « françaises » de TiziOuzou émigration, politique et francité en ALGERIE, thèse de doctorat. Université d'Aix –Marseille université Provence, décembre 2011.

- Hamdi, Rym. la variation rythmique dans les dialectes arabes, Paris, université Lumière Lyon 2, thèse de doctorat, 2007.

- Sabhan, Rabiha AL-BAIDHAWE. La place de la Langue ARABE en France : L'exemple de la ville de Poitiers. Thèse doctorat, la direction de professeur Kadri Aïssa, université paris 8. 2007.

- Vittorini, Valerio. L'image du monde Arabe dans la littérature française et

italienne du XIX^e siècle, Analogies, différences, possible influences. Doctorat, directrice Gannier Odile, directeur Verdi no, Stefano. Université Nice Sophia Antipolis, France, 2015.

Dictionnaires :

- Belot.J.s.t, Dictionnaire, Français-Arabe.Beyroth, imprimerie catholique, 1913. 4^{em} édition, première partie.
- BERCHER, Léon Lexique Arabe- Français avec Index Français-Arabe. Correspondant, contribution à l'étude de l'arabe moderne. Alger, les éditions Jules carbonel. 1953.
- Bureau des études et recherches, F .L.ALWAN et G.L.SIMON, M.SAID, dictionnaire Français-Arabe, قاموس فرنسي-عربي, dictionnaire général linguistique, technique et scientifique, 2^{ème} édition, Dar Al-kotob Al-ilmiyah, Beyrouth-Liban, 2004.
- Caplat, Guy. PÉRÈS (Henri, Antoine). In l'inspection générale de l'instruction publique au XXe siècle. Dictionnaire biographique des inspecteurs généraux et des inspecteurs de l'Académie de Paris, 1914-1939. Paris : Institut national de recherche pédagogique, 1997.
- Dozy, R.supplément aux dictionnaires arabes. Leyde, E.J .Brill, 1881.
- Ghislaine Stora, et autres. Dictionnaire Hachette, paris, édition 2007.
- Guidère, Mathieu et autres, كلمات le vocabulaire arabe, Ellipses édition marketing, 2003.
- Hal bout, Dominique et Schmidt, Jean-Jacques. l'arabe. Paris, collection sans peine, Assimil, 2006.
- Kazimerski, A.De. Biberstein. قاموس اللغتين العربيتين و الفرنسية Dictionnaire Arabe-Français..., tome premier (ص-ا). Beyrouth, librairie du liban, 1860.
- Moreau, Marie-Louise. Sociolinguistique concepts de base. Belgique, MARDAGA.

الفهرس

كلمة شكر

إهداء

مقدمة: أ

تمهيد: الاستشراق والمستشرقون: تحديدات مصطلحية، النشأة، مواقف الباحثين العرب . 1

1- الاستشراق والمستشرقون: 1

2- دوافع الاستشراق ومراحله: 12

3- موقف الباحثين العرب من الاستشراق: 19

الفصل الأول:

اللغة العربية وأهم قضاياها قديما وحديثا

المبحث الأول: اللغة العربية: بين الدراسة والاستعمال 27

1- تعريف اللغة العربية الفصحى 47

2- مستويات تحليل اللغة العربية 58

3- مستويات اللغة العربية (الممارسات اللغوية) 64

المبحث الثاني: العامية وامتداداتها المعاصرة 70

1- الفرق بين العامية واللهجة واللغة 70

2- الدعوة إلى العامية عبر التاريخ 87

3- الدراسات الحديثة للهجات 94

المبحث الثالث: اللغة العربية بين دعاة الخط العربي والخط اللاتيني 105

1- الخط والكتابة العربية 106

2- الدعوة إلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني 121

3- إصلاح الكتابة العربية قديما وحديثا 127

الفصل الثاني:

أثر مناهج المستشرقين وأعمالهم في العالم الإسلامي العربي

المبحث الأول: أثر المناهج الاستشراقية في العربية وباحثيها 148

1- المستشرقون واللغة العربية	149
2- اللغة العربية ومناهج المستشرقين:	157
3- أثر المناهج الغربية في الباحثين العرب:	167
المبحث الثاني: المعاجم الثنائية العربية في ضوء الاستشراق	183
1- المعجم الثنائي العربي وأهمّ قضاياه	183
2- المعجم العربي بين المستشرقين والعرب	208
3- الدراسات المعجمية الحديثة في ضوء معاجم المستشرقين	223
المبحث الثالث: الاستشراق الفرنسي وأثره في العالم الإسلامي العربي	234
1- الاستشراق الفرنسي بين الماضي والحاضر	234
2- الاستشراق الفرنسي في الجزائر	252
3- الاستشراق الفرنسي وأثره في العالم الإسلامي العربي	281
الفصل الثالث:	

المعاجم الثنائية الفصيحة ذات الترتيب الألفبائي

المبحث الأول: تحليل معجم أوغست شربونو (اللغة الكتابية)	302
1- التعريف بمعجم شربونو	304
2- قضايا الجمع في المعجم	310
3- قضايا الوضع في المعجم	315
4- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية	339
المبحث الثاني: قضايا الجمع في معجم المستشرق دانيال ريغ (عربي-فرنسي)	348
1- التعريف بمعجم دانيال ريغ	352
2- المداخل في المعجم	361
3- المستويات اللغوية في المعجم	364
المبحث الثالث: قضايا الوضع في المعجم	376
1- الترتيب في المعجم	376
2- قضايا التعريف في المعجم	385
3- مستويات التحليل اللغوي في المعجم	392
المبحث الرابع: اللغة العربية في أعمال المستشرق دانيال ريغ	406

1- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث المستويات اللغوية 406

2- رؤية المستشرق إلى اللغة العربية من حيث نظام الكتابة 412

الفصل الرابع:

المعاجم الثنائية الفصيحة المرتبة دلاليا

المبحث الأول: تحليل معجم شارل بيلا (العربية الحية) 417

1- التّعرّيف بالمعجم 419

2- قضايا الجمع في المعجم 425

3- قضايا الوضع في المعجم 436

4- اللغة العربية في أعمال المستشرق شارل بيلا 447

المبحث الثاني: تحليل معجم لغة اليوم لجيدر 454

1- التّعرّيف بمعجم جيدر 458

2- قضايا الجمع في المعجم 464

3- قضايا الوضع في المعجم 478

4- اللغة العربية في أعمال المستشرق ماثيو جيدر 487

المبحث الثالث: تحليل قاموس اللّسن للمستشرق ميشيل قيطوط 493

1- تعريف القاموس الصّغير لمصطلحات علوم اللّغة (قاموس اللّسن) 494

2- قضايا الجمع في المعجم 501

3- قضايا الوضع في المعجم 515

4- اللغة العربية في عمل المستشرق ميشيل قيطوط 535

الفصل الخامس:

المعاجم الثنائية العربية العامية

المبحث الأول: تحليل معجم المفردات الأساسية للعربية الجزائرية والصّحراوية للمستشرقين

هنري بيريس وبول مانيون 542

1- التّعرّيف بمعجم المفردات الأساسية للعربية الجزائرية والصّحراوية 544

2- قضايا الجمع في المعجم 547

3- قضايا الوضع في المعجم 573

4- اللغة العربية في عمل المستشرقين 581

المبحث الثاني: تحليل معجم مدخل إلى العربية المغاربية لميشيل قيطوط.....	586
1-التعريف بالمعجم	586
2-قضايا الجمع في المعجم.....	590
3- قضايا الوضع في المعجم.....	598
4- اللغة العربية في أعمال المستشرق ميشيل قيطوط.....	621
المبحث الثالث: تحليل معجم الجيب للعربية الجزائرية.....	630
1-التعريف بالمعجم	630
2-قضايا الجمع في المعجم.....	635
3- قضايا الوضع في المعجم.....	648
4- اللغة العربية في عمل المستشرق دانيال كرزا	669
المعطيات اللغوية وغير اللغوية في المدونة	674
خاتمة	698
المصادر والمراجع.....	703
الفهرس	725
الملاحق	729

الملاحق

تعالج من معجم شرياني

1990	1991
1992	1993
1994	1995
1996	1997
1998	1999
2000	2001
2002	2003
2004	2005
2006	2007
2008	2009
2010	2011
2012	2013
2014	2015
2016	2017
2018	2019
2020	2021
2022	2023
2024	2025
2026	2027
2028	2029
2030	2031
2032	2033
2034	2035
2036	2037
2038	2039
2040	2041
2042	2043
2044	2045
2046	2047
2048	2049
2050	2051
2052	2053
2054	2055
2056	2057
2058	2059
2060	2061
2062	2063
2064	2065
2066	2067
2068	2069
2070	2071
2072	2073
2074	2075
2076	2077
2078	2079
2080	2081
2082	2083
2084	2085
2086	2087
2088	2089
2090	2091
2092	2093
2094	2095
2096	2097
2098	2099
2100	2101
2102	2103
2104	2105
2106	2107
2108	2109
2110	2111
2112	2113
2114	2115
2116	2117
2118	2119
2120	2121
2122	2123
2124	2125
2126	2127
2128	2129
2130	2131
2132	2133
2134	2135
2136	2137
2138	2139
2140	2141
2142	2143
2144	2145
2146	2147
2148	2149
2150	2151
2152	2153
2154	2155
2156	2157
2158	2159
2160	2161
2162	2163
2164	2165
2166	2167
2168	2169
2170	2171
2172	2173
2174	2175
2176	2177
2178	2179
2180	2181
2182	2183
2184	2185
2186	2187
2188	2189
2190	2191
2192	2193
2194	2195
2196	2197
2198	2199
2200	2201
2202	2203
2204	2205
2206	2207
2208	2209
2210	2211
2212	2213
2214	2215
2216	2217
2218	2219
2220	2221
2222	2223
2224	2225
2226	2227
2228	2229
2230	2231
2232	2233
2234	2235
2236	2237
2238	2239
2240	2241
2242	2243
2244	2245
2246	2247
2248	2249
2250	2251
2252	2253
2254	2255
2256	2257
2258	2259
2260	2261
2262	2263
2264	2265
2266	2267
2268	2269
2270	2271
2272	2273
2274	2275
2276	2277
2278	2279
2280	2281
2282	2283
2284	2285
2286	2287
2288	2289
2290	2291
2292	

Report on the findings of the
investigation into the
North American continent 1981

1949-50: 1st Annual Conference of the American Society of Plant Pathologists, Washington, D.C.

November 2001

11/11/11

فانما هو الذي

1882-1883

(A882 - A813)

62

8

1. *Chlorophyll a*
 2. *Chlorophyll b*
 3. *Chlorophyll c*
 4. *Chlorophyll d*
 5. *Chlorophyll e*
 6. *Chlorophyll f*
 7. *Chlorophyll g*
 8. *Chlorophyll h*
 9. *Chlorophyll i*
 10. *Chlorophyll j*
 11. *Chlorophyll k*
 12. *Chlorophyll l*
 13. *Chlorophyll m*
 14. *Chlorophyll n*
 15. *Chlorophyll o*
 16. *Chlorophyll p*
 17. *Chlorophyll q*
 18. *Chlorophyll r*
 19. *Chlorophyll s*
 20. *Chlorophyll t*
 21. *Chlorophyll u*
 22. *Chlorophyll v*
 23. *Chlorophyll w*
 24. *Chlorophyll x*
 25. *Chlorophyll y*
 26. *Chlorophyll z*
 27. *Chlorophyll aa*
 28. *Chlorophyll ab*
 29. *Chlorophyll ac*
 30. *Chlorophyll ad*
 31. *Chlorophyll ae*
 32. *Chlorophyll af*
 33. *Chlorophyll ag*
 34. *Chlorophyll ah*
 35. *Chlorophyll ai*
 36. *Chlorophyll aj*
 37. *Chlorophyll ak*
 38. *Chlorophyll al*
 39. *Chlorophyll am*
 40. *Chlorophyll an*
 41. *Chlorophyll ao*
 42. *Chlorophyll ap*
 43. *Chlorophyll aq*
 44. *Chlorophyll ar*
 45. *Chlorophyll as*
 46. *Chlorophyll at*
 47. *Chlorophyll au*
 48. *Chlorophyll av*
 49. *Chlorophyll aw*
 50. *Chlorophyll ax*
 51. *Chlorophyll ay*
 52. *Chlorophyll az*
 53. *Chlorophyll aza*
 54. *Chlorophyll abz*
 55. *Chlorophyll aca*
 56. *Chlorophyll acb*
 57. *Chlorophyll acc*
 58. *Chlorophyll acd*
 59. *Chlorophyll ace*
 60. *Chlorophyll acf*
 61. *Chlorophyll acg*
 62. *Chlorophyll ach*
 63. *Chlorophyll aci*
 64. *Chlorophyll acj*
 65. *Chlorophyll ack*
 66. *Chlorophyll acl*
 67. *Chlorophyll acm*
 68. *Chlorophyll acn*
 69. *Chlorophyll aco*
 70. *Chlorophyll acp*
 71. *Chlorophyll acq*
 72. *Chlorophyll acr*
 73. *Chlorophyll acs*
 74. *Chlorophyll act*
 75. *Chlorophyll acu*
 76. *Chlorophyll acv*
 77. *Chlorophyll acw*
 78. *Chlorophyll acx*
 79. *Chlorophyll acy*
 80. *Chlorophyll acz*
 81. *Chlorophyll azaa*
 82. *Chlorophyll abzab*
 83. *Chlorophyll acaab*
 84. *Chlorophyll acbab*
 85. *Chlorophyll accab*
 86. *Chlorophyll acdab*
 87. *Chlorophyll aceab*
 88. *Chlorophyll acfab*
 89. *Chlorophyll acgab*
 90. *Chlorophyll achab*
 91. *Chlorophyll aciab*
 92. *Chlorophyll acjab*
 93. *Chlorophyll ackab*
 94. *Chlorophyll aclab*
 95. *Chlorophyll acmab*
 96. *Chlorophyll acnab*
 97. *Chlorophyll acoab*
 98. *Chlorophyll acpab*
 99. *Chlorophyll acqab*
 100. *Chlorophyll acrab*
 101. *Chlorophyll acsab*
 102. *Chlorophyll actab*
 103. *Chlorophyll acub*
 104. *Chlorophyll acvab*
 105. *Chlorophyll acwab*
 106. *Chlorophyll acxab*
 107. *Chlorophyll acyab*
 108. *Chlorophyll aczab*
 109. *Chlorophyll azaab*
 110. *Chlorophyll abzab*
 111. *Chlorophyll acaab*
 112. *Chlorophyll acbab*
 113. *Chlorophyll accab*
 114. *Chlorophyll acdab*
 115. *Chlorophyll aceab*
 116. *Chlorophyll acfab*
 117. *Chlorophyll acgab*
 118. *Chlorophyll achab*
 119. *Chlorophyll aciab*
 120. *Chlorophyll acjab*
 121. *Chlorophyll ackab*
 122. *Chlorophyll aclab*
 123. *Chlorophyll acmab*
 124. *Chlorophyll acnab*
 125. *Chlorophyll acoab*
 126. *Chlorophyll acpab*
 127. *Chlorophyll acqab*
 128. *Chlorophyll acrab*
 129. *Chlorophyll acsab*
 130. *Chlorophyll actab*
 131. *Chlorophyll acub*
 132. *Chlorophyll acvab*
 133. *Chlorophyll acwab*
 134. *Chlorophyll acxab*
 135. *Chlorophyll acyab*
 136. *Chlorophyll aczab*
 137. *Chlorophyll azaab*
 138. *Chlorophyll abzab*
 139. *Chlorophyll acaab*
 140. *Chlorophyll acbab*
 141. *Chlorophyll accab*
 142. *Chlorophyll acdab*
 143. *Chlorophyll aceab*
 144. *Chlorophyll acfab*
 145. *Chlorophyll acgab*
 146. *Chlorophyll achab*
 147. *Chlorophyll aciab*
 148. *Chlorophyll acjab*
 149. *Chlorophyll ackab*
 150. *Chlorophyll aclab*
 151. *Chlorophyll acmab*
 152. *Chlorophyll acnab*
 153. *Chlorophyll acoab*
 154. *Chlorophyll acpab*
 155. *Chlorophyll acqab*
 156. *Chlorophyll acrab*
 157. *Chlorophyll acsab*
 158. *Chlorophyll actab*
 159. *Chlorophyll acub*
 160. *Chlorophyll acvab*
 161. *Chlorophyll acwab*
 162. *Chlorophyll acxab*
 163. *Chlorophyll acyab*
 164. *Chlorophyll aczab*
 165. *Chlorophyll azaab*
 166. *Chlorophyll abzab*
 167. *Chlorophyll acaab*
 168. *Chlorophyll acbab*
 169. *Chlorophyll accab*
 170. *Chlorophyll acdab*
 171. *Chlorophyll aceab*
 172. *Chlorophyll acfab*
 173. *Chlorophyll acgab*
 174. *Chlorophyll achab*
 175. *Chlorophyll aciab*
 176. *Chlorophyll acjab*
 177. *Chlorophyll ackab*
 178. *Chlorophyll aclab*
 179. *Chlorophyll acmab*
 180. *Chlorophyll acnab*
 181. *Chlorophyll acoab*
 182. *Chlorophyll acpab*
 183. *Chlorophyll acqab*
 184. *Chlorophyll acrab*
 185. *Chlorophyll acsab*
 186. *Chlorophyll actab*
 187. *Chlorophyll acub*
 188. *Chlorophyll acvab*
 189. *Chlorophyll acwab*
 190. *Chlorophyll acxab*
 191. *Chlorophyll acyab*
 192. *Chlorophyll aczab*
 193. *Chlorophyll azaab*
 194. *Chlorophyll abzab*
 195. *Chlorophyll acaab*
 196. *Chlorophyll acbab*
 197. *Chlorophyll accab*
 198. *Chlorophyll acdab*
 199. *Chlorophyll aceab*
 200. *Chlorophyll acfab*
 201. *Chlorophyll ac*

نماذج من معجم هنري بيريس وبول مانغون

٤٩٢٠٣
٢٤٢

Collection de l'Ecole Pratique d'Etudes Arabes d'Alger

N° 23

Vocabulaire de base de l'arabe dialectal algérien et saharien

ou

Mille et un mots d'usage courant

chez les Arabophones de l'Algérie et du Sahara :

mots-outils, glossaire français-arabe et glossaire
arabe-français, en caractères arabes et en transcription

par

Henri PIERES

Professeur à la Faculté des
Lettres et Sciences Humaines
d'Alger

Paul MANGION

Professeur au Lycée Gaudier
à Alger



ALGER

La Maison des Livres

12, rue Dumont-d'Urville, Alger

1980 H./1961 J.-C.

LAROUSSE

Arabe

DICTIONNAIRE

Pour mieux maîtriser l'arabe

- 200 000 mots, expressions et traductions
- Classement des mots selon l'ordre alphabétique des racines arabes
- Un dictionnaire de version : arabe-français
- 45 000 expressions

Avec un éclairage pédagogique sur les formes des mots arabes

- De la racine au mot
- Toutes les formes des mots arabes

inclus

- Un précis de grammaire
- Un index français-arabe
- La vocalisation complète des mots arabes

29,90 €



55-9874

9 782035 842176

DICTIONNAIRE COMPACT PLUS

LAROUSSE

DICTIONNAIRE

Arabe

LAROUSSE

Arabe

DICTIONNAIRE

Arabe
—
Français

200 000 mots,
expressions
et traductions

inclus

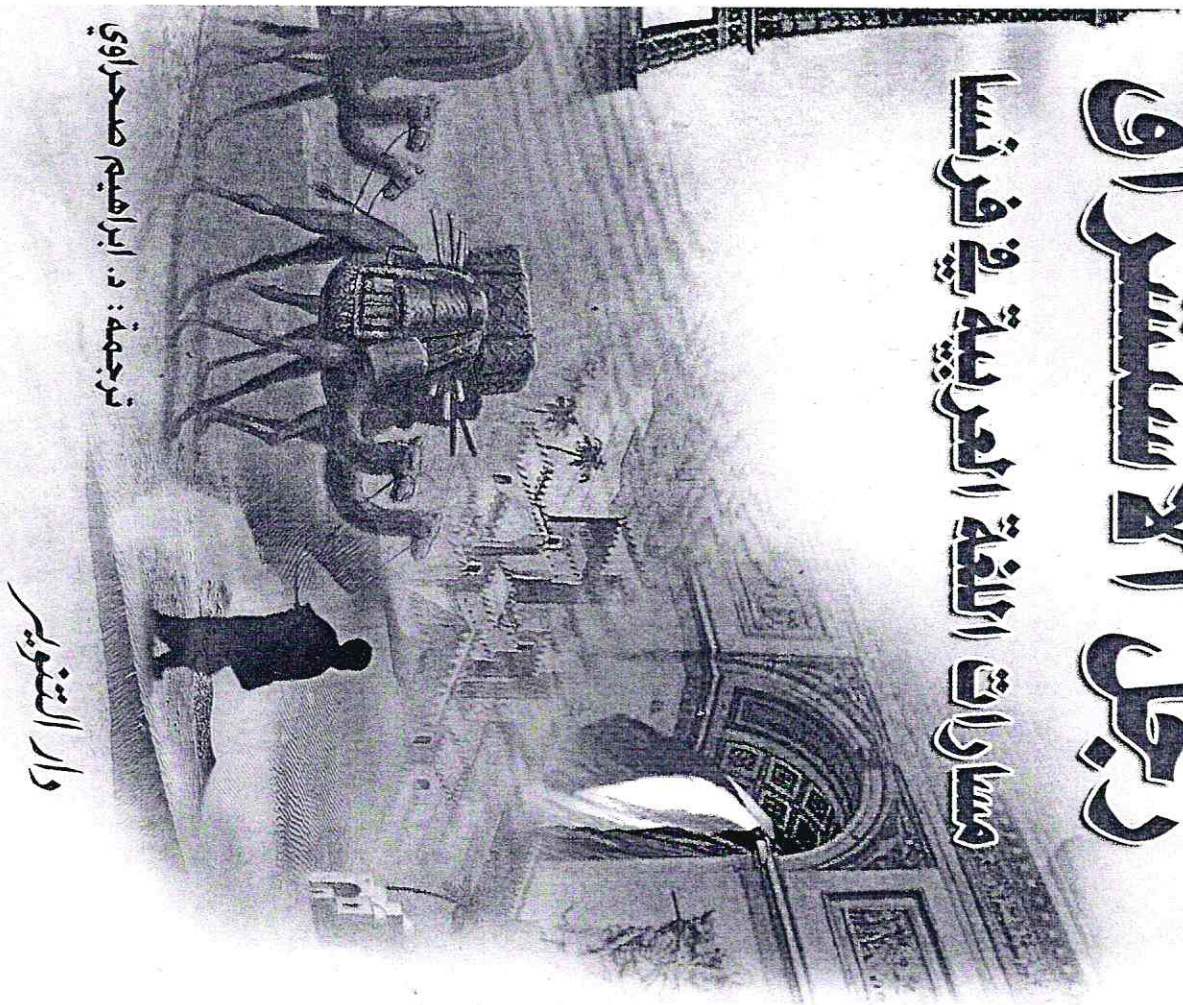
- Un précis de grammaire
- Un index français-arabe
- La vocalisation complète des mots arabes

DICTIONNAIRE COMPACT PLUS

دانيال رينغ

رجل الاستشراق

مساومات اللغة العربية في فرنسا



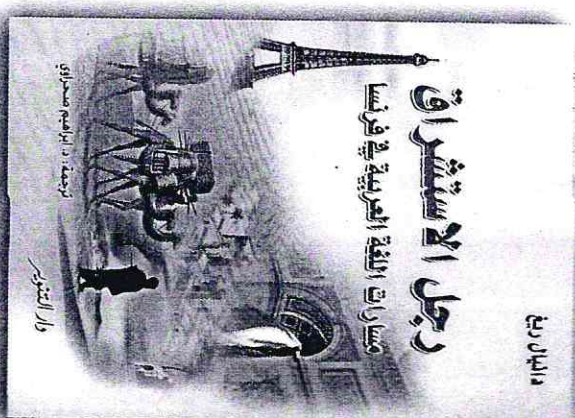
ترجمة: د. ابراهيم صحرأوي

دار التنوير

دانيال رينغ

رجل الاستشراق

دار التنوير



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة 2008

igue *bilingue de l'arabe d'aujourd'hui* est un répertoire de plus de mots et expressions regroupés par thèmes et catégories sémantiques, et accompagnés de phrases tradues illustrant leur usage. Il est destiné aussi bien aux élèves de l'enseignement secondaire qu'aux étudiants du premier cycle universitaire, DEUG et BTS, listes et passionnés de la langue arabe, LCE et LFA. Son objectif est de mettre aussi bien une consultation ponctuelle qu'un apprentissage rigoureux.

ment issu d'une analyse approfondie du vocabulaire de la presse et de la littérature, le *Lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui* est un outil de travail d'utilisation et de résolution pratique. Il couvre les domaines de l'actualité ainsi que le vocabulaire utile à la formation orale et écrite : économie, politique, société, culture, etc.

ge est destiné à l'apprentissage de l'arabe littéral moderne. Pour il veut s'initier au langage de la presse, il offre un aperçu utile de l'usage actuel de la langue employée dans les journaux. Pour ceux qui veulent compléter leurs connaissances, il de combler les lacunes lexicales dans divers domaines très de la littérature médiatique.

Études arabes : Lexique bilingue de l'arabe d'aujourd'hui

الغنى الحديث

LEXIQUE BILINGUE

DE L'ARABE D'AUJOURD'HUI

Mathieu Guidero

Guidero, agrégé de l'Université, est maître de conférences.

452.703

GUI

Centre Culturel Français d'Alger



D 0070631894

ISBN 2-84274-102-7

ÉDITIONS

EDITIONS
DU TEMPS



6207419271

ARABE

LT 489

**Grammaticalement
correct !**

GRAMMAIRE ALPHABÉTIQUE DE L'ARABE

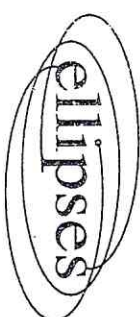


Mathieu GUIDÈRE

Agrégé d'arabe

Maître de conférences à l'université de Lyon 2

24470 5/5



نماذج من معجم ميشيل قيطوط "اللسن"

Michel Quitout

Al-Lassin

Petit dictionnaire
des termes
des sciences du langage

français-arabe
Arabe-français

Préface de Joseph Courtès

اللسن

القاموس الصغير لعلوم اللغة

مع تاليف

الدكتور ميشال قيطوط

دقيقة

Centre Culturel Français d'Algérie



D 0010306074

9 782747 500876

Al-Lassin Petit dictionnaire des termes des sciences du langage
français-arabe / Arabe-français
452,708
611

Harmonia

نماذج من معجم ميشيل قيطوط "العربية المغربية"

INITIATION A L'ARABE MAGHRÉBIN



Michel Quintou est professeur de français à l'université de Bordeaux. Il a écrit de nombreux ouvrages de référence sur la langue arabe et sur la culture maghrébine. Il est également traducteur et a collaboré à la rédaction de plusieurs dictionnaires bilingues.

Cet ouvrage est destiné à tous ceux qui souhaitent apprendre l'arabe maghrébin. Il est divisé en deux parties : la première présente les bases de la langue (alphabet, prononciation, grammaire) et la seconde propose des exercices et des textes pour pratiquer.



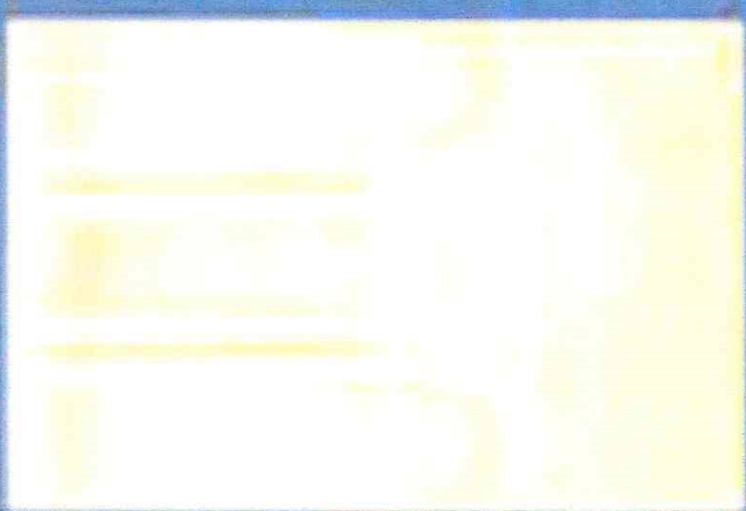
ISBN 2-7071-1111-1

INITIATION A L'ARABE MAGHRÉBIN

Michel Quintou

INITIATION À L'ARABE MAGHRÉBIN

Wacouhulture bilingue



El Cadrone

نماذج من دليل دانيال كرازا

L'Arabe algérien de poche

Edmond Mouss

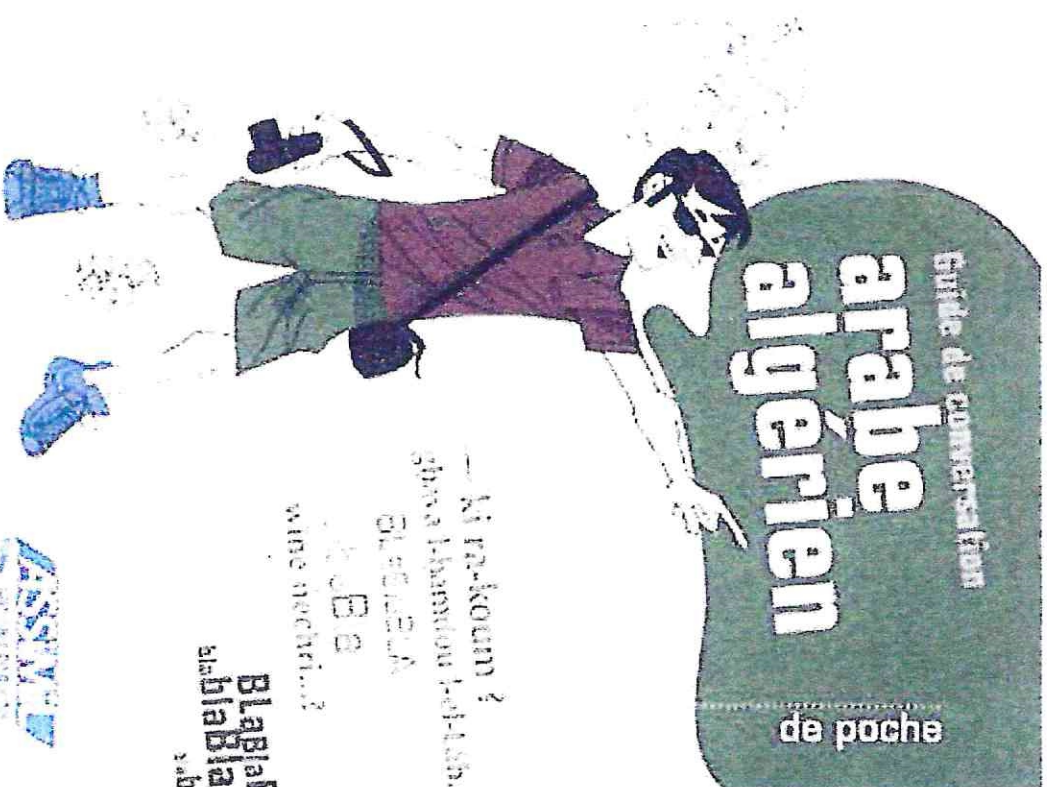
écrit et corrigé par
Michael Quirio
électronicien à Paris 5

Illustrations de J.-L. Coussou

ASSIMIL
Le français facile

HP 23

Édité par Assimil pour ALMAYMOUD
FRANCE



ASSIMIL
Le français facile

ملخص:

تناول البحث موضوع اللغة العربية في معاجم المستشرقين الفرنسيين وموقفهم منها، وكذا مدى تمكّنهم، وذلك في ضوء معاجم ثنائية عربيّة متنوّعة، من حيث الفترة الزمنية والمنهج والمحتوى، فمنها القديمة والحديثة والمعاصرة باللغة العربية الفصحى وبالعامية، وبالحرف العربي وأخرى بالحرف اللاتيني، أما مناهجها فتباينت بين تاريخي ووصفي وإحصائي. ومنها ما حوى أكثر من منهج، وما اعتمد الترتيب الأبجدي، أو الموضوعي، ومنها المعاجم العامة والمختصة، وكذلك من حيث المستشرقين منهم الفرنسيين، ومنهم مغاربيي الأصل.

عمل البحث على استنطاق هذه المدونة، استنادا إلى خلفية نظرية قدّمت معلومات شاملة حول اللغة العربية والمعاجم الثنائية، والمناهج الاستشراقية، والاستشراق عموما والفرنسي خاصة، تناول حقيقة تأثيره في اللغة العربية وأهلها. وحلّل البحث في جانبه التطبيقي المعاجم من حيث البناء المعجمي ومنهجه والمستوى اللغوي الموظف فيها (فصيح/عامي/دخيل)، ووقف على طبيعة المفردات ومجالها في بعض المعاجم، ومحاولة تحليل هذه المادة في علاقتها بما هو غير لغوي، التي كشفت عن وجود خطاب إيديولوجي متفاوت في معظم المعاجم الثنائية، وتأثر أصحاب هذه المعاجم بلغتهم وثقافتهم ودينهم بشكل أو بآخر.

الكلمات المفاتيح: اللغة العربيّة، الاستشراق الفرنسي، مناهج المستشرقين، المعاجم الثنائية العربية.

Abstract:

The research dealt with the theme of the Arabic language in the French Orientalists's dictionaries, their position, and how did they mastered it in various binary dictionaries, in terms of time, method and content. The research included ancient, modern and contemporary dictionaries, in classical Arabic and colloquial with Arabic letters and Latin script.

As for their methods, they varied between standard, historical, comparative and descriptive ones. Some of them contained more than one method.

In terms of order, they came in alphabetical order, Or objective (semantic fields), including general and specialized dictionaries, as well as in terms of Orientalists ,some of them were French, and others were originally Arab.

The research explored this blog basing on a theoretical background that provided general information About the Arabic language and the Orientalist method .The research treated Orientalism in general and the French one in particular, and it dealt with reality and its influence on the Arabic language and its people.

In its applied aspect, the research analyzed the lexicons in terms of lexical structure, its methodology and the linguistic level employed in it (eloquent / general / intruder). The research stood on the nature of the vocabulary and its scope in some dictionaries, and this material was analyzed according to the meta-dictionary approach, which was revealed about the presence of an ideological discourse in most binary dictionaries, and the owners of these dictionaries were influenced by their language ,culture And religion.

Keywords: Arabic language, Orientalism French, Orientalists methods, binary dictionaries Arabic